

(١٣٩٢)

الفنادق والخانات

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"أو أقل أو أكثر ، فهل ينقض ذلك شراءه ؟ قال : قال مالك : فإن كان الذي استحق منها يسيرا ، قلت العشر ، قال ربما كان العشر فيها يضر وفيها ما لا يضر ، فإنما ينظر في ذلك الوالي على الاجتهاد ، فإن رأى ضررا رده وإن لم ير ضررا أمضى البيع ورد عليه قدر ذلك من الثمن .

قال محمد بن رشد : هذا كما قال : إن استحقاق العشر من الدار قد يضر ببقية الدار ، وقد لا يضر ، فإن كانت لا تنقسم أعشارا فلا شك في أن ذلك ضرر له ، رد جميعها ، وأما إن كانت تنقسم ببيت يحصل للمستحق منالدار والمدخل على باب الدار ، والساحة مشتركة ، فإن كنت دارا جامعة **كالفنادق** التي تكرى ويسكنها الجماعة من الناس فليس ذلك بضرر ، فيرجع بقدره من الثمن ، ولا يرد الجميع ، وإن كانت دار للسكنى ، فذلك ضرر . وأما إن كانت تنقسم بغير ضرر ولا نقصان من الثمن ، ويصير لكل نصيب حظه من الساحة ، وباب على حدة ، فليس ذلك بضرر ، إلا أن يكون المستحق على هذه الصفة الثلث فأكثر ، والدار الواحدة في هذا ، بخلاف الدور ، ولأنه إذا اشترى الدور ، فاستحق بعضها ، لا يرد جميعها ، إلا أن يكون الذي استحق منها أكثر من النصف ، وهو الجل ، هذا الذي يأتي في هذه المسألة على مذهب مالك ، لأنه قد نص في المدونة في القسمة وفي النكاح منها أن استحقاق ثلث الدار الواحدة كثير .

وقد مضى في رسم يوصي من هذا السماع ما فيه ببيان لهذه المسألة وبالله التوفيق .

من سماع يحيى بن يحيى من ابن القاسم من كتاب الكبش

قال يحيى : وسألت ابن القاسم عن رجل بنى وغرس في." (١)

"قال لعبد أنت حر اليوم من هذا العمل ، فاختلف في ذلك قول ابن القاسم ، والاختلاف في هذا على اختلافهم في يمين التهمة ؛ لأن العبد يقول أردت بذلك عتقي ، وهو يقول لم أرد بذلك عتقك ، ولو ادعى العبد أنه قد كان أعتقه قبل ذلك ، واحتج عليه بقوله ما هو مملوك ، للزمته اليمين قولا واحدا ، بمنزلة إذا ادعى عليه العتق وأقام على ذلك شاهدا واحدا ، إلا أن يطول سجنه فيخلى عن سبيله ، وقد وقع في أول رسم من سماع ابن القاسم من كتاب الطلاق – السنة في قول ابن القاسم إيجاب اليمين في نحو هذه المسألة بزيادة فيها عليها ، وقد مضى الكلام على ذلك هنالك ، فلا معنى لإعادته ، وبالله التوفيق .

مسألة

قال ولا يجوز في الرقاب الواجبة خصي ، ولا أقطع ، ولا أشل ، ولا أصم ، ويجوز الأعور ، والأعرج الخفيف العرجة ، وروى أشهب من كتاب العتق عن مالك في الخصي والأعرج يجزئان في الرقاب الواجبة .

---

(١) البيان والتحصيل، ابن رشد الجد ١٨١/١١

قال محمد بن رشد : هذه مسألة قد مضى الكلام عليها مستوفى في رسم العتق من سماع أشهب ، فلا معنى لإعادته ، وبالله التوفيق .

ومن كتاب سلف دينارا في ثوب إلى أجل

وسئل مالك عن رجل نزل **فندقا** فكان في بيت منه فمرض ،." (١)

"فقال إن أنا مت في هذا البيت ، فجاريتي حرة ؛ فصح من مرضه ذلك وخرج من ذلك **الفندق** ، ثم رجع إلى ذلك البلد ، فنزل في ذلك البيت فمرض فمات فيه ؛ أتعتق جاريته ؟ فقال أرى أن تعتق ، إلا أن تكون تعرف أنه إنما أراد في مرضه ذلك الأول .

قال محمد بن رشد : هذا كما قال على أصولهم في أن الحالف لم تكن له نية تحمل يمينه على ما يقتضيه لفظه - إذا لم يكن له بساط يدل على خلاف لفظة ، وبالله التوفيق .

مسألة

وسئل عن رجل زوج أمته عبده ، ثم قال لها إن لم أبعك إلى سنة ، فأنت حرة ، وما أشبه ذلك . قالت اشهدوا أنه إن لم يفعل وجاءني العتق فقد اخترت نفسي ، قال ليس ذلك لها . وفرق بينها وبين الحرة التي يقول لها إن تزوجت عليك فأمرك بيدك ، فتقول اشهدوا أنه إن فعل هذا ، فقد اخترت نفسي ، فهذه الحرة إن تزوج عليها فهي طالق ، وفرق بينها وبين الأمة ولم يرها مثلها .

قال محمد بن رشد : الفرق بين الحرة و ا لأمة أن الخيار للأمة إذا اعتقت تحت العبد لمن يجعله الزوج لها ، وإنما وجب لها بالسنة إذا عتقت - زوجها عبد ، فليس لها أن تختار نفسها قبل أن يجب ذلك لها . وقد لا يجب لها ، إذ قد يعتق زوجها قبل أن تعتق هي ، وأما الحرة فالزوج جعل الخيار لها بشرط تزوجه عليها ، فكان لها أن تقضي بما جعل لها ، وقد روى أصبغ عن أشهب في رسم النكاح من سماعه من كتاب النكاح ، أن ذلك ليس." (٢)

"الدار ولا دخل به بيته ، وإن سرق أجنبي من بعض بيوت السكان شيئا فأخذ في الدار قبل أن يخرج منها ، فقيل إنه يقطع ، وقيل إنه لا يقطع ، من قال إنه لا يقطع في الأول يقول يقطع في الثاني ، ومن قال إنه يقطع في الأول يقول أنه لا يقطع في الثاني ، لأن الصحن حرز عن الأجنبيين وليس بحرز عن السكان إن سرق بعض السكان من الصحن شيئا لم يقطع باتفاق وإن دخل في بيته أو خرج به من الدار ، وأن

---

(١) البيان والتحصيل، ابن رشد الجد ١٤/٥٥٠

(٢) البيان والتحصيل، ابن رشد الجد ١٤/٥٥١

سرق أجنبي من الصحن شيئا فأخرجه من الدار قطع باتفاق ، فمن غلب أنه حرز يقول إن الأجنبي إذا سرق من بيت من البيوت شيئا وأخذ في الدار لم يقطع وإن سرق من الصحن شيئا قطع لأن الأول لم يبين به عن الحرز والثاني أخرجه من الحرز ، ومن غلب أنه ليس بحرز يقول إن الأجنبي إذا سرق من بيت من البيوت شيئا وأخذ في صحن الدار قطع ، وإن سرق من صحن الدار شيئا لم يقطع وإن أخرجه من الدار ، وهذا إذا كان ما في الصحن قد نسبه فيه بعض أو وضعه فيه

ثم قام عنه وتركه ، وأما إن كان جالسا على متاعه الذي وضعه في الصحن إن كان ذلك الموضع الذي وضع فيه المتاع موضعا معروفا له كمعلف الدابة فحكمه في سرق السارق إياه حكم ما سرق الشراك من بيوت الدار كان من السكان فيها أو من الأجنبيين يبين هذا ما يأتي في رسم أوصى من سماع عيسى من قول مالك في السفيه حسبما سنبينه إن شاء الله .

وأما الدار المشتركة بين السكان فيها المباحة قاعتها لجميع الناس كالفنادق والتي في قاعتها البيع والشراء فهذه أن سرق منها سارق قطع باتفاق وإن أخذ قبل أن يخرج من الدار وبالله التوفيق .

ومن كتاب شك في طوافه

وسئل مالك عن الغسال يأخذ ثيابا يغسلها فيخرج إلى الحر." (١)

"المتاع من صاحبه وهو ينظر إليه ، وليس بمنزلة المختلس على الحقيقة إذ لم يعلم هو بنظر صاحب المتاع إليه .

مسألة

وسئل عن دار نسي صاحبها أن يغلقها فتبيت مفتوحة فدخل سارق فسرق متاعا في الدار ، قال : يقطع ، واحتج فقال قد تكون النهار مفتوحة ولكن ليس الدار التي تدخل بإذن وبغير إذن في ذلك سواء .

قال محمد بن رشد : هذا بين على ما قاله لأن دار الرجل حرز لما فيها وإن تركت مفتوحة إذ ليس لأحد أن يدخلها إلا بإذن وإن كانت مفتوحة ، بخلاف الدار التي تدخل بغير إذن كما قال ، وهي الفنادق تلك التي لا تكون بابها حرزا لما في ساحتها إلا إذا كان مقفولا فمن فتح بابها بالليل أو حين يغلق فيه بالنهار فسرق منها قطع ، فإذا فتح بابها وترك مفتوحا لم يكن على من سرق منها قطع .

مسألة

وسمعته يقول في الرجل يغتسل في عسكر له قصير فألقى ثوبه عليه وكان بعضه مدلي إلى خارج فجاء

---

(١) البيان والتحصيل، ابن رشد الجد ١٦/٢٠٨

سارق فجبذه من الطريق فقال يقطع : وهذا أبين من الأول .

قال محمد بن رشد : قد قال في المدونة في هذا إنه لا يقطع إذا كان بعضه خارجا من الدار ، ولكلا القولين وجه من النظر ، فوجه قوله إنه يقطع هوان العسكر من الدار ، فوجب أن يكون حرزا لما عليه كالمحمل الذي هو حرز لما فيه من المتاع ، ووجه القول أنه لا يقطع هو أن الرجل لما القي ثوبه على الحائط مدلي إلى الطريق فقد أخرجه من الحرز وفارق ما في." (١)

"بقوم لا يقرون فماذا ترى فقال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا فإن لم يفعلوا فخذوا حق الضيف الذى ينبغى .

ورى عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إيما ضيف نزل بقوم فأصبح محروما فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه . فقيل معنى هذه الآثار فى أول الإسلام إذ كانت المواساة واجبة ، ثم أتى الله عز وجل بالخير والسعة فصارت الضيافة جائزة مندوبا إليها محمودا فاعلها عليها . وقيل معناها فى المارين بقوم فى بادية لا يجدون من ضيافتهم بدلا ولا يجدون ما يبتاعونه مما يغنيهم عن ذلك .

ومعنى ما دل من الأحاديث على أنها غير واجبة فى الذى يستغنى عن الضيافة ويقدر على أن يتعوضمنها بابتياع ما يغنيه عنها . فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه ، وقال : لا يحتلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته الحديث ، فلا يكون بين الأحاديث على هذا تعارض . وإلى نحو هذا ذهب مالك – رحمه الله – وروى عنه أنه قال : ليس على أهل الحضر ضيافة ، يريد لأن المسافر يجد فى الحضر مندوحة عن الضيافة لوجوده حيث ينزل ما يبتاع ، وكذلك قال سحنون إنما الضيافة على أهل القرى ، وأما أهل الحضر **فالفندق** ينزل فيه المسافر . وقد روى عن النبى – – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : الضيافة على أهل الوبر وليست على أهل المدر ، إلا أنه حديث غير." (٢)

"قول ابن القاسم ها هنا ، وفي نوازل أصبغ من كتاب الرواحل والدواب ، وقول ابن وهب ومطرف فيه . والثاني أن له أن يأخذه ولا شيء عليه من غرم الكراء ، وهو قول أشهب في نوازل أصبغ من كتاب الرواحل والدواب ، وقياس قول ابن القاسم فوق هذا في مسألة المركب يقف في بعض الطريق من قلة الماء ، وظاهر قوله في أول مسألة من سماع يحيى من كتاب البضائع والوكالات في مسألة الخصام . والثالث أن له أن

---

(١) البيان والتحصيل، ابن رشد الجد ٢٥٧/١٦

(٢) البيان والتحصيل، ابن رشد الجد ٢٨٢/١٨

يأخذه ولا كراء عليه إلا أن يكون عازما على أن يبلغه إلى ذلك المكان فيكون عليه إذا اختار أخذه كراء مثله إلى ذلك المكان لا الكراء الذي أكراه به ، وهو قول ابن حبيب في الواضحة وقياس قول ابن القاسم بعد هذا في مسألة الذي يستأجر الأجراء لحصاد زرعه أو حرث أرضه فيخطئون فيحصدون زرعا لغيره ، أو يحرثون أرضا لغيره ، وحكى ابن حبيب عن أصبغ أن لرب الحمل أن يكلف الحمال رد الحمل الذي أخطا به إلى البلد الذي حمله منه ، ويكون في ضمانه حتى يرده إلى موضعه . ولا اختلاف بينهم أن على الحمال أن يرجع فيحمل الحمل الذي تكوري على حمله وبالله التوفيق .

مسألة

وقال : كنس المراحيض على السكان إلا أن تكون دور **الفنادق** فإن كنس مراحيضها على المكري .

قال محمد بن رشد : اختلف في كنس مراحيض الدور المكتراة ، فقيل : إنها على السكان ، وهو قول ابن القاسم في هذه الرواية . وقيل إنها." [1]

"على أصحاب الدور ، وهو قول ابن القاسم في رواية ابن أبي جعفر عنه أن كنس التراب والمرحاض على صاحب المنزل ، إلا أن يكون اشترط ذلك على الساكن . قال : ولا يجوز أن يشترطه عليه إلا أن يكون نقيا وهو قول أشهب إنه على صاحب الدار إذا لم يكن لهم في ذلك سنة يحملون عليها ، ولم يختلف في هذا قول أشهب ولا اضطرب فيه أصله ، وقد ذكرنا ذلك في رسم باع شاة من سماع عيسى من كتاب جامع البيوع ، وفي المدونة دليل على القولين جميعا . وأما دور **الفنادق** التي تكري مشاهرة إلى غير أمد معين من المسافرين وغيرهم ، فلا اختلاف في أنه لا شيء من ذلك على السكان فإن أكرى صاحب **الفندق** **فندقه** جملة لعام أو أعوام من متقبل يكريه من السكان فيه دخل الاختلاف المذكور في ذلك ، هل يكون الكنس على صاحب **الفندق** ؟ أم على المتقبل له للعام أم للأعوام ؟ وبالله التوفيق .

مسألة

وعن رجل كان له قارب وشبكة فدفعها إلى صياد على أن يصيد له يومين ولنفسه يوما قال : أرجو أن يكون خفيفا إن كان ذلك قريبا ، قيل شهرين فرأيته يستكثر شهرين .

قال محمد بن رشد : قد مضى قبل هذا في هذا السماع من." [2]

---

(١) البيان والتحصيل، ابن رشد الجد ٩/٦٧

(٢) البيان والتحصيل، ابن رشد الجد ٩/٦٨

"قوله : (ولا قطع على من سرق من حمام أو من بيت أذن للناس في دخوله) ويدخل في ذلك حوانيت التجار ، **والخانات** إلا إذا سرق منها ليلا فإنه يقطع لأنها بنيت لإحراز الأموال وإنما الإذن يختص بالنهار .

قوله : (ومن سرق من المسجد متاعا وصاحبه عنده قطع) لأنه محرز بالحافظ .." [١]

"(ومن أصابه من النجاسة المغلظة كالدم والبول) من غير مأكول اللحم ولو من صغير لم يطعم (والغائط والخمر) وخرء الطير لا يزرق في الهواء كدجاج وبط وإوز (مقدار الدرهم فما دونه جازت الصلاة معه: لأن القليل لا يمكن التحرز عنه؛ فيجعل عفوا، وقدرناه بقدر الدرهم أخذا عن موضع الاستنجاء (فإن زاد) عن الدرهم (لم تجز) الصلاة، ثم يروى اعتبار الدرهم من حيث المساحة، وهو قدر عرض الكف في الصحيح، ويروى من حيث الوزن، وهو الدرهم الكبير المثقال، وقيل في التوفيق بينهما: إن الأولى في الرقيق، والثانية في الكثيف، وفي الينابيع: وهذا القول أصح، وفي الزاهدي قيل: هو الأصح، واختاره جماعة، وهو أولى؛ لما فيه من إعمال الروايتين مع مناسبة التوزيع (وإن أصابته نجاسة مخففة كبول ما يؤكل لحمه) ومنه الفرس، وقيد بالبول لأن نجاسة البعر والروث والخشى غليظ عند أبي حنيفة، وقال أبو يوسف ومحمد: خفيفة، قال الشرنبلالي: وهو الأظهر؛ لعموم البلوى بامتلاء الطرق بها، وطهرها محمد آخرا، وقال: لا يمنع الروث وإن فحش؛ لما رأى من بلوى الناس من امتلاء الطرق **والخانات** بها لما دخل الري مع الخليفة، وقاس المشايخ عليه طين بخارى؛ لأن ممشى الناس والدواب واحد. اهـ. (جازت الصلاة معه ما لم يبلغ ربع) جميع (الثوب) يروى ذلك عن أبي حنيفة لأن التقدير فيه بالكثير الفاحش، والربع ملحق بالكل في حق بعض الأحكام هداية. وصححه في المبسوط، وهو ظاهر ما مشى عليه أصحاب المتون، وقيل: ربع الموضع الذي أصابه كالذيل والكم والدخريص، إن كان المصاب ثوبا. وربع العضو المصاب كاليد والرجل، إن كان بدنا وصححه في التحفة والمحيط والمجتبى والسراج، وفي الحقائق: وعليه الفتوى، وقيل: ربع أدنى ثوب تجوز فيه الصلاة كالمئزر، قال الأقطع: وهذا أصح ما روى فيه اهـ. فقد اختلف التصحيح كما ترى، لكن ترجح الثاني بأن الفتوى عليه، وهو الأحوط، فتنبه، قال في الفتح: وقوله – يعني صاحب الهداية – لأن التقدير

فيه بالكثير الفاحش يفيد أن أصل المروي عن أبي حنيفة ذلك على ما هو دأبه في مثله من عدم التقدير؛

---

(١) الجوهرة النيرة، ٥/٢٠٦

فما عد فاحشا منع، وما لا فلا اهـ. وإنما عدلوا عن التعبير بالكثير الفاحش إلى التقدير بالربع تيسيرا على الناس، سيما من لا رأي له من العوام، كما مر على نظيره الكلام، وبه ظهر الجواب عما إذا أصاب الثوب أو البدن من النجس المخفف المتجسد مقدار كثير، إلا أنه لتراكمه لا يبلغ الربع، فهل يمنع؟ وما القدر المانع؟ ولا شك أنه إذا كان كثيرا فاحشا يمنع وإن لم يبلغ الربع لتراكمه؛ لما علمت أنه أصل المروي عن الإمام، ويحد القدر المانع فيه تيسيرا بأنه إن كان بحيث لو كان مائعا بلغ الربع منع، وإلا فلا.

(وتطهير) محل (النجاسة التي يجب غسلها على وجهين)، لأن النجاسة إما أن تكون لها عين مرئية أو لا (فما كان له منها عين مرئية) كالدم (فطهارتها) أي النجاسة، والمراد محلها (زوال عينها) ولو بمرة على الصحيح، وعن الفقيه أبي جعفر أنه يغسل مرتين بعد زوال العين، إلحاقا لها بغير مرئية غسلت مرة (إلا أن يبقى من أثرها) كلون أو ريح (ما يشق إزالته) فلا يضر بقاؤه، ويغسل إلى أن يصفو الماء، على الراجح، والمشقة: أن يحتاج في إزالته إلى غير الماء القراح كحرض أو صابون أو ماء حار (وما ليس له عين مرئية) كالبول (فطهارتها أن يغسل): أي محل النجاسة (حتى يغلب على ظن الغاسل أنه) أي المحل (قد طهر) لأن الكرار لابد منه للاستخراج، ولا يقطع بزواله، فاعتبر غالب الظن، كما في أمر القبلة، وإنما قدروا بالثلاث لأن غالب الظن يحصل عنده؛ فأقيم السبب الظاهر مقامه تيسيرا، ويتأيد ذلك بحديث المستيقظ من منامه ثم لابد من الصر في كل مرة في ظاهر الرواية، لأنه هو المستخرج. هداية (٢).

(والاستنجاء سنة) مؤكدة للرجال والنساء (يجزئ فيه) لإقامة السنة (الحجر وما قام مقامه) من كل عين طاهرة قالعة غير محترمة ولا متقومة كمدر (يمسحه) أي المخرج (حتى ينقيه) لأن المقصود هو الإنقاء؛ فيعتبر ما هو المقصود (وليس فيه) أي الاستنجاء (عدد مسنون) بل مستحب؛ فيستحب الثلاث إن حصل التنظيف بما دونها، وإلا جعلها وترا (وغسله) أي المخرج (بالماء) بعد الإنقاء بالحجر أولا (أفضل) إذا كان بلا كشف عورة عند من يراه، أما معه فيتركه؛ لأنه حرام يفسق به فلا يرتكبه لإقامة الفضيلة (فإن تجاوزت النجاسة مخرجها) وكان المتجاوز بانفراده لسقوط اعتبار ذلك الموضع أكثر من الدرهم (لم يجز فيه) أي في طهارته (إلا الماء) أو المائع، ولا يطهر بالحجر؛ لأنه من باب إزالة النجاسة الحقيقية عن البدن (ولا يستنجي بعظم ولا بروث) لورود النهي عنه (ولا بطعام) لآدمي أو بهيمة؛ لأنه إتلاف وإهانة (ولا بيمينه)

لورود النهي عنه أيضا، إلا من عذر باليسرى يمنع الاستنجاء بها.

______________." (١)

"(والحرز على ضربين: حرز لمعنى فيه) وهو المكان المعد للاحراز، وذلك (كالبيوت والدور) والحانوت والصندوق والفسطاط، وهو الحرز حقيقة (وحرز بالحافظ) كمن جلس في الطريق أو المسجد وعنده متاعه فهو محرز به فيكون حرزا معنى (فمن سرق شيئا من حرز) وإن لم يكن صاحبه عنده أو لم يكن له باب أوله وهو مفتوح (أو) من (غير حرز و) لكن (صاحبه عنده يحفظه) سواء كان مستيقظا أو نائما والمتاع تحته أو عنده، وهو الصحيح؛ لأنه يعد النائم عند متاعه حافظا له في العادة، هداية (وجب عليه القطع)؛ لأنه سرق مالا محرزا بأحد الحرزين (ولا قطع على من سرق من حمام) في وقت جرت العادة بدخوله فيه، وكذا حوانيت التجار **والخانات**؛ لوجود الإذن عادة، فلو سرق في غير وقت الإذن المعتاد قطع، لأنها بنيت للاحراز، وإنما الإذن مختص في وقت العادة (أو من بيت أذن للناس في دخوله)؛ لوجود الإذن حقيقة (ومن سرق من المسجد متاعا وصاحبه عنده قطع) لأنه محرر بالحافظ؛ لأن المسجد ما بني لإحراز الأموال، فلم يكن المال محرزا بالمكان، بخلاف الحمام والبيت الذي أذن للناس في دخوله حيث لا يقطع؛ لأنه بني للاحراز؛ فكان حرزا؛ فلا يعتبر معه الإحراز بالحافظ لأنه أقوى كما في الهداية (ولا قطع على الضيف إذا سرق ممن أضافه)، لأن البيت لم يبق حرزا في حقه، لكونه مأذونا في دخوله، ولأنه بمنزلة أهل الدار، فيكون فعله خيانة، لا سرقة (وإذا نقب اللص البيت ودخل فأخذ المال وناوله آخر خارج البيت فلا قطع عليهما)؛ لأن الأول لم يوجد منه الإخراج لاعتراض يد معتبرة على المال قبل خروجه، والثاني لم يوجد منه هتك الحرز، فلم تتم السرقة من كل واحد. قال جمال الإسلام: وهذا قول أبي حنيفة، وعليه مشى الأئمة المحبوبي والنسفي والموصلي وغيرهم. تصحيح (وإن ألقاه) أي ألقى اللص المتاع (في الطريق) قبل أن يخرج (ثم خرج فأخذه قطع)، لأن الرمي حيلة يعتاد السراق لتعذر الخروج مع المتاع أو ليتفرغ لقتال صاحب

الدار أو للفرار، ولم يعترض عليه يد معتبرة، فاعتبر الكل فعلا واحدا، وإذا خرج ولم يأخذه فهو مضيع لا سارق. هداية (وكذلك): أي قطع (إن حمله): أي المتاع (على حمار فساقه فأخرجه) لأن سيره مضاف إليه لسوقه (وإذا دخل الحرز جماعة فتولى بعضهم الأخذ) دون البعض (قطعوا جميعا) لأن الإخراج من

(١) اللباب في شرح الكتاب، ص/٢٧

الكل معنى للمعاونة، وهذا لأن المعتاد فيما بينهم أن يحمل البعض المتاع ويتشمر الباقون للدفع، فلم امتنع القطع أدى إلى سد باب الحد.
(ومن نقب البيت وأدخل يده فيه) من غير أن يدخل (فأخذ شيئا) يبلغ النصاب (لم يقطع)، لأن هتك الحرز بالخول فيه، ولم يوجد، قال بهاء الدين في شرحه: وعن أبي يوسف أنه يقطع، والصحيح قولنا، واعتمده البرهاني وغيره، تصحيح (وإن أدخل يده في صندوق الصيرفي أو في كم غيره فأخذ المال قطع)، لتحقق هتك الحرز، لأنه لا يمكن هتك مثل هذا الحرز إلا على الصفة (ويقطع يمين السارق من الزند) وهو المفصل بين الذراع والكف (وتحسم) وجوبا؛ لأنه لو لم تحسم يفضي إلى التلف، والحد زاجر لا متلف، وصورة الحسم: أن تجعل يده بعد القطع في دهن قد أغلي بالنار لينقطع الدم، قال في الذخيرة: والأجرة وثمن الدهن على السارق، لأن منه سبب ذلك وهو السرقة، جوهرة.
(فإن سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى) من الكعب، وهو المفصل بين الساق والقدم، وتحسم أيضا (فإن سرق ثالثا لم يقطع) ولكن عزر (وخلد في السجن حتى يتوب) لما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: إني لأستحي من الله أن لا أدع له يدا يأكل بها ويستنجي بها، ورجلا يمشي عليها، وبهذا حاج بقية الصحابة فحجهم، فانعقد إجماعا، هداية.

(وإذا كان السارق أشل اليد اليسرى أو أقطع): أي مقطوعها (أو مقطوع الرجل اليمنى) أو أشلها (لم يقطع)، لأن في ذلك تفويت جنس المنفعة: بطشا فيما إذا كان أشل اليد اليسرى أو أقطع، ومشيا فيما إذا كان مقطوع الرجل اليمنى أو أشل، وتفويت ذلك إهلاك معنى، فلا يقام الحد، لئلا يفضي إلى الإهلاك.
(ولا يقطع السارق إلا أن يحضر المسروق منه فيطالب بالسرقة)؛ لأن الخصومة شرط لظهورها، ولا فرق بين الشهادة والإقرار؛ لأن الجناية على مال الغير لا تظهر إلا بالخصومة، وكذا إذا غاب عند القطع؛ لأن الاستيفاء من القضاء في باب الحدود، هداية (فإن وهبها): أي السرقة (من السارق، أو باعها إياه، أو نقصت قيمتها من النصاب) ولو بعد القضاء بها (لم يقطع)؛ لأن الإمضاء في هذا الباب من القضاء، فيشترط قيام الخصومة عند الاستيفاء، فصار كما إذا حصلت قبل القضاء، وتمامه في الهداية.." (١)

" تقرض للفقراء يزرعون ثم تؤخذ منهم والثياب والأكسية تعطى للفقراء ليلبسوها عند حاجتهم ثم تؤخذ كذا في الفتاوى العتابية ولا يصح وقف الأدوية إلا إذا قال على الفقراء والأغنياء وتدخل الأغنياء تبعا

(١) اللباب في شرح الكتاب، ص/٣٣٩

كذا في معراج الدراية ذكر الناطفي إذا وقف مالا لإصلاح المساجد يجوز وإن وقف لبناء القناطر أو لإصلاح الطريق أو لحفر القبور واتخاذ السقايات **والخانات** للمسلمين أو لشراء الأكفان لهم لا يجوز وهو جائز في الفتوى كذا في فتاوى قاضي خان ومما يتصل بذلك ما يدخل من غير ذكر وما لا يدخل إلا به ذكر الخصاف في وقفه إذا وقف الرجل أرضا في صحته على وجوه سماها ومن بعدها على الفقراء فإنه يدخل في الوقف البناء والنخيل والأشجار كذا في المحيط وذكر الخصاف أن الثمرة لا تدخل في وقف الأشجار وعليه أكثر المشايخ وهو الصحيح كذا في الغياثية ولو قال جعلت أرضي هذه صدقة موقوفة بحقوقها وجميع ما فيها ثمرة قائمة يوم الوقف قال هلال في الاستحسان يلزمه أن يتصدق بالثمرة القائمة على الفقراء والمساكين لا على وجه الوقف بل على وجه النذر وما يحدث من الثمرة بعد الوقف فإنه يصرف إلى الوجوه التي سمى في الوقف كذا في فتاوى قاضي خان ولو قال أرضي صدقة موقوفة بعد وفاتي على أن ما أخرج الله تعالى من غلاتها فهو لعبد الله فمات الواقف وفيها ثمرة قائمة قال لا تكون الثمرة لعبد الله لأنه الآن وجب له الوقف فصار كأنه وقف الأرض وفيها ثمرة قائمة فلا تدخل الثمرة الموجودة في الوصية بالوقف ثم ذكر صاحب الكتاب ههنا في القياس الثمرة القائمة للورثة وفي الاستحسان يتصدق بها على الفقراء وبالاستحسان نأخذ قال الفقيه أبو جعفر إن كان لفظ الواقف بهذا القدر الذي ذكرنا ينبغي أن تكون للورثة على كل في القياس والاستحسان من قبل أنه رد الوقف إلى ما بعد الوفاة والأرض في حال حياته لم تصر وقفا وإذا كان كذلك حدثت هذه الثمرة على ملك الميت فتكون ملكا لورثته كذا في الظهيرية وقف أرضا وفيها زرع لا يدخل الزرع في الوقف سواء كانت له قيمة أم لم تكن

".[1]

" عمارة المسجد قال لا يجوز بأمر القاضي وغيره كذا في الذخيرة وفي فوائد نجم الدين النسفي رحمه الله تعالى أهل مسجد اشتروا عقارا بغلة المسجد ثم باعوا العمارة واختلف المشايخ في جواز بيعهم والصحيح أنه لا يجوز كذا في الغياثية ولو أن قوما بنوا مسجدا وفضل من خشبهم شيء قالوا يصرف الفاضل في بنائه ولا يصرف إلى الدهن والحصير هذا إذا سلموه إلى المتولي ليبني به المسجد وإلا يكون الفاضل لهم يصنعون به ما شاءوا كذا في البحر الرائق ناقلا عن الإسعاف أرض وقف على مسجد صارت بحال لا تزرع فجعلها رجل حوضا للعامة لا يجوز للمسلمين انتفاع بماء ذلك الحوض كذا في القنية مال موقوف

(١) الفتاوى الهندية، ٣٦٣/٢

على سبيل الخير وعلى الفقراء بغير أعيانهم ومال موقوف على المسجد الجامع واجتمعت من غلاتها ثم نابت الإسلام نائبة مثل حادثة الروم واحتيج إلى النفقة في تلك الحادثة أما المال الموقوف على المسجد الجامع إن لم تكن للمسجد حاجة للحال فللقاضي أن يصرف في ذلك لكن على وجه القرض فيكون دينا في مال الفيء وأما المال الموقوف على الفقراء فهذا على ثلاثة أوجه إما أن يصرف إلى المحتاجين أو إلى الأغنياء من أبناء السبيل أو إلى الأغنياء من غير أبناء السبيل في الوجه الأول والثاني جاز لا على وجه القرض وفي الوجه الثالث المسألة على قسمين إما أن رأى قاض من قضاة المسلمين جواز ذلك أو لم ير ففي القسم الأول جاز الصرف لا بطريق القرض وفي القسم الثاني يصرف على وجه القرض فيصير دينا في مال الفيء كذا في الواقعات الحسامية الباب الثاني عشر في الرباطات والمقابر **والخانات** والحياض والطرق والسقايات وفي المسائل التي تعود إلى الأشجار التي في المقبرة وأراضي الوقف وغير ذلك من بنى سقاية للمسلمين أو خانا يسكنه بنو السبيل أو رباطا أو جعل أرضه مقبرة لم يزل ملكه عن ذلك حتى يحكم

". (١)

" والثاني لزيق ساحة منسوبة إلى الخاتون الملكة بنت الطرخان بك ولزيق فارقين وقف على مشهدهم والثالث لزيق منزل وقف على طلبة العلم ولزيق منزل أحمد المقصص ولزيق منزل أبي القاسم بن العطاء ويتصل بخان ينسب إلى الخاتون الملكة والرابع لزيق منزل منسوب إلى حاولي الخيلتاشي ولزيق خانقاه منسوب إلى الأمير نظام الدولة ولزيق منزل منسوب إلى الخاتون الملكة تركان خاتون ولزيق الطريق وإليه مدخلها ثم أحب أن يدوم ذلك الخير على مرور الأيام وكرور الأعوام بأوقاف صحيحة عليها وعلى سبيل الخير وأبواب البر فيها فيبقى على ما اقتضته نيته واشتملت عليه طويته فتصدق بجميع هذه المدرسة بكل ما هو متصل بها المحدودة الموصوفة في هذا الكتاب لإقامة أعمال البر فيها وبجميع الخان الخالص المشتمل على الديات والإصطبلات والمتبن والأواري والحجرات والغرف والحوانيت الأربعة المتصلة به على ثلاثة منها على يسار الداخل في هذا الخان وواحد على يمين الداخل فيه وهذا الخان معروف بنيم بلاس بسوق سعد سمرقند في محلة زركوبان في موضع منها يعرف بكوجة مفلس وبجميع الخان الخالص المشتمل على الدويرات الخمس والحجرات الثلاثة والغرفات الثلاث وبيوت الأهواء الخمسة والحوانيت الثلاثة المتلازقة على بابه المتصل به يمينا بسوق سعد سمرقند بمحلة رأس الطاق في زقاق يعرف بزقاق شير

---

(١) الفتاوى الهندية، ٢/٤٦٤

فروشان وبجميع الخان الخالص المشتمل على الدويرات الثمان والدويرات الكبيرة والغرفات الخمسة عشرة وبيوت الأهواء الخمسة عشر وبيتي الخلاء والحوانيت الأربعة المتلازقة المتصلة بهذا الخان الذي هو بسوق سمرقند بمحلة رأس الطاق في سكة عباد وبجميع الدويرة الكبيرة مسفلها وعلوها في الخان المعروف بخان الساماني الكبيرة بسوق سعد سمرقند برأس الطاق في شارع درب منارة وهذه الدويرة في الزاوية في يمين الداخل في هذا الخان وبجميع الحجرات على علوها والحجرات الخمس البكدرية في خلالها المتلازقة بهذا الخان وبجميع الحجرة الكبيرة البكدرية المتصلة بها في هذا الخان عن يسار الصاعد في علوه وبجميع الحمام المعروف بحمام الرجال بسوق سعد سمرقند بمحلة رأس قنطرة عاهرة في سكة حماد وبجميع بيوت الأكرة وبيت الطراز والكرم والمنابر والمزارع والمداسات التي هي بقرية جرمعد من قرى أنباركر من رستاق سمرقند وبجميع الأراضي التي هي في التلال المتصلة بمزرعة هذه القرية وهي جميعها من نواحي أنباركر من رستاق سمرقند فأحد حدود الخان المعروف بنيم بلاس والثاني والثالث والرابع أحد حدود كذا إلى آخر هذه المحدودات فتصدق الخان إلى آخر القاب هذا المتصدق المسمى في هذا الكتاب في حياته وبعد وفاته بجميع هذه المحدودات المذكورة الموصوفة بها في هذا الكتاب بحدودها كلها وجميع حقوقها وأراضي الخانات والحوانيت والتوابيت المركبة وبيوت الأهواء وبيوت الخلاء والدويرات والحجرات والغرفات وأبنيتها وخشبها وحيطانها وسفلها وعلوها وسقوفها وجذوعها وعوارضها وأسطوانتها وأبوابها وآجراتها وأرض الحمام وبيوته وسقوفه وخشبه وحيطانه وآجراته وقدر مائه وأنبوبه وملقى رماده ومجمع زبله ومصب مائه وحوضه ومجاري مياهه في حقوقه وأراضي بيوت الأكرة وأبنيتها والأشجار القائمة في العقارات والزراجين والعرش وأنهارها وسواقيها وشربها بمجاريه

". (١)

" لأحد عنه ولا مخلص ولا مناص ومضى لسبيله صرف ما كان مصروفا إليه في حال حياته من ذلك الفاضل فيبدأ منه أولا بما يحج عنه رجل مصلح من دويرة أهله فيعطى كفايته لذهابه وإيابه وما فضل من ذلك بدئ بالتضحية بكذا شياه إحداها عن سيد ولد آدم رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم والثاني عن والد هذا الواقف فلان والثالثة عن والدة هذا الواقف فلانة بنت فلان والرابعة عن هذا الواقف فيضحي بذلك كله كل سنة في أيام الأضاحي بعد وفاته وانقراض حياته تبركا إلى الله ووسيلة بها إليه ويعطى أجر

---

(١) الفتاوى الهندية، ٣٧٩/٦

السلاخ من الفاضل ويتصدق بلحومها وشحومها ودسومها وأكارعها وسقطها على فقراء المسلمين ومحاويجهم وما فضل من ذلك يصرف إلى مرسومات عاشوراء التي تعرفها الأغنياء في هذا اليوم من شراء الرغفان واتخاذ الخبيص وشراء الكيزان والملح والكبريت بكذا موسع ذلك كله على هذا القيم وما فضل من ذلك يصرف كذا كذا إلى فوائت صلواته وكذا كذا إلى فوائت زكواته وكذا إلى فوائت نذوره وكفاراته ولا جناح على من ولي هذا الأمر أن يأكل بنفسه منها وأن يؤكل من شاء وما فضل من ذلك يصرف إلى مصالح السقاية التي هي بمحلة كذا وإلى شراء الجمد وأجرة السقاة ويتخذ ماء الجمد فيها أيام الصيف وما يحتاج إلى ذلك وصارت هذه صدقة ماضية صافية لا يزيدها مرور الأيام إلا تسديدا ولا مضي الأعوام إلا تأكيدا ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر من الولاة والقضاة والحكام تبديل شرط من شروطها ولا تغيير شيء منها ولا تعطيلها فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين والأحوط في ذلك أن يلحق في الوقف حكم قاض من قضاة المسلمين حتى يزول الخلاف وصورة جريان الحكم بصحة الوقف أن يكتب على ظهر الصك للوقف يقول القاضي فلان بن فلان المتولي لعمل القضاة والأحكام والأوقاف بكورة كذا ونواحيها نافذ القضاء والإمضاء والاستنابة فيما بين أهلها حكمت بصحة هذا الوقف المبين الموصوف في بطن هذا الصك وجوازه ولزومه في جميع ما بين موضعه وحدوده فيه من الحوانيت والرباطات والخانات والحمامات وغير ذلك بجميع ما اشتمل عليه من الأبنية في سفله وعلوه من الحجرات والمنازل والصحن والمرابط على السبل والوجوه والشروط المذكورة فيه عملا بقول من يرى صحة هذا الوقف وجواز هذه الصدقة بشروطها وسبلها المفسرة فيه من علماء السلف وأئمة الدين بعد خصومة صحيحة مستقيمة جرت بين يدي هذا الواقف المسمى فيه وبين من خاصمه فيه ممن له حق الخصومة في جواز هذا الوقف وصحته وجواب المدعى عليه بالإنكار لصحته وجوازه وميله إلى جهة الفساد حكما أبرمته وقضاء نفذته على هذا الواقف بحضرته في وجهه ووجه من خاصمه فيه بعد ما عرفت مواضع الاختلاف ووقع اجتهادي على صحته ونفاذه وكلفت هذا الواقف قصر يده عن جميع هذه المحدودات وتسليمها إلى هذا القيم المسمى فيه وترك التعرض له منه فيما يخالف مقتضى الصحة والجواز لهذا الوقف وهذه الصدقة وذلك كله في مجلس قضائي على سبيل الشهرة والإعلان دون الخفية والكتمان وأمرت بكتابة هذا السجل على ظهر هذا الصك حجة له في ذلك وأشهدت من حضرني من الثقات بتاريخ كذا كذا في الظهيرية كتاب الحيل وفيه فصول

". [1]

"قال (ومن سرق شيئا من حرز أو من غير حرز وصاحبه عنده يحفظه قطع) لأنه سرق مالا محرزا بأحد الحرزين (ولا قطع على من سرق مالا من حمام أو من بيت أذن للناس في دخوله) لوجود الإذن عادة أو حقيقة في الدخول فاختل الحرز ويدخل في ذلك حوانيت التجار **والخانات** ، إلا إذا سرق منها ليلا لأنها بنيت لإحراز الأموال ، وإنما الإذن يختص بالنهار (ومن سرق من المسجد متاعا وصاحبه عنده قطع) لأنه محرز بالحافظ لأن المسجد ما بني لإحراز الأموال فلم يكن المال محرزا بالمكان ، بخلاف الحمام والبيت الذي أذن للناس في دخوله حيث لا يقطع لأنه بني للإحراز فكان المكان حرزا فلا يعتبر الإحراز بالحافظ .

sوقوله (ولا قطع على من سرق من حمام) يعني في الوقت الذي أذن للناس بالدخول فيه (أو من بيت أذن للناس في دخوله لوجود الإذن عادة) يعني في الحمام (أو حقيقة) يعني في البيت الذي أذن للناس بالدخول فيه .

وقوله (ويدخل في ذلك) أي في قوله أو من بيت أذن للناس في دخوله .

وقوله (إلا إذا سرق منها ليلا) استثناء من قوله ولا قطع .

وقوله (ومن سرق من المسجد متاعا) ظاهر .." [2]

"وقوله (وهذا على الإرسال) أي ما ذكره القدوري من قوله (ولا يجوز وقف ما ينقل ويحول) على الإطلاق مقصودا أو تبعا ، كراعا أو غيره ، تعاملوا فيه أو لا .

قول أبي حنيفة .

والأكرة جمع أكار وهو الذراع كأنها جمع آكر تقديرا .

وقوله (والبناء في الوقف) أي في وقف الأرض التي عليها ذلك البناء كوقف **الخانات** والرباطات .

وقوله (لأنه لما جاز إفراد بعض المنقول) يعني من غير أن يجعل تبعا لشيء كما في المتعارف مثل الفأس والقدوم والمراجل (عنده) أي عند محمد (فلأن يجوز الوقف) أي وقف المنقول (تبعا أولى) والمراد بالكراع هنا هو الخيل لمناسبة ذكر السلاح .

وقوله (لما بيناه من قبل) يعني ما مر أن من شرطه التأبيد ، والتأبيد لا يتحقق في المنقول والمراجل :

---

(١) الفتاوى الهندية، ٣٨٩/٦

(٢) العناية شرح الهداية، ٣٥٧/٧

قدور النحاس .

وقوله (إلحاقا لها بالمصاحف) يعني أن وقف المصاحف صحيح ، فكذا الكتب .

ذكر في فتاوى قاضي خان : اختلف المشايخ في وقف الكتب جوزه الفقيه أبو الليث وعليه الفتوى .

وقوله (كل ما يمكن الانتفاع به مع بقاء أصله) احتراز عن الدراهم والدنانير ، فإن الانتفاع الذي خلقت الدراهم والدنانير لأجله وهو الثمنية لا يمكن بهما مع بقاء أصله في ملكه .

وقوله (ويجوز بيعه) احتراز عن حمل الناقة والجارية فإنه لا يجوز بيعه فكذا وقفه عنده أيضا .

ولنا أن الوقف في المنقول لا يتأبد وهو ظاهر ، وما لا يتأبد لا يجوز وقفه لأن التأبيد لا بد منه على ما بيناه فصارت المنقولات كالدراهم والدنانير .

وقوله (بخلاف." [1]

"(و) لا (من مكاتبه وختنه وصهره و) من (مغنم) وإن لم يكن له حق فيه، لانه مباح الاصل فصار شبهة.

غاية بحثا (وحمام) في وقت جرت العادة بدخوله، وكذا حوانيت التجار **والخانات**، مجتبى (وبيت أذن في دخوله) ولو أذن المخصوصين فدخل غيرهم وسرق ينبغي أن يقطع.

واعلم أنه لا يعتبر الحرز بالحافظ مع وجود الحرز بالمكان لانه قوي، فلا يعتبر الحافظ." [2]

" للخير وأصله الطاعة لله تعالى واشتراط معنى القربة في الصرف إلى الموقوف عليه لان الوقف قربة وصدقة فلا بد من وجودها فيما لأجله الوقف سواء كان الوقف من مسلم أو ذمي لأن ما لا يصح من المسلم الوقف عليه لا يصح من الذمي كالوقف على غير معين | قال أحمد في نصارى وقفوا على البيعة وماتوا ولهم أبناء نصارى فأسلموا والضياع بيد النصارى : فلهم أخذها وللمسلمين عونهم حتى يستخرجوها من أيديهم لا يقال : ما عقده أهل الكتاب وتقابضوه ثم أسلموا وترافعوا إلينا لا ينقض لان الوقف ليس بعقد معاوضة وإنما هو إزالة ملك عن الموقوف على وجه القربة فإذا لم يقع صحيحا لم يزل الملك فيبقى بحاله كالعتق | والقربة قد تكون على الآدمي كالفقراء (والمساكين) والغزاة والمتعلمين وقد تكون على غير آدمي كالحج والغزو والسقاية التي يتخذ فيها الشراب في المواسم وغيرها وإصلاح الطرق (والمساجد والقناطر والمقابر) والمدارس والبيمارستانات وإن كانت منافعها تعود على الآدمي فيتصرف في مصالحها

---

(١) العناية شرح الهداية، ٣٣٧/٨

(٢) الدر المختار، ٢٧٠/٤

عند الإطلاق | ومن النوع الأول (الأقارب) فيصح الوقف على القريب لأنه شرع لتحصيل الثواب فإذا لم يكن على بر لم يحصل مقصوده الذي شرع لأجله | ويصح على كل ما فيه قربة كالربط **والخانات** لأبناء السبيل (وكتب العلم) النافع كالحديث والتفسير والفقه والعربية (فلا يصح) الوقف (على تعليم شعر (مباح) (و) لا على (مكروه) كتعليم منطق لانتفاء القربة | (و) لا على (معصية) وتأتي أمثلته لما فيه من المعونة عليها | و (يصح) الوقف (من مسلم على ذمي) معين لما روي : أن صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقفت على أخ لها يهودي ولأنه موضع للقربة لجواز الصدقة عليه | (ولو)كان الذمي الموقوف عليه (أجنبيا) من الواقف لأنه تجوز صلته . وفي الانتصار : لو نذر الصدقة على ذمية

". (١)

" | [وجوز] جمهور العلماء تغيير صورته لمصلحة كجعل الدار حوانيت والحكورة المشهورة فلا فرق بين بناء ببناء وعرصة بعرصة | هذا صريح لفظه وقال أيضا فيمن وقف كروما على الفقراء يحصل على جيرانها به ضرر يعوض عنه بما لا ضرر فيه على الجيران ويعود الأول ملكا والثاني وقفا انتهى | وإن توقفت عمارة المسجد على بيع بعض آلاته جاز لأنه الممكن من المحافظة على الصورة مع بقاء الانتفاع | فائدة : يصح بيع شجرة موقوفة ييبست وبيع جذع موقوف انكسر أو بلي أو خيف الكسر أو انهدم | نقل أبو داود أن الإمام أحمد سئل عن مسجد فيه خشبتان لهما ثمن تشعث وخافوا سقوطه أتباعان وينفق على المسجد ويبدل مكانهما جذعين ؟ قال : ما أري به بأسا | واحتج بدواب الحبيس التي لا ينتفع بها تباع ويجعل ثمنها في الحبيس | قال في التلخيص : إذا أشرف جذع الوقف على الانكسار أو داره على الانهدام وعلم أنه لو أخر لخرج عن كونه منتفعا به فإنه يباع رعاية للمالية أو ينقض تحصيلا [للمصلحة] | قال الحارثي وهو كما قال | والمدارس والربط **والخانات** المسبلة ونحوها جائز بيعها عند خرابها على ما تقدم وجها واحدا | قال العلامة البهوتي في حاشيته على الإقناع : تنبيه : الخلوات المشهورة يمكن تخريجها عندنا من هذه المسألة مع ما تقدم من جواز بيع المنفعة مفردة عن العين كعلو بيت يبنى عليه ونحوه كما تقدم في أول البيع وفي الصلح إذ العوض فيها مبذول في مقابلة جزء من المنفعة فإذا كانت أجرة مثل المكان عشرين مثلا ودفع لجهة الوقف شيئا معلوما على أن يؤخذ منه عشرة فقط فقد اشترى

---

(١) مطالب أولي النهى، ٢٨٢/٤

نصف المنفعة وبقي للوقف نصفها فيجوز في الحالة التي يجوز فيها بيع الوقف بل هو أولى لأن فيه بقاء عين الوقف في الجملة وعلى هذا فمقتضى ما تقدم في إجارة المشاع لا تصح إجارة الناظر ولا صاحب الخلو للآخر أو معه | ويصح بيعه ورهنه

." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١١ """""""""

أقطعه ، ثم حرز كل شيء على حسب ما يليق به . قال عليه الصلاة والسلام : ' فإذا آواه الجرين يعني البيدر ففيه القطع ، وقال عليه الصلاة والسلام : ' لا قطع في حريسة الجبل ، وما آواه المراح ففيه القطع ' أي موضع يروحون منه .

قال : (والحرز يكون بالحافظ وبالمكان) لأن الحرز ما يصير به المال محرزا عن أيدي اللصوص وذلك بما ذكرنا ، فالحافظ كمن جلس في الصحراء أو في المسجد أو في الطريق وعنده متاعه فهو محرز به ، وسواء كان نائما أو مستيقظا ؛ أما إذا كان مستيقظا فظاهر ؛ وأما إذا كان نائما فلما روي ' أنه عليه الصلاة والسلام قطع سارق رداء صفوان من تحت رأسه وهو نائم في المسجد ' وسواء كان المتاع تحته أو عنده ، لأنه يعد حافظا له في ذلك كله عرفا ؛ والحرز بالمكان هو ما أعد للحفظ (كالدور والبيوت والحانوت) والصندوق ونحوه (ولا يعتبر فيه الحافظ) لأنه محرز بدونه ، وهو المكان الذي أعد للحفظ ، إلا أن القطع لا يجب بالأخذ من الحرز بالمكان إلا بالإخراج منه ، لأن يد المالك قائمة ما لم يخرجه ، والمحرز بالحافظ يجب القطع كما أخذه ، لأن يد المالك زالت بمجرد الأخذ فتمت السرقة . ولو كان باب الدار مفتوحا فدخل نهارا وأخذ متاعا لم يقطع ، لأنه مكابرة وليس بسرقة لعدم الاستسرار على ما بينا ؛ وإن دخل ليلا قطع لأنه حرز لأنه بنى للحرز ؛ ولو دخل بين العشاء والعتمة والناس منتشرون فهو بمنزلة النهار ؛ ولو علم صاحب الدار باللص واللص لا يعلم به أو بالعكس قطع لأنه مستخف ؛ وإن علم كل واحد بالآخر لا يقطع لأنه مكابر .

قال : (وإذا سرق من الحمام ليلا قطع ، وبالنهار لا وإن كان صاحبه عنده) لأنه مأذون

---

(١) مطالب أولي النهى، ٣٧٠/٤

له بالدخول فيه نهارا فاختل الحرز ، ويقطع ليلا لأنه بنى للحرز ، وما اعتاد الناس من دخول الحمام بعض الليل فهو كالنهار لوجود الإذن ، وعلى هذا كل حرز أذن بالدخول فيه **كالخانات** وحوانيت التجار والضيف ونحوهم . قال : (والمسجد والصحراء حرز بالحافظ) لأن الصحراء ليس بحرز ، والمسجد ما بني للحفظ والإحراز ، فلو سرق منه وصاحبه عنده يحفظه قطع." [١]

"لأنه يستحيل إلى نتن وفساد والاحتراز عنه ممكن في الماء وغير ممكن في الطعام والثياب فصار معفوا فيهما ا هـ

وهو يفيد أن المراد بقول أبي جعفر ينجس الإناء أي إناء الماء لا مطلق الإناء وفي فتاوى قاضيخان بول الهرة والفأرة وخرؤهما نجس في أظهر الروايات يفسد الماء والثوب وبول الخفافيش وخرؤها لا يفسد لتعذر الاحتراز عنه ا هـ

وبهذا كله ظهر أن مراد صاحب التنجيس بنقل الاتفاق بقوله بال السنور في البئر نزح كله لأن بوله نجس باتفاق الروايات وكذا لو أصاب الثوب أفسده اتفاق الروايات الظاهرة لا مطلقا لوجود الخلاف كما علمت

وفي الظهيرية وبول الخفافيش ليس بنجس للضرورة وكذلك بول الفأرة لأنه لا يمكن التحرز عنه ا هـ
وهو صريح في نفي النجاسة ثم قال آخرا وبول الهرة نجس إلا على قول شاذ
وفيها أيضا ومرارة كل شيء كبوله وجرة البعير حكمها حكم سرقينة لأنه توارى في جوفه
والجرة بالكسر ما يخرجه البعير من جوفه إلى فمه فيأكله ثانيا
والسرقين الزبل

وأشار بالبول إلى أن كل ما يخرج من بدن الإنسان مما يوجب خروجه الوضوء أو الغسل فهو مغلظ كالغائط والبول والمني والمذي والودي والقيح والصديد والقيء إذا ملأ الفم أما ما دونه فطاهر على الصحيح
وقيد بالخمر لأن بقية الأشربة المحرمة كالطلاء والسكر ونقيع الزبيب فيها ثلاث روايات في رواية مغلظة وفي أخرى مخففة وفي أخرى طاهرة ذكرها في البدائع
بخلاف الخمر فإنه مغلظ باتفاق الروايات لأن حرمتها قطعية وحرمة غير الخمر ليست قطعية
وينبغي ترجيح التغليظ للأصل المتقدم كما لا يخفى فلا فرق بين الخمر وغيرها وكون الحرمة فيه ليست قطعية لا يوجب التخفيف لأن دليل التغليظ لا يشترط أن يكون قطعيا

---

(١) الاختيار لتعليل المختار، ٤/١١١

وأما قول صاحب الهداية بعد ذكر النجاسات الغليظة لأنها ثبتت بدليل مقطوع به فقال في فتح القدير معناه مقطوع بوجوب العمل به فالعمل بالظني واجب قطعا في الفروع وإن كان نفس وجوب مقتضاه ظنيا والأولى أن يريد دليل الإجماع ا هـ

وفي العناية المراد بالدليل القطعي أن يكون سالما من الأسباب الموجبة للتخفيف من تعارض النصين وتجاذب الاجتهاد والضرورات المخففة ا هـ

وأشار بخرء الدجاج إلى خرء كل طير لا يذرق في الهواء كالدجاج والبط لوجود معنى النجاسة فيه وهو كونه مستقذرا لتغييره إلى نتن وفساد رائحة فأشبه العذرة

وفي الاوز عن أبي حنيفة روايتان روى أبو يوسف عنه أنه ليس بنجس وروى الحسن عنه أنه نجس كذا في البدائع

وفي البزازية وخرء البط إذا كان يعيش بين الناس ولا يطير فكالدجاج وإن كان يطير ولا يعيش بين الناس فكالحمامة وقيد به لأن خرء الطيور التي تذرق في الهواء نوعان فما يؤكل لحمه كالحمام والعصفور فقد تقدم في بحث الآبار أنه طاهر وما لا يؤكل لحمه كالصقر والبازي والحدأة فسيذكر أنه مخفف وفيه خلاف نبينه إن شاء الله تعالى

وصرح ببول ما لا يؤكل لحمه مع كونه داخلا في عموم البول لئلا يتوهم أن المراد بالبول بول الآدمي ولا خلاف في نجاسته وإنما الخلاف في بول ما يؤكل لحمه كما سيأتي

وأشار بالروث والخثي إلى نجاسة خرء كل حيوان غير الطيور فالروث للحمار والفرس والخثي للبقر والبعر للإبل والغائط للآدمي ولا خلاف في تغليظ غائط الآدمي ونجو الكلب ورجيع السباع واختلفوا فيما عداه فعنده غليظة لقوله عليه السلام في الروثة إنها ركس أي نجس ولم يعارض وعندهما خفيفة فإن مالكا يرى طهارتها ولعموم البلوى لامتلاء الطرق بخلاف بول الحمار وغيره مما لا يؤكل لحمه لأن الأرض تنشفه حتى رجع محمد آخر (((آخرا))) إلى أنه لا يمنع الروث وإن فحش لما دخل الري مع الخليفة ورأى بلوى الناس من امتلاء الطرق **والخانات** بها

وقاس المشايخ على قوله هذا طين بخارى لأن مشي الناس والدواب فيها واحد وعند ذلك يروي رجوعه في الخف حتى إذا أصابته عذرة يطهر بالدلك

." (١)

"سيدته فلوجود الإذن بالدخول عادة فانعدم الحرز

أطلق في الزوجين فشمل الزوجية وقت السرقة فقط بأن سرق منها ثم أبانها وانقضت عدتها ثم ترافعا فلا قطع والزوجية بعدها كما إذا سرق من أجنبية ثم تزوجها ثم ترافعا فلا قطع ولو بعد القضاء وكذا عكسه لوجود الشبهة قبل الإمضاء

وشمل الزوجية من وجه كما إذا سرق من مبتوته في العدة أو سرقت هي منه لوجود الخلطة بخلاف ما إذا سرق منها بعد الانقضاء فإنه يقطع

والحاصل أن في باب السرقة يكتفي بوجود الزوجية في حالة من الأحوال قبل القطع لسقوطه وفي باب الرجوع في الهبة لا بد من قيام الزوجية وقت الهبة فلو حدثت بعدها فالرجوع ثابت وفي الوصية الاعتبار لها حالة الموت لا غير

وشمل ما إذا سرق أحدهما من حرز لا يسكنان فيه لوجود البسوطة بينهما في الأموال عادة والعبد في هذا ملحق بمولاه حتى لا يقطع في سرقة لا يقطع فيها المولى كالسرقة من أقارب المولى وغيرهم لأنه مأذون له بالدخول عادة في بيت مولاها (((مولاه))) لإقامة المصالح

وأطلقه فشمل القن والمكاتب لأنه ما بقي عليه درهم والمأذون له في التجارة وأما إذا سرق من مكاتبه فإن له حقا في إكسابه ولذا لا يجوز له أن يتزوج أمة مكاتبه

وأما إذا سرق من ختنه ومن صهره فالمذكور هنا قول الإمام وعندهما يقطع لأنه لا شبهة في ملك الختن لأنها تكون بالقرابة ولا قرابة

وله أن العادة قد جرت بالبسوطة في دخول بعضهم منازل بعض بلا استئذان فتمكنت الشبهة في الحرز والمحرمية بالمصاهرة كالمحرمية بالرضاع وعلى هذا الخلاف إذا سرق من كل من يحرم عليه بالمصاهرة ومحل الاختلاف ما إذا لم يجمعهما منزل واحد أما إذا جمعهما منزل واحد فلا قطع اتفافا (((اتفاقا))) كذا في شرح الطحاوي

وسيأتي في باب الوصية للأقارب وغيرهم أن الأصهار كل ذي رحم محرم من امرأته والأختان زوج كل ذي رحم محرم منه

---

(١) البحر الرائق، ١/٢٤٢

وأما إذا سرق من المغنم فإن له فيه نصيبا كما أفتى به علي رضي الله عنه مع أن المصنف قد قدم أنه لا قطع في المال المشترك فالظاهر من إعادته أنه لا قطع وإن لم يكن له حق في الغنيمة

وبحث في غاية البيان بأنه ينبغي أن يكون المراد من السارق من الغنيمة من له نصيب في الغنيمة في الأربعة الأخماس أو في الخمس كالغانمين أو اليتامى والمساكين أما غيرهم فلا نصيب له في الغنيمة فينبغي أن يقطع بخلاف السارق من بيت المال فإنه معد لمصالح عامة المسلمين وهو منهم إلا أن يقال إن مال الغنيمة مال مباح في الأصل فلا قطع بسرقته حيث كان على صورته ولم يتغير وسواء كان السارق حرا أو عبدا

وأما إذا سرق من الحمام أو بيت أذن للناس في الدخول فيه فلاختلال الحرز بالإذن في الدخول

أطلقه فشمل ما إذا سرق من الحمام وصاحبه عنده أو المسروق تحته بخلاف ما إذا سرق من المسجد وصاحبه عنده فإنه يقطع

والفرق على الظاهر أن الحمام بني للإحراز فكان حرزا فلا يعتبر الحافظ كالبيت بخلاف المسجد لأنه ما بني لإحراز الأموال فلم يكن محرزا بالمكان فيعتبر الحافظ كالطريق والصحراء

وشمل ما إذا سرق من الحمام في وقت لم يؤذن للناس في الدخول فيها كالليل والمنقول في التبيين أنه يقطع بخلاف المسجد لا يقطع مطلقا

وأطلق في المأذون للناس في دخوله فشمل حوانيت التجار **والخانات** إلا إذا سرق منه ليلا لأنها بنيت لإحراز الأموال وإنما الإذن يختص بالنهار كذا في الهداية

وفي قوله للناس إشارة إلى أنه لو أذن لجماعة مخصوصين بالدخول فدخل واحد غيرهم وسرق فإنه يقطع ولم أره صريحا وقد قدم المصنف أنه لا بد من الإحراز بمكان أو حافظ

قال الطحاوي في كتابه حرز كل شيء معتبر بحرز مثله حتى إنه إذا سرق دابة من اصطبل يقطع ولو سرق لؤلؤة من اصطبل لا يقطع

وذكر الكرخي في كتابه أن ما كان حرز النوع فهو حرز للأنواع كلها

قال شمس الأئمة السرخسي وهذا هو المذهب عندنا

والقفاف لا يقطع وهو الذي يعطي الدراهم

." (1)

"كتاب الوقف

هذا الكتاب يشتمل على ستة وعشرين فصلا:

١ * في الألفاظ التي تجري في الوقف، وما يتم به الوقف وما لا يتم.

٢ * فيما يتعلق بجواز الوقف، وصحته، وشرائط صحته.

-----

٣ * في بيان ما يجوز من الأوقاف وما لا يجوز وهو أنواع: منها في تعليق بالشروط، ومنها في أوقاف المنقول، ومنها فيما يدخل في الوقف من غير ذكر؛ ومنها في الأوقاف المضافة؛ ومنها وقف المحجور.

٤ * فيما يتعلق بالشروط في الوقف وهو أنواع.

٥ * في الإقرار بالوقف.

٦ * في الولاية في الوقف.

٧ * في تصرف القيم في الأوقاف وهو نوعان: أحدهما فيما يرجع إلى عمارة الوقف، والآخر فيما يرجع إلى العقود.

٨ * في الوقف على نفسه وما يتصل به.

٩ * في الوقف على ولده وولد ولده وبنته ونسله، وما يتصل بذلك.

١٠ * في الوقف على فقراء قرابته.

١١ * في الرجل يقف أرضه على قرابته فيجيء رجل فيدعي أنه من قرابته، وفيه الوقف على أقرب الناس منه أو إليه.

١٢ * في الوقف على أهل البيت والآل، والجنس والعصب والجيران، وأشباه ذلك.

١٣ * في الرجل يقف على الفقراء فيحتاج أحد من ولده أو يحتاج هو بنفسه.

١٤ * في الوقف على الموالي والمدبرات وأمهات الأولاد والمماليك.

١٥ * في وقف المريض.

١٦ * في الرجل يقف أرضه على وجوه سماها كيف يقسم الغلة.

١٧ * في الرجل يقف على قوم فلا يقبلون أو يقبل بعضهم دون بعض، أو يكون بعضهم حيا وبعضهم ميتا.

---

(1) البحر الرائق، ٥/٦٣

١٨ * في الرجل يقف على جماعة ثم يستثني بعضهم بصفة خاصة، وفي الرجل يقف على جماعة موصوفين بصفة فتزول تلك الصفة عن كلهم أو عن بعضهم.

١٩ * في المسائل التي تتعلق بالصك وما فيه.

٢٠ * في المسائل المتعلقة بالدعاوي والخصومات والشهادات في باب الوقف وهو أنواع منها، في المسائل العائدة إلى الشهادة في الوقف.

٢١ * في المساجد، وهو أنواع.

٢٢ * في المسائل العائدة إلى الرباطات والمقابر **والخانات** والحياض والطرق والسقايات.

٢٣ * في المسائل العائدة إلى الأشجار التي في المقابر وفي أرض الوقف وغير ذلك.

٢٤ * في المسائل الأوقاف التي يستغنى عنها وما يتصل به من صرف غلة الأوقاف إلى وجوه أخر.

٢٥ * في وقف الكفار.

٢٦ * في المتفرقات.." [1]

"-----

في «فتاوي النسفي»: استأجر أرضا موقوفة على مصالح مسجد من متوليه سنة بكذا، ثم دفعها إلى آخر مزارعة بالنصف ففعل، ثم إن أهل المحلة زعموا أن الآجر لم يكن متوليا قال: يثبت المستأجر بالبينة كون الآجر متوليا، فإن لم يجد فالغلة تكون للمستأجر وعليه أجر المثل للمسجد. وفيه أيضا: متولي المسجد استصنع محراب المسجد إلى البحار في حسب معلوم وعمل وصناعة معلومة، قال: لا يصح؛ لأنه لا تعارف في هذا الاستصناع، وكذا في الأبواب والسلاليم والسور، والوجه فيه: أن يوصف له فيعمل ما إذا.... منه بما أنفقوا عليه فيصح.

وفيه أيضا: عن أهل محلة باعوا وقف المسجد لأجل عمارة المسجد قال: لا يجوز بأمر القاضي وغيره قيل: إن كان أهل المسجد اشتروا عقارا بغلات المسجد للمسجد هل لهم بيعه لعمارة المسجد؟ قال: فيه اختلاف المشايخ؛ لأنه لا ولاية لأهل المحلة في شراء العقار للمسجد فلم يصح شراؤهم أصلا فلا يص‍ح بيعهم بخلاف مسألة المتولي.

الفصل الثاني والعشرون: في المسائل التي تعود إلى الرباطات والمقابر **والخانات** والحياض والطرق

---

(١) المحيط البرهاني للإمام برهان الدين ابن مازة، ٥/٦٨٤

والسقايات

قال محمد رحمه الله: إذا جعل أرضه مقبرة للمسلمين جاز وليس له أن يرجع فيها بعد تمامها أن يقبر فيها إنسان واحد بإذنه أو أكثر من ذلك، وهل يتم بالتسليم إلى المتولي؟ فلا رواية عن أصحابنا رحمهم الله، وقد اختلف المشايخ فيه، وكذلك إذا جعلها خانا للمار من المسلمين وخلي بينهم وبينها، فإذا نزلها بإذنه رجل واحد أو أكثر فلا سبيل له بعد ذلك عليها، وإن مات لم يكن شيء من ذلك ميراثا، وإذا سلمها إلى المتولي يتم القبض، ذكره محمد رحمه الله في «الأصل» فعلى قول من قال في مسألة المقبرة أن القبض لا يتم بالتسليم إلى المتولي يحتاج إلى الفرق بين المقبرة والخان.." (١)

"قول أبي يوسف وفي فتاوى نجم الدين النسفي صبي ارتضع ثم قاء فأصاب ثياب الأم إن كان ملء الفم فنجس فإذا زاد على قدر الدرهم منع وروى الحسن عن أبي حنيفة رحمه الله أنه لا يمنع ما لم يفحش لأنه لم يتغير من كل وجه كذا في غريب الرواية لأبي جعفر عن أبي حنيفة وهو الصحيح وما قدمناه في النواقض عن المجتبى وغيره يقتضي طهارة هذا القيسء فارجع إليه وقوله لأنها ثبتت بدليل مقطوع به معناه مقطوع بوجوب العمل به فالعمل بالظني واجب قطعا في الفروع وإن كان نفس وجوب مقتضاه ظنيا والأولى أنه يريد دليل الإجماع وثمرة الخلاف تظهر في الروث وهو للحمار والفرس والخثى وهو للبقر والبعر وهو للإبل والغنم فعنده غليظة لقوله عليه الصلاة والسلام في الروثة إنها ركس ولم يعارض وعندهما خفيفة فإن مالكا يرى طهارتها ولعموم البلوى لامتلاء الطرق بخلاف بول الحمار وغيره مما لا يؤكل لأن الأرض تنشفه حتى رجع محمد آخرا إلى أنه لا يمنع الروث وإن فحش لما دخل الري مع الخليفة ورأى بلوى الناس من امتلاء الطرق **والخانات** بها وقاس المشايخ على قوله هذا طين بخاري لأن مشي الناس والدواب فيها وعند ذلك يروي رجوعه في الخف حتى إذا أصابته عذرة يطهر بالدلك وفي الروث لا يحتاج إلى الدلك عنده وله أن الموجب للعمل النص لا الخلاف والبلوى في النعال وقد ظهر اثرها حتى طهرت بالدلك فإثبات أمر زائد على ذلك يكون بغير موجب وما قيل أن البلوى لا تعتبر في موضع النص عنده كبول الإنسان ممنوع بل تعتبر إذا تحققت بالنص النافي للحرج وهو ليس معارضة للنص بالرأي والبلوى في بول الإنسان في الإنتضاح كرءوس الإبر لا فيما سواه لأنها إنما تتحقق بأغلبية عسر الإنفكاك وذلك أن تحقق في بول الإنسان فكما قلنا وقد رتبنا مقتضاه إذ قد أسقطنا اعتباره ثم حديث رمي الروثة هو ما في البخاري من حديث ابن مسعود أتى النبي صلى الله عليه وسلم الغائط فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار فوجدت حجرين

(١) المحيط البرهاني للإمام برهان الدين ابن مازة، ٦/١١٤

والتمست الثالث فلم أجد فأخذت روثة فأتيته بها فأخذ الحجرين وألقى الروثة وقال هذا ركس وأما المراد بالنصين في قوله أو لتعارض النصين فحديث استنزهوا البول وحديث

". (١)

"رأسه او تحت جنبه وجه الصحيح ما ذكرناه ولهذا لا يضمن المودع والمستعير اذا حفظ الوديعة والعارية كذلك فسرقت ولو لم يكن ذلك حفظا لضمنا بخلاف ما اختاره في الفتاوي فإنه أوجب فيها الضمان على المودع والمستعير اذا نام مضطجعا ثم ما كان حرز لنوع يكون حرزا لجميع الانواع هو الصحيح كما ذكره الكرخي حتى لو سرق لؤلؤة من اصطبل او حظيرة غنم يقطع بخلاف ما اذا سرق الغنم من المرعى فقط اطلق محمد عدم القطع فيه وفي الفرس والبقر وهو مقيد بما اذا لم يكن معها من يحفظها فإن كان قطع اذا لم يكن راعيا فإن كان الذي يحفظها الراعي ففي البقالى لا يقطع وهكذا في المنتقى عن ابي حنيفه واطلق خواهر زاده ثبوت القطع اذا كان معها حافظ ويمكن التوفيق بأن الراعي لم يقصد لحفظها من السراق بخلاف غيره ونقل الاسبيجابي عن بعض اصحابنا ان كل شيء يعتبر بحرز مثله فلا يقطع باللؤلؤة من الاماكن المذكورة والثياب النفيسه منها وهذا قول الشافعي قوله ومن سرق شيئا من حرز او من غير حرز كالصحراء وصاحبه عنده يحفظه قطع لانه سرق مالا محرزا بأحد الحرزين وهذا بعمومه يتناول ما إذا سرق من حمام وصاحبه عنده يحفظه وتقدم ان الصحيح انه لا يقطع به اذا كان وقت الاذن الا ان قوله وصاحبه عنده يختص بما يليه وهو قوله من غير حرز فلا يرد الحمام فإنه حرز على ان قوله بعد ذلك ولا قطع على من سرق من حمام او من بيت اذن للناس في دخوله تقييد له فإنه بعمومه يقتضي ان لا يقطع وان كان صاحبه عنده يحفظه والوجه ظاهر من الكتاب وهذا تفريع على ما قدمه من الاصل المذكور قوله ويدخل في ذلك أي يدخل في بيت اذن في دخوله **الخانات** والحوانيت فيثبت فيها حكم عدم القطع نهارا فإن التاجر يفتح حانوته نهارا في السوق يأذن للناس في الدخول ليشتروا منه فإذا سرق واحد منه شيئا لا يقطع وكذا الحانات الا اذا سرق منها ليلا لانها بنيت لاحراز الاموال وانما اختل الحرز بالنهار للاذن وهو منتف بالليل ومن سرق من المسجد متاعا وصاحبه عنده قطع لانه محرز بالحافظ لان المسجد

---

(١) شرح فتح القدير، ٢٠٤/١

". [1]

"[2]وكذا **الفندق** والفستق إن كانت رطبة فهي بمنزلة الجوز وإن كانت يابسة إن مضغها كان عليه الكفارة إذا كان فيها اللب لما قلنا في الجور وإن ابتلعها إن لم تكن مشقوقة الرأس فسد صومه فلا كفارة فيه عند الكل وإن كانت مشقوقة فكذلك عند عامة العلماء وقال بعضهم إن كانت مملوحة فيها الكفارة وإن لم تكن مملوحة لا كفارة فيها وإن ابتلع تفاحة روى هشام عن محمد رحمه الله تعالى أن عليه الكفارة لأن جميعها مأكول بخلاف قشر الجوز وفي قشر الرمانة وشحمها وابتلاع الرمانة والبيض القضاء دون الكفارة لأنها لا تؤكل كذلك وإن ابتلع بطيخة صغيرة أو حدجة صغيرة أو هليلجة روى هشام عن محمد رحمه الله تعالى أن عليه الكفارة وإن أكل شحما غير مطبوخ اختلفوا في وجوب الكفارة والصحيح هو الوجوب لو أكل دما في ظاهر الرواية عليه القضاء دون الكفارة لأنه مما يستقذره الطبع وفي بعض الروايات عليه القضاء والكفارة لأن بعض الناس يشربون الدم وإن أكل لحما غير مطبوخ عليه القضاء والكفارة إذا بقيت لقمة السحور في فيه فطلع الفجر ثم ابتلعها أو أخذ كسرة من الخبز يأكلها وهو ناس فلما مضغها ذكر أن صائم فابتلعها مع ذكر الصوم اختلف المشايخ فيه على أربعة أقاويل قال بعضهم لا كفارة عليه وقال بعضهم عليه الكفارة وقال بعضهم إن ابتلعها لا كفارة عليه وإن أخرجها من فيه ثم عاده وابتلعها عليه الكفارة وقال بعضهم إن ابتلعها قبل أن يخرجها عليه الكفارة وإن أخرجها ثم أعادها لا كفارة عليه هو الصحيح إذا تسحر على يقين أن الفجر لم يطلع أو أفطر على يقين أن الشمس قد غربت فإذا الفجر طالع والشمس لم تغرب عليه القضاء فيهما لوجود المناقض ولا كفارة فيهما لمكان العذر وإن تسحر وهو شاك في طلوع الفجر فالمستحب له أن يدع الأكل فإن أكل وهو شاك فصومه تام وإن شك في غروب الشمس عليه أن يدع الأكل فإن أكل وهو شاك يلزمه القضاء واختلفوا في وجوب الكفارة وإن تسحر وأكبر رأيه أن الفجر طالع قال مشايخنا رحمهم الله تعالى عليه أن يقضي ذلك اليوم وإن أفطر وأكبر رأيه أن الشمس لم تغرب عليه القضاء والكفارة لأن النهار كان

[3]ثابتا وقد انضم إليه أكبر رأيه فصار بمنزلة القين إذا شهد اثنان أن الشمس قد غابت وشهد آخران أن لم تغب فأفطر ثم ظهر أنها لم تغب عليه القضاء دون الكفارة بالاتفاق وإذا شهد اثنان على طلوع الفجر وشهد

---

(١) شرح فتح القدير، ٣٨٦/٥

(٢) ٢١٤

(٣) ٢١٥

آخران أنه لم يطلع فأفطر ثم ظهر أنه كان قد طلع عليه القضاء والكفارة بالاتفاق وتقبل الشهادة على الإثبات ولا يعارضها الشهادة على النفي كما في حقوق العباد وإن شهد واحد على طلوع الفجر وشهد آخر أنه لم يطلع فأكل ثم ظهر أنه كان قد طلع لا تجب الكفارة لأن شهادة الواحد على الطلوع ليست بالحجة التامة بل هي شطر الحجة ولو دخل على رجل جماعة وهو يتسحر فقالوا الفجر طالع فقال الرجل إذا لم أصر صائما وص,رت مفطرا فأكل بعد ذلك ثم ظهر أن أكله الأول كان قبل طلوع الفجر وأكله الثاني كان بعد طلوع الفجر قال الحاكم أبو محمد رحمه الله تعالى إن كانوا جماعة صدقهم لا كفارة عليه وإن كان واحد عليه الكفارة عدلا كان أو غير عدل لأن شهادة الواحد لا تقبل بمثل هذا إذا قال الرجل لامرأته انظري أن الفجر طالع أو غير طالع فنظرت فرجعت وقالت لم يطلع فجامعها زوجها ثم ظهر أن الفجر كان طالعا اختلف المشايخ فيه قال بعضهم إن صدقها وهي ثقة لا كفارة عليه وقال بعضهم لا كفارة عليه مطلقا وهو الصحيح لأنه على يقين من الليل شاك في النهار وعلى المرأة الكفارة إن أفطر مع العلم بالطلوع إذا أفطر في رمضان في يوم ولم يكفر حتى أفطر في يوم آخر كان عليه كفارة واحدة وإن أفطر في رمضان عليه لكل فطر كفارة وقال محمد رحمه الله تعالى يكفيه كفارة واحدة (الفصل السابع فيما يسقط الكفارة وما لا يسقط) المسافر إذا قدم مصر وهو صائم في رمضان فأفتي أن صومه لا يجزيه فأفطر بعد ذلك متعمدا لا كفارة عليه وإن لم يفت بذلك فكذلك في قول أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله تعالى لأن قول بعض العلماء أن صوم المسافر لا يجوز أورث شبهة فيه وكذا لو أصبح المقيم صائما ثم سافر فأفطر بعد ذلك لا كفارة عليه وكذا المرأة إذا أفطرت ثم حاضت والصحيح إذا أفطر ثم مرض مرضا لا يستطيع معه الصوم تسقط الكفارة عندنا خلافا." (١)

"والجواب نظر لأن الوقف على السكة يكون :لإصلاح طرقها وما أشبه ذلك . ولو وقف لبناء القناطر أو لإصلاح الطرق أو حفر القبور أو اتخاذ السقايات أو **الخانات** للمسلمين أو لشراء الأكفان لهم ذكر الناطفي رحمه الله تعالى أنه لا يجوز فكان في المسألة نظر . رجل تزوج امرأة ثم شهد مع رجل آخر أن المرأة أقرت أنها أمة لفلان لرجل يدعيها لا تقبل شهادة الزوج إلا أن يكون الزوج أعطاها مهرها والمدعي يقول كنت أذنت لها في النكاح وقبض المهر . رجل شهد على قضاء أبيه لرجل قال أبو يوسف رحمه الله تعالى لا تجوز شهادة الرجل على قضاء أبيه وتجوز شهادته على شهادة أبيه وقال الحسن بن زياد رحمه الله تعالى إذا شهد ابنا القاضي لرجل أن أباهما قضى لهذا على هذا لم يقبل شهادتهما أبو حنيفة رحمه

---

(١) قاضي إمام فخر الدين خان، ١/١٠٥

الله تعالى على قضاء أبيهما قال وفيها قول آخر أنه يجوز قال وبه نأخذ . رجلان شهدا على رجل أنه قال إن كلمت أباكما فعبدي حر وإنه قد كلم أباهما قال إن كان الأب غائبا أو حاضرا مقرا بما يشهدان فشهادتهما باطلة وإن كان الأب منكرا للكلام جازت شهادتهما وكذا لو كان اليمين على الصرب . رجل ادعى على رجل حقا فشهد للمدعي ابنا القاضي قال محمد رحمه الله تعالى القاضي يقبل شهادة الإبنين . ولو شهدا أن أباهما قضى للمدعي على هذا المدعى عليه لا تقبل شهادتهما . رجلان شها على رجل أنه باع داره من هذا المدعي بألف جرهم على أنهما كفيلان بالثمن قالمحمد رحمه الله تعالى إن كان ضمانهما في أصل البيع لم تقبل شهاتهما لأن البيع يتم بضمانهما فكأنهما باعا وإن لم يكن الضمان في أصل البيع جازت شهادتهما . رجل قال إن شربت خمرا فعبدي حر فشهد رجل وامرأتان أنه شرب الخمر قال أبو يوسف رحمه الله تعالى يقضي بعتق العبد ولا يحد . ولو قال إن سرقت من فلان فعبدي حر فشهد عليه رجل وامرأتان أنه سرق منه عشرة دراهم قال في المنتقى هذا والأول سولء لا تقبل شهادة المرأتين ولا يقضي بشيء وذكر في النوازل أن محمد رحمه الله تعالى قال أضمنه العشرة ولا أقطع يده ولا أعتق العبد . والصحيح خلاف محمد رحمه الله تعالى في مسألة السرقة وشرب الخمر والفتوى فيهما على قول أبي يوسف رحمه الله تعالى . رجل حلف [1] وقال إن استقرضت من فلان دراهم فعبدي حر ثم ادعى فلان عليه القرض فشهد على ذلك أب العبد مع رجل آخر ذكر في النوازل أنه يقضي بالمال للمدعي ولا يقضي بالعتق لأن القضاء بعتق العبد قضاء بعتقه بشهادة أبيه نظيره مسلم حلف وقال إن دخل عبدي هذه الدار فهو حر وقال نصراني إن دخل هذا العبد هذه الدار فامرأته طالق فشهد نصرانيان بالدخول إن كان العبد مسلما بطلت شهادتهما لأنهما شهادة على المسلم بالولاء وإن كان العبد نصرانيا فشهادتهما على النسصراني بالطلاق كائزة وعلى المسلم بالعتق لا تجوز في قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى لأنها في العتق شهادة النصراني على المسلم وهو مولى لعبد . رجل اشترى عبدين وأعتقهما ثم اختلف البائع والمشتري في الثمن فادعى البائع أن الثمن كان ألفا وادعى المشتري أنه كان خمسمائة فشهد المعتقان أن الثمن كان ألفا لا تقبل شهادتهما ولو لم يختلفا في الثمن ولكن المشتري يدعي الإيفاء وأنكر البائع فشهد المعتقان للمشتري أو شهدا أن البائع أبرأه عن الثمنجازت شهادتهما . رجلان شهدا لرجلين بدين على الميت ثم شهد الرجلان بدين للشاهدين على الميت فقال الأولان كنا أبرأناه من ديننا ولا حق لنا قبله جازت شهادة الأولين استحسانا . ولو قالا كنا قبضنا منه الدين في حياته جازت شهادتهما ولا ضمان

---

(١) ٤٦٩

عليهما . رجل وكل ثلاثة نفر في خصومة وقال أيهم خاصم فهو وكيل فيها فشهد اثنان منهم لواحد لم يكن هذا الواحد خصما بشهادتهما وإن وكل كل واحد على حدة بالخصومة والقبض جازت شهادة الإثنين لصاحبهما بالوكالة في الخصومة والقبض . رجل عليه دين لرجل فشهد المديون مع رجل آخر أن الطالب أقر أن الدين لفلان إن شهد المديون بذلك قبل أداء الدين لم تقبل شهادته وإن شهد بعده جازت شهادته . رجل اشترى جارية وكفل له رجلان بما يلحقه فيها ثم شهد الكفيلان أن البائع انتقد الثمن لا تقبل شهادتهما وكذ لو شهدا أن البائع أبرأه عن الثمن . ثلاثة نفر لهم على رجل دين فشهد اثنان منهم على الثالث أنه أبرأه المديون عن حصته لا تقبل شهادتهما لأنهما يدفعان شركة الثالث فيما يقبضان من المديون . وكذا لو قبضا شيأ من المديون ثم شهدا أنه أبرأه عن حصته وقال محمد رحمه الله تعالى إن شهدا بذلك قبل أن يقبضا شيأ من المديون تقبل شهادتهما وإن شهدا بذلك بعد القبض لا تقبل شهادتهما . رجل وامرأتان شهدوا على زوج المرأتين أنه قال لنسائه أنتن طوالق لم تجز الشهادة لا على طلاقهما ولا على طلاق غيرهما . وإذا شهد الأجير لإستاذه وأجير شهر فلم ترد شهادته ولم يعدل حتى مضى الشهر ثم عدل لا تقبل شهادته لأن شهادته لم تكن مقبولة فيم تصر مقبولة كمن شهد لامرأته ثم طلقها قبل." (١)

"معينا للأب في قتل نفسه هذا بمنزلة رجلين أحدهما قتل نفسه والآخر قتل غيره كان قاتل النفس أعظم وزرا وإثما، إذا أراد الأب أن يأمر ولده بشيء ويخاف أنه لو أمره لا يفعل قالوا ينبغي للوالد أن يقول للولد على سبيل المشورة خوب ايدان يسيرا كر فلان كاركني لأنه لو أمره بذلك ربما يصير عاقا فيلحقه عقوبة العقوق ولا بأس للأب أن يغضب على ولده إذا فعل ما يكره لأن الإنسان مجبول على ذلك طبعا، قال عليه الصلاة والسلام إنما أنا بشر مثلكم أرضى بما يرضى به البشر وأغضب بما يغضب به البشر والله أعلم.

كتاب الوقف

الوقف جائز عند علمائنا أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد رحمهم الله تعالى ، وذكر في الأصل كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يجيز الوقف وبظاهر هذا اللفظ أخذ بعض الناس فقال عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لا يجوز الوقف وليس كما ظن بل هو جائز عند الكل إلا أن عند أبي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى إذا صح الوقف يزول عن ملك الواقف لا إلى مالك، وعند أبي يوسف رحمه الله تعالى يزول بمجرد قول الواقف ولا يجوز بيعه ولو مات لا يورث عنه وعند محمد رحمه الله تعالى لا

---

(١) قاضي إمام فخر الدين خان، ٢/٢٨٤

يزول ملك الواقف إلا بالتسليم إلى المتولي أو إلى الموقوف عليه، وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى يجوز الوقف جواز الإعارة تصرف المنفعة إلى جهة الوقف ويبقى العين على ملك الواقف له أن يرجع عنه ويجوز بيعه وإن مات يورث عنه، ولا يلزم إلا [1] بطريقين، أحدهما قضاء القاضي بلزومه لأنه مجتهد فيه يسلم الواقف ما وقفه إلى المتولي ثم يرد أن يرجع عنه فينازعه بعلة عدم اللزوم ويختصمان إلى القاضي فيقضي بلزومه وإن حكما رجلا فحكم بلزوم الوقف بينهما اختلفوا فيه والصحيح أن بحكم الحكم لا يرتفع الخلاف وللقاضي أن يبطله، والوجه الثاني للزوم الوقف عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى أن يخرجه مخرج الوصية فيقول أوصيت بغلة داري هذه أو بغلة أرضي هذه أو يقول جعلت هذه الدار وقفا فتصدقوا بغلتها على المساكين، وكذا لو أوصى بأن يوقف يجوز من الثلث في قولهم، وعندهما الوقف لازم بغير هذه التكلفات، و الناس لم يأخذوا بقول أبي حنيفة رحمه الله تعالى في هذا للآثار المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رحمهم الله تعالى وتعامل الناس باتخاذ الرباطات **والخانات** أولها وقف الخليل صلوات الله وسلامه عليه.

فصل في ألفاظ الوقف." [2]

"بالقبض، رجل أوصى بشيء لعمارة المسجد في أي شيء يصرف ذلك المال قال أبو القاسم رحمه الله تعالى يصرف فيما كان من البناء دون التزيين قيل له أيصرف ذلك المال في المنارة قال ذلك من بناء المسجد، وعن أبي بكر البلخي رحمه الله تعالى أنه سئل عن الوقف على المسجد أيجوز لهم أن يبنوا منارة من غلة المسجد قال إن كان ذلك من مصلحة المسجد بأن كان أسمع لهم فلا بأس به وإن كان بحال يسمع الجيران الأذان بغير منارة فلا أرى لهم أن يفعلوا ذلك، وليس للقيم أن يتخذ من الوقف على عمارة المسجد شرفا أو ينتقش المسجد من ذلك ولو فعل يكون ضامنا، رجل أوصى بثلث ماله لأعمال البر هل يجوز أن يسرج المسجد من ذلك قال الفقيه أبو بكر رحمه الله تعالى يجوز ولا يجوز أن يزاد على سراج المسجد لأن ذلك إسراف سواء كان في رمضان أو في غيره ولا يزين المسجد بهذه الوصية، ولو قال [3] أوصيت بثلث مالي للمسجد قال أبو يوسف رحمه الله تعالى هو باطل حتى يقول ينفق على المسجد وقال محمد رحمه الله تعالى هو جائز وذكر الناطفي رحمه الله تعالى إذا وقف ماله لإصلاح المساجد يجوز

---

(١) ٣\٢٨٦

(٢) قاضي إمام فخر الدين خان، ١٥٩/٣

(٣) ٣\٢٩٢

وإن وقف لبناء القناطر أو لإصلاح الطريق أو لحفر القبور أو اتخاذ السقايات والخانات للمسلين أو لشراء الأكفان لهم لا يجوز وهو جائز في الفتوى، ولو جعل أرضا له صدقة موقوفة على مرمة المسجد كذا وثمن بواريه وزيت قناديله وما يحتاج إليه ذكر الخصاف رحمه الله تعالى أنه باطل لأنه قد تخرب المحلة فيبطل المسجد ولا يحتاج إلى المرمة فإن زاد على ذلك وقال فإن استغنى عنه المسجد كانت الغلة للمساكين جاز لأنه مما يتأبد، ولو كانت الأرض وقفا على عمارة المساجد أو على مرمة المقابر جاز لأن ذلك مما لا ينقطع، أرض هي وقف على عمارة المسجد على أن ما فضل من عمارته فهو للفقراء فاجتمعت الغلة والمسجد غير محتاج إلى العمارة قال الفقيه أبو بكر البلخي رحمه الله تعالى تحبس الغلة لأنه ربما يحدث بالمسجد حدث وتصير الأرض بحال لا تغل، وقال الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى الجواب كما قال وعندي لو علم أنه لو اجتمع من الغلة مقدار ما لو احتاج المسجد والأرض إلى العمارة يمكن العمارة بها ويفضل تصرف الزيادة إلى الفقراء على ما شرط الواقف، مسجد انهدم وقد اجتمع من غلته ما يحصل به البناء قال الخصاف رحمه الله تعالى لا تنفق الغلة في البناء لأن الواقف وقف على مرمتها ولم يأمر بأن يبنى هذا المسجد والفتوى على أنه يجوز البناء بتلك الغلة، ولو كان الوقف على عمارة المسجد هل للقيم أن يشتري سلما ليرتقي على السطح لكنس السطح أو تطيينه أو يعطي من غلة المسجد أجر من يكنس السطح ويطرح الثلج ويخرج التراب المجتمع من المسجد قال أبو نصر رحمه الله تعالى للقيم أن يفعل ما في تركه خراب المسجد، مسجد انكسر حائطه من ماء بجنب المسجد في الشارع وهو ماء الشفة أو انكسرت ضفته هل يصرف من غلة المسجد إلى عمارة النهر و مرمته قال الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى إن كان ما يصرف إلى عمارة النهر ومرمته لا يزيد على عمارة القائم فيه جاز ولأهل المسجد أن يمنعوا أهل النهر من الانتفاع بالنهر ومرمته حتى يعطوهم قيمة العمارة فيصرف ذلك إلى عمارة المسجد وإن شاء أهل المسجد تقدموا إلى أهل النهر بإصلاح النهر فإن لم يصلحوا حتى انهدم حائط المسجد وانكس ضمنوا مرمة ما هدم، ولو أن مسجدا بابه على مهب الريح يصب المطر على باب المسجد فيفسده ويبتل داخل المسجد من ذلك وخارجه و يشق على الناس الدخول في المسجد أيجوز أن يتخذ ظلة من غلة المسجد قال الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى إن كان لا يضر ذلك بأهل الطريق جاز، طريق للعامة هي واسع فبنى فيه أهل المحلة مسجد للعامة ولا يضر ذلك بالطريق قالوا لا بأس به، وهكذا روي عن أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى [1] لأن الطريق للمسلمين والمسجد لهم أيضا، وإن أراد أهل المحلة أن يدخلوا شيئا من

---

(١) ٣\٢٩٣

الطريق في دورهم وذلك لا يضر بالطريق لا يكون لهم ذلك ولأهل المحلة تحويل باب المسجد من موضع إلى موضع آخر، قوم بنوا مسجدا واحتاجوا إلى مكان ليتسع المسجد فأخذوا من الطريق وأدخلوه في المسجد إن كان يضر ذلك بأصحاب الطريق فلا يجوز وإلا فلا بأس به، ولو ضاق المسجد على الناس وبجنبه أرض لرجل يؤخذ أرضه بالقيمة كرها ولو كان بجنب المسجد أرض وقف على المسجد فأرادوا أن يزيدوا شيئا في المسجد من الأرض جاز ذلك بأمر القاضي، ولو أن قيم المسجد أراد أن يبني حوانيت في حريم المسجد وفنائه قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى لا يجوز له أن يجعل شيئا من المسجد مسكنا أو مستغلا، ولو أن سلطانا أذن لقوم أن يجعلوا أرضا من أراضي البلدة حوانيت موقوفة على المسجد أو أمرهم أن يزيدوا في مسجدهم قالوا إن كانت البلدة فتحت عنوة وذلك لا يضر بالمارة والناس ينفذ أمر السلطان فيها وإن كانت البلدة فتحت صلحا لا ينفذ أمر السلطان لأن البلدة إذا فتحت عنوة تصير ملكا للغانمين." (١)

"قوله : وطهرهما محمد آخرا) أي : في آخر أمره حين دخل الري مع الخليفة ورأى بلوى الناس من امتلاء الطرق **والخانات** بها ، وقاس المشايخ على قوله هذا طين بخارى فتح .

(قوله : وبه قال مالك) فيه أنه يقول : ما أكل لحمه فبوله ورجيعه طاهر فقط ؛ فلا يقول بطهارة روث الحمار ط." (٢)

"مطلب في الحارس **والخاناتي** (قوله وكذا لا ضمان على حارس السوق وحافظ الخان) قال في جامع الفصولين ، استؤجر رجل لحفظ خان أو حوانيت فضاع منها شيء : قيل ضمن عند أبي يوسف ومحمد لو ضاع من خارج الحجرة ؛ لأنه أجير مشترك وقيل لا في الصحيح ، وبه يفتى ؛ لأنه أجير خاص ، ألا ترى أنه لو أراد أن يشغل نفسه في صنع آخر لم يكن له ذلك ، ولو ضاع من داخلها بأن نقب اللص فلا يضمن الحارس في الأصح إذ الأموال المحفوظة في البيوت في يد مالكها وحارس السوق على هذا الخلاف ا هـ وكذا في الذخيرة .

قال في الحامدية : ويظهر من هذا أنه إذا كسر قفل الدكان وأخذ المتاع يضمن الحارس ا هـ .

قلت : إنما يظهر هذا على القول بأنه أجير مشترك ، أما على القول بأنه خاص فلا لما سمعت من المفتى له نعم بشكل ما مر آنفا عن التتارخانية والذخيرة في الراعي لو كان خاصا لأكثر من واحد يضمن فليتأمل

---

(١) قاضي إمام فخر الدين خان، ٣/١٦٤

(٢) رد المحتار، ٢/٤٨٤

، اللهم إلا أن يقال إذا كسر القفل يكون بنومه أو غيبته فهو مفرط فيضمن .

وفي الخلاصة : ولو استأجره واحد من أهل السوق فكأنهم استأجروه ولكن هذا إن كان ذلك الواحد رئيسهم ويحل له الأجرة .

وفي المحيط : ولو كرهوا ولم يرضوا فكراهتهم باطلة." [١]

" الثلاثة فيهما لعدم الشبهة في المال والحرز وله أن بين الأختان والأصهار مباسطة في دخول بعضهم منازل البعض بلا استئذان فتمكنت الشبهة في الحرز أو سرق من مغنم لأن له فيه نصيبا ولا يخفى أن الأخذ إن كان من المعسكر فالمغنم داخل في مال الشركة وإلا ففي مال العامة كما في القهستاني أو سرق من حمام نهارا وإن وصلية كان ربه أي صاحبه عنده المراد وقت الإذن بالدخول فيه حتى لو أذن بالدخول ليلا لا يقطع سواء كان له حافظ أم لا لأنه اختل الحرز بالإذن ولذا يقطع إذا سرق منه وفي وقت لم يؤذن فيه بالدخول

وعن الإمام أنه إذا سرق ثوبا من تحت رجل في الحمام يقطع أو سرق من بيت أذن في دخوله ويدخل في ذلك حوانيت التجار **والخانات** إلا إذا سرق منه ليلا فيقطع إلا إذا اعتيد الدخول فيه بعض الليل هذا في المفتوحة وفي المغلقة يقطع مطلقا في الأصح وفيه إشارة إلى أنه لو أذن بجماعة مخصوصين بالدخول فدخل واحد غيرهم وسرق فإنه يقطع كما في البحر

وفي التنوير وكل ما كان حرزا لنوع فهو حرز للأنواع كلها على المذهب أو سرق الضيف من مضيفه أطلقه فشمل ما إذا سرق من البيت الذي أضافه فيه أو من غيره من تلك الدار التي أذن له في دخولها وهو مقفل أو في صندوق مقفل لأن الدار مع جميع بيوتها حرز واحد فبالإذن في الدار اختل الحرز فيكون فعله خيانة لا سرقة وعند الأئمة الثلاثة من موضع أنزل فيه لا يقطع

وفي غيره يقطع وقطع لو سرق من الحمام ليلا هذا ليس على الإطلاق حتى لو أذن بالدخول ليلا لا يقطع كما قررناه آنفا أو من المسجد متاعا وربه أي صاحبه عنده وقد مر تحقيقه في أول الفصل أو أدخل يده في صندوق غيره أو كمه أو جيبه

". [٢]

---

(١) رد المحتار، ٣٤٥/٢٤

(٢) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ٣٨٩/٢

" تصبح مشتهاة في الغالب واختلاف النمو في البعض زيادة ونقصانا بتأثير التربية والإقليم لا عبرة له بل المعتبر السبع سنوات للصبي والتسع للبنت لأنه الشائع الغالب . | (المادة ٤٣) المعروف عرفا كالمشروط شرطا | وفي الكتب الفقهية عبارات أخرى بهذا المعنى الثابت بالعرف كالثابت بدليل شرعي و المعروف عرفا كالمشروط شرعا و الثابت بالعرف كالثابت بالنص و المعروف بالعرف كالمشروط باللفظ وقد سبق لنا أن عرفنا العرف والعادة . فإليك الأمثلة على هذه القاعدة : لو اشتغل شخص لآخر شيئا ولم يتقاولا على الأجرة ينظر للعامل إن كان يشتغل بالأجرة عادة يجبر صاحب العمل على دفع أجرة المثل له عملا بالعرف والعادة وإلا فلا . كذلك إذا اشترى شخص من آخر شيئا بعشر ليرات ولم يعين نوع الليرة يرجع إلى النوع المتعارف في تلك البلدة كان يكون المتعارف الليرة العثمانية مثلا فتعتبر هي التي وقع عليها العقد كما لو ذكرت . كذا لو اشترى شخص بقرة فتبين له بعد شرائها أنها غير حلوب وأراد ردها ينظر إن كان هذا الشخص معروفا أنه ممن يشتري للذبح كأن يكون قصابا لا يجوز له الرد وإن كان ممن يشتري لأجل الانتفاع بحليبها ترد كذلك لو سكن شخص دارا لآخر معدة للأجرة بدون إذنه وبدون تأويل ملك أو تأويل عقد يلزمه دفع أجرة المثل عرفا ويكون كأن الساكن شرطها على نفسه حين سكناه للدار وكذا الذي ينام في الفندق والمغتسل في الحمام يجب عليه دفع الأجرة لأن العرف والعادة توجب دفعها وإن لم تذكر . وكذلك لو دفع الأب لابنته العروس حليا أو بعض جهاز لبيتها وادعى بعد العرس أنه عارية فإن كان المتعارف في مثل هذه الأحوال أن ما يعطيه الأب يكون عارية يحكم برده إليه وإلا فلا ويكون هبة وكذا لو كان ترك راعي القرية المواشي على رأس زقاق القرية معتادا ثم هي تتفرق إلى دور أهلها فلا يضمن وإن كان المعتاد أن يوصل كل ثورة إلى محل صاحبها يضمن ويعد مقصرا لتركه إياها على رأس الزقاق . | (المادة ٤٤) المعروف بين التجار كالمشروط بينهم | إن هذه المادة هي عين المادة السابقة . | (المادة ٤٥) التعيين بالعرف كالتعيين بالنص | يتفرع من هذه المادة فروع منها الإعارة المطلقة المتقيدة بالعرف والعادة . مثال ذلك : لو أعار شخص آخر دابة إعارة مطلقة لا يجوز للمستعير أن يركبها أو يحملها غير المعتاد المتعارف فلو حملها حديدا أو سلك بها طريقا وعرا وكان تحميل الحديد وسلوك تلك الطريق غير معتاد يضمن . كذلك الوكيل ببيع شيء وكالة مطلقة تعتبر عادة بأن لا يكون تصرفه مضرا بالموكل فلو وكل شخص آخر ببيع شيء وكالة مطلقة فله أن يبيع ذلك المال بثمن معجل أو مؤجل إلى أجل متعارف التأجيل بين التجار ولا يجوز له أن يبيعه لأجل أبعد من المعتاد كذا لو وكله في بيع شيء كما جاء في مادة (١٤٩٩) لا يحق له أن يبيع بعضه إن كان في تبعيضه ضرر عادة .

" (١).

" بعت ذلك بجميع حقوقه (مجمع الأنهر) . والمسائل التي تتفرع على هذه المادة هي : أولا : يجب على البائع أن يقلع الزرع والشجر ويقطف الثمر ويسلم المبيع إلى المشتري ؛ لأن ملك المشتري مشغول بملك البائع فعلى البائع أن يخلي المبيع من ماله كما أنه تجب على البائع أيضا أن يخلي الدار من أمتعته ويسلمها إلى المشتري (انظر المادتين ٢٦٧ و ٢٦٨) . ثانيا : إذا اشترى شخص أرضا بجميع حقوقها فهدم حائطها وظهر في الحائط رصاص أو صاج أو خشب فإذا كان ذلك من البناء دخل في البيع وإلا بأن كان كأحجار الرخام المحفوظة فهي للبائع فإن قال : إنها ليست لي كانت لقطة . ثالثا : إذا بيعت دار أو دكان فالقفل الذي ليس ثابتا بل كان معلقا على باب الدكان أو الدار لا يدخل في البيع ولو كان وقت البيع معلقا أو كانت الدار أو الدكان تقفل به أو بغيره من الأقفال الأخرى ؛ لأن القفل الذي لا يكون ثابتا في الباب لا يكون متصلا بالمبيع (زيلعي . رد المحتار) . رابعا : في بيع الدار لا تدخل الطريق وحق الشرب وحق المسيل والدلو وحبله من غير ذكر يعني إذا لم ينص في البيع على دخولها أو لم يعمم حسب المادة ٢٣٥ لا يدخل في البيع (بزازية) . خامسا : إذا باع شخص عدة غرف معينة من الفندق الذي يملكه فإن لم يصرح بطريق تلك الغرف أو لم يأت بالألفاظ العامة المذكورة في المادة ٢٣٥ فلا يدخل في البيع هذه الطريق (بزازية) وعلى هذا إذا اشترى إنسان تلك الغرف على ظن أن لها طريقا آخر غير الطريق العام فهو مخير بخيار العيب وليس له أن يمر من طريق البائع أما إذا كان البائع ذكر في عقد البيع الألفاظ العامة المذكورة في المادة ٢٣٥ كأن قال : بعت هذه الغرف بجميع حقوقها أو جميع مرافقها دخلت طريق هذه الغرف في البيع (بزازية . خلاصة هندية) أما إذا باع إنسان بستانه الذي في حقله مع طريقه ولم يعين الطريق ولم يكن للبستان طريق معينة فإذا كانت جوانب ذلك الحقل غير متفاوتة فللمشتري أن يتخذ من أي جوانبه شاء طريقا إلى بستانه وإذا كانت جوانب الحقل متفاوتة فالبيع فاسد (بزازية) . سادسا : في بيع الدار لا يدخل البستان الذي يكون خارج الدار إلا إذا كان أصغر منها فيدخل تبعا ولو مثلها أو أكبر فلا إلا بالشرط (زيلعي ، عيني ، رد المحتار) . ويفهم من قيد (إذا لم يذكر في البيع) إلخ . أن الأشياء التي لا تدخل في البيع من غير ذكر تدخل إذا ذكرت وشرط دخولها فيه فإذا قال البائع : بعت هذه الأرض مع ما عليها من الثمر أو بعت هذه الأرض مع الزرع أو بعت هذه الشجرة مع ما عليها

(١) درر الحكام شرح مجلة الأحكام، ٤٦/١

من الثمر أو بعت هذه الشجرة مع ثمرها أو بعت هذا الحصان مع سرجه دخل الزرع والثمر والسرج في المبيع فإذا قال إنسان لآخر : بعت هذه الأرض منك على أن يكون ما عليها من الزرع لك ، أو بعت هذه الشجر منك على أن يكون عليها من الثمر لك فالبيع صحيح والزرع والثمر يدخلان في البيع . والأمثلة التي تقدمت هي للفقرة الأولى من هذه المادة إلا أنه يدخل بيع اللجام في بيع حصان الركوب ورسن حصان الحمل في البلد التي في عاداتها وعرفها أن يدخل ذلك تبعا ؛ لأن الحصان لا ينقاد بلا رسن (زيلعي . هندية) وفي بيع الحصان لا يدخل السرج من غير ذكر ؛ لأن الحصان ينقاد بلا سرج بخلاف الحمار فإنه لا ينقاد بغير رسن (انظر المواد ٦٣ و ٣٧ و ٤٢ و ٤٥) (المادة ٢٣٤) : ما دخل في البيع تبعا لا حصة له من الثمن ، مثلا : لو سرق خطام البعير المبتاع قبل القبض لا يلزم في مقابلته تنزيل شيء من الثمن المسمى . (تبعا) يعني الذي لا يدخل قصدا أو الذي يدخل في البيع من غير ذكر فإذا تلف أو ضاع

". (١)

" (وأما) القسم الثاني وهي النجاسة (الخفيفة فكبول الفرس) على المفتى به لأنه مأكول وإن كره لحمه وعند محمد طاهر (وكذا بول) كل (ما يؤكل لحمه) من النعم الأهلية والوحشية كالغنم والغزال قيد ببولها لأن روث الخيل والبغال والحمير وخثي البقر وبعر الغنم نجاسته مغلظة عند الإمام لعدم تعارض نصين وعندهما خفيفة لاختلاف العلماء وهو الأظهر لعموم البلوى وطهرها محمد آخرا وقال لا يمنع الروث وإن فحش لبلوى الناس بامتلاء الطرق والخانات بها وجرة البعير كسرقينه وهي ما يصعد من جوفه إلى فيه فكذا جرة البقر والغنم . وأما دم السمك ولعاب البغل والحمار فطاهر في ظاهر الرواية وهو الصحيح (و) من الخفيفة (خرء طير لا يؤكل) كالصقر والحدأة في الأصح لعموم الضرورة وفي رواية طاهر وصححه السرخسي ". (٢)

" وتعبير المصنف بما قاله أولى من تعبير أصله بمال من يستحق عليه النفقة بالبعضية ولا بمال سيده ولو كاتبه أو كان هو مبعضا للشبهة ولأن المكاتب قد يعجز فيصير كما كان ويقطع بمال زوج ذكر أو أنثى وأخ إن كان محرزا عنه لعموم الآية والأخبار ولأن النكاح عقد على منفعة فلا يؤثر في درء الحد كالإجارة

---

(١) درر الحكام شرح مجلة الأحكام، ١٨٢/١

(٢) مراقي الفلاح، ص/١٠١

لا يسقط بها الحد عن الأجير أو المستأجر إذا سرق أحدهما من الآخر وتفارق الزوجة العبد بأن مؤنتها على الزوج عوض كثمن المبيع ونحوه بخلاف مؤنة العبد وذكر الأخ مثال ولا حاجة إليه ولا إلى الشرط بعده وفي القطع بسرقة مال عبده الحر بعضه أي مال من بعضه مملوك له وبعضه حر وجهان أحدهما لا لأن ما ملكه بالحرية في الحقيقة لجميع بدنه فصار شبهة

وثانيهما نعم لتمام ملكه كمال الشريك بعد القسمة والراجح كما قال الزركشي الأول فقد جزم به الماوردي والشيخ أبو حامد وغيرهما ومن لا يقطع بمال لا يقطع به عبده فكما لا يقطع الأصل بسرقة مال الفرع وبالعكس لا يقطع عبد أحدهما بسرقته مال الآخر ويحد زان بأمة سيده إذ لا شبهة له في بضعها ولو ظن السارق أن المال الذي سرقه أو الحرز له أو لأبيه أو لابنه لم يقطع للشبهة كما لو وطئ امرأة ظنها زوجته أو أمته ويقطع بحطب أي بسرقة حطب وحشيش ونحوهما كصيد لعموم الأدلة ولا أثر لكونها مباحة الأصل وبسرقة معرض للتلف كهريسة وفواكه وبقول لذلك وروى أبو داود وغيره أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن التمر المعلق فقال من سرق منه شيئا بعد أن يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع والمجن الترس وكان ثمنه عندهم ربع دينار أو ثلاثة دراهم وكانت مقدرة عندهم بربع دينار وكذا ماء وتراب ومصحف وكتب علم شرعي وم، يتعلق به وكتب شعر نافع مباح لما مر وإلا أي وإن لم يكن نافعا مباحا قوم الورق والجلد فإن بلغا نصابا قطع وإلا فلا وإن قطع بسرقة عين ثم سرقها ثانيا من مالكها الأول أو من غيره قطع أيضا لأن القطع عقوبة تتعلق بفعل في عين فيتكرر بتكرر ذلك الفعل كما لو زنى بامرأة وحد ثم زنى بها ثانيا الشرط السادس الحرز فلا قطع بسرقة ما ليس محرزا لخبر لا قطع في شيء من الماشية إلا فيما أواه المراح ومن سرق من التمر شيئا بعد أن يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع رواه أبو داود وغيره ولأن الجناية تعظم بمخاطرة أخذه من الحرز فحكم بالقطع زجرا بخلاف ما إذا جرأه المالك ومكنه بتضييعه والمحكم في الحرز العرف لأنه يختلف باختلاف الأموال والأحوال والأوقات ولم يحده الشرع ولا اللغة فيرجع فيه إلى العرف كالقبض والإحياء فالإصطبل والتبن المتصلان بالدور أخذا مما يأتي حرز الدواب في الأول وإن كانت نفيسة والتبن في الثاني لا الثياب ونحوها كالنقود والفرق أن إخراج الدواب والتبن مما يظهر ويبعد الاجتراء عليه بخلاف الثياب ونحوها فإنها مما يخفى ويسهل إخراجها ويستثنى منها كما قاله البلقيني وغيره آنية الإصطبل كالسطل وثياب الغلام وآلات الدواب من سروج وبرادع ولجم ورحال جمال وقربة السقاة والراوية ونحو ذلك مما جرت العادة بوضعه في إصطبلات الدواب والصفة والعرصة للدار حرز آنية خسيسة بخلاف النفيسة كالمتخذة من الجواهر النفيسة قاله الأذرعي وثياب بذلة ونحوها كالبسط

والمخزن حرز الحلي والنقد والدور وبيوت **الخانات** والأسواق المنيعة حرز الثياب النفيسة وإلا على حرز الأدنى لا عكسه عبارة الأصل وما كان حرزا لنوع كان حرزا لما دونه وإن لم يكن حرزا لما فوقه وهي أحسن من عبارة المصنف في صورة العكس فتأمل وإن وضع متاعه بقربه

". (١)

"خلافا لمن زعم اختصاصها) أي الزكاة.

(قوله: بلغ قدر خالصه) أي الذهب، فلا زكاة في مغشوش حتى يبلغ خالصه ما ذكر، فتخرج زكاته خالصا أو مغشوشا خالصه قدرها، لكن يتعين على الوالي إخراج الخالص، حفظا للنحاس مثلا على المولى.

وتقدم عن السبكي سؤال في ذلك.

(قوله: عشرين مثقالا) أي لقوله (ص): ليس في أقل من عشرين دينارا شئ، وفي عشرين نصف دينار. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(قوله: بوزن مكة) أي ويعتبر ذلك بوزن مكة، للخبر الصحيح: المكيال مكيال المدينة، والوزن وزن مكة.

(قوله: فلو نقص إلخ) تفريع على قوله تحديدا.

(قوله: فلا زكاة) أي واجبة فيه.

(وقوله: للشك أي في النصاب.

(قوله: والمثقال هو لم يتغير، جاهلية وإسلاما.

(قوله: متوسطة) أي معتدلة لم تقشر، وقطع من طرفيها ما كان دقيقا رفيعا.

(قوله: ووزن نصاب الذهب بالاشرفي) نسبه للسلطان الاشرف قايتباي، وليس المراد به من بنى جامع الاشرفية، وهو خليل البرسبائي - بضم الباء والراء، وسكون السين، وبموحدة بعدها مدة -.

(قوله: خمسة وعشرون) أي أشرفيا، وهو أقل وزنا من الدينار المعروف الآن.

(قوله: والمراد بالاشرفي: القايتبايي) أي لانه الذي كان في زمن الشيخ زكريا، وبه يعلم نصاب ما زاد على وزنه من المعاملة الحادثة الآن، على أنه حدث أيضا تغيير في المثقال لا يوافق شيئا مما مر.

فليتنبه لذلك.

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، ٤/١٤١

شرح م ر مع زيادة من الشوبري.

بجيرمي.

وقال في حواشي الاقناع: واعلم أن الذي تحرر أن النصاب في البنادقة والفنادقة سبعة وعشرون من كل منهما إلا ثلثا لان البندقي ثمانية عشر قيراطا، والمثقال أربعة وعشرون قيراطا، والقيراط ثلاث شعيرات، فكل ثلاثة مثاقيل أربعة بنادقة.

والفندقي كالبندقي في الوزن، لكنه - أي الفندقي - ليس سالما من الغش، وفي المحابيب خمسة وثلاثون محبوبا كاملة.

والدراهم المعروفة الآن كل عشرة منها سبعة مثاقيل، فتكون الاواقي الخمس مائتي درهم.

وقد كان في السابق درهم يقال له البغلي، وكان ثمانية دوانق.

ودرهم يقال له الطبري، أربعة دوانق.

فالدراهم مختلفة في الجاهلية، ثم أخذ نصف كل منهما وهو ستة دوانق، وجعل درهما في زمن عمر وعبد الملك بن مروان، وأجمع عليه المسلمون.

قال الاذرعي - كالسبكي - ويجب اعتقاد أنها كانت في زمنه (ص) وزمن الخلفاء الراشدين، ويجب تأويل خلاف ذلك.

اه.

م ر.

(قوله: وفي فضة) معطوف على ذهب، أي وتجب في فضة.

وسمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى.

وسميت الفضة بذلك لانها تنفض ولا تبقى، وسمي المضروب من الذهب دينارا، ومن الفضة درهما، لان الدينار آخره نار، والدرهم آخره هم، والمرء إن أحبهما قلبه معذب بين الهم في الدنيا، والنار في الآخرة، بسبب اكتسابهما من حرام أو عدم أداء زكاتهما.

وأنشد بعضهم في ذلك فقال: النار آخر دينار نطقت به * * والهم آخر هذا الدرهم الجاري والمرء بينهما - ما لم يكن ورعا - معذب القلب بين الهم والنار

(قوله: بلغت مائتي درهم) وذلك لقوله (ص): ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة.

والاوقية أربعون درهما بالنصوص المشهورة والاجماع.

قال البجيرمي: وقد حدث للناس عرف آخر، فجعلوها عبارة عن اثني عشر درهما، وعند الطيبي عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم، وبعضهم سمى هذه الاوقية: أوقية الطيبي.

اه.

وفي ش ق: وهي - أي المائتا درهم - ثمانية وعشرون ريالا ونصف تقريبا، هذا إن كان في كل ريال درهمان من النحاس، فإن كان فيه درهم فقط كانت خمسة وعشرين ريالا.

اه.

(قوله: بوزن مكة) أي لما تقدم تقريبا.

(قوله: وهو) أي الدرهم.

وعبارة التحفة: والمثقال لم يتغير جاهلية ولا إسلاما: ثنتان وسبعون حبة شعير متوسطة لم تقشر، وقطع من طرفيها ما دق وطال.." [١]

"خفية، فلذلك إذا اطلع عليه تقطع يده (قوله: لا حال كون المال مغصوبا) أفاد به أن مغصوبا حال مما قبله وهو ربع دينار، والمراد بالمال ربع الدينار، ولو عبر به لكان أنسب بما قبله (قوله: فلا يقطع سارقه) أي يد سارق المال

المغصوب.

(وقوله: من حرز الغاصب) متعلق بسارقه، ويعلم بالاولى عدم قطع يد سارقه من غير حرز الغاصب (قوله: وإن لم يعلم) أي السارق (قوله: لان مالكه الخ) علة لعدم قطع يد سارق المال المغصوب: أي لا يقطع لان مالك المال لم يرض بإحرازه في حرز الغاصب (قوله: أو حال كونه فيه) أفاد به أيضا أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال مما قبله أيضا وهو ربع دينار (قوله: فلا قطع الخ) مفرع على قوله أو حال كونه في مكان مغصوب.

(وقوله: أيضا) أي كما أنه لا يقطع فيما إذا كان المال المسروق مغصوبا (قوله: لان الغاصب الخ) علة لعدم قطع يد السارق من حرز مغصوب: أي وإنما لم تقطع يده لان الغاصب للموضع الذي أحرز فيه ماله ممنوع: أي شرعا من أن يحرز فيه ماله (قوله: بخلاف نحو مستأجر ومعار) أي بخلاف حرز مؤجر أو معار وسرق منه فيقطع السارق منه لان المستأجر والمستعير مستحقان لمنافعه (قوله: ويختلف الحرز الخ) الانسب ذكره بعد قوله عرفا (قوله: باختلاس الاموال) إنما اختلف باختلافها لانه قد يكون الشئ حرزا في مال دون

---

(١) إعانة الطالبين، ١٧١/٢

مال: أي فصحن الدار وصفتها حرز لخسيس آنية، وأما نفيسها فحرزه بيوت الدور وبيوت الخانات وبيوت الاسواق المنيعة وخزانة وصندوق حرز حلي ونقد ونحوهما نوم بنحو صحراء أو كمسد وشارع على متاع أو توسده حرز له ورأسه حرز لعمامته وجيبه حرز لما فيه وأصبعه حرز لخاتمه ورجله حرز لمداسه، وقوله والاحوال: أي ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فقد يكون الشئ حرزا في حال دون حال: فالدار المنفصلة عن العمارة حرز في حال ملاحظة قوي يقظان بها ولو مع فتح الباب أو نائم مع إغلاقه والمتصلة بالعمارة حرز بإغلاق الباب مع ملاحظ ولو نائما أو ضعيفا ومع غيبته زمن أمن نهارا لا مع فتحه ونومه ليلا أو نهارا ولا مع غيبته زمن خوف ولو نهارا أو زمن أمن ليلا أو والباب مفتوح فليست حرزا، (وقوله: والاوقات) أي ويختلف ذلك باختلاف الاوقات فقد يكون الشئ حرزا في وقت دون وقت بحسب صلاح أحوال الناس وفسادها وقوة السلطان وضعفه (قوله: فحرز الثوب) أي النفيس، وهو تفريع على اختلافه باختلاف الاموال، (وقوله: والنقد) أي ونحوه كاللؤلؤ (قوله: الصندوق المقفل) أي ونحوه من كل موضع حصين خزانة (قوله: والامتعة) أي وحرز الامتعة الدكاكين وقوله وثم حارس: قيد في كون الدكاكين حرزا للامتعة: أي ويشترط في كونها حرزا أن يكون عندها حارس يحرسها على العادة، وهذا بالنسبة لليل، أما بالنسبة إلى النهار فيكفي إرخاء نحو شبكة وشراع لان الجيران والمارة ينظرونها.

قال في الروض وشرحه: وإن ضم العطار أو البقال أو نحوهما الامتعة وربطها بحبل على باب الحانوت أو أرخى عليها شبكة أو خالف لو حين على باب حانوت فحرزه بذلك بالنهار، ولو نام فيه أو غاب عنه لان الجيران والمارة ينظرونها، ثم قال: والحانوت المغلق بلا حارس حرز لمتاع البقال في زمن الامن ولو ليلا لا لمتاع البزاز ليلا.

اه.

(قوله: ونوم بمسجد) مبتدأ خبره حرز له.

(وقوله: أو شارع) أي أو صحراء.

(وقوله: على متاع) متعلق بنوم.

(وقوله: ولو بتوسدة) أي نومه على المتاع حرز له، سواء كان مفترشا له أو متوسده، أي جاعلا له كالوسادة التي يوضع عليها الرأس عند النوم.

ومحل هذا فيما كان التوسد حرزا له، وإلا كأن توسد كيسا فيه نقد أو جوهر فلا يكون حرزا له (قوله: لا إن وضعه) أي لا إن كان النائم وضع المتاع بقربه، ومثل النائم الذاهل عنه، والاولى حذف لا وزيادة الواو،

وعبارة الروض: وإن وضع متاعه بقربه في صحراء أو مسجد أو شارع وأعرض عنه كأن ولاه ظهره أو ذهل عنه شاغل أو نام فليس بمحرز.

اه.

(قوله: بلا ملاحظ) أي حارس، فإن كان هناك ملاحظ قوي ولا زحمة أو كثر الملاحظون ولو وجدت فهو حرز له فيقطع من سرقة.

(وقوله: يمنع) أي ذلك الملاحظ.

(وقوله: بقوة) أي يمنعه بسبب قوة، (وقوله: أو." [1]

"الزكاة فيها

ولأنها معدة للاستعمال كالماشية العاملة

(قوله ولو غير مضروب) أي ولو كان الذهب غير مضروب كسبيكة ذهب فإنه تجب الزكاة فيه

(قوله خلافا لمن زعم اختصاصها) أي الزكاة

(قوله بلغ قدر خالصه) أي الذهب فلا زكاة في مغشوش حتى يبلغ خالصه ما ذكر فتخرج زكاته خالصا أو مغشوشا خالصه قدرها لكن يتعين على الوالي إخراج الخالص حفظا للنحاس مثلا على المولى

وتقدم عن السبكي سؤال في ذلك

(قوله عشرين مثقالا) أي لقوله صلى الله عليه وسلم ليس في أقل من عشرين دينارا شيء وفي عشرين نصف دينار

رواه أبو داود بإسناد صحيح

(قوله بوزن مكة) أي ويعتبر ذلك بوزن مكة للخبر الصحيح المكيال مكيال المدينة والوزن وزن مكة

(قوله فلو نقص إلخ) تفريع على قوله تحديدا

(قوله فلا زكاة) أي واجبة فيه

(وقوله للشك أي في النصاب

(قوله والمثقال هو لم يتغير جاهلية وإسلاما

(قوله متوسطة) أي معتدلة لم تقشر وقطع من طرفيها ما كان دقيقا رفيعا

---

(١) إعانة الطالبين، ١٨١/٤

(قوله ووزن نصاب الذهب بالأشرفي) نسبه للسلطان الأشرف قايتباي وليس المراد به من بنى جامع الأشرفية وهو خليل البرسبائي بضم الباء والراء وسكون السين وبموحدة بعدها مدة

(قوله خمسة وعشرون) أي أشرفيا وهو أقل وزنا من الدينار المعروف الآن

(قوله والمراد بالأشرفي القايتبايي) أي لأنه الذي كان في زمن الشيخ زكريا وبه يعلم نصاب ما زاد على وزنه من المعاملة الحادثة الآن على أنه حدث أيضا تغيير في المثقال لا يوافق شيئا مما مر فليتنبه لذلك

شرح م ر مع زيادة من الشوبري

بجيرمي

وقال في حواشي الإقناع واعلم أن الذي تحرر أن النصاب في البنادقة والفنادقة سبعة وعشرون من كل منهما إلا ثلثا لأن البندقي ثمانية عشر قيراطا والمثقال أربعة وعشرون قيراطا والقيراط ثلاث شعيرات فكل ثلاثة مثاقيل أربعة بنادقة

والفندقي كالبندقي في الوزن لكنه أي الفندقي ليس سالما من الغش وفي المحابيب خمسة وثلاثون محبوبا كاملة

والدراهم المعروفة الآن كل عشرة منها سبعة مثاقيل فتكون الأواقي الخمس مائتي درهم

وقد كان في السابق درهم يقال له البغلي وكان ثمانية دوانق

ودرهم يقال له الطبري أربعة دوانق

فالدراهم مختلفة في الجاهلية ثم أخذ نصف كل منهما وهو ستة دوانق وجعل درهما في زمن عمر وعبد الملك بن مروان وأجمع عليه المسلمون

قال الأذرعي كالسبكي ويجب اعتقاد أنها كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين ويجب تأويل خلاف ذلك

اه

م ر

(قوله وفي فضة) معطوف على ذهب أي وتجب في فضة

وسمي الذهب ذهبا لأنه يذهب ولا يبقى

وسميت الفضة بذلك لأنها تنفض ولا تبقى وسمي المضروب من الذهب دينارا ومن الفضة درهما لأن الدينار آخره نار والدرهم آخره هم والمرء إن أحبهما قلبه معذب بين الهم في الدنيا والنار في الآخرة بسبب اكتسابهما من حرام أو عدم أداء زكاتهما

وأنشد بعضهم في ذلك فقال النار آخر دينار نطقت به والهم آخر هذا الدرهم الجاري والمرء بينهما ما لم يكن ورعا معذب القلب بين الهم والنار (قوله بلغت مائتي درهم) وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة

والأوقية أربعون درهما بالنصوص المشهورة والإجماع

قال البجيرمي وقد حدث للناس عرف آخر فجعلوها عبارة عن اثني عشر درهما وعند الطيبي عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم وبعضهم سمى هذه الأوقية أوقية الطيبي

اه

وفي ش ق وهي أي المائتا درهم ثمانية وعشرون ريالا ونصف تقريبا هذا إن كان في كل ريال درهمان من النحاس فإن كان فيه درهم فقط كانت خمسة وعشرين ريالا

اه

(قوله بوزن مكة) أي لما تقدم تقريبا

(قوله وهو) أي الدرهم

وعبارة التحفة والمثقال لم يتغير جاهلية ولا إسلاما

". (١)

"جهرا مع الاعتماد على الهرب والنهب أخذه كذلك مع الاعتماد على القوة الغلبة (قوله معتمدا الهرب) حال من فاعل اختلس (قوله أو انتهب) معطوف على اختلس وقوله معتمدا القوة حال أيضا من فاعل انتهب (قوله فلا يقطع بهما) أي بالاختلاس والنهب ومثلهما ما لو خان بجحد نحو وديعة

وقوله للخبر الصحيح به أي الوارد به أي بعدم القطع في الاختلاس والنهب ولفظه ليس على المختلس والمنتهب والخائن قطع صححه الترمذي وقوله ولإمكان دفعهم الأولى دفعهما أي المختلس والمنتهب ولو

---

(١) إعانة الطالبين- دار الفكر، ٢/١٥٠

زاد بعد قوله أو انتهب أو خان لوافق ما في الخبر وناسب جمع الضمير لكن يبقى عليه أن يجمع الضمير في قوله فلا يقطع بهما

والقصيد بهذا التعليل بيان الفرق بين السارق وبين غيره ممن ذكره وحاصله أن السارق يأخذ المال خفية ولا يتأتى منعه بالسلطان أو غيره وكل من المختلس والمنتهب يأخذ المال جهرة معاينة فيتأتى منعه بالسلطان أو غيره والخائن يعطيه المالك المال بنفسه فربما يشهد عليه فيتأتى أخذ حقه منه بالحاكم إذا خان بعد ذلك فإن لم يشهد عليه فهو المقصر (قوله بخلاف السارق) أي فإنه لا يتأتى دفعه بالسلطان لأنه أخذ المال خفية فلذلك إذا اطلع عليه تقطع يده (قوله لا حال كون المال مغصوبا) أفاد به أن مغصوبا حال مما قبله وهو ربع دينار والمراد بالمال ربع الدينار ولو عبر به لكان أنسب بما قبله (قوله فلا يقطع سارقه) أي يد سارق المال المغصوب

(وقوله من حرز الغاصب) متعلق بسارقه ويعلم بالأولى عدم قطع يد سارقه من غير حرز الغاصب (قوله وإن لم يعلم) أي السارق (قوله لأن مالكه الخ) علة لعدم قطع يد سارق المال المغصوب أي لا يقطع لأن مالك المال لم يرض بإحرازه في حرز الغاصب (قوله أو حال كونه فيه) أفاد به أيضا أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال مما قبله أيضا وهو ربع دينار (قوله فلا قطع الخ) مفرع على قوله أو حال كونه في مكان مغصوب

(وقوله أيضا) أي كما أنه لا يقطع فيما إذا كان المال المسروق مغصوبا (قوله لأن الغاصب الخ) علة لعدم قطع يد السارق من حرز مغصوب أي وإنما لم تقطع يده لأن الغاصب للموضع الذي أحرز فيه ماله ممنوع أي شرعا من أن يحرز فيه ماله (قوله بخلاف نحو مستأجر ومعار) أي بخلاف حرز مؤجر أو معار وسرق منه فيقطع السارق منه لأن المستأجر والمستعير مستحقان لمنافعه (قوله ويختلف الحرز الخ) الأنسب ذكره بعد قوله عرفا (قوله باختلاس الأموال) إنما اختلف باختلافها لأنه قد يكون الشيء حرزا في مال دون مال أي فصحن الدار وصفتها حرز لخسيس آنية وأما نفيسها فحرزه بيوت الدور وبيوت الخانات وبيوت الأسواق المنيعة وخزانة وصندوق حرز حلي ونقد ونحوهما نوم بنحو صحراء أو كمسد وشارع على متاع أو توسده حرز له ورأسه حرز لعمامته وجيبه حرز لما فيه وأصبعه حرز لخاتمه ورجله حرز لمداسه وقوله والأحوال أي ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فقد يكون الشيء حرزا في حال دون حال فالدار المنفصلة عن العمارة حرز في حال ملاحظة قوي يقظان بها ولو مع فتح الباب أو نائم مع إغلاقه والمتصلة بالعمارة حرز بإغلاق الباب مع ملاحظ ولو نائما أو ضعيفا ومع غيبته زمن أمن نهارا لا مع فتحه

ونومه ليلا أو نهارا ولا مع غيبته زمن خوف ولو نهارا أو زمن أمن ليلا أو والباب مفتوح فليست حرزا (وقوله والأوقات) أي ويختلف ذلك باختلاف الأوقات فقد يكون الشيء حرزا في وقت دون وقت بحسب صلاح أحوال الناس وفسادها وقوة السلطان وضعفه (قوله فحرز الثوب) أي النفيس وهو تفريع على اختلافه باختلاف الأموال (وقوله والنقد) أي ونحوه كاللؤلؤ (قوله الصندوق المقفل) أي ونحوه من كل موضع حصين خزانة (قوله والأمتعة) أي وحرز الأمتعة الدكاكين وقوله وثم حارس قيد في كون الدكاكين حرزا للأمتعة أي ويشترط في كونها حرزا أن يكون عندها حارس يحرسها على العادة وهذا بالنسبة لليل أما بالنسبة إلى النهار فيكفي إرخاء نحو شبكة وشراع لأن الجيران والمارة ينظرونها

قال في الروض وشرحه وإن ضم العطار أو البقال أو نحوهما الأمتعة وربطها بحبل على باب الحانوت أو أرخى عليها شبكة أو خالف لو حين على باب حانوت

". (١)

"لم يكن له باب أو كان وهو مفتوح حتى يقطع السارق منه لأن البناء لقصد الإحراز إلا أنه لا يجب القطع إلا بالإخراج منه لقيام يده فيه قبله بخلاف المحرز بالحافظ حيث يجب القطع فيه كما أخذ لزوال يد المالك بمجرد الأخذ فتتم السرقة ولا فرق بين أن يكون الحافظ مستيقظا أو نائما والمتاع تحته أو عنده هو الصحيح لأنه يعد النائم عند متاعه حافظا له في العادة وعلى هذا لا يضمن المودع والمستعير بمثله لأنه ليس له بتضييع بخلاف ما اختاره في الفتاوى

قال ومن سرق شيئا من حرز أو من غير حرز وصاحبه عنده يحفظه قطع لأنه سرق مالا محرزا بأحد الحرزين ولا قطع على من سرق مالا من حمام أو من بيت أذن للناس في دخوله فيه لوجود الإذن عادة أو حقيقة في الدخول فاختل الحرز ويدخل في ذلك حوانيت التجار **والخانات** إلا إذا سرق منها ليلا لأنها بنيت لإحراز الأموال وإنما الإذن يختص بالنهار

ومن سرق من المسجد متاعا وصاحبه عنده قطع لأنه محرز بالحافظ لأن المسجد ما بني لإحراز الأموال فلم يكن المال محرزا بالمكان بخلاف الحمام والبيت الذي أذن للناس في دخوله حيث لا يقطع لأنه بني للإحراز فكان المكان حرزا فلا يعتبر الإحراز بالحافظ ولا قطع على الضيف إذا سرق ممن أضافه لأن البيت لم يبق حرزا في حقه لكونه مأذونا في دخوله ولأنه بمنزلة أهل الدار فيكون فعله خيانة لا سرقة

---

(١) إعانة الطالبين- دار الفكر، ١٦٠/٤

ومن سرق سرقة فلم يخرجها من الدار لم يقطع لأن الدار كلها حرز واحد فلا بد من الإخراج منها ولأن الدار وما فيها في يد صاحبها معنى فتتمكن شبهة عدم الأخذ فإن كانت دار فيها مقاصير فأخرجها من المقصورة إلى صحن الدار قطع لأن كل مقصورة باعتبار ساكنها حرز على حدة وإن أغار إنسان من أهل المقاصير على مقصورة فسرق منها قطع لما بينا وإذا نقب اللص البيت فدخل وأخذ المال وناوله آخر خارج البيت فلا قطع عليهما لأن الأول لم يوجد منه الإخراج لاعتراض يد معتبرة على المال قبل خروجه والثاني لم يوجد منه هتك الحرز فلم تتم السرقة من كل واحد وعن أبي يوسف رحمه الله إن أخرج الداخل يده وناولها الخارج فالقطع على الداخل وإن أدخل الخارج يده فتناولها من يد الداخل فعليهما القطع وهي بناء على مسئلة تأتي بعد هذا إن شاء الله تعالى وإن ألقاه في الطريق وخرج فأخده قطع وقال زفر رحمه الله لا يقطع لأن الإلقاء

." (١)

"فأتي بحجرين وروثة فأخذ الحجرين ورمى بالروثة وقال إنها رجس أو ركس أي نجس وليس له نص معارض وإنما قال بعض العلماء بطهارتها بالرأي والاجتهاد والاجتهاد لا يعارض النص فكانت نجاستها غليظة وعلى قولهما نجاستها خفيفة لأن العلماء اختلفوا فيها وبول ما لا يؤكل لحمه نجس نجاسة غليظة بالإجماع على اختلاف الأصلين أما عنده فلانعدام نص معارض لنص النجاسة وأما عندهما فلوقوع الاتفاق على نجاسته وبول ما يؤكل لحمه نجس نجاسة خفيفة بالاتفاق أما عنده فلتعارض النصين وهما حديث العرنيين مع حديث عمار وغيره في البول مطلقا

وأما عندهما فلاختلاف العلماء فيه

وأما العذرات وخرء الدجاج والبط فنجاستها غليظة بالإجماع على اختلاف الأصلين هذا على وجه البناء على الأصل الذي ذكره الكرخي

وأما الكلام في الأرواث على طريقة الابتداء فوجه قولهما أن في الأرواث ضرورة وعموم البلية لكثرتها في الطرقات فتتعذر صيانة الخفاف والنعال عنها وما عمت بليته خفت قضيته بخلاف خرء الدجاج والعذرة لأن ذلك قلما يكون في الطرق فلا تعم البلوى بإصابته وبخلاف بول ما يؤكل لحمه لأن ذلك تنشفه الأرض ويجف بها فلا تكثر إصابته الخفاف والنعال

---

(١) الهداية شرح البداية، ٢/١٢٤

وروي عن محمد في الروث أنه لا يمنع جواز الصلاة وإن كان كثيرا فاحشا

وقيل إن هذا آخر أقاويله حين كان بالري وكان الخليفة بها فرأى الطرق **والخانات** مملوءة من الأرواث وللناس فيها بلوى عظيمة فعلى هذا القياس قال بعض مشايخنا بما وراء النهر إن طين بخارى إذا أصاب الثوب لا يمنع جواز الصلاة وإن كان كثيرا فاحشا لبلوى الناس فيه لكثرة العذرات في الطرق

وأبو حنيفة احتج بقوله تعالى ﴿ من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ﴾ جمع بين الفرث والدم لكونهما نجسين ثم بين الأعجوبة للخلق في إخراج ما هو نهاية في الطهارة وهو اللبن من بين شيئين نجسين مع كون الكل مائعا في نفسه ليعرف به كمال قدرته

والحكيم إنما يذكر ما هو النهاية في النجاسة ليكون إخراجه ما هو النهاية في الطهارة من بين ما هو النهاية في النجاسة نهاية في الأعجوبة وآية لكمال القدرة ولأنها مستخبثة طبعا ولا ضرورة في إسقاط اعتبار نجاستها لأنها وإن كثرت في الطرقات فالعيون تدركها فيمكن صيانة الخفاف والنعال كما في بول ما لا يؤكل لحمه والأرض وإن كانت تنشف الأبوال فالهواء يجفف الأرواث فلا تلتزق بالمكاعب والخفاف على أنا اعتبرنا معنى الضرورة بالعفو عن القليل منها وهو الدرهم فما دونه فلا ضرورة في الترقية بالتقدير بالكثير الفاحش والله أعلم

ولو أن ثوبا أصابته النجاسة وهي كثيرة فجفت وذهب أثرها وخفي مكانها غسل جميع الثوب وكذا لو أصابت أحد الكمين ولا يدري أيهما هو غسلهما جميعا وكذا إذا راثت البقرة أو بالت في الكديس ولا يدري مكانه غسل الكل احتياطا

وقيل إذا غسل موضعا من الثوب كالدخريص ونحوه وأحد الكمين وبعضا من الكديس يحكم بطهارة الباقي وهذا غير سديد لأن موضع النجاسة غير معلوم وليس البعض أولى من البعض

ولو كان الثوب طاهرا فشك في نجاسته جاز له أن يصلي فيه لأن الشك لا يرفع اليقين وكذا إذا كان عنده ماء طاهر فشك في وقوع النجاسة فيه ولا بأس بلبس ثياب أهل الذمة والصلاة فيها إلا الإزار والسراويل فإنه تكره الصلاة فيهما وتجوز

أما الجواز فلأن الأصل في الثياب هو الطهارة فلا تثبت النجاسة بالشك

ولأن التوارث جار فيما بين المسلمين بالصلاة في الثياب المغنومة من الكفرة قبل الغسل

وأما الكراهة في الإزار والسراويل فلقربهما من موضع الحدث

وعسى لا يستنزهون من البول فصار شبيه يد المستيقظ ومنقار الدجاجة المخلاة

وذكر في بعض المواضع في الكراهة خلافا على قول أبي حنيفة ومحمد يكره

وعلى قول أبي يوسف لا يكره

وروي عن رسول الله أنه سئل عن الشراب في أواني المجوس فقال إن لم تجدوا منها بدا فاغسلوها ثم اشربوا فيها وإنما أمر بالغسل لأن ذبائحهم ميتة وأوانيهم قلما تخلوا (((تخلو))) عن دسومة منها

قال بعض مشايخنا وكذلك الجواب في ثياب الفسقة من المسلمين لأن الظاهر أنهم لا يتوقون إصابة الخمر ثيابهم في حال الشرب

وقالوا في الديباج الذي ينسجه أهل فارس أنه لا تجوز الصلاة فيه لأنهم يستعملون فيه البول عند النسج يزعمون أنه يزيد في بريقه ثم لا يغسلونه لأن الغسل يفسده فإن صح إنهم يفعلون ذلك فلا شك إنه لا تجوز

." (١)

"

وأما الثالث فإن شاؤا أذنوا وإن شاؤا ردوا فإذا استأذن ثلاث مرات ولم يؤذن له ينبغي أن يرجع ولا يقعد على الباب لينتظر لأن للناس حاجات وأشغالا في المنازل فلو قعد على الباب وانتظر لضاق ذرعهم وشغل قلوبهم ولعله (((ولعل))) لا تلتئم حاجاتهم فكان الرجوع خيرا له من القعود وذلك قوله تعالى ﴿ هو أزكى لكم ﴾ هذا إذا كان الدخول للزيارة ونحوها فأما إذا كان الدخول لتغيير المنكر بأن سمع في دار صوت المزامير والمعازف فليدخل عليهم بغير إذنهم لأن تغيير المنكر فرض فلو شرط الإذن لتعذر التغير (((التغيير))) والله سبحانه وتعالى أعلم

وإن كان من محارمه فلا يدخل بغير استئذان أيضا وإن كان يجوز له النظر إلى مواضع الزينة الظاهرة والباطنة لعموم النص الذي تلونا ولو دخل عليها من غير استئذان فربما كانت مكشوفة العورة فيقع بصره عليها فيكرهان ذلك وهكذا روي أن رجلا سأل النبي عليه الصلاة والسلام وقال أنا أخدم أمي وأفرشها إلي (((ألا))) أستأذن عليها فقال رسول الله نعم فسأله ثلاثا فقال عليه الصلاة والسلام يسرك أن تراها عريانة فقال لا قال استأذن عليها

---

(١) بدائع الصنائع، ٨١/١

وكذا روي عن حذيفة رضي الله عنه أن رجلا سأله فقال أستأذن على أختي فقال رضي الله عنه إن لم تستأذن رأيت ما يسوءك إلا أن الأمر في الاستئذان على المحارم أيسر وأسهل لأن المحرم مطلق النظر إلى موضع الزينة منها شرعا هذا الذي ذكرنا حكم الأحرار البالغين

وأما حكم المماليك والصبيان أما المملوك فيدخل في بيت سيده من غير استئذان إلا في ثلاثة أوقات قبل صلاة الفجر وعند الظهر وبعد صلاة العشاء الآخرة لقوله تبارك وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ﴾ ولأن هذه أوقات التجرد وظهور العورة في العادة

أما قبل صلاة الفجر فوقت الخروج من ثياب النوم ووقت الظهيرة وقت وضع الثياب للقيلولة

وأما بعد صلاة العشاء فوقت وضع ثياب النهار للنوم ولا كذلك بعد هذه الأوقات الثلاث لأن العورات بعدها تكون مستورة عادة والعبد والأمة في ذلك سواء كان المملوك صغيرا أو كبيرا بعد أن كان يعرف العورة من غير العورة لأن هذه أوقات غرة وساعات غفلة فربما يكون على حالة يكره أن يراه أحد عليها وهذا المعنى يستوي فيه الذكر والأنثى والكبير والصغير بعد أن يكون من أهل التمييز ويكون الخطاب في الصغار للسادات بالتعليم والتأديب كما في الآباء مع الأبناء الصغار

وأما الصبيان فإن كان الصغير ممن لا يميز بين العورة وغيرها فيدخل في الأوقات كلها وإن كان من أهل التمييز بأن قرب من البلوغ يمنعه الأب من الدخول في الأوقات الثلاثة تأديبا وتعليما لأمور الدين كالأمر بالصلاة إذا بلغ سبعا وضربه عليها إذا بلغ عشرا والتفريق بينهم في المضاجع والله أعلم

هذا إذا كان البيت مسكونا بأن كان له ساكن وأما إذا لم يكن **كالخانات** والرباطات التي تكون للمارة والخربات التي تقضي فيها حاجة البول والغائط فلا بأس أن يدخله من غير استئذان لقوله سبحانه وتعالى ﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ﴾ أي منفعة بكم (((لكم))) وهي منفعة دفع الحر والبرد في **الخانات** والرباطات ومنفعة قضاء الحاجة من البول والغائط في الخربات والله سبحانه وتعالى أعلم

وروي في الخبر أنه لما نزلت آية الاستئذان قال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة وبين المدينة والشام ليس فيها ساكن فأنزل الله تعالى عز وجل قوله ﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ﴾ والله عز وجل الموفق

هذا الذي ذكرنا حكم الدخول وأما حكم ما بعد الدخول وهو الخلوة فإن كان في البيت امرأة أجنبية أو ذات رحم محرم لا يحل للرجل أن يخلو بها لأن فيه خوف الفتنة والوقوع في الحرام

وقد روي عن رسول الله أنه قال لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان وإن كانت المرأة ذات رحم محرم منه فلا بأس بالخلوة

والأفضل أن لا يفعل لما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنه قال ما خلوت بامرأة قط مخافة أن أدخل في نهي النبي عليه الصلاة والسلام ويكره للمرأة أن تصل شعر غيرها من بني آدم بشعرها لقوله عليه السلام لعن الله الواصلة والمستوصلة ولأن الآدمي بجميع أجزائه مكرم والانتفاع بالجزء المنفصل منه إهانة له ولهذا كره بيعه ولا بأس بذلك من شعر البهيمة وصوفها لأنه

". (١)

" النجاسة كالذيل والكم والدخريص وعن أبي يوسف شبر في شبر وعنه ذراع في ذراع ومثله عن محمد وروى هشام عن محمد أن الكثير الفاحش أن يستوعب القدمين وروي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كره أن يحد لذلك حدا وقال أن الفاحش يختلف باختلاف طباع الناس فوقف الأمر فيه على العادة كما هو دأبه ثم اختلفوا فيما يثبت به الغليظة والخفيفة فعند أبي حنيفة الغليظة ما ثبتت نجاسته بنص لم يعارضه نص آخر يخالفه كالدم ونحوه مما لم يوجد فيه تعارض نصين والخفيفة ما تعارض النصان في نجاسته وطهارته وكان الأخذ بالنجاسة أولى لوجود المرجح مثل بول ما يؤكل لحمه فإن قوله صلى الله عليه وسلم استنزهوا من البول يدل على نجاسته وخبر العرنيين يدل على طهارته فخف حكمه للتعارض وعند أبي يوسف ومحمد ما ساغ الاجتهاد في طهارته فهو مخفف لأن الاجتهاد حجة في وجوب العمل به وثمرة الخلاف تظهر في الروث والخثى والبعر ونحوها فعند أبي حنيفة مغلظة لأن ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من أنه ألقى الروثة وقال أنها ركس لم يعارضه نص آخر ولا اعتبار عنده بالبلوى في موضع النص كما في بول الآدمي فإن البلوى فيه أعم وعندهما مخففة لاختلاف العلماء فيه فإن مالكا يرى طهارتها ولعموم البلوى لامتلاء الطرق بها بخلاف بول الحمار وغيره مما لا يؤكل لحمه لأن الأرض تنشفه وروي عن محمد أن الروث لا يمنع جواز الصلاة وإن كان كثيرا فاحشا وهو آخر أقواله حين كان بالري مع الخليفة فرأى الطرق **والخانات** مملوءة بها وللناس فيها بلوى عظيمة فرجع إليه وقاسوا عليه طين بخارى لأن ممشى الناس

---

(١) بدائع الصنائع، ١٢٥/٥

والدواب فيها واحد وعند ذلك يروى رجوعه في الخف إلى قولهما إذا أصابه عذرة حتى قال يطهر بالدلك وفي الروث لا يحتاج إلى الدلك عنده لما قلنا وأما بول الفرس فقد تعارض فيه نصان على تقدير أن كراهة أكله كراهة تنزيه عند أبي حنيفة وعلى اعتبار أنه كراهة تحريم لأن لحمه طاهر لأن حرمته لكرامته كلحم الآدمي فصار مخففا لأنه بول بهائم طاهرة اللحم فيكون التعارض فيه موجودا وعند أبي يوسف مأكول فيكون بوله مخففا عنده وعند محمد طاهر لأن بول ما يؤكل لحمه طاهر عنده وقوله وخرء طير لا يؤكل وهذا قول أبي حنيفة لأنها مخففة عنده وعندهما مغلظة في رواية الهندواني وفي رواية الكرخي طاهر عندهما وعند محمد نجس نجاسة مغلظة وقيل أبو يوسف مع أبي حنيفة في التخفيف أيضا فحصل لأبي يوسف ثلاث روايات ولأبي حنيفة روايتان ولمحمد رواية واحدة والصحيح رواية الهندواني وهو أن نجاسته مخففة عنده وعند أبي يوسف ومحمد مغلظة وجه طهارته أنه ليس لما ينفصل عنه نتن وخبث رائحة ولا ينحى شيء من الطيور عن المساجد فعلمنا أن خرء جميع الطيور طاهر

". (١)

" عام ﷺ والخلفاء الراشدون كانوا يضربون ويغربون ولأن الزنا ينشأ من المصاحبة والمؤانسة فيفرق ويغرب حسما لمادته ألا ترى أن السارق لما كان تمكنه من السرقة بالمشي والبطش صار حده قطع آلة المشي والبطش حسما لمادته ولنا قوله تعالى ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ جعل الجلد كل الموجب نظرا إلى الجواب بالفاء لأن الفاء للجزاء والجزاء ما يكون كفاية لأنه من جزأ بالهمز أي كفى وإلى كونه كل المذكور فيكون كل الموجب إذ الموضع موضع الحاجة إلى البيان فلو وجب التغريب لكان الجلد بعض الموجب فيكون نسخا وهو لا يجوز إلا بمثله ولأن في التغريب تعريضا لها على الزنا لأنها إذا تباعدت عن العشائر والأقارب ارتفع الحياء وإذا نزلت في الرباطات أو **الخانات** أحوجها انقطاع مواد المعاش إلى اتخاذ الزنا مكسبه لارتفاع الاستحياء من المعارف وهو أقبح وجوه الزنا لأنه يقع جهرا لكونه ناشئا عن وقاحة ومع العشائر إن وقع يقع خفية ومكتوما لكونه ناشئا عن استحياء ولهذا قال علي رضي الله عنه كفى بالنفي فتنة وعمر رضي الله عنه نفى شخصا فارتد ولحق بدار الحرب فحلف أن لا ينفي بعده أبدا وبهذا يعرف أن نفيهم كان بطريق السياسة والتعزير لا بطريق الحد لأن مثل عمر رضي الله عنه لا يحلف أن لا يقيم الحد وعندنا يجوز أن يفعله إن رأى فيه مصلحة ولا يختص ذلك بالزنا ألا ترى

---

(١) تبيين الحقائق، ١/٧٤

﴿ أنه عليه الصلاة والسلام نفى المخنث ﴾ وعمر رضي الله عنه نفى نصر بن الحجاج وكان غلاما صبيحا يفتتن به النساء والجمال لا يوجب النفي ولكن فعل ذلك لمصلحة رآها فإن الغلام قال له ما ذنبي يا أمير المؤمنين فقال لا ذنب لك وإنما الذنب لي حيث لا أطهر دار الهجرة منك فنفاه والتحق بالروم فحلف أن لا ينفي أحدا بعد هذا ولأن نفي المرأة لا يمكن شرعا لأن سفرها بغير محرم حرام ولا ذنب للمحرم حتى ينفى معها ولا يمكن القياس على المهاجرة من دار الحرب لأنها لا تقصد سفرا وإنما تطلب الخلاص حتى لو وصلت إلى جيش المسلمين ولهم منعة لا يجوز لها أن تخرج من عندهم وتسافر وكذا في الأمة حق المولى في الخدمة مقدم على حق الشرع فلا يمكن أن يفصل بينها وبين مولاها وكذا العبد وما رواه منسوخ كشطره وهو قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ الثيب بالثيب جلد مائة والرجم ﴾ فإنه لا يجمع بين الجلد والرجم على المحصن بالإجماع وبيان نسخه أن حد الزنا كان في الابتداء الإيذاء باللسان كما قال الله تعالى ﴿ فآذوهما ﴾ ثم نسخ بالحبس في البيوت بقوله تعالى ﴿ فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾ ثم نسخ الحبس في البيوت بقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ﴾ فكان هذا قبل نزول سورة النور بدليل قوله عليه الصلاة والسلام خذوا عني ولو كان بعد نزولها لقال خذوا عن الله ثم نسخ بقوله تعالى ﴿ فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ فكان الجلد حد كل زان ثم نسخ في حق المحصن بالرجم فبقي في حق غير المحصن معمولا به فاستقر الحكم على الجلد فقط في غير المحصن وعلى الرجم فقط في حق المحصن قال رحمه الله (ولو غرب بما يرى صح) أي لو غرب الإمام الجاني بما يرى من التغريب جاز لما ذكرنا وقال في النهاية المراد بالتغريب الحبس قال الشاعر ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب أي لمحبوس وهو أحسن وأسكن للفتنة من نفيه إلى إقليم آخر لأنه بالنفي يعود مفسدا كما كان ولهذا كان الحبس حدا في ابتداء الإسلام دون النفي وحمل النفي المذكور في قطاع الطريق عليه قال رحمه الله (والمريض يرجم ولا يجلد حتى يبرأ) أي إذا زنى المريض وكان محصنا يرجم لأن الرجم متلف فلا يمتنع بسبب المرض وإن كان غير محصن لا يجلد حتى يبرأ كي لا يفضي إلى التلف والجلد شرع زاجرا لا متلفا ولهذا لا يقام الحد في شدة الحر ولا في شدة البرد وإن كان الزاني ضعيف الخلقة بحيث لا يرجى برؤه فخيف عليه الهلاك إذا ضرب يجلد جلدا خفيفا مقدار ما يتحمله لما روي ﴿ أن رجلا ضعيفا زنى فذكر ذلك سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك الرجل مسلما فقال عليه الصلاة والسلام اضربوه

." (١)

" فلوجود الإذن بالدخول عادة فانعدم الحرز ولو أبانها بعد السرقة وانقضت عدتها ثم رفع الأمر إلى القاضي لا يقطع لأن السرقة انعقدت غير موجبة للقطع فلا تنقلب موجبة كما إذا وهبها ثم أبانها حيث لا يكون له الرجوع فيها ولو سرق من امرأته المبتوتة في العدة أو سرقت هي منه لا يقطع لأن الخلطة بينهما قائمة إذ الدخول مباح للاطلاع صيانة لمائه أو لوجوب السكنى عليها حيث يسكن وقيل يقطع إذا كان المنزل للمسروق منه دون السارق لأن كلا منهما ممنوع عن الخلوة بصاحبه فحرم الدخول عليه كما بعد انقضاء العدة ولو سرق رجل من أجنبية أو امرأة من أجنبي ثم تزوجها قبل القطع لا يقطع لوجود الشبهة قبل الإمضاء فصار كما إذا ملك المسروق في تلك الحالة بخلاف ما إذا وهب لأجنبية ثم تزوجها حيث لا يسقط الرجوع لأن المعترض شبهة الملك والشبهة توجب سقوط الحد دون الرجوع بخلاف الوصية حيث تعتبر فيها حالة الموت لا غير لما عرف في موضعه وعن محمد أنه إذا تزوجها بعد القضاء يقطع وكذا لو سرق أحدهما من حرز للآخر لا يسكنان فيه لوجود البسوطة بينهما في الأموال عادة ودلالة ذلك أنها لما بذلت نفسها وهي أنفس من المال فالنفس أولى ولهذا لا تقبل شهادة كل واحد منهما للآخر والعبد في هذا ملحق بمولاه حتى لا يقطع في سرقة لا يقطع فيها المولى كالسرقة من أقارب المولى وغيرهم لأنه مأذون له بالدخول عادة في بيوت هؤلاء لإقامة المصالح والمكاتب فيه كالقن لأنه عبد ما بقي عليه درهم وكذا المأذون له في التجارة وأما إذا سرق من مكاتبه فلأن له حقا في أكسابه ولهذا لا يجوز له أن يتزوج أمة مكاتب فتحققت الشبهة وأما إذا سرق من ختنه وصهره فالمذكور هنا قول أبي حنيفة رحمه الله وعندهما يقطع له أن العادة قد جرت بالبسوطة في دخول بعضهم منازل بعض بلا استئذان فتمكنت الشبهة في الحرز ولهما أنه لا شبهة في ملك البعض لأنها تكون بالقرابة ولا قرابة والمحرمية بالمصاهرة كالمحرمية بالرضاع وعلى هذا الخلاف إذا سرق من كل من يحرم عليه بالمصاهرة وأما إذا سرق من مغنم فلما روي عن علي رضي الله عنه أنه أتى برجل من المغنم فدرأ عنه الحد وقال إن له فيه نصيبا وأما إذا سرق من الحمام أو من بيت أذن للناس بالدخول فيه فلاختلال الحرز بالإذن في الدخول وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه إذا سرق ثوبا من تحت رجل في الحمام يقطع كما لو سرق من المسجد وصاحبه عنده والفرق على الظاهر أن الحمام بني للإحراز فكان حرزا فلا يعتبر الحافظ كالبيت بخلاف المسجد لأنه ما بني لإحراز الأموال فلم

---

(١) تبيين الحقائق، ١٧٤/٣

يكن محرزا بالمكان فيعتبر الحافظ كالطريق والصحراء ألا ترى أنه إذا سرق من الحمام في وقت لا يؤذن للناس بالدخول فيه يقطع وفي المسجد لا يقطع مطلقا وحوانيت التجار **والخانات** كالحمام لأنها بنيت للإحراز والإذن مختص بوقت التجارة ثم لا بد من الحرز لأن الاختفاء لا يتحقق بدونه وهو على نوعين حرز لمعنى فيه وهو المكان المعد

". (١)

" لإحراز الأموال كالدور والبيوت والصناديق وأمثال ذلك وحرز بالحافظ كمن جلس على الطريق أو المسجد وعنده متاعه وهو محرز به وقد ﴿ قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم سارق رداء صفوان من تحت رأسه وهو نائم في المسجد ﴾ وفي المحرز بالمكان لا يعتبر الإحراز بالحافظ في الصحيح لأن الحرز به فوق الحرز بالحافظ لأن الحرز ما يمنع وصول اليد إلى المال وبه امتنع مع اختفائه فيه عن أعينهم فكان الحرز بالحافظ دونه فيكون كالبدل عنه فلا يعتبر حال وجود الأصل حتى لو أذن له في الدخول فيه فسرق منه وصاحبه عنده حاضر لا يقطع لأن الحافظ لا يعتبر مع الحرز بالمكان وذلك قد سقط بالإذن ولو كان باب الدار مفتوحا بالنهار فسرق لا يقطع لأنه مكابرة وليس بسرقة ولو كان في الليل بعد انقطاع انتشار الناس قطع ذكره في شرح المختار وفي المحيط الفشاش وهو الذي يهيئ لغلق الباب ما يفتحه ففش بابا في الدار أو في السوق نهارا وليس في الدار ولا في السوق أحد لم يقطع وإن كان فيها أحد من أهلها وأخذ المتاع وهو لا يعلم به يقطع ومثله في البدائع وأوجب القطع في الهداية في **الخانات** وفي الحوانيت ليلا لا نهارا مطلقا هذا في المفتوحة وفي المغلقة يقطع مطلقا في الأصح والإخراج من الحرز شرط لوجوب القطع في المحرز بالمكان لقيام يده قبله وفي الحافظ يكتفى بمجرد الأخذ لزوال يد المالك به فتتم السرقة ولا فرق بين أن يكون الحافظ مستيقظا أو نائما عنده في الصحيح وإطلاق القدوري بقوله وصاحبه عنده يدل على ذلك وقيل لا يكون محرزا في حال نومه إلا إذا كان تحت جنبه أو تحت رأسه وجه الأول أن المعتبر الإحراز وقد حصل به فإن الناس يعدون النائم عند متاعه حافظا له لا مضيعا ولهذا لا يضمن المودع والمستعير بمثله . قال رحمه الله (ومن سرق من المسجد متاعا وربه عنده قطع) لما روينا وذكرنا من المعنى . قال رحمه الله (وإن سرق ضيف ممن أضافه أو سرق شيئا أو لم يخرجه من الدار لا) أي لا يقطع لأن البيت في حق الضيف لم يبق حرزا لكونه مأذونا له في دخوله فصار بمنزلة أهله والدار بما فيها

---

(١) تبيين الحقائق، ٣/٢٢١

في يد صاحبها في المعنى وهي كلها حرز واحد فلا بد من الإخراج منها ليتحقق الأخذ من كل وجه بخلاف الغصب حيث يجب عليه الضمان بالأخذ وإن لم يخرجه من الدار في الصحيح لأنه يجب مع الشبهة هذا إذا كانت الدار صغيرة لا يستغني أهل البيوت عن الانتفاع بصحنها فإنها حينئذ تكون كلها حرزا واحدا حتى لو أذن له في دخولها فسرق من البيت لا يقطع وإن كانت كبيرة فسرق منها وأخرجه إلى صحنها يقطع وإن لم يخرجه منها على ما يجيء من قريب . قال رحمه الله (وإن أخرجه من حجرة إلى الدار أو أغار من أهل الحجرة على حجرة أو نقب فدخل وألقى شيئا في الطريق ثم أخذه أو حمله على حمار فساقه وأخرجه قطع) لتحقق السرقة في هذه الجملة أما إذا أخرجه من حجرة إلى الدار أي إلى صحنها فلأن الإخراج من الحرز قد تحقق فيترتب عليه موجبه وهذا إذا كانت الدار كبيرة وفيها مقاصير أي حجر ومنازل وفي كل مقصورة مكان يستغني به أهله عن الانتفاع بصحن الدار وإنما ينتفعون به انتفاع السكة فيكون إخراجه إليه كإخراجه إلى السكة لأن كل مقصورة حرز على حدة إذ لكل مقصورة باب وغلق على حدة ومال كل واحد محرز بمقصورته فكانت المنازل بمنزلة دور في محلة وأما إذا أغار من أهل الحجرة على أهل حجرة أخرى فالمراد به إذا كانت الدار كبيرة لأنها بمنزلة المحلة وإن كانت صغيرة بحيث لا يستغني أهل المنازل

." (١)

" وسواء كان عليه دين مستغرق أو لم يكن عليه دين لأن المعتبر جنس ما يجب فيه الزكاة لا قدرها ، ولا شرائطها وتدخل فيه الأراضي العشرية عند أبي يوسف رحمه الله لأنها سبب الصدقة ألا ترى أن مصرفه مصارف الزكاة فكانت جهة الصدقة فيها راجحة وعند محمد رحمه الله لا تدخل لأنها سبب المؤنة ولهذا تجب في أرض الصبي والمكاتب ، وفي أرض لا مالك لها كالأوقاف فكانت جهة المؤنة راجحة عنده . وذكر في النهاية قول أبي حنيفة رحمه الله مع قول محمد رحمه الله قال ذكره التمرتاشي معه ، ولا تدخل الأرض الخراجية لأنها تمحضت مؤنة ، ولا يدخل الرقيق للخدمة ، ولا العقار وأثاث المنازل وثياب البذلة وسلاح الاستعمال ونحو ذلك مما ليس من أموال الزكاة لما ذكرنا ومن مشايخنا من قال في قوله ما أملك أو جميع ما أملك في المساكين صدقة يجب عليه أن يتصدق بجميع ما يملك قياسا واستحسانا وإنما القياس والاستحسان في قوله مالي صدقة أو جميع مالي صدقة لأن الملك أعم من المال ألا ترى أن الملك

---

(١) تبيين الحقائق، ٢٢٢/٣

يطلق على المال وعلى غيره يقال ملك النكاح وملك القصاص وملك المنفعة والمال لا يطلق على ما ليس بمال ، فإذا كان لفظ الملك أعم تناول جميع ما يتصدق به كما لو نص عليه بأن قال كل مال أملكه مما يتصدق به فهو صدقة والصحيح هو الأول لأنهما يستعملان استعمالا واحدا ، فيكون النص الوارد في أحدهما واردا في الأخر فيكون فيه القياس والاستحسان كما في المال ولأن الإنسان عادة يلتزم التصدق بالفاضل على الحاجة فينصرف فيها إلى جنس ما تجب فيه الزكاة ، ثم إذا لم يكن له مال سوى ما دخل تحت الإيجاب يمسك من ذلك قدر قوته ، فإذا أصاب شيئا بعد ذلك تصدق بمثل ما أمسك لأن حاجته مقدمة ، ولو لم يمسك قدر حاجته لتكفف الناس من ساعته وليس من الحكمة أن يتصدق بما عنده ، ثم يتكفف من ساعته ولم يبين في المبسوط قدر ما يمسك لأن ذلك يختلف باختلاف العيال وباختلاف ما يتجدد له من التحصيل فبعض أهل الحرف يحصل لهم كل يوم وبعضهم كل ثلاثة أيام وبعضهم أكثر وبعضهم أقل ، وكذا أهل التجارة وأهل الزرع يتجدد لهم في كل سنة وأهل الغلة في كل شهر عادة وهم الذين لهم دور وحوانيت وخانات يؤجرونها فيمسك أهل كل صنعة قدر ما يكفيه إلى أن يتجدد له حاصله . قال رحمه الله (ومن أوصي إليه ولم يعلم بالوصية فهو وصي بخلاف الوكيل) حتى لو باع الوصي شيئا من التركة قبل العلم بالوصية جاز البيع ، ولو باع الوكيل مال الموكل قبل العلم بالوكالة ، ثم علم لم يجز ، وعن أبي يوسف رحمه الله أنه لا يجوز في الوصية أيضا حتى يعلم لأن كل واحد منهما أنابه إلا أن أحدهما في حالة الحياة والآخر بعد الممات . وجه الأول أن الوصية خلافة لأنه يتصرف بعد انقطاع ولاية الموصي ، فلا يتوقف على العلم كتصرف الوارث وكثبوت الملك له والولاية ألا ترى أن أبا الصغير لو مات وباع الجد ماله من غير علم بموته جاز فكذا هذا أما الوكالة فإثبات ولاية التصرف في ماله وليس باستخلاف لبقاء ولاية الموكل ، فلا يصح بلا علم من يثبت له الولاية كإثبات الولاية بإثبات الملك بالبيع ولأن الموكل قادر فيتصرف بنفسه ، فلا يفوته النظر ، فلا حاجة إلى إثباته بدون العلم بخلاف الميت والإذن بالتجارة للعبد والصغير بمنزلة الوكالة ، فلا تثبت إلا بعد العلم ، ولا يجوز تصرف المأذون له قبله لأن الإذن مأخوذ من الأذان وهو الإعلام ، فلا يتصور بدون العلم . قال رحمه الله (ومن أعلم بالوكالة صح تصرفه) أي إذا وكل رجلا وهو لا يعلم فأعلمه واحد من الناس كان وكيلا وجاز تصرفه سواء أخبره بذلك عدل أو غير عدل صغير أو كبير لأنه من المعاملات

." (١)

"ولو مستغرقا در

قوله (لا تجب زكاته) لعدم كماله أول الحول

قوله (ونصاب الذهب الخ) الذهب هو الحجر الأصفر الرزين مضروبا كان أو غيره وإنما سمي به لكونه ذاهبا بلا بقاء قهستاني والمناسب تقديم الكلام على الفضة اقتداء بكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنها أكثر تداولا ورواجا ألا ترى أن المهر ونصاب السرقة وقيم المستهلكات تقدر بها واعلم أن الدرهم الشرعي أربعة عشر قيراطا والدرهم المتعارف ستة عشر قيراطا وأن زنة الريال بالدراهم المتعارفة تسعة دراهم وقيراط واحد فتكون زنة الريال بالدراهم المتعارفة مائة وخمسة وأربعين قيراطا ويكون مقدار النصاب من الريال تسعة عشر ريالا وثلاثة دراهم متعارفة إلا ثلاثة قراريط وزنة كل واحد من البندقي **والفندقلي** والزنجرلي ثمانية عشر قيراطا فمقدار النصاب منها اثنان وعشرون دينارا وتسعا دينار وزنة المحبوب أربعة عشر قيراطا فيكون النصاب منها ثمانية وعشرين دينارا ونصف دينار ونصف سبع دينار هذا هو المشهور وقيل تعتبر في كل بلدة دراهمهم وأفتى بذلك جماعة من المتأخرين قال في الفتح وهو الحق فعلى هذا يكون النصاب من الدراهم المتعارفة مائتي درهم وعلى الأول مائة وخمسة وسبعين منها كذا حرره بعض المشايخ

قوله (التي كل عشرة منها وزن سبعة مثاقيل) اعلم أن الدراهم كانت في عهد عمر رضي الله عنه مختلفة فمنها عشرة دراهم على وزن عشرة مثاقيل وعشرة على ستة مثاقيل وعشرة على خمسة مثاقيل فأخذ عمر رضي الله عنه من كل نوع ثلثا كي لا تظهر الخصومة في الأخذ والعطاء فثلث عشرة ثلاثة وثلث وثلث ستة اثنان وثلث الخمسة درهم وثلثان فالمجموع سبعة وإن شئت فاجمع المجموع فيكون إحدى وعشرين فثلث المجموع سبعة ولذا كانت الدراهم العشرة وزن سبعة وهذا يجري في الزكاة ونصاب السرقة والمهر وتقدير الديات ا هـ منح

قوله (وما غلب على الغش فكالخالص) لأن الدراهم لا تخلو عن قليل غش لأنها لا تطبع إلا به فجعلنا الغلبة فاصلة نهر ومثلها الذهب وأما ما غلب غشه إن كان ثمنا رائجا اعتبرت قيمته فإن بلغت نصابا وجبت زكاته وإلا لا وإن لم يكن ثمنا رائجا كان في حكم العروض وإن نوى التجارة فيه وإن لم ينوها اعتبر

---

(١) تبيين الحقائق، ٤/٢٠٣

ما يخلص منه فإن بلغ ما يخلص نصابا وجبت وإلا لا هكذا يستفاد من الزيلعي والعيني والنهر وتمام بيانه في كتابة الدر واختلف في الغش المساوي والمختار لزومها احتياطا در

قوله (ولا زكاة في الجواهر واللآلىء) قال في الدر الأصل أن ما عدا الحجرين والسوائم إنما يزكي بنية التجارة عند العقد فلو نوى التجارة بعد العقد أوا شترى شيئا للقنية ناويا أنه إن وجد ربحا باعه لا زكاة عليه ا هـ ملخصا

قوله (على مكيل أو موزون) أي للتجارة

قوله (ورخص) هو ككرم والرخص بالضم ضد الغلاء وبالفتح الشيء الناعم

قوله (غير متلف) لو أتلفه فإنه يضمن لوجود التعدي واستبدال مال التجارة بمال التجارة يعد هلا كلو بغير مال التجارة استهلاكا أفاده في الدر من باب زكاة الغنم

قوله (يسقط الواجب) لتعلقه بالعين لا بالذمة

قوله (وهلاك البعض حصته) أي ويسقط هلاك البعض حصة المالك

قوله (ولا من تركته) أي لعدم النية

قوله (فتكون من ثلثه) إلا أن تجيز الورثة فمن الكل ويعتبر حولها بالأهلة فهو قمري لا شمسي

قوله (ويجيز أبو يوسف الحيلة الخ) قال في البحر إعلم أنه لو وهب النصاب في خلال الحول ثم تم الحول وهو عند الموهوب له ثم رجع للواهب بعد الحول بقضاء أو بغيره فلا زكاة على

." (١)

"ما في غرر الافكار من كتاب الاشربة حيث قال: وهذه الاشربة عند محمد وموافقيه كخمر بلا تفاوت في الاحكام، وبهذا يفتى في زماننا ا هـ.

فقوله بلا تفاوت في الاحكام، يقتضي أنها مغلظة، فتدبر.

قوله: (لا بذرق) بالذال المعجمة أو بالزاي ح عن القاموس.

قوله: (كبط أهلي) أما إن كان يطير ولا يعيش بين الناس فكالحمامة.

بحر عن البزازية وجعله كالحمامة موافق لرواية الكرخي كما يأتي.

قوله: (ودجاج) بتثليث الدال يقع على الذكر الاثنى.

---

(١) حاشية الطحطاوي على المراقي، ص/٤٧١

حلية.

قوله: (فإن مأكولا) كحمام وعصفور.

قوله: (فطاهر) وقيل معفو عنه لو قليلا لعموم البلوى، والاول أشبه، وهو ظاهر البدائع والخانية.

حلية.

قوله: (وإلا فمخفف) أي وإلا يكن مأكولا كالصقر والبازي والحدأة، فهو نجس مخفف عنده، مغلظ عندهما، وهذه رواية الهندواني.

وروى الكرخي أنه طاهر عندهما مغلظ عند محمد، وتمامه في البحر ويأتي.

قوله: (وروث وخثي) قدمنا في فصل البئر أن ا لروث للفرس والبغل والحمار، والخثي بكسر فسكون للبقر والفيل، والبعر للابل والغنم، والخرء للطيور، والنجو للكلب، والعذرة للانسان.

قوله: (أفاد بهما نجاسة خرء كل حيوان) أراد بالنجاسة المغلظة، لان الكلام فيها ولانصراف الاطلاق إليها كما يأتي، ولقوله: وقالا مخففة وأرد بالحيوان ما له روث أو خثي: أي سواء كان مأكولا كالفرس والبقر، أو لا كالحمام، وإلا فخرء الآدمي وسباع البهائم متفق على تغليظه كما في الفتح والبحر وغيرهما، فافهم.

قوله: (وفي الشرنبلالية الخ) عزاه فيها إلى مواهب الرحمن لكن في النكت للعلامة قاسم: إن قول الامام بالتغليظ رجحه في المبسوط وغيره ا ه.

ولذا جرى عليه أصحاب المتون.

قوله: (وطهرهما محمد آخرا) أي في آخر أمره حين دخل الري مع الخليفة

ورأى بلوى الناس من امتلاء الطرق **والخانات** بها، وقاس المشايخ على قوله هذا طين بخارى.

فتح.

قوله: (وبه قال مالك) فيه أن يقول: م ا أكل لحمه فبوله ورجيعه طاهر فقط: فلا يقول بطهارة روث الحمار ط.

قوله: (كما في الظهيرية) ونصها على ما في البحر: وإن أصابه بول الشاة وبول الآدمي تجعل الخفيفة تبعا للغليظة اه.

وظاهر ولو الخفيفة أكثر من الغليظة كما قاله ط.

قلت: لكن في القهستاني: تجمع النجاسة المتفرقة فتجعل الخفيفة غليظة إذا كانت نصفا أو أقل من الغليظة كما في المنية ا ه.

ونحوه ما في القنية: نصف النجاسة الخفيفة ونصف الغليظة يجمعان ا هـ.
ويمكن أن يقال: معنى الاول أنه إذا اختلطت الخفيفة بالغليظة جعلت تبعا للغليظة، فإذا زادت على الدرهم منعت الصلاة، كما لو اختلطت الغليظة بماء طاهر، ومعنى الثاني أنه إذا كان منهما في موضع ولم يبلغ كل منهما بانفراده القدر المانع، فترجع الغليظة لو كانت أكثر أو مساوية للخفيفة، فإذا زاد مجموعهما على الدرهم منع، ولو كانت الخفيفة أكثر ترجحت، فإذا بلغ مجموعهما ربع الثوب منع.
وال‍حاصل أنه إن اختلطا ترجح الغليظة مطلقا، وإلا فإن تساويا أو زادت الغليظة فكذلك، وإلا." [١]
"عليه وينقص من أجر النجار بقدر ما عمل في الدواة.
قوله: (وظاهر التعليل الخ) أي فقول الجوهرة: ما دام يرعى منها شيئا لا مفهوم له.
ورأيت بخط بعض الفضلاء أن مراد الجوهرة تحقيق تسليم نفسه بذلك لا شرط استحقاق الاجر كما فهم المصنف والمتون، والتعليل يفيده اه.
وهو حسن.
قوله: (وبه صرح في العمادية) وهو الموافق لتصريح المتون بأنه يستحق الاجر بتسليم نفسه في المدة وإن لم يعمل.
فرع: أراد رب الغنم أن يزيد فيها ما يطيق الراعي له ذلك لو خاصا، لانه في حق الرعي بمنزلة العبد، وله أن يكلف عبده من الرعي ما يطيق.
تاترخانية.
قوله: (ولا يضمن ما هلك في يده) أي بغير صنعه بالاجماع، وقوله أو بعمله: أي المأذون فيه، فإن أمره بعمل فعمل غيره ضمن ما تولد منه.
تاترخانية.
وفيها: وإذا ساق الراعي الغنم فنطح أو وطئ بعضها بعضا من سوقه، فإن كان الراعي مشتركا ضمن على كل حال، وكذا لو كانت لقوم شتى وهو أجير أحدهم.
وإن كان خاصا: فإن كانت الاغنام لواحد لا ضمان، وإن لاثنين أو ثلاثة ضمن.
وصورة الاجير الخاص في حق الاثنين أو الثلاثة أن يستأجر رجلان أو ثلاثة راعيا شهرا ليرعى غنما لهما أو لهم اه.

---

(١) حاشية رد المحتار، ١/٣٤٦

وقال في الذخيرة: فقد فرق في الاجير الخاص بين أن يكون لواحد أو لغير واحد، يحفظ هذا جدا اه.
قلت: ومفاده أن بين الخاص والواحد عموما مطلقا كما قدمناه.
وفي جامع الفصولين: ولا يضمن لو هلك شئ في سقي أو رعي، ولو ذبحها الراعي أو الاجنبي، ضمن لو رجا حياتها أو أشكل أمرها، ولو تيقن موتها لا للاذن دلالة هو الصحيح، ولا يذبح الحمار ولا البغل إذ لا يصلح لحمهما ولا الفرس عنده لكراهته تحريما، ولو قال ذبحتها لمرضها لم يصدق إن كذبه لاقراره بسبب الضمان ويصدق في الهلاك وإن شرط أن يأتيه بسمة ما هلك اه ملخصا: أي يصدق بيمينه كما في الجوهرة.
قوله: (كالمودع) أي إذا تعمد الفساد فإنه يضمن ط.
قوله: (لكونها أجير وحد) قال أبو السعود: الحاصل أن المسائل في الظئر تعارضت، فمنها ما يدل على أنها في معنى أجير الوحد كقولهم بعدم الضمان في هذه، ومنها ما يدل على أنها في معنى المشترك كقولهم إنها تستحق الاجر على الفريقين إذا أجرت نفسها لهما.
قال الاتقاني: والصحيح أنه إن دفع الولد إليها لترضعهسش فهي أجير مشترك، وإن حملها إلى منزله فهي أجير وحد اه.
ملخصا ط.
مطلب في الحارس والخاناتي قوله: (وكذا لا ضمان على حارس السوق وحافظ الخان) قال في جامع الفصولين: استؤجر." (١)
"ولو مستغرقا در
قوله (لا تجب زكاته) لعدم كماله أول الحول
قوله (ونصاب الذهب الخ) الذهب هو الحجر الأصفر الرزين مضروبا كان أو غيره وإنما سمي به لكونه ذاهبا بلا بقاء قهستاني والمناسب تقديم الكلام على الفضة اقتداء بكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنها أكثر تداولا ورواجا ألا ترى أن المهر ونصاب السرقة وقيم المستهلكات تقدر بها واعلم أن الدرهم الشرعي أربعة عشر قيراطا والدرهم المتعارف ستة عشر قيراطا وأن زنة الريال بالدراهم المتعارفة تسعة دراهم وقيراط واحد فتكون زنة الريال بالدراهم المتعارفة مائة وخمسة وأربعين قيراطا ويكون مقدار النصاب من الريال تسعة عشر ريالا وثلاثة دراهم متعارفة إلا ثلاثة قراريط وزنة كل واحد من البندقي والفندقلي

---

(١) حاشية رد المحتار، ٣٥٦/٦

والزنجرلي ثمانية عشر قيراطا فمقدار النصاب منها اثنان وعشرون دينارا وتسعا دينار وزنة المحبوب أربعة عشر قيراطا فيكون النصاب منها ثمانية وعشرين دينارا ونصف دينار ونصف سبع دينار هذا هو المشهور وقيل تعتبر في كل بلدة دراهمهم وأفتى بذلك جماعة من المتأخرين قال في الفتح وهو الحق فعلى هذا يكون النصاب من الدراهم المتعارفة مائتي درهم وعلى الأول مائة وخمسة وسبعين منها كذا حرره بعض المشايخ

قوله (التي كل عشرة منها وزن سبعة مثاقيل) اعلم أن الدراهم كانت في عهد عمر رضي الله عنه مختلفة فمنها عشرة دراهم على وزن عشرة مثاقيل وعشرة على ستة مثاقيل وعشرة على خمسة مثاقيل فأخذ عمر رضي الله عنه من كل نوع ثلثا كي لا تظهر الخصومة في الأخذ والعطاء فثلث عشرة ثلاثة وثلث وثلث ستة اثنان وثلث الخمسة درهم وثلثان فالمجموع سبعة وإن شئت فاجمع المجموع فيكون إحدى وعشرين فثلث المجموع سبعة ولذا كانت الدراهم العشرة وزن سبعة وهذا يجري في الزكاة ونصاب السرقة والمهر وتقدير الديات ا هـ منح

قوله (وما غلب على الغش فكالخالص) لأن الدراهم لا تخلو عن قليل غش لأنها لا تطبع إلا به فجعلنا الغلبة فاصلة نهر ومثلها الذهب وأما ما غلب غشه إن كان ثمنا رائجا اعتبرت قيمته فإن بلغت نصابا وجبت زكاته وإلا لا وإن لم يكن ثمنا رائجا كان في حكم العروض وإن نوى التجارة فيه وإن لم ينوها اعتبر ما يخلص منه فإن بلغ ما يخلص نصابا وجبت وإلا لا هكذا يستفاد من الزيلعي والعيني والنهر وتمام بيانه في كتابة الدر واختلف في الغش المساوي والمختار لزومها احتياطا در

قوله (ولا زكاة في الجواهر واللآلىء) قال في الدر الأصل أن ما عدا الحجرين والسوائم إنما يزكي بنية التجارة عند العقد فلو نوى التجارة بعد العقد أوا شترى شيئا للقنية ناويا أنه إن وجد ربحا باعه لا زكاة عليه ا هـ ملخصا

قوله (على مكيل أو موزون) أي للتجارة

قوله (ورخص) هو ككرم والرخص بالضم ضد الغلاء وبالفتح الشيء الناعم

قوله (غير متلف) لو أتلفه فإنه يضمن لوجود التعدي واستبدال مال التجارة بمال التجارة يعد هلا كلو بغير مال التجارة استهلاكا أفاده في الدر من باب زكاة الغنم

قوله (يسقط الواجب) لتعلقه بالعين لا بالذمة

قوله (وهلاك البعض حصته) أي ويسقط هلاك البعض حصة المالك

قوله (ولا من تركته) أي لعدم النية

قوله (فتكون من ثلثه) إلا أن تجيز الورثة فمن الكل ويعتبر حولها بالأهلة فهو قمري لا شمسي

قوله (ويجيز أبو يوسف الحيلة الخ) قال في البحر إعلم أنه لو وهب النصاب في خلال الحول ثم تم الحول وهو عند الموهوب له ثم رجع للواهب بعد الحول بقضاء أو بغيره فلا زكاة على

". (١)

"وإن أحرز المسروق أو المغصوب فسرقه أجنبي لم يقطع لأنه حرز لم يرضه مالكه وإن غصب دارا فأحرز فيها متاعه لم يقطع سارقه لأنه لا حكم لحرزه حيث كان متعديا به ظالما فيه وإن سرق المعير من الدار المستعارة أو المؤجر من الدار المستأجرة شيئا قطع لأنه محرز عنه فأشبه الأجنبي فصل السادس أن يسرق من حرز لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا من مزينة سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الثمار فقال ما أخذ في أكمامه فاحتمل ففيه قيمته ومثله معه وما كان في الجران ففيه القطع إذا بلغ ثمن المجن رواه أبو داود ويعتبر الحرز بما يتعارفه الناس فما عدوه حرزا فهو حرز وما لا فلا لأن الشرع لما اعتبر الحرز ولم يبينه علمنا أنه رده إلى العرف كالقبض والتفرق وإحياء الموات هذا ظاهر قول أصحابنا واليه ذهب ابن حامد والقاضي وذكر أبو بكر كلاما يدل على أن الإحراز لا يختلف فقال إذا أفرد الشيء في المدك فهو محرز والعمل على الأول فحرز الأثمان والجواهر ونحوها في **الخانات** الحريزة والدور في العمران دونها الأغلاق والأقفال أو حافظ مستقيظ أو حمل صاحبها لها معه على ما جرت به العادة في جيبه أو كمه أو وسطه أو معضدته ونحو ذلك ونقل حنبل عن أحمد في الذي يأخذ من جيب الرجل أو كمه لا قطع عليه

". (٢)

"وهذا محمول على من اختلس دون من سرق لأنه قد بينه في رواية ابن منصور فقال الطرار يقطع إذا كان يطر سرا وإن اختلس لم يقطع فأما الجواسق في البساتين **والخانات** في البرية فإن كانت مغلقة وفيها حافظ فهي حرز نائما كان أو يقظان وإن كانت مفتوحة فلا تكون حرزا إلا أن يكون الحافظ يقظان وإن

---

(١) حاشية على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، ص/٤٧١

(٢) الكافي في فقه ابن حنبل، ٤/١٨٢

لم يكن فيها حافظ فليست حرزا بحال لأن المال لا يحرز فيها من غير حافظ والخيمة والخركاة المنصوبة كالجواسق فيما ذكرنا ويقطع سارقها متى كان فيها حافظ وإن كان نائما لأنها تحرز بهذا وحرز متاع الباعة من العطارين وغيرهم بالدكاكين في الأسواق وراء الأغلاق والأقفال وإن كانت مفتوحة فبحافظ يقظان وحرز قدور الباقلا في الدكاكين وشرايح القصب وما جرت العادة بإحرازها به وحرز باب الدار والدكان نصبه في موضعه وحرز حلقة الباب تسميرها فيه وحرز آخر الحائط وحجارته كونه مبنيا في الحائط وحرز الخشب والحطب بالحظائر وتعبيه بعضه فوق بعض مقيد فوقه بحيث يعسر أخذ شيء منه وإن كان في **فندق** مغلق أو فيه حافظ فهو محرزه وإن لم يقيد وحرز متاع الباعة وأشباههم كونه بين أيديهم لأنه محفوظ بذلك فإن نام عنه أو اشتغل أو جعله خلفه بحيث تناله اليد خرج عن الحرز لأنه غير محفوظ وإن نام إنسان على ثوبه أو متاعه فقد أحرزه لما روى صفوان

". (١)

"٦٦- أخبرني منصور بن الوليد أن جعفر بن محمد حدثهم قال:

#٣٥# سمعت أبا عبد الله يسئل عن الرجل يتخذ وسط داره مسجدا أله أن يهدمه؟

قال: إذا دعا الناس إليه فليس له أن يهدمه.

قلت له: هذه المساجد التي في **الخانات؟**

قال: كل مسجد يؤذن فيه ويدعى الناس إليه فهو مسجد.." (٢)

"٦٨- أخبرني أحمد بن محمد الوراق حدثنا محمد بن حاتم بن نعيم حدثنا علي بن سعيد أنه قال لأبي عبد الله:

إن بنى مسجدا في الشارع فلما فرغ من بنائه بدا له في ذلك وأراد أن يحوله إلى داره ويجعله بيتا؟

قال: لا أرى له أن يفعل ذلك بعد ما بناه مسجدا.

قلت له: وإن لم يكن صلى فيه؟

قال: وإن لم يكن صلى فيه.

---

(١) الكافي في فقه ابن حنبل، ٤/١٨٣

(٢) الوقوف والترجل من مسائل الإمام أحمد، ص/٣٤

قلت: فهذه المساجد التي في **الخانات** تجمع فيها الصلاة تكون ميراثا من صاحب الخان؟

قال: كيف يكون ميراثا مسجد قد أقيمت فيه الصلاة ودعى إليه الجماعة؟!.." [1]

"* ولا يجوز الإسراف في وليمة العرس كما يفعل الآن من ذبح الأغنام الكثيرة والإبل وتكثير الطعام على وجه البذخ والإسراف ثم لا تؤكل ، بل يكون مآل تلك الأطعمة واللحوم إلقاؤها في الزبالات وإهدارها ؛ فهذا مما تنهى عنه الشريعة ، ولا تستسيغه العقول السليمة ، ويخشى على فاعله ومن رضي به من العقوبة وزوال النعمة ، إضافة إلى ما يصحب تلك الولائم الفخمة من أشر وبطر واجتماعات لا تسلم في الغالب من المنكرات ، وقد تقام هذه الولائم في **الفنادق** ، ويحصل فيها من تساهل النساء بالستر والاحتشام واختلاط الرجال بهن ما يخشى من عواقبه الوخيمة ، وقد يتخلل تلك الاحتفالات أغان ومزامير ، ويجلب لها المطربون الفسقة والمصورون الظلمة الذين يصورون النساء ويصورون العريسين ، وتهدر في هذه الحفلات أموال كثيرة من غير فائدة ، بل على سبيل الفساد والإفساد ، فليتق الله من يعملون هذه الأعمال ، وليخشوا من عقوبته ؛ قال تعالى : وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها وقال تعالى : وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين وقال تعالى : كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين والآيات في هذا كثيرة معلومة .

ويجب على من دعي لحضور وليمة العرس أن يجيب الدعوة إذا توفرت فيها هذه الشروط

الشرط الأول : أن تكون هي الوليمة الأولى ، فإن تكرر إقامة الولائم لهذه المناسبة ؛ لم يجب عليه حضور ما زاد على الأول ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : الوليمة أول يوم حق ، والثاني معروف ، والثالث رياء وسمعة رواه أبو داود وغيره .

وقال الشيخ تقي الدين : " يحرم الأكل والذبح الزائد على المعتاد في بقية الأيام ، ولو العادة فعله ، أو لتفريح أهله ، ويعزر إن عاد " .

الشرط الثاني : أن يكون الداعي مسلما .

الشرط الثالث : أن يكون الداعي من غير العصاة المجاهرين بالمعصية الذين يجب هجرهم .." [2]

"ومن مر بثمر بستان في شجره ، أو متساقط عنه ، ولا حائط عليه ، ولا ناظر ؛ فله الأكل منه مجانا من غير حمل ، روي ذلك عن ابن عباس وأنس بن مالك وغيرهم ، وليس له صعود شجرة ، ولا رميها بشيء

---

(١) الوقوف والترجل من مسائل الإمام أحمد، ص/٣٥

(٢) الملخص الفقهي وكتب أخرى، ٢٨/١٠

، ولا الأكل من ثمر مجموع ؛ إلا لضرورة .

فتلخص أن للمار بالبستان أن يأكل من ثمره بشروط :

الأول: أن يكون لا حائط عليه وليس عنده حارس .

الثاني: أن يكون الثمر على الشجر أو متساقطا عنه لا مجموعا .

الثالث: أن لا يحتاج إلى صعود الشجر ، بل يتناوله من غير صعود .

الرابع: أن لا يحمل معه منه شيء .

الخامس: يشترط عند الجمهور أن يكون محتاجا .

فإن اختل شرط من هذه الشروط ؛ لم يجز له الأكل .

وتجب على المسلم ضيافة المسلم المجتاز به في القرى يوما وليلة ، أما المدن ؛ فلا تجب فيها الضيافة ؛ لأنه يجد فيها المطاعم **والفنادق** ؛ فلا يحتاج إلى الضيافة ؛ بخلاف القرى والبوادي .

ودليل وجوب الضيافة في الحالة المذكورة قوله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه . قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؛ قال : يومه وليلته متفق عليه ، فدل الحديث على وجوب الضيافة ؛ لقوله : من كان يؤمن بالله ... إلخ ، وتعليق الإيمان بإكرام الضيف يدل على وجوبه ، وفي الصحيحين : إن نزلتم بقوم ، فأمروا لكم بما ينبغي للضيف ؛ فاقبلوا ، وإن لم يفعلوا ؛ فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي له." (١)

" فصل : وإذا غصب أرضا فحكمها في جواز دخول غيره إليها

فصل : وإذا غصب أرضا فحكمها في جواز دخول غيره إليها حكمها قبل الغصب فإن كانت محوطة كالدار والبستان المحوط لم يجز لغير مالكها دخولها لأن ملك مالكها لم يزل عنها فلم يجز دخولها بغير إذنه كما لو كانت في يده قال أحمد : في الضيعة تصير غيضة فيها سمك لا يصيد فيها أحد إلا بإذنهم وإن كانت صحراء جاز الدخول فيها ورعي حشيشها قال أحمد : لا بأس برعي الكلأ في الأرض المغصوبة وذلك لأن الكلأ لا يملك بملك الأرض ويتخرج في كل واحدة من الصورتين مثل حكم الأخرى قياسا لها عليها ونقل عنه المروذي في رجل والداه في دار طوابيقها غصب لا يدخل على والديه وذلك لأن دخوله عليهما تصرف في الطوابيق المغصوبة ونقل عنه الفضل بن عبد الصمد في رجل له إخوة في أرض غصب يزورهم ويراودهم على الخروج فإن أجابوه وإلا لم يقم معهم ولا يدع زيارتهم يعني يزورهم بحيث يأتي باب

---

(١) الملخص الفقهي وكتب أخرى، ٦/١٤

دارهم ويتعرف أخبارهم ويسلم عليهم ويكلمهم ولا يدخل إليهم ونقل المروذي عنه أكره المشي على العبارة التي يجري فيها الماء وذلك لأن العبارة وضعت لعبور الماء لا للمشي عليها وربما كان المشي عليها يضر بها وقال أحمد : لا يدفن في الأرض المغصوبة لما في ذلك من التصرف في أرضهم بغير إذنهم وقال أحمد فيمن ابتاع طعاما من موضع غصب ثم علم رجع إلى الموضع الذي أخذه منه فرده وروي عنه أنه قال : يطرحه يعني على من ابتاعه منه وذلك لأن قعوده فيه حرام منهي عنه فكان البيع فيه محرما ولأن الشراء ممن يقعد في الموضع المحرم يحملهم على العقود والبيع فيه وترك الشراء منهم يمنع القعود وقال : لا يبتاع من **الخانات** التي في الطرق إلا أن لا يجد غيره كأنه بمنزلة المضطر وقال في السلطان : إذا بنى دارا وجمع الناس إليها أكره الشراء منها وهذا إن شاء الله تعالى على سبيل الورع لما فيه من الإعانة على الفعل المحرم والظاهر صحة البيع لأنه إذا صحت الصلاة في الدار المغصوبة في رواية وهي عبادة فما ليس بعبادة أولى وقال فيمن غصب ضيعة وغصبت من الغاصب فأراد الثاني ردها جمع بينهما يعني بين مالكها والغاصب الأول وإن مات بعضهم جمع ورثته إنما قال : هذا إحتياطا خوف التبعة من الغاصب الأول لأنه ربما طالب بها وادعاها ملكا باليد وإلا فالواجب ردها على مالكها وقد صرح بهذا في رواية عبد الله في رجل استودع رجلا ألفا فجاء رجل إلى المستودع فقال : إن فلانا غصبني الألف الذي استودعكه وصح ذلك عند المستودع فإن لم يخف التبعة وهو أن يرجعوا به عليه دفعه إليه ." (١)

" فصول : في سرقات مختلفة وأحكامها

فصل : والخيمة والخركاه إن نصبت وكان فيها أحد نائما أو منتبها فهي محرزة وما فيها لأنها هكذا تحرز في العادة وان لم يكن فيها أحد ولا عندها حافظ فلا قطع على سارقها وممن أوجب القطع في السرقة من الفسطاط الثوري و الشافعي و اسحاق وأصحاب الرأي إلا أن أصحاب الرأي قالوا : يقطع السارق من الفسطاط دون سارق الفسطاط ولنا أنه محرز بما جرت به العادة أشبه ما فيه

فصل : وحرز البقل وقدور الباقلاء ونحوها بالشرائح من القصب أو الخشب إذا كان في السوق حارس وحرز الخشب والحطب والقصب في الحظائر وتعبئة بعضه على بعض وتقليده بقيد بحيث يعسر أخذ شيء منه على ما جرت به العادة إلا أن يكون في **فندق** مغلق عليه فيكون محرزا وإن لم يقيد

فصل : والإبل على ثلاثة أضرب : باركة وراعية وسائرة فأما الباركة فإن كان معها حافظ لها وهي معقولة فهي محرزة وإن لم تكن معقولة وكان الحافظ ناظرا إليها أو مستيقظا بحيث يراها فهي محرزة وإن

---

(١) المغني، ٣٩٥/٥

كان نائما أو مشغولا عنها فليست محرزة لأن العادة أن الرعاة إذا أرادوا النوم عقلوا إبلهم ولأن حل المعقولة ينبه النائم والمشتغل وإن كان لم يكن معها أحد فهي غير محرزة سواء كانت معقولة أو لم تكن وأما الراعية فحرزها بنظر الراعي إليها فما غاب عن نظره أو نام عنه فليس بمحرز لأن الراعية إنما تحرز بالراعي ونظره وأما السائرة فان كان معها من يسوقها فحرزها نظره إليها سواء كانت مقطرة أو غير مقطرة وما كان منها بحيث لا يراه فليس بمحرز وإن كان معها قائد فحرزها ان يكثر الالتفات اليها والمراعاة لها ويكون بحيث يراها إذا التفت وبهذا قال الشافعي وقال أبو حنيفة : لا يحرز القائد إلا التي زمامها بيده رأنه يوليها ظهره ولا يراها إلا نادرا فيمكن أخذها من حيث لا يشعر

ولنا أن العادة في حفظ الابل المقطرة بمراعاتها بالالتفات وامساك زمام الاول فكان ذلك حرزا لها كالتي زمامها في يده فان سرق من احمال الجمال السائرة المحرزة متاعا قيمته نصاب قطع وكذلك إن سرق الجمل وإن سرق الجمل بما عليه وصاحبه نائم عليه لم يقطع لأنه في يد صاحبه وان لم يكن صاحبه نائما عليه قطع وبهذا قال الشافعي وقال أبو حنيفة : لا قطع عليه لأن ما في الجمل محرز به فاذا أخذ جميعه لم يهتك حرز المتاع فصار كما لو سرق أجزاء الحرز

ولنا ان الجمل محرز بصاحبه ولهذا لو لم يكن محرزا فقد سرقه من حرز مثله فاشبه ما لو سرق المتاع ولا نسلم أن سرقة الحرز من حرزه لا توجب القطع فانه لو سرق الصندوق بما فيه من بيت هو محرز فيه وجب قطعه وهذا التفصيل في الابل التي في الصحراء فأما التي في البيوت والمكان المحصن على الوجه الذي ذكرناه في الثياب فهي محرزة والحكم في سائر المواشي كالحكم في الابل على ما ذكرناه من التفصيل فيها

فصل : وإذا سرق من الحمام ولا حافظ فيه فلا قطع عليه في قول عامتهم وإن كان ثم حافظ فقال أحمد : ليس على سارق الحمام قطع وقال في رواية ابن منصور : لا يقطع سارق الحمام إلا أن يكون على المتاع قاعد مثل ما صنع بصفوان وهذا قول أبي حنيفة لأنه مأذون للناس في دخوله فجرى مجرى سرقة الضيف من البيت المأذون له في دخوله ولأن دخول الناس إليه يكثر فلا يتمكن الحافظ من حفظ ما فيه قال القاضي : وفيه رواية أخرى أنه يجب القطع إذا كان فيه حافظ وهو قول مالك و الشافعي و اسحاق و أبي ثور و ابن المنذر لأنه متاع له حافظ فيجب قطع سارقه كما لو كان في بيت والاول أصح وهذا يفارق ما في البيت من الوجهين الذين ذكرناهما فاما ان كان صاحب الثياب قاعدا عليها أو متوسدا لها أو جالسا وهي بين يديه يحفظها قطع سارقها بكل حال كما قطع سارق رداء صفوان من المسجد وهو متوسد له

وكذلك إن كان نائب صاحب الثياب إما الحمامي وإما غيره حافظا لها على هذا الوجه قطع سارقها لانها محرزة وإن لم تكن كذلك فقال القاضي : إن نزع الداخل ثيابه على ما جرت به العادة ولم يستحفظها لأحد فلا قطع على سارقها ولا غرم على الحمامي لانه غير مودع فيضمن ولا هي محرزة فيقطع سارقها وإن استحفظها الحمامي فهو مودع يلزمه مراعاتها بالنظر والحفظ فان تشاغل عنها أو ترك النظر اليها فسرقت فعليه الغرم لتفريطه ولا قطع على السارق لأنه لم يسرق من حرز وان تعاهدها الحمامي بالحفظ والنظر فسرقت فلا غرم عليه لعدم تفريطه وعلى السارق القطع لانها محرزة وهذا مذهب الشافعي وظاهر مذهب احمد انه لا قطع عليه في هذه الصورة لما تقدم قال ابن المنذر : قال أحمد : أرجو أن لا قطع عليه لأنه مأذون للناس في دخوله ولو استحفظ رجل آخر متاعه في المسجد فسرق فان كان قد فرط في مراعاته ونظره اليه فعليه الغرم إذا كان التزم حفظه واجابه الى ما سأله وإن لم يجبه لكن سكت لم يلزمه غرم لانه ما قبل الاستيداع ولا قبض المتاع ولا قطع على السارق في الموضعين لأنه غير محرز وان حفظ المتاع بنظره اليه وقربه منه فسرق فلا ظلم عليه وعلى السارق القطع لانه سرق من حرز ويفارق المتاع في الحمام فان الحفظ فيه غير ممكن لأن الناس يضع بعضهم ثيابه عند ثياب بعض ويشتبه على الحمامي صاحب الثياب فلا يمكنه منع أخذها لعدم علمه بمالكها

فصل : وحرز حائط الدار كونه مبنيا فيها اذا كانت في العمران أو كانت في الصحراء وفيها حافظ فان أخذ من أجزاء الحائط أو خشبه نصابا في هذه الحال وجب قطعه لأن الحائط حرز لغيره فيكون حرزا لنفسه وان هدم الحائط ولم يأخذه فلا قطع عليه فيه كما لو أتلف المتاع في الحرز ولم يسرقه فإن كانت الدار بحيث لا تكون حرزا لما فيها كدار في الصحراء لا حافظ فيها فلا قطع على من أخذ من حائطها شيئا لأنها إذا لم تكن حرزا لما فيها فلنفسها أولى وأما باب الدار فان كان منصوبا في مكانه فهو محرز سواء كان مغلقا أو مفتوحا لأنه هكذا يحفظ وعلى سارقه القطع إذا كانت الدار محرزة بما ذكرناه وأما أبواب الخزائن في الدار فان كان باب الدار مغلقا فهي محرزة سواء كانت مفتوحة أو مغلقة وإن كان مفتوحا لم تكن محرزا إلا أن تكون مغلقة أو يكون في الدار حافظ والفرق بين باب الدار وباب الخزانة أن أبواب الخزائن تحرز بباب الدار وباب الدار لا يحرز إلا بنصبه ولا يحرز بغيره وأما حلقة الباب فان كانت مسمورة فهي محرزة وإلا فلا لأنها تحرز بتسميرها

فصل : وان سرق باب مسجد منصوبا أو باب الكعبة المنصوب أو سرق من سقفه شيئا أو تأزيره ففيه وجهان :

أحدهما : عليه القطع وهو مذهب الشافعي وأبو القاسم صاحب مالك و أبي ثور و ابن المنذر لأنه سرق نصابا محرزا بحرز مثله لا شبهة له فيه فلزمه القطع كباب بيت الآدمي

والثاني : لا قطع عليه وهو قول أصحاب الرأي لانه لا مالك له من المخلوقين فلا يقطع فيه كحصر المسجد وقناديله فانه لا يقطع بسرقة ذلك وجها واحدا لكونه مما ينتفع به فيكون له فيه شبهة فلم يقطع به كالسرقة من بيت المال وقال أحمد : لا يقطع بسرقة ستارة الكعبة الخارجة منها وقال القاصي : هذا محمول على ما ليست بمخيطة لأنها إنما تحرز بخياطتها وقال أبو حنيفة : لا قطع فيها بحال لما ذكرنا في الباب

فصل : واذا أجر داره ثم سرق منها مال المستأجر فعليه القطع وبهذا قال الشافعي و أبو حنيفة وقال صاحباه : لا قطع عليه لأن المنفعة بحدث في ملك الآجر ثم تنتقل إلى المستأجر

ولنا أنه هتك حرزا وسرق منه نصابا لا شبهة له فوجب القطع كما لو سرق من ملك المستأجر وما قالاه لا نسلمه ولو استعار دارا فنقبها المعير وسرق مال المستعير منها قطع أيضا وبهذا قال الشافعي في أحد الوجهين وقال أبو حنيفة : لا قطع عليه لأن المنفعة ملك له فما هتك حرز غيره ولأن له الرجوع متى شاء وهذا يكون رجوعا

ولنا ما تقدم في التي قبلها ولا يصح ما ذكره لأن هذا قد صار حرزا لمال غيره لا يجوز له الدخول اليه وإنما يجوز له الرجوع في العارية والمطالبة برده اليه

فصل : وان غصب بيتا فأحرزه فيه ماله فسرقه منه أجنبي أو المغصوب منه فلا قطع عليه لأنه لا حكم بحرزه إذا كان متعديا به ظالما فيه

فصل : واذا سرق الضيف من مال مضيفه شيئا نظرت فان سرقه من الموضع الذي انزله فيه أو موضعه لم يحرزه عنه لم يقطع لأنه لم يسرق من حرزه وإن سرق من موضع محرز دونه نظرت فان كان منعه قراه فسرق بقدره فلا قطع عليه أيضا وإن لم يمنعه قراه فعليه القطع وقد روي عن أحمد أنه لا قطع على الضيف وهو محمول على احدى الحالتين الاوليين وقال أبو حنيفة : لا قطع عليه بحال لأن المضيف بسطه في بيته وماله فأشبه ابنه

ولنا أنه سرق مالا محرزا عنه لا شبهة له فيه فلزمه القطع كالاجنبي وقوله انه بسطه فيه لا يصح فانه احرز عنه هذا المال ولم يبسطه فيه وتبسطه في غيره لا يوجب تبسطه فيه كما لو تصدق على مسكين

بصدقة أو أهدى الى صديقه هدية فانه لا يسقط عنه القطع بالسرقة من غير ما تصدق به عليه أو أهدى اليه

فصل : وإذا أحرز المضارب مال المضاربة أو الوديعة أو العارية أو المال الذي وكل فيه فسرقه أجنبي فعليه القطع لا نعلم فيه مخالفا لأنه ينوب مناب المالك في حفظ المال وإحرازه ويده كيده وان غصب عينا وأحرزها أو سرقها وأحرزها فسرقها سارق فلا قطع عليه وقال مالك : عليه القطع لأنه سرق نصابا من حرز مثله لا شبهة له فيه و للشافعي قولان كالمذهبين وقال أبو حنيفة كقولنا في السارق وكقولهم في الغاصب

ولنا أنه لم يسرق المال من مالكه ولا ممن يقوم مقامه فأشبه ما لو وجده ضائعا فأخذه وفارق السارق من المالك أو نائبه فانه أزال يده وسرق من من حرزه

فصل : وان سرق نصابا أو غصبه فأحرزه فجاء المالك فهتك الحرز وأخذ ماله فلا قطع عليه عند أحد سواء أخذه سرقة أو غيرها لأنه أخذ ماله ففيه وجهان :

أحدهما : لا قطع فيه لأن له شبهة في هتك الحرز وأخذ ماله فصار كالسارق من غير حرز ولأن له شبهة في أخذ قدر ماله لذهاب بعض العلماء إلى جواز أخذ الانسان قدر دينه من مال من هو عليه

والثاني : عليه القطع لأنه سرق نصابا من حرزه لا شبهة له فيه وإنما يجوز له أخذ قدر ماله إذا عجز عن أخذ ماله وهذا أمكنه أخذ ماله فلم يجز له أخذ غيره وكذلك الحكم إذا أخذ ماله وأخذ من غيره نصابا متميزا عن ماله فان كان مختلطا بماله غير متميز منه فلا قطع عليه لأنه أخذ ماله الذي له أخذه وحصل غيره مأخوذا ضرورة أخذه فيجب أن لا يقطع فيه ولأن له في أخذه شبهة والحد يدرأ بالشبهات فأما إن سرق منه مالا آخر من غير الحرز الذي فيه ماله أو كان له دين على إنسان فسرق من ماله قدر دينه من حرزه نظرت فإن كان الغاصب أو الغريم باذلا لما عليه غير ممتنع من أدائه أو قدر المالك على أخذ ماله فتركه وسرق مال الغاصب أو الغريم فعليه القطع لأنه لا شبهة له فيه وإن عجز عن استيفاء دينه أو أرش جنايته فسرق قدر دينه أو حقه فلا قطع عليه وقال القاضي : عليه القطع بناء على أصلنا في أنه ليس له أخذ قدر دينه

ولنا أن هذا مختلف في حله فلم يجب الحد به كما لو وطىء في نكاح مختلف في صحته وتحريم الأخذ لا يمنع الشبهة الناشئة عن الاختلاف والحدود تدرأ بالشبهات فان سرق أكثر من دينه فهو كالمغصوب منه إذا سرق أكثر من ماله على ما مضى

فصل : ولا بد من إخراج المتاع من الحرز لما قدمنا من الإجماع على اشتراطه فمتى أخرجه من الحرز وجب عليه القطع سواء حمله إلى منزله أو تركه خارجا من الحرز وسواء أخرجه لأن حمله أو رمى به إلى خارج الحرز أو شد فيه حبلا ثم خرج فمده به أو شده على بهيمة ثم ساقها به حتى أخرجها أو تركه في نهر جار فخرج به ففي هذا كله يجب القطع لأنه هو المخرج له إما بنفسه وإما بآلته فوجب عليه القطع كما لو حمله فأخرجه وسواء دخل الحرز فأخرجه أو نقبه ثم أدخل اليه يده أو عصا لها شجنة فاجتذبه بها وبهذا قال الشافعي وقال أبو حنيفة : لا قطع عليه إلا أن يكون البيت صغيرا لا يمكنه دخوله لأنه لم يهتك الحرز بما أمكنه فأشبه المختلس

ولنا أنه سرق نصابا من حرز مثله لا شبهة له فيه وهو من أهل القطع فوجب عليه كما لو كان البيت ضيقا ويخالف المختلس فإنه لم يهتك الحرز وان رمى المتاع فأطارته الريح فأخرجته فعليه القطع لأنه متى كان ابتداء الفعل منه لم يؤثر فعل الريح كما لو رمى صيدا فأعانت الريح السهم حتى قتل الصيد حل ولو رمى الجمار فأعانتها الريح حتى وقعت في المرمى احتسب به وصار هذا كما لو ترك المتاع في الماء فجرى به فأخرجه ولو أمر صبيا لا يميز فأخرج المتاع وجب عليه القطع لأنه آلة له فأما إن ترك المتاع على دابة فخرجت بنفسها من غير سوقها أو ترك المتاع في ماء راكد فانفتح فخرج المتاع أو على حائط في الدار فأطارته الريح ففي ذلك وجهان :

أحدهما : عليه القطع لأن فعله سبب خروجه فأشبه ما لو ساق البهيمة أو فتح الماء وحلق الثوب في الهواء والثاني لا قطع عليه لأن الماء لم يكن آلة للاخراج وإنما خرج المتاع بسبب حادث من غير فعله والبهيمة لها اختيار لنفسها

فصل : وإذا أخرج المتاع من بيت في الدار أو الخان إلى الصحن فان كان باب البيت مغلقا ففتحه أو نقبه فقد أخرج المتاع من الحرز وإن لم يكن مغلقا فما أخرجه من الحرز وقد قال أحمد : إذا أخرج المتاع من البيت إلى الدار يقطع وهو محمول على الصورة الأولى

فصل : قال أحمد : الطرار سرا يقطع وإن اختلس لم يقطع ومعنى الطرار الذي يسرق من جيب الرجل أو كمه أو صفنه وسواء بط ما أخذ منه المسروق أو قطع الصفن فأخذه أو أدخل يده في الجيب فأخذ ما فيه فان عليه القطع وروي عن أحمد في الذي يأخذ من جيب الرجل وكمه لا قطع عليه فيكون في ذلك روايتان

فصل : وإذا دخل السارق حرزا فاحتلب لبنا من ماشية وأخرجه فعليه القطع وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة : لا قطع عليه لأنه من الاشياء الرطبة وقد مضى الكلام معه في هذا وان شربه في الحرز أو شرب منه ما ينقص النصاب فلا قطع عليه لأنه لم يخرج من الحرز نصابا وإن ذبح الشاة في الحرز أو شق الثوب ثم أخرجهما وقيمتهما بعد الشق والذبح نصاب فعليه القطع وبه قال الشافعي و قال أبو حنيفة : لا قطع عليه في الشاة لأن اللحم لا يقطع عنده بسرقته والثوب إن شق أكثره فلا قطع فيه لأن صاحبه مخير بين أن يضمنه قيمة جميعه فيكون قد أخرجه وهو ملك له وقد تقدم الكلام معه في هذه الأصول وإن دخل الحرز فابتلع جوهرة وخرج فلم تخرج فلا قطع عليه لأنه اتلفها في الحرز وان خرجت ففيه وجهان :

أحدهما : يجب لأنه اخرجها في وعائها فأشبه إخراجها في كمه والثاني لا يجب لأنه ضمنها بالبلع فكان إتلافا لها ولأنه ملجأ الى إخراجها لأنه لا يمكنه الخروج بدونها وإن تطيب في الحرز بطيب وخرج ولم يبقى عليه من الطيب ما إذا جمع كان نصابا فلا قطع عليه لأن ما لا يجتمع قد أتلفه باستعماله فأشبه ما لو أكل الطعام وان كان يبلغ نصابا فعليه القطع لأنه أخرج نصابا وذكر فيه وجه آخر فيما إذا كان ما تطيب به يبلغ نصابا فعليه القطع وان نقص ما يجتمع عن النصاب لأنه أخرج نصابا والأول أولى وإن جر خشبة فألقاها بعد أن أخرج بعضها من الحرز فلا قطع عليه سواء خرج منها ما يساوي نصابا أو لم يكن لأن بعضها لا ينفرد عن بعض وكذلك لو أمسك الغاصب طرف عمامته والطرف الآخر في يد مالكها لم يضمنها وكذلك إذا سرق ثوبا أو عمامة فأخرج بعضهما

فصل : وإذا نقب الحرز ثم دخل فأخرج ما دون النصاب ثم دخل فأخرج ما يتم به النصاب نظرت فان كان في وقتين متباعدين أو ليلتين لم يجب القطع لأن كل واحدة منهما سرقة مفردة لا تبلغ نصابا وكذلك إن كانا في ليلة واحدة وبينهما مدة طويلة وإن تقاربا وجب قطعه لأنها سرقة واحدة وإذا بني فعل أحد الشريكين على فعل شريكه فبناء فعل الواحد بعضه على بعض أولى

الشرط الخامس والسادس والسابع : كون السارق مكلفا وثبتت السرقة ويطالب بها المالك بالمعروف وتنتفي الشبهات ويذكر ذلك في مواضعه ." (١)

"& باب القسمة &

---

(١) المغني، ٢٤٨/١٠

لا يجوز قسمة الأملاك التي لا تنقسم إلا بضرر أو رد عوض إلا بتراضي الشركاء مثل الحمام والدور الصغار والإرض التي لا تتعدل بأجر ولا قيمة لبناء أو بئر في بعضها ونحو ذلك وهذه القسمة في حكم البيع لا يجوز فيها إلا ما يجوز فيه

فأما مالا ضرر فيه ولا رد عوض في قسمته كالقرية والبستان أو الدار الكبيرة والأرض أو الدكان الواسعة والمكيل والموزون من جنس من مثل الدبس وخل التمر وخل العنب والأدهان والألبان ونحوها إذا طلب الشريك قسمته أجبر الآخر عليها وهذه القسمة إقرار لا بيع في ظاهر المذهب فيجوز قسمة الوقف من ذلك وما بعضه وقف

ويجوز قسمة ثمر الشجر الذي يخرص خرصا وقسمة ما يؤكل وزنا وما يوزن كيلا وأن يتفرقا في قسمة ذلك قبل القبض

وإذا حلف لا يبيع فقسم لم يحنث وحكى عن ابن بطة كونها كالبيع فتنعكس هذه الأحكام وعلى الوجهين تفسخ بالعيب ولاتوجب الشفعة وما بعضه وقف ولا تتعدل إلا برد عوض من أهل الوقف فتجوز قسمته بالتراضي على الأصح وإن كان الرد من رب المطلق لم يجز قسمته بحال

والضرر المانع من قسمة الإجبار نقص فيمة المقسوم بها في ظاهر كلامه وظاهر قول الخرقي أنه عدم النفع به مقسوما

وإن تضرر أحد الشريكين وحده كرب الثلث مع رب الثلثين بأن طلب المتضرر القسمة أجبر الآخر وإلا فلا إجبار وعنه أيهما طلب لم يجبر الآخر وحكى عن القاضي عكس الأولى

وما تلاصق من الدور والعقار **والخانات** فهو كالمتفرق

". (١)

"والقماش في الدور والدكاكين في العمران وراء الابواب والاغلاق الوثيقة وحرز والجواهر والقماش في الدور والدكاكين في العمران وراء الأبواب والأغلاق الوثيقة وهو اسم للقفل خشبا كان أو حديدا أو يكون فيها حافظ لأن العادة في حرز ذلك بذلك وفي الترغيب وغيره في قماش غليظ وراء غلق وفي تفسير ابن الجوزي ما جعل للسكنى وعن أحمد في البيت الذي ليس عليه غلق فسرق منه أراه سارقا وهذا محمول على أن أهله فيه فإن كانت الأبواب مفتوحة وفيها خزائن مغلقة فالخزائن حرز لما فيها والبيوت التي في

(١) المحرر في الفقه، ٢/٢١٥

البساتين أو الطرق أو الصحراء إن لم يكن فيها أحد فليست حرزا وإن كانت مغلقة وفيها حافظ فهي حرز وإن كان نائما وإن كانت مفتوحة فلا إلا أن يكون الحافظ يقظان

تتمة الخيمة والخركاة كذلك سواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو لا باب له إلا أنه محجر بالبناء فإن سرق صندوقا فيه متاع أو دابة عليها متاع ولا حافظ لم يقطع وإن سرق المتاع الذي فيه قطع وعنه إن الصناديق التي في السوق وإن حملت كما هي قطع وحمله القاضي وابن عقيل على أن معها شيئا وحرز البقل والباقلاء ونحوه وقدوره وراء الشرائج واحدها شريجة وهو شيء يعمل من قصب أو نحوه يضم بعضه الى بعض بحبل أو غيره إذا كان في السوق حارس لأن العادة جرت بإحرازها به وحرز الخشب والحطب والقصب الحظائر واحدتها حظيرة وهي ما يعمل للإبل والغنم من الشجر تأوي اليه وأصل الحظر المنع فيعبىء بعضه على بعض ويقيده بقيد بحيث يعسر أخذ شيء منه على ما جرت به العادة إلا أن يكون في فندق مغلقا بتقطيرها وقائدها وسائقها إذا كان يراها وحرز الثياب في الحمام بالحافظ (١) (١) (١) (١) (١) (١) (١) (١) (١) (١) (١) (١) (١) +

١-

". (١)

"

[٢٣٢١-] قال إسحاق: وأما الخان١ الذي في القرية السابلة٢ لمن يسكنه من المنتابين، فباعه قوم من رؤساء القرية من وال، والخان كان

---

١ قال في المصباح ٢٢٠ الخان: ما ينزله المسافرون، والجمع: خانات.

قلت: وهو ما يعرف بالفنادق والنزل في وقتنا الحاضر مع الفارق، لأن الخانات في الماضي لا تؤجر، وإنما يسكنها المسافر إذا مر على القرية، ولا يدفع مقابل ذلك شيئا.

انظر أيضا: المعجم الوسيط ١/٢٦٣.

٢ قول: القرية السابلة: أي: الشيء على طريق الناس في أسفارهم.

قال في المصباح ٣١٤ السابلة: الجماعة المختلفة في الطرقات في حوائجهم، وانظر أيضا: مختار الصحاح

---

(١) المبدع، ٩/١٢٧

.٢٨٤

." (١)

"وقيمته بالصنعة ربع نظرا إلى الوزن الذي لا بد منه في الذهب ولا بما نقص قبل إخراجه من الحرز عن نصاب بأكل أو غيره كإحراق لانتفاء كون المخرج نصابا ولا بما دون نصابين اشترك اثنان في إخراجه لان كلا منهما لم يسرق نصابا ويقطع بثوب رث في جيبه تمام نصاب وإن جهله السارق لانه أخرج نصابا من حرز بقصد السرقة والجهل بجنسه لا يؤثر كالجهل بصفته وبنصاب ظنه فلوما لا يساويه لذلك وأثر لظنه، والرابع أن يأخذه.

(من حرز مثله) فلا قطع بسرقة ما ليس محرزا لخبر أبي داود: لا قطع في شئ من الماشية إلا فيما آواه المراح ولان الجناية تعظم بمخاطرة أخذه من الحرز فحكم بالقطع زجرا بخلاف ما إذا جرأه المالك ومكنه بتضبيعه.

والاحراز يكون بلحاظ له بكسر اللام دائما أو حصانة موضعه مع لحاظ له والمحكم في الحرز العرف فإنه لم يحد في الشرع ولا اللغة فرجع فيه إلى العرف كالقبض والاحياء ولا شك أنه يختلف باختلاف الاموال والاحوال والاوقات فقد يكون الشئ حرزا في وقت دون وقت.

بحسب صلاح أحوال الناس وفسادها وقوة السلطان وضعفه.

وضبطه الغزالي بما لا يعد صاحبه مضيعا له فعرصة دار وصفتها حرز خسيس آنية وثياب، أما نفيسها فحرزه بيوت الدور **والخانات**، والاسواق المنيعة ومخزن حرز حلي ونقد ونحوهما.

ونوم بنحو

صحراء كمسجد، وشارع على متاع ولو توسده حرز له.

ومحله في توسده فيما يعد التوسد حرزا له وإلا كأن توسد كيسا فيه نقد أو جوهر، فلا يكون حرزا له كما ذكره الماوردي ويقطع بنصاب انصب من وعاء بنقبه له: وإن انصب شيئا فشيئا لانه سرق نصابا من حرزه وبنصاب أخرجه دفعتين بأن." (٢)

"في رجل له إخوة في أرض غصب يزورهم ويراودهم على الخروج فان أجابوه وإلا لم يقم معهم ولا يدع زيارتهم يعني يزورهم يأتي باب دارهم ويتعرف أخبارهم ويسلم عليهم ويكلمهم ولا يدخل إليهم ونقل

---

(١) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه (الجامعة الإسلامية)، ٣٠٧٩/٦

(٢) الإقناع، ١٩١/٢

المرذوي عنه أكره المشي على العبارة التى بجري فيها الماء وذلك لان العبارة وضعت لعبور الماء لا للمشي عليها، قال أحمد لا يدفن في الارض المغصوبة لما في ذلك من التصرف في أرضهم بغير إذنهم وقال أحمد فيمن ابتاع طعاما من موضع غصب ثم علم رجع إلى الموضع الذي أخذه منه فرده وروي عنه أنه قال يطرحه يعني على من ابتاعه منه وذلك لان قعوده فيه حرام منهي عنه فكان البيع فيه محرما ولان الشراء ممن يقعد في الموضع المحرم يحملهم على العقود والبيع فيه وترك الشراء منهم يمنعهم القعود فقال لا يبتاع من **الخانات** التي في الطرق الا أن لا يجد غيره كان بمنزلة المضطر، وقال في السلطان إذا بنى دارا وجمع الناس إليها أكره الشراء منها.

قال شيخنا وهذا على سبيل الورع ان شاء الله تعالى لما فيه من الاعانة على فعل المحرم والظاهر صحة البيع لانه إذا صحت الصلاة في الدار المغصوبة في رواية وهي عبادة فما ليس بعبادة أولى وقال فيمن غصب ضيعة وغصبت من الغاصب وأراد الثاني ردها جمع بينهما يعني بين مالكها والغاصب الاول وان مات بعضهم جمع ورثته انما قال هذا احتياطا خوف التبعة من الغاصب الاول لانه ربما طالب ربها فادعاها ملسكا باليد والا فالواجب ردها على مالكها وقد صرح بهذا في رواية عبد الله في رجل استودع رجلا الفا فجاء رجل إلى المستودع فقال ان فلانا غصبني الالف الذي استودعكه وصح ذلك عند المستودع فان لم يخف التبعة وهو أن يرجعوا به عليه دفعه إليه باب الشفعة وهي استحقاق الانسان انتزاع حصة شريكه من يد مشتريها وهي ثابتة بالسنة والاجماع أما السنة فما روى جابر قال قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة فيما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة متفق عليه ولمسلم قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم ربعة أو حائط لا يحل له أن يبيع حتى يستأذن شريكه فان شاء أخذ وان شاء ترك فان باع ولم يستأذنه فهو أحق به وللبخاري: انما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفعة فيما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة، وأما الاجماع." (١)

"البزازين وقماش الباعة وخبز الخبازين بحيث يشاهده وينظر إليه فهو محرز وان نام أو كان غائبا عن موضع مشاهدته فليس بمرحز وان جعل المتاع في الغرائر وعكم عليها ومعها حافظ يشاهدها فهي محرزة والا فلا.

(فصل) والخيمة والخركاة ان نصبت وكان فيها أحد نائما أو منتبها فهي محرزة وما فيها لانها هكذا تحرز في العادة وإن لم يكن فيها أحد ولا عندها حافظ فلا قطع على سارقها، وممن أوجب القطع في السرقة

---

(١) الشرح الكبير لابن قدامة، ٤٥٩/٥

من الفسطاط الثوري والشافعي واسحاق وأصحاب الرأي إلا أن أصحاب الرأي قالوا: يقطع السارق من الفسطاط دون سارق الفسطاط.

ولنا أنه محرز بما جرت به العادة أشبه ما فيه (مسألة) (وحرز البقل والباقلا ونحوه وقدوره وراء الشرائج إذا كان في السوق حارس) والشرائج تكون من القصب والخشب (مسألة) (وحرز الخشب الحطب الحظائر) وكذلك القصب وتعبئة بعضه على بعض وتقييده بقيد بحيث يعسر أخذ شئ منه على ما جرت العادة إل ا أن يكون في فندق مغلق عليه فيكون محرزا وإن لم يقيد (مسألة) (وحرز المواشي الصير وحرزها في المراعى بالراعي ونظره إليها)." [1]

"وليس فيه خبر ثابت فهو كالإجماع منهم وحكي عن داود أنه لا يعتبر الحرز لأن الآية لا تفصيل فيها ولنا إجماع أهل العلم السابق على قوله وما روي عن عمرو بن شعيب [أن رجلا من مزينة سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الثمار فقال : من أخذ بفيه ولم يتخذ خبنة فليس عليه شئ ومن احتمل فعليه ثمنه مرتين وضرب ونكال وما أخذ من أجرانه ففيه القطع إذا بلغ ما يؤخذ من ذلك ثمن المجن] رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم وهذا الخبر يخص الآية كما خصصناها في اعتبار النصاب وإذا ثبت هذا في الحرز وما عد حرزا في العرف فإنه لما لم يثبت اعتباره في الشرع من غير تنصيص على بيانه علم أنه رد ذلك إلى العرف لأنه لا طريق إلى معرفته إلا من جهته إذا ثبت هذا فإن حرز الذهب والفضة والجواهر في الصناديق تحت الأغلاق والأقفال الوثيقة وحرز الثياب وما خف من المتاع كالصفر والنحاس والرصاص في الدكاكين والبيوت المقفلة في العمران فإن كان لابسا ثوب أو متوسدا له نائما عليه أو مستيقظا في أي موضع فهو محرز بدليل [حديث رداء صفوان إذ سرق رداؤه وهو متوسده في المسجد فقطع النبي صلى الله عليه وسلم سارقه] (رواه النسائي الحديث ٤٨٩٦) فإن تدحرج عن الثوب زال الحرز وحرز البقل وقدور الباقلاء بالشرائح من الخشب والقصب إذا كان في السوق حارس وحرز الخشب والحطب بالحظائر وتعبية بعضه على بعضه ويقيد فوقه بحيث يعسر أخذ شئ منه على ما جرت به العادة وما في الفنادق مغلق عليه فهو محرز وإن لم يقيد." [2]

"في هذا السؤال جانبان: الجانب الأول إذا كان الانحراف في القبلة يسيرا لا يؤثر، يعني إذا كان لا يخرجك عن الجهة التي أنت فيها، مثلا لو كانت القبلة في الشرق فلا تنتقل بانحرافك إلى الشمال أو إلى

(١) الشرح الكبير لابن قدامة، ١٠/٢٦٤

(٢) العدة شرح العمدة، ٢/٢٠٠

الجنوب وبعضهم يرى الجهة الفرعية التي هي الشمال الشرقي أو الجنوب الشرقي فإنه لا يؤثر، لأن الصفوف الطويلة يخرج فيها عن سمت الإمام نفسه، ولذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصلي بالجيش وصلى بأصحابه في الفضاء، ولا شك أن أطراف الصف ليست على سمت الإمام نفسه، لأن طول الصف يوجب الانحراف نوعا، فإذا كان على نفس الجهة فلا إشكال ما في تأثير، أما إذا كان انحرافا مؤثرا، فإنه يوجب إعادة الصلاة، لكن ننظر إذا كان الذي فعلته من صلاتك للفجر والظهر والعصر بهذا الانحراف وأنت في داخل المدينة فتجب عليك الإعادة، لأن داخل المدينة لا اجتهاد فيها، القدرة على اليقين تمنع من الشك، ومن كان داخل المدينة يسأل أهلها، أو يستدل بالمحاريب وهذا الذي جعل العلماء يرخصون في المحراب، لأنه يدل على القبلة ويحتاج إليه، من باب الحاجة لا من باب التعبد، المراد به الاستدلال على جهة القبلة ولذلك نص العلماء على الاستدلال للقبلة بمحاريب المسلمين، يستدل على جهة القبلة بالسؤال بالتحري، فإذا كان جاء من عنده واجتهد في **الفندق** أو اجتهد في المنزل وصلى فإنه إذا تبين له أنه أخطأ يجب عليه أن يعيد، أما إذا كان اجتهادك في سفر فإنه لا إشكال في صحة صلاتك ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ فإنها نزلت في المسافر إذا اجتهد وتحرى القبلة ثم أخطأه، أما المدن والقرى والهجر التي يمكن فيها السؤال فلا، هذه ينقطع فيها الاجتهاد ولا يجوز أن يجتهد الإنسان، لأن القدرة على اليقين تمنع من الشك، ولذلك قالوا من آداب الضيف إذا نزل على مضيفه أن يسأله، أين مكان قضاء الحاجة؟، وأين القبلة؟ لأن هذه من آداب الضيافة. أول ما ينزل الضيف ما يأتي هكذا ينزل." (١)

"الحالة الثانية : أن يكون خارج المسجد وداخل حدود مكة ، فيعتبر مسجد الكعبة ، ولا يجب عليه أن يتأكد أنه فعلا بين الركنين ، أو بين مثلا الركن اليماني وبين جهة الحجر، لا يجب عليه ، إنما العبرة بالمسجد كاملا ؛ وقد صح عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه اعتبر ذلك ؛ ولذلك صلى في منى ، وصلى بالأبطح قريبا من المسجد ، ولم يأمر الصحابة أن تقتصر صفوفهم على سمت الكعبة ، وإنما اعتد بجهة المسجد ، فلو أنه في **فندق** وأمكنه أن يتحرى عن طريق شرفة **الفندق** المسجد ، وتبين له أنه مسامت للمسجد صح أن يصلي ، والعبرة بالمسجد ، هذا إذا كان داخل مكة ؛ ولأن النبي - - صلى الله عليه وسلم - - صلى بمنى وصلى بالأبطح ومعه الصفوف الطويلة ، ولا شك أن هذا لا يتأتى بسمت المسجد

(١) دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ١/٣٧٨

.

الحالة الثالثة : خارج مكة ، فالعبرة بمكة كلها ، فينظر إلى جهة مكة ، فيتحرى ويصلي إليها .." (١)

"[وإن خفيت القبلة في الحضر سأل واستدل بمحاريب المسلمين] : بعد أن بين لنا الأصل في استقبال القبلة، وأنه يبني على جهتها ، وفصل في أحوال المصلي داخل مكة وخارجها ، بعد ذلك شرع في مسألة الخفاء ، فإذا خفيت القبلة على المصلي ، مثل : المسافر إذا دخل المدينة ، وخفيت عليه القبلة عمل بمحاريب المسلمين – محاريب المسلمين سواء في السفر أو في الحضر – ، فاستحدثت المحاريب الكوات التي يصلي فيها الأئمة لوجود الحاجة ، لمعرفة جهة القبلة ، وانضباطها في المساجد ؛ ولذلك لو كانت مساجد المسلمين بدونها قد يتعذر أو يصعب ، فإذا دخلت المسجد لا تدري أين قبلته ، ومن هنا احتيج إلى هذه المحاريب ، وكرهها أئمة السلف : كرهها ابن مسعود – – رضي الله عنه – – كما في الأثر عنه في الصلاة في الطاق ، وكان يسمونه الطاق ؛ ولأن النبي – – صلى الله عليه وسلم – –لم يحدث محرابا في مسجده ، وقالوا هذا هو الأصل ، ولا شك أن الأصل عدم وجودها ، ولكن إذا وجدت فلا بأس أن يستدل بها ؛ لأنها أمارة ظاهرة على القبلة . يستدل بمحاريب المسلمين إذا كنت في سفر ونزلت في محطة ، لا يجوز أن تجتهد مادام أن هناك مسجد ومحرابه واضح الدلالة على جهة القبلة ، ولو نزلت في مدينة وبجوارك مسجد ، وأمكنك أن تستدل بمحرابه وأنت في فندق أو في بيت فإنك تستدل بهذا المحراب على القبلة .

يستدل بمحاريب المسلمين ؛ لأنها لا توضع إلا على القبلة ، فهذه دلالة ظاهرة .

[وإن أخطأ فعليه الإعادة] : وإن أخطأ في حال وجود هذه الدلائل ؛ فعليه الإعادة ، الأصل أنه لا يجتهد أحد مع وجود القدرة على اليقين . القاعدة تقول : القدرة على اليقين تمنع من الشك . القبلة لها حالتان :." (٢)

"الحالة الأولى : أن يستدل عليها بالأمارة الظاهرة ، أو الدالة عليها ؛ سواء كان بالمحاريب ، وهي الأمارات الثابتة في المساجد ، أو بسؤال أهل الحي والمصلين ، أو بسؤال صاحب الدار إن كنت في داره، ولذلك ذكروا من آداب الضيف إذا نزل على مضيفه أن يدله على مكان قضاء حاجته ، وأن يدله على مكان القبلة ، فهذه من آداب الضيافة . تقول له رحمك الله : القبلة عن يمينك ، عن يسارك ، في وجهك

---

(١) دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ٢/٢١٧

(٢) دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ٢/٢٢٠

، في هذا الجانب ، وأيضا يستدل بإخبار الثقة ، فإذا أخبر الثقة ، وقال له : أين القبلة ؟ قال له: القبلة هكذا ، فإنه يعمل بقوله ، ويستدل بالاجتهاد . الاجتهاد من الشخص راجع إلى أمارات وعلامات يعرفها أهل الخبرة في الاستدلال على الجهة، وسيذكرها المصنف – رحمه الله – .

من حيث الأصل أنه يجب على المسلم أن يرجع إلى أهل البلد إن وجدوا ، وإلى أهل القرية إن أمكن الرجوع ، فإذا كان بموضع لا يمكنه السؤال ، لا أحد يسأله ، وكان أيضا لا يوجد دليل على جهة القبلة تحرى واجتهد، وهذا التحري والاجتهاد له ضوابط . فإذا صلى مع إمكان السؤال: شخص نزل في فندق وصلى فيه فاجتهد ، ثم لما قضى صلاته ، وكان بإمكانه أن يسأل صاحب الفندق ، أن يسأل العمال في الفندق ، وهم ممن يقبل قولهم ، أو يستدل بمسجد بجواره ، ولكنه اجتهد فصلى ؛ فأخطأ وجبت عليه الإعادة ؛ لأنه أهمل ، وهذا الذي ينبي عليه العلماء أن التقصير موجب للضمان لحق الله وحق المخلوق ، ومن هنا يقولون : من جاء وفعل العبادة ، ويمكنه أن يرجع إلى العلماء ويسألهم ، وفعل ما عن له ، ثم جاء وقال : أنا جاهل ! هذا ليس بعذر ؛ لأنه قصر في السؤال، ومن قصر ألزم عاقبة تقصيره ، وهذا أصل في المؤاخذات والضمانات .." (١)

"أما المسألة الأولى وهي الإحرام قبل الميقات ؛ فجماهير الأئمة من السلف والخلف على جواز أن يحرم قبل الميقات، كما إذا كان في المدينة فأحرم من بيته قبل أن يخرج إلى ذي الحليفة ، أو كان في الطائف فأحرم من بيته بالطائف ولبى قبل أن يمر بوادي محرم أو يمر بميقات السيل فقالوا إنه يجوز له ذلك ولا حرج عليه وإحرامه صحيح .

وذهب بعض العلماء كالظاهرية إلى أنه لا يجوز بعض أئمة السلف إلى أنه لا يجوز له أن يحرم قبل الميقات .

واستدل الجماهير بفعل السلف الصالح –رحمهم الله– من تصحيحهم للنسك قبل الميقات ؛ فقد أحرم عبدالله بن عمر من بيت المقدس ، وكذلك أيضا أحرم عبدالله بن مسعود -- رضي الله عنه -- من القادسية وعمران بن حصين من البصرة وكذلك أيضا أحرم عبدالله بن عامر بن كريز .

فالشاهد من هذا أن الصحابة لما عرض على عثمان أنه من فعل ذلك وكذلك عمر – رضي الله عنه – عتب على عمران أنه أحرم قبل الميقات ولكنه لم يحكم بفساد إحرامه ؛ فدل على أن الإحرام صحيح وأنه يجزيه وأنه ينعقد إحرامه لو أحرم قبل هذه المواقيت ، والمراد بالإحرام الدخول في النسك ؛ لأن البعض

---

(١) دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ٢٢١/٢

يظن أن مجرد لبس الثياب التجرد من المخيط ولبس الثياب هو الإحرام .

العبرة في الإحرام بالنية والدخول في النسك ، فلو أنه كان في **فندقه** في المدينة فلبس الإحرام ولم يلب ولم ينو فهو غير محرم ؛ إذا إذا نوى الدخول في النسك فهو المحرم ، فإذا فعل ذلك قبل الميقات صح ، وهل هو الأفضل أم أن الأفضل أن يحرم من الميقات ؟

قولان للعلماء –رحمهم الله– :

منهم من قال : الأفضل أن يحرم من الميقات كما هو مذهب المالكية والحنابلة .." (١)

"وهذا رخص فيه بعض السلف كما أثر عن إبراهيم النخعي وغيره ؛ ولكن السنة عن رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- أنه بعد ما انتهى من طوافه وفرغ صلى ركعتين .

خلف المقام : فتلا الآية : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ فصلى عليه الصلاة والسلام فجعل المقام بينه وبين البيت ، وللعلماء في توجيه ذلك أقوال : قيل العبرة أن يجعل المقام بينه وبين البيت قريبا من البيت ، وقيل قريبا أو بعيدا ، وقيل المسجد كله مقام إبراهيم ، فإذا صلى الركعتين في أي موضع جاز، لكن ينبغي أن يفرق بين الجواز وبين الأفضل ، فالأفضل أن يفعل ما فعل رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- فيجعل المقام بينه وبين البيت ؛ تأسيا بالرسول -- صلى الله عليه وسلم -- ، ثم إذا لم يتيسر له ذلك المكان فإنه يتحرى في التأخر أن يكون المقام بينه وبين البيت حتى ولو كان قريبا من غير جهة المقام ؛ فإنه يختار جهة المقام ؛ لظاهر الآية ؛ ولظاهر فعله –عليه الصلاة والسلام– ، ولا يشترط فعلها في داخل المسجد حتى لو أنه خرج بعد الطواف بغرض أو ظرف ثم صلاها في **فندقه** أو نزله فإنه يجزيه ولذلك أثر عن عمر بن الخطاب -- رضي الله عنه -- أنه طاف طواف الوداع بعد صلاة الصبح كما روى مالك في موطئه بسند صحيح وأخر ركعتي الطواف إلى ذي طوى ؛ لأنه كان لا يرى ركعتي الطواف بعد صلاة الصبح ، فأخرها إلى ذي طوى فدل على عدم تعين أن يصلي في نفس المسجد ولكن السنة ما ذكرناه ، فإذا صلى الركعتين يقرأ في الأولى منهما بـ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾وفي الآخرة بـ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وهما سورتا الإخلاص اللتان اشتملتا على توحيد الله -- عز وجل -- وأصليه الإخلاص العظيمين : النفي والإثبات ، البراءة من الشرك ، والإقرار بالتوحيد لله -- سبحانه وتعالى -- وبوحدانيته في ألوهيته وربوبيته وأسمائه

---

(١) دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ٣٣٤/٤

وصفاته -- سبحانه وتعالى -- . ثبت في الحديث عن جابر أنه صلى فيها عليه الصلاة والسلام ركعتي الطواف وقرأ فيهما." (١)

"والنخيل أصول والثمار فروع لهذه النخيل ، فلما جاء الحديث في أصل حديث من باع نخلا قد أبرت قالوا باب بيع الأصول والثمار ، وإلا ففي الحديث بيع العبد بماله هل يتبعه ماله أو لا يتبعه ، مثلا لو أن شخصا مثلا باع جوالا لو أن شخصا باع مسجلا لو باع سيارة لو باع جهازا كهربائيا أيا كان هذا الجهاز لابد أن تعرف أنت كفقيه وكطالب علم ما الذي يتبع المبيع وما الذي لا يتبعه ، فالذي يتبعه في حقيقة المبيع لا إشكال في الحكم بكونه للمشتري ، وهناك شيء يتبعه بالعرف، يعني العرف جرى أن من باع الدار يترك مثلا الترباس الذي تغلق به الدور وقد يجري العرف بخلعه ، في زماننا يجري العرف مثلا أنه يأخذ المكيف ويخرجه ، من حقه أن يخرج المكيف ، وأنه يسلم مثلا البيت بدون مكيفات ، لو جرى العرف في بيئة أنه إذا باع أن المكيفات تترك وأن البيت يباع بما فيه حتى ولو بفراشه مثلا لو باعه على أنه فندق ليس كما لو باعه على أنه بيت ، لو باعه على أنه مهيأ للسكن أو أنه مفروش للشقق المفروشة للإيجار فقال أريد أن آخذها منك على أنها تؤجر مباشرة ، قال نعم فمعنى ذلك أنه إما بالشرط يتبع بالشرط أو يجري العرف فإذا جرى العرف أن هناك أشياء تترك في المبيع من العقارات والمنقولات وجب تركها ، باعه سيارة وفي السيارة أشرطة للمسجل ، وفي السيارة مثلا فراش زائد موضوع على مقاعد السيارة ، وفي السيارة مثلا آلة رفع ، وفي السيارة مثلا صندوق فيه مثلا أجهزة لإصلاح السيارة ثم اختصما فقال البائع سآخذ هذه الأشياء كلها ، قال المشتري لا بعتني السيارة وأنا آخذها وآخذ ما فيها ، يعني اشتريت السيارة وأنت ما استثنيت ، فحينئذ يرد السؤال ما الذي يتبع وما الذي لا يتبع ؟ جرى العرف على أنه لا يتبع السيارة فراش البائع فيها ، ولا يتبع السيارة الأشرطة التي فيها ، ولا يتبع السيارة صندوق الأجهزة للمفاتيح ونحوها إذا كان زائدا للسيارة ، ولكن يتبعها آلة الرفع مثلا ، يتبعها." (٢)

"((ثلاثة)) خصمهم الله -- عز وجل -- . ((أنا خصمهم ومن كنت خصمه فقد خصمته)) موضع الشاهد في قوله : ((من استأجر أجيرا فلم يوفه)) ثم انتبه لقوله : ((يوفه)) الوفاء في الأجر أن يعطيه ما اتفق عليه كاملا، وأن يوفيه الأجر في الوقت المحدد ، ولذلك قد يقول له مثلا : أنا أعطيك مثلا عشرة آلاف ريال إذا فعلت لي هذا الفعل مثلا في نهاية فعلك وعند انتهاء عملك أعطيك مالك مباشرة ، فإذا

---

(١) دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ٤/٤٢٦

(٢) دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ٥/٣٨٠

به يقوم بالعمل كاملا ويماطله ويؤخره فيدخل في قوله : فلم يوفه أجره الوفاء في القدر والوفاء في الزمان فيراعي الزمان الذي اتفق على إعطاء المال فيه ، فلا يتأخر عنه ولا يماطل فيه ، وأيضا يراعي القدر فلا ينقصه حقه ولا ينقصه أجره . ففي هذا الحديث دليل على مشروعية الإجارة .

وأجمع العلماء –رحمهم الله– على مشروعية الإجارة وأنها من العقود الجائزة أن يستأجره ؛ سواء استأجره للعمل ، أو استأجر منه ما يملكه مثل البيت للسكنى أو السيارة للركوب ، ونحو ذلك كل هذا داخل في الإجارة ، وهو مشروع من حيث الأصل .

يقول رحمه الله : [كتاب الإجارة]

أي في هذا الموضع سأذكر لك جملة من الأحكام والمسائل التي تتعلق بالإجارة .

الإجارة تنصب على المنافع ، والفرق بينها وبين البيع أن البيع ينصب على الذات مع المنفعة ، وتوضيح ذلك بالمثال : مثلا لو نظرنا إلى البيت ، السكن منفعته ، وكيان البيت هذه ذات البيت ، فإذا جئت تشتري وتعقد عقد البيع ، فأنت تملك الرقبة ، وتملك المنفعة فمن حقك أن تهدم البيت ، ومن حقك أن تجدد وتغير فيه ، هذا ملكك ؛ لأنك ملكت العين ومنافعها ، ولكن الإجارة تختص بالمنفعة ، فتختص بالسكنى ، فتستأجر البيت ، تستأجر الشقة لا تملك إلا أن تسكن فتنتفع لا تملك الرقبة ، وكذلك أيضا مثلا في الفندق تأتي وتأخذ غرفة تملك أن تجلس فيها فتنام ، وتأكل فيها وتشرب ، وترتفق فيها ، لكن ما تملك عين الغرفة ولا ذاتها .." (١)

"فإذا عقد الإجارة ينصب على المنافع وقد تكون المنافع لذوات الأعيان في البيت كالسكن في البيت ، وقد تكون في المركوب مثل السيارة والطائرة والقطار والسفن هذه كلها إجارات ، فأنت حينما تقول له : أريد منك أن توصلني إلى مكة لا تملك السيارة التي توصل بها وإنما تملك أن تركب فيها منفعة الركوب ، فينصب عقد الإجارة على المنافع .

قال رحمه الله : [وهي عقد على المنافع] : وهي : أي الإجارة . عقد : أي إيجاب وقبول ، وأصل العقد التوثيق والإبرام ، فإذا وقع إيجاب وقبول على شيء فهو عقده ، إن كان الإيجاب والقبول على النكاح قال له : زوجتك أنكحتك بنتي فهذا عقد ، قال الآخر: قبلت هذا عقد نكاح ، إذا قال له: بعتك سيارتي بعشرة آلاف. قال الآخر : قبلت هذا عقد بيع ، فإذا قال له : أجرتك عمارتي في المدينة في المكان الفلاني بعشرة آلاف ريال في الشهر قال : قبلت هذا عقد إجارة ، فهي أي الإجارة عقد على المنافع ، والمنافع

---

(١) دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ٦/٢٢٩

جمع منفعة ، فتشمل الركوب مثل ما ذكرنا: في السيارات والقاطرات ونحوها ، وتشمل السكنى بالارتفاق مثل : الفنادق والاستراحات ونحوها ، وغير ذلك من المنافع ، مثل: الخياطة والحدادة والنجارة من الأعمال والحرف كلها منافع تقضى بها المصالح.

قال منافع جمع منفعة والمنفعة ضد المضرة ، وهذه المنفعة تكون من الشخص أو تكون من آلته تكون من الشخص مثل أن يبني لي أو يصلح مثل السباكة مثل النجارة فهذه كلها منافع إذا انصب عليها العقد فهي إجارة .

عقد على المنافع : فخرج بقوله عقد على المنافع العقد على الذوات .." [1]

"قال رحمه الله : [إما بالعرف كسكنى دار] : وتتحدد هذه المنافع بالعرف كسكنى الدار مثل سكنى الفنادق ، فلها عرف في سكناه وحدده مثلا يقال : إن الساعة الثانية ظهرا مغادرة فنعلم أن بدايتها من الساعة الثانية ظهرا إلى الساعة الثانية ظهرا من اليوم الثاني يعني أربع وعشرين ساعة ، وجرى العرف أنه لو جاء في اليوم كاملا أو جاء في اليوم ناقصا أنه يدفع الأجرة كاملة ، نحتكم إلى هذا العرف ، لأن أعراف المسلمين محتكم إليها ، والقاعدة " أن العادة محكمة " ، فإذا حدد العرف هذه الأشياء رجع إليها .." [2]

"

هذا المذهب مطلقا وعليه جماهير الأصحاب

وقال في الترغيب وغيره في قماش غليظ وراء غلق

وقال بن الجوزي في تفسيره ما جعل للسكنى وحفظ المتاع كالدور والخيام حرز سواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو لا باب له إلا أنه له حارس محجر بالبناء

فائدة الصندوق في السوق حرز إذا كان له حارس على الصحيح من المذهب

وقيل أو لم يكن له حارس

قوله وحرز الخشب والحطب الحظائر

وهذا المذهب وعليه جماهير الأصحاب

وجزم به في الوجيز وغيره

---

(١) دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ٦/٢٣٠

(٢) دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ٦/٢٣٦

وقدمه في الفروع وغيره

وقال في التبصرة حرز الحطب تعبئته وربطه بالحبال

وكذا ذكره أبو محمد الجوزي

وقال في الرعاية وحرز الخشب والحطب تعبئته وربطه في حظيرة أو فندق مغلق أو فيه حافظ يقظان

تنبيه قوله وحرزها في المرعى بالراعي ونظره إليها

يعني إذا كان يراها في الغالب

قوله وحرز حمولة الإبل بتقطيرها وسائقها وقائدها إذا كان يراها

وهذا المذهب وعليه الأصحاب

". [1]

"لم يجب تعميمهم لأنه غير ممكن (١) و(جاز التفضيل) لبعضهم على بعض (٢) لأنه إذا جاز حرمانه جاز تفضيل غيره عليه (٣) (والاقتصار على أحدهم)(٤) لأن مقصود الواقف بر ذلك الجنس (٥) وذلك يحصل بالدفع إلى واحد منهم (٦) وإن وقف مدرسة أو رباطا ونحوهما على طائفة (٧) اختصت بهم (٨)

---

(١) لتعذره بكثرة أهله، وحكاه الموفق إجماعا.

(٢) ويراعى الأحق به.

(٣) وأولى من الحرمان، قال تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ .

(٤) ويحتمل أن لا يجزئه أقل من ثلاثة، وهو مذهب الشافعي.

(٥) من القبيلة، أو أهل المدينة.

(٦) وإن كان على الفقراء أو المساكين، أو على أي صنف من أصناف أهل الزكاة، لم يدفع إليه أكثر مما يدفع منها، وما يأخذه الفقهاء منه، كرزق من بيت المال، قال الشيخ: ما أخذ من بيت المال فليس عوضا وأجرة، بل رزق للإعانة على الطاعة، وكذلك المال الوقف على أعمال البر، والموصى به والمنذور له. ليس كالأجرة والجعل.

---

(١) الإنصاف للمرداوي، ٢٧١/١٠

(٧) كأهل بلد، أو أهل مذهب، أو قبيلة.

(٨) أي اختصت المدرسة أو الرباط أو نحوهما، **كالخانات** بأهل البلد، أو أهل المذهب أو القبيلة. وإن وقف على العلماء فهم حملة الشرع أهل التفسير والحديث والفقه، أو على المتفقهة فهم طلبة الفقه، أو أهل الحديث، فهم من اشتغل بالحديث.." [١]

"فقال قومها وأد زكاتها رواه أحمد وسعيد وأبو عبيد وابن أبي شيبة وغيرهم وهو مشهور ولأنها مال مرصد للنماء أشبه النقدين والمواشي وأنما تجب الزكاة في قيمة عروض تجارة بلغت نصابا من أحد النقدين لا في نفس العروض لأن النصاب معتبر بالقيمة فهي محل الوجوب والقيمة ان لم توجد عينا فهي مقدرة شرعا لما أي عرض ملك بفعل كبيع ونكاح وخلع ولو بلا عوض كاكتساب مباح وقبوله هبة ووصية أو كان العرض منفعة كمن يستأجر **خانات** وحوانيت ليربح فيها أو كان الملك استردادا لمبيع بخيار أو اقالة بنية تجارة عند الملك مع الاستصحاب إلى تمام الحول كالنصاب لأن التجارة عمل فدخل في انما الاعمال بالنيات فان دخلت في ملكه بغير فعله كارث ومضى حول تعريف لفظة أو ملكها بفعله لا بنية تجارة ثم نواها لها لم نصر لها لأن ما لا تتعلق به الزكاة من أصله لا يصير محلا لها بمجرد النية كالمعلوفة ينوي سومها ولأن الاصل في العروض القنية فلا تنتقل عنه بمجرد النية لضعفها أو استصحاب حكمها أي بنية التجارة فيما تعوض عن عرضها أي التجارة ولو بصلح عن قنها المقتول بأن لا ينوي قطع نية التجارة كأن تعوض عن عرضها شيئا بنية القنية ولا تجزي زكاة تجارة من العروض ولو بهيمة انعام أو فلوسا نافقة لأن محل الوجوب القيمة ومن عنده عرض لتجارة فنواه لقنية بضم القاف وكسرها صار لها لأنها الاصل ثم نواه لتجارة لم يصر لها أي التجارة لأن القنية الأصل لا تنتفل عنه بمجرد النية لضعفها وفارق السائمة إذ نوى علفها لأن الاسامة شرط دون نيتها فلا ينتفي الوجوب إلا بانتفاء السوم غير حلى لبس لأن الاصل وجوب زكاته فإذا نواه للتجارة فقد رده إلى الاصل فيكفي فيه مجرد النية وتقوم عروض تجارة إذا تم الحول بالأحظ للمساكين يعني أهل الزكاة من ذهب أو فضة كأن تبلغ قيمتها نصابا بأحدهما دور الآخر فنقوم به لا بما اشتريت به من حيث ذلك لأنه تقويم مال تجارة للزكاة فكان بالأحظ لأهلها كما لو اشتراها بعرض قنية وفي البلد نقدان متساويان غلبة وبلغت نصابا باحدهما دون الآخر فتقوم

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم، ٣٩/١٠

". (١)

"الوقف على القريب (من مسلم وذمي ونحو ذلك من القرب) كالربط **والخانات** لأبناء السبيل (ولا يصح) الوقف (على مباح) كتعليم شعر مباح (و) لا على (مكروه) كتعليم منطق لانتفاء القربة (و) لا على (معصية) ويأتي أمثلته لما فيه من المعونة عليهما (ويصح) الوقف (على ذمي) معين (غير قريبه) ولو من مسلم لجواز صلته (وشرط استحقاقه ما دام ذميا لا غير ويستمر له إذا أسلم) بطريق الأولى (كمع عدم هذا الشرط ولا يصح وقف الستور) وإن لم تكن حريرا (لغير الكعبة) كوقفها على الأضرحة لأنه ليس بقربة (ويصح وقف عبده على حجرة النبي صلى الله عليه وسلم لإخراج ترابها وإشعال قناديلها وإصلاحها) لأن فيه قربة في الجملة و (لا) يصح وقف العبد (لإشعالها وحده وتعليق ستورها الحرير والتعليق وكنس الحائط ونحو ذلك

ذكره في الرعاية) لأن ذلك غير مشروع

قال في الاختيارات وينبغي أن يشترط في الواقف أن يكون ممن يمكن من تلك القربة فلو أراد الكافر أن يقف مسجدا منع منه (ولا يصح) الوقف (على كنائس وبيوت نار وبيع وصوامع وديورة ومصالحها) كقناديلها وفرشها ووقودها وسدنتها لأنه معونة على معصية (ولو) كان الوقف على ما ذكر (من ذمي) فلا يصح لما تقدم من أن ما لا يصح من المسلم لا يصح من الذمي

قال في أحكام أهل الذمة وللإمام أن يستولي على كل وقف وقف على كنيسة وبيت نار أو بيعة ويجعلها على جهة قربات انتهى

والمراد إذا لم يعلم ورثة واقفها وإلا فللورثة أخذها كما تقدم (بل) يصح الوقف (على من ينزلها) أي الكنائس والديورة ونحوها (من مار ومجتاز بها فقط) لأن الوقف عليهم لا على البقعة والصدقة عليهم جائزة (ولو كان) الوقف على من يمر بها أو يجتاز فقط فيصح الوقف

نقله في الفروع عن المنتخب والرعاية وقاله في المغني في بناء بيت يسكنه المجتاز منهم

قال في الإنصاف ولم أر ما قاله عن الرعاية فيها في مظنته بل قال فيها فيصح منها على من يمر بها أو ينزلها أو يجتاز لا راجلا أو راكبا

قال الحارثي إن خص المارة منهم لم يصح لما ذكرنا من بطلان الوقف على

---

(١) شرح منتهى الإرادات، ١/٤٣٥

". (١)

"إليه في القرية الأولى

والوقف على قوم بعينهم أحق بجواز نقله إلى مدينتهم من المسجد (و) يصح بيع (شجرة) موقوفة (يبست و) بيع (جذع) موقوف (انكسر أو بلي أو خيف الكسر أو الهدم) قال في التلخيص إذا أشرف جذع الوقف على الانكسار أو داره على الانهدام وعلم أنه لو أخر لخرج عن كونه منتفعا به فإنه يباع رعاية للمالية أو ينقض تحصيلا للمصلحة

قال الحارثي وهو كما قال

قال والمدارس والربط والخانات المسبلة ونحوها جائز بيعها عند خرابها على ما تقدم وجها واحد (و) يصح (بيع ما فضل من نجارة خشبه ونحاتته) أي الموقوف لما تقدم (ولو شرط) الواقف (عدمه) أي البيع (إذن) أي في الحال التي قلنا يباع فيها (فشرط فاسد) لحديث ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله إلى آخره (و) حيث يباع الوقف فإنه (يصرف ثمنه في مثله) لأن في إقامة البدل مقامه تأبيدا له وتحقيقا للمقصود فتعين وجوبه (أو بعض مثله) إن لم يمكن في مثله ويصرف في (جهته وهي مصرفه) لامتناع تغيير المصرف مع إمكان مراعاته (فإن تعطلت) جهة الوقف التي عينها الواقف (صرف في جهة مثلها فإذا وقف على الغزاة في مكان فتعطل فيه الغزو صرف) البدل (إلى غيرهم من الغزاة في مكان آخر كما سيأتي قريبا) تحصيلا لغرض الواقف في الجملة حسب الإمكان (ويجوز نقل آلة المسجد الذي يجوز بيعه ، لخرابه أو خراب محلته أو قذر محله (و) نقل (أنقاضه إلى مثله إن احتاجها) مثله

واحتج الإمام بأن ابن مسعود رضي الله عنه قد حول مسجد الجامع من التمارين أي بالكوفة (وهو) أي نقل آلاته وأنقاضه إلى مثله (أولى من بيعه) لبقاء الانتفاع من غير خلل فيه وعلم من قوله إلى مثله أنه لا يعمر بآلات المسجد مدرسة ولا رباط ولا بئر ولا حوض ولا قنطرة وكذا آلات كل واحد من هذه الأمكنة لا يعمر بها ما عداه لأن جعلها في مثل العين ممكن فتعين لما تقدم

قاله الحارثي (ويصير حكم المسجد) بعد بيعه (للثاني) الذي اشترى بدله

وأما إذا نقلت آلته من غير بيع فالبقعة باقية على أنها مسجد

---

(١) كشاف القناع، ٢٤٦/٤

قال حرب قلت لأحمد رجل بنى مسجدا فأذن فيه ثم قلعوا هذا المسجد وبنوا مسجدا آخر في مكان آخر ونقلوا خشب هذا المسجد العتيق إلى ذلك المسجد قال يرموا هذا المسجد الآخر العتيق قال الحارثي فلم يمنع النقل منع البيع وإخراج البقعة عن كونها مسجدا (ويصح بيع بعضه) أي الوقف (لإصلاح ما بقي)

". (١)

"(بحيث يشاهده وينظر إليه فهو حرز) لأنه العادة (وإن نام أو كان غائبا عن موضع مشاهدته فليس بمحرز وإن جعل) البزاز ونحوه (المتاع في الغرائر وعلم عليها أي شدها بخيط ونحوه) كحبل وسير (ومعها حافظ يشاهدها فمحرزة) عملا بالعرف (وإلا فلا) أي وإن لم يكن معها حينئذ حافظ يشاهدها فليست بمحرزة (وحرز سفن في شط بربطها) لجريان العادة بذلك (وحرز بقل وباقلاء وطبيخ وقدوره وخزف وراء الشرائح) واحدها شريحة (وهي) شيء يعمل (من قصب أو خشب) يضم بعضه إلى بعض بحبل أو غيره (إذا كان بالسوق حارس) لأن العادة جرت بإحرازها به (وحرز حطب وخشب وقصب الحظائر) واحدتها حظيرة وهي ما يعمل للإبل والغنم من الشجر تأوي إليه والأصل الحظر المنع فيعبر بعضه عن بعض ويربط بحيث يعسر أخذ شيء منه على ما جرت به العادة (كما لو كان) ما ذكر (في فندق) وهو الخان الصغير (مغلق عليه) فيكون محرزا وإن لم يقيد

ذكره في الكافي والشرح (وحرز مواش) جمع ماشية (الصبر) واحدها صبرة وهي حظيرة الغنم (و) حرزها (في المرعى بالراعي ونظره إليها إذا كان) الراعي (يراها في الغالب) لأن العادة حرزها بذلك (وما نام) الراعي (عنه منها) أي من الماشية أو غاب عن مشاهدته (فقد خرج عن الحرز) فلا قطع على سارقه (وحرز حمولة إبل) بفتح الحاء أي الإبل المحملة (سائرة بتقطيرها مع قائد يراها بحيث يكثر الالتفات إليها ويراعيها وزمام الأول منها بيده) لأنها هكذا تحرز عرفا (والحافظ الراكب فيما وراءه) من الإبل السائرة ونحوها (كقائد) فإذا كان يراها ويكثر الالتفات إليها فهي محرزة (أو بسائق يراها) أي الإبل المحملة ونحوها (سواء كانت مقطرة أو لا وإن كانت) الإبل (باركة فإن كان معها حافظ لها ولو نائما وهي معقولة فهي محرزة) لأن العادة أن صاحبها يعقلها إذا نام (وإن لم تكن) الإبل (معقولة وكان الحافظ ناظرا إليها بحيث يراها فهي محرزة وإن كان نائما أو مشغولا عنها فلا) حرز فلا قطع على السارق

---

(١) كشاف القناع، ٤/٢٩٣

منها (فإن سرق من أحمال الجمال السائرة المحرزة متاعا قيمته نصاب) قطع (أو سرق الحمل قطع) لأنه سرق نصابا من حرز مثله (وإن سرق الجمل بما عليه وصاحبه نائم عليه لم يقطع) لأنه في يد صاحبه (وإن لم يكن صاحبه عليه قطع وهذا التفصيل في الإبل التي في الصحراء فأما) الإبل (التي في البيوت والمكان المحصن على الوجه الذي ذكرناه في الثياب فهي محرزة وحكم سائر

". (١)

"حكم صلاة من نوى إقامة مطلقة أو أكثر من أربعة أيام

من نوى إقامة مطلقة لموضع أو نوى أكثر من أربعة أيام أو ائتم بمقيم لزمه الإتمام، هذا هو المشهور عند الفقهاء: أنه إذا نوى إقامة من غير تحديد فإنه يتم، وإذا نوى أربعة أيام فإنه يتم بعدها، وإذا ائتم وصلى خلف مقيم فإنه يتم؛ وذلك لأنه لا فرق بينه وبين المقيمين، فإذا سافر إلى بلد كالرياض أو مكة أو جدة أو الدمام أو بريدة ونحوها من هذه المدن، واستقر إما في **فندق** وإما في شقة مثلا استأجرها أو نحو ذلك وتمتع بما يتمتع به المقيمون، يعني: عنده الكهرباء وعنده الفرش وعنده السرر وعنده الطعام، وعنده السيارات التي تنقله إلى حيث يريد، وليس بينه وبين المقيمين فرق، فكيف تسقط عنه صلاة الجماعة؟! وكيف يقصر؟! هل يقال: إن هذا على سفر؟ ليس على سفر، هو مقيم مع المقيمين، وعليه الإتمام، أما إذا لم ينو إقامة محددة ولم يستقر في البلد، فإن له القصر ولو طالت المدة؛ لأن الفقهاء يعتبرون إقامة النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح ستة عشر يوما أنه لم يكن عازما على الإقامة، بل كان متهيئا للسفر في أي يوم، فكان ذلك سببا في استمراره على القصر.

وقيل: إن عذره كونه على أهبة السفر أو كونه كمسافر؛ لأنه ما استقر في البلد، ولا دخل البيوت، ولا استقر الصحابة أيضا في المساكن ولا في بيوت المدر أو بيوت الطين، إنما منازلهم تحت ظل الشجر، أو تحت القباب الصغيرة أو الخيام أو البيت من الشعر يستظلون به، أو يستظلون في الكهوف، فهم في حكم المسافر بخلاف الذين يستقرون في داخل البلد، سواء استقر وسكن عند أخ له أو قريب له أو استأجر مكانا في المدن المشهورة ونحوها، يمكن أن يقال: إن القرى ليس فيها **فنادق** وليس فيها شقق تؤجر، وأن الذي يأتي إليها لا يستقر فيها، إنما ينام في سيارته مثلا، أو ينزل خارج البلد تحت شجرة أو عريش أو نحو ذلك، فيمكن أن هذا يقصر ولو طالت المدة.

---

(١) كشاف القناع، ١٣٧/٦

أما إذا عزم على الإقامة الطويلة فإنه يقصر حتى ولو كان يسكن في فنادق أو في خيام أو نحو ذلك، هناك مثلا بعض الجنود الذين يستقرون في أطراف المملكة ولو كانوا مرابطين، ولكن يعلمون أنهم يبقون هناك أشهر وربما نصف السنة أو أكثر، فمثل هؤلاء لا يقصرون؛ لأنهم ليسوا على سفر، فيلزمهم أن يتموا الصلاة، ومثلهم أيضا الطالب الذي يأتي ويقيم خمسة أيام، سواء كان سكنه في الجامعة أو في خارجها، نقول: إنك لست مسافرا، ويلزمك الإتمام.

وكذلك الذي يملكون ما يسمى بالاستراحات أو بساتين تبعد عن الرياض مثلا تسعين كيلو أو مائة كيلو، يذهبون إليها مثلا يوم الخميس والجمعة، ولهم هناك بيوت، ولهم مساكن، فمثل هؤلاء لا يقال إنهم مسافرون، ولو غابوا عن البلد يوما وليلة، أو يومين؛ لأنهم في ملكهم وفي بيوتهم وفي بلادهم، ولو كانوا لا يقيمون فيها إلا يومين، فليس لهم رخصة في أن يقصروا، يمكن أن يقال: لهم رخصة في القصر إذا جاءهم الوقت وهم في الطريق، فأما إذا وصلوا فإنهم مقيمون.." (١)

"أحكام الضيافة

ثم بعد ذلك ذكر الضيافة، قال الله تعالى: ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ [الذاريات:٢٤]، أخبر الله تعالى بأن إبراهيم كان يكرم الضيف، كل من نزل به أكرمه، وجاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته، قالوا: وما جائزته؟ قال: يومه وليليته، ثم قال: والضيافة ثلاثة أيام، وما زاد على ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يأوي عنده حتى يحرجه) .

وقديما كان المسافرون يأتون على أرجلهم وليس مع أحدهم متاع، فيمر بقرية فينزل عند بعض المنازل أو بعض أهل البيوت، وإذا نزل علق متاعه أو نعليه وصار بذلك ضيفا، وصاحب المنزل يطعمه غداء وعشاء كعادة أهل البلد، يطعمه مما يأكله هو وأهله، هذا هو الإكرام، (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)، والضيافة في الأصل يوم وليلة، وإذا زاد فإنها ثلاثة أيام، فإن زاد على الثلاثة فله أن يعتذر منه ويقول: قد انتهت مدة الضيافة فانتقل عني، كذلك يقول: لا يحل للضيف أن يأوي عند صاحب البيت حتى يحرجه ويشق عليه، بل يكون خفيفا ولا يضجر صاحب البيت.

ويلزم المسلم ضيافة المسلم المسافر، وخصه بقوله: [في قرية لا مصر]، فالضيافة تكون في القرى، وذلك لأنه إذا نزل في قرية قد لا يجد مكانا يأوي إليه، فيحتاج إلى أن ينزل مقابل صاحب بيت ينيخ

---

(١) شرح أخصر المختصرات، ٢٩/٩

راحلته، فيعرف صاحب البيت أنه قد وافاه، فعليه أن يضيفه ويكرمه ولا يكن كمن قال فيهم تعالى: ﴿ استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾ [الكهف:٧٧] يعني: يكرموهما، أما في المصر أو في المدن الكبار فلا يلزم ذلك؛ لأنه في الاستطاعة، في إمكانه أن يجد المطاعم **والفنادق**، فيأكل في **الفندق** ويكرم نفسه، أو يأكل في المطعم، وسيجد ما يسد حاجته، ولا يحتاج إلى أن يضيف، إلا إذا كان له قريب أو صديق واستضافه فله أن يستضيفه، وأن ينزل عنده، بخلاف القرى فإنها لا توجد فيها المطاعم وما أشبهها، وغالبا يخجل أن ينزل أمام أهل قرية وينصب قدره ويوقد ناره ويخبز والناس ينظرون إليه، يخجل من ذلك، لأجل ذلك يضيف عند أحدهم، فيضيفونه يوما وليلة قدر كفايته، والسنة ثلاثة أيام.." (١)

"ليس المجاور إذا لم يلتصق يضر مطلقا وضر إن لصق

في اللون والطعم بالاتفاق كالريح في معتمد الشقاق

فقوله :(ليس المجاور إذا لم يلتصق) يعني أن النجاسة لا تضر مطلقا إذا لم تكن ملتصقة بالماء الطهور ، سواء كانت بعيدة عن الماء ، أو قريبة منه ما دام أنها لم تلاصقه لا تؤثر .

وقوله (وضر إن لصق) أي : أنه إذا كان ملتصقا بالطهور ؛ فإنه يضر .

وقوله (في اللون ، والطعم) يعني : إذا تغير لون الماء الموجود في المستنقع ، وطعمه فإنه يسلبه الطهورية بالإتفاق ، وأما إذا تغير في الرائحة ؛ فإنه يسلبه الطهورية على أرجح قولي العلماء في المسألة .

قوله رحمه الله :[أو سخن بالشمس] أي : وضع الإناء في الشمس ؛ فصار ساخنا ؛ فإنه لا يسلبه الطهورية ، ويجوز استعماله في الطهارة ، وفيه أثر ضعيف ، وكرهه بعض العلماء رحمهم الله بناء على قول بعض الأطباء إنه يورث البرص ، وإذا ثبت فيه ضرر لم يجز استعماله دفعا لذلك الضرر ، وأما إذا لم يثبت فإن الأصل طهوريته ، وسلامته ، وقد نص الإمام أحمد رحمه الله على جواز الطهارة به .

وقوله رحمه الله :[أو بطاهر] أي : سخن بطاهر كالحطب ، والفحم ، والغاز في زماننا ، فيجوز استعماله بلا كراهة ، مثلما جاز إستعمال المياه الحارة في العيون الحارة .

وعليه **فالسخانات** في زماننا يجوز استعمال مائها بلا كراهة ، إلا أن هنا مسألة ينبغي التنبيه عليها ، وهي أن الماء شديد الحرارة ، أو شديد البرودة قد يتساهل البعض عند إستعماله في إدارته على الأعضاء وغسلها

---

(١) شرح أخصر المختصرات، ٢٢/٨١

على الوجه المعتبر ، فحينئذ ينبغي عند استعماله أن لا يتساهل مستعمله في القيام بالطهارة على وجهها المعتبر .." [1]

" جائحة كمن اكترى فندقا فحلا البلد لتعذر قبض المنفعة قال : وكذلك عندي لو انجلى أهل الثمرة عنها ولم يجد المشتري من يبيعه الفصل الثاني في قدرها وفي (الجواهر) : لا تحديد فيها إن كانت بسبب العطش بل توضع مطلقا لأن السقي مشترى والأصل : الرجوع بالمشترى أو أجزائه إذا لم تقبض كانت تشرب من العين أو من السماء ومن غير العطش يسقط منها الثلث فما فوق دون ما دونه وقال (ح) : لا توضع الجائحة مطلقا وقاله (ش) وقال أيضا يوضع القليل والكثير احتجا بما في (الموطأ : (قالت عائشة رضي الله عنها : ابتاع رجل ثمرة فنقصت عليه فسأل البائع أن يضع عنه فحلف البائع أن لا يضع فذهبت أم المشتري إليه & فقال : تألى أن لا يفعل خيرا فسمع رب الحائط فقال : يا رسول الله هو له) وجه الدليل : أنه & لم يلزمه ذلك وبقوله & (أرأيت إن منع الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه ؟) فأثبت المال له مع ذهاب الثمرة فدل أنها لا توضع الجائحة والقياس على سائر العيوب الحادثة بعد القبض في غير صورة النزاع أو بالقياس على العطش ومحل الأخبار الواردة بوضع الجوائح أنها أصابتها قبل القبض جمعا بينها وبين القواعد والجواب عن الأول : أنه لم يقل أن النقص بالجائحة المذهبة للثلث فلعله حوالة سوق أو جائحة دون الثلث ولم

." [2]

"

فرع في الكتاب : أكر هذه الدابة ولك نصف الكراء يمتنع للجهالة والكراء لك وله أجرة مثله إذا عمل عليها وما حصل بيننا فالمتحصل له وعليه كراء المثل لأنه هاهنا مستأجر وفي الأول أجير قال صاحب التنبيهات : اعمل عليها فما كان بيننا أصله : إن كل ما يتنقل ويتولى هو النظر فيه فكما تقدم وما لا ينتقل وينظر فيه كالدباغ فهو أجير والمكسب لربه ويستوي فيه قوله : اعمل فيه أو آجره فإن قال : اعمل لي عليها بزيادة قوله : (لي) : فعن ابن القاسم في رواية المدونة : كسبها للعامل وزيادتها كعدمها وفي الجلاب : زيادتها توجب الكسب لربها لأنه أضاف العمل لنفسه قال اللخمي : إذا قال : اعمل عليها فأكراها قال

---

(١) شرح الشنقيطي للزاد، ١/٣٤

(٢) الذخيرة، ٥/٢١٣

ابن القاسم : الكسب للمستأجر ولصاحبها اجرة المثل وفي كتاب الشفعة : الكراء لصاحبها لا ضمان المنافع منه بخلاف البيع الفاسد فإن قال : أكراها ولك نصف كرائها فأكراها للسفر وخرج معها أسواقا فله حصة السوق مع الكراء وأجرة المثل في تولي العقد إن كان تولي حفظها بعد انفصال الكراء وردها فله أجر آخر وقوله في الشفعة يعمل عليها سواء الكراء لربها وله أجرة المثل لأنه إنما يتولى الفعل ولو سافر بها بمتاعه فاكترى له ولصاحبها أجرة المثل وأما الحمام والفرن : فإن لم يكن فيهما دواب ولا آلات الطحن فالأجرة للعامل وعليه أجرة المثل وإن كانا بدوابهما وصاحبهما يشتري الحطب أو هما فالأجرة لصاحبها وللعامل أجرة المثل لأنه قيم فيهما وكذلك الفندق هو

". (١)

" وإن وجدها رطبا رد قيمتها أو تمرا رد مثلها وإن انهدمت قبل الطيب فلربها كانت تبعا أم لا تبعا للدار وقال محمد يردها بحصتها وإن طالت تبعا للدار قال ابن حبيب ولو استحقت الدار موضع الشجرة بعد ستة أشهر رجعت الثمرة للمكتري طابت أم لا وكذلك الزرع بما ينوبه من الثمن

فرع في الكتاب يجوز اشتراط الترميم من الكراء ويمتنع ما زاد على الكراء من عنده لأنه شرط سلف في الإجارة قال ابن يونس إنما يجوز اشتراط كنس المرحاض والتراب وغيرهما فيما يكون بعد العقد لأنه أمر معروف وأماما هو عند العقد فلا لعدم العادة فيه

فرع في الكتاب على رب الدار كنس المرحاض وإصلاح الواهي حتى يتمكن من المنفعة وإن اختلفتما في قدور الحمام فلك كالبنيان ويمتنع اشتراطه عليه إصلاح البيوت كلما احتاجت إليه لأنه مجهول قال صاحب التنبيهات وقع في الكتاب اشتراط كنس المراحيض على المالك ثم قال بعده عليه فعل ذلك فإذا كان عليه : فكيف يحتاج للشرط ؟ قيل : ذلك اختلاف من قوله في أن ما حدث بعد العقد هل يكون على المالك للتمكين من المنفعة أو على الساكن لأنه أحدثه وقيل : ليس بخلاف بل الشرط فيما حدث بعد العقد لأنه على الساكن الذي عليه : ما كان قبل العقد قال : والأشبه أن الحادث على الساكن إلا أن يكون عرف كما في الفنادق وقوله : عليه إصلاح الواهي معناه : لا يجبر بل إن أصلح وإلا فسخ وقيل : يجبر توفية

---

(١) الذخيرة، ٣٨٠/٥

". (١)

" إلا أن يكون زاد في الكراء لأجلها وأن ذهب البياض وحالها نقض الكراء إلا أن يصلحه وله الخروج وإن انكشفت من حائط ونفقته يسيرة أجبر ربها على الإصلاح وأن انهدم بيت داخلها وهو أقل الصفقة حط ما ينوبه القسم الثاني فوات كل المنفعة عرفا قال اللخمي : إذا انقطع ماء الرحا ولا ترجى عودته إلا بعد بعد : فله الفسخ لعدم تسليم المنفعة أو يرجى على القرب لم يفسخ لقلة الضرر وحيث فسخ ثم عاد عن قرب فهل يبطل الفسخ لبطلان السبب أو لا لأنه بطل العقد فلا يعود إلا بإنشاء أخر قولان فإن لم يتفاسخا حتى عاد الماء عن قرب بطل الفسخ أو عن بعد عاد الخلاف : هل عدم المنافع فسخ أو حتى يفسخا وكذلك السفينة يأتي عليها الشتاء ثم يعود الصيف فيها (قولان وارتحال الناس عن المحلة يفسخ كراء الدار لتعذر استقرار الإنسان وحده وكذلك الفندق وحيث عاد الماء في الرحا إن اتفقا على وقت انقطاعه واختلفا في وقت رجوعه صدق المكتري لأن الأصل : برائته من الأجرة وان اختلفا في وقت الانقطاع والرجوع صدق المكري عند ابن القاسم لأن الأصل الماء ابتداء والمكتري عند سحنون لبراءته من الأجرة فإن لم يعد حتى انقضت السنة واختلفا في وقت الانقطاع فعلى قول ابن القاسم يصدق المكري وعلى قول سحنون : المكتري ولو كانت دارا واتفقا على وقت الانهدام واختلفا في وقت الإعادة صدق المكتري استصحابا للحالة وإن اختلفا في وقت الانهدام واتفقا على وقت الإعادة : صدق المكتري عند ابن القاسم خلافا لسحنون فإن لم يعد البناء فعلى مثل ذلك الاختلاف قال

". (٢)

" من ربها ولا كراء له سواء غصب الدار أو المنفعة وكذلك غلق الحانوت بأمر السلطان لأن المنافع إنما تستوفي على ملك المكري فهو مانع من التسليم كالهدم وقال سحنون : الجائحة من المكتري وقال ابن الحارث : إن غصب الدار فالجائحة من المكري فهو نافع أو السكنى فمن المكتري لبقاء ما استوفى منه المنفعة وفي الجواهر : إذا أقر المكتري للغاصب الرقبة قبل إقراره في الرقبة ولا يفوت حق المنفعة تبعا على المستأجر بل له مخاصمة الغاصب لأجل حصته في المنفعة ولا فرق بين غصب السلطان وغيره (في الفسخ)

(١) الذخيرة، ٤٩٣/٥

(٢) الذخيرة، ٥٣٣/٥

فرع قال : قال : إن ذهب أهل المحلة فهو كالانهدام للرحا أقام أو رحل لأنه لا يأتيه من يطحن وكذلك فنادق الموسم إذا امتنع الناس ومهما تعذرت المنفعة فكذلك وقاله الأئمة بخلاف الدار إذا ذهب الناس وبقي المكتري ساكنا لحصول المنفعة وكذلك إن رحل للوحشة بعدهم لتمكنه من المنفعة فتركها اختيارا ولو رحل للخوف سقط الكراء لعدم تمكنه

فرع في الكتاب : إذا لم ينزل المطر أو غرقت الأرض أو هارت البئر قبل تمام الزرع فهلك الزرع رجع بالكراء لعدم تسليم المنفعة فإن لقي الماء للبعض و هلك البعض حصل ماله به نفع وعليه من الكراء بقدره وإلا فلا وأما هلاكه ببرد أو جليد أو جائحة فعليه الكراء لأنها ليست من جهة الأرض ولا منافعها وقاله الأئمة وإذا غرق الزرع بعد الإبان فكالجليد أو انكشف في

". (١)

" المنفعة بل يملك أن ينتفع بنفسه فقط فلهذه القاعدة لم يجعل له كراء إذا لم يجد مسكنا لأنه لم يوقف للغلة وإنما وقف للانتفاع بالأنفس بالسكنى كالمسجد ينتفع به في الصلاة

فرع – قال اللخمي غلة الحبس ستة أقسام ما نفقته من غلته كان على معين أو مجهول كديار الغلة والحوانيت والفنادق فإن كانت للسكنى خير المحبس عليه بين الإصلاح والخروج حتى يكرى بما يصلح به حفظا لأصل الوقف ثم يعود وما نفقته من غلته إن كان على مجهول وعلى المحبس عليه إن كان معينا كالبساتين والإبل والبقر والغنم وما نفقته من غير غلته كان على معين أو مجهول كالخيل لا تؤاجر في النفقة فإن كانت في السبيل فمن ثلث المال وإن لم تكن بيعت واشترى بالثمن عينا من النفقة كالسلاح والدروع وإن كانت حبسا على معين أنفق عليها فإن لم يقبلها على ذلك فلا شيء له وما نفقته تارة من غلته وتارة من غيرها على مجهول أو معين وهو العبيد فإن حبسوا في السبيل ولهم صيغة للسبيل فكالخيل وإن كان المراد منهم الغلة فمن غلتهم كانوا في السبيل أو على الفقراء على مجهول أو معين واختلف في المخدم هل ينفق صاحبه عليه لأنه مالك الرقبة أوالمخدم وهو اصوب لأنه منقطع إليه فلو كان بخلافه نهارا ويأوي لسيده ليلا فعلى سيده كالمستأجر قال ولو قيل في النهار على المخدم وعند الايواء على السيد كان وجها وكذلك العبد المحبس على معين للخدمة نفقته عليه وما هو مختلف فيه أن يضرب المحبس أجلا يخدم فيه العبد وينتفع فيه بالفرس فيختلف هل النفقة على المعطي أو على المعطى لأنه الرقبة ههنا فيه على ملك

---

(١) الذخيرة، ٥/٥٣٨

المحبس ولذلك ينبغي الجواب إذا لم يضرب أجلا على القول إنه يعود بعد الموت المحبس عليه ملكا لصاحبه فهو كالمخدم وما لا نفقة

". (١)

" عليه ولأنه بيع دين بدين وإن قلنا القسم إقرار فإقرار الذمم محال لعدم تعيين ما في الذمة ومن هذا في صفة القسمة بغية (فرع) في النوادر عن أبن القاسم لهم قسم الدار المكتراة والكراء الموروث ماض ويقوم كل وأحد ما يصير له إن لم يضر بالمكتري ولا يضيق عليه ولكل واحد سكنى نصيبه إن لم يضر بالمكتري ولا يضيق عليه وليس لهم إخراجه حتى يتم لتقدم حقه قبل الإنتقال اليهم فما إنتقل إليهم إلا ناقصا كبيع الدار المكتراة (فرع) في الجواهر إذا تنازع الشركاء فيما لا ينقسم فمن طلب البيع اجبر الباقون إلا أن يكون بيع حصته مفرزة لا تنقض كالفنادق والدور الكبار وقال ش و ح لا يجبران على البيع لقوله تعالى ! (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) ! فالرضا شرط والجبر ينافيه وجوابهما إن نفي الضرر لا يشترط فيه الرضا فإن القسم عندهما بيع ويدخلها الجبر والشفعه يدخلها الجبر والآنسان محتاج لل‍اختصاص بملكه ولا يحصل ذلك بقسم العين أو بدلها وهو الثمن الركن الثالث صفة القسمة قال صاحب المقدمات القسم أما إن يتبع في رقاب أو منافع وقسم رقاب أموال ثلاثة قرعة بعد التقويم وتعديل ومراضاة بعد تعديل وتقويم ومراضاة بغير تقويم ولا تعديل ولكل صفة أحكام تخصها

". (٢)

" في القرعة ولا تجمع الدور إلى الحوانيت ولا إلى الفنادق ولا إلى الحمامات وتجمع الفنادق والحمام إن قال أهل العرف باكتساب الرباع هي متقاربة لأنها مستقلات كلها وإلا فلا ولا تجمع الحوانيت إلى الفنادق لقوة التباين وقد تستحق الحوانيت مع ديار الغلة إذا قيل التفاوت يسير قال التونسي قال سحنون إذا كانت إحدى الدارين قاعة لم يجمعا في القسم قاله سحنون لأن عدم البناء في أحدهما يصيرها أرضا والدور والأرضون لا تجمع وأما السفل مع العلو فقد يقال إن سقف العلو كالقاعة اذ الغرض بالقاعة الاستقرار وفوات يسير منافع القاعة لا يمنع الجمع ولكن كثرة البناء في إحدى الدارين يزيد في ثمنها على

---

(١) الذخيرة، ٣٤١/٦

(٢) الذخيرة، ١٩٦/٧

القليلة البناء فيصير عوض كثرة البناء قاعة من الأخرى وكذلك الجديدة مع الرثة عوض عن الجدة قاعة فإن قيل جوز هذا لأن كل واحد منهما نابه قاعة فأشبه الحائط فيه أنواع مختلفة لا يقدر على القسم كل نوع منها فإنه يجمع لأن كل واحد يحصل له بعض تلك الاصناف وإن قل ولو كانت نخلة وزيتونه أمتنع قلنا الفرق إن العلو حصل له ما يشبه القاعة وصاحب النخلة لم يحصل له شبه الزيتونة قال أبن القاسم لا تقسم ذات العين مع النضح ولا البعل مع السقي وإن تقاربت الحوائط إلا بالتراضي نفيا للغرر في القرعة لأن اصلها غرر اغتفر لتطييب القلوب فلا يتعدى المتماثلات وروى أبن وهب يقسم البعل مع العيون إذا استوت في الفضل إذ هو المقصود وروى ابن القاسم المنع لتباين نوع المنفعة قال اللخمي قال محمد بن مسلمة يقسم البعل مع العيون دون البعل مع النضح إلا أن يرضى أهله ولا وجه له بل البعل مع النضح أقرب وإذا كانت الأراضي متقاربة مختلفة لم يجمعها ابن القاسم في القسم لتفاوتها وكذلك إن تباعدت مواضعها كاليوم وتقاربت صفاتها لبعد المواضع وجمعها أشهب لمن طلب حصته في مكان إذا كانت في مكان واحد ونمط واحد وبعضها اكرم أو

".(١)

" اخرى وزيادة دنانير فيه الشفعة وكان من قول مالك ان علم انه اراد المناقلة والسكنى دون البيع فلا شفعة لأنه لم يرض بالخروج من داره وقال عبد الملك انما قال مالك لا شفعة في دارين أو حائطين بين اشراك يناقل احدهم بعض اشراكه حصته من هذه الدار بحصته من الدار الأخرى أو الحائط فيجمع كل واحد منهم في شيء واحد لأنه إنما اراد توسعة حظه وجمعه واما ان ناقل بنصيبه من دار اخرى لا نصيب له فيها ففيها الشفعة عامل بذلك بعض أشراكه أو اجنبيا وقد روي عن مالك ان في ذلك كله الشفعة قال اللخمي عدمها ان اراد جمع نصيبه احسن لأن الأصل ان كل ذي ملك احق بملكه وانما وردت السنة بتغليب احد الضررين بأن يعاد للمشتري مثل دنانيره وخصت الرباع بذلك لأن ضررها اشد فإذا خرج من ربعه لدفع مضرة من ربع آخر فهو احق بما رفع المضرة منه وبما خرج من ملكه لأجله وكذلك إذا اخذ نصيبا من دار لا شرك له فيها والأمر في الأول أبين وعن مالك لا شفعة لمن لم يسكن لأن الضرر الأعظم منعه من السكن فعلى هذا لا يشفع في الحمام ولا الفندق ولا فيما يراد للغلة ولا يسكن واما النقض ففي المدونة إذا أذنت لهما في البناء في عرصتك ثم باع احدهما حصته لك اخذها بالقيمة دون ما بيعت به

---

(١) الذخيرة، ٢١١/٧

وان كان اكثر من قيمتها لأن لك اخذ النقض بالقيمة الا ان تكون القيمة اكثر فتأخذ بما بيع به لأن البائع رضي بذلك فإن لم تأخذ فالشريك أولى من المشتري لان هدم نصف كل بيت ضرر قال اللخمي النقض قسمان لرجل دار يبيع نقضها دون ارضها أو الأرض لك والنقض لآخر وقد اعرتها لاجل وانقضى واختلف في البيع في هذين السؤلين هل يصح ام لا

". (١)

" قاعدة : أسباب الضمان ثلاثة : الإتلاف كحرق الثوب والسبب للإتلاف كحفر البئر فيقع فيها ما يملك أو وضع اليد غير المؤمنة كيد الغاصب أو القابض المبيع الفاسد فتضمين الرهن اختلف في يمينه فقيل وضع اليد لظاهر نص صفوان فلا يسقط الضمان بقيام البينة كالغاصب يقيم بينة وقيل اتهامه في الإتلاف فتزول التهمة بالبينة قال ابن يونس قال ابن القاسم : وإنما يضمن قيمة ما ضاع وقت ضياعه لا وقت ارتهن لأن يده غير يد ضمان قال اللخمي : يضمن كل ما يغاب عليه أو لا يستقل بنفسه وغير المضمون أربعة الأول : ما يغاب عليه ودخل على ألا يغيب عليه ويبقى في موضعه كثمار رؤوس النخل والشجر والزرع القائم وما هو في الجرين والأندر لغيبة المرتهن عنه في الليل والنهار الثاني : ما يغاب عليه وهو مستقل بنفسه كالحيوان على اختلافه نحو الفرس والطير ويلزم على القول بضمان عارية الحيوان ضمان الرهن قال : وأرى ضمان ما يستخف ذبحه وأكله الثالث : ما يبان به ولا يغاب عليه كالسفن ترهن في ساحل البحر صغيرها وكبيرها وكذلك آلتها من الصاري والرجل والمري إذا دخل على بقائها في موضعها على الساحل أو غيره كالطعام في المخزن وكذلك أعدال الكتان في قاعات الفنادق فإن كان طعاما وزيتا مخزونا في دار الراهن ومفتاحه بيده أو طابعه عليه فهو في ضمان الراهن وكذلك إن كان في دار غيره أو في مخزن في الفندق لم يضمنه وإن كان مفتاحه بيده إلا أن يعلم أنه كان يتصرف إليه فينظر هل أخذ مثل ذلك ممكن في تكرره إليه أم لا وإن كان في مخزن المرتهن لم يصدق في ضياعه والرابع : ما لا يبان به وهو العقار على اختلاف أنواعه فإن فقد شيء من آلة الدار صدق في أنه لم يخن

". (٢)

---

(١) الذخيرة، ٢٨٢/٧

(٢) الذخيرة، ١١٠/٨

" الملائكة بل مخاطبة فقط وقال الحارث بن مسكين وغيره يقتل وتوقف القابسي في القائل كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا وشده بالقيود حتى يستفهم البينة عما يدل على مقصده هل أراد أصحاب الفنادق الآن فليس فيهم نبي فيكون أمره أخف لكن ظاهر لفظه العموم وفي متقدمي الأنبياء عليهم السلام من اكتسب المال فوقع التردد وقال ابن أبي زيد في القائل لعن الله العرب ولعن بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وقال إنما أردت الظالمين منهم يؤدب باجتهاد السلطان قال وكذلك لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه (لا ومن قال لا بيع حاضر لباد ان عذر بالجهل أدب الأدب الوجيع كأنه أراد من حرمه من الناس وكذلك يا ابن ألف خنزير مع أنه يدخل في هذا العدد جماعة من آبائه أساء فيزجر عنه وإن علم قصده الأنبياء قتل وقد يضيق القول لو قال لهاشمي لعن الله بني هاشم ولتمن قال له أتتهمني فقال الأنبياء يتهمون فكيف أنت قال أبو إسحاق يقتل لبشاعة ظاهر اللفظ وتوقف ابن منظور لاحتمال أن يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار فأطال القاضي تصفيده واستحلفه بعد ذلك على تكذيب ما شهد به عليه وأطلقه فإن لم يذكر نقصا ولا عيبا بل ذكر بعض أحواله عليه السلام حجة ومثلا لنفسه وغيره لبعض حاله على طريق التأسي بل لرفع نفسه قصد الهزل كقوله إن قيل في المكروه فقد قيل في النبي عليه السلام فإن أذنبت فقد أذنب وكيف أسلم من الألسنة ولم يسلم الأنبياء وقد صبرت كما صبر النبي وصبر النبي أكثر مني وكقول المتنبي

---

(١) ".

" يقطع حتى يخرجه من جميع الدار ودار انفرد بساكنها مع امرأته فسرقت الزوجة أو أمتها من بيت حجره عليها أو الزوج أو عبده من مالها المحجور عليه فظاهر المدونة يقطع إن أخرجه إلى موضع الإذن وعن مالك لا يقطع لأنها خيانة ودار أذن فيها أذنا عاما كالعالم والطبيب أو يحجر على بيت منها دون بقيتها يدخل بغير أذن فيقطع من سرق من بيت محجور إذا خرج به من جميع الدار ولا يقطع السارق من قاعتها ولا من غير المحجور من بيوتها اتفاقا حتى يخرج من جميع الدار لأن بقية الدار من تمام الحرز ففارقت الحجر فإنه لا يدخل إلا بإذن صاحبها ودار مشتركة بين ساكنيها مباحة لسائر الناس كالفندق فقاعته مباحة للبيع والشراء فهي كالمحجة فالسارق من البيوت من السكان أو غيرهم إذا أخذ في عاقة الدار قطع اتفاقا ودار مشتركة بين ساكنيها محجورة عن الناس من سرق من بيت صاحبه قطع إذا خرج إلى قاعة

---

(١) الذخيرة، ١٢/٢٤

الدار (وإن لم يخرج به من الدار) ولا أدخله بيته ولا قطع في السرقة من قاعة الدار وإن أدخلته بيته أو خرج به من الدار لأنها مأذون فيها لهم غلا إن سرق من قاعتها دابة من مربطها المعروف لها ونحوه من المتاع الثقيل الذي يجعل بعضه على بعض فذلك الموضع حرز له وإن سرقت زوجته لأحد سكانها أو زوجها أو رقيقها من مال صاحبه من بيت محجور عليه منه قطع اتفاقا أو أجنبي من بيت من بيوت الدار وأخذ في قاعتها وكالثوب المنشور فيخرجه من الدار فظاهر المدونة يقطع في الوجهين والقياس إذا قطع في الوجه الثاني أن

". (١)

" وغيره وقد يكون مندوبا إذا علمت أنه يبعث على الخير ويحث على ترك الشرور ممن يعلم ذلك منك فقد سئل رسول الله & عن ضالة الإبل فغضب حتى احمرت وجنتاه وقال ما لك ولها ويحتمل أن يكون هذا السائل في الحديث الأول علم منه كثرة الغضب فخصه & بالوصية على ترك الغضب والصرعة الذي يكثر منه أن يصرع الناس كالهزأة والضحكة والنومة وقوله &

ليس الشديد بالصرعة لم يرد نفي الشدة عنه فإنه بالضرورة شديد بل أراد نفي الشدة التامة أو الشدة النافعة فإن الذي يملك نفسه عند الغضب هو أعظم شدة وانفتح نفعا عظيما كما قال & إنما الكريم يوسف لم يرد نفي الكرم عن غيره بل أراد إثبات مزية له في الكرم منفية عن غيره (مسألة في الضيافة) قال رسول الله &

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) جائزته يوم وليلة وضيافته ثلاثة أيام وما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يخرجه قال الباجي أول من ضيف إبراهيم عليه السلام قال تعالى ! (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) ! فأخبر تعالى أنهم أكرموا وهي واجبة عند الليث بن سعد يوما وليلة وخالفه جميع الفقهاء لقوله & فليكرم والإكرام ليس بواجب ولو قال فليضفه اتجه وقد يجب للمجتاز المضرور بالجوع قال مالك الضيافة إنما تتأكد على أهل القرى ولا ضيافة في الحضر لوجود **الفنادق** وغيرها ولأن القرى يقل الوارد إليها فلا مشقة بخلاف الحضر وهذا في غير المعرفة ومن بينكما مودة وإلا فالحضر

---

(١) الذخيرة، ١٦٨/١٢

". (١)

"ونحوها ولا يغسل يديه فيه ولا يأكل فيه إلا الشئ الخفيف) مما لا يلوث (كالسويق) وهو القمح أو الشعير المقلي إذا طحن. زاد في التحقيق سواء كان ملتوتا بسمن أو عسل (ونحوه) مما لا يلوث. (ولا يقص فيه شاربه ولا يقلم أظفاره) لانها أوساخ (وإن قص أو قلم أخذه في ثوبه) أي بحيث لا ينزل منه شئ على الارض. (ولا يقتل فيه قملة ولا برغوثا وأرخص في مبيت الغرباء في مساجد البادية) للضرورة مفهومه أنه لا يرخص ذلك في مساجد الحاضرة لوجود الفنادق فيها إذا وجد ما يعطيه أجرة وإلا بات للضرورة. (ولا ينبغي أن يقرأ في الحمام إلا الآيات اليسيرة ولا يكثر) ومثله موضع القذر. (ويقرأ الراكب والمضطجع) لانها ذكر وقد أمر الله بالذكر في جميع هيئات الشخص. قال تعالى: * (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) * (النساء: ١٠٣). (و) كذا يقرأ (الماشي من قرية إلى قرية ويكره ذلك للماشي إلى السوق) أي سوق الحاضرة لا سوق البادية فلا

". (٢)

"(وتوضع من العطش وإن قلت) من المدونة قال ابن القاسم : أما إن هلكت الثمرة من انقطاع ماء السماء أو انقطع عنها عين يسقيها فهذا يوضع قليل ما هلك بسببه وكثيره بخلاف الجوائح ، ولا بأس بشراء شرب يوم أو شهر لسقي أرضه دون شراء أصل العين .

فإن غار الماء فنقص قال مالك : إن نقص قدر ثلث الشرب الذي ابتاع وضع عنه كجوائح الثمار .

قال ابن القاسم : أنا أرى أنه مثل ما أصاب الثمرة من قبل الماء .

التونسي : /٩٧ انظر /٩٧ لو مات دود الحرير الذي لا يراد ورق التوت إلا لأكله ، هل مشتريه كمشتر حماما أو فندقا خلا بلده فلا يجد من يعمره فيكون له متكلم ، أو لا يشبهه لأن منافع الربع في ضمان مكريه وورق التوت سلعة تضمن بالعقد كمن اشترى علفا لقافلة تأتيه فعدلت عن محله ، أو ليس مثله لإمكان نقل الطعام حيث يباع وورق التوت لا ينقل ؟ الصقلي : وكذا لو اشترى قوم ثمار بلدة وانجلى أهلها عنها لفتنة أو لأجل حرب كان ذلك جائحة .

انتهى نص ابن عرفة .

---

(١) الذخيرة، ٣٣٥/١٣

(٢) الثمر الداني – الآبي الأزهري، ٢٠٨/٢

ونص ابن يونس : ورق التوت الذي يباع فيجمع أخضر لعلف دود الحرير .

قال ابن القاسم : إنه كالبقل يوضع فيه ما قل منه أو كثر .

/٩٧ وانظر /٩٧ لو مات دود الحرير أو أكثره وهذا الورق لا يراد إلا له ، هل موت دود الحرير جائحة فالأشبه أن يكون ذلك كالجائحة كمن اكترى حماما أو فندقا فخلا البلد فلم يجد من يسكنه .

ابن يونس : وكذا عندي لو اشترى قوم ثمار بلد فانجلى أهله لفتنة أو غيرها أن جائحة ذلك من بائعه لأن مشتريه إنما اشتراه." [١]

"لمن يبيعه منه ، فإذا لم يجده هلكت الثمرة فذلك كهلاكها بأمر غالب انتهى .

/٩٧ انظر /٩٧ قوله : " لأن مشتريه إنما اشتراه لمن يبيعه منه كذا هو " يعني أيضا في الورق قال : إنما اشترى الورق يقبضه شيئا فشيئا فيبيعه لمن ينتفع به ، فجعله كالحمام والفندق وقال : إنما اشترى منافع يقبضها شيئا فشيئا ويبيعها لمن ينتفع به .

ونقل أيضا أنه كذلك من اكترى رحى سنة فأصاب أهل ذلك المكان فتنة جلوا بها من منازلهم وجلا معهم المكتري أو أقام آمنا إلا أنه لا يأتيه طعام لجلاء الناس ، فهو كبطلان الرحا من نقصان الماء أو كثرته ، ويوضع عنه قدر المدة التي جلوا فيها ، وكذلك الفنادق التي تكرى لأيام الموسم إذا أخطأها ذلك لفتنة نزلت أو غيرها بخلاف الدار تكترى ثم يجلى أهل ذلك المكان لفتنة وأقام المكتري آمنا أو رحل للوحشة وهو آمن ، فإن هذا يلزمه الكراء كله ، ولو انجلى للخوف سقط عنه مدة الجلاء انتهى .

وخرج المازري على خلو البلد مسألة سئل عنها وهي رجل اكترى موضعا لغسل الغزل بكراء غال ثم أحدث رجل بقربه موضعا آخر فنقص من كراء الأول كثير فأجاب : أنه إن عقد على أنه لا يمكن إحداثه فجاء من ذلك ما لم يظن فله مقال كما يكون له إذا خلا البلد أو غيره مما ذكره العلماء ، وأما إن كان من الممكن الإحداث فلا مقال له إذ نقصان الغلة لإحداث فرن على فرن ليس بعيب .

وأفتى ابن رشد : إن رأى القاضي أن يضع شيئا للاستئلاف لمكتري الحبس فلا بأس به كالوكيل المفوض." [٢]

"(ويبضع ويقارض ويودع لعذر إلا ضمن ويشارك في معين) من المدونة : لأحد المتفاوضين أن يبضع ويقارض دون إذن شريكه ، ولا يجوز لأحدهما أن يقارض شريكا إلا بإذن شريكه .

---

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل، ٣٢٥/٧

(٢) التاج والإكليل لمختصر خليل، ٣٢٦/٧

وأما إن شاركه في سلعة بعينها غير شركة مفاوضة فجائز ، وأما إيداعه فإن كان لوجه عذر لنزوله ببلد فيرى أن يودع إذ منزله الفنادق وما لا أمن فيه فذلك له ، وأما ما أودع لغير عذر فإنه يضمنه .." (١)

"(فعلي أو في ذمتي أو عندي) ابن عرفة : الصيغة الصريحة في الإقرار "كتسلفت " و " غصبت " وفي " ذمتي " والروايات في " علي "كذلك .

ابن شاس : وإذا قال لفلان علي أو عندي ألف فهو إقرار .

ابن شاس : لقوله تعالى : ﴿ أولئك لهم أجرهم عند ربهم ﴾ وقوله : ﴿ فقد وقع أجره على الله ﴾ (أو أخذت منك) المازري : قوله أخذت هذا من بيت فلان أو داره وما يحوزه فلان بغلق أو حائط أو زرب ويمنع منه الناس ولا يدخل إلا بإذنه كإقراره بأخذه من يده فهو تمليك له ، ولو قال من فندقه أو حمامه أو مسجده فليس بإقرار .." (٢)

"(وأمر السلطان بإغلاق الحوانيت) ابن حبيب : وكذلك الحوانيت يأمر السلطان بغلقها الأكراء على مكتريها من ربها .

وقال سحنون : الجائحة من المكتري .

ولابن حبيب في ذلك تفريق .

ابن يونس : ليس هذا كله بشيء ؛ لأن كل ما منع المكتري من السكنى من أمر غالب لا يستطيع دفعه من سلطان أو غاصب ، فهو بمنزلة ما لو منعه أمر من الله كانهدام الدار أو امتناع ماء السماء حتى منعه حرث الأرض ، فلا كراء عليه في ذلك كله ؛ لأنه لم يصل إلى ما اكترى .

وقال أصبغ : من أكترى رحا سنة فأصاب أهل ذلك المكان فتنة جلوا بها من منازلهم وجلا معهم المكتري أو بقي آمنا إلا أنه لا يأتيه الطعام لجلاء الناس ، فهو كبطلان الرحا بنقص الماء أو كثرته ، ويوضع عنه قدر المدة التي جلوا فيها .

وكذلك الفنادق التي تكرى لأيام الموسم إذا أخطأها ذلك لفتنة نزلت أو غيرها بخلاف الدار تكرى ثم تنجلي الفتنة وأقام المكتري آمنا أو رحل للوحشة وهو آمن ، فإن هذا لا يلزمه الكراء كله ، ولو انجلى للخوف سقط عنه كراء مدة الجلاء .

---

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل، ٢٤٤/٨

(٢) التاج والإكليل لمختصر خليل، ٤٢٩/٨

ا هـ .

قول ابن يونس .." [1]

"(وأخرج الساكن الموقوف عليه للسكنى إن لم يصلح لتكرى له) اللخمي : النفقة على الحبس ستة أقسام : قسم نفقته من غلته إن كان على مجهول أو على المحبس عليه إن كان على معين وذلك ديار الغلة والحوائط والفنادق ونفقتها إن احتاجت إلى إصلاح من غلتها ، وإن كانت الديار للسكنى خير المحبس عليه بين أن يصلح أو يخرج فتكرى بما تصلح به ثم يعود (وأنفق في كفرس لغزو من بيت المال فإن عدم بيع وعوض به سلاح) اللخمي : وقسم لا ينفق عليه من غلته كان على معين أو مجهول وذلك الخيل لا تؤاجر في النفقة ، فإن كانت حبسا في السبيل فمن بيت المال ، وإن لم يكن يبعث ويشترى بالثمن ما لا يحتاج إلى نفقته كالسلاح والدروع ، وإن كانت حبسا على معين أنفق عليها فإن قبلها على ذلك وإلا فلا شيء له .." [2]

"(وشدد عليه في كل صاحب فندق قرنان وإن كان نبيا) توقف القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا ، فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده هل أراد أصحاب الفنادق الآن ، فمعلوم أنهم ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف ، ولكن ظاهر أمره العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال وذم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين .." [3]

"""""""""" صفحة رقم ١٩٩ """"""""

الأجل ولم يأت بمطعن قضى به للطالب وإن أتى بمطعن كتجريح أو بينة تشهد أنه اشتراها من القائم ونحو ذلك وطلب القائم الإعذار فيما أتى به فيمكن منه ولا إشكال ، وهل ينحل العقل على المطلوب ويخلي بينه وبين شيئه في مدة تأجيل الطالب ، وهو الظاهر ، وبه رأيت بعض القضاة يحكم أو يستمر العقل حتى يعجز الطالب انظر ذلك . وعلى الأول إن أتى الطالب بمطعن أعيد العقل وهكذا حتى يعجز أحدهما والله أعلم .

ثم أشار إلى كيفية التوقيف في هذا الوجه فقال :

---

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل، ١٤٦/١٠

(٢) التاج والإكليل لمختصر خليل، ٣٥٦/١٠

(٣) التاج والإكليل لمختصر خليل، ٨٢/١٢

ووقف ما كالدور غلق مع أجل

لنقل ما فيها به صح العمل

(ووقف ما كالدور) مبتدأ وأدخلت الكاف كل ما يراد للسكنى لا للغلة من أرض ونحوها (غلق) خبره . فإن كانت في غير الحاضرة بعث أمينا يغلقها وتوضع مفاتحها عند أمين (مع) بسكون العين يتعلق بمحذوف صفة لغلق (أجل) يضرب (لنقل ما) أي الأمتعة التي (فيها) وإن سأل أن يترك ما يثقل عليه نقله أجيب كما في التبصرة وظاهر قوله : مع أجل أن الغلق مصاحب للأجل وليس كذلك إلا أن يقال أنه مصاحب لانتهائه لا لابتدائه ، وتقدم أن قدر الأجل في النقل ثلاثة أيام حيث قال : وبثلاثة من الأيام إلى قوله : وفي إخلاء ما كالربع في ذاك اقتفي . (به) يتعلق بقوله : (صح العمل) أي بهذا القول الذي هو وقف ما يراد للسكنى بالغلق مع قيام العدلين وما له خراج يوقف خراجه ويمنع الحرث في الأرض وبالمنع من الإحداث فقط مع قيام الشاهد العدل أو المرجو تزكيته في الأصول ، إلى غير ذلك مما يأتي جرى عمل القضاة وهو قول مالك في الموطأ ، وقول ابن القاسم في العتبية ومقابله مذهب المدونة : أن الربع الذي لا يحول ولا يزول ولا يوقف بالحيلولة وقف الخراج ، بل بالمنع من الإحداث فقط وهو المشهور الذي أفتى به (خ) حيث قال : والغلة له للقضاء والنفقة على المقضى له به إذ الخراج بالضمان والنفقة على من له الخراج فقوله قبل : وحيلت أمة مطلقا كغيرها إن طلبت بعدل أو اثنين يزكيان الخ مراده بالغير العروض لا الأصول إذ لا حيلولة فيها عنده .

وما له كالفرن خرج والرحا

ففيه توقيف الخراج وضحا

(وما) أي الأصل الذي (له خرج) بسكون الراء لغة في الخراج مبتدأ والمجرور خبره والجملة صلة ما . (كالفرن) حال من خرج أو خبر عن محذوف (والرحا) والحانوت **والفندق**." [1]

"""""""" صفحة رقم ٢٠٨ """""""

الرجوع بالصفة اتفاقا قاله الرجراجي ، وعليه فالفرق بين هذا وبين ما مر من أنه لا يوقف له مع بعد البينة أن الذهاب مع وضع القيمة أخف من الإيقاف من غير ذهاب لأنه إذا هلك في الذهاب أخذ المطلوب القيمة ، وفي الإيقاف لا يأخذ شيئا قال أبو الحسن والعبدوسي : وقوله ليذهب الخ . هذا في الطالب ، وكذا في المطلوب إن أراد الذهاب بهما ليثبت ملكيتها بعد أن أثبتها الطالب ، والخلاف الذي في الذهاب بالدابة

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ١/١٩٩

المستحقة هل يتسلسل أو هو للأول المستحق من يده فقط مخصوص بمن يريد الرجوع بثمنه ، وأما من أراد إثبات ملكيتها فله الذهاب أيا كان ولا يدخله الخلاف ، قال معناه ابن رحال ، وهذه المسألة لها فروع تتعلق بها أضربنا عنها لكونها أجنبية من النظم والله أعلم . وقوله : إلا أن يدعي الخ هذه هي المسألة الثالثة التي تقدم أن الناظم لم يتكلم عليها لأن الإيقاف بغير ذهاب إما بالنشدان أو السماع مع دعوى حضور البينة فيهما أو دعوى حضور البينة من غير نشدان ولا سماع إلا أنه في الأولى والثانية يوقف من الخمسة إلى الجمعة ، وفي الثالثة اليوم ونحوه كما مر ، وقوله أو سماعا يثبت به الخ أي يثبت به اللطخ لا السماع المفيد للعلم فهو داخل تحت قوله : حاضرة ، وقوله وضع قيمته أي عينا ولا يكتفي منه بكفيل إلا برضا الآخر إلا أن يكون العبد قد استحق نفسه بحرية فيكتفي منه به ، ومفهوم حاضرة أنه إذا لم يدع ذلك لا إيقاف أصلا لا للذهاب ولا للإتيان ببينة وهو ظاهر قول الناظم ومدع كالعبد الخ . وحكى ابن ناجي الاتفاق على عدم الإيقاف حينئذ . ٩ قال ابن أبي زمنين : ولو جاز هذا أي الإيقاف بغير لطخ لاعترض الناس أموال الناس اه . وهذا هو القسم السادس المتقدم في التحصيل . قلت : وجرى العمل بالإيقاف بمجرد الدعوى وتمكينه من وضع القيمة ولو لبلد بعيد قال ناظمه :

وكل مدع للاستحقاق

مكن من الإثبات بالإطلاق

وبحث في هذا العمل غير واحد بأن العمل لا بد أن يستند إلى قول ولا قائل بإيقاف بمجرد الدعوى . قلت : رأيت في اختصار الوانشريسي للبرزلي ناسبا لأوائله ما نصه : لا يفتى بغير قول ابن القاسم إلا في خمس مسائل فذكرها إلى أن قال : الرابعة توقيف المخصوم فيه قبل إثبات الطالب وهو رواية ابن عبد الحكم وابن كنانة اه . وقد علمت أن ما مر في النظم و (خ) كله في المدونة فلم يبق حمله إلا على مجرد الدعوى فانظر ذلك في أوائل البرزلي ، وانظره مع ما مر عن ابن ناجي من الاتفاق على أن هذا العمل إن صح مستنده ففيه ما لا يخفى من الإخلال بحق المطلوب والمحافظة على حق الطالب ، فإن كان ولا بد فينبغي أن يضع قيمة كرائها في أيام الذهاب والإيقاف زيادة على قيمتها ، فإن لم يثبت شيئا أخذه المطلوب لأن هذا قد اعترض مال غيره وعطله عن منافعه من غير أن يستند إلى لطخ بخلاف ما إذا استند له فلا يضمن الكراء للشبهة ولم أر ذلك منصوصا لأحد ممن قال بهذا العمل ، وقد حكى كثير من الناس أنهم كانوا إذا تعذر عليهم المعاش يذهبون للفنادق فيعترضون دواب الواردين حتى يصالحوهم بقليل أو كثير ، ولا سيما إن كان رب الدابة مزعوجا يريد الخروج في الحين ، وقد شاهدنا من ذلك العجب العجاب وقد

قال في الذخيرة : إذا التزم المدعى عليه إحضار المدعى فيه لتشهد البينة على عينه فإن ثبت الحق فالمؤنة على المدعى عليه لأنه مبطل وإلا فعلى المدعي لأنه مبطل في ظاهر الشرع ولا تجب أجرة تعطيل المدعي به في مدة الإحضار اه . فتأمل قوله لأنه مبطل في ظاهر الشرع الخ . مع أن ما قاله من وجوب الإحضار إنما هو مع قيام اللطخ .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٦٩ """""""

يضمنه إن مثليا فمثله ، وإن مقوما فقيمته ، وهل تعتبر يوم الضياع أو يوم الارتهان ؟ قولان ، ولا بد من يمينه لأنه يتهم على إبقائه رغبة فيه فيحلف في دعوى التلف أنه لقد تلف وما دلس ، وفي الضياع أنه لقد ضاع ولا يعلم موضعه ، والتلف ذهاب العين والضياع غيبتها بسرقة ونحوها . وظاهره أن الضمان يستمر ولو قبض الدين أو وهب وهو كذلك ، وظاهره أنه يضمن قابل الغيبة ولو شرط البراءة وهو كذلك . وظاهره كظاهر (خ) وابن الحاجب بطلان الشرط كان في العقد أو بعده وهو ظاهر تعليل الرواية بأنه خلاف السنة كما في الالتزامات . وقيل محل البطلان إن كان في صلب العقد لأن الرهن حينئذ له حصة من الثمن لا بعده فيعمل بشرطه ، واعتمده بعض شراح (خ) . ومفهوم دعوى أنه لا ضمان عليه فيما لم يحوه كما لو دخل على بقائه بموضعه كزرع قائم في فدانه أو ثمر على أصله أو في جرينه وأعدال في فندق ونحو ذلك ، وأحرى لو وقف بيد أمين كما يأتي ، ومفهوم قابل غيبة أن ما لا يقبلها لا ضمان عليه وهو كذلك ولو بشرط ثبوته (خ) : إلا أن يكذبه عدول في دعواه موت دابته أو غصبها أو سرقتها حضرا أو سفرا أو رئيت عنده بعد اليوم الذي ادعى فيه الموت ونحوه فيضمن حينئذ لظهور كذبه .

ولما كان الضمان للتهمة وهي تنتفي بالبينة على المشهور خلافا لأشهب قال الناظم :

ما لم تقم له عليه بينه

لما جرى في شأنه معينه

(ما لم تقم له) أي للمرتهن (عليه) أي على رده أو تلفه (بينه) ولو شاهدا مع يمين (لما جرى في شأنه معينه) بكسر الياء المشددة اسم فاعل صفة لقوله بينة والمجرور يتعلق بهذه الصفة ، (وما) الأولى ظرفية مصدرية ، والثانية موصولة واقعة على الرد والتلف بحرق وسرقة ونحوهما أي : شهدت بمعاينة ذلك التلف من حرق أو غرق أو قرض فار ونحو ذلك ، وظاهره أن الشهادة بتلك المعاينة كافية ولو لم تقل إن النار ونحوها بغير سببه وهو كذلك على المعتمد لأن الأصل عدم التفريط والعداء خلافا لظاهرها مع ابن

(١) البهجة في شرح التحفة، ١/٢٠٨

المواز وفهم من قوله معينة أنها إذا لم تعين ذلك ضمن ولو علم غرق أو احتراق محله المعتاد وضعه فيه كحانوته أو مخزنه ، وادعى أنه كان به وهو كذلك على المشهور (خ) مبالغا في الضمان ، ولو شرط البراءة أو علم احتراق محله ، وأفتى الباجي والمازري بعدم الضمان في هذه الحالة واحترزت بقولي : وادعى إنه كان به الخ . مما إذا أثبت أنه كان فيه فإنه لا يضمن باتفاقهما مع الغير ، ومعنى ذلك أنه إذا أثبت أنه كان بذلك المحل قبل وقت الغرق والحرق ، وإلا فهو المعاينة . والظاهر إن علم بسرقة المحل أو غصبه أو." (١)

"""""""" صفحة رقم ٧ """"""

(وما شاكلها) أي شابهها في كونه عقد معاوضة وذلك كالمقاصة والحوالة والشفعة والقسمة والإقالة والتولية والتصيير والسلم ، ونحو ذلك مما أدمجه الناظم في هذا الباب ، وفصل بين أنواعه بالفصول دون الأبواب ، وليس المراد بما شاكلها الفصول الستة المشار لها بقوله : أصول أو عروض أو طعام . إلى قوله : أو حيوان ، لأن هذه الفصول الستة هي التي جمعها أولا بقوله البيوع خلافا ل (ت) ومتبوعه حيث أدخل الصرف ههنا .

ما يستجاز بيعه أقسام

أصول أو عروض أو طعام

(ما يستجاز) أي ما يعد بيعه جائزا أو ما يوجد بيعه جائزا ، فالسين والتاء للعد أو للإصابة والوجدان كاستحسنه واستعظمه واستغفله أي وجده كذلك أو عده قاله (ت) عن التسهيل . ويحتمل أن يكونا زائدتين أي ما يجوز (بيعه) في نظر الشارع صلوات الله وسلامه عليه . (أقسام) ستة (أصول) كالدور والأرضين والبساتين والفنادق والحوانيت ونحوها (أو عروض) كالثياب والسلاح ونحوهما (أو طعام) كالبر والسمن ونحوهما من بصل وملح وغيرهما .

أو ذهب أو فضة أو ثمر

أو حيوان والجميع يذكر

(أو ذهب أو فضة) بأن يباع أحدهما بصنفه وهو المراطلة أو المبادلة أو أحدهما بالآخر وهو الصرف كما مر قريبا . (أو ثمر) كالفواكه والمقاثي والبقل ، وأفردها عن الطعام لما اختصت به من اشتراط بدو الصلاح في جواز بيعها ، وغير ذلك . (أو حيوان) كالرقيق والدواب والأنعام والطير والوحش (والجميع

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ١/٢٦٩

) أي : وكل واحد منها (يذكر) في فصل على حدته مع الأحكام المختصة به كالعيوب الموجبة للقيمة في الأصول والرد في العهدتين في الرقيق والحيوان والربا في النقدين والطعامين ونحو ذلك ، فهذه فائدة تقسيم المبيعات إلى الأقسام الستة المذكورة ، ثم إن أصل البيع الجواز إجماعا لقوله تعالى : وأحل الله البيع ﴾ (البقرة : ٢٧٥) وقد يعرض له الوجوب كمن اضطر لشراء طعام أو شراب المشار له بقول (خ) في الزكاة : وترك مواساة وجبت وفضل طعام أو شراب لمضطر وعمد وخشب فيقع الجدار وله الثمن إن وجد الخ . والندب كمن أقسم على إنسان." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٦ """""""

الانتفاع به ، والماء المضاف بالنجاسات كالزبل في جواز بيعه للسقي به لضرورة الناس إليه قاله في المقرب . قال ابن القاسم : سمعت مالكا يكره بيع رجيع بني آدم ولم أسمع منه في الزبل شيئا ولا أرى به بأسا اه . وفي النوادر عن ابن القاسم : لا بأس بأكل ما زبل به أي برجيع بني آدم . وقال أشهب : أكره بيع رجيع بني آدم إلا من اضطر إليه ، والمبتاع أعذر في شرائه من بائعه . قال (ح) : ويتحصل في بيع العذرة أربعة أقوال . المنع لمالك على فهم الأكثر من أن الكراهة على التحريم والكراهة على فهم أبي الحسن وهو ظاهر اللخمي من أن الكراهة على بابها والجواز لابن الماجشون . والفرق بين الاضطرار فيجوز وعدمه فيمنع لأشهب . قال : وأما الزبل ففيه ثلاثة أقوال . قاسه ابن القاسم على العذرة في المنع عند مالك ، وعليه درج (خ) في قوله : لا كزبل الخ . وقول ابن القاسم بجوازه ، وقول أشهب المتقدم وأن المشتري أعذر من البائع ، وعلى ما ذكره أبو الحسن وهو ظاهر اللخمي من أن الكراهة على بابها تكون الأقوال في الزبل أربعة أيضا اه . ببعض اختصار ، وزيادة في الإيضاح ، وعليه فلا يبعد أن يكون الناظم أراد بالزبل ما يشمل العذرة كما قررنا ، وأما بيع زبل المأكول اللحم وهو الأنعام من بقر وإبل وغنم فجائز اتفاقا في المذهب .

تنبيه : ما تقدم من عدم جواز بيع جلد الميتة ولو دبغ هو المشهور ، وقال ابن وهب : يجوز بيعه بعد الدبغ بشرط البيان ، وعلى المشهور من عدم جواز بيعه فإن وقع واشترى بثمنه غنما مثلا فتوالدت وتعذر رده فإنه يتصدق بالثمن فقط نقله (ح) . ومن استهلكه قبل الدبغ أو بعده فعليه قيمته . قال ابن ناجي في آخر كتاب الضحايا عند قولها : وإن كان أي الكلب مأذونا في اتخاذه وقته غرم قيمته ما نصه : يقوم منها أن من قتل أم ولد رجل يغرم قيمتها ، وأن من استهلك لحم أضحية فكذلك ، وكذلك من استهلك زيتا نجسا أو جلد ميتة أو زرعا قبل بدو صلاحه اه . وانظر تكميل المنهج أول البيوع .

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ٢/٧

فصل في بيع الأصول

الأرض وما اتصل بها فيشمل الدور والحوانيت والفنادق والجنات .

البيع في الأصول جاز مطلقا

إلا بشرط في البيوع متقى." [١]

""""""""" صفحة رقم ٥٣ """""""

تنبيه : قال فيها أيضا : وإن أحلت على ثمن طعام لك من له عليك مثل الثمن من بيع أو من قرض لم يجز للمحال به أن يأخذه له من الطعام إلا ما كان يجوز لك أن تأخذه من غريمك اه .

تنبيه آخر : قال البرزلي : كان شيخنا يعني ابن عرفة يجيز لمن عليه طعام أن يرسل من يشتري طعاما بمال الطالب ثم يتقاضاه منه الطالب قال : وظاهره ولو كان من ناحيته وسببه ولعله خففه مراعاة لمن يجيز أن يقتضي من ثمن الطعام طعاما وهو قول خارج المذهب والله أعلم . ونقله العلمي في نوازله وفي البرزلي أيضا سئل المازري عمن اضطرته الحاجة إلى اقتضاء الطعام من ثمن الطعام ؟ فأجاب بأنه لا يجوز ثم قال في آخر كلامه : ولكن إن لم يقدر على خلاص الثمن إلا بالطعام فيفعلانه على وجه سائغ يأخذ الطعام ويوكل به من يبيعه على ملك ربه فينفذه للحاضر ويقضي البائع ويفعله بإشهاد من غير تحيل على إظهار ما يجوز وإبطال ما لا يجوز .

قلت : مثله يقع اليوم عندنا يعطي الزرع للبادية فلا يجد ما يأخذه فيعطيه الحيوان والسؤال كالسؤال والجواب كالجواب اه . ونقله الملوي في مسائل التصبير .

فصل في الجائحة في ذلك

أي في الثمار وما ألحق بها .

وكل ما لا يستطاع الدفع له

جائحة مثل الرياح المرسله

(وكل ما) أي شيء (لا يستطاع الدفع له) والاحتراز منه إذا أصاب الثمر فأتلف ثلثها فأكثر فهو (جائحة) لها وذلك (مثل الرياح المرسله) تسقط الثمرة بها والثلج والبرد والمطر الغالب والعفن والجراد والدود والطير والفأر والنار وغاصب وسارق .

والجيش معدود مع الجوائح

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ١٦/٢

كفتنة وكالعدو الكاشح

(والجيش) يمر بالنخل ليأخذ ثمرته (معدود من الجوائح) لأنه لا يستطاع دفعه (كفتنة) تقع في البلد فينجلي عنه أهله أو يقل وارده بسببها فلا يجد مشتري الثمرة من يبيعها له كمن اكترى **فندقا** أو حماما فانجلى أهل البلد عنه أو قل وارده ولم يجد من يسكنه فلا كراء علية انظر شرح." [١]

""""""""" صفحة رقم ١٩٨ """""""

يعللون ذلك بأن الشرط المذكور ، وهو أن يسكن بنفسه لا يكاد يتحقق فيها في الغالب لأن ملاكها في الغالب لا يعتمرونها لأنفسهم ، وإنما يستغلونها بالكراء للغير اه . ونقلنا ذلك كله في كتاب الشفعة من نوازلنا وانظر بقية أحكامها في الكتاب المذكور . وفي الكراس الثاني من الإجارة والرهن ، وانظر قولهم عن بردلة : أنه لا شفعة في بيع جزء منها مع أن ذلك بيع لجزء أنقاضها وأشجارها ، وقد قال في ضيح : ينبغي أن يتفق في الإحكار التي عندنا بمصر أن تجب الشفعة في البناء القائم فيه لأن العادة أن رب الأرض لا يخرج صاحب البناء أصلا فكان ذلك بمنزلة صاحب الأرض اه . نقله (ز) وزاد عقبه : أي ولا شفعة لرب الأرض وإنما الشفعة للشريك قال : وكذلك الأرض الخراجية إذا باع أحدهم حصته منها فالشفعة للشريك في الخراج لا لرب الأرض انظره عند قوله في الشفعة وقدم معبر الخ . قالوا : والإحكار جمع حكر وهو المسمى عندنا بفاس بالجزاء ، وبالجملة فالذي يوجبه النظر هو وجوب الشفعة في الجلسة والجزاء بيعا وكراء لأن الشفعة إنما شرعت لرفع الضرر ولا سيما في بيع جزء من هذا الكراء الذي لا يخرج مكتريه إلا برضاه على ما مر ، فالعمل لو لم يجر بالشفعة في مطلق الكراء لكان ينبغي أن يجري بالشفعة في هذا الكراء الذي هو الجلسة بخصوصه لدوام ضرره ، ولما فيها من بيع الأنقاض في بيعها وبيع الأنقاض والبناء فيه الشفعة اتفاقا ، وما ذكروه عن بردلة ضعيف عقلا ونقلا وكونهم لا يستغلونها لأنفسهم لا يوجب سقوطها ، لما تقدم عن ابن ناجي : أن العمل على عدم اشتراط السكنى ، ولقول المنجور المعروف من المذهب تمكين الشفيع من أن يشفع ليبيع ولما تقدم عن الشدادي وابن رحال من وجوب الشفعة فيها وهم متأخرون عن القاضي بردلة فلا يخفى عليهم العمل الذي انفرد هو بنقله ، وقوله : سمعتهم يعللون ذلك بأن الشرط المذكور لا يكاد يتحقق الخ . لا وجه له لأن العمل إذا جرى بموجب الشفعة في الكراء في الشرط المذكور ، فيجب أن يطرد ذلك العمل بشرطه المذكور في جميع أفراد الكراء الذي منه الجلسة والجزاء ، وكونه يعتبر الشرط المذكور في بعض الأفراد دون بعض هو من التحكم الذي لا يخفى بطلانه ، وأيضا يصير هذا العمل

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ٥٣/٢

بالتفصيل في الكراء من كون الشفعة في بعض أفراده دون بعض غير مستند لقول من أقوال المذهب ، وقد نصوا على أن العمل لا بد أن يستند إلى قول ولو شاذا وإلا لم يعمل به ، وقوله لأن ملاكها في الغالب لا يعتمرونها الخ . يقتضي أن ما ارتكبه الملاك من عدم الاعتمار لأنفسهم يتبايعون عليه ويمكنون منه ، وليس كذلك لأن العمل إذا جرى باشتراط الشرط المذكور فلا يمكنون من الشفعة إلا به ويحملهم الحكام عليه جبرا وإلا أدى إلى أن العامة إذا تمالؤا على أمر يتابعون عليه ويمكنون منه ، ولو خالف الأقوال المذهبية ، وهذا مما لا يقوله أحد . هذا وقد رأينا أن صاحب الأصل في الحوانيت والفنادق يكريها صفقة على صاحب الجلسة ، وبالعكس فيأتي الآخر ويضمها من يده ويكريها لغيره بزيادة أو غيرها ، ويمكنهم القضاة من ذلك . وهذا أمر شائع ذائع في هذه البلدة وفي الحقيقة إنما ذلك شفعة إذ لا يملك أحدهما التصفيق على صاحبه حتى يكون لهما لعدم اتحاد المدخل فهم يسمونه صفقة وضما ، وفي الحقيقة إنما هو شفعة وحينئذ فليس عملهم في الكراء على ما نقله القاضي بردلة ، بل على ما لابن ناجي ومن وافقه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢١٢ """""""

فإن كانت الداران في محلة واحدة أو محلتين متقاربتين جمعتا في القرعة ، وسواء كانتا في طرف البلد أو وسطه ، وإن كانت إحداهما في طرفه والأخرى في وسطه أو في طرفيه لم يجمعا ، وإن كانتا في وسطه وتباين ما بين الموضعين كإحداهما في محلة شريفة والأخرى في محلة مرغوب عنها لم يجمعا ، وقد يستحق ذلك في البلد الصغير وإن اختلف الدور في الصفة فكان منها الجديد والقديم الرث ، وهي ذات عدد قسم الجديد على حدة والقديم الرث على حدة ، وإن كانتا دارين جديدة وقديمة جمعتا في القرعة وهي ضرورة ، وليس كالأول لأن الأول له فيه مندوحة اه . ولا تجمع أيضا دور غير غلة للحوانيت ولا لفندق أو حمام ، وأما دور الغلة فتجمع للحوانيت كما في الشامل . وهذا معنى قول (خ) : وأفرد كل نوع وجمع دور وأقرحة إن تساوت قيمة ورغبة وتقاربت كالميل الخ .

تنبيه : إذا كان بعض الفدادين أو الدور طيبا فلا بأس أن يزاد لغير الطيب ضعفه ليقع التعادل ويقترعان . قال في المنتخب ، قلت : فإن كانت دور أو داران بين رجلين وهما في الموضع سواء إلا أن البنيان بعضه أطرى من بعض ، فجعل القاسم مكان البنيان الجديد ضعفه من البنيان الذي قدرت وبلي وعدل ذلك كله بالقيمة ، ثم ضرب عليه بالسهم أيجوز هذا ؟ قال : نعم وهذا هو وجه القسمة اه . ثم إذا طلب بعض الشركاء أن يقسم كل فدان على حدته ولا يضم إلى غيره مع وجود شروط الضم أو كل دار على حدتها مع

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ١٩٨/٢

وجود شروط الضم أيضا وأبى غيره من ذلك وقال : لا بد من الجمع ليخرج حظه مجتمعا في فدان أو أفدنة أو دار أو دور متحدة ، فإن القول لطالب الضم والجمع ولا مقال لمن قال : أنا لا أخرج من هذه الدار ولا من هذا الفدان ونحو ذلك . وأما الأجنات فإنه يقسم كل صنف منها على حدته أيضا إن قبل القسمة على أقلهم نصيبا فإن لم يقبلها فإنه يضم حائط التفاح لحائط الرمان ويقسم إن أمكن فإن لم يمكن أيضا فإنه يباع ويقسم ثمنه وهو معنى قول (خ) وأفرد كل صنف كتفاح إن احتمل ، فمفهومه أنه إذا لم يحتمل فإنه يضم إلى غيره ، وإن اختلفا رغبة وهو كذلك إذ الشروط المتقدمة في العقار والرباع لا تشترط في أصناف الثمار كما للأجهوري ، ويفهم من هذا أن الحائط الذي فيه شجر مختلفة مختلطة يقسم ما فيه بالقرعة بالأحرى ، ولا يلتفت إلى ما يصير في حظ أحدهم من الألوان للضرورة ، ثم ما تقدم من أنه لا يجمع فيها بين نوعين ولا بين متباعدين في النفاق والمسافة ، وإن رضوا هو المشهور لما في ذلك من الغرر والخطر . وروى ابن عبدوس عن أشهب أنه يجوز الجمع برضاهم ولو مع اختلال الشروط ، فمن أخذ به لا يعنف عليه ، وأما البز فكأنه صنف واحد أطلقه في الكتاب على كل ما يلبس صوفا كان أو خزا أو كتانا أو قطنا أو حريرا ، ولو كان بعضه مخيطا فيقوم كل صنف على حدته وتجمع فيه القرعة ما لم يحمل كل نوع القسم بانفراده ، وإلا فلا يجمع على المعتمد (خ) : وجمع بز ولو كصوف وحرير الخ .

ومن أبى القسم بها فيجبر

وجمع حظين بها مستنكر

(ومن أبى القسم بها) أي بالقرعة مع وجود شروطها (فيجبر) لمن دعا إليها ويحكم عليه." [1]

""""""""" صفحة رقم ٢٦٣ """""""""

كلها على البلاغ لا يستحق العامل فيها شيئا إلا بالتمام وتلزم بالعقد كالإجارة قاله ابن عبد السلام وغيره .

يجوز في الدور وشبهها الكرا

لمدة حدت وشيء قدرا

(يجوز في الدور وشبهها) من حوانيت **وفنادق** وأرحية ونحوها (الكرا) ويكون على وجهين . أحدهما : أن يكون (لمدة) معينة قد (حدت) بإشارة إليها أو تسميتها كقوله : أكتريها منك هذه السنة أو هذا الشهر أو هذا اليوم أو يقول له : أكتريها منك شهر كذا أو سنة كذا ، أو يقول : أكتريها منك سنة أو

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ٢/٢١٢

سنتين أو ثلاثا أو يومين أو ثلاثا ، أو يقول : أكتريها منك إلى وقت كذا ، وهذه الألفاظ الأربعة كلها لازم الكراء فيها بالعقد إذا وقعت هكذا (وشيء) من العوض (قدرا) أي فيها لتلك المدة المعينة كدينار أو درهم ويسمى هذا الوجه من الكراء وجيبة .

ولا خروج عنه إلا بالرضا

حتى يرى أمده قد انقضى

(ولا خروج عنه) لواحد منهما قبل انقضاء مدته للزومه لهما بالعقد (إلا بالرضا) منهما معا على فسخه وإلا فلا فسخ (حتى يرى أمده قد انقضى) ثم إن عين المبدأ في الوجهين الآخرين من الوجوه الأربعة التي تسمى وجيبة واضح ، والأصح العقد وحمل الأمر على أن أول المدة من حين العقد لأنه لو لم يحمل على ذلك لزم فساد العقد ، لأن الكراء لا يجوز على سنة ونحوها غير معينة (خ) : عاطفا على الجواز وعدم بيان الابتداء وحمل من حين العقد وعليه ، فإن كان العقد في أول الشهر لزمهما الكراء في ذلك الشهر على الهلال من نقص أو تمام ، وإن كان في أثناء الشهر لزمهما الكراء في ثلاثين يوما من يوم عقداه .

تنبيه : ظاهر قول الناظم لمدة حدت أنه يجوز ذلك ولو طالت المدة ، وهو كذلك إذا كانت تبقى إليها غالبا ، قال في الشامل : ويجوز كراء الدار وشبهها لمدة تبقى فيها غالبا وجاز النقد فيها إن لم تتغير غالبا الخ . فالضابط لجواز العقد والنقد عدم التغير في تلك المدة ، ولذا قال ابن عرفة : المعتبر في أجل منفعة الربع ما لا يتغير فيه غالبا فيجوز فيه العقد والنقد ، وما لا يؤمن تغيره لطول مدته أو ضعف بنائه جاز فيه العقد لا النقد ، وما غلب على الظن بعد بقائه لمدة لم يجز العقد عليه لتلك المدة اه . والوجه الثاني من وجهي الكراء أن يكون العقد وقع بينهما." (1)

"""""""""" صفحة رقم ٣٠٦ """"""""""

عمل ، وإن ببينة أو بلا أجر إن نصب نفسه وغاب عليه فبقيمته يوم دفعه ، ولو شرط نفيه أو دعي لأخذه إلا أن تقوم بينة أي بتلفه فتسقط الأجرة الخ .

تنبيه : ألحقوا السمسار بالصانع فلا تقبل منه دعوى الرد ولا التلف . قال في العمل المطلق :

والحقوا السمسار بالصناع

فضمنوه غائب المتاع

فرع : ذكر اللخمي وابن عرفة في كتاب الوديعة : من اكترى دابة فلما قدم قال : أودعتها لأنها وقفت علي

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ٢/٢٦٣

في الطريق فإنه يصدق ، ولو أنكر ذلك المودع عنده ولا ضمان عليه لأن الشأن دفع الودائع بغير بينة اه .
والقول للأجير أن كان سأل
بالقرب من فراغه أجر العمل
(والقول للأجير) في عدم قبضه الأجرة (إن كان سأل) أي جاء يسألها ويطلبها (بالقرب من فراغه) كاليومين ونحوهما (أجر العمل) مفعول بقوله سأل ، وهذا إذا كان قد دفع المصنوع لربه أو لم يحزه أصلا كبناء وإلا بأن كان المصنوع باقيا تحت يده ، فالقول له في عدم القبض وإن طال (خ) : وله وللجمال بيمين في عدم قبض الأجرة وإن بلغا الغاية إلا لطول فلمكتريه بيمين ، وكان حق الناظم أن يؤخر هذا البيت عن الأبيات بعده لارتباطها بما قبله ، وظاهر قوله بالقرب من فراغه أنه لا فرق بين الصناع وكراء الرواحل والسفن والدور والأرضين وغير ذلك ، وهو كذلك . قال في المتيطية : وإن كان الكراء مشاهرة أو مسانهة واختلفا في الدفع صدق المكتري مع يمينه فيما انقضى من الشهور في المشاهرة ، ومن السنين في المسانهة إلا في الشهر الأخير والسنة الأخيرة ، فيصدق المكري مع يمينه إن قام بحدثان ذلك . قال بعض الموثقين : والشهر بعد انقضاء المدة في ذلك قريب انتهى . قال المكناسي في مجالسه : العرف بفاس أن القول قول المكري للدار ونحوها في سالف المدة ما عدا شهرين من آخرها فإن القول فيها قول المكري انتهى . قلت : والعمل اليوم بفاس على ما للمكناسي بزيادة شهر فيكون القول للمكتري فيما عدا الثلاثة الأشهر الأخيرة ، فإن القول فيها قول المكري مع يمينه في الدور والحوانيت **والفنادق** ونحو ذلك لا في الصناع والرواحل ، فإن العمل فيها على ما في النظم والله أعلم . ثم إذا قلنا." (١)

"""""""" صفحة رقم ٤٧٠ """"""""

هو مكتريه لا حارس الثياب والخلاف فيهما معا ، والمشهور عدم الضمان فيهما كان بأجرة أم لا . (خ) : كحارس ولو حماميا الخ . ابن عبد البر : كلا القولين معمول به على حسب الاجتهاد ، ابن يونس : روى محمد إن نام حارس بيت فسرق ما فيه لم يضمنه وله أجره ، وكذلك حارس النخل قال محمد : لا يضمن جميع الحراس إلا بتعد كان ما يحرسونه طعاما أو غيره . ابن عرفة : قوله لا ضمان عليه في نومه يجب تقييده بكونه في وقت نومه المعتاد له لا في نومه في وقت حاجة العسس والحرس . وفي البرزلي عن ابن أبي زيد فيمن اكترى مخزنا للطعام وصاحبها ساكن فيها لا ضمان عليه في الطعام إذا ذهب . الشعبي : من اكترى بيتا في داره أو حيث يسكن لخزن الطعام فضاع كله أو بعضه لا شيء على صاحب البيت ولا

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ٣٠٦/٢

يمين إن كان صالحا وإن كان متهما حلف .

قلت : لأنه وديعة بأجرة وأخذ الأجرة لا يخرجه عن الأمانة . وفي البرزلي أيضا قبل هذا : إن شرط الضمان على الحراس لا يلزم ولهم أجر مثلهم فيما لا ضمان عليه وتأمله مع ما في اليزناسني عن (تت) أن العرف الآن ضمان الحراس لأنهم إنما يستأجرون على ذلك اه . لأن العرف غايته أن يكون كالشرط والشرط بالصراحة لا ضمان فيه .

تنبيهات . الأول : قال البرزلي : حارس الطعام إذا استخلف غيره فالصواب ضمانه إلا أن يستخلف لضرورة قويا مثله على الحرس .

الثاني : جزم ابن رحال في تضمين الصناع بأن حارس **الفندق** وحارس الحوانيت بالليل ضامن قال : وكذا حارس الطعام في المطمر وهو المسمى بالمراس قلت : وما قاله من ضمان حارس **الفندق** والسوق والمطمر ظاهر لأن كلا منهم حارس لغير منحصر ولا مخصوص . ألا ترى أن صاحب **الفندق** نصب نفسه لحراسة أمتعة كل من دخل إليه ووضع أمتعته فيه كانت مما يغاب عليه أم لا . فهو فيما لا يغاب عليه بمنزلة الراعي المشترك ، وقد جرى العمل بتضمينه وفيما يغاب عليه كالسمسار والعمل بتضمينه أيضا ، وكذا البيات في السوق نصب نفسه لحراسة أمتعة كل من اكترى حانوتا في ذلك المحل ووضع أمتعته فيه أيا كان طلع لهذا الحانوت في هذا الشهر أو السنة أو غيرهما ، وحارس المطمر كذلك نصب نفسه لكل من يخزن الطعام في ذلك المحل وعلى قياسه يقال : حارس الحمام كذلك لأن العادة عندنا اليوم أن مكتري الحمام يؤاجر أجيرا تحته يقبض أجرة الداخلين للاغتسال ويحرس ثياب النساء والرجال ناصبا نفسه لذلك وهم مخصوصين ولا منحصرين ، ولذا قال المتيطي عن بعض الشيوخ ما في المدونة : من عدم الضمان على حارس ثياب الحمام لا يقتضي سقوط الضمان عن مكتري الحمام لأن أجير الصانع لا يضمن ويضمن الصانع وصاحب الحمام في حكم الصانع لأن المقصود منه التنظيف والاغتسال فيضمن فيما لا يستغنى عنه على الائتمان عليه ، كما قال ابن حبيب في الطحان : يضمن القمح." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٧١ """""""""

وظرفه إلا أن يطحنه بحضرة صاحبه أو يكون كالحمال يضمن الطعام لأنه مما جرت العادة بسرعة الأيدي إليه وكذلك صاحب الحمام جرت العادة بجنايته على ثياب الناس فيضمنها اه . وقد علمت أن الصواب هو الضمان في الجميع لما تقدم أن كلا القولين معمول به ، وترجح الضمان بما عللوا به من جري العادة

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ٢/٤٧٠

بالجناية وقد قال اليزناسني في السمسار : أن ما قاله ابن عبد البر من ضمانه هو الذي ينبغي أن يعمل به في هذه الأزمنة التي قل فيها الصدق عند من يظن به فضلا عن غيره اه . وهذا التعليل جار في جميع ما ذكرناه . وحكي أيضا عن عياض أن الحكم بن نصر حكم بسوسة بتضمين صاحب الحمام قال القلشاني : عدل عن المشهور إلى الحكم بالشاذ مراعاة للمصلحة العامة التي شهد لها الشرع بالاعتبار فمنع من بيع الحاضر للبادي ومن بيع التلقي على القول بأنه لحق المجلوب إليهم اه . وفي هذا كله كفاية لمن ا كتفى .

الثالث : لو قال حارس الثياب أو الفندق دفعت ثيابك أو بهيمتك لمن شبهته بك أو قال : رأيت من أخذها وتركته يأخذها لظني أنه أنت فإنه يضمن بلا خلاف ، لأن غايته أن يكون مفرطا أو مخطئا والخطأ والعمد في أموال الناس سواء ، والتفريط هو أن يفعل ما لا يفعله الناس كما في البرزلي وهو موجب للضمان كما تقدم .

فصل في القرض وهو السلف

بفتح القاف وقيل بكسرها ، وفي الذخيرة هو من أعظم المعروف وأجل القرب وأصله الندب وقد يجب في مسغبة ونحوها . وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (قرض مرتين يعدل صدقة مرة) خرجه البزار وصححه عبد الحق ، وروي أن درهم القرض بثمانية عشرة ودرهم الصدقة بعشرة كذا رآه (صلى الله عليه وسلم) مكتوبا على باب الجنة ليلة الإسراء ، وسأل جبريل : (ما بال القرض أفضل من الصدقة) فقال : إن السائل يسأل وعنده كفاية ، والمقترض لا يقترض إلا لحاجة ، وهذا يعارض ما دل عليه حديث البراز من أن الصدقة أفضل . وعرفه ابن عرفة بقوله : القرض دفع متمول في عوض غير مخالف له لا عاجلا تفضلا فقط لا يوجب إمكان عارية لا تحل متعلقا بذمته اه . فخرج بقوله متمول غير المتمول كالخمر والخنزير ويدخل جلد الميتة المدبوغ ، فإنه يجوز قرضه ليرد له مثله على الراجح لأنه متمول ، وأما جلد الأضحية فلا يجوز قرضه لأنه بيع له ، وبقوله في عوض دفعه هبة ، وبقوله غير مخالف له البيع ، وقوله لا عاجلا عطف على مقدر أي حال كونه مؤجلا لا عاجلا أخرج به المبادلة المثلية فإنه يصدق الحد عليها لولا الزيادة . وبقوله تفضلا الخ . قصد نفع نفسه أو أجنبي ، وبقوله لا يوجب الخ قرض الجارية ، وبقوله متعلقا بذمته الخ . نحو دفع شاة في أخرى بعينها لأجل ثم قال : ولو قلنا مماثل بدل غير مخالف لم يشمل إلا ما شرط فيه المثل لامتناع مماثلة الشيء نفسه اه . واعترض بأنه

جعل جنسه الدفع مع أن القرض يوجد ويلزم بلا دفع لأنه يلزم بالقول وقد يجاب بأن المعنى عقد على دفع متمول الخ .." (١)

"٣٩٧٢٨ – حدثني محمد بن خليفة قال: حدثني محمد بن الحسن قال: حدثني موسى بن هارون قال: حدثني قتيبة بن سعيد قال: حدثني الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير،عن عقبة بن عامر قال: قلنا، يا رسول الله، إنك تبعثنا فنمر بقوم، ولا يقرونا، [فماذا ترى] ؟ فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن نزلتم بقوم، فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا، فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي ".

٣٩٧٢٩ – قال أبو عمر: وهذا يحتمل أن يكون في أول الإسلام، إذ كانت المواساة واجبة، ثم أتى الله تعالي بالخير والسعة، فصارت الضيافة جائزة وكرما مندوبا إليها، محمودا فاعلها عليها.

٣٩٧٣٠ – وقال مالك: ليس على أهل الحضر ضيافة.

٣٩٧٣١ – وقال سحنون: إنما الضيافة على أهل البادية وأما أهل الحضر **فالفندق** ينزل فيه المسافر.." (٢)

"قال: .. في هؤلاء المحتكرين إذا احتكروا الطعام وكان ذلك مضرا بالسوق: أرى أن يباع عليهم، فيكون لهم رأس أموالهم، والربح يؤخذ منهم، يتصدق به أدبا لهم، وينهوا عن ذلك، فإن عادوا كان الضرب والطواف والسجن لهم. وقال: وأرى هؤلاء البدويين إذا أتوا بالطعام ليبيعوه في سوق المسلمين، وأنزلوه في **الفنادق** والدور، فأرى على صاحب السوق أن يأمرهم أن لا يبيعوه إلا في أسواق المسلمين، حيث يدركه الضعيف والقوي والشيخ الكبير والعجوز.ص-٤٣-(١)[١٣].

---

(١) [١٣] – الأصل أن يبيع المرء سلعته متى شاء، فإن نزلت بالناس حاجة.. ولم يوجد عند غيره طعام .. أجبر على البيع بسعر الوقت لرفع الضرر عن الناس..قاله عياض والقرطبي. انظر (شرح الزرقاني على الموطأ) ٣٨١/٣. قال مالك: وينهى عن الاحتكار، عند قلة تلك السلعة وعند الخوف عليها. قال: وذلك في الطعام وغيره من السلع . ومن سماع ابن القاسم قيل لمالك: أفيحتكر الرجل ما عدا القمح والشعير؟ قال: لا بأس بذلك. ولعل القاعدة في ذلك. النظر إلى ما يترتب على احتكار السلع من ضرر. سواء كانت طعاما

---

(١) البهجة في شرح التحفة، ٤٧١/٢

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ٤٦٣، ٣٠٦/٢٦

أو غيره. " وأما العروض فيراعى فيها احتكارها في وقت بضر بالناس ذلك.، فيمنع منه، ويكون سبيله مثل ما ذكرنا في الطعام، ولا يمنع من احتكارها في وقت لا يضر.انظر في هذا والذي قبله (النوادر والزيادات) لأبي محمد ابن أبي زيد –رحمه الله تعالى– ٦/ ٤٥٢–٤٥٣.." [١]

"وأخبرنا يحيى بن عمر، قال: أخبرنا وليد بن معاوية، عن عبد الرحمن بن أبي جعفر الدمياطي، قال: سئل ابن القاسم عن قول مالك: ينبغي للإمام إذا غلا السعر واحتاج الناس إلى أن يبيعوا على الناس ما عندهم من فضل طعامهم إذا أريد بذلك الطعام التجار الذين خزنوا للبيع لا من طعام الناس إذا كان فضل عن قوت [عيالهم] أو جميع طعام الناس إذا اشتدت السنة واحتاج الناس إلى ذلك، ولم يقل مالك: يباع عليهم، ولكن قال: يؤمر بإخراجه وإظهاره للناس، ثم يبيعون ما كان عندهم من فضل قوت عيالهم كيف أحبوا، ولا يسعر عليهم .

قيل: وكيف إن سألوا الناس ما لا يحتمل من الثمن أو ما لم يبع به الناس ؟

قال: هو مالهم يفعلون فيه ما أحبوا، ولا يجبرون على بيعه بسعر يوقت لهم، هم أحق بأموالهم، وما أرى أن يسعر عليهم، ولكن ما أراهم إذا رغبوا وأعطوا ما يشتهون من الغلاء أن لا يبيعوا، وأما التسعير فظلم لا يعمل به من أحب العدل .

قال يحيى بن عمر: قوت عيالهم يعني قوت سنة، كانوا تجارا أو خزنوا لأنفسهم وحرثوا، فإنه يترك لهم قوتهم سنة، ويؤمر ببيع ما بقي عندهم .

ما جاء في الحكرة وما يجوز فيها

وسمعت يحيى بن عمر يقول في هؤلاء المحتكرين إذا احتكروا الطعام وكان ذلك مضرا بالسوق:

أرى أن يباع عليهم، فيكون لهم رأس أموالهم، والربح يؤخذ منهم، يتصدق به أدبا لهم، وينهوا عن ذلك، فإن عادوا كان الضرب والطواف والسجن لهم .

قال يحيى بن عمر: وأرى هؤلاء البدويين إذا أتوا بالطعام ليبيعوه في سوق المسلمين وأنزلوه في **الفنادق** والدور، فأرى على صاحب السوق أن يأمرهم ألا يبيعوه إلا في أسواق المسلمين، حيث يدركه الضعيف والقوي والشيخ الكبير والعجوز .

---

(١) أحكام السوق، ص/١٠

قلت ليحيى بن عمر: فإن قال البدوي: تدخل علي مضرة ممن يشتري مني بنصف دينار أو ثلث دينار، فمتى أرجع إلى بلدي وأنا ما أقدر أقعد أكثر من يوم أو يومين، وما معي إلا زاد يوم أو يومين ؟." (١)

"قال يحيى: يقال له: [حط من] السعر نصف الثمن أو الثمن، فتخفف على نفسك وترجع مسرعا سريعا إلى بيتك .

وأما ما ذكرت من المقام والمضرة فأنت تريد بيع نافق الثمن، وتريد أن ترجع إلى بلدك سريعا، فلا تمكن من ذلك، لأن ذلك ضرر على المسلمين، أو تصبر فتبيع في السوق بنافق الثمن، فلا مضرة على المسلمين .

قلت ليحيى بن عمر: فإن أراد الرجل الذي ليس يعرف يبيع القمح ولا بالاحتكار، وإنما يشتري لقوته سنة، فأراد أن يشتري قوت سنة في هذا الغلاء، أترى أن يمكن من ذلك ؟

فقال: لا يمكن من ذلك .

وقال يحيى بن عمر لصاحب السوق: من أراد أن يبيع قمحا من بيته جلبه من منزله إلى بيته، ثم احتاج إلى بيعه وثمنه، فأراد أن يبيعه، فعرض منه قليلا في يده في السوق، ثم اشتراه منه الحناطون، هل ترى أن يمكن الحناطون أن يكتالوه في دار البائع وينقلوه إلى حوانيتهم ؟

فقال يحيى: أرى أن لا يمكن البائع أن يبيع في داره، وأرى أن ينقله إلى السوق بين المسلمين .

قيل ليحيى: فإن [أهل] القصر عندنا ليس لهم سوق يصب فيها الطعام.

فقال: أرى أن يكون بحوانيتهم ويبرزوه للناس في السوق، ويمنع الحناطون أن يشتروا في الدور إذا كان السعر غاليا مضرا بالأسواق، وإذا كان السعر رخيصا ولا يضر بالسوق خلي بين الناس وبين السوق أن يشتروا ويدخروا ويشتروا في الفنادق وفي الدور وحيث ما أحبوا .

قيل ليحيى بن عمر: في رجل جهل فأنزل قمحه في رحبة الطعام وليس يعرف ممن يحتكرون وإنما جاء به ليأكله .

فقال: إذا صح هذا خليت بينه وبين قمحه ينقله إلى داره .

وسألت يحيى بن عمر: عن صاحب الحمام يدخل غير نفساء ولا مريضة ثم اطلع عليه، هل يجب على أحد من المسلمين أن يتهجم عليهن فيخرجهن من الحمام ؟

فقال يحيى بن عمر: لا يهجم عليهم، ولكن يأمرهن بلبس ثيابهن ويستترن بما يخرجن به، ويقول لهن: قد

---

(١) أحكام السوق، ص/٤١

علمتن النهي وكراهة العلماء لذلك، ويؤدبهن قدر ما يرى .

في البيع من المسترسل." (١)

"تنبيه قيد في الوسيط الإصطبل بكونه متصلا بالدور فإن كان منفصلا عنها فلا بد من اللحاظ الدائم وإن لم يفهمه كلام المصنف

(لا آنية وثياب) ولو خسيسة فليس الإصطبل حرزا لها لأن إخراج الدواب مما يظهر ويبعد الاجتراء عليه بخلاف ما يخف ويسهل حمله

ويستثنى منها كما قال البلقيني وغيره آنية الإصطبل كالسطل وثياب الغلام وآلات الدواب من سروج وبراذع ولجم ورحال جمال وقربة السقاء والراوية ونحو ذلك مما جرت العادة بوضعه في إصطبلات الدواب

تنبيه المتبن حرز للتبن إذا كان متصلا بالدور كما مر في الإصطبل

(وعرصة) أي صحن (دار وصفتها حرز آنية) خسيسة كما قاله الأذرعي (وثياب بذلة) أي مهنة ونحوها كالبسط والأواني لقضاء العرف بذلك

أما النفيسة فحرزها البيوت **والخانات** ونحوها كالأسواق المعينة فإذا سرق المتاع من الدكاكين وهناك حارس بالليل قطع (لا) حرز (حلي و) لا (نقد) وثياب وأوان نفيسة فليست العرصة والصفة حرزا لها لأن العادة فيها الإحراز في البيوت المغلقة في الدور ونحوها كالمخازن

(فروع) لو ضم العطار أو البقال ونحوه الأمتعة وربطها بحبل على باب الحانوت أو أرخى عليها شبكة أو خالف لوحين على باب حانوته وكانت محرزة بذلك في النهار لأن الجيران والمارة ينظرونها وفيما فعل ما ينبههم ما قصدها السارق فإن لم يفعل شيئا من ذلك فليست محرزة

وأما في الليل فمحرزة بذلك لكن مع حارس والبقل ونحوه كالفجل إن ضم بعضه إلى بعض وترك على باب الحانوت وطرح عليه حصير ونحوها فهو محرز بحارس وإن رقد ساعة ودار على ما يحرسه أخرى والأمتعة النفيسة التي تترك على الحوانيت في ليالي الأعياد ونحوها لتزيين الحوانيت وتستر بنطع ونحوه محرزة بحارس لأن أهل السوق يعتادون ذلك فيقوى بعضهم ببعض بخلاف سائر الليالي والثياب الموضوعة على باب حانوت القصار ونحوه كأمتعة العطار الموضوعة على باب حانوته فيما مر والقدور التي يطبخ فيها في الحوانيت محرزة بسدد تنصب على باب الحانوت للمشقة في نقلها إلى بناء وإغلاق باب عليها والحانوت المغلق بلا حارس حرز لمتاع البقال في زمن الأمن ولو ليلا لانتفاع البزاز ليلا بخلاف الحانوت

---

(١) أحكام السوق، ص/٤٢

المفتوح والمغلق زمن الخوف وحانوت متاع البزاز ليلا والأرض حرز للبذر والزرع للعادة وقيل ليست حرزا إلا بحارس

قال الأذرعي وقد يختلف ذلك باختلاف عرف النواحي فيكون محرزا في ناحية بحارس وفي غيرها مطلقا اه

وهذا أوجه والتحويط بلا حارس لا يحرز الثمار وإن كانت على الأشجار إلا إن اتصلت بجيران يراقبونها عادة وأشجار أفنية الدور محرزة بلا حارس بخلافها في البرية والثلج في المثلجة والجمد في المجمدة والتبن في المتبن والحنطة في المطامير كل منها في الصحراء غير محرز إلا بحارس وأبواب الدور والبيوت التي فيها والحوانيت بما عليها من مغاليق وحلق ومسامير محرزة بتركيبها ولو مفتوحة أو لم يكن في الدور والحوانيت أحد ومثلها كما قال الزركشي وغيره سقوف الدور والحوانيت ورخامها والآخر محرز بالبناء والحطب وطعام البياعين محرز بشد بعض كل منها إلى بعض بحيث لا يمكن أخذ شيء منه إلا بحل الرباط أو بفتق بعض الغرائر حيث اعتيد ذلك بخلاف ما إذا لم يعتد فإنه يشترط أن يكون عليه باب مغلق

(ولو نام بصحراء أو مسجد) ونحو ذلك من موضع مباح كشارع (على ثوب) أو لابسا لعمامته أو غيرها كمداسه وخاتمه (أو توسد) أي وضع (متاعا) تحت رأسه أو اتكأ عليه (فمحرز) فيقطع السارق بدليل الأمر بقطع سارق رداء صفوان

قال الشافعي رضي الله تعالى عنه ورداؤه كان محرزا باضطجاعه عليه ولفضاء العرف بذلك

وإنما يقطع بتغييبه عنه ولو بدفنه إذ إحراز مثله بالمعاينة فإذا غيبه عن عين الحارس بحيث لو نبه له لم يره كأن دفنه في تراب أو واراه تحت ثوبه أو حال بينهما جدار فقد أخرجه من حرزه

تنبيه استثنى الماوردي و الروياني فيما لو توسد شيئا لا يعد التوسد حرزا له كما لو توسد كيسا فيه نقد أو جوهر

". (١)

"ولما كان شرط التحديد بالثلث مختصا بالثمار قال : (وتوضع) عن المشتري (جائحة البقول ، وإن قلت) ونقصت عن الثلث إلا أن يكون المجاح شيئا قليلا جدا .

---

(١) مغني المحتاج، ٤/١٦٥

قال خليل : وتوضع من العطش ، وإن قلت كالبقول تشبيه في الوضع ، وإن قلت ولو من غير العطش ، والمراد بالبقول ما لا تطول مدته في الأرض كالخس والجزر والسلق والكزبرة والهندبا والزعفران والريحان والقرظ وورق التوت والبصل ، وإنما كانت توضع منها ، وإن نقصت عن الثلث لعسر معرفة ثلثها ؛ لأنها تقطع شيئا فشيئا .

(وقيل لا يوضع إلا قدر الثلث) قياسا على الثمرة وهذا خلاف المعتمد .

والمعتمد ما تقدم من وضعها مطلقا ولذا اقتصر عليه خليل ، وقدمه المصنف وحكى هذا بصيغة التمريض .

(تنبيه) .

في كلام المصنف إشارة إلى جواز بيع مغيب الأصل كالجزر والبصل والفجل ؛ لأنها من البقول ، وهو كذلك ، لكن يشترط في حال بيعها أن يقلع منها شيء ويراه المشتري كما هو ظاهر كلام ابن رشد وغيره ؛ لأنه لا يكفي رؤية ظاهرها ، ولكن ذكر الناصر اللقاني أنه يكفي في جواز بيع مغيب الأصل رؤية ظاهره ، أي ؛ لأنه برؤية ورقه يستدل على ما في الأرض من كبر وصغر على ما هو معروف لأرباب الخبرة بذلك .

(خاتمة عزيزة الوجود) .

مما هو منزل منزلة الجائحة عدم حصول المقصود ، من ذلك لو اشترى شخص ورق توت ليطعمه لدود الحرير فيموت الدود ، ومن ذلك أيضا لو اكترى حماما أو **فندقا** في بلد فخلي البلد ولو يوجد من يتحمم أو يسكن ، ومن ذلك أيضا من." (١)

"أهليهم في هذه الأوقات الثلاثة ، لأن هذه الأوقات مظنة كشف العورات ، وما عداها لا حرج في دخولهم بغير إذن ، وظاهر قوله : ثلاثا أنه لا يزيد على الثلاث وهو كذلك ، اللهم إلا أن يغلب على ظنه عدم السماع ثم حيث غلب على ظنه السماع فإن أذن له وإلا انصرف ، واحترز بقوله بيتا عن نحو المسجد والحمام **والفندق** وما شابهها من كل محل مطروق ، كبيت العالم والقاضي والطبيب فإنه يجوز دخوله في أوقات الدخول ، ولا يحتاج إلى إذن ، وصفة الاستئذان على قول الأكثرين أن يقول : السلام عليكم أأدخل ؟ ثلاث مرات فيجمع بين السلام والاستئذان ، وقيل : يبدأ بالاستئذان قبل السلام ، واختاره بعض المتأخرين ومنهم ابن رشد ، وما يفعله بعض الناس في الاستئذان من نحو : سبحان الله أو لا إله إلا الله فهو بدعة

---

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ٦/٢٢٥

مذمومة لما فيه من إساءة الأدب مع الله في استعماله اسمه في الاستئذان ، بخلاف التنحنح أو قرع الباب ثلاثا كان الباب مفتوحا أو مغلوقا فإنه يقوم مقام الاستئذان بالكلام .

والحاصل أنه يستأذن على كل من لا يحل له النظر إلى عورته حتى أمه وأخته كما قدمنا ، وإذا استأذن بالسلام فقيل له من هذا ؟ فليسم نفسه باسمه وبما يعرف به ولا يقول : أنا لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كرهها ممن أجابه بأنا حتى خرج وهو يقول أنا أنا ، ولأن بها هلك من هلك كفرعون وإبليس ، وإنما قلنا غير بيتك تبعا للآية .

وكلام المصنف إشارة إلى ما في الآية ، وأما دخول المكلف بيت نفسه فينبغي أن يفصل." [1]

"ثم شرع فيما يندب عند إرادة الخروج من المنازل بقوله : (ومما روي) عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في السنن الأربع (في الدعاء عند الخروج من المنزل اللهم إني أعوذ) أي أتحصن (بك أن أضل) أي أخرج عن الحق فهو بفتح الهمزة بالبناء للفاعل .

(أو أضل) بالبناء للمجهول أي يضلني الغير عن الحق .

(أو أزل) بفتح الهمزة أي أميل عن الحق (أو أزل) بضم الهمزة أي يزيغني الغير .

(أو أظلم) غيري (أو أظلم) بضم الهمزة أي يظلمني الغير .

(أو أجهل) بفتح الهمزة أي أسفه على أحد .

(أو يجهل علي) فيستحب لكل أحد أن يقول ذلك عند خروجه من بيته ، والجهل والظلم قيل هما مترادفان ، وقيل الظلم وضع الشيء في غير محله عمدا ، والجهل وضعه في غير محله بغير علم ، وظاهر الحديث أنه يقول ذلك كلما يخرج ولو تكرر خروجه ، لأن الإكثار من الدعاء مستحب في كل وقت ، وقوله من المنزل ليس بقيد بل مثله لو خرج من حائطه أو من **فندقه** ، وظاهر اللفظ كان الخروج لسفر أو غيره بل هو للسفر أشد طلبا خلافا لمن خصه بالحضر .

وفي سنن أبي داود بسند صحيح من حديث أنس : ﴿ إذا خرج الرجل من بيته احتوشته الشياطين ، فإذا قال : بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك : كفيت وهديت ووقيت فتتفرق عنه الشياطين ويقولون : ما تصنعون عند رجل كفي وهدي ووقي ﴾ .

وفي رواية يقول ذلك ثلاثا ، وينبغي حينئذ لمن خرج من منزله أن يجمع بين الدعاء الذي ذكره." [2]

---

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ٣٠٨/٨

(٢) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ٣٣٦/٨

"وأرخص في مبيت الغرباء في مساجد البادية

sولما كان يتوهم من كراهة العمل كالخياطة والبيع والشراء في المساجد عدم جواز البيات بها مطلقا قال : (وأرخص) أي سهل الإمام مالك رضي الله عنه (في مبيت الغرباء في مساجد البادية) لعدم وجود ما يبيتون فيه من نحو فندق أو غيره ، بخلاف مساجد الحاضرة فلا ترخيص في البيات بها للغرباء إلا أن لا يجدوا محلا يبيتون به وإلا جاز ، لأن الضرورات تباح لأجلها المحظورات فكيف بالمكروه كما هنا وذلك كما في مصر اليوم فإن بعض الغرباء لا يمكنه البيات في الفندق إلا إذا كان له دابة أو من ذوي المال بحيث يستطيع كراء محل ، وأما غير مالك كالشافعي فإنه أجاز البيات في المساجد للغرباء ولو في الحاضرة ، بدليل أهل الصفة الذين كانوا في مسجده صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا مقيمين به ليلا نهارا .

ويمكن الجواب بأن أهل الصفة كانوا مشتغلين بالعبادة ، ويجوز لمن تجرد للعبادة السكنى في المسجد فضلا عن البيات .

(تنبيه) نص المصنف على بيات الغريب في المسجد وسكت عن دابته والحكم فيها أنه إن لم يجد محلا يحفظها ولو بأجرة وخاف عليها من اللصوص يجوز له أن يدخلها المسجد ، كما أنه يجوز له اتخاذ إناء يبول فيه إن كان يخاف عند خروجه لقضاء حاجته من نحو سبع أو سبق بوله ، لأن المساجد موضوعة للعبادة لتحصيل الثواب لفاعلها ، وجميع ما ذكرناه محصل الثواب .." (١)

"[قوله : لقوله تعالى] والسنة ففي الصحيحين ﴿ أن رجلا قال : يا رسول الله أستأذن على أمي ؟ قال : نعم قال : إني معها في البيت قال : استأذنها قال : إني خادمها قال : استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة ﴾ .

[قوله : فمن تركه .

.

.

إلخ] ومن جحده فإنه يكفر لأنه ورد به القرآن العزيز [قوله : ونحوه] أي كالحمام والفندق وبيت العالم والقاضي والطبيب ، أي وأما المسجد والحمام ونحو ذلك من كل محل مطروق فلا يحتاج للإذن حيث أتى في وقت الدخول .

[قوله : حتى تستأذن] أي الحر البالغ في كل وقت والعبيد على السادات والصبيان على الآباء ، وإنما

---

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ٨/٣٥٥

يستأذنون أي العبيد والصبيان في الأوقات الثلاث المذكورة في الآية " من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء لأن هذه الأوقات مظنة كشف العورة وما عداها لا حرج في الدخول بلا إذن .

[قوله : ثلاثا إلخ] قضيته أنه لا يزيد على الثلاث وهو كذلك ، إلا أن يغلب على ظنه عدم السماع ثم حيث غلب على ظنه السماع فإن أذن له وإلا انصرف ويقوم مقام الاستئذان نقر الباب ثلاثا كان الباب مفتوحا أو مغلوقا وكذا التنحنح والاستئذان بنحو سبحان الله أو لا إله إلا الله بدعة مذمومة لما فيه من إساءة الأدب مع الله في استعمال اسمه في الاستئذان ، وإذا استأذن فقيل له : من هذا فليسم نفسه أو بما يعرف به ولا يقول : أنا لأن النبي صلى الله عليه وسلم كرهها لمن أجابه بها حتى خرج وهو يقول أنا أنا .

[قوله : بخلاف الزوجة." (١)

"[قوله : عند الخروج] أي فيندب لكل أحد أن يقوله عند الخروج .

[قوله : من المنزل] ليس بشرط بل مثله ما إذا خرج من فندقه ، قال عج : وانظر هل يدخل فيما أشبهه المسجد ، وظاهره كان الخروج لسفر أو غيره بل هو للسفر أشد طلبا ، وظاهر الحديث أنه يقوله كلما خرج ولو تكرر خروجه لأن الإكثار من الدعاء مندوب في كل وقت ، وفي أبي داود بسند صحيح من حديث أنس : ﴿ إذا خرج الرجل من بيته احتوشته الشياطين فإذا قال : بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك : كفيت وهديت ووقيت فتفرق عنه الشياطين ويقولون ما تصنعون برجل كفي وهدي ووقي ﴾ وفي رواية يقول ذلك ثلاثة وندب أن يتصدق ولو بالقليل عند خروجه .

[قوله : أن أضل] بفتح الهمزة أي أنفك عن الحق ، أي بنفسي للعطف الذي بعده وقوله : أو أضل بالبناء للمفعول ، وقوله : أو أزل بفتح الهمزة وأزل بضمها .

قال عج : والزلل ما يقع مرة واحدة والإضلال التمادي على ذلك ، وقيل الزلل ما يقع فيه الإنسان بالأقوال والإضلال بالأفعال .

[قوله : أو أظلم] بفتح الهمزة وقوله : أو أظلم بضمها وقوله أو أجهل بفتح الهمزة وقوله أو يجهل بضم الياء .

[قوله : أي سلمني .

.

---

(١) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ٢١١/٨

.

إلخ] قضية هذا التفسير أن يكون الجهل أخص من الظلم ، وقيل : الظلم وضع الشيء في غير محله عمدا والجهل وضعه في غير محله بغير علم .

.." (١)

"(ويكره) كراهة تحريم وقيل كراهة تنزيه (العمل في المساجد من خياطة ونحوها ولا يغسل يديه فيه) فإن كانت فيها نجاسة حرم وإلا كره (و) كذا (لا يأكل فيه إلا مثل الشيء الخفيف) مما لا يلوث (كالسويق) بالسين المهملة وهو القمح أو الشعير المقلي إذا طحن (ونحوه) أي نحو السويق مما لا يلوث ، وأما ما يلوث أو كان له دسم فيمنع (و) كذا (لا يقص فيه شاربه ولا يقلم) فيه (أظافره) ؛ لأنها أوساخ ثم بالغ على النهي عن ذلك فقال : (وإن قص أو قلم أخذه) أي ما قصه من شاربه وما قلمه من أظفاره (في ثوبه) ووقع في بعض النسخ (ولا يقتل فيه قملة ولا برغوثا) صرح ابن الحاجب بكراهة ذلك ابن عبد السلام وهو ظاهر بالنسبة للبرغوث .

وأما القملة فينبغي أن يكون قتلها فيه أشد من البرغوث لأنها مما له نفس سائلة بخلاف البرغوث (وأرخص في مبيت الغرباء في مساجد البادية) للضرورة مفهومه أنه لا يرخص ذلك في مساجد الحاضرة لوجود **الفنادق** فيها إذا وجد ما يعطي ، أما إن لم يجد ما يعطي بات فيها للضرورة

.S" (٢)

"(مسألة) ستر الحيطان به لا بأس به قال ابن رشد إثر كلامه في البسط بخلاف ستور الحرير المعلقة في البيوت : لا بأس بها لأنها إنما هي لباس لما سترته من الحيطان انتهى .

فظاهره أنه لا بأس بها على قول ابن الماجشون وعلى قول الجمهور فتأمله ويأتي نحوه عن النوادر وذكر صاحب المدخل في فصل خروج النساء للمحمل أن مساند الحرير **والبشخانات** التي تعلق على السرير لا تجوز للرجال ولا للنساء انتهى وهو غريب أما النساء فلا وجه لمنعهن منه لأن ذلك نوع من اللباس وأما الرجال فلا شك أن استنادهم إليه لا يجوز وأما **البشخانات** المعلقة فالظاهر أنه يجوز وأنها داخلة في الستور كما ذكر ابن رشد ولو منع ذلك لمنع دخول الكعبة لأن سقفها مكسو بالحرير وكسوها بالحرير جائز بل مندوب وانظر ابن عرفة هنا وفي فصل الوليمة وانظر البرزلي في الكتابة في الحرير وقال ابن رشد :

---

(١) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ٢٢٦/٨

(٢) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ٢٣٧/٨

واختلف أيضا في إجازة لباس الحرير في الحرب ، فأجازه جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول ابن الماجشون وروايته عن مالك لما في ذلك من المباهات والإرهاب ولما بقي عند القتال من النبل وغيره من السلاح وهو قول ابن عبد الحكم وحكاه ابن شعبان عن مالك من رواية عيسى عن ابن القاسم خلاف قول ابن القاسم وروايته عن مالك في رسم حلف من سماعه من كتاب الجهاد انتهى .

وقال ابن رشد في رسم حلف بطلاق امرأته من سماع ابن القاسم من كتاب الجهاد : وأما اتخاذ الراية من الحرير فلا خلاف في جواز ذلك انتهى .

وقول ابن عرفة : وأجاز." (١)

"الحبس وقد علمت ما وقع في هذا الأصل من الخلاف أم ترجع إلى ملك صاحبها وهو الأشبه والصحيح أنه وإن قلنا بذلك الأصل فهذا حبس غير مأذون فيه ولا مشروع بل هو محظور منهي عنه فهو رد فأردت جوابك فأجاب : النقض لأربابه الذي بنوه لا يكون حبسا كالمقبرة التي جعل فيها ولا يدخل في ذلك الاختلاف في نقض ما يبنى في الحبس للمعنى الذي ذكرت من الفرق بين الوجهين قال في موضع آخر من أجوبته ونقض ما يبنى في الروضات لا يلحق بالحبس للمعنى الذي ذكرت من الفرق بين الموضعين فإنه صحيح انتهى .

وسئل أيضا عن قبر علا بناؤه نحو العشرة أشبار وأزيد هل يجب هدمه وتغير بدعته ، وكيف إن شكا بعض جيرانه أنه يستر باب فندقه عن بعض الوراد ويمنعه النظر للجلاس في أسطوانته هل لصاحب الفندق فيه حجة ؛ إذ يقول منعتني منفعتي لغير منفعة بل لما لا يجوز وهل لأولياء القبر حجة فيجوز لهم بناؤه وكيف إن كان بناؤه قبل بناء الفندق فأجاب إن كان البناء على نفس القبر فلا يجوز ويهدم وإن لم يكن إلا حواليه كالبيت يبنى عليه فإن كان في ملك الرجل وحقه فلا يهدم عليه وإن كان ما ذكرت من حجة صاحب الفندق المواجه له وإن كان في مقابر المسلمين فقد تقدم فوق هذا أن هدمه واجب فقد صرح بأن البناء لتمييز القبور جائز في مقابر المسلمين وهو نحو ما تقدم عن الجماعة المذكورين أولا وظاهر كلام المصنف في التوضيح في آخر كلامه ، وأما الموقوف كالقرافة بمصر فلا يجوز البناء بها مطلقا أنه." (٢)

"ص (واستحق شائع ، وإن قل) ش : هذا إذا كان لا ينقسم بغير ضرر ، وأما ما ينقسم بغير ضرر فلا ، صرح بذلك في رسم العتق الثاني من سماع عيسى من كتاب الاستحقاق ، ونقله ابن عرفة هنا ، وقال

---

(١) مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ٣٤/٤

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ٤٧١/٥

ابن رشد في رسم يوصى : هذه مسألة حسنة بين فيها أن استحقاق اليسير من الأجزاء فيما ينقسم كاستحقاق اليسير من المعدود ليس للمشتري إلا الرجوع بقيمة ما استحق بخلاف استحقاق اليسير من الأجزاء فيما لا ينقسم هذا يكون للمشتري رد الجميع لضرر الشركة فهي مفسدة لجميع الروايات ، واليسير النصف فأقل ا هـ .

وقال في رسم العتق : وهذا كما .

قال : إن استحقاق العشر من الدار قد يضر ببقية الدار ، وقد لا يضر ، فإن كانت لا تنقسم أعشارا فلا شك أن ذلك ضرر له رد جميعها ، وإن انقسمت فمتى يحصل للمستحق من المدخل ، والدار والساحة مشتركان ، فإن كانت دارا جامعة **كالفنادق** التي تكرى ويسكنها الجماعة فليس ذلك بضرر فيرجع بقدره من الثمن ، ولا يرد الجميع ، وإن كانت دارا للسكنى فذلك ضرر ، وأما إن كانت تنقسم بغير ضرر ، ولا نقصان من الثمن ، ويصير لكل نصيب حظه من الساحة ، وباب على حدة فليس ذلك بضرر إلا أن يكون المستحق الثلث فأكثر ، والدار الواحدة في هذا بخلاف الدور ؛ لأنه إذا اشترى الدور فاستحق بعضها لا يرد جميعها إلا أن يكون الذي استحق منها أكثر من النصف هذا هو الذي يأتي في هذه المسألة على مذهب مالك ؛ لأنه قد نص في المدونة في القسمة منها أن استحقاق ثلث الدار الواحدة كثير ا هـ . ص." (١)

"ص (ويودع لعذر وإلا ضمن) ش : قال اللخمي ، ولا يجوز لأحد الشريكين أن يودع شيئا من مال الشركة إلا لعذر ، وكذلك أحد المتفاوضين وله أن يقبل الوديعة اختيارا من غير عذر فإن مات المودع ولم توجد الوديعة كانت في ذمته كان شريكا ، أو مفاوضا انتهى .

، وقال في المدونة : وأما إيداعه فإن كان لوجه عذر لنزوله بلدا يرى أن يودع إذ منزله **الفنادق** ، فذلك له وأما إن ، أودعه لغير عذر ضمنه انتهى .

قال أبو الحسن قوله فذلك له أي عليه ، وإنما قال ذلك له ليرفع إيهام من يتوهم أنه لا يجوز له انتهى ، والله أعلم .." (٢)

"ص (واعمل على دابتي فما حصل فلك نصفه) ش : قال ابن غازي أي فما حصل من ثمن ، أو أجرة بدلالة قوله بعد : وجاز بنصف ما يحتطب عليها انتهى .

---

(١) مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ١٣/٣٩١

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ١٤/٣٩٧

وقوله : من أجرة لعله يريد في صورة العكس التي في قوله عكس لتكريها ، وإلا فليس في هذه الصورة أجرة إنما فيها ثمن ولفظ المصنف نحو لفظ المدونة وفسر الشارح بأن المراد الثمن (تنبيهات الأول :) لا فرق في ذلك بين الدابة والسفينة والإبل قاله في المدونة ، وكذلك في عكس هذه المسألة لا فرق بينهما وزاد في المدونة معها في هذه مسألة الدار والحمام أعني فيما إذا دفع إليه هذه الأشياء ليكريها وسكت في المسألة الأولى أعني قوله : اعمل على دابتي عن الدار والحمام فقال عياض : لأن ما لا يذهب به ، ولا عمل فيه لمتوليه كالرباع فهو فيها أجير ، والكسب لربها ويستوي فيها اعمل وآجر ، ونقله أبو الحسن وقبله ، وكذلك قال اللخمي قوله : في السفينة أكرها ، واعمل عليها سواء إن كان فيها قومه ربها ؛ لأنه إنما يتولى العقد فغلتها لربها ، وله أجر مثله ، ولو كان سافر فيها بمتاعه فالربح له ولربها الإجارة والحمام والفرن إن لم يكن فيها دواب ، ولا آلة الطحن كان ما يؤاجر به للعامل أجر المثل ، وإن كانا بدوابهما ويشتري الحطب من عند صاحبهما ، أو من غلتهما فما أصاب لربهما وللعامل ، وعليه أجرة المثل ، وإنما هو قيم فيهما ، وكذا **الفندق** ما أكرى به مساكنه لربه ، وللقيم إجارته انتهى .

(الثاني :) لا فرق أيضا فيما إذا قال : اعمل على." (١)

"ويقدم يسراه دخولا ، ويمناه خروجا عكس مسجد

s(ويقدم) بضم المثناة تحت وفتح القاف وكسر الدال مشددا (يسراه) ندبا (دخولا) لكل دنيء ككنيف وحمام ومخبز وطاحون **وفندق** (و) يقدم (يمناه) ندبا (خروجا) منه وذلك (عكس) دخول وخروج (مسجد) فيقدم يمناه ندبا في دخوله ويسراه ندبا في خروجه إذ القاعدة أن الشريف يندب التيامن فيه والخسيس يندب التياسر فيه وإذا أخرج رجله اليسرى أولا وضعها على ظهر نعلها ، وأخرج رجله اليمنى وألبسها نعلها أولا ثم يلبس اليسرى وإذا أدخله خلع اليسرى أولا ووضعها على ظهر نعلها ثم يخلع اليمنى ويقدمها في دخوله .." (٢)

"(و) إن اكترى دارا بها نخل أو غيره مثمر ثمرة مزهية وشرطها المكتري وأجيحت الثمرة ف (في) وضع الجائحة في الثمرة (المزهية) من النخل أو ظهرت حلاوتها من غيره (التابعة) قيمتها (ل) كراء (الدار) مثلا أو **الفندق** أو الأرض التي بها النخل والشجر واكتريت بشرط الثمرة للمكتري بأن كانت قيمتها ثلث مجموعها مع الكراء نظرا لكونها ثمرة مبتاعة ، وعدمه نظرا لتبعيتها ، والوضع إنما هو في ثمرة

---

(١) مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ١٢٢/١٦

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل، ٢٠٤/١

مقصودة بالبيع (تأويلان) ومفهوم المزهية أن غيرها التابع المشترط للمكتري لا توضع جائحته اتفاقا ، وإنما يجوز اشتراطه بأربعة شروط تبعيته للكراء بكونه ثلثا واشتراط جميعه وطيبه قبل انقضاء مدة الكراء وقصد دفع الضرر بتصرف المكري إليه ومفهوم التابعة أن المزهية المشترطة في الكراء غير تابعة توضع جائحتها اتفاقا ، وكيفية التقويم أن تقوم الثمرة وحدها والسكنى وحدها بدون ثمرة ، وتجمع القيمتان وتنسب قيمة الثمرة لمجموعهما ، ويحط عن المكتري مثل نسبتها من الكراء قاله ابن يونس (وهل هي) أي الجائحة (ما) أي شيء متلف للثمرة (لا يستطاع) بضم أوله (دفعه) عنها (كسماوي) بفتح السين المهملة وخفة الميم أي منسوب للسماء لكونه من رافعها بلا عمد لا دخل لمخلوق فيه كبرد بفتح الموحدة والراء وسكونها وريح وجراد وثلج ومطر (وجيش) وسلطان جائر ، وليس منها السارق ، وعليه الأكثر .
(أو) هي ما لا يستطاع دفعه (وسارق) لم يعرف وهذا لابن القاسم (خلاف) في." [1]

"المشهور أنه جائحة فينظر إلى ما نقص ، هل بلغ الثلث فيوضع أم لا وقال ابن الماجشون : ليس جائحة وهو أحد قولي ابن القاسم ، وإنما هو عيب فيخير المبتاع بين التمسك بلا شيء والرد كذلك (وتوضع) بضم الفوقية وفتح الضاد المعجمة الجائحة (من العطش) إن كانت الثلث ، بل (وإن قلت) بفتح القاف واللام مشددة عنه لأن سقيها على بائعها فأشبهت ما فيه حتى توفية ، وظاهر المصنف ولو قلت جدا ولابن رشد لا يوضع القليل الذي لا خطب له ، وشبه في وضعها وإن قلت فقال : (ك) جائحة (البقول) بضم الموحدة والقاف كخس وكزبرة وهندبا وسلق ابن عبد البر ما لم يكن تافها لا بال له (والزعفران والريحان) بفتح الراء (والقرط) بفتح القاف وسكون الراء وإهمال الطاء أي العشب الذي تأكله الدواب عياض وأراه ليس بعربي ، وأما بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة فحلي يجعل في ثقب الأذن للزينة ، وبفتحها وإعجام الظاء فهو ثمر يدبغ به الجلد ، أفاده الحط .
وضبطه في القاموس بضم القاف وذكر له معاني منها النبت ومنها الحلي الذي يجعل في شحمة الأذن ، وقال : إنه فارسي (والقضب) بفتح القاف وسكون الضاد المعجمة فموحدة عياض أي الفصفصة التي تطعم للدواب وهو القت إذا كان يابسا وقال الأصمعي : إذا جفت فهي القضب (وورق التوت) الذي يعلف به دود الحرير ولو مات الدود فهو جائحة في الورق فلمشتريه فسخه عن نفس كمن اكترى حماما أو فندقا فخلا البلد ولم يجد من يسكنه (ومغيب)." [2]

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل، ١١/١٩٩

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل، ١١/٢٠١

"ويودع لعذر ، وإلا ضمن

sو) له أن (يودع) بضم التحتية وكسر الدال مال المفاوضة عند أمين (لعذر) كهدم جدار وحدوث جار سوء وحدوث فتنة وسفر ودخول حمام (وإلا) أي وإن لم يكن الإيداع لعذر وضاع المال (ضمن) المودع بالكسر نصيب شريكه مما أودعه .

اللخمي لا يجوز لأحد الشريكين أن يودع شيئا من مال الشركة إلا لعذر ، وكذلك أحد المتفاوضين ، وله قبول الوديعة اختيارا بلا عذر .

فإن مات المودع ولم توجد الوديعة كانت في ذمته كان مفاوضا أم لا ، وفيها وأما إيداعه فإن كان لعذر كنزوله بلدا فرأى أن يودع ، إذ منزلة **الفندق** ولا يؤمن من السرقة فذلك له وإن أودع لغير عذر ضمنه .

أبو الحسن فذلك له أي عليه وإنما قال ذلك له لدفع توهم أنه لا يجوز ، والله أعلم .." (١)

"تقييده بما هو جواب له من ذكر دين أو رهن أو وديعة وإن لم تتقدم قرينة قبل تفسيره كالجمل .

المازري قوله أخذت كذا من دار فلان أو بيته أو ما يحوزه فلان بغلق أو حائط أو رحب ويمنع منه الناس ولا يدخل إلا بإذنه كإقراره بأخذه من يده فهو تمليك له ، ولو قال من **فندق** فلان أو حمامه أو مسجده فليس بإقرار ، ولو قال أخذت السرج من على دابة فلان فإقرار له به إلا أن تثبت الدابة في حوز المقر وتصرفه ، هذا أصل الباب .

(أو) قال من بيده شيء لمدعيه أنت (وهبته لي أو بعته) لي فهو إقرار بملك المدعي ودعوى هبته أو بيعه لا تثبت إلا ببينة أو إقرار من المدعي .

ابن الحاجب ومثل صيغة الإقرار وهبته لي أو بعته مني .

ابن عرفة هذا مقتضى نقل الشيخ عن كتاب ابن سحنون إن قال في الدار أو الدابة اشتريتها منه أو وهبها لي وجاء بالبينة قبلت منه .

(أو) قال لمن طالبه بدين (وفيته) فهو إقرار بأنه تداين م نه ودعوى التوفية فتحتاج إلى بينة أو إقرار من المدعي بها .

ابن شاس لو قال علي ألف قضيته إياها لزمه الألف ولا يقبل قوله في القضاء .

ابن المواز وابن عبد الحكم إن قال ألم أوفك العشرة التي لك علي فقال لا فهو إقرار .

محمد يغرم له العشرة بلا يمين إلا أن يرجع عن الاستفهام ، ويقول بل قضيتك فتلزمه اليمين (أو) قال (

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل، ١١٤/١٣

أليس أقرضتني) ألفا فهو إقرار ابن سحنون من قال لرجل أليس قد أقرضتني بالأمس ألفا فقال بلى أو نعم ، فجحد المقر المال فإنه يلزمه .

(أو) قال (."[1]

"(لا) يجبر الشريك الآبي بيع نصيبه عليه إذا لم ينقص ثمن نصيب طالب البيع إن بيع مفردا عما يخصه من ثمن الجميع (كربع) بفتح الراء أي عقار (غلة) أي مقتنى لكرائه وأخذ أجرته .

ابن رشد ولا يحكم ببيع ما لا ينقسم إذا دعي إليه أحد الأشراك إلا فيما كان في التشارك فيه ضرر بين كالدار والحائط .

وأما مثل الحمام والرحى مما هو للغلة فلا .

ا هـ .

في التنبيهات كان شيخنا القاضي أبو الوليد يذهب في رباع الغلات وما لا يحتاج إليه للسكنى ، والانفراد إلى أن من أراد في مثل هذا بيع نصيبه أو مقاواته فلا يجبر شريكه ، بخلاف ما يراد للسكنى والانفراد بالمنافع والسكنى فيه لأن رباع الغلة إنما المراد منها الغلة ولا ينحط ثمن بعضها إذا بيع عن ثمنه في بيع جملتها ، بل ربما كان الراغب في شراء بعضها أكثر من الراغب في شراء جميعها ، بخلاف دور السكنى وما يريد أحد الأشراك فيه الاختصاص به لمنفعة ما ا هـ .

ولابن رشد نسبه ابن عبد السلام بعدما قرر أن المذهب الإطلاق .

وأما ابن عرفة فنقل ما في التنبيهات ، ثم قال والمعروف أن ثمن الجملة أكثر في رباع الغلة وغيرها إلا أن يكون ذلك كان عندهم بالأندلس ، وإن كان فهو نادر ، ويلزم على مقتضى قوله أن لا شفعة فيه .

ا هـ .

ثم قال في التنبيل وكان الشيخ عبد الحميد الصائغ يفتي أن الجبر على البيع إنما هو فيما كان لطيف الثمن كالديار والحوانيت .

وأما الرباع الكثيرة الأثمان كالفنادق والحمامات التي النصيب فيها أفضل وأرغب عند الناس من شراء." [2]

"جميعها ، فإنه لا ينبغي أن يختلف في إفراد بيع نصيبه منها خاصة إذ لا يناله في ذلك بخس لأن كثيرا من الناس يرغب في شراء النصيب من الحمام والفندق لقلة ثمنه ، ولا يرغب في شراء جميعه لكثرة

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل، ٤٩٦/١٣

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل، ٢٥٨/١٥

ثمنه وتعذره .

اهـ .

وبهذا ظهر وجه ما قاله ابن رشد وسقط اعتراض ابن عرفة عليه ، والله أعلم .." (١)

"الكراء لربها وعليه إجارة المثل للرجل وهو أصوب ، ولو أعطيته الدابة أو السفينة أو الإبل ليعمل عليها فما أصاب بينكما فلا يجوز ذلك ، فإن عمل عليها فالكسب هاهنا للعامل ، وعليه كراء المثل في ذلك ما بلغ ، وكأنه اكترى ذلك كراء فاسدا والأول آجر نفسه منك فاسدة فافترقا .

" غ " ، قوله فما حصل فلك نصفه ، أي من ثمن أو أجرة بدلالة قوله بعد وجاز بنصف ما يحتطب عليها .

(تنبيهات) الأول : لا فرق في ذلك بين الدابة والسفينة قاله في المدونة ، وكذلك في العكس ، وزاد في المدونة معها فيه الحمام والدار وسكت في الأصل عن الدار والحمام فقال عياض لأن ما لا يذهب به ولا عمل فيه لمتوليه كالرباع فهو فيها أجير والكسب لربها ، ويستوي فيها اعمل وأجر ، نقله أبو الحسن ، وقبله اللخمي .

قوله في السفينة اكرها واعمل عليها سواء إن كان فيها قومة ربها لأنه إنما يتولى العقد فغلتها لربها وله أجر مثله ، ولو سافر فيها بمتاعه فالربح له ولربها الإجارة والحمام ، والفرن إن لم يكن فيهما دواب ولا آلة كان ما يؤاجر به العامل وعليه أجرة المثل .

وإن كانا بدوابهما ويشتري الحطب من عند ربها أو من غلتها فما أصاب فلربها وللعامل أجرة مثله ، وإنما هو قيم فيهما ، وكذا الفندق ما أكرى به مساكنه لربه وللقيم أجرته .

الثاني : لا فرق إذا قال أعمل على دابتي أو في سفينتي أو إبلي بين أن يقول لي أو لا يقولها على ظاهر رواية الأكثرين ، وصريح رواية الدباغ .

وفي الجلاب إذا قال اعمل." (٢)

"الإجارة بموت أحدهما لأنه إن أتى بآخر مكان من مات لم تدر هل رضاعه مثل من مات أم لا ، لاختلاف الرضاع .

(و) عين (دار وحانوت) وحمام وفندق ونحوها في كرائها لاختلاف الأغراض فيها باختلافها بالسعة

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل، ١٥/٢٥٩

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل، ١٦/٧٩

والعلو والسفل والنور والظلمة والموضع ، وقربها من المسجد والشارع وبعدها عنهما والتوسط والتطرف وغيرها .

فيها لابن القاسم رحمه الله تعالى من اكترى دارا بإفريقية وهو بمصر جاز كشرائها ، ولا بأس بالنقد فيها لأنها مأمونة .

(و) عين أي وصف (بناء) أريد إنشاؤه (على جدار) مكترى للبناء عليه لاختلاف الأغراض فيه لرغبة رب الجدار في خفته والمكترى في متانته ، ومفهوم على جدار أنه إن اكترى أرضا للبناء عليها فلا يشترط وصفه لعدم اختلاف الأغراض فيه لعدم تضرر الأرض بالثقل .

(و) عين (محمل) بفتح الميم الأولى وكسر الثانية ما يركب فيه لاختلاف الأغراض فيه بسعته وضيقه وكبره وصغره وخفته وثقله (إن لم يوصف) ما ذكر من المتعلم وما عطف عليه ، فإن وصف وصفا شافيا أغنى عن تعيينه ، ولا يتأتى في البناء على الجدار إلا الوصف لعدمه حال العقد .

(و) عين (دابة) اكتريت للركوب (عليها) لاختلاف الأغراض فيها بلين ظهرها ويبسه وسرعة سيرها وبطئه وسهولة انقيادها وصعوبته (وإن ضمنت) الدابة بضم فكسر في ذمة مكريها فلا يشترط تعيينها بشخصها (ف) يعين (جنس) لها لغوي من إبل أو خيل أو بغل أو حمار لاختلاف الأغراض فيها (و) يعين (نوع) أي صنف لها من عراب أو بخت." [1]

"(و) جاز اشتراط (كنس مرحاض) في اكتراء دار على المكري ؛ لأنه معروف وجهه .

فيها لابن القاسم ومن اكترى دارا أو حماما واشترط كنس المراحيض والتراب وغسالة الحمام على المكري جاز ؛ لأنه أمر معروف .

ابن يونس قيل معنى ذلك في كنس ما يكون بعد عقد الكراء ، وأما ما كان يوم العقد في المراحيض فهو على المكري شرط عليه أم لا ، كما لو كان في أحد البيوت المكتراة شيء ، فإن عليه إزالته وتفريغ البيت للمكتري فكذلك المرحاض .

ابن القاسم ومن اكترى دارا فعلى ربها مرمتها وكنس مراحيضها وإصلاح ما وهي من الجدران والبيوت .

ابن يونس لعله أراد في المرمة والإصلاح الخفيف .

أو أراد أنه عليه ولا يجبر عليه لقوله بعد هذا إذ إهمال البيت فلا يجبر ربه على الطر وللمكتري الخروج في الضرر البين إلا أن يطرها ربها ، فكذلك هذا .

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل، ١٧٤/١٦

وقوله هنا وعلى ربها كنس المرحاض لعله أراد ما كان فيه قديما ؛ لأن ظاهر كلامه في المسألة أن الكنس على المكتري إلا أن يشترطه على رب الدار ، وهذا كله ما لم يكن عرف أو شرط فيحملان عليه .

" غ " ظاهر نصها السابق أنه على المكتري حتى يشترط على رب الدار ، وقد قال بعد : ومن اكترى دارا فعلى ربها مرمتها وكنس المراحيض ، وهذا يقتضي أنه على ربها حتى يشترطه على المكتري فقيل خلاف .

وقيل الأخير فيما حان قبل الكراء والأول فيما حدث بعده ، حكاهما عياض .

زاد المتيطي قيل ما هنا في غير الفنادق وما هناك في الفنادق كما في سماع أبي زيد .

(أو) شرط (مرمة) بفتح." (١)

"وأدب اجتهادا في : أد واشك ، للنبي أو لو سبني ملك لسببته ، أو يا ابن ألف كلب ، أو خنزير ، أو عير بالفقر ، فقال : تعيرني به والنبي قد رعى الغنم ، أو قال لغضبان : كأنه وجه منكر ، أو مالك ، أو استشهد ببعض جائز عليه في الدنيا : حجة له ، أو لغيره ، أو شبه لنقص لحقه ، لا على التأسي ، كإن كذبت فقد كذبوا ، أو لعن العرب أو بني هاشم ، وقال أردت الظالمين ، وشدد عليه في : كل صاحب فندق قرنان ، ولو كان نبيا ، وفي قبيح لأحد ذريته عليه الصلاة والسلام ؛ مع العلم به : كأن انتسب له ، أو احتمل قوله ، أو شهد عليه عدل ، أو لفيف فعاق عن القتل ؛ أو سب من لم يجمع على نبوته ، أو صحابيا ؛ وسب الله كذلك ، وفي استتابة المسلم : خلاف : كمن قال : لقيت في مرضي ، ما لو قتلت أبا بكر وعمر ، لم أستوجبه .

S." (٢)

"يدنيك من أمل من رسول الله من نفره لأن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه غيره ، ولا يضاف هو إلى غيره ، فالحكم في هذا ما بسطناه في طريق الفتيا ، وعلى هذا المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس وأصحابه " رضي الله عنه " .

أبو الحسن في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان النبي أميا فشنع عليه مقالته وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه ، فقال أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه في ضلالته فخطأ ، لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى ذلك فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد قتله وما طريقه الأدب فطوع

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل، ١٦/٢٩٠

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل، ١٩/٤١٧

فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه .
أو لعن العرب أو) لعن (بني هاشم وقال) أي لاعن العرب أو بني هاشم (أردت الظالمين منهم) فإنه يؤدب بالاجتهاد ، قال ابن أبي زيد فيمن قال لعن الله العرب أو لعن بني إسرائيل ، أو لعن بني آدم ، وذكر أنه لم يرد الأنبياء ، وإنما أراد الظالمين منهم أن عليه الأدب باجتهاد السلطان .
عياض قد يضيق القول في مثل هذا لو لعن بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم .
(وشدد) بضم فكسر مثقلا (في) قوله (كل صاحب **فندق**) بضم الفاء والدال بينهما نون ساكنة ثم قاف ، أي محل جامع لبيوت سفلى وعليا يسكنه الغرباء والتجار للتجارة فيه (قرنان) بفتح القاف وسكون الراء فنونان." [1]

"بينهما ألف ، أي يقرن رجلا يزني بزوجته في الشفاء توقف .
أبو الحسن القابسي في قتله وأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده ، وهل أراد أصحاب **الفنادق** الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف ، ولكن ظاهر لفظه العموم للمتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين ، وما ترد إليه التأويلات فلا بد من إمعان النظر فيه .
(و) شدد (في) نسبة شيء (قبيح) قولا أو فعلا (لأحد من ذريته عليه) الصلاة و (السلام مع العلم به) أي بنسبه في الشفاء وقد يضيق القول فيمن قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله أو من ولده على علم منه أنه من ذريته صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المقام تقتضي تخصيص بعض آبائه ، وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم ورأيت لأبي موسى من مناس فيمن قال لرجل لعنه الله إلا آدم إن ثبت عليه ذلك ، فإنه يقتل ، وفي نسخة ابن غازي وفي قبيح لأحد من ذريته صلى الله عليه وسلم في آبائه مع العلم به وهي المطابقة لكلام عياض .
ابن غازي سقط من بعض النسخ في آبائه .
شب هذا صحيح مسلم ، وإن قال طفي هو أحاله للمسألة عن وجهها ، ونظر الشارح بأن الأدب لا يختص بنسبة القبيح لذريته صلى الله عليه وسلم إذ من نسب القبيح لغيرهم يؤدب أيضا .
وأجاب." [2]

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل، ٤٢٣/١٩

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل، ٤٢٤/١٩

"الدار المشتركة بين ساكنيها المباحة لعموم الناس **كالفنادق** فقاعتها كالمحجة ، فمن سرق من بيتها من الساكنين أو غيرهم وأخذ في قاعتها يقطع اتفاقا .

ا هـ .

وعليه تبقى اللام في قوله لمحله على ظاهرها من انتهاء الغاية ، والله أعلم .." [١]

"ويعدد المؤرخون من فضائل الأعمال التي قام بها أبو فارس في مجال العمران والاجتماع أشياء كثيرة، منها: بناؤه للزاوية التي كانت تقع خارج باب البحر بعد أن كانت مأخورا يدر على خزانة الدولة عشرة آلاف دينار، فحوله إلى مكان تقام فيه الصلاة، ولتدريس العلم وقراءة القرآن وسكنى الطلبة، وأوقف عليها وقفا مؤبدا، وجعل فيها سماطا جاريا للمقيمين فيها والواردين عليها، وبناؤه للمجال الكبير بمصلى العيدين خارج باب سيدي عبد الله، وهو من الأبنية الضخمة التي قل أن يبني مثلها –كما يقول الزركشي، وبناؤه للزاوية خارج باب أبي سعدون، وجعلها منهلا للوارد من أي جهة يأوي إليها، وبناؤها للزاوية خارج باب علاوة المعروف بسيدي فتح الله، وبناء محارس جميلة تحوط الثغور.

وفي المجال الثقافي، فمن أهم إنجازاتها إقامته لمكتبة عامة بالمجنبة الهلالية بجامع الزيتون، مشتملة على أمهات الكتب والدواوين، جلبها م ن القصر، وأوقفها على الطلبة ينتفعون بها، وجعل لها قيمين يقومان برعايتها، وأوقف عليها أوقافا كثيرة.

ومنها أحداث قراءة البخاري كل يوم بعد صلاة الظهر، بجامع الزيتونة، وكتاب الشفا والترغيب والترهيب بعد صلاة العصر، وأوقف على ذلك أوقافا.

ومنها أحداث المارستان بتونس للضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين، وأوقف عليه أوقافا تفي بمصالحه.

ومن إنجازاته كذلك، إزالة الكثير من المكوس والضرائب كانت بتونس، منها : مجبى سوق الرهادنة، ومجبى **فندق** الملح، ومجبى **فندق** البياض، ومجبى قائد الأشغال، ومجبى سوق القشاشين، ومجبى سوق الخضرة، ومجبى سوق الصفارين ومجبى سوق العزافين، ومجبى سوق الصابون، وأبيح للناس عمله بعد أن كان عمله محصورا، متوعدا فاعله بالعقوبة المالية.

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل، ٧٦/٢٠

وترك ما كان على المنكر من خراج، كالشرطة، كان غير واحد من المساكين التزمها بثلاثة دنانير ونصف دينار ذهبا في كل يوم.." (١)

"ولم يستتب حدا إلا أن يسلم الكافر وإن ظهر أنه لم يرد ذمه.

لجهل، أو سكر، أو تهور، وفيمن قال: لا صلى الله على من صلى عليه.

جوابا لصل، أو قال: الانبياء يتهمون، جوابا لتتهمني، أو جميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي (ص): قولان واستنيب في هزم، أو أعلن بتكذيبه، أو تنبأ، إلا أن يسر على الاظهر، وأدب اجتهادا في: أد واشك، للنبي أو لو سبني ملك لسببته، أو يا ابن ألف كلب، أو خنزير، أو عير بالفقر، فقال: تعيرني به والنبي قد رعى الغنم، أو قال لغضبان: كأنه وجه منكر، أو مالك، أو استشهد ببعض جائز عليه في الدنيا: حجة له، أو لغيره، أو شبه لنقص لحقه، لا على التأسي: كإن كذبت فقد كذبوا، أو لعن العرب أو بني هاشم، وقال أردت الظالمين، وشدد عليه في: كل صاحب فندق قرنان، ولو كان نبيا.

وفي قبيح لاحد ذريته عليه الصلاة والسلام، مع العلم به: كأن انتسب له، أو احتمل قوله، أو شهد عليه عدل، أو لفيف فعاق عن القتل، أو سب من لم يجمع على نبوته، أو صحابيا، وسب الله كذلك، وفي استتابة المسلم: خلاف: كمن قال: لقيت في مرضي.

ما لو

قتلت أبا بكر وعمر.

لم أستوجبه.

باب في بيان حد الزنا وما يتعلق به الزنا وطئ مكلف مسلم فرج ادمي لا ملك له فيه باتفاق تعمدا وإن لواطا، أو إتيان أجنبية بدبر، أو إتيان ميتة غير زوج، أو صغيرة يمكن وطؤها، أو مستأجرة لوطئ، أو غيره، أو مملوكة تعتق، أو يعلم حريتها، أو محرمة بصهر مؤبد أو خامسة، أو مرهونة، أو ذات مغنم، أو حربية، أو مبتوتة وإن بعدة، وهل وإن أبت في مرة ؟ تأويلان.

أو مطلقة قبل البناء، أو معتقة بلا عقد كأن يطأها مملوكها أو مجنون، بخلاف الصبي، إلا أن يجهل العين أو الحكم، إن جهل مثله، إلا الواضح، لا مساحقة، وأدب اجتهادا.

كبهيمة وهي." (٢)

---

(١) مطالع التمام ونصائح الأنام ومنجاة الخواص والعوام في رد إباحة إغرام ذوي الجنايات والإجرام، ص/٤٣

(٢) مختصر خليل، ص/٢٥٢

"كراهة تحريم وقيل كراهة تنزيه (العمل في المساجد من خياطة ونحوها ولا يغسل يديه فيه) فإن كانت فيها نجاسة حرم وإلا كره (و) كذا (لا يأكل فيه إلا مثل الشيء الخفيف) مما لا يلوث (كالسويق) بالسين المهملة وهو القمح أو الشعير المقلي إذا طحن (ونحوه) أي نحو السويق مما لا يلوث وأما ما يلوث أو كان له دسم فيمنع (و) كذا (لا يقص فيه شاربه ولا يقلم) فيه (أظفاره) لأنها أوساخ ثم بالغ على النهي عن ذلك فقال (وإن قص أو قلم أخذه) أي ما قصه من شاربه وما قلمه من أظفاره (في ثوبه) ووقع في بعض النسخ (ولا يقتل فيه قملة ولا برغوثا) صرح ابن الحاجب بكراهة ذلك ابن عبد السلام وهو ظاهر بالنسبة للبرغوث وأما القملة فينبغي أن يكون قتلها فيه أشد من البرغوث لأنها مما له نفس سائلة بخلاف البرغوث (وأرخص في مبيت الغرباء في مساجد البادية) للضرورة مفهومه أنه لا يرخص ذلك في مساجد الحاضرة لوجود الفنادق فيها إذا وجد ما يعطى أما إن لم يجد ما يعطى بات فيها للضرورة (ولا ينبغي أن يقرأ في الحمام إلا الآيات اليسيرة ولا يكثر) لأنها من البيوت المكروهة (ويقرأ

". (١)

"الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامعها حديد ثم قال باب ما جاء إن في جهنم جبالا وفنادق وأودية وبحارا وصهاريج وحياضا وآبارا وجبابا وتنانير وسجونا وبيوتا وجسورا ونواعير وعقارب وحيات وغير ذلك وساق أحاديثها فراجعه إن شئت والله – سبحانه وتعالى – أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

==============

(ما قولكم دام فضلكم) في الظل هل هو عدم الشمس أو شيء وجودي فإن قلتم بالثاني فهل هو جوهر أو عرض فإن قلتم بالثاني فهل هو قائم بما أضيف هو إليه كالآدمي أو بالأرض فإن قلتم بالأول فكيف شوهد في غيره وزاد عليه أو نقص عنه وإن قلتم بالثاني لزم اجتماع الضدين أو المثلين ولزم اتصافه بالحركة عند تحركه أفيدوا الجواب .." (٢)

"فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله إذا كان الكلب غير عقور واتفق أنه أتلف آدميا ، أو غيره أو جرحه فلا شيء على صاحبه سواء اتخذه في دار ، أو فندق ، أو

(١) كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني، ٢/٦٣٣

(٢) فتح العلي المالك (فتاوى ابن عليش)، ١/٨٨

زرع ، أو ماشية ؛ لأنه من العجماء التي فعلها جبار أي هدر وإذا كان عقورا واقتناه في موضع لا يجوز له اقتناؤه فيه كدار **وفندق** فهو ضامن لكل ما جناه إن أنذر ، أو علم أنه يعقر الناس وإن اقتناه في موضع يجوز له اقتناؤه فيه كزرع وماشية فجنايته – قبل الإنذار ولو علم أنه يعقر الناس – هدر لا يضمنها صاحبه ويضمن ما بعده قال ابن سلمون ومن اتخذ كلبا عقورا في موضع لا يجوز له اتخاذه فهو ضامن لما جنى فإن كان في موضع يسوغ اتخاذه فما أصاب قبل أن يتقدم إليه فيه فهو هدر وبعد التقدم ضمان انتهى . وقال الخرشي في شرح قول المختصر ، أو اتخاذ كلب عقور وكذلك يقتص ممن اتخذ كلبا عقورا وقد أنذر عن اتخاذه لشخص معين وهلك وإن هلك غيره فالدية قال العدوي قوله وكذلك يقتص ممن اتخذ كلبا عقورا لا يختص بالكلب بل يشاركه فيه كل حيوان مؤذ متخذ والجدار المائل والعقور ما يعقر ويؤذي بلا سبب من العقر وهو الجرح ولا." [1]

"بما إذا اتخذه في موضع يجوز وبما إذا لم يعلم بعقره للناس وكان من حقه أن ينبه على هذين القيدين والتقدم عند الحاكم ويقوم مقامه الإشهاد ولذلك قال محشي التتائي : قوله واتخاذ كلب عقور لا حاجة لذكر قيد تقدم الإنذار ؛ لأن الكلام حيث قصد الضرر وهلك المقصود وهذا لا قيد فيه وإنما القيد حيث اتخذه لما يجوز له اتخاذ فيه كحراسة الزرع والضرع فيها لابن القاسم إذا اتخذه حيث يجوز له فلا يضمن ما أصاب حتى يتقدم فيه إليه إن اتخذه بموضع لا يجوز له اتخاذه فيه كالدور وشبهها وقد علم أنه عقور ضمن ما أصاب وقال مالك : من اتخذه في داره فهو ضامن لما أصاب إن تقدم فيه إليه انتهى نصا بتقديم وتأخير . والحاصل أن جعل الكلب لحراسة داره ، أو **فندقه** من سبيل ما لا يجوز بخلاف زرعه ، أو ضرعه فيجوز خلافا لابن أبي زيد القائل بأن اتخاذه للدور **والفنادق** يجوز ذكره الأجهوري ا هـ كلام العدوي رحمه الله تعالى والله – سبحانه وتعالى – أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

============." [2]

"ويعارض بثمنها ما فيه منفعة على ما قاله جماعة من العلماء في الربع المحبس إذا خرب ويكون ذلك بحكم القاضي بعد أن يثبت عنده أنه لا منفعة فيه قاله محمد الحفار وبمثل ذلك أفتى الأستاذ أبو سعيد بن لب رحمه الله تعالى وقد سئل في طراز محبسة على رابطة ثبت أنه قد تداعى للسقوط وأنه يضر بحيطان الجيران المشتركة معه من جيران الرباط إضرارا بينا وأنه لا بد من حله وأنه لا يصلح للرباطة ما يسدد

---

(١) فتح العلي المالك (فتاوى ابن عليش)، ٤/٢١٤

(٢) فتح العلي المالك (فتاوى ابن عليش)، ٤/٢١٦

به بناؤه فأجاب يسوغ بيع الطراز على الصحيح من القولين ويعوض بثمنه للحبس ما يكون له أنفع ، وإن وجد من يناقل به بربع آخر للحبس فهو حسن إن أمكن قاله فرج انتهى . وقال البرزلي ابن عات عن الفضل بن مسلمة وحبس المساكين يكون في البلد فتيبس أشجاره ويقحط لحبس الماء عنه يرى القاضي فيه رأيه في بيع أو شركة أو عمل أو كراء ما رآه فيها وعن ابن اللباد أرى أن يباع إذا كان بهذه الحال يحيى بن خلف وكذلك الموضع الصغير الذي لا يحرث عليه وحده ، ولا ينتفع به فإنهم يرون بيعه ويدخل في غيره ، وهو الصواب إن شاء الله تعالى والله الموفق وجرى العمل عندنا ببيع ما لا نفع فيه منها ، ووقعت مسائل عندنا بتونس . منها فندق ابن." (١)

"ما قولكم) فيمن أخبره مخبر بخبر تبين أنه كذب فقال كل أهل بلد المخبر كذابون مزورون حتى إن كان منهم نبي فأنا أكذبه وألعن أباه فماذا يلزمه .

فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، يسأل القائل عما أراده بهذا الكلام فإن قال أردت الموجودين الآن أو بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلا شيء عليه وإن قال أردت الموجودين قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أيضا أو قال لم أرد شيئا منهما أدب بالاجتهاد ولا يقتل إذ لم يقع منه ما علقه كما قالوه فيمن قال لو سبني ملك أو نبي لسببته وما قاله القابسي فيمن قال كل صاحب فندق له قرنان ولو نبيا مرسلا قال في الشفاء توقف القابسي في قتله وأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده وهل أراد أصحاب الفنادق الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف ولكن ظاهر لفظه العموم للمتقدمين والمتأخرين وقد كان في الأنبياء والرسل من اكتسب المال ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات فلا بد من إمعان النظر فيه والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على." (٢)

"#(ما قولكم) في نار جهنم هل هي كنار الدنيا أو لا وهل هي في مكان متسع ؟

فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله قال الشعراني رضي الله تعالى عنه ونفعنا به في مختصر التذكرة ما نصه روى الترمذي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ﴾ . وفي رواية ﴿ فهي كسواد الليل ﴾ وفي رواية ﴿ فهي أشد سوادا من القار

---

(١) فتح العلي المالك (فتاوى ابن عليش)، ٤/٤٨٩

(٢) فتح العلي المالك (فتاوى ابن عليش)، ٥/٢٩٤

﴾ يعني الزفت وكان سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه يقول نار الآخرة سوداء مظلمة لا يضيء لها لهب ولا جمر لها وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ إن ناركم التي توقد في الدنيا حرها جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال إنها فضلت بتسعة وستين جزءا ﴾ . وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ لولا أن ناركم هذه أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وأنها لتسأل الله تعالى أن لا يعيدها في نار الآخرة ﴾ يعني جهنم . وفي رواية ﴿ ولولا أنها ضربت بماء البحر سبع مرات ﴾ وفي رواية ابن مسعود ﴿ عشر مرات ﴾ . وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ أنها أطفئت بالماء سبعين مرة ولولا ذلك ما قدرتم على القرب منها ﴾ . وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا لاحترقت الدنيا من حرها ولو أن خازنا من خزنة جهنم أخرج إلى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرون غضب الله تعالى الذي عليه ﴾ . وروى البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم ﴾ وكان كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه يقول والذي نفس كعب بيده لو كان أحدكم بالمشرق وكانت النار بالمغرب ثم كشف عنها لخرج دماغ أحدكم من منخريه من شدة حرها وروى الأئمة رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتاء ونفسا في الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون من الحر من سمومها ﴾ وروى مسلم وغيره ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه إذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمي به في نار جهنم منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حين انتهى إلى قعرها ﴾ والوجبة صوت وقوع الشيء الثقيل وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامعها حديد ثم قال باب ما جاء إن في جهنم جبالا وفنادق وأودية وبحارا وصهاريج وحياضا وآبارا وجبابا وتنانير وسجونا وبيوتا وجسورا ونواعير وعقارب وحيات وغير ذلك وساق أحاديثها فراجعه إن شئت والله – سبحانه وتعالى – أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

==============

#(ما قولكم دام فضلكم) في الظل هل هو عدم الشمس أو شيء وجودي فإن قلتم بالثاني فهل هو جوهر أو عرض فإن قلتم بالثاني فهل هو قائم بما أضيف هو إليه كالآدمي أو بالأرض فإن قلتم بالأول فكيف

شوهد في غيره وزاد عليه أو نقص عنه وإن قلتم بالثاني لزم اجتماع الضدين أو المثلين ولزم اتصافه بالحركة عند تحركه أفيدوا الجواب .." (١)

"فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله إذا كان الكلب غير عقور واتفق أنه أتلف آدميا ، أو غيره أو جرحه فلا شيء على صاحبه سواء اتخذه في دار ، أو فندق ، أو زرع ، أو ماشية ؛ لأنه من العجماء التي فعلها جبار أي هدر وإذا كان عقورا واقتناه في موضع لا يجوز له اقتناؤه فيه كدار وفندق فهو ضامن لكل ما جناه إن أنذر ، أو علم أنه يعقر الناس وإن اقتناه في موضع يجوز له اقتناؤه فيه كزرع وماشية فجنايته – قبل الإنذار ولو علم أنه يعقر الناس – هدر لا يضمنها صاحبه ويضمن ما بعده قال ابن سلمون ومن اتخذ كلبا عقورا في موضع لا يجوز له اتخاذه فهو ضامن لما جنى فإن كان في موضع يسوغ اتخاذه فما أصاب قبل أن يتقدم إليه فيه فهو هدر وبعد التقدم ضمان انتهى . وقال الخرشي في شرح قول المختصر ، أو اتخاذ كلب عقور وكذلك يقتص ممن اتخذ كلبا عقورا وقد أنذر عن اتخاذه لشخص معين وهلك وإن هلك غيره فالدية قال العدوي قوله وكذلك يقتص ممن اتخذ كلبا عقورا لا يختص بالكلب بل يشاركه فيه كل حيوان مؤذ متخذ والجدار المائل والعقور ما يعقر ويؤذي بلا سبب من العقر وهو الجرح ولا يتحقق ذلك إلا بتكرر منه ولذا قال أبو الحسن إن هذا من المبالغة قوله : قد أنذر اعلم أن قول المصنف تقدم مبني للمفعول ونائب الفاعل مستتر دل عليه السياق أي تقدم الإنذار فيه . وحاصل مسألة ذلك أنه إن اتخذه لإهلاك معين محترم وأهلكه اقتص منه إن وجدت المكافأة وما يعتبر في ثبوت القصاص وسواء كان عقورا أم لا أنذر صاحبه أم لا وإن أهلك غيره ضمنه ، وإن اتخذه لإهلاك من لا يجوز إهلاكه وأهلك آدميا محترما ضمن ديته وسواء كان عقورا أم لا اتخذه في محل يجوز له أم لا وإن أهلك غيره ضمن قيمته وإن لم يتخذه لإهلاك من لا يجوز إهلاكه فإن كان غير عقور فلا ضمان اتخذه في محل يجوز له أم لا ؛ لأنه من العجماء التي فعلها جبار أي هدر وإن كان عقورا فإن اتخذه في محل لا يجوز كما إذا اتخذه لحراسة الدار ضمن إن أنذر ، أو علم أنه يعقر الناس وإن اتخذه في محل يجوز له كالزرع والضرع ضمن إن أنذر عند حاكم أو غيره وإلا لم يضمن وليس مثل الإنذار هنا علمه أنه يعقر الناس خلافا لقول ابن مرزوق إن علمه بعقره يقوم مقام الإنذار وفهم من قوله تقدم صاحبه أنه إن لم يتقدم له فيه فلا ضمان وهذا مقيد بما إذا اتخذه في موضع يجوز وبما إذا لم يعلم بعقره للناس وكان من حقه أن ينبه على هذين القيدين والتقدم عند الحاكم ويقوم مقامه الإشهاد ولذلك قال محشي

---

(١) فتاوى ابن عليش، ١/٣٥

التتائي : قوله واتخاذ كلب عقور لا حاجة لذكر قيد تقدم الإنذار ؛ لأن الكلام حيث قصد الضرر وهلك المقصود وهذا لا قيد فيه وإنما القيد حيث اتخذه لما يجوز له اتخاذ فيه كحراسة الزرع والضرع فيها لابن القاسم إذا اتخذه حيث يجوز له فلا يضمن ما أصاب حتى يتقدم فيه إليه إن اتخذه بموضع لا يجوز له اتخاذه فيه كالدور وشبهها وقد علم أنه عقور ضمن ما أصاب وقال مالك : من اتخذه في داره فهو ضامن لما أصاب إن تقدم فيه إليه انتهى نصا بتقديم وتأخير . والحاصل أن جعل الكلب لحراسة داره ، أو فندقه من سبيل ما لا يجوز بخلاف زرعه ، أو ضرعه فيجوز خلافا لابن أبي زيد القائل بأن اتخاذه للدور والفنادق يجوز ذكره الأجهوري ا هـ كلام العدوي رحمه الله تعالى والله – سبحانه وتعالى – أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .
============." (١)

"منها ، ووقعت مسائل عندنا بتونس . منها فندق ابن يعطاس تهدم فأفتى شيخنا الإمام يعني ابن عرفة أنه تباع أنقاضه ويغير عن حاله دارا ورجح هذا القول وحكم بهذه الفتوى قاضي الجماعة وحق له ذلك . ومنها دار خربت من دور مدرسة القنطرة فأفتى فيها شيخنا الإمام المذكور ببيعها فبيعت واشترى بثمنها رسما في الغابة بتونس وظاهر فتاوى الأندلسيين يقتضي إباحة البيع ويستبدل بها ما هو أعود بالمنفعة انتهى . كلام البرزلي بلفظه ونقله ابن سلمون في وثائقه أيضا ونصه . وفي كتاب الاستغناء قال الفضل بن مسلمة في حبس المساكين يكون في البلد فتيبس أشجاره ويقحط بحبس الماء عنه فقال يرى القاضي فيه رأيه في بيع أو شركة أو غير ذلك وقال ابن اللباد أرى أن يباع إذا كان بهذه الحالة قال يحيى بن خلف وكذلك الموضع الصغير الذي لا يحرث وحده ، ولا ينتفع به فإنهم يرون بيعه وإدخال ثمنه في غيره قال ، وهو الصواب وجرى العمل عندنا ببيع ما لا نفع فيه منها انتهى . ولعل مراد ابن مسلمة بالشركة في قوله في بيع أو شركة ما قاله يحيى بن خلف في الموضع الصغير الذي لا يحرث وحده أنه يباع ويدخل في غيره وقال ابن عرفة في مسألة ما إذا كانت غلة الحبس لا تفي بنفقته والأظهر عندي أن ينظر فإن كان مع ذلك لا ثمن له رد لمحبسه ، وإن كان له ثمن يبلغ ما يشترى به ما فيه نفع ولو قل بيع واشتري بثمنه ذلك . ، ثم قال والحاصل أن نفقته من فائدته فإن عجزت بيع وعوض بثمنه ما هو من نوعه فإن عجز صرف في مصرفه انتهى . فتحصل من هذه النصوص أن في العقار الموقوف إذا انقطعت منفعته ولم يرج عودها سواء كان في مدينة أو بعيدا من العمران لمالك قولان : الأول المنع ، وهو المشهور عنه في المدونة والعتبية والموازية

---

(١) فتاوى ابن عليش، ٢/١٣١

وغيرها وعليه اقتصر الشيخ خليل في مختصره ، والثاني الجواز ، وهو ما رواه عنه أبو الفرج في حاويه وقال به جماعة من العلماء. ورجحه ابن عرفة كما تقدم في نقل البرزلي وبه وقعت الفتوى والحكم وقال أبو سعيد بن لب إنه الصحيح من القولين وقال يحيى بن خلف إنه الصواب إن شاء الله تعالى ووجه القاضي عبد الوهاب في شرح الرسالة القول بالمنع بما نصه : والدليل على ذلك أي المنع أن الوقف إزالة ملك لا إلى ملك فإذا كان فيما لا ضرر في تبقيته فلم يجز البيع اعتبارا به إذا لم يخرب وبذلك فارق الحيوان على أحد الوجهين ؛ لأن في تبقيته ضررا إذا لم ينتفع به ، وإن أجبنا بالتسوية قلنا ؛ لأنه إزالة ملك بسبب يمنع البيع مع السلامة فوجب أن يمنع فيه مع التغير كالعتق وتزيد بالإزالة في الفرع المانع ؛ ولأن القصد انتفاع الموقوف عليه بمنفعته فلو أجزنا بيعه لخالفنا شرط الواقف وجعلنا المنفعة له بالأصل ؛ ولأن العمارة قد تعود وتنتقل ففي إجازة بيعه إبطال حق من جعل له حق بعد هذا البطن وذلك مما لا سبيل إليه انتهى . ووجه الجواز بما نصه : ووجه الجواز اعتباره بالحيوان ؛ ولأن الواقف إنما أراد وصول الانتفاع إلى الموقوف عليهم من جهة هذا الوقف فإذا لم يكن من جهته منفعة وجب أن تنقل إلى منفعة ما يقوم مقامه وإلا كان في ذلك إبطال شرطه والأول أصح وأوضح انتهى ، فهذا ملخص ما يتعلق بالكلام على البيع إذا انقطعت منفعته ولم يرج عودها والاستبدال بثمنه من نوعه .." (١)

"فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، يسأل القائل عما أراده بهذا الكلام فإن قال أردت الموجودين الآن أو بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلا شيء عليه وإن قال أردت الموجودين قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أيضا أو قال لم أرد شيئا منهما أدب بالاجتهاد ولا يقتل إذ لم يقع منه ما علقه كما قالوه فيمن قال لو سبني ملك أو نبي لسببته وما قاله القابسي فيمن قال كل صاحب **فندق** له قرنان ولو نبيا مرسلا قال في الشفاء توقف القابسي في قتله وأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده وهل أراد أصحاب **الفنادق** الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف ولكن ظاهر لفظه العموم للمتقدمين والمتأخرين وقد كان في الأنبياء والرسل من اكتسب المال ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات فلا بد من إمعان النظر فيه والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

=============

#(ما قولكم) في تعليم الصبي بكتابة البسملة وغيرها من القرآن نحو ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات

---

(١) فتاوى ابن عليش، ٢/٢٣٠

﴾ على أرض طاهرة ليتوصل لكتابة ذلك في لوحه وإن لم يفعل فلا يتعلم بحسب عادتهم .
فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، لا تجوز كتابة البسملة ولا شيء من القرآن ولا من أسماء الله تبارك وتعالى على الأرض الطاهرة لأنه تنقيص لها ولقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ لعن الله من فعله ﴾ فيما رواه محمد بن الزبير قال سمعت عمر بن عبد العزيز يحدث قال ﴿ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب في أرض فقال لشاب من هذيل ما هذا قال من كتاب الله تعالى كتبه يهودي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه ﴾ قال محمد بن الزبير رأى عمر بن عبد العزيز ابنا له يكتب القرآن على حائط فضربه ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره ولأنه يؤدي لنسيانه فيوطأ بالأقدام والنعال وتلقى عليه النجاسة والقذر ولكتابة الصبيان ذلك على الأرض النجسة وتركه فيوطأ ووسيلة الحرام محرمة ولقول الفقهاء وضع المصحف على الأرض الطاهرة استخفافا به ردة ، فعلم منه أن وضعه عليها بلا استخفاف ممنوع وتعليم الأولاد الكتابة لا يتوقف على ذلك وها هم يتعلمونها في مصر وأعمالها والمغرب والحجاز والشام وأغلب بلاد الإسلام بدون ذلك ولم أسمع بذلك مذ ميزت إلى الآن إلا من نحو نصف عام عن بعض بلاد السودان فالواجب ترك هذه العادة الشنيعة التي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلها وأدت إلى الأمور الفظيعة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .
============
#(ما قولكم) في تعليق اللوح المكتوب فيه شيء من القرآن على جدار أو إسناده إليه أو وضعه في كوته وفيه روث البقر والنجاسة غالبا .
فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، لا يجوز ذلك لقذارة روث البقر والخلاف في نجاسته ولغلبة الجلالية عليه فيتفق على نجاسة روثه والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .
============
#(ما قولكم) في غسل اللوح المكتوب فيه قرآن بموضع نجس أو يداس بالمداس .." [1]
"العين فيه " فقوله " عقد معاوضة " يشمل هبة الثواب والصرف والمراطلة والسلم وأخرج به التبرعات ، كالهبة ، والصدقة وخرج بقوله " غير منافع الكراء والإجارة " لأن العقد فيهما على المنافع ، وخرج بقوله

---
(١) فتاوى ابن عليش، ٣٣٨/٢

" ولا متعة لذة " النكاح ؛ لأنه عقد معاوضة على متعة التلذذ ، وخرج بقوله " ذو مكايسة " هبة الثواب ؛ لأنها على المكارمة ، وخرج بقوله " أحد عوضيه غير ذهب ولا فضة " الصرف ، والمراطلة ؛ لأن العوضين معا ذهب أو فضة ، أو مجتمع منهما ، وشمل قوله " أحد عوضيه .

.

.

إلخ " ما إذا كان أحد العوضين ذهبا ، أو فضة والآخر عرضا ، وما إذا كانا معا عرضين ، ويأتي للناظم أن هذا الوجه يسمى المعاوضة ، وخرج بقوله " معين غير العين فيه " السلم ؛ لأن غير العين فيه وهو المسلم فيه في الذمة غير معين ، والله أعلم .

ما يستجاز بيعه أقسام أصول أو عروض أو طعام أو ذهب أو فضة أو ثمر أو حيوان والجميع يذكر أخبر رحمه الله أن ما يجوز بيعه في نظر الشرع ينقسم إلى ستة أنواع : (الأول) أصول وذلك ، كالدور ، والحوائط والفنادق ، والحوانيت ، والأرضين ، وغير ذلك .

(والثاني) عروض ، كالثياب ، والسلاح ، والآلات ، ونحوها .

(الثالث) طعام كالحبوب من القمح والشعير ، والقطاني ، وإدام كالسمن والزيت ومصلحاته ، كالملح والبصل ، ونحوهما .

(الرابع) ذهب وفضة وهما النقدان اللذان يتعلق بهما الأغراض من حيث التنمية المنوطة بهما .

(الخامس) ثمر وذلك ، كالفواكه ، والمقاثئ ، والخضر ، وأفردها." [١]

"فصل واتفقوا أن كلاب الماشية يجوز بيعها ككلب البادية وعندهم قولان في ابتياع كلاب الاصطياد والسباع .

يعني اتفق أهل المذهب أنه يجوز بيع الكلاب المتخذة لحفظ المواشي مما يعدو عليها من الحيوان المفترس ، وبيع الكلاب المتخذة في البادية ، واختلف في بيع كلاب الصيد وفي بيع السباع كالفهود ونحوها ففي النوادر : ولا بأس باشتراء كلاب الصيد ولا يعجبني بيعها وقال سحنون : نعم يجوز بيعها بثمنها وهي مثل كلاب الحرث ، والماشية ، والصيد (ابن الحاجب) .

وفي كلب الصيد والسباع قولان : (التوضيح) أي وفي منع بيع الكلب وجوازه قولان : والمشهور المنع قال في البيان وهو المعلوم من قول ابن القاسم وروايته عن مالك .

---

(١) شرح ميارة، ٢/٢٠٨

والجواز لابن كنانة وابن نافع وسحنون وشهره بعضهم ، وعن مالك ثالث بالكراهة ، وعن ابن القاسم رابع بجواز اشتراطه ، ومنع بيعه حكاه ابن زرقون ، ثم قال وهذا الخلاف إنما هو في مباح الاتخاذ ، وأما غيره فلا خلاف في منع بيعه ، وأن ثمنه لا يحل .

نقل ذلك في البيان وقوله : والسباع قال بعض من تكلم على هذا الموضع أي : وفي الكلب الذي يحرس الماشية من السباع وفي معناه كلب الزرع فإن اتخاذ الكلب جائز .

واختلف في بيعه كما ذكر المصنف نقله الباجي وغيره وذكر المازري خلافا في الكلب الذي يتخذ لحراسة الدور والقياسر **والفنادق** .

وللمنع ذهب ابن القصار ، وأجاز فيه شيخنا رحمه الله وجها آخر ، وهو أن يريد بالسباع التي في معنى الكلب كالفهد ونحوه وهو الذي اقتصر." (١)

"(فصل في العيوب) وما من الأصول بيع وظهر للمشتري عيب به كان استتر فإن يكن ليس له تأثير في ثمن فخطبه يسير وما لمن صار له المبيع رد ولا بقيمة رجوع وإن يكن ينقص بعض الثمن كالعيب عن صدع جدار بين فالمشتري له الرجوع ههنا بقيمة العيب إذا تعينا وإن يكن لنقص ثلثه اقتضى فما علا فالرد حتم بالقضا قد تكلم في هذه الترجمة على من اشترى شيئا ثم وجد به عيبا لم يره وقت التقليب ثم إن الشيء المشترى إما أن يكون رقيقا أو غيره من سائر الحيوان وقد تقدم الكلام عليه للناظم أوائل البيوع وإما أن يكون أصلا كالدار **والفندق** أو غيرهما كالثوب وعليهما تكلم في هذه الترجمة فإن كان المشتري أصلا فلا يخلو العيب الذي ظهر فيه من ثلاثة أوجه .

الأول لا يرد به المبيع ولا يرجع المشتري على البائع بقيمته ليسارته ، يريد كالشرافات يجدها منهدمة ، الثاني لا يرد ويرجع المشتري بقيمته كصدع في حائط ونحوه ، الثالث ترد من أجله كصدع جدار يخشى سقوط الدار منه وإلى هذه الأقسام أشار بالأبيات الست ، فقوله كان استتر أي وقت التقليب ، قوله : فإن يكن ليس له تأثير هو إشارة للوجه الأول والذي صار له المبيع هو المشتري لا يرد مشتراه ولا يرجع بقيمة العيب ليسارته ، وقوله : وإن يكن ينقص بعض الثمن البيتين هو إشارة إلى الوجه الثاني ، وقوله : وإن يكن لنقص ثلثه اقتضى البيت إشارة إلى الوجه الثالث (قال في المتيطية) العيوب في الدور ونحوها ما ذكره الشيخ أبو محمد بن أبي زيد." (٢)

---

(١) شرح ميارة، ٣٠٩/٢

(٢) شرح ميارة، ٤٢٩/٢

"بإنجاز قبضه وهو الذي عليه عمل الناس فيتركون وما هم عليه .

(فرع) أفتى أبو سعيد بن لب بجبر الممتنع من الشريكين على قسمة فندق دعا شريكه لقسمته إلا إن كان في قسمته ضرر نقلهما الشارح .." (١)

"يجوز في الدور وشبهها الكرا لمدة حدت وشيء قدرا ولا خروج عنه إلا بالرضا حتى يرى أمده قد انقضى وجائز أن يكترى بقدر معين في العام أو في الشهر ومن أراد أن يحل ما انعقد كان له ما لم يحدا بعدد وحيثما حل الكرا يدفع من قد اكترى منه بقدر ما سكن كذاك إن بعض الكراء قدما فقدره من الزمان لزما تقدم أول البيوع أن البيع ملك الرقبة ، والكراء ، والإجارة ملك المنافع ، ونقل صاحب المعيار عن بعضهم أن الرقبة لا يملكها إلا الله سبحانه وإنما يملك الآدمي المنافع فقط فإن ملكها على الدوام من غير تحديد مدة فهو البيع ، وإن ملكها المدة فقط فالإجارة أو الكراء وحاصل الأبيات أن كراء الدور ، ونحوها كالحوانيت ، والفنادق ، وغيرها جائز وأن ذلك يقع على وجهين الأول أن يكون ذلك لمدة معينة كشهر أو سنة أو أقل أو أكثر ، فإن عينا ذلك الشهر أو السنة ، فلا إشكال وإن لم يعينا حمل على أنه من حين العقد .

و إلى ذلك أشار الشيخ خليل بقوله : وعدم بيان الابتداء فمن حين العقد وأجر معلوم كدينار أو دينارين ونحو ذلك فإذا وقع الكراء على هذا الوجه ولازم للمتعاقدين إلى انقضاء المدة المضروبة ، وليس لأحدهما الخروج عن ذلك قبله إلا برضا صاحبه ما لم يعرض في ذلك مانع من الإقالة كما إذا قدم الكراء ، وسكن بعض المدة لما يئول إليه من سلف وهو المردود من الكراء وكراء وهو المقابل لما سكن والسلف لا يجتمع مع عقد من العقود وهما وإن لم يدخلا على ذلك ابتداء فيمتنع." (٢)

"يكون مبنيا عليها أو تكون مزرقة فإن كانت مبنيا عليها كان الحائط لمن له الخشب وإن كانت مزرقة فلا توجب ملكا انظر تمام كلامه فقد أطال في ذلك آخر المجلس الثالث .

فائدة : ذكر القاضي المكناسي قبل ما نقلناه عنه قيل إن من حق القاضي أن ينظر في شهود أهل البصر في المباني ويختبر أحوالهم في أجرتهم ويشترط عليهم شروطا منها أن لا يحكموا في حائط لأحد المتنازعين وإنما يصفونه فقط بوصف يزيل الإشكال ويوضح البيان فيصف الدار أو الحانوت أو الفندق أو غير ذلك بوصف لم يبق معه احتمال باعتبار الخشب والحيطان هل هي معقودة إليها أو جائزة عنها أو مقبلة في

---

(١) شرح ميارة، ٤٩٩/٢

(٢) شرح ميارة، ٦٤/٣

منتهى حدها يصف ذلك من جهاتها الأربع إن كان ذلك البائع شرط على المشتري وإن كان النزاع بين متنازعين نظر فيه القاضي بعد أداء شهادتهم فيه وحكم بمقتضاه ا هـ." (١)

"(ص) وعصى وصحت إن لبس حريرا (ش) يعني أن المصلي الذكر إذا لبس حريرا خالصا مع وجود غيره ، فإن صلاته تصح مع عصيانه لإجماع أهل العلم كما قال ابن رشد على حرمة لبس خالصه على الرجال انتهى والمشهور المنع لحكة أو جهاد خلافا لابن الماجشون وكذا افتراشه والارتفاق به خلافا له وأجاز ابن القاسم وابن حبيب تعليقه سترا كالبشخانات حيث لا يستند إليها الرجال ؛ لأنها إنما هي لباس لما ستر به من الحيطان قال ابن رشد واعترضت حكاية صاحب المدخل منع ذلك ابن عرفة أجاز الكل خط العلم والخياطة به ابن رشد والراية وبعض أصحاب المازري والطوق واللبنة ومنع ابن حبيب الجيب والزر قال ابن عرفة لا أعرف إباحة تبعية الزوج لزوجته وجزم تلميذه ابن ناجي بالمنع هذا حكم خالصه وأما الخز وهو ما سداه حرير ولحمته وبر وما في معناه من الثياب التي طعمها قطن أو كتان فقال ابن رشد أظهر الأقوال وأولاها بالصواب أن لبسها مكروه يؤجر على تركه ولا يأثم في فعله ؛ لأنه من المشتبهات المتكافئة أدلة حلها وحرمتها التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقاها فقد استبرأ لدينه وعرضه وعليه يأتي ما حكي عن لباس مالك كساء إبريسم كساه إياه هارون الرشيد انتهى وأول لبس المسلمين الحرير في زمن علي وأول من لبس الخز عبد الله بن عامر بن كريز .

s." (٢)

"(قوله والمشهور المنع لحكة) ما لم يتعين طريقا للدواء وإلا جاز .

(قوله خلافا لابن الماجشون) معللا له بأن فيه المباهاة والإرهاب في الحرب وبأنه يقي عنه القتال من النبل .

(قوله والارتفاق) أي كالاستناد إليه .

(قوله كالبشخانات) بضم الباء البشخانة هي الناموسية في عرف مصر وقول الشارح ؛ لأنها إنما هي ستر لما يستر به من الحيطان لا يظهر (قوله قال ابن رشد) الأولى أن يقول قاله ابن رشد بالضمير العائد على ما تقدم ؛ لأن الاعتراض من الحطاب واعترضت مبني للمفعول (قوله خط العلم) الإضافة للبيان أي خط هو العلم قال ابن حبيب ولا بأس بالعلم الحرير في الثوب وإن عظم لم يختلف في الرخصة فيه والصلاة به

---

(١) شرح ميارة، ٤٩٧/٣

(٢) شرح مختصر خليل للخرشي، ٢٣٢/٣

وقيل أربعة أصابع وقيل ثلاثة وقيل إصبعين وقيل اصبعين وقيل إصبع وأما السجاف فيجوز القليل والمراد بالقليل ما دون الثلث والكثير الثلث فأكثر ؛ لأن الثلث من حيز الكثير في غالب المسائل تقرير شيخ بعض شيوخنا الزرقاني والفرق بينهما أن العلم أشد اتصالا بالثوب وبعضهم قاس السجاف على خط العلم فلذلك جزم الشيخ أحمد النفراوي بحرمة ما زاد على أربعة أصابع ونظر بعض الأشياخ في خيط السبحة ورأيت تقريرا بجوازه وأما الذهب فلم يجوزوا منه شيئا ولو قل وأما ما يجعل في أرياف مصر من جعل الحرير ونحوه على الجمال خصوصا الحجاج هل يجوز أم لا الظاهر المنع كذا قرر وانظره ويصور خط العلم في الحبكة التي تجعل في الفوطة مثلا .

(قوله والخياطة به) أي." [١]

"(قوله ورق التوت) أي الذي يباع لأجل دود الحرير ، ولو مات الدود فهو جائحة في الورق كمن اكترى حماما أو فندقا فخلا البلد ، ولم يجد من يسكنه ، وألحق الصقلي بذلك من اشترى ثمرة فخلا البلد لأنه ابتاعه ليبيعه فيه ، ومثله من اشترى علفا لقافلة تأتيه فعدلت عن محله انظر تت كبير ، وفي عج ، والمراد بكون ما ذكر جائحة أنه يفسخ عن نفسه الكراء والبيع انتهى إلا أن علف الدابة لم يسلم محشي تت فيه بل نقل ما يدل على خلافه من أنه لا يفسخ (قوله ولم يدخل إلخ) معطوف على لم يقبض أي وأما لو دخل المشتري على سقوط شيء فإنه يعتبر ما دخل على سقوطه (قوله وذكر الناصر اللقاني) هو ضعيف." [٢]

"(قوله بشرط أن يتفق صرفهما) المراد به أن يكون ما أخرجه أحدهما متفقا فيما ذكر مع ما أخرجه الآخر أو مع ما يقابله مما أخرجه الآخر لا الأول فقط لاقتضائه أنه إذا أخرج أحدهما مثقالين والآخر عشرة وأخذ كل قدر نصيبه فقط لا يجوز مع أنه جائز ولا يضر الاختلاف اليسير الذي لا بال له ولا يقصد في الصرف أو القيمة لا الوزن سواء جعلاها على وزن رأس المالين وألغيا ما بينهما من الفضل أو عملاها على فضل ما بين السكتين خلافا للخمي فإنه يقول لا يضر الاختلاف اليسير فيه أيضا واستظهر المنع إذا اجتمع اليسير في هذه كلها (قوله كدنانير كبار وصغار) الكبار كالمحبوب والفندقلي والصغار كنصف المحبوب ونصف الفندقلي ولكن يفرض ذلك فيما إذا كان صرف الكبير مثلا مائة وعشرين والصغير خمسين ودخلا على المناصفة أو على الثلث والثلثين وأما لو كان صرف الكبير مائة وصرف الصغير خمسين ودخلا على

(١) شرح مختصر خليل للخرشي، ٣/٢٣٣

(٢) شرح مختصر خليل للخرشي، ١٦/١١٤

الثلث والثلثين في الربح والعمل فإن ذلك جائز (قوله لأنه تقويم في العين) أي كالتقويم لأن الصرف ليس بتقويم وقوله لا على فضل السكة الأولى أن يقول لا على فضل الصرف (قوله في سكته) في بمعنى من (قوله إن كثر فضل السكة) أي لا إن قل (قوله فقولان) ظاهره على حد سواء (قوله والوزن والجودة) هو عين الاختلاف في القيمة لأنه يلزم من الاختلاف في الجودة والرداءة الاختلاف في القيمة والحاصل أن المراد بالصرف ما جرى بين الناس تعاملهما به وبالقيمة ما يقومهما به أهل الخبرة." (١)

"(ص) وسوى بين توأميه (ش) يعني أن الإقرار للحمل إذا لزم فإنه يسوي فيه بين توأميه إذا وضعتهما وهما الولدان اللذان بينهما أقل من ستة أشهر فإنه يسوي بينهما الذكر كالأنثى فإن نزل أحدهما حيا والآخر ميتا استقل به الحي لأن الميت ليس أهلا للقبول أي لا يصح تملكه إلا أن يبين المقر الفضل كما إذا قال في ذمتي لحمل فلانة ألف من دين لأبيه عندي فلا يسوي حينئذ بينهما بل يكون للذكر مثل حظ الأنثيين أو يقول في ذمتي أو عندي وقال للذكر مثل حظ الأنثيين فإنه يعمل على ذلك وإليه أشار بقوله (ص) إلا ببيان الفضل ب علي أو في ذمتي أو عندي أو أخذت منك (ش) هذه من صيغ الإقرار اللازمة فإذا قال له علي ألف أو له في ذمتي ألف أو قال أعطيتني ألفا أو قال أخذت منك ألفا فإن هذا وشبهه صريح في هذا الباب ويكون إقرارا وأما لو قال أخذت من **فندق** فلان مائة مثلا أو قال أخذت من حمامه مائة أو قال أخذت من مسجده مائة فليس ذلك بإقرار (تنبيه) : لو كتب في الأرض أن لفلان علي كذا وقال اشهدوا علي لزمه وإلا فلا وفي صحيفة أو لوح أو خرقة يلزمه مطلقا ولو كتب على الماء أو في الهواء فلا يلزمه

s(قوله وفي صحيفة أو لوح أو خرقة إلخ) والظاهر أن مثل ذلك ما إذا نقش في حجر ذلك." (٢)

"(قوله لمن قضى العرف إلخ) لا يخفى أن هذا عند جريان العرف بشيء ، وأما إذا لم يجر بشيء ففي المدونة في موضع ما يفيد أن بالأصالة كنس المرحاض على المكري وفيها في موضع آخر ما يفيد أنه على المكتري وجمع بينهما بأن الأول في الموجود قبل الكراء والثاني في الحادث بعده وبأن الأول في **الفنادق** والحمامات والثاني في غيرهما .

---

(١) شرح مختصر خليل للخرشي، ٣٩٩/١٧

(٢) شرح مختصر خليل للخرشي، ١٥٩/١٨

(قوله أو عرف) أي : يشترط المكري على المكتري التعجيل أو يجري العرف أي : أو تجمد الكراء على المكتري .." [1]

"محل يجوز له كالزرع والضرع ضمن إن أنذر عند حاكم أو غيره وإلا لم يضمن وليس مثل الإنذار هنا علمه أنه يعقر الناس خلافا لقول ابن مرزوق أن علمه بعقره يقوم مقام الإنذار وفهم من قوله تقدم لصاحبه أنه إن لم يتقدم له فيه فلا ضمان وهذا مقيد بما إذا اتخذه في موضع يجوز وبما إذا لم يعلم بعقره للناس وكان من حقه أن ينبه على هذين القيدين والتقدم عند الحاكم ويقوم مقامه الإشهاد ولذلك قال محشي تت قوله واتخاذ كلب عقور لا حاجة لذكر قيد تقدم الإنذار لأن الكلام حيث قصد الضرر وهلك المقصود وهذا لا قيد فيه وإنما القيد حيث اتخذه لما يجوز له اتخاذه فيه كحراسة الزرع والضرع فيها لابن القاسم إذا اتخذه حيث يجوز له فلا يضمن ما أصاب حتى يتقدم فيه إليه وإن اتخذه لموضع لا يجوز له اتخاذه فيه كالدور وشبهه وقد علم أنه عقور ضمن ما أصاب وقال مالك من اتخذ له في داره فهو ضامن لما أصاب إن تقدم فيه إليه ا هـ .

نصا بتقديم وتأخير والحاصل أن جعل الكلب لحراسة داره أو **فندقه** من سبيل ما لا يجوز بخلاف زرعه أو ضرعه فيجوز خلافا لابن أبي زيد القائل بأن اتخاذه للدور **والفنادق** يجوز ذكره عج (قوله على تفصيل) أقول قد بيناه وهو أنه إذا حفره في موضع لا يجوز حفره فيه فعليه الدية وأما إذا حفره في موضع يجوز له حفره فيه فلا دية وقوله فالدية أي على العاقلة أي إلا في مسألة ما إذا قصد جنس السارق فهلك فيها واحد أو أكثر منهم فإن دية من هلك في مال." [2]

."

(ص) وشدد عليه في : كل صاحب **فندق** قرنان وإن كان نبيا ، وفي قبيح لأحد ذريته عليه السلام مع العلم به كأن انتسب له ، أو احتمل قوله : أو شهد عليه عدل ، أو لفيف فعاق عن القتل ، أو سب من لم يجمع على نبوته ، أو صحابيا .

(ش) يعني أن من قال : كل صاحب **فندق** قرنان وإن كان نبيا ، فإنه يؤدب ويشدد عليه في التأديب بالقيود والضرب الشديد ، وكذلك يؤدب بالاجتهاد ، ويشدد عليه في التعزير من نسب قبيحا من قول ، أو فعل لأحد من ذرية الرسول عليه الصلاة والسلام مع العلم به أنه من الآل ، وكذلك من انتسب للنبي عليه

---

(١) شرح مختصر خليل للخرشي، ٢٢١/٢٠

(٢) شرح مختصر خليل للخرشي، ٣١٩/٢٢

السلام بغير حق تصريحا ، أو تلويحا ، وإليه الإشارة بقوله : أو احتمل قوله : أي : الانتساب إليه بأن يقال له : ما أنت شريف النفس فيقول : ما أحد أشرف من أولاد فاطمة لا احتمل الكفر وغيره ، وإلا تكرر مع مسائل الأدب كلها ؛ لأنها كلها قول محتمل للكفر وغيره ، وكذلك يشدد النكال بالضرب وغيره على من شهد عليه عدل واحد ، أو شهد عليه لفيف من الناس بالسب ، واللفيف وهو ما اجتمع من قبائل شتى من غير تزكية لأحد منهم ، فحصل بسبب ذلك أمر عاق عن القتل ، وكذلك يؤدب ويشدد على من سب نبيا ، أو ملكا لم يجمع على نبوته كالخضر ولقمان ومريم ، وخالد بن سنان ، أو لم يجمع على ملكيته كهاروت وماروت ، وكذلك يؤدب ، ويشدد على من سب صحابيا ، ولكن هذا ليس على عمومه فإن من رمى عائشة بما برأها الله منه بأن قال : زنت ، أو أنكر صحبة أبي." (١)

".

(قوله : لمحله) أي : محل الإذن العام أي : لمنتهى محل الإذن العام أي : فلا يقطع حتى يخرج عن جميع المحل الذي وقع الإذن العام في دخوله فاللام بمعنى عن أي : أن من سرق من بيت محجور في دار مأذون لعموم الناس في دخول ظاهرها فلا يقطع حتى يخرج المسروق عن محل الإذن العام بأن يخرجه من باب الدار ؛ لأنه من تمام الحرز فإن لم يخرج من بابها لم يقطع كما أن من أخذ شيئا من ظاهرها المأذون في دخوله للناس ، أو من بيت فيها غير محجور لا يقطع ، ولو أخرجه عن بابها ؛ لأنه خائن لا سارق وظاهره عدم القطع ، ولو جرت العادة بوضعه في المحل العام والفرق بين مسألة المصنف هنا وبين الفنادق والدار المشتركة في أنه يقطع السارق من بيت من بيوتها بمجرد إخراجه بساحتها أن دخوله هنا بالإذن وفي مسألة الدار المشتركة والفنادق بملك المنفعة في السكنى .

(قوله : كالشخص يضيف الضيف) أي أو داخل في منيع ولو لقوم مخصوصين وفرق بينه وبين قطع أحد الزوجين فيما حجر عنه أنهما قصد كل منهما الحجر عن صاحبه بخصوصه وما قصد بالخصوص أشد مما قصد بالعموم بخلاف الضيف فإنه لم يقصد الحجر عنه بخصوصه وفرق بينه وبين مسألة الشركاء بأن الداخل فيها ليس بإذن المسروق منه بل بماله من الشركة بخلاف الضيف." (٢)

"(ص) وعصى وصحت إن لبس حريرا (ش) يعني أن المصلي الذكر إذا لبس حريرا خالصا مع وجود غيره ، فإن صلاته تصح مع عصيانه لإجماع أهل العلم كما قال ابن رشد على حرمة لبس خالصه

---

(١) شرح مختصر خليل للخرشي، ١٥٧/٢٣

(٢) شرح مختصر خليل للخرشي، ٢٩٩/٢٣

على الرجال انتهى والمشهور المنع لحكة أو جهاد خلافا لابن الماجشون وكذا افتراشه والارتفاق به خلافا له وأجاز ابن القاسم وابن حبيب تعليقه سترا **كالبشخانات** حيث لا يستند إليها الرجال ؛ لأنها إنما هي لباس لما ستر به من الحيطان قال ابن رشد واعترضت حكاية صاحب المدخل منع ذلك ابن عرفة أجاز الكل خط العلم والخياطة به ابن رشد والراية وبعض أصحاب المازري والطوق واللبنة ومنع ابن حبيب الجيب والزر قال ابن عرفة لا أعرف إباحة تبعية الزوج لزوجته وجزم تلميذه ابن ناجي بالمنع هذا حكم خالصه وأما الخز وهو ما سداه حرير ولحمته وبر وما في معناه من الثياب التي طعمها قطن أو كتان فقال ابن رشد أظهر الأقوال وأولاها بالصواب أن لبسها مكروه يؤجر على تركه ولا يأثم في فعله ؛ لأنه من المشتبهات المتكافئة أدلة حلها وحرمتها التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقاها فقد استبرأ لدينه وعرضه وعليه يأتي ما حكي عن لباس مالك كساء إبريسم كساه إياه هارون الرشيد انتهى وأول لبس المسلمين الحرير في زمن علي وأول من لبس الخز عبد الله بن عامر بن كريز .

s." (١)

"(قوله والمشهور المنع لحكة) ما لم يتعين طريقا للدواء وإلا جاز .

(قوله خلافا لابن الماجشون) معللا له بأن فيه المباهاة والإرهاب في الحرب وبأنه يقي عنه القتال من النبل .

(قوله والارتفاق) أي كالاستناد إليه .

(قوله **كالبشخانات**) بضم الباء البشخانة هي الناموسية في عرف مصر وقول الشارح ؛ لأنها إنما هي ستر لما يستر به من الحيطان لا يظهر (قوله قال ابن رشد) الأولى أن يقول قاله ابن رشد بالضمير العائد على ما تقدم ؛ لأن الاعتراض من الحطاب واعترضت مبني للمفعول (قوله خط العلم) الإضافة للبيان أي خط هو العلم قال ابن حبيب ولا بأس بالعلم الحرير في الثوب وإن عظم لم يختلف في الرخصة فيه والصلاة به وقيل أربعة أصابع وقيل ثلاثة وقيل إصبعين وقيل اصبعين وقيل إصبع وأما السجاف فيجوز القليل والمراد بالقليل ما دون الثلث والكثير الثلث فأكثر ؛ لأن الثلث من حيز الكثير في غالب المسائل تقرير شيخ بعض شيوخنا الزرقاني والفرق بينهما أن العلم أشد اتصالا بالثوب وبعضهم قاس السجاف على خط العلم فلذلك جزم الشيخ أحمد النفراوي بحرمة ما زاد على أربعة أصابع ونظر بعض الأشياخ في خيط السبحة ورأيت تقريرا بجوازه وأما الذهب فلم يجوزوا منه شيئا ولو قل وأما ما يجعل في أرياف مصر من جعل الحرير

---

(١) شرح خليل للخرشي، ٢٣٢/٣

ونحوه على الجمال خصوصا الحجاج هل يجوز أم لا الظاهر المنع كذا قرر وانظره ويصور خط العلم في الحبكة التي تجعل في الفوطة مثلا .

(قوله والخياطة به) أي." (١)

"(قوله ورق التوت) أي الذي يباع لأجل دود الحرير ، ولو مات الدود فهو جائحة في الورق كمن اكترى حماما أو **فندقا** فخلا البلد ، ولم يجد من يسكنه ، وألحق الصقلي بذلك من اشترى ثمرة فخلا البلد لأنه ابتاعه ليبيعه فيه ، ومثله من اشترى علفا لقافلة تأتيه فعدلت عن محله انظر تت كبير ، وفي عج ، والمراد بكون ما ذكر جائحة أنه يفسخ عن نفسه الكراء والبيع انتهى إلا أن علف الدابة لم يسلم محشي تت فيه بل نقل ما يدل على خلافه من أنه لا يفسخ (قوله ولم يدخل إلخ) معطوف على لم يقبض أي وأما لو دخل المشتري على سقوط شيء فإنه يعتبر ما دخل على سقوطه (قوله وذكر الناصر اللقاني) هو ضعيف." (٢)

"(قوله بشرط أن يتفق صرفهما) المراد به أن يكون ما أخرجه أحدهما متفقا فيما ذكر مع ما أخرجه الآخر أو مع ما يقابله مما أخرجه الآخر لا الأول فقط لاقتضائه أنه إذا أخرج أحدهما مثقالين والآخر عشرة وأخذ كل قدر نصيبه فقط لا يجوز مع أنه جائز ولا يضر الاختلاف اليسير الذي لا بال له ولا يقصد في الصرف أو القيمة لا الوزن سواء جعلاها على وزن رأس المالين وألغيا ما بينهما من الفضل أو عملاها على فضل ما بين السكتين خلافا للخمي فإنه يقول لا يضر الاختلاف اليسير فيه أيضا واستظهر المنع إذا اجتمع اليسير في هذه كلها (قوله كدنانير كبار وصغار) الكبار كالمحبوب **والفندقلي** والصغار كنصف المحبوب ونصف **الفندقلي** ولكن يفرض ذلك فيما إذا كان صرف الكبير مثلا مائة وعشرين والصغير خمسين ودخلا على المناصفة أو على الثلث والثلثين وأما لو كان صرف الكبير مائة وصرف الصغير خمسين ودخلا على الثلث والثلثين في الربح والعمل فإن ذلك جائز (قوله لأنه تقويم في العين) أي كالتقويم لأن الصرف ليس بتقويم وقوله لا على فضل السكة الأولى أن يقول لا على فضل الصرف (قوله في سكته) في بمعنى من (قوله إن كثر فضل السكة) أي لا إن قل (قوله فقولان) ظاهره على حد سواء (قوله والوزن والجودة)

---

(١) شرح خليل للخرشي، ٢٣٣/٣

(٢) شرح خليل للخرشي، ١١٤/١٦

هو عين الاختلاف في القيمة لأنه يلزم من الاختلاف في الجودة والرداءة الاختلاف في القيمة والحاصل أن المراد بالصرف ما جرى بين الناس تعاملهما به وبالقيمة ما يقومهما به أهل الخبرة." (١)

"(ص) وسوى بين توأميه (ش) يعني أن الإقرار للحمل إذا لزم فإنه يسوي فيه بين توأميه إذا وضعتهما وهما الولدان اللذان بينهما أقل من ستة أشهر فإنه يسوي بينهما الذكر كالأنثى فإن نزل أحدهما حيا والآخر ميتا استقل به الحي لأن الميت ليس أهلا للقبول أي لا يصح تملكه إلا أن يبين المقر الفضل كما إذا قال في ذمتي لحمل فلانة ألف من دين لأبيه عندي فلا يسوي حينئذ بينهما بل يكون للذكر مثل حظ الأنثيين أو يقول في ذمتي أو عندي وقال للذكر مثل حظ الأنثيين فإنه يعمل على ذلك وإليه أشار بقوله (ص) إلا ببيان الفضل ب علي أو في ذمتي أو عندي أو أخذت منك (ش) هذه من صيغ الإقرار اللازمة فإذا قال له علي ألف أو له في ذمتي ألف أو قال أعطيتني ألفا أو قال أخذت منك ألفا فإن هذا وشبهه صريح في هذا الباب ويكون إقرارا وأما لو قال أخذت من فندق فلان مائة مثلا أو قال أخذت من حمامه مائة أو قال أخذت من مسجده مائة فليس ذلك بإقرار (تنبيه) : لو كتب في الأرض أن لفلان علي كذا وقال اشهدوا علي لزمه وإلا فلا وفي صحيفة أو لوح أو خرقة يلزمه مطلقا ولو كتب على الماء أو في الهواء فلا يلزمه

s(قوله وفي صحيفة أو لوح أو خرقة إلخ) والظاهر أن مثل ذلك ما إذا نقش في حجر ذلك." (٢)

"(قوله لمن قضى العرف إلخ) لا يخفى أن هذا عند جريان العرف بشيء ، وأما إذا لم يجر بشيء ففي المدونة في موضع ما يفيد أن بالأصالة كنس المرحاض على المكري وفيها في موضع آخر ما يفيد أنه على المكتري وجمع بينهما بأن الأول في الموجود قبل الكراء والثاني في الحادث بعده وبأن الأول في الفنادق والحمامات والثاني في غيرهما .

(قوله أو عرف) أي : يشترط المكري على المكتري التعجيل أو يجري العرف أي : أو تجمد الكراء على المكتري .." (٣)

"محل يجوز له كالزرع والضرع ضمن إن أنذر عند حاكم أو غيره وإلا لم يضمن وليس مثل الإنذار هنا علمه أنه يعقر الناس خلافا لقول ابن مرزوق أن علمه بعقره يقوم مقام الإنذار وفهم من قوله تقدم لصاحبه

---

(١) شرح خليل للخرشي، ٣٩٩/١٧

(٢) شرح خليل للخرشي، ١٥٩/١٨

(٣) شرح خليل للخرشي، ٢٢١/٢٠

أنه إن لم يتقدم له فيه فلا ضمان وهذا مقيد بما إذا اتخذه في موضع يجوز وبما إذا لم يعلم بعقره للناس وكان من حقه أن ينبه على هذين القيدين والتقدم عند الحاكم ويقوم مقامه الإشهاد ولذلك قال محشي تت قوله واتخاذ كلب عقور لا حاجة لذكر قيد تقدم الإنذار لأن الكلام حيث قصد الضرر وهلك المقصود وهذا لا قيد فيه وإنما القيد حيث اتخذه لما يجوز له اتخاذه فيه كحراسة الزرع والضرع فيها لابن القاسم إذا اتخذه حيث يجوز له فلا يضمن ما أصاب حتى يتقدم فيه إليه وإن اتخذه لموضع لا يجوز له اتخاذه فيه كالدور وشبهه وقد علم أنه عقور ضمن ما أصاب وقال مالك من اتخذ له في داره فهو ضامن لما أصاب إن تقدم فيه إلي‌ه ا هـ .

نصا بتقديم وتأخير والحاصل أن جعل الكلب لحراسة داره أو فندقه من سبيل ما لا يجوز بخلاف زرعه أو ضرعه فيجوز خلافا لابن أبي زيد القائل بأن اتخاذه للدور والفنادق يجوز ذكره عج (قوله على تفصيل) أقول قد بيناه وهو أنه إذا حفره في موضع لا يجوز حفره فيه فعليه الدية وأما إذا حفره في موضع يجوز له حفره فيه فلا دية وقوله فالدية أي على العاقلة أي إلا في مسألة ما إذا قصد جنس السارق فهلك فيها واحد أو أكثر منهم فإن دية من هلك في مال." (١)

".

(ص) وشدد عليه في : كل صاحب فندق قرنان وإن كان نبيا ، وفي قبيح لأحد ذريته عليه السلام مع العلم به كأن انتسب له ، أو احتمل قوله : أو شهد عليه عدل ، أو لفيف فعاق عن القتل ، أو سب من لم يجمع على نبوته ، أو صحابيا .

(ش) يعني أن من قال : كل صاحب فندق قرنان وإن كان نبيا ، فإنه يؤدب ويشدد عليه في التأديب بالقيود والضرب الشديد ، وكذلك يؤدب بالاجتهاد ، ويشدد عليه في التعزير من نسب قبيحا من قول ، أو فعل لأحد من ذرية الرسول عليه الصلاة والسلام مع العلم به أنه من الآل ، وكذلك من انتسب للنبي عليه السلام بغير حق تصريحا ، أو تلويحا ، وإليه الإشارة بقوله : أو احتمل قوله : أي : الانتساب إليه بأن يقال له : ما أنت شريف النفس فيقول : ما أحد أشرف من أولاد فاطمة لا احتمل الكفر وغيره ، وإلا تكرر مع مسائل الأدب كلها ؛ لأنها كلها قول محتمل للكفر وغيره ، وكذلك يشدد النكال بالضرب وغيره على من شهد عليه عدل واحد ، أو شهد عليه لفيف من الناس بالسب ، واللفيف وهو ما اجتمع من قبائل شتى من غير تزكية لأحد منهم ، فحصل بسبب ذلك أمر عاق عن القتل ، وكذلك يؤدب ويشدد على من سب

---

(١) شرح خليل للخرشي، ٣١٩/٢٢

نبيا ، أو ملكا لم يجمع على نبوته كالخضر ولقمان ومريم ، وخالد بن سنان ، أو لم يجمع على ملكيته كهاروت وماروت ، وكذلك يؤدب ، ويشدد على من سب صحابيا ، ولكن هذا ليس على عمومه فإن من رمى عائشة بما برأها الله منه بأن قال : زنت ، أو أنكر صحبة أبي." (١)
".

(قوله : لمحله) أي : محل الإذن العام أي : لمنتهى محل الإذن العام أي : فلا يقطع حتى يخرج عن جميع المحل الذي وقع الإذن العام في دخوله فاللام بمعنى عن أي : أن من سرق من بيت محجور في دار مأذون لعموم الناس في دخول ظاهرها فلا يقطع حتى يخرج المسروق عن محل الإذن العام بأن يخرجه من باب الدار ؛ لأنه من تمام الحرز فإن لم يخرج من بابها لم يقطع كما أن من أخذ شيئا من ظاهرها المأذون في دخوله للناس ، أو من بيت فيها غير محجور لا يقطع ، ولو أخرجه عن بابها ؛ لأنه خائن لا سارق وظاهره عدم القطع ، ولو جرت العادة بوضعه في المحل العام والفرق بين مسألة المصنف هنا وبين الفنادق والدار المشتركة في أنه يقطع السارق من بيت من بيوتها بمجرد إخراجه بساحتها أن دخوله هنا بالإذن وفي مسألة الدار المشتركة والفنادق بملك المنفعة في السكنى .
(قوله : كالشخص يضيف الضيف) أي أو داخل في منيع ولو لقوم مخصوصين وفرق بينه وبين قطع أحد الزوجين فيما حجر عنه أنهما قصد كل منهما الحجر عن صاحبه بخصوصه وما قصد بالخصوص أشد مما قصد بالعموم بخلاف الضيف فإنه لم يقصد الحجر عنه بخصوصه وفرق بينه وبين مسألة الشركاء بأن الداخل فيها ليس بإذن المسروق منه بل بماله من الشركة بخلاف الضيف." (٢)
"وإن تاب (أو لعن العرب أو نبي هاشم وقال) في المسألتين (أردت الظالمين) منهم فيؤدب بالاجتهاد فإن لم يقل أردت الخ قتل وقيل قوله وقال الخ راجع للثانية وأما الاول فيؤدب مطلقا ولو لم يقل ما ذكر وعزى للنوادر (وشدد عليه) بالضرب والسجن والقيود ولم يقتل (في) قوله (كل صاحب فندق) أي خان (قرنان) ممنوع من الصرف للوصفية وزيادة الالف والنون (ولو كان نبيا) فلو لم يقل ولو كان نبيا فلا شئ عليه (و) شدد عليه أيضا (في) نسبة شئ (قبيح) من قول أو فعل (لاحد ذريته عليه الصلاة والسلام مع العلم به) وذريته عليه الصلاة والسلام انحصرت في أولاد فاطمة الزهراء وأما آل البيت من غيرها مع العلم بهم فالظاهر أنه كذلك (كأن انتسب له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام بغير حق بالقول أو بفعل كأن

---

(١) شرح خليل للخرشي، ١٥٧/٢٣

(٢) شرح خليل للخرشي، ٢٩٩/٢٣

يتعمم بعمامة خضراء (أو احتمل قوله) الانتساب كأن يقول معرضا بنفسه من أشرف من ذريته عليه الصلاة والسلام وقال لمن آذاه أنت شأنك تؤذي آل البيت (أو شهد عليه) بالسب (عدل) فقط (أو لفيف) من الناس أي غير مقبولين في شهادتهم (فعاق) بسبب ذلك (عن القتل) أي لم يقتل لعدم تمام الشهادة بمن ذكر فيصدر عليه في الادب (أو سب من لم يجمع على نبوته) كالخضر ولقمان ومريم وخالد بن سنان الذي قيل فيه أنه نبي أهل الرس (أو) سب (صحابيا) إلا عائشة بما برأها الله به فيقتل لردته (وسب الله كذلك) أي كسب النبي صريحه كصريحه ومحتمله كمحتمله فيقتل في الصريح ويؤدب في المحتمل بالاجتهاد فإن كان الساب ذميا قتل ما لم يسلم (وفي استتابة المسلم) أي هل يستتاب فإن تاب وإلا قتل أو يقتل ولو تاب كسب النبي (ص) (خلاف) والراجح الاستتابة وقوله: (كمن قال) متضجرا (لقيت في مرضي ما) أي مرضا (لو قتلت أبا بكر وعمر." [١]

" نفسه بأن جعل حرزا أو الضياع .

قوله : ١٦ (حال دخوله الكنيف) : أي وكذا كل دنيء : كحمام وفندق وبين ظالم .

قوله : ١٦ (وأما المنزل) إلخ : والحاصل أن ما كان من باب التشريف والتكريم قدم فيه اليمنى وعكسه قدم فيه اليسرى ، فإن حصلت المعارضة بين المنزل والمسجد كما لو كان باب بيته داخل المسجد كان الحكم للمسجد دخولا وخروجا .

قوله : ١٦ (ومنع بفضا) إلخ : حاصل فقه المسألة أن المسائل ست : الأولى : قضاء الحاجة ، والوطء فى الفضاء مستقبلا ومستدبرا بدون ساتر وهذه حرام قطعا .

الثانية : قضاء الحاجه فى بيت الخلاء الذى فى المنزل بساتر ، والوطء فى المنزل بساتر ، وهذه جائزة اتفاقا مستقبلا ومستدبرا . الثالثة : قضاء الحاجة فيه ، والوطء فيه بدون ساتر ، وفيها قولان بالجواز والمنع ، والمعتمد الجواز ولو كان بيت الخلاء أو الوطء . بالسطح . الرابعة : قضاء الحاجة والوطء فى الفضاء بساتر مستقبلا إو مستدبرا ، وفيها قولان بالجواز والمنع ، والمعتمد الجواز . والخامسة والسادسة : قضاء الحاجة والوطء بحوش المنزل بساتر وبدونه وفيهما قولان بالجواز والمنع والمعتمد الجواز فيهما .

قوله : ١٦ (وإلا فلا) : أي إما اتفاقا أو على الراجح كما تقدم

قوله : ١٦ (فإن استتر) إلخ : ويكفى أن يكون طوله ثلثى ذراع وقربه منه ثلاثة أذرع فأقل ، وعرضه منه مقدار ما يوارى عورته .

---

(١) الشرح الكبير للشيخ الدردير، ٣١٢/٤

قوله : ١٦ (مراعاة للخلاف) : أي وهو الذى علمته من الحاصل .

قوله : ١٦ (وأما هى فلا حرمة

". (١)

" عبد المسلم المعتوق ببلاد الإسلام فتأمل .

قوله : ١٦ (وأما في جزيرة العرب) إلخ : مأخوذة من الجزر وهو القطع سميت به لانقطاع الماء من وسطها إلى أجنابها بحر القلزم من ناحية الغرب وبحر فارس من ناحية الشرق وبحر الهند من الجنوب . قال الأصمعي : هي ما بين أقصى عدن إلى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام عرضا .

قوله : ١٦ (وإقامة الأيام كالثلاثة) : أي فليست الثلاثة قيدا بل المدار على الإقامة للمصالح والممنوع الإقامة لغير مصلحة وظاهرة أن لهم المرور ولو لغير مصلحة وهو كذلك .

قوله : ١٦ (متعلق بيضربه) : يلزم على هذا التقدير تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد لأن قوله : على كافر متعلق بيضربه أيضا فالمناسب جعل الجار والمجرور خبرا مقدما وأربعة دنانير إلخ مبتدأ مؤخرا والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا جوابا عن سؤال مقدر : كأن قائلا قال له : أنت ذكرت المال فما مقداره فقال : على العنوي كذا إلخ وعلى الصلحي ما شرطه : والعنوي منسوب للعنوة بفتح العين وهو القهر . واختلف في المال المضروب قيل : شرط وقيل : ركن ومقتضى المصنف الثاني لأنه أخبر عن الجزية بأنها مال . واعلم أن الإمام لو أقرهم بغير مال أخطأ ويخيرون بين الجزية والرد لمأمنهم فعقد الذمة متوقف على المال على كل حال سواء قيل إنه ركن أو شرط .

قوله : ١٦ (أربعة دنانير شرعية) : أي وهي أكبر من دنانير مصر لأن الدينار الشرعي إحدى وعشرون حبة خروب وسبع حبة ونصف سبع حبة وأما الدينار المصري فثماني عشرة حبة فتكون الأربعة الدنانير الشرعية أربعة دنانير مصرية وثلثا دينار وستة أسباع حبة خروب لكن الثمان عشرة خروبة الآن لم تعهد إلا في البندقي **والفندقلي** وأما المسمى بالمحبوب فهو ثلاث عشرة خروبة ونصف .

قوله : ١٦ (أو أربعون درهما) أي شرعية وهي أقل من دراهم مصر لأن الدرهم الشرعي أربع عشرة خروبة وثمانية

---

(١) بلغة السالك لأقرب المسالك، ١/٦٦

". (١)

" : أي كما في (عب) و قيل المدار على نوعها لا شخصها و هما قولان في المسألة إلا أن في كلام الأجهوري ما يفيد تأييد ما قاله شارحنا تبعا (لعب) .

تنبيه : يؤخذ من ذلك أن من حبس على طلبة العلم بمحل عينه ثم تعذر ذلك المحل فإن الحبس لا يبطل بل ينقل لمثله .

قوله : ١٦ (و من ذلك مدارس مصر) : إلخ : يناقض هذا ما يأتي في شرح قوله لا عقار و إن خرب . و الحق ما يأتي من أن مساجد القرافة و مدارسها وقف باطل يجب هدمها قطعا و نقضها محله بيت المال يصرف في مصالح المسلمين .

قوله : ١٦ (و أخرج ساكن) : إلخ : هذا محمول على ما إذا لم يوجد للوقف ريع كما لو وقف دارا على فلان يسكن فيها . و أما لو جعل وقف المسجد بيتا من بيوته الموقوفة لإمام و نحوه يسكن فيه ، فإن مرمته من ريع الوقف لا على الإمام و نحوه و لا يكرى البيت لذلك كذا في (عب) .

قوله : ١٦ (لتكرى له) : إن قلت إكراؤها بغير الموقوف عليه تغيير للحبس لأنها . لم تحبس إلا للسكنى لا للكراء . قلت لو سلم أنها لم تحبس إلا للسكنى لأن المحبس يعلم أنها تحتاج للإصلاح و لم يوقف لها ما تصلح به فبالضرورة يكون اذنا في كرائها لغير من حبست عليه عند الحاجة لذلك كذا في الحاشية ، نقل (بن) عن اللخمى أن نفقة الوقف ثلاثة أقسام : فدور الغلة و الحوانيت و الفنادق تصلح من غلتها و دور السكنى يخير من حبست عليه بين إصلاحها و إكرائها بما تصلح بها منه و البساتين إن حبست على من لا تسلم إليه ، بل تقسم غلتها عليه تساقى أو يستأجر عليها من غلتها وإن كانت على مهينين هم يلومها بالنفقة عليها والإبل و البقر و الغنم كالثمار (ا هـ) .

قوله : ١٦ (و لا يلزم المحبس نفقته) : أي و لا الحبس عليه سواء كان معينا أو غير معين .

قوله : ١٦ (مما إذا وقف على معين) : أي في غير الجهاد بل ينتفع به في أمور نفسه .

". (٢)

(١) بلغة السالك لأقرب المسالك، ٢/١٩٩

(٢) بلغة السالك لأقرب المسالك، ٤/٢٨

"ثابتة لورثته وأجاز مالك كراء الدور والحوانيت مشاهرة وإن لم تقرر الإجارة على مدة معلومة لأن الشهر معلوم ما يجب له ولكل يوم منه ومن اكترى دارا مشاهرة أو سنة غير معينة فله أن يخرج متى شاء ولرب الدار أن يخرجه متى شاء ويلزمه من الكراء بقدر ما مضى من المدة لا غير وقال عبد الله بن عبد العزيز يلزمه في المشاهرة كراء شهر واحد وبعده يخرجه متى شاء كما قال مالك فإن اشترط رب الدار والمسألة بحالها على المكتري إنك إن خرجت من الشهر يوما لزمك الشهر كله وإلتزما ذلك جاز ولزمه فإن خرج كان له أن يكريه من مثله فيما بقي من أيامه ولا يجوز أن يشترط عليه رب الدار إن خرجت لزمك الشهر ولا شيء لك من الكراء لما بقي من الشهر ولا بأس بكراء الدار سنين عشرا أو أكثر ويكره في دور الأحباس وغيرها طول المدة خوفا من ذهاب الناس وادعاء الاستحقاق بالسكنى ولكنه لا يفسخ العقد فيها ولا في غيرها من الدور والأرضين وما أشبهها لطول مدة لأنها مأمونة لا غرر يدخل إجارتها ومن اكترى دارا سنة بعينها فانهدمت أو احترقت سقط عنه كراؤها وإن انهدم بعضها وكان يسيرا لا ضرر على الساكن منه في عورة ظاهرة ولا تعطيل مسكن ولا عدم منفعة فالكراء لازم للمكتري ولا شيء على ربها وإن تعطل بعض مساكنها أو بعض ما يرتفق به منها حط عنه بقدر ما يصيب ذلك من كرائها إن رضي ساكنها وإن لم يرض انفسخ الكراء بينهما إلا أن تكون مرمتها وإصلاحها ينقضي في أيام يسيرة جدا وإذا انفسخ الكراء بينهما تحاسبا فإن كانت الدار من الدور التي لها نفاق في حين من السنة نحو الفنادق ونحو دور مكة في الموسم تحاسبا على قدر ما سكن من أيام النفاق والكساد ومن اكترى دارا ليسكنها فأغلقها ولم يسكنها فإن رضي بذلك ربها جاز والكراء لازم له وإن لم يرض أخذ المكتري بسكناها أو بكرائها من مثله لأن أغلاقها في طول المدة عون على خرابها وليس للمكتري أن يجعل في الدار والحانوت ما يضر بهما مثل الزيت والقطران." (١)

" تقصي جزئياته هذا إن كان موضع الفرجة لا منكر فيه ولا فتنة يتخوف وقوعها وأما إذا انضم إلى ركوب البحر مفسدة فالأولى المنع مثل خروجهن إلى القناطر وغيرها واجتماع الرجال والنساء وما يجري هناك مما يكل السمع عنه فكيف برؤيته وكذلك ما أشبهه من كسر الخليج وما يجتمع فيه من الغوغاء وما فيه اليوم من الفتن ويئول أمره إلى إزهاق النفوس في ذلك من الغرق وغيره وقد اعتادوا فيه عادة ذميمة وهو أن بعض الحرافيش وغيرهم في ذلك اليوم يمدون أيديهم في الطريق يجردونه ويأخذون ما معه ويضربونه وربما قتلوه وأعدموه ألبتة ولا يحكم عليهم في ذلك اليوم حاكم لأنه سبيل فيهم على ما يزعمون أسأل الله

---

(١) الكافي في فقه أهل المدينة، /

السلامة بمنه فصل في خروجهن إلى المحمل وينبغي له أن يمنعهن من الخروج إلى شهود المحمل حين يدور ويمنعهن من الخروج في تلك الأيام التي يستعد فيها لدوران المحمل إذ في ذلك من المفاسد وارتكاب المحرمات ومخالفة السنة أشياء عديدة فمنها تزيين الدكاكين في الأسواق وغيرها بالقماش من الحرير والحلي وغيرهما وفي بعض ذلك من الصور المحرمة ما هو معلوم مشاهد لا ينازع فيه وتحريمه لا خفاء فيه وذلك كله قبل دورانه إلى أن ينقضي ويقع في تلك الأيام من المفاسد استمتاع الرجال بالحرير المحرم عليهم إلا ما استثني في الشرع لحكة أو جهاد ويدل على تحريم ذلك ما ورد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فسمى استعمال الحصير لبسا فدل على أن لبس كل شيء بحسبه فدل ذلك على أن ما يفعلونه من تزيينهم بمسانيد الحرير **والبشخانات** المعلقة وما أشبه ذلك حرام سيما إن كان فيها صور محرمة فيتأكد الوعيد لما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله

". (١)

" صلى الله عليه وسلم يقول من صور صورة فإن الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا وما ورد أنه يقال يوم القيامة للمصورين في الدنيا أحيوا ما خلقتم انتهى ولا فرق في ذلك أعني في لحوق الإثم بين من صنعها وبين من استحسنها وبين من جلس إليها وبين من رضي بها وأحبها وبين من رآها ولم ينكر وله القدرة على التغيير بحسب مراتب التغيير وقد تقدم وهذا فيمن لم يستحل ذلك وأما من استحله فالحكم فيه ظاهر معلوم وإذا كان ذلك محرما فلا يجوز اتخاذ شيء من ذلك لرجل ولا لامرأة عموما وقد تقدم أن لبس كل شيء بحسبه وإذا كان كذلك فلا يجوز لأحد أن يجلس تحت **البشخانات** ولا مساند الحرير وشبهها ولا أن يمشي تحتها إلا لضرورة شرعية ولا أن يستظل بظلها وكذلك لا يجوز له النظر إليها لأن ذلك إعانة على فعلها بل يجب على من قدر على تغييرها بشرط أن يزيلها دون إفسادها ولا يستمتع بها بوجه من وجوه الاستمتاعات أما الرجال فتحريم ذلك عليهم بين وأما النساء فالأدلة مانعة لهن من استعمال ما تقدم ذكره أعني من المساند **والبشخانات** الحرير وشبهها وأما إن كان ذلك من الكتان الرفيع أو القطن وما أشبههما فذلك من البدع ولا يصل إلى التحريم لأن أصله مباح أعني لبسه على الوجه المعروف شرعا وليس هذا منه وفيه ضرب لإضاعة المال وذلك أن استعمالها يبليها وتتدنس بما يلاقيها من غبار

(١) المدخل لابن الحاج ١/٢٧٢

ودخان مصباح وغيرهما دون ضرورة شرعية ولا حاجة تدعو إلى ذلك والأدلة دالة على منع استعمال ما تقدم ذكره على النساء كالرجال إلا ما أباح الشرع لهن من لبس الحرير والتحلي بالذهب والفضة ولهذا أباح العلماء لها اللحاف والفراش من الحرير إذ أن ذلك لبس لهن ولم يعدوه إلى غير اللبس فلا يجوز لها اتخاذ الأواني من الذهب والفضة كانت للزينة أو للاستعمال فذلك كله حرام عليها فإن فعلت ذلك كانت عاصية ويجب

". (١)

" ويمشي الناس على ذلك بأقدامهم ويدخلون المسجد فينجسون بها ما أصابته من المسجد وهذا محرم وفي وقوفهم على أبواب المسجد أذية كثيرة سيما للشيخ الكبير والأعمى وغيرهما من أرباب الأعذار الذين هم مخاطبون بالجمعة بل ربما أذوا بالرفس والكدم الأصحاء فكيف بمن سواهم من الشيوخ وغيرهم من الضعفاء فإن قال قائل الضرورة داعية لوقوف الدواب سيما لأجل الغلمان الممسكين لتلك الدواب فالجواب أنه لا ضرورة تدعو إلى ذلك لكثرة المواضع التي هي معدة لجعل الدواب فيها كالفنادق والإصطبلات وغيرها فلو لم يكن ثم مواضع لكان يتعين على صاحب الدابة أنه إذا أتى بها إلى المسجد يرسلها إلى موضعها التي كانت فيه ويخبر من يأتيه بها في الوقت الذي يحتاجها فيه فتنحسم مادة الضرر بذلك والله الموفق وينهى البياعين عما أحدثوه يوم الجمعة من بيعهم وشرائهم والناس في الصلاة أو في سماع الخطيب وهذا محرم إذ إنه إذا صعد الإمام على المنبر حرم حينئذ البيع والشراء حتى تنقضي الصلاة وبعض الناس اليوم يكون الخطيب على المنبر إلى انقضاء الصلاة وهم يبيعون ويشترون ولا يستحيون وينهى الناس عما أحدثوه من صلاتهم الجمعة في الدكاكين وذلك لا يجوز على مذهب مالك رحمه الله لأن الجمعة لا تصح عنده في موضع محجور وإنما تصح عنده في المسجد أو الطرق المتصلة به إن تعذر دخول المسجد وبعضهم يأتي إلى الجمعة فيقعد في الدكان ينتظر إقامة صلاة الجمعة والمسجد بعد لم يمتلئ بالناس وذلك لا يجوز على كل حال وينهى الناس عما أحدثه بعضهم من الإتيان للجمعة من غير غسل ولا تغيير هيئة فإن هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم وقد كانوا رضي الله عنهم إذا أراد أحدهم أن يؤكد الأمر لصاحبه يقول له ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة ومن كتاب القوت وكان أهل المدينة

---

(١) المدخل لابن الحاج ٢٧٣/١

". (١)

"كتاب كراء الأرضين في الرجل يكتري الأرض سنين ليزرعها فيغور بئرها أو تنقطع عينها قلت : أرأيت إن اكتريت أرضا من رجل ثلاث سنين أيجوز هذا الكراء في قول مالك ؟ قال : نعم ، قال : ولقد سألت مالكا عن الرجل يتكارى الأرض ثلاث سنين فيزرعها سنة أو سنتين فتغور بئرها أو تنقطع عينها كيف يحاسب صاحبها ، أيقسم الكراء على السنين إن كان تكاراها ثلاث سنين بثلاثين دينارا ويجعل لكل سنة عشرة عشرة ؟ قال : قال مالك : لا ولكن يحسب على قدر نفاقها وتشاح الناس فيها .

قال : ثم قال لي : وليس كراء الشتاء والصيف واحدا ورأيته حين فسره لي أن الأرض بمنزلة الدار يتكارى سنة ، وللسنة أشهر قد عرف نفاقها في السنة فالمتكاري يعطي الكراء للسنة كلها وإنما جل ما يعطي من الكراء لتلك الأشهر قد عرف ذلك المكري والمتكاري والناس في مثل دور مكة في نفاقها أيام الموسم ومثل فنادق تكون بالمدينة وبمصر ينزلها الناس أيام الحج وأيام الأسواق بالفسطاط فهذا الذي قال لي مالك في الأرضين كلها حين قلت له : أيقسم الكراء على السنين بالسوية ؟ فقال لي : لا ، ولكن على تشاح الناس فيها ونفاقها عند الناس ؛ قال مالك : وليس ما ينقد فيه كمن يستأخر نقده .

قال : وقال مالك في كراء الأرضين ليس كراؤها في الصيف والشتاء واحدا إذا أصيبت بقطع الماء .." (٢)

"وكذلك قال مالك في الأرض : تتكارى ثلاث سنين أو أربعا ، فيزرع الرجل السنة أو السنتين فيعطش أولها أو آخرها أو وسطها ، وقد تكاراها أربع سنين كل سنة بمائة دينار صفقة واحدة فيعطش سنة منها .

قال مالك : تقوم كل سنة بما كانت تساوي من نفاقها عند الناس ، وتشاح الناس فيها ثم يحمل بعض ذلك على بعض ، فيقسم الكراء على قدر ذلك ، ويرد من الكراء على قدر ذلك ، ويوضع عنه بقدر ذلك .

ولا ينظر إلى قدر السنين فيقسم الكراء عليها ، إن كانت أربع سنين لم يقسم الثمن عليها أرباعا ولكن على قدر الغلاء والرخص .

في الرجل يكتري الدار سنة فتهدم قبل مضي السنة قال : قال لي مالك : وكذلك الدار يتكاراها في السنة بعشرة دنانير ، فيكون فيها أشهر كراؤها غال ، وأشهر كراؤها رخيص ، مثل كراء دور مكة في إبان الحج

(١) المدخل لابن الحاج ٢٣٧/٢

(٢) المدونة، ٨٤/١١

وغير إبان الحج .

والفنادق تتكارى سنة ، ولها إبان نفاقها فيه ليست كغير ذلك من الإبان ، فيسكنها الأشهر ثم تنهدم أو تحترق فإنما يرد من الكراء بقدر ذلك من الأشهر .

حتى إن الشهر ليعدل الأربعة الأشهر والخمسة أو جميع السنة ، ولا ينظر في ذلك إلى السنة .

فيقسم الثمن على اثني عشر شهرا ولكن على ما وصفت لك .

وكل ما فسرت لك من هذه الجائحة ، فهو تفسير ما حملت عن مالك .

قلت : والذي شبهه مالك من الفاكهة في جائحته بالنخل مما يخرص ، أهو مما ييبس ويدخر مثل الجوز واللوز والفستق والجلوز وما أشبه هذه الأشياء ؟ قال : نعم .

قلت : والتين هو مما ييبس أيضا ويدخر." (١)

"في أحد المتفاوضين يبضع أو يقارض أو يستودع من مال الشركة قلت : أرأيت المتفاوضين ، هل يجوز لهما أن يبضع أحدهما دون صاحبه ، أو يقارض دون صاحبه في قول مالك ؟ قال : نعم ، إذا كانا تفاوضا كما وصفت لك ، قد فوض هذا إلى هذا وهذا إلى هذا ، وقال كل واحد منهما لصاحبه : اعمل بالذي ترى قلت : وجائز له أن يستودع ؟ قال : إذا احتاج إلى أن يستودع ، جاز ذلك .

قلت : وهذا قول مالك ؟ قال : هذا رأيي ، وذلك أنا سألنا مالكا عن الرجل ، يستودع الرجل الوديعة فيستودعها غيره فتهلك ، هل عليه ضمان ؟ قال : إن كان رجلا أراد سفرا ، أو كان بيته معورا ، أو ما أشبه هذا من العذر ، فأرى أن لا ضمان عليه ، وإن كان ليس له عذر من هذا فأراه ضامنا .

قال : فقلنا لمالك : فالمسافر يدفع إلى الرجل البضاعة في سفره يرفعها له فيدفعها إلى غيره ؟ قال مالك : هو ضامن ، ولم يره مثل الحاضر ، لأن المسافر قد عرف ناحيته وأنه في سفر .

فالشريك الذي سألتني عنه إذا نزل البلد ، فخاف على ما معه فاستودعها رجلا ، لأن التجار منازلهم في الغربة ما علمت إنما هي الفنادق والمواضع التي يتخوفون فيها ، فلا ضمان عليه إذا كان بهذه الحال .

وإن لم يكن على شيء من هذه الحال فاستودعها رأيته ضامنا .." (٢)

"فقال مالك : له ذلك ، وقال داود : ليس له ذلك . ومنها : اختلافهم في كنس مراحيض الدور المكتراة ، فالمشهور عن ابن القاسم أنه على أرباب الدور ، وروي عنه أنه على المكتري ، وبه قال الشافعي

---

(١) المدونة، ١١/٢٤٢

(٢) المدونة، ١١/٣٤٤

، واستثنى ابن القاسم من هذه الفنادق التي تدخلها قوم وتخرج قوم ، فقال : الكنس في هذه على رب الدار . ومنها : اختلاف أصحاب مالك في الانهدام اليسير من الدار ، هل يلزم رب الدار إصلاحه ، أم ليس يلزم ؟ وينحط عنه من الكراء ذلك القدر ؟ فقال ابن القاسم : لا يلزمه ، وقال غيره من أصحابه : يلزمه . وفروع هذا الباب كثيرة ، وليس قصدنا التفريع في هذا الكتاب .

الجملة الثانية . وهي النظر في أحكام الطوارئ . الفصل الأول منه . وهو النظر في الفسوخ . فنقول : إن الفقهاء اختلفوا في عقد الإجارة ، فذهب الجمهور إلى أنه عقد لازم ، وحكي عن قوم أنه عقد جائز تشبيها بالجعل والشركة . والذين قالوا : إنه عقد لازم اختلفوا فيما ينفسخ به : فذهب جماعة فقهاء الأمصار مالك ، والشافعي ، وسفيان الثوري ، وأبو ثور ، وغيرهم إلى أنه لا ينفسخ إلا بما تنفسخ به العقود اللازمة من وجود العيب بها أو ذهاب محل استيفاء المنفعة . وقال أبو حنيفة ، وأصحابه : يجوز فسخ عقد الإجارة للعذر الطارئ على المستأجر ، مثل أن يكري دكانا يتجر فيه فيحترق متاعه أو يسرق . وعمدة الجمهور قوله تعالى : (أوفوا بالعقود) ، لأن الكراء عقد على منافع فأشبه النكاح ، ولأنه عقد على معاوضة فلم ينفسخ ، أصله البيع . وعمدة أبي حنيفة : أنه شبه ذهاب ما به تستوفى المنفعة بذهاب العين التي فيها المنفعة . وقد اختلف قول مالك إذا كان الكراء في غير مخصوص على استيفاء منفعة من جنس مخصوص : فقال عبد الوهاب : الظاهر من مذهب أصحابنا أن محل استيفاء المنافع لا يتعين في الإجارة ، وإن عين فذلك كالوصف لا ينفسخ ببيعه أو ذهابه ، بخلاف العين المستأجرة إذا تلفت ، قال : وذلك مثل أن يستأجر على رعاية غنم بأعيانها ، أو خياطة قميص بعينه ، فتهلك الغنم ويحترق الثوب فلا ينفسخ العقد ، وعلى المستأجر أن يأتي بغنم مثلها ليرعاها ، أو قميص مثله ليخيطه ، قال : وقد قيل إنها تتعين بالتعيين فينفسخ العقد بتلف المحل . وقال بعض المتأخرين : إن ذلك ليس اختلافا في المذهب، وإنما ذلك على قسمين : أحدهما : أن يكون المحل المعين لاستيفاء المنافع مما تقصد عينه ، أو مما لا تقصد عينه ، فإن كان مما تقصد عينه انفسخت الإجارة كالظئر إذا مات الطفل ، وإن كان مما لا يقصد عينه لم تنفسخ الإجارة على رعاية الغنم أو بيع طعام في حانوت وما أشبه ذلك . واشتراط ابن القاسم في المدونة أنه إذا." (١)

"قال ابن القاسم: وإن تأخر الدينار والدرهم إلى أجل واحد وعجلت السلعة فجائز، وكذلك إن اشتراها بدينار إلا درهمين في جميع ما ذكرنا، وإن كانت بدينار إلا ثلاثة دراهم لم أحب ذلك إلا نقدا، وجعل

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ص/٥٨٢

ربيعة الثلاثة كالدرهمين، ولم يجز مالك الدرهم والدرهمين إلا زحفا، فأما بدينار إلا خمسة دراهم أو عشرة فيجوز نقدا كله، ولا ينبغي التأخير في شيء من ذلك للغرر فيما يغترق ذلك من الدينار عند الأجل إن حال الصرف.

قال يحيى بن سعيد: لم أزل أسمع أنه يكره أن يبتاع الرحل ببعض دينار شيئا ويأخذ بفضله ورقا، ويترك ما ابتاع حتى يعود في يوم آخر فيأخذه، لأن ذلك يرى صرفا.

٢٥٠٩ – قال مالك: وإن ابتاع منه سلعة بثلثي دينار فقال له بعد البيع: هذا دينار فاستوف منه ثلثيك وأمسك ثلثه عندك، فلا بأس به إذا صح ذلك ولم يكن بينهما في ذلك شرط عند البيع ولا عادة ولا إضمار.

٢٥١٠ – ومن قدم تاجرا ومعه ألوف دراهم ورقيق ومتاع ونقر فضة، فاشترى ذلك كله [منه رجل] صفقة واحدة بألف دينار وتناقدا لم يجز، إذ لا يجوز صرف وبيع في صفقة، ولا شركة وبيع، ولا نكاح وبيع، ولا جعل وبيع، ولا قراض وبيع، ولا مساقاة وبيع.

٢٥١١ – وإن ابتعت سلعة بخمسة دنانير إلا درهما أو درهمين، فندقته أربعة دنانير وتأخر الدينار الباقي أو الدراهم، أو نقدته الدينار وأخذت الدرهم وأخرت الأربعة لم يجز ذلك، إذ للدراهم في كل دين حصة، ولو ابتعتها بخمسة دنانير إلا ربعا أو سدسا جاز تعجيل الأربعة، وتأخير [الدينار] الباقي [حتى يأتيك بخمس أو بربع وتدفع إليه الدينار، وكذلك إن] [تأخرت الأربعة ودفع دينارا]، أو أخذ سدسه أو ربعه مكانه دراهم، [فلا بأس به]، لأن الجزء من الدينار لا يجري في سائره.." (١)

"قال ابن القاسم: وإن شاء الشريك أنفذها لشريكه الذي وطئها بالثمن الذي اشتراها به، وليس من فعل ذلك من أحد المتفاوضين كغاصب للثمن، أو متعد في وديعة ابتاع بها سلعة، هذا ليس عليه لرب الدنانير إلا مثل دنانيره، ولكنه كمبضع معه في شراء سلعة أو مقارض تعدى، فرب المال مخير في أخذ ما اشترى أو تركه، لأن هؤلاء أذن لهم في تحريك المال، فلكل متعد سنة يحمل عليها، إلا أن الذي ابتاع الأمة ووطئها من المتفاوضين إذا لم يسلمها له الشريك بالثمن وقال: لا أقاومه ولكن أردها في الشركة، لم يكن له ذلك، وقال غيره: له ذلك.

٣٢٣٥ – وإذا أخر أحد المتفاوضين غريما بدين أو وضع له منه نظرا واستيلافا في التجارة ليشتري منه في المستقبل جاز. وكذلك الوكيل على البيع إذا كان مفوضا إليه، وما صنعه مفوض إليه من شريك أو وكيل على وجه المعروف لم يلزم، ولكن يلزم الشريك في حصته، ويرد صنيع الوكيل إلا أن يهلك ما صنع الوكيل

---

(١) تهذيب المدونة، ٦/٣

من ذلك فيضمنه الوكيل.

وإن باع أحدهما سلعة بثمن إلى أجل لم يصلح لشريكه أن يبتاعها بأقل من ذلك [الثمن] نقدا، لكن يبتاعها بما يجوز لبائعها أن يشتريها به.

وإن أبضع أحدهما مع رجل دنانير من الشركة ليشتري بها شيئا [ثم علم الرجل بموت الذي بعثها معه، أو بموت شريكه، فإن علم أنها من الشركة فلا يشتر بها شيئا] وليردها على الباقي وعلى الورثة، وإن بلغه افتراقهما فله أن يشتري، لأن ذلك لهما بعد، وفي الموت يقع للورثة بعضه، وهم لم يأمروه بذلك. ولأحد المتفاوضين أن يبضع أو يقارض دون إذن الآخر.

٣٢٣٦ – وأما إيداعه فإن كان لوجه عذر لنزوله ببلد فيرى أن يودع، إذ منزله **الفنادق** وما لا أمن فيه، فذلك له. وما أودع لغير عذر ضمنه.." (١)

"قال ابن القاسم: وإن تأخر الدينار والدرهم إلى أجل واحد وعجلت السلعة فجائز، وكذلك إن اشتراها بدينار إلا درهمين في جميع ما ذكرنا، وإن كانت بدينار إلا ثلاثة دراهم لم أحب ذلك إلا نقدا، وجعل ربيعة الثلاثة كالدرهمين، ولم يجز مالك الدرهم والدرهمين إلا زحفا، فأما بدينار إلا خمسة دراهم أو عشرة فيجوز نقدا كله، ولا ينبغي التأخير في شيء من ذلك للغرر فيما يغترق ذلك من الدينار عند الأجل إن حال الصرف.

قال يحيى بن سعيد: لم أزل أسمع أنه يكره أن يبتاع الرجل ببعض دينار شيئا ويأخذ بفضله ورقا، ويترك ما ابتاع حتى يعود في يوم آخر فيأخذه، لأن ذلك يرى صرفا.

٢٥٠٩ – قال مالك: وإن ابتاع منه سلعة بثلثي دينار فقال له بعد البيع: هذا دينار فاستوف منه ثلثيك وأمسك ثلثه عندك، فلا بأس به إذا صح ذلك ولم يكن بينهما في ذلك شرط عند البيع ولا عادة ولا إضمار.

٢٥١٠ – ومن قدم تاجرا ومعه ألوف دراهم ورقيق ومتاع ونقر فضة، فاشترى ذلك كله [منه رجل] صفقة واحدة بألف دينار وتناقدا لم يجز، إذ لا يجوز صرف وبيع في صفقة، ولا شركة وبيع، ولا نكاح وبيع، ولا جعل وبيع، ولا قراض وبيع، ولا مساقاة وبيع.

٢٥١١ – وإن ابتعت سلعة بخمسة دنانير إلا درهما أو درهمين، **فندقته** أربعة دنانير وتأخر الدينار الباقي أو الدراهم، أو نقدته الدينار وأخذت الدرهم وأخرت الأربعة لم يجز ذلك، إذ للدراهم في كل دين حصة، ولو ابتعتها بخمسة دنانير إلا ربعا أو سدسا جاز تعجيل الأربعة، وتأخير [الدينار] الباقي [حتى يأتيك

---

(١) تهذيب المدونة، ٣/٢١٨

بخمس أو بربع وتدفع إليه الدينار، وكذلك إن] [تأخرت الأربعة ودفع دينارا]، أو أخذ سدسه أو ربعه مكانه دراهم، [فلا بأس به]، لأن الجزء من الدينار لا يجري في سائره.." (١)

"قال ابن القاسم: وإن شاء الشريك أنفذها لشريكه الذي وطئها بالثمن الذي اشتراها به، وليس من فعل ذلك من أحد المتفاوضين كغاصب للثمن، أو متعد في وديعة ابتاع بها سلعة، هذا ليس عليه لرب الدنانير إلا مثل دنانيره، ولكنه كمبضع معه في شراء سلعة أو مقارض تعدى، فرب المال مخير في أخذ ما اشترى أو تركه، لأن هؤلاء أذن لهم في تحريك المال، فلكل متعد سنة يحمل عليها، إلا أن الذي ابتاع الأمة ووطئها من المتفاوضين إذا لم يسلمها له الشريك بالثمن وقال: لا أقاومه ولكن أردها في الشركة، لم يكن له ذلك، وقال غيره: له ذلك.

٣٢٣٥ – وإذا أخر أحد المتفاوضين غريما بدين أو وضع له منه نظرا واستيلافا في التجارة ليشتري منه في المستقبل جاز. وكذلك الوكيل على البيع إذا كان مفوضا إليه، وما صنعه مفوض إليه من شريك أو وكيل على وجه المعروف لم يلزم، ولكن يلزم الشريك في حصته، ويرد صنيع الوكيل إلا أن يهلك ما صنع الوكيل من ذلك فيضمنه الوكيل.

وإن باع أحدهما سلعة بثمن إلى أجل لم يصلح لشريكه أن يبتاعها بأقل من ذلك [الثمن] نقدا، لكن يبتاعها بما يجوز لبائعها أن يشتريها به.

وإن أبضع أحدهما مع رجل دنانير من الشركة ليشتري بها شيئا [ثم علم الرجل بموت الذي بعثها معه، أو بموت شريكه، فإن علم أنها من الشركة فلا يشتر بها شيئا] وليردها على الباقي وعلى الورثة، وإن بلغه افتراقهما فله أن يشتري، لأن ذلك لهما بعد، وفي الموت يقع للورثة بعضه، وهم لم يأمروه بذلك. ولأحد المتفاوضين أن يبضع أو يقارض دون إذن الآخر.

٣٢٣٦ – وأما إيداعه فإن كان لوجه عذر لنزوله ببلد فيرى أن يودع، إذ منزله الفنادق وما لا أمن فيه، فذلك له. وما أودع لغير عذر ضمنه.." (٢)

"(ويقدم) ندبا (يسراه دخولا) للكنيف (و) يقدم (يمناه خروجا) منه وذلك (عكس مسجد) فيهما لقاعدة الشرع أن ما كان من باب التشريف والتكريم يندب فيه التيامن وما كان بضده يندب فيه التياسر وإذا أخرج يسراه من المسجد وضعها على ظاهر نعله ويخرج يمناه ويقدمها في اللبس وعند الدخول

---

(١) تهذيب مسائل المدونة المسمى ((التهذيب في اختصار المدونة))، ٦/٣

(٢) تهذيب مسائل المدونة المسمى ((التهذيب في اختصار المدونة))، ٢١٨/٣

يخلع يسراه ويضعها على ظاهر نعله ثم يخلع اليمنى ويقدمها دخولا (والمنزل) يقدم (يمناه بهما) أي فيهما أي في الدخول والخروج

s(قوله : ويقدم ندبا يسراه دخولا للكنيف) أي وكذا لكل دنيء كحمام **وفندق** (قوله : عكس مسجد فيهما) أي فيندب أن يقدم في دخوله يمناه وفي الخروج منه يسراه (قوله : : أن ما كان من باب التشريف والتكريم) أي كالمسجد وحلق الرأس ولبس النعل وقوله : وما كان بضده أي كدخول الحمام **والفندق** والخروج من المسجد وخلع النعل (قوله : والمنزل يمناه بهما) ، فإن حصلت المعارضة بين المنزل والمسجد كما لو كان باب بيته داخل المسجد وخرج من المسجد لبيته كان الحكم للمسجد .." [1]

"(قوله وإن علق بالإقباض) أي عليه أو على الأداء سواء كان التعليق بأن أو إذا أو متى .

(قوله لم يختص إلخ) أي ولا يشترط قبول الزوجة للتعليق عقب حصوله من الزوج .

والحاصل أنه إذا وقع منها الأداء بعد المجلس وقبل الطول لزم الخلع مطلقا عند المصنف وابن عرفة وقيده ابن عبد السلام بتقدم القبول منها في المجلس وإلا لم يلزم عنده ا هـ بن لكن نقل بعضهم عن ابن عبد السلام أن صيغ التعليق لا يحتاج فيها لقبول فعلى هذا يكون موافقا لابن عرفة فالنقل عنه قد اختلف ا هـ شيخنا عدوي (قوله فإن لم يكن غالب) أي بأن كان التعامل باليزيدية والمحمدية مستويا (قوله ومن الثلاثة) كما لو كان في البلد ثلاثة أنواع محبوب وبندقي **وفندقلي**." [2]

"قوله وسوى إلخ) أي ، وإذا أقر لحمل سوى إلخ (قوله بين توأميه) أي إن وضعا حيين ، وإلا فللحي منهما ولا شيء لمن وضع ميتا ؛ لأنه لا يصح تملكه (قوله وترث الأم) أي أم التوأمين منه أي من المقر به وقوله حينئذ أي حين إذ قال هو دين لأبيهما (قوله الثمن) أي إن كانت زوجة للأب وارثة احترازا عما إذا حملت منه ، وأبانها في حال صحته ، ثم مات بعد وحصل الإقرار قبل الوضع (قوله بعلي) أي كعلي ألف لفلان ، أو في ذمتي له ألف ، أو له عندي ألف ، أو قال أخذت منه ألفا ، وأما لو قال أخذت من **فندق** فلان مائة ، أو من حمامه ، أو من مسجده فليس ذلك إقرارا لفلان صاحب **الفندق** ، أو الحمام ، أو المسجد ولو كتب في الأرض إن لفلان عندي كذا وقال اشهدوا علي بذلك لزمه فإن لم يشهد لم يلزمه ، وأما لو كتب في صحيفة ، أو لوح ، أو خرقة ، أو نقش في حجر لزمه مطلقا أشهد أم لا ولو كتب في الماء ، أو الهواء فلا يلزمه مطلقا ولو أشهد حيث لم يصرح بإقراره ا هـ .

---

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ٣٦٢/١

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ٢٣/٩

شب (قوله ولو زاد) رد بلو قول ابن المواز إنه لا يلزمه شيء إذا قال إن شاء الله ، أو إن قضى الله ، أو إن أراد الله ، أو إن يسر الله (قوله ؛ لأنه لما أقر) أي لما نطق بالإقرار (قولاه ؛ ولأن الاستثناء) أي بالمشيئة فمراده اللغوي ، وهو الإخراج ، وأداة الشرط مخرجة (قوله بخلاف إن شاء فلان) أي فإذا قال له عندي مائة إن شاء فلان فلا يلزمه شيء ولو قال فلان شئت ذلك أي ؛ لأنه خطر ؛ لأنه حين قال ذلك كان مجوزا أن." (١)

."

(قوله : ولا مفهوم لمسكنه) أي بل كل ما له غلة كذلك كحانوت وحمام وفندق وبستان .

(قوله : إذ الانتفاع إلخ) فحاصله أنه إذا وقف ما له غلة وحيز عنه ، ثم عاد قبل عام للانتفاع به بعد الحوز عنه واستمر ينتفع به حتى حصل المانع فإن الوقف يبطل .

(قوله : لو عاد بعد عام) أي سواء عاد بكراء ، أو إرفاق أي عارية .

(قوله : فيما إذا سكن ما وقفه على محجوره إلخ) أي وأما إذا سكن ما وقفه علي غيره ولو ولده الكبير بعد عام فلا خلاف في عدم بطلانه .

(قوله : قولان مشهوران) أحدهما لا يبطل الوقف وهذا قول غير ابن رشد وعليه عول المتيطي قائلا هو المشهور وبه العمل والقول الثاني يبطل الوقف إن عاد لما حبسه على محجوره ولو بعد أعوام وهو لابن رشد وليس العمل عليه .

(قوله : فإن عاد عليه بعد العام بإرفاق) أي لأجل الانتفاع به مجانا .

(قوله : لوفى بالمسألة) وحاصلها أنه إن عاد لانتفاعه بم؛ وقفه قبل عام وحصل المانع قبل أن يحاز عنه ثانيا بطل الوقف مطلقا كان على محجوره ، أو غيره سواء عاد بكراء أو إرفاق ، وإن عاد له بعد عام بكراء ، أو إرفاق فلا يبطل إذا كان الوقف على غير محجوره ، وإن كان على محجوره ففيه خلاف إن عاد له بكراء وأشهد على ذلك وإن عاد له بإرفاق بطل اتفاقا .

(قوله : فإنه لا يبطل بعوده له قبل عام) أي سواء كان عوده له لأجل صيانته له ، أو لأجل انتفاعه به كما لبن خلافا لطفى كما مر .

(قوله : وإلا لم يبطل) أي وإلا يحصل مانع قبل أن يحاز ثانيا." (٢)

---

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ١٤/١٩٤

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ١٦/٢٢٠

"(قوله : وأخرج الساكن الموقوف عليه للسكنى إلخ) هذا محمول على ما إذا لم يوجد للوقف ريع كما لو وقف دارا على فلان يسكن فيها وأما لو جعل واقف المسجد بيتا من بيوته الموقوفة لإمام ونحوه يسكن فيه فإن مرمته من ريع الوقف لا على الإمام ونحوه ولا يكرى البيت لذلك كما في عبق .

(قوله : لتكرى له) أي للإصلاح مدة عام مثلا ليصلح بذلك الكراء ما تهدم منها ، إن قلت إكراؤها من غير الموقوف عليه تغيير للحبس لأنها لم تحبس إلا للسكنى لا للكراء ، قلت لا نسلم أنها لم تحبس إلا للسكنى ؛ لأن المحبس يعلم أنها تحتاج للإصلاح ولم يوقف لها ما تصلح به فبالضرورة يكون أذن في كرائها من غير من حبست عليه عند الحاجة لذلك ا هـ عدوي .

(قوله : فإذا أصلحت) أي وانقضت مدة الكراء رجع إلخ .

(قوله : فإن أصلح ابتداء لم يخرج) وذلك لأن الدور المحبسة للسكنى يخير من حبست عليه بين إصلاحها ، وإكرائها بما تصرح منه ففي بن عن اللخمي أن نفقة الوقف ثلاثة أقسام فدور الغلة والحوانيت **والفنادق** من غلتها ودور السكنى يخير من حبست عليه بين إصلاحها ، وإكرائها بما تصلح منه والبساتين إن حبست على من لا تسلم إليه بل تقسم غلتها ساقى ويستأجر عليها من غلتها ، وإن كانت على معينين وهم يستغلونها كانت النفقة عليهم .." (١)

"(أو) (لعن العرب أو بني هاشم وقال) في المسألتين (أردت الظالمين) منهم فيؤدب بالاجتهاد ، فإن لم يقل أردت إلخ قتل وقيل قوله : وقال إلخ راجع للثانية وأما الأول فيؤدب مطلقا ولو لم يقل ما ذكر وعزي للنوادر (وشدد عليه) بالضرب والسجن والقيود ولم يقتل (في) قوله (كل صاحب **فندق**) أي خان (قرنان) ممنوع من الصرف للوصفية وزيادة الألف والنون (ولو كان نبيا) فلو لم يقل ولو كان نبيا فلا شيء عليه .

(قوله : فإن لم يقل أردت إلخ قتل) أي ، فإن لم يقل ذلك في المسألتين قتل كذا في ابن مرزوق والشفاء وظاهره من غير استتابة وقال الشيخ أحمد الزرقاني يكون مرتدا ولم يدعمه بنقل .

(قوله : قرنان) أي معرص لأنه يقرن بين الأجنبي وبين زوجته مثلا .." (٢)

"(وتقديم يسراه دخولا ، ويمناه خروجا ؛ عكس المسجد والمنزل ؛ يمناه فيهما) : من الآداب أن يقدم حال دخوله الكنيف رجله اليسرى ويؤخرها حال خروجه منه ؛ بأن يقدم في الخروج رجله اليمنى .

---

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ٢٦٦/١٦

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ٣٣٩/١٨

وذلك عكس اليسرى في المسجد فإنه يندب له تقديم اليمنى دخولا وتقديم اليسرى خروجا لشرفه ، كما يندب في تنعله تقديم اليمنى وفي خلع النعال تقديم اليسرى ، وأما المنزل فيقدم اليمنى دخولا وخروجا .

sقوله : [حال دخوله الكنيف] : أي وكذا كل دنيء : كحمام **وفندق** وبيت ظالم .

قوله : [وأما المنزل] إلخ : والحاصل أن ما كان من باب التشريف والتكريم قدم فيه اليمنى وعكسه قدم فيه اليسرى ، فإن حصلت المعارضة بين المنزل والمسجد – كما لو كان باب بيته داخل المسجد – كان الحكم للمسجد دخولا وخروجا .." (١)

"قوله : [متعلق بيضربه] : يلزم على هذا التقدير تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد ؛ لأن قوله : على كافر متعلق بيضربه أيضا ، فالمناسب جعل الجار والمجرور خبرا مقدما ، وأربعة دنانير إلخ مبتدأ مؤخرا ، والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا جوابا عن سؤال مقدر : كأن قائلا قال له : أنت ذكرت المال فما مقداره ، فقال : على العنوي كذا إلخ ، وعلى الصلحي ما شرطه : والعنوي منسوب للعنوة بفتح العين وهو القهر .

واختلف في المال المضروب ، قيل : شرط وقيل : ركن ، ومقتضى المصنف الثاني لأنه أخبر عن الجزية بأنها مال .

واعلم أن الإمام لو أقرهم بغير مال أخطأ ، ويخيرون بين الجزية والرد لمأمنهم فعقد الذمة متوقف على المال على كل حال ، سواء قيل إنه ركن أو شرط .

قوله : [أربعة دنانير شرعية] : أي وهي أكبر من دنانير مصر ، لأن الدينار الشرعي إحدى وعشرون حبة خروب وسبع حبة ونصف سبع حبة ، وأما الدينار المصري فثماني عشرة حبة فتكون الأربعة الدنانير الشرعية أربعة دنانير مصرية وثلثا دينار وستة أسباع حبة خروب ، لكن الثمان عشرة خروبة الآن لم تعهد إلا في البندقي **والفندقلي** ، وأما المسمى بالمحبوب فهو ثلاث عشرة خروبة ونصف .

قوله : [أو أربعون درهما] : أي شرعية وهي أقل من دراهم مصر ، لأن الدرهم الشرعي أربع عشرة خروبة وثمانية أعشار خروبة ونصف عشر خروبة ، والمصري ست عشرة خروبة ، فزيادة الأربعين المصرية على." (٢)

---

(١) حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ١٥٢/١

(٢) حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ٣٦٠/٤

"(كحارس) تشبيه في عدم الضمان : أي أن حارس الدار أو البستان أو الزرع أو حارس طعام أو عرض لا ضمان عليه لأنه أمين .

(ولو حماميا) إلا أن يتعدى أو يفرط .

ومن التفريط ما لو قال : رأيت رجلا يلبس الثياب فظننت أنه صاحبها ، فعلم أنه لا ضمان على الخفراء في الحارات والأسواق .

ولا عبرة بما كتب أو شرط عليهم من الضمان ما لم يفرطوا .

وكذا البوابون في **الخانات** وغيرها .

(وأجير لصانع) لا ضمان عليه لأنه أمين للصانع ، كان يعمل بحضرة صانعه أم لا .

sقوله : [ولو حماميا] : أي ما لم يجعل رب الثياب ثيابه رهنا عنده في الأجرة وإلا ضمن وما لم يجعل حارسا لاتقاء شره كما إذا كان مشهورا بالحرام وجعل حارسا لتتقي سرقته وإلا فيضمن كما إذا ظهر كذبه .

قوله : [ومن التفريط] إلخ : ومنه أيضا ما لو نام في وقت لا ينام فيه الحارس .

واعلم أن ما قاله شارحنا هو أصل المذهب من عدم تضمين الخفراء والحراس والرعاة ، واستحسن بعض المتأخرين كالأجهوري تضمينهم من غير ثبوت تفريط منهم نظرا لكونه من المصالح العامة وارتكابا لأخف الضررين .

قوله : [وأجير لصانع] : أي وأما الصانع نفسه فسيأتي ضمانه بالشروط .

قوله : [كان يعمل بحضرة صانعه أم لا] : أي على ما قال التتائي وقال أشهب في الغسال تكثر عنده الثياب فيؤاجر آخر يبعثه للبحر بشيء منها يغسله فيدعي تلفه إنه ضامن (ا هـ) ، وكلام التوضيح يفيد أن كلام أشهب تقييد للمشهور ولا مقابل له خلافا للتتائي .." [١]

"قوله : [وأخرج ساكن] إلخ : هذا محمول على ما إذا لم يوجد للوقف ريع كما لو وقف دارا على فلان يسكن فيها .

وأما لو جعل وقف المسجد بيتا من بيوته الموقوفة لإمام ونحوه يسكن فيه ، فإن مرمته من ريع الوقف لا على الإمام ونحوه ولا يكرى البيت لذلك كذا في (عب) .

قوله : [لتكرى له] : إن قلت إكراؤها بغير الموقوف عليه تغيير للحبس لأنها .

لم تحبس إلا للسكنى لا للكراء .

---

(١) حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ٣٦/٩

قلت لو سلم أنها لم تحبس إلا للسكنى لأن المحبس يعلم أنها تحتاج للإصلاح ولم يوقف لها ما تصلح به فبالضرورة يكون آذنا في كرائها لغير من حبست عليه عند الحاجة لذلك كذا في الحاشية ، نقل (بن) عن اللخمي أن نفقة الوقف ثلاثة أقسام : فدور الغلة والحوانيت **والفنادق** تصلح من غلتها ودور السكنى يخير من حبست عليه بين إصلاحها وإكرائها بما تصلح بها منه والبساتين إن حبست على من لا تسلم إليه ، بل تقسم غلتها عليه تساقى أو يستأجر عليها من غلتها وإن كانت على معينين هم يلونها بالنفقة عليها والإبل والبقر والغنم كالثمار (ا هـ) .

قوله : [ولا يلزم المحبس نفقته] : أي ولا الحبس عليه سواء كان معينا أو غير معين .

قوله : [مما إذا وقف على معين] : أي في غير الجهاد بل ينتفع به في أمور نفسه .

قوله : [وعوض به سلاح] إلخ : أي لأنه أقرب لغرض الواقف .

قوله : [فإن لم يمكن تصدق بالثمن] : أي إذا لم يمكن إبداله شقصا أو كلا .." [(١)]

"(والاستئذان واجب) بالإجماع لقوله تعالى : ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ﴾ ﴿ ولقوله صلى الله عليه وسلم لرجل ، قال : يا رسول الله أستأذن على أمي ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم قال : إني معها في البيت .

فقال صلى الله عليه وسلم : استأذنها قال : إني خادمها .

فقال صلى الله عليه وسلم : استأذن عليها ، أتحب أن تراها عريانة ؟ ﴾ فمن جحد وجوبه يكفر لوروده كما تقدم وعلم ضرورة .

(إذا أراد دخول بيت) مفتوحا أو مغلوقا حيث كان ، لا يدخل إلا بإذن ، لا نحو حمام **وفندق** وبيت قاض وطبيب وعالم حيث لا حرج في الدخول بلا إذن وإلا فكغيرها ف (يقول : سلام عليكم) علمت حكم السلام وقد جرى المصنف على أنه يقدم على الاستئذان .

وقال ابن رشد : يسلم بعد الاستئذان (أأدخل ؟) يقول (ثلاثا) ولا يزيد حيث غلب على ظنه السماع ويقول مقام " أأدخل " نقر الباب ثلاثا ولو مفتوحا والتنحنح ، ويكره الاستئذان بالذكر .

(فإن أذن له) فليدخل ولو جاء الإذن مع صبي أو عبد حيث وثق بخبرهما لقرينة وإن قيل له : من أنت ؟ فيقول : فلان باسمه لا بنحو أنا فإنه أنكر صلى الله عليه وسلم على من قالها .

ومحل وجوب الاستئذان إن كان بالبيت أحد لا يحل النظر لعورته بخلاف الزوجة والأمة ليس معهما غير

---

(١) حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ٩/١٧٧

فيندب وهل يجب على الأعمى قولان .

(وإلا) يؤذن له بعد الاستئذان ثلاثا مع ظن السماع أو قيل له ارجع (رجع) وجوبا ولا يلح ولا يتكلم بقبيح ولا يدخل إلا بعد الإذن لا بمجرد." (١)

"الثمن بنفس العقد.

فمالك رأى أن الثمن إنما يستحق منه بقدر ما يقبض من العوض، والشافعي كأنه رأى أن تأخره من باب الدين بالدين.

ومن ذلك اختلافهم فيمن اكترى دابة أو دارا وما أشبه ذلك، هل له أن يكري ذلك بأكثر مما اكتراه؟ فأجازه مالك والشافعي وجماعة قياسا على البيع، ومنع ذلك أبو حنيفة وأصحابه.

وعمدتهم أنه من باب ربح ما لم يضمن، لان ضمان الاصل هو من ربه: أعني من المكري.

وأيضا فإنه من باب بيع ما لم يقبض، وأجاز ذلك بعض العلماء إذا أحدث فيها عملا.

وممن لم يكره ذلك إذا وقع بهذه

الصفة سفيان الثوري، والجمهور رأوا أن الاجارة في هذا شبيهة بالبيع.

ومنها أن يكري الدار من الذي أكراها منه، فقال مالك: يجوز، وقال أبو حنيفة: لا يجوز، وكأنه رأى أنه إذا كان التفاضل بينهما في الكراء فهو من باب أكل المال بالباطل.

ومنها إذا اكترى أرضا ليزرعها حنطة فأراد أن يزرعها شعيرا أو ما ضرره مثل ضرر الحنطة أو دونه، فقال مالك: له ذلك، وقال داود: ليس له ذلك.

ومنها اختلافهم في كنس مراحيض الدور المكتراة، فالمشهور عن ابن القاسم أنه على أرباب الدور، وروي عنه أنه على المكتري، وبه قال الشافعي، واستثنى ابن القاسم من هذه **الفنادق** التي تدخلها قوم وتخرج قوم فقال: الكنس في هذه على رب الدار.

ومنها اختلاف أصحاب مالك في الانهدام اليسير من الدار، هل يلزم رب الدار إصلاحه، أم ليس يلزم؟ وينحط عنه من الكراء ذلك القدر؟ فقال ابن القاسم: لا يلزمه، وقال غيره من أصحابه يلزمه.

وفروع هذا الباب كثيرة، وليس قصدنا التفريع في هذا الكتاب.

الجملة الثانية: وهي النظر في أحكام الطوارئ الفصل الاول منه: وهو النظر في الفسوخ فنقول: إن الفقهاء اختلفوا في عقد الاجارة، فذهب الجمهور إلى أنه عقد لازم، وحكي عن قوم أنه عقد جائز تشبيها بالجعل

---

(١) حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ٢٨٢/١١

والشركة.

والذين قالوا إنه عقد لازم اختلفوا فيما ينفسخ به. فذهب جماعة فقهاء الامصار: مالك والشافعي وسفيان الثوري وأبو ثور وغيرهم إلى أنه لا ينفسخ إلا بما تنفسخ به العقود اللازمة من وجود العيب بها أو ذهاب محل استيفاء المنفعة.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: يجوز فسخ عقد الاجارة للعذر الطارئ على المستأجر، مثل أن يكري دكانا يتجر فيه فيحترق متاعه أو يسرق.

وعمدة الجمهور قوله تعالى: * (أوفوا بالعقود) * لان الكراء عقد على منافع فأشبه النكاح، ولانه عقد على معارضة فلم ينفسخ أصله البيع.

وعمدة أبي حنيفة أنه شبه ذهاب ما به تستوفي المنفعة بذهاب العين التي فيها المنفعة.

وقد اختلف قول مالك إذا كان الكراء في غير مخصوص." (١)

"فما أخذ من الجرين فبلغ ثمن المجن ففيه القطع

فأسقط القطع فى الماشية إلا ما أواه المراح وفى الثمر المعلق إلا ما أواه الجرين فدل على أن الحرز شرط فى إيجاب القطع ويرجع فى الحرز إلى ما يعرفه الناس حرزا فما عرفوه حرزا قطع بالسرقة منه وما لا يعرفونه حرزا لم يقطع بالسرقة منه لان الشرع دل على اعتبار الحرز وليس له حد من جهة الشرع فوجب الرجوع فيه إلى العرف كالقبض والتفرق فى البيع وإحياء الموات

فإن سرق مالا مثمنا كالذهب والفضة والخز والقز من البيوت أو **الخانات** الحريزة والدور المنيعة في العمران ودونها أغلاق وجب القطع لان ذلك حرز مثله وإن لم يكن دونها أغلاق فإن كان فى الموضع حافظ مستيقظ وجب القطع لانه محرز به وإن لم يكن حافظ أو كان فيه حافظ نائم لم يجب القطع لانه غير محرز

فإن سرق من بيوت فى غير العمران كالرباطات التى فى البرية والجواسق التى فى البساتين فإن لم يكن فيها حافظ لم تقطع مغلقا كان الباب أو مفتوحا لان المال لا يحرز فيه من غير حافظ

وإن كان فيها حافظ فإن كان مستيقظا قطع السارق مغلقا كان الباب أو مفتوحا لانه محرز به وإن كان نائما فإن كان مغلقا قطع (لانه محرز) وإن كان مفتوحا لم يقطع لانه غير محرز

---

(١) بداية المجتهد، ٢/١٨٥

وإن سرق متاع الصياد له والبقالين من الدكاكين فى الأسواق ودونها أغلاق أو درابات وعليها قفل أو سرق أوانى الخزف ودونها شرائح القصب فإن كان الأمن ظاهرا قطع السارق لان ذلك حرز مثله وإن قل الأمن فإن كان فى السوق حارس قطع لانه محرز به وإن لم يكن حارس لم يقطع لانه غير محرز

وإن سرق باب دار أو دكان قطع لان حرزه بالنصب

وإن سرق حلقة الباب وهى مسمرة فيه قطع لانها محرزة بالتسمير فى الباب

وإن سرق آجر الحائط قطع لانه محرز بالتشريح فى البناء

وإن سرق الطعام أو الدقيق فى غرائر شد بعضها إلى بعض فى موضع البيع قطع على المنصوص فمن أصحابنا من قال إن كان فى موضع مأمون في وقت الأمن فيه ظاهر ولم يمكن أخذ شيء منه إلا بحل رباطه أو فتق طرفه قطع لان العادة تركها فى موضع البيع

ومن أصحابنا من قال لا يقطع إلا أن يكون في بيت دونه باب مغلق والذى نص عليه الشافعى رحمه الله فى غير العراق وإن سرق حطبا شد بعضه إلى بعض بحيث لا يمكن أن يسل منه شيء إلا بحل رباطه قطع لانه محرز بالشد وإن كان متفرقا لم يقطع لانه غير محرز

ومن أصحابنا من قال لا يقطع إلا أن يكون فى بيت دونه باب مغلق مجتمعا كان أو متفرقا

وإن سرق أجزاعا ثقالا مطروحة على أبواب المساكن قطع لان العادة فيها تركها على الأبواب

فصل وإن نبش قبرا وسرق منه الكفن فإن كان فى برية لم يقطع لانه ليس بحرز للكفن وإنما يدفن فى البرية للضرورة وإن كان فى مقبرة تلى العمران قطع لما روى البراء بن عازب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ومن نبش قطعناه ولان القبر حرز للكفن

وإن كان الكفن أكثر من خمسة أثواب فسرق ما زاد على الخمسة لم يقطع لان ما زاد على الخمسة ليس بمشروع فى الكفن فلم يجعل القبر حرزا له كالكيس المدفون معه

وإن أكل السبع الميت وبقى الكفن ففيه وجهان أحدهما أنه ملك للورثة يقسم عليهم وهو قول أبى على بن أبى هريرة وأبى على الطبرى لان ذلك المال ينتقل إليهم بالإرث وإنما اختص الميت بالكفن للحاجة وقد زالت الحاجة فرجع إليهم

والثانى أنه لبيت المال لانهم لم يورثوه عند الموت فلم يرثوه بعده

". (١)

"فما أخذ من الجرين فبلغ ثمن المجن ففيه القطع

فأسقط القطع فى الماشية إلا ما أواه المراح وفى الثمر المعلق إلا ما أواه الجرين فدل على أن الحرز شرط فى إيجاب القطع ويرجع فى الحرز إلى ما يعرفه الناس حرزا فما عرفوه حرزا قطع بالسرقة منه وما لا يعرفونه حرزا لم يقطع بالسرقة منه لان الشرع دل على اعتبار الحرز وليس له حد من جهة الشرع فوجب الرجوع فيه إلى العرف كالقبض والتفرق فى البيع وإحياء الموات

فإن سرق مالا مثمنا كالذهب والفضة والخز والقز من البيوت أو **الخانات** الحريزة والدور المنيعة في العمران ودونها أغلاق وجب القطع لان ذلك حرز مثله وإن لم يكن دونها أغلاق فإن كان فى الموضع حافظ مستيقظ وجب القطع لانه محرز به وإن لم يكن حافظ أو كان فيه حافظ نائم لم يجب القطع لانه غير محرز

فإن سرق من بيوت فى غير العمران كالرباطات التى فى البرية والجواسق التى فى البساتين فإن لم يكن فيها حافظ لم تقطع مغلقا كان الباب أو مفتوحا لان المال لا يحرز فيه من غير حافظ

وإن كان فيها حافظ فإن كان مستيقظا قطع السارق مغلقا كان الباب أو مفتوحا لانه محرز به وإن كان نائما فإن كان مغلقا قطع (لانه محرز) وإن كان مفتوحا لم يقطع لانه غير محرز

وإن سرق متاع الصياد له والبقالين من الدكاكين فى الأسواق ودونها أغلاق أو درابات وعليها قفل أو سرق أوانى الخزف ودونها شرائح القصب فإن كان الأمن ظاهرا قطع السارق لان ذلك حرز مثله وإن قل الأمن فإن كان فى السوق حارس قطع لانه محرز به وإن لم يكن حارس لم يقطع لانه غير محرز

وإن سرق باب دار أو دكان قطع لان حرزه بالنصب

وإن سرق حلقة الباب وهى مسمرة فيه قطع لانها محرزة بالتسمير فى الباب

وإن سرق آجر الحائط قطع لانه محرز بالتشريح فى البناء

وإن سرق الطعام أو الدقيق فى غرائر شد بعضها إلى بعض فى موضع البيع قطع على المنصوص فمن أصحابنا من قال إن كان فى موضع مأمون في وقت الأمن فيه ظاهر ولم يمكن أخذ شيء منه إلا بحل رباطه أو فتق طرفه قطع لان العادة تركها فى موضع البيع

---

(١) المهذب في فقه الإمام الشافعي، ٢/٢٧٨

ومن أصحابنا من قال لا يقطع إلا أن يكون في بيت دونه باب مغلق والذى نص عليه الشافعى رحمه الله فى غير العراق وإن سرق حطبا شد بعضه إلى بعض بحيث لا يمكن أن يسل منه شيء إلا بحل رباطه قطع لانه محرز بالشد وإن كان متفرقا لم يقطع لانه غير محرز

ومن أصحابنا من قال لا يقطع إلا أن يكون فى بيت دونه باب مغلق مجتمعا كان أو متفرقا

وإن سرق أجزاعا ثقالا مطروحة على أبواب المساكن قطع لان العادة فيها تركها على الأبواب

فصل وإن نبش قبرا وسرق منه الكفن فإن كان فى برية لم يقطع لانه ليس بحرز للكفن وإنما يدفن فى البرية للضرورة وإن كان فى مقبرة تلى العمران قطع لما روى البراء بن عازب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ومن نبش قطعناه ولان القبر حرز للكفن

وإن كان الكفن أكثر من خمسة أثواب فسرق ما زاد على الخمسة لم يقطع لان ما زاد على الخمسة ليس بمشروع فى الكفن فلم يجعل القبر حرزا له كالكيس المدفون معه

وإن أكل السبع الميت وبقى الكفن ففيه وجهان أحدهما أنه ملك للورثة يقسم عليهم وهو قول أبى على بن أبى هريرة وأبى على الطبرى لان ذلك المال ينتقل إليهم بالإرث وإنما اختص الميت بالكفن للحاجة وقد زالت الحاجة فرجع إليهم

والثانى أنه لبيت المال لانهم لم يورثوه عند الموت فلم يرثوه بعده

." (١)

"(فصل) وإن حلف لايدخل دارا فحصل في سطحها وهو غير محجر لم يحنث، وقال أبو ثور يحنث لان السطح من الدار.

وهذا خطأ لانه حاجز بين داخل الدار وخارجها فلم يصر بحصوله فيه داخلا فيها، كما لو حصل على حائط الدار وإن كان محجرا ففيه وجهان أحدهما يحنث لانه يحيط يه سور الدار والثاني لا يحنث، وهو ظاهر النص لانه لم يحصل في داخل الدار، وإن كان في

الدار نهر فطرح نفسه في الماء حتى حمله إلى داخل الدار حنث لانه دخل الدار.

وإن كان في الدار شجرة منتشرة الاغصان فتعلق بغصن منها ونزل فيها حتى أحاط به حائط الدار حنث.

---

(١) المهذب، ٢٧٨/٢

وإن نزل فيه حتى حاذى السطح فإن كان غير محجر لم يحنث وإن كان محجرا فعلى الوجهين (الشرح) حديث اعتكاف الرسول في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخل على رأسه وهو في المسجد فأرجله، وكان لايدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفا " أما غريب الفصل فقوله " بيت من خان " قال في المصباح: والخان ما ينزله المسافرون.

والجمع **خانات**.

(قلت) لعله مكان كان يقوم مقام **الفندق** في عصرنا هذا، إلا أن الخان فيما مضى كان فيه مكان فسيح تأوى إليه الدواب، ومستودع لبضائع المسافرين وأمتعتهم.

وقوله " غير محجر " المحجر الذي عليه بناء يحيط به ومنه سميت الحجرة وسور الدار ما يحيط به.

أما الاحكام فإنه إذا حلف لا يساكن فلانا فالحكم في الاستدامة على ما ذكرنا في الحلف على السكنى. وإن انتقل أحدهما وبقي الآخر لم يحنث لزوال المساكنة وإن سكنا في دار واحدة - وكل واحد في بيت ذى باب وقفل أو غلق - فإن كانت الدار صغيرة فهما متساكنان، لان الصغيرة مسكن واحد، وإن كانت كبيرة إلا أن أحدهما في البيت والآخر في الصفة، أو كانا في صفتين أو بينتين ليس على أحدهما غلق دون صاحبه فهما متساكنان، وإن كانا في بيتين كل واحد." (١)

"الموات، فإن سرق مالا مثنما كالذهب والفضة والخز والقز من البيوت أو **الخانات** الحريزة والدور المنيعة في العمران ودونها أغلاق وجب القطع لان ذلك حرز مثله، وإن لم يكن دونها أغلاق، فإن كان في الموضع حافظ مستيقظ وجب القطع لانه محرز به، وإن لم يكن حافظ أو كان فيه حافظ نائم لم يجب القطع لانه غير محرز، فإن سرق من بيوت في غير العمران كالرباطات التى في البرية، والجواسق التى في البساتين، فإن لم يكن فيها حافظ لم تقطع مغلقا كان الباب أو

مفتوحا، لان المال لا يحرز فيه من غير حافظ، وإن كان فيها حافظ فإن كان مستيقظا قطع السارق مغلقا كان الباب أو مفتوحا لانه محرز به، وإن كان نائما فإن كان مغلقا قطع لانه محرز، وإن كان مفتوحا لم يقطع لانه غير محرز، وان سرق متاع الصيادلة والبقالين من الدكاكين في الاسواق ودونها أغلاق أو درابات وعليها قفل أو سرق أواني الخزف ودونها شرايح القصب، فإن كان الامن ظاهرا قطع السارق لان ذلك حرز مثله وإن قل الامن، فإن كان في السوق حارس قطع لانه محرز به، وإن لم يكن حارس لم يقطع لانه غير محرز، وإن سرق باب دار أو دكان قطع لان حرزه بالنصب، وإن سرق حلقة الباب وهى مسمرة فيه

---

(١) المجموع، ٤٧/١٨

قطع لانها محرزة بالتسمير في الباب، وإن سرق آجر الحائط قطع لانه محرز بالتشريج في البناء.

وإن سرق الطعام أو الدقيق في غراثر شد بعضها إلى بعض في موضع البيع قطع على المنصوص، فمن أصحابنا من قال: إن كان في موضع مأمون في وقت الامن فيه ظاهر ولم يمكن أخذ شئ منه إلا بحل رباطه أو فتق طرفه قطع لان العادة تركها في موضع البيع.

ومن أصحابنا من قال لا يقطع إلا أن يكون في بيت دونه باب مغلق، والذى نص عليه الشافعي رحمه الله في غير العراق.

وان سرق حطبا شد بعضه إلى بعض بحيث لا يمكن أن يسل منه شئ الا بحل رباطه قطع لانه محرز بالشد، وان كان متفرقا لم يقطع لانه غير محرز، ومن أصحابنا من قال لا يقطع الا أن يكون في بيت دونه باب مغلق مجتمعا كان أو." (١)

"عمر ثم ذكر أثر (أن عمر قطع سارقا سرق نبطية) قال الحافظ في التلخيص لم أجده أثر عبد الله بن عمر والحضرمى (أن غلاما سرق مرآة امرأتي) أخرجه مالك والشافعي والدار قطني.

قول عمر في سرقة غلام الحضرمي سبق تخريجه.

قول عمر لا قطع في عام ؟ ؟ لم أجده وقرأته في منار السبيل بدون تخريج وفيه قيل لاحمد تقول به ؟ قال إى لعمري لا أقطعه إذا حملته الحاجة والناس في شدة ومجاعة.

حديث (أمر في سارق رداء صفوان) سبق تخريجه.

حديث عائشة (أتى بسارق قد سرق) أخرجه البيهقى ومتفق عليه بنحوه حديث أبى هريرة (وان سرق فاقطعوا يده) أخرجه الدار قطني وفى اسناده الواقدي، ورواه الشافعي عن أبى هريرة: السارق إذا سرق فاقطعوا يده، ثم ان سرق فاقطعوا رجله، ثم ان سرق

فاقطعوا يده، ثم ان سرق فاقطعوا رجله) ورواه الطبراني بإسناد ضعيف.

اللغة: قوله (ليس في الثمر المعلق قطع الا ما أواه الجرين) المعلق ما دام على النخلة فهو معلق على القنو، والجرين موضع يجفف فيه الثمر، وهو الجرن أيضا، ويسمى أيضا المربد والبيدر والابدر، والمجن البرس لانه يجن أي يستر والجمع المجان بالفتح وأصله مجابن بوزن مفاعل فأدغم، ومنه الحديث: كأن وجوههم المجان المطرقة.

قوله (فإن سرق مالا مثمنا) يقال شئ مثمن وثمين، أي مرتفع الثمن لا يباع الا بالثمن الكثير، **والخانات**

---

(١) المجموع، ٨٤/٢٠

جمع يبيع التجار، والخان أيضا موضع ينزله المسافرون.

قوله (ودونها أغلاق) جمع غلق وهو المغلاق الذى يغلق به الباب معروف ويقال الغلوق أيضا بالضم، والرباطات جمع رباط وهو ما يسكنه النساك والعباد.

والجواسق جمع جوسق وهو منظر يبنى في البساتين، والجوسق القصر أيضا قوله (متاع الصيادلة) هم الذين يبيعون العقاقير والادوية وأحدهم صيدلالى." (١)

"أما اعتبار محاذاة شئ من بدن هذا شيئا من بدن ذاك فمعقول وإذا كان الانخفاض والارتفاع قدر مالا يمنع القدوة فلو كان بعض الذين يحصل بهم الاتصال عند اختلاف البنائين علي سرير أو متاع وبعضهم على الارض لم يضر ولو كانوا في البحر والمأموم في سفينة والامام في اخرى وهما مكشوفتان فظاهر المذهب أنه يصح الاقتداء إذا لم يزد ما بين الامام والمأموم على ثلثمائة ذراع كما في الصحراء والسفينتان كدكتين في الصحراء يقف الامام علي احداهما والمأموم علي الاخرى وقال الاصطخرى يشترط أن تكون سفينة المأموم مشدودة بسفينة الامام ليؤمن من تقدمها عليه وإن كانت السفينتان مسقفتين فهما كالدارين والسفينة التي فيها بيوت كالدار التى فيها بيوت وحكم المدارس **والخانات** والرباطات حكم الدور والسرداقات في الصحراء كالسفن المكشوفة والخيام كالبيوت إذا عرفت ذلك فاعلم أن قوله فيما إذا وقف في بيت على يمين الامام فلا بد من تواصل المناكب (جواب) علي الطريقة الاولي وينبغي أن يعلم بالواو لمكان الثانية وبالميم لما سبق حكايته عن مالك وبالحاء لانه عن ابى حنيفة فيما حكى الشيخ أبو محمد وغيره لا يشترط اتصال الصفوف (وقوله) فيما إذا وقف احدهما في علو والآخر في سفل الاتصال بموازاة رأس المتسفل ركبة العالي (جواب) علي ما سبق نقله عن الشيخ ابى محمد وقد عزاه الشيخ الي نص الشافعي رضي الله عنه ويجب اعلامه أو بالواو لما تقدم وزيد في بعض النسخ لو قدر لكل واحد منهما قامة معتدلة وهذا اشارة إلى أنه لو كان." (٢)

"إذا اشترى ما ماكوله في جوفه كالبطيخ والرانج والرمان والجوز واللوز **والفندق** والبيض فكسره ووجده فاسدا ينظر ان لم يكن لفاسده قيمة كالبيضة المذرة التي لا تصلح لشئ والبطيخة الشديدة التغير رجع المشتري بجميع الثمن نص عليه وكيف سبيله قال معظم الاصحاب تبين فساد البيع لوروده على غير متقوم وعن القفال في طائفة انه لا يتبين الفساد لكنه على سبيل استدراك الظلامة فكما يرجع بجزء من الثمن عند

---

(١) المجموع، ٨٨/٢٠

(٢) الشرح الكبير للرافعي، ٣٥٣/٤

انتقاص جزء من المبيع يرجع بكله عند فوات كل المبيع وتظهر ثمرة هذا الخلاف في أن القشور الباقية بمن تختص حتى يكون عليه تطهير الموضع عنها * وإن كان لفاسده قيمة كالرانج وبيض النعام والبطيخ إذا وجده حامضا أو مدود بعض الاطراف فللكسر حالتان (إحداهما)." [1]

" أو أصل سيده أو فرعه لشبهة استحقاق نفقته عليهم

وكونه محرزا بلحاظ له بكسر اللام دائم أو حصانة لموضعه مع لحاظ له في بعض من أفرادها كما يعلم مما يأتي عرفا لأن الحرز يختلف باختلاف الأموال والأحوال والأوقات ولم يجده الشرع ولا اللغة فرجع فيه إلى العرف كالقبض والإحياء ولا يقدح في دوام اللحاظ الفترات العارضة عادة فعرصة دار وصفتها حرز خسيس آنية وثياب أما نفيسهما فحرزه بيوت الدور **والخانات** والأسواق المنيعة ومخزن حرز حلي ونقد ونحوهما والتصريح بهذا من زيادتي ونوم بنحو صحراء

." [2]

"المغشوش ليس بربع دينار حقيقة فإن كان في المغشوش بربع خالص وجب القطع

ومثل ربع الدينار ما قيمته ربع دينار لأن الأصل في التقويم هو الذهب الخالص حتى لو سرق دراهم أو غيرها قومت به وتعتبر (قيمته ربع دينار) وقت الإخراج من الحرز فلو نقصت قيمته بعد ذلك لم يسقط القطع وعلى أن التقويم يعتبر بالمضروب لو سرق ربع دينار مسبوكا أو حليا أو نحوه كقراضة لا تساوي ربعا مضروبا فلا قطع به وإن ساواه غير مضروب لأن المذكور في الخبر

لفظ الدينار وهو اسم للمضروب

ولا يقطع بخاتم وزنه دون ربع

وقيمته بالصنعة ربع نظرا إلى الوزن الذي لا بد منه في الذهب ولا بما نقص قبل إخراجه من الحرز عن نصاب بأكل أو غيره كإحراق لانتفاء كون المخرج نصابا ولا بما دون نصابين اشترك اثنان في إخراجه لأن كلا منهما لم يسرق نصابا ويقطع بثوب رث في جيبه تمام نصاب وإن جهله السارق لأنه أخرج نصابا من حرز بقصد السرقة والجهل بجنسه لا يؤثر كالجهل بصفته وبنصاب ظنه فلو مالا يساويه لذلك ولا أثر لظنه والرابع أن يأخذه

---

(١) الشرح الكبير للرافعي، ٣٦٠/٨

(٢) فتح الوهاب شرح منهج الطلاب، ١٤٣/٥

(من حرز مثله) فلا قطع بسرقة ما ليس محرزا لخبر أبي داود لا قطع في شيء من الماشية إلا فيما آواه المراح ولأن الجناية تعظم بمخاطرة أخذه من الحرز فحكم بالقطع زجرا بخلاف ما إذا جرأه المالك ومكنه بتضييعه

والإحراز يكون بلحاظ له بكسر اللام دائما أو حصانة موضعه مع لحاظ له والمحكم في الحرز العرف فإنه لم يحد في الشرع ولا اللغة فرجع فيه إلى العرف كالقبض والإحياء ولا شك أنه يختلف باختلاف الأموال والأحوال والأوقات فقد يكون الشيء حرزا في وقت دون وقت

بحسب صلاح أحوال الناس وفسادها وقوة السلطان وضعفه

وضبطه الغزالي بما لا يعد صاحبه مضيعا له فعرصة دار وصفتها حرز خسيس آنية وثياب أما نفيسها فحرزه بيوت الدور **والخانات** والأسواق المنيعة ومخزن حرز حلي ونقد ونحوهما

ونوم بنحو

". (١)

"لم يتم القبض ، وكذلك لو نقله من علو الدار إلى سفلها ، أو من سفلها إلى علوها لم يتم القبض : لأن الحرز واحد ، ولو نقله من بيت في الدار إلى بيت آخر فيها لم يجز إلا أن تكون الدار **خانات** للتجار ، وكل بيت فيها حرز مفرد لرجل ، فيتم القبض لاختلاف الاحتراز ، فإذا نقله عن الحرز الذي كان فيه استقر القبض وإن لم يجعل في حرز المشتري ، فلو لم ينقله المشتري من حرز البائع حتى اشترى الحرز منه لم يلزمه نقله واستقر قبض الطعام بالتمكين من حرزه الذي ابتاعه : لأنه إذا ملك الموضع مع ما فيه لم يلزمه نقل ما فيه ، ألا ترى أنه لو اشترى دارا مع ما فيها من المتاع لم يفتقر قبض المتاع إلى تحويله من الدار ، وكان تمكينه من الدار قبضا للدار ، ولما فيها من المتاع ، فلو استعار الحرز ولم يشتره لم يكن ذلك قبضا ولو استأجره كان فيها وجهان : أحدهما : يكون قبضا لأنه بالإجارة قد ملك المنافع .

والثاني : لا يكون ذلك قبضا حتى ينقل لأن ملك الحرز لم ينتقل .

". (٢)

---

(١) الإقناع للشربيني، ٢/٥٣٥

(٢) الحاوى الكبير . الماوردى، ٥/٤٨١

"يتعجل مالا يصير حقه متعلقا بها أجور الباعة وأكرية **الخانات** .

والقول الثاني : أن المشتري يكون أسوة الغرماء بالثمن ، وهو الذي رواه الربيع وحرملة ، ووجهه : أنه حق ثبت في ذمة المفلس فساوى الغرماء فيه لاستوائهم في محل الحق ، وليس ثبوت ذلك بغير اختياره يوجب تقديمه على غيره ، ألا ترى أن المفلس لو غصب مالا فأتلفه كان المغصوب منه أسوة الغرماء بقيمته ، وإن كان ثبوت ذلك بغير اختياره وخالف أجور الباعة وسائر المؤن التي هي مصلحة لماله لا يستغني المفلس عنها .

ومن أصحابنا من حمل اختلاف الروايتين على اختلاف حالين ، فجعل رواية المزني في تقديم المشتري على الغرماء أن يكون حدوث الاستحقاق قبل فك الحجر عنه ، ورواية الربيع وحرملة في مشاركة المشتري للغرماء إذا كان حدوث الاستحقاق بعد فك الحجر عنه ، فإذا أحدث له حجرا ثانيا كان المشتري وجميع الغرماء أسوة فيما بيده .

مستوى باب جواز حبس من عليه الدين

". [1]

" مسألة : قال الشافعي : " والبيوت المغلقة حرز لما فيها السرقة من الحرز " .

قال الماوردي : وهذا نوع سابع من الأحراز ، وهي البيوت والأبنية في الأمصار والقرى ، وينقسم ثلاثة أقسام : حوانيت متاجر ، ودور مساكن ، وبيوت **خانات** .

فأما القسم الأول : وهو حوانيت المتاجر في الأسواق فلها حالتان : ليل ونهار ، فأما النهار فأمرها أخف : لانتشار الناس فيها ، فيكون حرزا في نفيس المتاع لما لا يكون حرزا له في الليل ، أو يكون الحانوت فيه محرزا بأحد أمرين : إما أن يغلق بابه بإقفاله ، وإما أن يكون مفتوحا وفيه صاحبه .

وأما الليل فالإحراز فيه أغلظ ، فتكون حوانيت كل سوق حرزا : لجنس أمتعة تلك الجزء الثالث عشر [2] السوق ، فتكون حوانيت سوق الدقيق حرزا للدقيق ، ولا تكون حرزا للصيدلة : لأن أبوابها في العرف أضعف وأغلاقها أسهل .

---

(١) الحاوى الكبير . الماوردى، ٧٢٨/٦

(٢) ٢٨٨

وحوانيت سوق الصيدلة حرزا للصيدلة ، ولا تكون حرزا للعطر : لأن أحراز العطر أغلظ وأصعب وأغلاقها أشد .

وحوانيت سوق العطر حرز للعطر ، ولا تكون حرزا للبز : لأن إحراز البز أغلظ ، وحوانيت سوق البز حرز للبز ، ولا تكون حرزا للصيارف في الفضة والذهب : لأن حرز الفضة والذهب أغلظ ، وقل ما أحرز الصيارف الفضة." (١)

"والذهب في حوانيتهم ، إلا مع الغاية في عدل السلطان وأمن الزمان ، فإن انتهى الزمان إلى هذا الحال في عدله وأمنه كانت حوانيتهم حرزا لأموالهم والدراهم والدنانير ، بعد أن يكون بناؤها محكما ، وأبوابها وثيقة وأقفالها صعبة ، ويكون على أسواقهم دروب .

وكذلك أسواق البزازين إذا أحرزوا البز في حوانيتهم ، ويكون فيها مع الدروب حراس ، ولا يلزم أن يبيت في الحوانيت أربابها لخروجه عن العرف ، وإن كان الزمان منتشر الفساد قليل الأمن ، لم تكن حوانيت الصيارف والبزازين حرزا لأموالهم من الفضة والذهب والبز حتى ينقلوها في الليل إلى مساكنهم أو خاناتهم ، فهذا حكم الحوانيت .

". (٢)

" فصل : وأما القسم الثالث : وهو بيوت الخانات التي يدخل إلى صحونها بغير إذن السرقة من الحرز ، وينفرد كل واحد من أهلها ببيت ، فلها حكمان : أحدهما : حكم صحونها .

والثاني : حكم بيوتها .

فأما حكم صحونها إذا ترك فيه متاع فهو غير حرز في النهار من أهل الخان وغير أهله : لاستبذاله بالدخول من غير إذن ، إلا أن يكون مع المتاع حافظ يراه فيصير به محرزا .

فأما الليل إذا غلق على الخان بابه فهو حرز لما في صحنه من غير أهله ، ولا يكون حرزا مع أهله ، فإن سرقه غيرهم قطع ، وإن سرقه أحدهم لم يقطع .

وأما حكم بيوتها فكل بيت منها حرز لصاحبه من أهل الخان وغير أهله في الليل والنهار معا ، وكمال حرزه معتبر بشرطين : أحدهما : أن يكون بابه مغلقا مقفلا .

---

(١) الحاوى الكبير ـ الماوردى، ١٣/٦٠٧

(٢) الحاوى الكبير ـ الماوردى، ١٣/٦٠٨

والثاني : أن يكون لجميع بيوت الخان حافظ لا يخفى عليه حال كل بيت ، هل قصده صاحبه أو غير صاحبه ؟ ولا يلزم أن يكون لكل بيت حافظ ، ولا أن يكون صاحبه فيه : لأنها بيوت وضعت في الأغلب لإحراز الأمتعة دون السكنى .

فإن سكنها قوم ، صار كل بيت بسكنى صاحبه حرزا ، فصار ما لا ساكن فيه منها أخطر ، يحتاج إلى فضل مراعاة في ليله دون نهاره .

فهذه سبعة أمثلة من أنواع الأحراز أطلق." (١)

" وتمكين المشتري ، وتخلية البائع ترفع يده وتصرفه ، فإن وجدت التخلية من البائع ولم يوجد التمكين من المشتري لم يتم القبض ، وإن وجد التمكين من المشتري ولم توجد التخلية من البائع فتمكين المشتري غير كامل ، والقبض غير تام ، فلو باعه الأرض مزارعة فتمام القبض يكون بالزرع مع التخلية والتمكين .

فصل : وإن كان المبيع منقولا ، فلا يخلو حاله من أحد أمرين : إما أن يكون جزافا أو مقدرا بكيل أو وزن ، فإن كان جزافا غير مكيل ولا موزون كصبرة من طعام ، أو ثوب ، أو عبد ، أو دابة ، أو سفينة فقبض ذلك تحويله ونقله . وقال أبو حنيفة : قبض هذا بالتخلية والتمكين دون النقل والتحويل ، كالدور والعقار . وهذا خطأ : لرواية معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال : رأيت الناس يضربون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتروا الطعام جزافا أن يبيعه حتى ينقله إلى رحله ولأنه منقول فلم يتم قبضه بمجرد التمكين كالمكيل . وإذا ثبت أن قبضه لا يتم إلا بالنقل والتحويل بيع الجزاف نظر : فإن كان البائع قد قبض ثمنه جاز للمشتري أن ينفرد بنقله من غير حضور البائع ولا إذنه : لأنه لا حق للبائع في منعه ، فلم يفتقر المشتري في القبض إلى إذنه . فإن لم يكن البائع قد قبض الثمن أو بقيت له منه بقية لم يكن للمشتري نقله إلا عن إذن البائع دون حضوره : لأنه يستحق حبسه على ثمنه ، ثم لا يستقر القبض بالتحويل إلا بعد إخراجه من الحرز الذي كان فيه إلى غيره ، فإن نقله من أحد جانبي الدار إلى الجانب الآخر لم يتم القبض ، وكذلك لو نقله من علو الدار إلى سفلها ، أو من سفلها إلى علوها لم يتم القبض : لأن الحرز واحد ، ولو نقله من بيت في الدار إلى بيت آخر فيها لم يجز إلا أن تكون الدار **خانات** للتجار ، وكل بيت فيها حرز مفرد لرجل ، فيتم القبض لاختلاف الاحتراز ، فإذا نقله عن الحرز الذي كان فيه استقر

(١) الحاوى الكبير . الماوردى، ١٣/٦١١

القبض وإن لم يجعل في حرز المشتري ، فلو لم ينقله المشتري من حرز البائع حتى اشترى الحرز منه لم يلزمه نقله واستقر قبض الطعام بالتمكين من حرزه الذي ابتاعه : لأنه إذا ملك الموضع مع ما فيه لم يلزمه نقل ما فيه ، ألا ترى أنه لو اشترى دارا مع ما فيها من المتاع لم يفتقر قبض المتاع إلى تحويله من الدار ، وكان تمكينه من الدار قبضا للدار ، ولما فيها من المتاع ، فلو استعار الحرز ولم يشتره لم يكن ذلك قبضا ولو استأجره كان فيها وجهان : أحدهما : يكون قبضا لأنه بالإجارة قد ملك المنافع . والثاني : لا يكون ذلك قبضا حتى ينقل لأن ملك الحرز لم ينتقل .

فصل : وإن كان المبيع مكيلا أو موزونا قبضه يتم بشيئين : أحدهما : كيل المكيل ووزن الموزون . والثاني : النقل والتحويل . فإن نقله عن مكيل من غير كيل ولا وزن صار من ضمانه لكن لم يتم القبض ، فلا يجوز له بيعه حتى يكال أو يوزن ، وإن الكتاله أو وزنه ولم يحوله لم ." (١)

" فذهب بعضهم إلى أن المسألة على قولين لاختلاف الروايتين . أحدهما : أن المشتري يتقدم بالثمن على جميع الغرماء ، وهو الذي رواه المزني ، ووجهه أن المشتري لم يرض بذمة المفلس أن يكون حقه ثابتا فيها ، إلا أن يتعجل مالا يصير حقه متعلقا بها أجور الباعة وأكرية **الخانات** . والقول الثاني : أن المشتري يكون أسوة الغرماء بالثمن ، وهو الذي رواه الربيع وحرملة ، ووجهه : أنه حق ثبت في ذمة المفلس فساوى الغرماء فيه لاستوائهم في محل الحق ، وليس ثبوت ذلك بغير اختياره يوجب تقديمه على غيره ، ألا ترى أن المفلس لو غصب مالا فأتلفه كان المغصوب منه أسوة الغرماء بقيمته ، وإن كان ثبوت ذلك بغير اختياره وخالف أجور الباعة وسائر المؤن التي هي مصلحة لماله لا يستغني المفلس عنها . ومن أصحابنا من حمل اختلاف الروايتين على اختلاف حالين ، فجعل رواية المزني في تقديم المشتري على الغرماء أن يكون حدوث الاستحقاق قبل فك الحجر عنه ، ورواية الربيع وحرملة في مشاركة المشتري للغرماء إذا كان حدوث الاستحقاق بعد فك الحجر عنه ، فإذا أحدث له حجرا ثانيا كان المشتري وجميع الغرماء أسوة فيما بيده .

باب جواز حبس من عليه الدين

---

(١) الحاوي في فقه الشافعي – الماوردي، ٢٢٧/٥

". (١)

"كان مستيقظا فحرز ثيابه أن تكون بين يديه يراها ، وإن كان نائما فحرزها أن يضطجع عليها أو يضعها تحت رأسه وينام عليها : لأن صفوان بن أمية نام في المسجد ووضع رداءه تحت رأسه فسرق منه ، فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم سارقه ، ولأن هذا في العرف حرز لثوب النائم ، فأما إن كان معه هميان فيه دراهم أو دنانير لم يكن وضعه تحت رأسه إذا نام حرزا له حتى يشده في وسطه : لأن الأحراز تختلف باختلاف المحرزات .

مسألة : قال الشافعي : " أو ترك أهل الأسواق متاعهم في مقاعد ليس عليها حرز لم يضم ولم يربط السرقة من الحرز ، أو أرسل رجل إبله ترعى أو تمضي على الطريق غير مقطورة ، أو أباتها بصحراء ولم يضطجع عندها ، أو ضرب فسطاطا فلم يضطجع فيه ، فسرق من هذا شيء لم يقطع : لأن العامة لا ترى هذا حرزا " . قال الماوردي : وهو نوع سادس من الأحراز وهو أمتعة أهل الأسواق إذا وضعوها للبيع السرقة من الحرز فهي على ضربين : أحدهما : أن تكون في حوانيتهم ، فإذا فتح حانوته وجلس على بابه كان حرزا لجميع ما فيه ، فإن انصرف عنه أو نام صار ما فيه غير محرز . والضرب الثاني : أن تكون أمتعتهم في أفنية أسواقهم وطرقاتهم ، فالحرز فيها أغلظ : لأن الأيدي إلى تناولها أسرع ، فحرزها معتبر بثلاثة شروط : أحدها : أن يكون بين يديه ، فإن كانت وراءه فليست في حرز . والثاني : أن يرى جميعها ، فإن لم ير منها شيئا فليست في حرز لما لا يراه . والثالث : أن يكون مجتمعا لا تمشي بينه مارة في الطريق ، فإن تفرق ومشى فيه مارة الطريق لم يكن حرزا لما حال الماشية بينه وبينه .

مسألة : قال الشافعي : " والبيوت المغلقة حرز لما فيها السرقة من الحرز " . قال الماوردي : وهذا نوع سابع من الأحراز ، وهي البيوت والأبنية في الأمصار والقرى ، وينقسم ثلاثة أقسام : حوانيت متاجر ، ودور مساكن ، وبيوت **خانات** . فأما القسم الأول : وهو حوانيت المتاجر في الأسواق فلها حالتان : ليل ونهار ، فأما النهار فأمرها أخف : لانتشار الناس فيها ، فيكون حرزا في نفيس المتاع لما لا يكون حرزا له في

---

(١) الحاوي في فقه الشافعي – الماوردي، ٣٣١/٦

الليل ، أو يكون الحانوت فيه محرزا بأحد أمرين : إما أن يغلق بابه بإقفاله ، وإما أن يكون مفتوحا وفيه صاحبه . وأما الليل فالإحراز فيه أغلظ ، فتكون حوانيت كل سوق حرزا : لجنس أمتعة تلك ." (١)

" السوق ، فتكون حوانيت سوق الدقيق حرزا للدقيق ، ولا تكون حرزا للصيدلة : لأن أبوابها في العرف أضعف وأغلاقها أسهل . وحوانيت سوق الصيدلة حرزا للصيدلة ، ولا تكون حرزا للعطر : لأن أحراز العطر أغلظ وأصعب وأغلاقها أشد . وحوانيت سوق العطر حرز للعطر ، ولا تكون حرزا للبز : لأن إحراز البز أغلظ ، وحوانيت سوق البز حرز للبز ، ولا تكون حرزا للصيارف في الفضة والذهب : لأن حرز الفضة والذهب أغلظ ، وقل ما أحرز الصيارف الفضة والذهب في حوانيتهم ، إلا مع الغاية في عدل السلطان وأمن الزمان ، فإن انتهى الزمان إلى هذا الحال في عدله وأمنه كانت حوانيتهم حرزا لأموالهم والدراهم والدنانير ، بعد أن يكون بناؤها محكما ، وأبوابها وثيقة وأقفالها صعبة ، ويكون على أسواقهم دروب . وكذلك أسواق البزازين إذا أحرزوا البز في حوانيتهم ، ويكون فيها مع الدروب حراس ، ولا يلزم أن يبيت في الحوانيت أربابها لخروجه عن العرف ، وإن كان الزمان منتشر الفساد قليل الأمن ، لم تكن حوانيت الصيارف والبزازين حرزا لأموالهم من الفضة والذهب والبز حتى ينقلوها في الليل إلى مساكنهم أو **خاناتهم** ، فهذا حكم الحوانيت .

فصل : وأما القسم الثاني : وهو المساكن المستوطنة فتختلف في أحرازها بحسب اختلاف سكانها السرقة من الحرز من اليسار والإعسار ، فأما مساكن ذوي الإعسار فأخف أحرازا : لأن متاع بيوتهم زهيد لا يرغب فيه ، فإن كانت أبنيتهم قصيرة وأبوابهم خفيفة وأغلاقهم سهلة ، كانت حرزا لأمثالهم ، فإن سكنها أهل اليسار لم تكن حرزا لهم : لأن مساكن ذوي اليسار محكمة الأبنية ، عالية الجدران وثيقة الأبواب ، صعبة الأغلاق ، فإن كانت جدرانها قصارا وهي مسقفة بسقف وثيقة كانت حرزا لأمثالهم من أهل اليسار ، وإن لم تكن مسقفة ، لم تكن حرزا لذوي اليسار : لأنه يمكن الصعود إليها إذا قصرت ولا يمكن الصعود إليها إذا علت ، فإذا سكن أهل اليسار في مساكن أمثالهم فلهم حالتان : ليل ، ونهار : فأما النهار : فيجوز أن يكون أبوابهم مفتوحة إذا كانوا – أو واحد منهم – يرى الداخل إليها والخارج منها ، وإن لم يروه لم يكن حرزا إلا بغلق الباب . وإغلاقه في النهار أخف من إغلاقه في الليل ، فلا تكون في الليل حرزا إلا بعد غلق أبوابها وإحكام إغلاقها ، ثم لأمتعة بيوتهم حالتان : إحداهما : ما كان جافيا للبذلة كالبسط والأواني ،

---

(١) الحاوي في فقه الشافعي – الماوردي، ٢٨٧/١٣

فصحون مساكنهم حرز لها . والثاني : ما كان من ذخائرهم ونفيس أموالهم ، فالبيوت المغلقة في المساكن حرز لها ، ولا يكون تركها في صحون المساكن حرزا لمثلها : لأنها تحفظ من أهل المسكن وغير أهل المسكن . فإن سرقها غريب منهم وخارج عنهم قطع ، وإن سرقها أحدهم لم ." (١)

" يقطع : لما ترك في صحون المساكن التي يدخل إليها ويخرج منها ، وقطع بما في البيوت المقفلة منه . فلو كان في جدار الدار فتحة طويلة ، وكانت عالية لا تنال ، فالحرز بحاله . وإن كانت قصيرة ، نظر : فإن كانت ضيقة لا يمكن ولوجها إلا بهدم بنيان لم تمنع من الحرز ، وإن كانت واسعة يمكن ولوجها منعت من الحرز ، وصارت كالباب المفتوح . فإن كان عليها باب كباب الدار في الوثاقة جرى مجراه ، وجاز فتحه نهارا وغلقه ليلا . وإن كان عليها شباك فإن كان ضعيفا لا يرد فليس بحرز ، وإن كان قويا من حديد أو خشب وثيق كان حرزا ، فهذا حكم المساكن .

فصل : وأما القسم الثالث : وهو بيوت **الخانات** التي يدخل إلى صحونها بغير إذن السرقة من الحرز ، وينفرد كل واحد من أهلها ببيت ، فلها حكمان : أحدهما : حكم صحونها . والثاني : حكم بيوتها . فأما حكم صحونها إذا ترك فيه متاع فهو غير حرز في النهار من أهل الخان وغير أهله : لاستبذاله بالدخول من غير إذن ، إلا أن يكون مع المتاع حافظ يراه فيصير به محرزا . فأما الليل إذا غلق على الخان بابه فهو حرز لما في صحنه من غير أهله ، ولا يكون حرزا مع أهله ، فإن سرقه غيرهم قطع ، وإن سرقه أحدهم لم يقطع . وأما حكم بيوتها فكل بيت منها حرز لصاحبه من أهل الخان وغير أهله في الليل والنهار معا ، وكمال حرزه معتبر بشرطين : أحدهما : أن يكون بابه مغلقا مقفلا . والثاني : أن يكون لجميع بيوت الخان حافظ لا يخفى عليه حال كل بيت ، هل قصده صاحبه أو غير صاحبه ؟ ولا يلزم أن يكون لكل بيت حافظ ، ولا أن يكون صاحبه فيه : لأنها بيوت وضعت في الأغلب لإحراز الأمتعة دون السكنى . فإن سكنها قوم ، صار كل بيت بسكنى صاحبه حرزا ، فصار ما لا ساكن فيه منها أخطر ، يحتاج إلى فضل مراعاة في ليله دون نهاره . فهذه سبعة أمثلة من أنواع الأحراز أطلق الشافعي ذكرها ، فاستوفينا شرحها وشروطها : ليعتبر بها نظائرها ، وهناك نوع ثامن لم نذكره وهو حرز الثمار .

---

(١) الحاوي في فقه الشافعي – الماوردي، ١٣/٢٨٨

فصل : والأصل في حرز الثمار ما روي أن رجلا من مزينة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ." [1]

"المسجد أو خلفه أو فوقه أو تحته ما تقرر في الحال الثالث ، وإنما اعتبرت المسافة هنا من المسجد لا من آخر مصل فيه ؛ لأن المسجد مبني للصلاة فلا يدخل في الحد الفاصل ، ولا يعتبر حريمه وهو الموضع المتصل به المهيأ لمصلحته كمطرح الثلج والقمامات فيه ، قاله في الروضة وأصلها (والفلك والفلك وإن لم يشدد به) أي أحدهما بالآخر (بشرط الكشف) لهما (كالصفين) في منبسط ، فيعتبر القرب بين من في الفلك ومن في الفلك الآخر بثلاثمائة ذراع ، ويكونان كدكتين في الصحراء .

(قلت) : الفلكان (المسقفان كالدارين) وبيوت الفلك كبيوت الدار ، والمدارس والربط **والخانات** كالدور والسرادقات في الصحراء ، وهي ما يدار حول الخباء كالفلك المكشوف ، والخيام كالبيوت ، ولو حذف قوله بشرط الكشف لم يحتج إلى زيادته المذكورة ؛ لأن الفلكين إن كانا مكشوفين فكالصفين في منبسط ، أو مسقفين فكالصفين في دارين .

(أو تابع الغير) أي غيره في الجمعة أو غيرها

.s" [2]

"(والتمر والبطيخ) بكسر الباء وفتحها .

(والجوز على ما ليس بالهندي منه حملا) أي : حمل كل منها عليه فلو حلف لا يأكل تمرا أو بطيخا أو جوزا لم يحنث بأكل الهندي منه للمخالفة في الطعم واللون ، والبطيخ الهندي هو الأخضر واستشكل عدم الحنث به في الديار المصرية والشامية .

(وتشمل الفاكهة الليمونا وعنبا ورطبا وتينا والموز والبطيخ والرمانا) والتفاح والسفرجل والكمثرى والخوخ والمشمش والإجاص والأترج والتوت والنبق والنارنج .

(رطبا وما ليس برطب كانا) أي : سواء كان كل منها رطبا أم صار يابسا كالتمر والزبيب والتين اليابس ومفلق الخوخ والمشمش وذكر الليمون زاده الناظم تبعا للشيخين وقيده والنارنج الفارقي بالطريين فالمملح منهما ليس بفاكهة واليابس منهما أولى بذلك ومقتضى كلامهم عدم دخول البلح والحصرم في الفاكهة وبه صرح المتولي لكن محله في البلح في غير الذي حلا ، أما ما حلا فظاهر أنه من الفاكهة ولو حلف لا

---

(١) الحاوي في فقه الشافعي – الماوردي، ٢٨٩/١٣

(٢) شرح البهجة الوردية، ٢٦٧/٤

يأكل الثمار اختص بالرطب .

(و) تشمل الفاكهة .

(اللب كالفستق **والفندق**) أي : كلهما وفي شمولها الزيتون وجهان في البحر والفستق بفتح التاء وحكي ضمها **والفندق** بالفاء كما عبر به الأزهري وغيره وبالباء كما عبر به النووي وغيره .

(لا ما) هو .

(كخيار وكقثا) بكسر القاف وضمها وبالمثلثة والمد لكن قصره الناظم للوزن فليس من الفاكهة بل من الخضراوات كالباذنجان والجزر وزاد الكافين وقوله .

(مثلا) مع أن أحدهما يغني." (١)

"على الارض، لم يضر. ولو كانا في البحر، والامام في سفينة، والمأموم في أخرى وهما مكشوفتان، فالصحيح، أنه يصح الاقتداء إذا لم يزد ما بينهما على ثلاث مائة ذراع، كالصحراء، وتكون السفينتان كدكتين في الصحراء، يقف الامام على إحداهما، والمأموم على الاخرى. وقال الاصطخري: يشترط أن تكون سفينة الامام مشدودة بسفينة المأموم. والجمهور على أنه ليس بشرط. وإن كانتا مسقفتين، فهما كالدارين، والسفينة التي فيها بيوت، كالدار ذات البيوت. وحكم المدارس، والرباطات، **والخانات**، حكم الدور. والسرادقات في الصحراء، كالسفينة المكشوفة، والخيام كالبيوت. الحال الثالث: أن يكون أحدهما في المسجد، والآخر خارجه فمن ذلك، أن يقف الامام في مسجد، والمأموم في موات متصل به. فإن لم يكن بينهما حائل، جاز، إذا لم تزد المسافة على ثلاث مائة ذراع، ويعتبر من آخر المسجد (١) على الاصح. وعلى الثاني، من آخر صف في المسجد (٢). فإن لم يكن فيه إلا الامام، فمن موقفه (٣). وعلى الثالث، من حريم المسجد بينه وبين الموات. وحريمه: الموضع المتصل به، المهيأ لمصلحته، كانصباب الماء إليه، وطرح القمامات فيه، ولو كان بينهما جدار المسجد، لكن الباب النافذ بينهما مفتوح، فوقف بحذائه، جاز، ولو اتصل صف بالواقف في المحاذاة، وخرجوا عن المحاذاة، جاز، ولو لم يكن في الجدار باب، أو كان، ولم يقف بحذائه بل عدل عنه، فالصحيح الذي عليه الجمهور: أنه يمنع صحة الاقتداء. وقال أبو إسحاق المروزي: لا يمنع. وأما الحائل غير جدار المسجد، فيمنع بلا خلاف. ولو كان بينهما باب مغلق، فهو كالجدار، لانه يمنع الاستطراق والمشاهدة. وإن كان مردودا غير مغلق، فهو مانع من المشاهدة دون

---

(١) شرح البهجة الوردية، ٣٢٢/١٩

الاستطراق، أو كان بينهما مشبك، فهو مانع من الاستطراق دون المشاهدة. ففي الصورتين، وجهان. أصحهما عند الاكثرين: أنه مانع هذا كله في." [1]

"فيكون للبائع لو سقط، أم إعراض فيكون للمشتري ؟ وجهان. أشبههما: الثاني. فرع لو صبغ الثوب بما زاد في قيمته، ثم علم عيبه، فإن رضي بالرد من غير أن يطالب بشئ، فعلى البائع القبول، ويصير الصبغ ملكا للبائع، لانه صفة للثوب لا تزايله، وليس كالنعل. هذا لفظ الامام، قال: ولا صائر إلى أنه يرد، ويبقى شريكا في الثوب كما في المغصوب، والاحتمال يتطرق إليه. وإن أراد الرد وأخذ قيمة الصبغ، ففي وجوب الاجابة على البائع، وجهان. أصحهما: لا تجب، لكن يأخذ المشتري الارش. ولو طلب المشتري أرش العيب، وقال البائع: رد الثوب لاغر لك قيمة الصبغ، ففيمن يجاب ؟ وجهان. وقطع ابن الصباغ والمتولي، بأن المجاب البائع، ولا أرش للمشتري. فرع لو قصر الثوب، ثم علم العيب، بني على أن القصارة عين أو أثر ؟ إن قلنا: عين، فكالصبغ. وإن قلنا: أثر، رد الثوب بلا شئ، كالزيادات المتصلة، وعلى هذا فقس نظائره. فصل إذا اشترى ما مأكوله في جوفه، كالرانج، والبطيخ، والرمان، والجوز، واللوز، **والفندق**، والبيض، فكسره فوجده فاسدا، نظر، إن لم يكن لفاسده قيمة كالبيضة المذرة التي لا تصلح لشئ، والبطيخة الشديدة التغير، رجع بجميع الثمن، نص عليه. وكيف طريقه ؟ قال معظم الاصحاب: يتبين فساد البيع لوروده على غير متقوم. وقال القفال وطائفة: لا يتبين فساد البيع، بل طريقه استدراك الظلامة. وكما يرجع بجزء من الثملنقص جزء من المبيع، يرجع بكله لفوات كل المبيع. وتظهر فائدة الخلاف في أالقشور الباقية بمن يختص حتى يكون عليه تنظيف الموضع منها ؟ أما إذا كان لفاسدة قيمة، كالرانج، وبيض." [2]

"الجدار ودخل، أما إذا فتح باب الدار المغلق، ثم أخرج المتاع من البيت إلى الصحن، فالحرز الذي يهتكه السارق في حكم الحرز الدائم بالنسبة إليه، فيكون كما لو نقل إلى الصحن وباب الدار مغلق، هذا ما رآه الامام أصح، فإن أغلق الباب بعد فتحه، فهو أظهر، وجميع ما ذكرنا في دار هي وبيوتها لواحد، فلو سكنها جماعة، وانفرد كل واحد بحجرة أو بيت وفي معناها **الخانات** والمدارس والرباط، فهو في حق من لا يسكن الخان كدار يختص بها واحد حتى إذا سرق من حجرها أو صحنها ما يحرزه الصحن، وأخرج من الخان، قطع، وإن أخرج من البيوت والحجر إلى صحن الخان فوجهان، أحدهما: يقطع بكل حال، لان الصحن ليس حرزا لصاحب البيت بل هو مشترك بين السكان، كالسكة المشتركة بين أهلها، وبهذا

---

(١) روضة الطالبين– الكتب العلمية، ٤٦٨/١

(٢) روضة الطالبين– الكتب العلمية، ١٤٤/٣

قطع صاحب المهذب، وجماعة، والثاني وبه قطع الغزالي والبغوي وغيرهما: أنه كالاخراج من بيوت الدار إلى صحنها، فيفرق بين أن يكون باب الخان مفتوحا أو مغلقا، ويقرب من هذا ما حكي عن الشيخ أبي محمد أنه إن كان نهارا، قطع، وإن كان ليلا، فلا، لان الباب يكون مغلقا، وأما إذا سرق أحد السكان، فإن سرق من العرصة، فلا قطع، لانها مشتركة وما فيها غير محرز عنهم، قال الامام: هذا إذا كان فتح الباب هينا على من يخرج منها، بأن كان موثقا بسلاسل ونحوها، أما إذا كان موثقا بالمغاليق وله مفتاح بيد حارس وكان يحتاج مخرج المتاع إلى معاناة وما يحتاج إليه من يحاول الدخول من خارج، ففيه تردد، وإن أخرجه من بعض البيوت إلى الصحن، وكان باب البيت مغلقا، والصحن في حق السكان كسكة منسدة بالاضافة إلى الدور، ولا فرق بين أن يكون باب الخان مفتوحا أو مغلقا، كما لو كان على السكة باب لا فرق بين أن يكون مغلقا أو مفتوحا. فرع سرق الضيف مال المضيف من موضع محرز عنه، قطع، وإن سرقه من غير محرز عنه، لم يقطع، ولو سرق جار من طرف حانوت جاره حيث يحرز بلحاظ الجيران، فلا قطع، لانه محرز به لا عنه.." (١)

" الإمام عليه عند عجزه لأنها للضرورة بشرط الضمان عليه أي إن كان بالغا فلا يرد ما قاله الرافعي أنه لا رجوع في نفقة الإمام على اللقيط الذمي . فرع : لو سرق من مال مرتد لم يقطع إن مات على الردة وللسارق حق في الفيء وإلا قطع ، قاله شيخنا وقد يقال لا قطع مطلقا نظرا للقول بزوال ملكه بالردة فراجعه . قوله : (قطعه بموقوف) أي على من يقطع بسرقة ماله فلا يقطع بموقوف على نحو أصله وسيده ولا بسرقة الموقوف عليه كله ، أو بعضه لأنه مستحق له وظاهر العلة قطع الواقف بما وقفه وفيه نظر نظرا للقول بأنه ملكه ، قوله : (وأم ولد) أي ويقطع بأم ولد قوله : (سرقها نائمة أو مجنونة) أو مغمى عليها أو سكرى أو مكرهة أو عمياء أو أعجمية تعتقد الطاعة ، قوله : (مضمونة بالقيمة) أي وغير مستقلة بالتصرف ليخرج المكاتب والمبعض فلا قطع على سارقهما ، قوله : (وكذا في الموقوف) أي الملك فيه ضعيف بناء على القولين الأولين القائلين بالملك فيه وعلى القول الثالث بعدم الملك ، فهو من المباحات فقوله وعلى القول إلخ ، من تتمة الوجه الثاني فتأمله . فرع : لا قطع على مسلم ولا على ذمي بموقوف على الجهات العامة ، أو في وجوه الخير نحو بكرة بئر مسنبلة وآلات . رحا كذلك وفارق الذمي هنا ما مر في نحو القناطر بأنه هنا داخل في الموقوف عليهم قصدا من حيث العموم كما علم . قوله : (أو حصانة) بالصاد المهملة هي القوة والمنعة ، قوله : (وكل منها) أي الصحراء والمسجد والشارع ، قوله : (لا

---

(١) روضة الطالبين- الكتب العلمية، ٣٥٢/٧

حصانة له) أي في نفسه ولذلك لو دفن ماله بصحراء فلا قطع بسرقته ، لأنه مضيع له ، وقد قال الغزالي والحرز ما لا يعد المالك أنه مضيع لماله فيه ومرجعه العرف لأنه ليس له ضابط لغة ، ولا شرعا كالقبض في المبيع والإحياء في الموات . قوله : (دوام لحاظ) أي ممن استحفظه صاحب المتاع وإلا فليس محرزا ، قاله شيخنا أخذا من مسألة الحمام فراجعه فيه نظر ظاهر أو لا يضر في الدوام الفترات العارضة عادة ، ولو تغفله السارق فيها قطع ولا نظر لعدم رؤية الملاحظ خلافا للبلقيني ، قوله : (بكسر اللام) اسم لمؤخر العين ويقابله الموق وهو مقدمها الملاصق للأنف والمراد هنا مطلق النظر منها ، قوله : (وإصطبل بكسر الهمزة) قال الزركشي وهي همزة قطع أصلية ، وقوله : (حرز دواب) إن اتصل بالدور مطلقا وإلا فلا بد من غلق الباب وملاحظ كما سيأتي ، ، قوله : (حرز آنية) يتجه أنه غير منون لنية إضافة بذلة إليه خلافا لظاهر كلام الشارح لتخرج الآنية النفيسة لأنها في معنى الحلي كما صرح به الزركشي قوله : (لا حلي إلخ) أي لأن حرزها بيوت الدور **والخانات** والأسواق المنيعة . قوله : (أو توسد) أي مثلا فمنه الخاتم في الأصبع مخلخلا . ولو بفص ثمين والسوار في اليد ونحو الخلخال في الساق والعمامة على الرأس ، والمداس في الرجل والمئزر متزرا به ، والرداء متوحشا به ، قوله : (متاعا) أي مما يعد التوسد حرزا له لا نحو كيس جوهر ، أو نقد فحرزه شده بوسطه لا نومه عليه . قوله : (فلو انقلب) ولو بقلب السارق ومثله رميه عن دابة وهدم حائط دار وإسكاره حتى غاب عقله لأن ذلك من زوال ، الحرز لا من هتكه .

". (١)

" المضروب على كل جريب قدر معلوم فعلى جريب الشعير درهمان والبر أربعة والشجر وقصب السكر ستة ، والنخل ثمانية والعنب عشرة والزيتون اثنا عشر . قوله : (وهو) أي السواد والمبدأ والغاية داخلان في الحدود المذكورة . قوله : (الموصل) سمي بذلك لأن نوحا صلى الله عليه وسلم لما وصل بسفينته إلى الجودي أدلى حجرا في حبل ليعلم به قدر ما بقي من الماء ، فوصل إلى الأرض في ذلك المحل قوله : (القادسية) سميت بذلك لأن إبراهيم صلى الله عليه وسلم دعا لها بالتقديس . قوله : (البصرة) بتثليث الباء والفتح أفصح والنسبة إليها بصري بالفتح والكسر لا بالضم وتسمى قبة الإسلام ، وخزانة العرب وخزانة العلم بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قيل كان بها سبعة آلاف مسجدا وعشرة آلاف نهرا لكل نهر اسم مخصوص وبنى بعدها الكوفة بسنتين على الأشهر

---

(١) حاشية قليوبي، ١٩١/٤

في خلافة عثمان رضي الله عنه . قوله : (يسمى الفرات) الصواب أن هذا هو نهر الصراة ، وما بعده هو نهر الفرات فما ذكره الشارح فيها خلاف الصواب ، والفرات اسم مكان بها لا أنه النهر المشهور . قوله : (أحياه المسلمون) وهم عثمان بن أبي العاص وعتبة بن غزوان ، ومن معهم في سنة سبع عشرة ، في زمن عمر رضي الله عنه . قوله : (بعد) أي بعد فتح العراق . قوله : (من الدور والمساكن) إلا **الخانات** فإنها من الوقف قال شيخنا : وكذا الأشجار فهي وقف لدخولها في وقف الأرض فيمتنع التصرف فيما كان موجودا منها حالة الوقف وكذا يقال في بناء **الخانات** . قوله : (وفتحت مكة صلحا) أعلاها على يد الزبير رضي الله عنه ، وأسفلها على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه لكن بعد وجود صورة قتال ابتداء من جهة خالد قبل التسليم له ثم سلموا فكف عنهم ، وبهذا يجمع التناقض في الأخبار والأقوال ، وفتحت مصر عنوة وقد فتحت قراها صلحا وضعفه شيخنا الرملي ، وفتحت مدن الشام صلحا وقراها عنوة ورجح السبكي أن دمشق فتحت عنوة ، وسيأتي في الجزية زيادة على المذكور هنا فراجعه . . فصل في الأمان مع الكفار وهو أحد العقود التي تفيدهم الأمن وهي ثلاثة : أمان ، وجزية ، وهدنة لأن العقد إن تعلق بمحصور أصالة فهو الأمان ، وإلا فإن كان إلى غاية فالهدنة وإلا فالجزية وهذان يختصان بالإمام ونائبه وبوالي الإقليم في عقد الهدنة . قوله : (يصح) أي يعتبر الأمان ويعمل به إن وجد من مسلم مكلف مختار ولفظه كل لا حاجة إليه فإن أمنه غير من ذكر بلغ المأمن إن ظن صحته . قوله : (أمان حربي) وهذا من مقابلة الفرد بالفرد سواء كان كل منهما ذكرا أو أنثى . قوله : (وعدد محصور) وهذا من مقابلة المفرد بالجمع وعكسه أولى وأما مقابلة الجمع بالجمع كأن أمن مائة ألف منا مائة ألف منهم ، فقال الإمام : فكل واحد لم يؤمن إلا واحدا منهم لكن محل الصحة إن لم ينسد باب الجهاد ، وإلا بطل الكل إن وقع العقد دفعة ، وإلا فيصح الأول فالأول إلى ظهور الخلل فيبطل ما زاد .

---

(١) ".

"أما اعتبار محاذاة شئ من بدن هذا شيئا من بدن ذاك فمعقول وإذا كان الانخفاض والارتفاع قدر مالا يمنع القدوة فلو كان بعض الذين يحصل بهم الاتصال عند اختلاف البنائين علي سرير أو متاع وبعضهم على الارض لم يضر ولو كانوا في البحر والمأموم في سفينة والامام في اخرى وهما مكشوفتان فظاهر المذهب أنه يصح الاقتداء إذا لم يزد ما بين الامام والمأموم على ثلثمائة ذراع كما في الصحراء والسفينتان

---

(١) حاشية قليوبي، ٤/٢٢٦

كدكتين في الصحراء يقف الامام علي احداهما والمأموم علي الاخرى وقال الاصطخرى يشترط أن تكون سفينة المأموم مشدودة بسفينة الامام ليؤمن من تقدمها عليه وإن كانت السفينتان مسقفتين فهما كالدارين والسفينة التي فيها بيوت كالدار التى فيها بيوت وحكم المدارس **والخانات** والرباطات حكم الدور والسرداقات في الصحراء كالسفن المكشوفة والخيام كالبيوت إذا عرفت ذلك فاعلم أن قوله فيما إذا وقف في بيت على يمين الامام فـلا بد من تواصل المناكب (جواب) علي الطريقة الاولي وينبغي أن يعلم بالواو لمكان الثانية وبالميم لما سبق حكايته عن مالك وبالحاء لانه عن ابى حنيفة فيما حكى الشيخ أبو محمد وغيره لا يشترط اتصال الصفوف (وقوله) فيما إذا وقف احدهما في علو والآخر في سفل الاتصال بموازاة رأس المتسفل ركبة العالي (جواب) علي ما سبق نقله عن الشيخ ابى محمد وقد عزاه الشيخ الي نص الشافعي رضي الله عنه ويجب اعلامه أو بالواو لما تقدم وزيد في بعض النسخ لو قدر لكل واحد منهما قامة معتدلة وهذا اشارة إلى أنه لو كان

---

[٣٥٤]." (١)

"إذا اشترى ما ماكوله في جوفه كالبطيخ والرانج والرمان والجوز واللوز **والفندق** والبيض فكسره ووجده فاسدا ينظر ان لم يكن لفاسده قيمة كالبيضة المذرة التي لا تصلح لشئ والبطيخة الشديدة التغير رجع المشتري بجيمع الثمن نص عليه وكيف سبيله قال معظم الاصحاب تبين فساد البيع لوروده على غير متقوم وعن القفال في طائفة انه لا يتبين الفساد لكنه على سبيل استدراك الظلامة فكما يرجع بجزء من الثمن عند انتقاص جزء من المبيع يرجع بكله عند فوات كل المبيع وتظهر ثمرة هذا الخلاف في أن القشور الباقية بمن تختص حتى يكون عليه تطهير الموضع عنها * وإن كان لفاسده قيمة كالرانج وبيض النعام والبطيخ إذا وجده حامضا أو مدود بعض الاطراف فللكسر حالتان (إحداهما)

---

[٣٦١]

أن لا يوقف على ذلك الفساد إلا بمثله ففيه قولان (أحدهما) وبه قال أبو حنيفة والمزني أنه ليس الرد قهرا كما لو عرف عيب الثوب بعد قطعه وعلى هذا هو كسائر العيوب الحادثة فيرجع المشتري بارش العيب القديم أو يضم ارش النقصان إليه ويرده كما سبق (وقوله) في الكتاب بل يأخذ الارش ان لم يتراضيا على

---

(١) فتح العزيز شرح الوجيز، ٢١٧/٤

الرد مع الارش لانه لا يعدل عنه بحال (والثاني) له ذلك وبه قال مالك وكذا أحمد في رواية لانه نقص لا يعرف العيب الا به فلا يمنع الرد كالمصراة وإيراد الكتاب يقتضي ترجيح القول الاول وبه قال صاحب التهذيب لكن القاضي الماوردي والشيخ أبا حامد ومن تابعه رجحوا الثاني وبه قال القاضي الروياني وغيره

* وإذا فرعنا على الثاني فهل يغرم ارش

---

[٣٦٢]." (١)

"الحرمين الأول مزيف لا وجه له والاعتبار بمعتدل القامة

حتى لو كان قصيرا أو قاعدا فلم يحاذ ولو قام فيه معتدل القامة لحصلت المحاذاة كفى

وحيث لا يمنع الانخفاض القدوة وكان بعض الذين يحصل بهم الاتصال على سرير أو متاع وبعضهم على الأرض لم يضر

ولو كانا في البحر والامام في سفينة والمأموم في أخرى وهما مكشوفتان فالصحيح أنه يصح الاقتداء إذا لم يزد ما بينهما على ثلاث مائة ذراع كالصحراء وتكون السفينتان كدكتين في الصحراء يقف الامام على إحداهما والمأموم على الأخرى

وقال الاصطخري يشترط أن تكون سفينة الامام مشدودة بسفينة المأموم

والجمهور على أنه ليس بشرط

وإن كانتا مسقفتين فهما كالدارين والسفينة التي فيها بيوت كالدار ذات البيوت

وحكم المدارس والرباطات والخانات حكم الدور

والسرادقات في الصحراء كالسفينة المكشوفة والخيام كالبيوت

الحال الثالث أن يكون أحدهما في المسجد والآخر خارجه فمن ذلك أن يقف الامام في مسجد والمأموم في موات متصل به

فإن لم يكن بينهما حائل جاز إذا لم تزد المسافة على ثلاث مائة ذراع ويعتبر من آخر المسجد على الأصح

وعلى الثاني من آخر صف في المسجد

فإن لم يكن فيه إلا الامام فمن موقفه

---

(١) فتح العزيز شرح الوجيز، ٢٧٨/٨

وعلى الثالث من حريم المسجد بينه وبين الموات

وحريمه الموضع المتصل به المهيأ لمصلحته كانصباب الماء إليه وطرح القمامات فيه ولو كان بينهما جدار المسجد لكن الباب النافذ بينهما مفتوح فوقف بحذائه جاز ولو اتصل صف بالواقف في المحاذاة وخرجوا عن المحاذاة جاز ولو لم يكن في الجدار باب أو كان ولم يقف بحذائه بل عدل عنه فالصحيح الذي عليه الجمهور أنه يمنع صحة الاقتداء

وقال أبو إسحق المروزي لا يمنع

وأما الحائل غير جدار المسجد فيمنع بلا خلاف

ولو كان بينهما باب مغلق

". (١)

"مفتوحا قطع لأنه أخرجه من حرزه وجعله في محل الضياع وإن كان باب البيت مفتوحا وباب الدار مغلقا فلا قطع وإن كان البابان مغلقين فلا قطع على الأصح المنصوص وقيل يقطع وقيل إن كان الصحن حرزا لم يقطع وإلا فيقطع وإن كان باب البيت والدار مفتوحين فالمال ضائع إذا لم يكن محرزا باللحاظ فلا قطع وهذه الصور الأربع ظاهرة التصوير إذا لم يوجد من السارق تصرف في باب الدار بأن تسور الجدار ودخل أما إذا فتح باب الدار المغلق ثم أخرج المتاع من البيت إلى الصحن فالحرز الذي يهتكه السارق في حكم الحرز الدائم بالنسبة إليه فيكون كما لو نقل إلى الصحن وباب الدار مغلق هذا ما رآه الإمام أصح فإن أغلق الباب بعد فتحه فهو أظهر وجميع ما ذكرنا في دار هي وبيوتها لواحد فلو سكنها جماعة وانفرد كل واحد بحجرة أو بيت وفي معناها الخانات والمدارس والرباطات فهو في حق من لا يسكن الخان كدار يختص بها واحد حتى إذا سرق من حجرها أو صحنها ما يحرزه الصحن وأخرج من الخان قطع وإن أخرج من البيوت والحجر إلى صحن الخان فوجهان أحدهما يقطع بكل حال لأن الصحن ليس حرزا لصاحب البيت بل هو مشترك بين السكان كالسكة المشتركة بين أهلها وبهذا قطع صاحب المهذب وجماعة والثاني وبه قطع الغزالي والبغوي وغيرهما أنه كالإخراج من بيوت الدار إلى صحنها فيفرق بين أن يكون باب الخان مفتوحا أو مغلقا ويقرب من هذا ما حكي عن الشيخ أبي محمد أنه إن كان نهارا قطع وإن كان ليلا فلا لأن الباب يكون مغلقا وأما إذا سرق أحد السكان فإن سرق من العرصة فلا قطع لأنها

---

(١) روضة الطالبين- المكتب الإسلامي، ٣٦٤/١

مشتركة وما فيها غير محرز عنهم قال الإمام هذا إذا كان فتح الباب هينا على من يخرج منها بأن كان موثقا بسلاسل ونحوها أما إذا كان موثقا بالمغاليق وله مفتاح بيد حارس وكان يحتاج مخرج المتاع إلى معاناة وما يحتاج إليه من يحاول

." (١)

"عن قيمة الغش أي إذا كان ثم سبك لأن إخراج الخالص لا يلزم أن يكون بسبك م ر

قال سم على حج ومحله أيضا أن لا يوجد خالص من غير المغشوش وإلا تعين

قوله (ولا في سائر الجواهر) هذا علم من قوله ذهبا أو فضة وفيه أن كلا من الذهب والفضة لقب أي ليس بمشتق واللقب لا مفهوم له إلا أن يقال هذا مبني على قول من قال إن له مفهوما وأنه حجة فتأمل شيخنا

قوله (والدانق) الأولى التفريع

وقال الشوبري هذا علم مما قبله فلا حاجة إليه ا هـ

وقد يقال أتى به ليرتب عليه ما بعده

قوله (وخمسا حبة) أي شعيرة معتدلة لم تقشر وقطع من طرفيها ما دق وطال م ر

قوله (ومتى زيد على الدرهم ثلاثة أسباعه)

وهي إحدى وعشرون حبة وثلاثة أخماس لأن تسعة وأربعين ثلاثة أسباعها أحد وعشرون يبقى حبة وخمسان ثلاثة أسباعها ثلاثة أخماس يضاف ذلك إلى الخمسين وخمسي حبة يحصل اثنان وسبعون ثلاثة أعشارها أحد وعشرون وثلاثة أخماس شوبري

قوله (كان مثقالا) فالمثقال اثنتان وسبعون شعيرة ولم يختلف جاهلية ولا إسلاما

قال السبكي والدرهم كانت مختلفة ثم ضربت في زمن عمر وقيل عبد الملك على هذا القدر وأجمع المسلمون عليه ويجب أن يعتقد أن ذلك مراد الشارع صلى الله عليه وسلم إذ لا يجوز أن يجمعوا على خلاف مراده شوبري

قوله (فكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل) لأنك إذا بسطت العشرة دراهم حبات بسطت السبعة مثاقيل حبات وجدت المقدارين متساويين بيان ذلك أن تضرب العشرة دراهم في عدد حبات الدرهم فتضرب

---

(١) روضة الطالبين- المكتب الإسلامي، ١٠/١٤٠

العشرة في خمسين وخمسين بخمسمائة وأربع حبات وتضرب السبعة مثاقيل في عدد حبات المثقال فتضرب السبعة في اثنين وسبعين بخمسمائة وأربع حبات فظهرت المساواة ا هـ

قوله (بالأشرفي) ومراده بالأشرفي القايتباني لأنه الذي كان في زمن المؤلف ق ل

وبه يعلم نصاب ما زاد على وزنه من المعاملة الحادثة الآن على أنه حدث أيضا تغيير في المثقال لا يوافق شيئا مما مر فليتنبه لذلك شرح م ر مع زيادة شوبري قال شيخنا البابلي والشريفي الموجود الآن ثلاثة أرباع مثقال فكل شريفيين مثقال ونصف وعليه فكل ثلاثة مثاقيل بأربعة شرائفة فجملة النصاب بها سبعة وعشرون إلا ربعا أ ط ف

وقوله إلا ربعا الأولى إلا ثلثا كما يعلم للمتأمل

والظاهر أن المراد به الفندقلي كما قال شيخنا العشماوي بحثت عن العشرين مثقالا من الصيارفة وقدرتها معهم بالدراهم وتحاسبت معهم فوجدناها سبعة وعشرين فندقليا إلا ثلثا وكان في زمنه بمائة وخمسين نصفا والبندقي مثل الفندقلي في أن النصاب به ما ذكر لأن وزن كل منهما ثمانية عشر قيراطا لكن البندقي خالص من الغش وكل واحد منهما ثلاثة أرباع مثقال لأن المثقال أربعة وعشرون قيراطا القيراط ثلاث حبات

وقال بعضهم والمحبوب الموجود الآن ثلاثة عشر قيراطا ونصف والنصاب به خمسة وثلاثون محبوبا ونصف محبوب وثلاثة أرباع قيراط لأن فيه غشا والنصاب بالريالات ثمانية وعشرون ريالا ونصف ونصف سبع على القول بأن في الريال درهمين نحاسا وإذا كان فيه درهم نحاس يكون النصاب خمسة وعشرين ريالا

قوله (ولو اختلط الخ) صورة المسألة أن يكون عنده إناء وزنه ألف مثقال مثلا ويعلم أن فيه ستمائة من أحد الجنسين وأربعمائة من الآخر ولم يعلم أن الستمائة والأربعمائة من أي الجنسين

قوله (الأكثر) بالنصب معمول المحذوف كما قدره الشارح لا لزكى كما يتوهم لأنه ينافيه قوله كلا ويقع الزائد على الواجب تطوعا والمراد بقوله زكى الأكثر أي أن زكى عن نفسه فإن زكى عن غيره كمحجوره تعين التمييز الآتي م ر

قوله (كما مرت الإشارة إليه) أي في زكاة الحيوان في قوله ويجزىء نوع عن نوع آخر أي بخلاف الجنس هذا ما ظهر بعد التوقف زي ع ش

قوله (كأن يضع فيه) أي في الماء الذي جعله في إناء آخر غير المختلط

وقوله ألفا ذهبا أي ألف درهم وذهبا وقوله ثم ألفا فضة أي ألف

." (١)

"ومتى كان في الذمة فلا بد من علم قدره وصفته شيخنا

قوله (وبقدره في الباقي) أي في قوله أو بملء ذا البيت برا والصورتين اللتين بعد هذه والمراد بالجهل بقدر الثمن في قوله أو بألف دراهم ودنانير الجهل بقدر الدراهم وبقدر الدنانير هل من كل منهما نصف الألف أو ثلثها مثلا وإلا فالعلم بجملة قدر الثمن معلوم لأنه ألف

قوله (فإن عين البر الخ) قد يشعر قوله ملء ذا البيت من ذا البر أنه لو كان البيت أو البر غائبا عنهما لم يصح وليس مرادا لأن المدار على التعيين حاضرا كان أو غائبا عن البلد حتى لو قال بعتك ملء الكوز الفلاني من البر الفلاني وكانا غائبين بمسافة بعيدة صح العقد

كما يفهم من قوله فإن عين البر الخ فإنه جعل مجرد التعيين كافيا لكن يرد عليه أنه يحتمل تلف الكوز أو البر قبل الوصول إلى محلهما إلا أن يجاب بأن الغرر في العين دون الغرر فيما في الذمة ع ش على م ر

قوله (كأن قال بعتك ملء ذا البيت من ذا البر) الفرق بين هذه والصورة المتقدمة الباطلة أن البائع هنا عين البر وثم أبهمه لأنه يمكن أن يحيطا بجوانب البيت ويعرفا تخمينا أنه يأخذ كذا ويملأ البيت من البر المعين حالا قبل تلف البيت فقل الجهل هنا بخلافه ثم لأن البر مبهم ويمكن تلف البيت قبل الإتيان بالبر فكثر الجهل ولو تلف البيت هنا فالظاهر انفساخ البيع شيخنا

وعبارة شرح م ر وخرج بنحو حنطة وذهب منكر المشير إلى أن محل ذلك حيث كان في الذمة المعين كبعتك ملء أو بملء ذا الكوز من هذه الحنطة أو الذهب فيصح وإن جهل قدره لإحاطة التخمين برؤيته مع إمكان الأخذ قبل تلفه بلا غرر هذا والمناسب لكلام المتن أن يقول بعتك بملء ذا البيت الخ لأن المتن جعل الملء ثمنا والشارح جعله مثمنا إلا أن يقال لا فرق بين الثمن والمثمن في الحكم ومثل البر الذهب إذا عينه شيخنا

قوله (لإمكان الأخذ قبل تلفه) أي البيت حينئذ أي ولأن المبيع معين والمعين لا يشترط فيه معرفة القدر تحقيقا بل يكفي فيه التخمين برماوي

---

(١) حاشية البجيرمي، ٢٩/٢

فاندفع استشكال بعضهم بالجهل بقدر العوض

قوله (ولو باع بنقد مثلا) مثل البيع الشراء ومثل النقد العرض كالبر فمثلا راجع لكل من باع ونقد

قوله (بنقد) كدينار فإنه يشمل المحبوب الجنزير **والفندقلي**

قوله (وثم نقد غالب) أي في مكان البيع قال في التحفة سواء كان كل منهما من أهلها أي بلد البيع ويعلم نقودها أو لا على ما اقتضاه إطلاقهم وفيه وقفة لمنافاته للتعليل الآتي ولأنه إذا جهل كل منهما نقد البلد كان الثمن مجهولا لهما فالوجه عدم العمل بهذا الإطلاق شوبري

وكلام ح ل يوافق ما في التحفة وهو أنه يتعين ولو مع جهلهما به

وقوله لأن الظاهر إرادتهما له أي شأنه أن يراد ح ف

قوله (وثم نقد) أي نوع من النقد

قوله (تعين) نعم إن تفاوتت قيمة أنواعه أي الغالب أو رواجها وجب التعيين وذكر النقد للغالب أو المراد مطلق العوض شرح حج

وعبارة ع ش مفهومه أنه لا يجوز إبداله بغيره وإن ساواه في القيمة وهو ظاهر ويوافقه ما في سم عند قول المصنف فقبل بصحيحة لم يصح ما نصه مثله ما لو أجاب بألف من نقد آخر مخالف للأول في السكة دون القيمة فإنه لا يصح م ر

قوله (لأن الظاهر إرادتهما له) انظر لو أراد غيره ويؤخذ مما يأتي أنه لا أثر لمجرد الإرادة بل لا بد من التعيين باللفظ أي تعيين عين الذي أراده بحسب الظاهر شوبري

قوله (نعم لو غلب المكسر وتفاوتت قيمة أنواعه) كما إذا غلب الريال المكسر وكان أنصافا وأرباعا وأتمانا وكانت قيمة الأرباع أكثر فإنها تتعين بناء على أن المراد بالكسر ما قابل الريال الكامل شيخنا ح ف

فلو تبايعا بطرفي بلدين شيئا بنقد مع اختلاف نقد البلدين فهل يعتبر نقد بلد الإيجاب أو القبول أو يجب التعيين قال الشيخ الوجه القطع بهذا الثالث كما ذكره الشوبري

قوله (اشترط تعيين لفظا) أي لا نية بخلاف نظيره من الخلع لأنه يغتفر فيه ما لا يغتفر هنا ولا يرد عليه الاكتفاء بنية الزوجة في النكاح كما سيأتي لأن المعقود عليه ثم ضرب من المنفعة وهنا ذات العوض فاغتفر ثم ما لم يغتفر هنا وإن كان النكاح مبناه

". (١)

"قوله (حرز خسيس آنية وثياب) هذا بالنسبة لغير السكان شرح م ر

قوله (ومخزن) بفتح الزاي كما قاله الشوبري وهو القياس لأنه اسم مكان وجوز غيره الكسر والمراد به المكان الذي يخزن فيه داخل محل آخر

قوله (حرز حلي ونقد) مقتضاه أن بيوت الدور **والخانات** لا تكون حرزا للنقد والحلي وفيه نظر ح ل

وقوله ونحوهما كلؤلؤ

قوله (ونوم بنحو صحراء) وكذا يقطع بأخذ عمامة النائم من على رأسه ومداسه من رجله وبكيس دراهم وكان بحيث لو أخذت منه انتبه ح ل

وقيد حج الكيس بكونه مشدودا في وسطه أي تحت ثيابه وكذا يقطع بخاتمه الذي في أصبعه وبسوار المرأة وخلخالها إن عسر إخراجه منها بحيث يوقظ النائم غالبا أخذا مما ذكروه في الخاتم في الأصبع شرح م ر ملخصا

قوله (كمسجد وشارع) أي ومكان غير مغصوب شرح م ر

ومفهومه أنه لو نام في مكان مغصوب لا يكون ما معه محرزا به ويوجه بأن المسروق منه متعد بدخول المكان المذكور فلا يكون المكان حرزا له وسيأتي التصريح به في كلام المصنف في الفصل الآتي ع ش

قوله (فيه نقد) ظاهره وإن لم يكن له وقع ح ل

قوله (لا إن وضعه بقربه الخ) عبارة شرح م ر فإن وضعه بحيث لا يبالي به السارق وبعد محله عن الغوث فلا إحراز ا هـ

قوله (ولو بقلب السارق) هلا جعل قلب السارق كفتح الباب المغلق فيقطع وأجاب م ر في شرحه بقوله لزوال الحرز قبل أخذه

وأما قول الجويني وابن القطان لو وجد جملا صاحبه نائم عليه فألقاه عنه وهو نائم قطع مردود فقد صرح البغوي بعدمه لأنه قد رفع الحرز ولم يهتكه ومثله هدم الدار ا هـ

وقد علم من كلامهم الفرق بين هتك الحرز ورفعه من أصله ا هـ

---

(١) حاشية البجيرمي، ٢/١٨٥

ويؤخذ منه أنه لو أسكره فغاب فأخذ ما معه لم يقطع لأنه لا حرز حينئذ ا هـ شرح م ر

وقياس ذلك أنه لو كان ثقيل النوم بحيث لا ينتبه بالتحريك الشديد ونحوه لم يقطع سارق ما معه وعليه ا هـ ع ش عليه

قوله (ودار منفصلة الخ) ولو فتح داره أو حانوته لبيع متاع له فدخل شخص وسرق منه فإن دخل بغير إذنه أو به ليسرق قطع أو ليشتري فلا ولو أذن في دخول نحو داره لشراء قطع من دخل سارقا لا مشتريا وإن لم يأذن قطع كل داخل شرح م ر

قال ع ش عليه ولا فرق في الإذن بين كونه صريحا أو حكما كمن فتح داره وجلس للبيع فيها ولم يمنع من دخل للشراء منه ومنه الحمام فمن دخله لغسل وسرق منه لم يقطع حيث لم يكن ثم ملاحظ ويختلف الاكتفاء فيه بالواحد والأكثر بالنظر إلى كثرة الزحمة وقلتها ومنه أيضا ما جرت به العادة من الأسمطة التي تعمل في الأفراح ونحوها إذا دخلها من أذن له فإن كان بقصد السرقة قطع وإلا فلا أما غير المأذون له فيقطع مطلقا وكون الدخول بقصد السرقة لا يعرف إلا منه فلو ادعى دخوله لغير السرقة لم يقطع ا هـ ع ش

قوله (حرز) أي مع ملاحظة ما تقدم من كون عرصتها أو صفتها حرزا لخسيس الثياب والآنية وكون المخزن حرز حلي أو نقد لا مطلقا كما يتوهم من العبارة شيخنا عزيزي

قوله (يقظان) بسكون القاف كسكران مختار

قوله (متصلة بالعمارة) أي بدور مسكونة إن لم تحط العمارة بجوانبها كما اقتضاه إطلاقهم ويفرق بينه وبين ما يأتي في الماشية بأن الغالب في دور البلدان كثرة طروقها وملاحظتها ولا كذلك أبنية الماشية شرح م ر

قوله (نهارا) أي ما لم يوضع مفتاحها بشق قريب منها حينئذ لأنه مضيع لما فيها ويلحق بالنهار ما بعد الغروب إلى انقطاع غالب الطارقين زي

قوله (ونومه ليلا) ومن الليل بعد الفجر إلى الأسفار م ر

قوله (ولا مع غيبته زمن خوف الخ) أي أو كان بابها في منعطف لا يمر به الجيران وأما هي في نفسها وأبوابها المغلقة

". (١)

"للضرورة وبشرط الضمان كما في الانفاق على المضطر، وانتفاعه بالرباطات والقناطر للتبعية من حيث إنه قاطن ببلاد الاسلام لا لاختصاصه بحق فيها.

وقولي وهو مسلم من زيادتي، وهو قيد في المسألتين كما تقرر (و) لا (مال صدقة و) لا (موقوف وهو مستحق) فيهما ككونه في الاولى فقيرا أو غارما لذات البين أو غازيا وفي الثانية أحد الموقوف عليهم للشبهة بخلاف ما إذا لم يكن مستحقا فيهما وعليه يحمل كلام الاصل في الثانية وتعبيري بمستحق أعم من تعبيره بفقير (و) لا (مال بعضه) من أصل أو فرع، (أو سيده) أو أصل سيده أو فرعه لشبهة استحقاق نفقته عليهم (وكونه محرزا بلحاظ) له بكسر اللام (دائم أو حصانة) لموضعه (مع الحافظ) له (في بعض) من أفرادها، كما يعلم مما يأتي (عرفا، لان الحرز يختلف باختلاف الاموال والاحوال والاوقات، ولم يحده الشرع، ولا اللغة فرجع فيه إلى العرف كالقبض والاحياء ولا يقدح في دوام الل حاظ الفترات العارضة عادة، (فعرصة دار وصفتها حرز خسيس آنية وثياب).

أما نفيسهما فحرزه بيوت الدور **والخانات** والاسواق المنيعة (ومخزن حرز حلي ونقد) ونحوهما و التصريح بهذا من زيادتي.

(ونوم بنحو صحراء) كمسجد وشارع (على متاع أو توسده حرز) له ومحله في توسده فيما يعد التوسد حرزا له، وإلا كأن توسد كيسا فيه نقد أو جوهر، فلا يكون حرزا له كما ذكره الماوردي والروياني.

فتعبيري بنحو صحراء أعم من تعبيره بصحراء أو مسجد، (لا إن وضعه بقربه بلا ملاحظ قوي) بحيث يمنع السارق، بقوة أو استغاثة (أو انقلب عنه) ولو بقلب السارق فليس حرزا له بخلاف ما إذا كان في الاولى ملاحظ قوي ولا زحمة، أو كثر الملاحظون وذكر حكم الوضع بقربه في غير الصحراء من زيادتي.

(ودار منفصلة عن العمارة حرز بملاحظ قوي يقظان بها ولو مع فتح الباب أو نائم مع إغلاقه) على الاقوى في الروضة، والاقرب في الشرح الصغير وهو من زيادتي.

وإن اقتضى كلام الاصل خلافه فإن لم يكن بها أحد أو كان بها خصيف وهي بعيدة عن الغوث ولو مع إغلاق الباب أو بها نائم مع فتحه فليست حرزا وألحق بإغلاقه ما لو كان مردودا ونام خلفه بحيث لو فتحه لاصابه، وانتبه أو أمامه بحيث لو فتح لانتبه بصريره وما لو نام فيه وهو مفتوح.

(و) دار (متصلة) بالعمارة (حرز باغلاقه) أي الباب، (مع ملاحظ ولو نائما) أو ضعيفا (ومع غيبته زمن أمن

---

(١) حاشية البجيرمي، ٤/٢٢١

نهارا) لا مع فتحه ونومه ليلا أو نهارا، أو يقظته لكن تغفله السارق ولا مع غيبته زمن خوف ولو نهارا أو زمن أمن ليلا، أو والباب مفتوح فليست حرزا.

ووجهه في اليقظان الذي." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٦ """""""

قوله : (ما دق) أي ما كان دقيقا رفيعا .

قوله : (وفيما زاد) معطوف على قوله وفيه أي ويجب فيما زاد ربع عشره ، لكن الواجب فيما زاد بحسابه لا يتقيد بقدر معين ، فقوله فبحسابه متعلق بمحذوف والفاء داخلة في جواب شرط مقدر تقديره : فإذا وجب فيما زاد فالواجب بحساب الزائد .

واعلم أن الذي تحرر أن النصاب في البنادقة **والفنادقة** سبعة وعشرون من كل منهما إلا ثلثا ؛ لأن البندقي ثمانية عشر قيراطا والمثقال أربعة وعشرون قيراطا والقيراط ثلاث شعيرات ، فكل ثلاث مثاقيل أربعة بنادقة ؛ **والفندقلي** كالبندقي في الوزن ، لكنه أي **الفندقلي** ليس سالما من الغش والبندقي سالم من الغش . وفي المحابيب خمسة وثلاثون محبوبا كاملة . والدراهم المعروفة الآن كل عشرة منها سبعة مثاقيل فتكون الأواقي الخمس مائتي درهم . وقد كان في السابق درهم يقال له البغلي وكان ثمانية دوانق ، ودرهم يقال له الطبري أربعة دوانق ؛ فالدراهم مختلفة في الجاهلية ، ثم أخذ نصف كل منهما وهو ستة دوانق وجعل درهما في زمن عمر وعبد الملك بن مروان وأجمع عليه المسلمون . قال الأذرعي كالسبكي : ويجب اعتقاد أنها كانت في زمنه ؛ لأنه لا يجوز الإجماع على غير ما كان في زمنه وزمن خلفائه الراشدين ، ويجب تأويل خلاف ذلك م ر . وأول من ضرب الدراهم في الإسلام الحجاج بأمر عبد الملك بن مروان وكتب عليها :) قل هو الله أحد الله الصمد ﴾) الاخلاص : ١ و ٢) أي على أحد وجهي الدراهم :) الله أحد ﴾) الاخلاص : ١) وعلى وجهه الثاني :) الله الصمد ﴾) الاخلاص : ٢) . ولم توجد الدراهم الإسلامية إلا في زمن عبد الملك بن مروان ، وكانت الدراهم قبل ذلك رومية وكسروية ، وفي زمن الخليفة المستنصر بالله وهو السابع والثلاثون من خلفاء بني العباس ضرب الدراهم وسماها النقرة وكانت كل عشرة بدينار ، وذلك في سنة أربع وعشرين وستمائة كما في سيرة الحلبي .." (٢)

---

(١) فتح الوهاب، ٢/٢٧٩

(٢) تحفة الحبيب على شرح الخطيب، ٣/٣٦

"""""""" صفحة رقم ٢٩٢ """""""

بالصفة ؛ يعني يشترط العلم بالصفة إلا في هذه المسئلة . قوله : (مثلا) راجع لقوله (باع) . قوله : (بنقد) كدينار ، فإنه يشمل المحبوب والجنزير **والفندقلي** . قوله : (وثم نقد غالب) أي في مكان البيع ، قال في التحفة : سواء كان كل منهما من أهلها أي بلد البيع ويعلم نقودها أو لا على ما اقتضاه إطلاقهم اه . وفيه وقفة لمنافاته للتعليل الآتي ، ولأنه إذا جهل كل منهما نقود البلد كان الثمن مجهولا لهما والوجه عدم العمل بهذا الإطلاق ، شوبري . وكلام الحلبي يوافق التحفة ، وهو أنه يتعين ولو مع جهلهما به . قوله : (نقد غالب) أي نوع منه . وعلم بقوله (غالب) أن هناك نقدا آخر أو أكثر ، إذ لا أغلبية مع الانفراد لأنه متعين قطعا ، وسواء اتحد النوعان جنسا أو نوعا أو اختلفا ق ل . قوله : (تعين) أي الغالب وإن أبطله السلطان ، أو كان ناقصا ، أو نويا خلافه ق ل . قوله : (لأن الظاهر الخ) انظر لو أرادا غيره ، والظاهر أنه لا أثر لمجرد الإرادة بل لا بد من تعيينه باللفظ ؛ شوبري .

قوله : (وتكفي معاينة عوض) ولا خيار له إذا ظهر معيبا لأنه مقصر بعدم البحث كما ذكره المدابغي . قوله : (فيما لا يغلب) بأن غلب عدم تغيره ، أي وإن تغير بالفعل كأرض وإناء وحديد ، أو استوى تغيره وعدمه كالحيوان ق ل . وقوله (كالحيوان) قال الزيادي : الكاف للتنظير لا للتمثيل لأنه مما يغلب فيه التغير كما سيأتي في قوله إن الحيوان يتغذى في الصحة والسقم وتحول طباعه فقلما ينفك عن عيب خفي أو ظاهر اه . وقوله (للتنظير) أي نظير ما يصح في غير الحيوان ، أي وإن غلب فيه التغير وجعلها سلطان للتمثيل ؛ وارتضاه شيخنا العزيزي وعبارته : الكاف للتمثيل ، ولا ينافيه قول الشافعي رضي الله عنه : الحيوان يتغذى في الصحة والسقم وتحول طباعه فقلما ينفك عن عيب ؛ لأن قوله (لا ينفك عن عيب) لا يستلزم ذلك غلبة تغيره عن الحالة التي رؤي عليها . لأنه يجوز أن يكون معيبا ، وتستمر تلك الصفة المرئية مع حصول العيب فيه إلى العقد . قوله : (ذاكرا للأوصاف) التي رآها حين الرؤية . قوله : (رؤية بعض مبيع) أي لا من وراء زجاج أو ماء صاف كما لا يكتفي بهما في ستر العورة في الصلاة للاحتياط في البابين ، وإنما حكم بوقوع الطلاق المعلق بالرؤية إذا وجدت من وراء أحدهما لأن المدار ثم على مراد مطلقها وقد وجد وهنا على معرفة المبيع التامة فلم يكتف بذلك ، رحماني . وانظر هل يكتفي بالمعرفة والرؤية بواسطة الآلة المسماة بالعيون ؟ وحرره ، قال خ ض : نعم يصح بيع السمك والأرض المستورين بالماء الصافي لأنه من مصالحهما ؛." (١)

---

(١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب، ٢٩٢/٣

""""""""" صفحة رقم ٤٨ """""""

مع وجود هذا الملاحظ أو قفله مع يقظته زمن أمن نهارا وأما إن كان الباب مفتوحا فإن كان الملاحظ متيقظا كانت محرزة وإلا فلا . فعلم أنها قد تكفي الحصانة وحدها وقد تكفي الملاحظة وحدها وقد يجتمعان وقد يمثل لانفراد الحصانة بالراقد على المتاع كما قاله ع ش : وبالمقابر المتصلة بالعمارة فإنها حرز للكفن . وعبارة المنهاج وشرحه الشرط الرابع كونه محرزا وإنما يتحقق الإحراز بملاحظة للمسروق من قوي مستيقظ أو حصانة موضعه وحدها أو مع ما قبلها كما يعلم مما يأتي لأن الشرع أطلق الحرز ولم تضبطه اللغة فرجع فيه إلى العرف وهو مختلف باختلاف الأحوال والأوقات والأموال ، وإنما اشترط ذلك لأن غير المحرز ضائع بتقصير مالكه ولا يرد على ذلك الثوب إذ نام عليه ، فهو محرز مع انتفائهما ، لأن النوم عليه المانع من أخذه غالبا منزل منزلة ملاحظته وما هو حرز لنوع حرز لما دونه من ذلك النوع ، أو تابعه كما يعلم مما يأتي في الإصطبل وقد علم أن أو مانعة خلو فتجوز الجمع لا مانعة جمع فتجوز الخلو اه . وقوله : منزل منزلة ملاحظته يجوز أيضا أن ينزل منزلة حصانة موضعه بل يمكن أن يدعي حصانة موضعه حقيقة أي بأن يقال المراد : بالموضع ما أخذ المسروق منه وهو هنا حصين بالنوم على الثوب اه ع ش على م ر .

قوله : (فعرصة دار) العرصة الصحن والصفة المصطبة وهذا بالنسبة لغير السكان كما في شرح م ر وهذا كلام مستأنف والغرض منه بيان تفاوت أجزاء الدار ، في الحرزية بالنسبة لأنواع المحرز مع قطع النظر عن اعتبار الملاحظة مع الحصانة في الحرزية وعدم اعتبارها اه . قوله : (**والخانات**) أي وبيوت **الخانات** وهي الوكائل وبيوتها الحواصل والطبقات التي فيها وقوله : والأسواق أي وبيوت الأسواق وهي الدكاكين ولو فتح داره أو حانوته لبيع متاع فدخل شخص وسرق منه فإن دخل بغير إذنه أو به ليسرق قطع أو ليشتري فلا ولو أذن في دخول نحو داره ، لشراء قطع من دخل سارقا لا مشتريا وإن لم يأذن قطع كل داخل شرح م ر ومنه الحمام فمن دخله لغسل وسرق منه ، لم يقطع حيث لم يكن ثم ملاحظ ويختلف الاكتفاء فيه بالواحد والأكثر بالنظر إلى كثرة الزحمة وقلتها اه ع ش على م ر . واعلم أنه إذا كان باب الدار مفتوحا وباب الغرفة أو القاعة مغلقا ودخل السارق فأخرج الشيء من داخل الغرفة مثلا إلى صحن الدار قطع بذلك وإن لم يأخذه لأنه أخرجه إلى محل الضياع بعد أن كان محرزا وأما إذا كان باب الغرفة مثلا مفتوحا كباب الدار وأخرجه السارق من داخل الغرفة إلى صحن البيت فلا قطع وكذا." (١)

---

(١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب، ٤٨/٥

""""""""" صفحة رقم ٤٩ """""""""

لو أخذه معه ، لأن المال غير محرز ، وأما إذا كان البابان مغلوقين ، أو باب الدار مغلوقا دون باب الغرفة ، فكذا ، لا قطع إذا أخرجه من داخل الحرز إلى صحن البيت لأنه لم يخرجه عن تمام الحرز فإن أخرجه إلى خارج الحرز قطع كما يعلم من المنهج . قوله : (المنيعة) أي الحصينة أي للعادة المطردة بذلك ومن ثم لو دفن ماله بصحراء لم يقطع سارقه اه ز ي . قوله : (ومخزن) بفتح الزاي كما قاله الشوبري : وهو القياس لأنه اسم مكان وجوز ، غيره الكسر والمراد به المكان الذي يخزن فيه داخل محل آخر ، كخزانة وصندوق قرره شيخنا . قال ح ل : ومقتضاه أن بيوت الدور **والخانات** لا تكون حرزا للنقد والحلي وفيه نظر اه . قوله : (ونوم بنحو صحراء) وكذا يقطع بأخذ عمامة النائم من على رأسه ومداسه من رجله إن عسر قلعها وكيس دراهم وكان بحيث لو أخذ منه انتبه . ح ل وكذا خاتمة الذي في أصبعه وكذا سوار المرأة وخلخالها إن عسر إخراجه منها بحيث يوقظ النائم غالبا أخذا مما ذكروه في الخاتم في الأصبح شرح م ر ملخصا قال ع ش : وقياس ذلك أنه لو كان ثقيل النوم بحيث لا ينتبه بالتحريك الشديد ونحوه لم يقطع سارق ما معه وما عليه اه . قوله : (كمسجد وشارع) أي ومكان غير مغصوب شرح م ر . ومفهومه أنه لو نام في مكان مغصوب لا يكون ما معه محرزا به ويوجه بأن المسروق منه متعد بدخول المكان المذكور فلا يكون المكان حرزا له .

قوله : (ولو توسده) ما لم ينقله السارق عما توسده أو نام عليه وإلا فلا قطع ، لأنه أزال الحرز قبل السرقة بخلاف ما لو جره من تحته فإنه يقطع والفرق أنه في الأولى أزال الحرز وفي الثانية هتك الحرز وعبارة ز ي وفارق قلب السارق نحو نقب الجدار بأن هتك الحرز بإزالة من أصله بخلاف نحو النقب ثم وأما قول الجويني ولو وجد جملا صاحبه نائم عليه فألقاه من عليه وأخذ الجمل قطع فقد خالفه البغوي فقال : لا قطع لأنه رفع الحرز أي أزاله ولم يهتكه وما قاله البغوي : وجيه . لما تقرر من الفرق بين رفع الحرز ، أي إزالته من أصله وهتكه اه . ولو أخذ النائم مع الجمل فلا قطع أيضا لأنه لم يزل الحرز ولم يهتكه ع ش . وفي ق ل على الجلال فلو انقلب ولو بقلب السارق ومثله رميه عن دابة وهدم حائط دار وإسكاره حتى غاب عقله لأن ذلك من زوال الحرز ، لا من هتكه اه . وإن ضم نحو العطار والبقال الأمتعة وربطها بحبل على باب الحانوت ، أو أرخى عليها شبكة أو خالف لوحين على باب حانوته فمحرز نهارا وإن نام أو غاب وكذا ليلا بحارس وما في الجيب والكم محرز بهما وكذا المربوط بالعمامة أو المشدود بها ولو استحفظ شخصا على ثوبه أو حانوته المفتوح فأجابه : ضمن بإهماله ولم يقطع بسرقته هو أو على حانوته

المغلق لم يضمن بإهماله ويقطع بسرقته هو ومن هنا يؤخذ عدم ضمان الخفراء بإهمال الحوانيت المغلقة اه سم . مع تصرف ولو جعل المفتاح بشق قريب فلا." (١)

"خرنوب وثلثا حبة خرنوب فإن الدرهم الإسلامي ستة عشر حبة خرنوب وتفتح النون وتكسر وجمع المكسور دوانق وجمع المفتوح دوانيق بزيادة ياء قاله الأزهري ع ش (قوله وخمسا حبة) أي حبة شعير كما عبر به العباب سم وبصري .

(قوله فعلم منه متى زيد إلخ) أي ؛ لأن ثلاثة أسباعه إحدى وعشرون وثلاثة أخماس فإذا ضمت هذه للخمسين وخمسين كان المجموع ثنتين وسبعين حبة وهو المثقال و (قوله ومتى نقص من المثقال إلخ) أي ؛ لأن ثلاثة أعشاره إحدى وعشرون وثلاثة أخماس فإذا نقصت هذه من الثنتين وسبعين حبة كان الباقي خمسين حبة وخمسين شيخنا (قوله بقراريط الوقت) وهي الأربعة والعشرون رشيدي والقيراط ثلاث حبات من الشعير بجيرمي (قوله قال شيخنا إلخ) وقدر نصاب الذهب بالبندقي سبعة وعشرون إلا ربعا ومثله الفندقلي وبالمحبوب ثلاثة وأربعون وقيراط وسبع قيراط كذا قرره مشايخنا وأفاد بعضهم بعد تحريره لذلك أن هذا بالمثقال الاصطلاحي وهو غير معول عليه .

وأما بالمثقال الشرعي المعول عليه فنصاب البندقي الكامل به عشرون ؛ لأنه حرر فوجد مثقالا كاملا ولا غش فيه ومثله المجر الكامل لكنه فيه غش بمقدار شعيرة فالنصاب به عشرون وثلث وقدر نصاب الفضة بالريال أبي طاقة ثمانية وعشرون ريالا ونصف ريال مع زيادة نصف درهم بناء على أن الريال فيه درهمان من النحاس وخمسة وعشرون ريالا بناء على أن الريال فيه درهم من النحاس كذا قرره مشايخنا وأفاد بعضهم." (٢)

"تلزمه زكاة فيه نظر ولا يبعد أنه كالغائب فتجب فيه الزكاة ولا يلزم أداؤها حتى يخرج فلو تيسر إخراجه بنحو دواء فهل يلزمه لاداء الزكاة والانفاق منه على ممونه وأداء دين حال طولب به فيه نظر ويتجه فيما لو تيسر إخراجه بلا ضرر أن يلزمه أداء الزكاة في الحال ولو قبل إخراجه كما في دينه الحال على موسر مقر وأن يلزمه إخراجه لنفقة الممون والدين فلو مات قبل إخراجه فقد يتجه أن يقال إن كان يتيسر له إخراجه بلا ضرر فترك استحق الزكاة عليه فتخرج من تركته ولا يشق جوفه وإن كان لم يتيسر له إخراجه كذلك لم يجب الاخراج من تركته بل إن خرج ولو بالتعدي بشق جوفه وجبت تزكيته وإلا فلا سم على حج قال شيخنا

---

(١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب، ٤٩/٥

(٢) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ٢٠٤/١٢

الشوبري ابتلاعه قريب من وقوعه في البحر وقد صرحوا بأنه تلف فليكن هنا كذلك اه أقول قد يفرق بأن ما في البحر مأيوس منه عادة فأشبه التالف والذي ابتلعه يسهل خروجه باستعماله الدواء بل يغلب خروجه لانه لا تحيله المعدة فأشب الغائب كما قاله سم اه ع ش.

قوله: (فلا زكاة) أي وإن راج رواج التام نهاية قوله: (للشك) أي في النصاب مغني قوله: (ولا بعد في ذلك) أي في نقصه في ميزان وتمامه في آخر سم قوله: (ولم يتغير جاهلية ولا إسلاما) سيأتي أنه حدث فيه أيضا تغيير قوله: (لم تقشر) ببناء المفعول من الثلاثي قوله: (اختلف وزنه الخ) وكان غالب المعاملة في زمنه (ص) والصدر الاول بعده بالدرهم البغلي الاسود وهو ثمانية دوانيق والطبري وهو أربعة دوانيق قال المجموع عن الخطابي وكأن أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عدا عند قدومه (ص) فأرشدهم إلى الوزن وجعل العيار وزن أهل مكة وهو ستة دوانيق إيعاب زاد ع ش عن شرح البهجة والطبرية نسبة إلى طبرية قصبة الاردن بالشام وتسمى بنصيبين والبغلية نسبة إلى البغل لانه كان عليها صورته اه.

قوله: (ثم استقر الخ) أي ثم ضربت على هذا الوزن في زمن عمر أو عبد الملك وأجمع عليه المسلمون قال الاذرعي كالسبكي ويجب اعتقاد أنه كان في زمنه (ص) لانه لا يجوز الاجماع على غير ما كان في زمنه وزمن خلفائه الراشدين ويجب تأويل خلاف ذلك نهاية وإيعاب قوله: (والدانق الخ) قال في المصباح الدانق معرب وهو سدس درهم وهو عند اليونان حبتا خرنوب وأن الدرهم عندهم اثنتا عشر حبة خرنوب والدانق الاسلامي حبتا خرنوب وثلثا حبة خرنوب فإن الدرهم الاسلامي ستة عشر حبة خرنوب وتفتح النون وتكسر وجمع المكسور دوانق وجمع المفتوح دوانيق بزيادة ياء قاله الازهري ع ش.

قوله: (وخمسا حبة) أي حبة شعير كما عبر به العباب سم وبصري قوله: (فعلم منه متى زيد الخ) أي لان ثلاثة أسباعه إحدى وعشرون وثلاثة أخماسي فإذا ضمت هذه للخمسين وخمسين كان المجموع ثنتين وسبعين حبة وهو المثقال وقوله: (ومتى نقص من المثقال الخ) أي لان ثلاثة أعشاره إحدى وعشرون وثلاثة أخماس فإذا نقصت هذه من الثنتين وسبعين حبة كان الباقي خمسين حبة وخمسين شيخنا قوله: (بقراريط الوقت) وهي الاربعة والعشرون رشيدي والقيراط ثلاث حبات من الشعير بجيرمي.

قوله: (قال شيخنا الخ) وقدر نصاب الذهب بالبندقي سبعة وعشرون إلا ربعا ومثله الفندقلي وبالمحبوب ثلاثة وأربعون وقيراط وسبع قيراط كذا قرره مشايخنا وأفاد بعضهم بعد تحريره لذلك أن هذا بالمثقال الاصطلاحي وهو غير معول عليه وأما بالمثقال الشرعي المعول عليه فنصاب البندقي الكامل به عشرون لانه حرر فوجد مثقالا كاملا ولا غش فيه ومثله المجر الكامل لكنه فيه غش بمقدار شعيرة فالنصاب به

عشرون وثلث وقدر نصاب الفضة بالريال أبى طاقة ثمانية وعشرون ريالا ونصف ريال مع زيادة نصف درهم بناء على أن الريال فيه درهمان من النحاس وخمسة وعشرون ريالا بناء على أن الريال فيه درهم من النحا س كذا قرره مشايخنا وأفاد بعضهم بعد تحريره أن هذا بالدرهم الاصطلاحي وأما بالدرهم الشرعي وهو المعول عليه فنصاب الريال أبي طاقة وأبي مدفع عشرون ريالا لانه

حرر الاول فوجد أحد عشر درهما وثلاثة أسباع درهم والثاني أحد عشر درهما وثلثي سدس درهم وخالص كل منهما عشرة دراهم وقدره بعضهم في الانصاف المعروفة بستمائة نصف وستة وستين وثلثي نصف لان كل." (١)

"خلافا لمن زعم اختصاصها) أي الزكاة.

(قوله: بلغ قدر خالصه) أي الذهب، فلا زكاة في مغشوش حتى يبلغ خالصه ما ذكر، فتخرج زكاته خالصا أو مغشوشا خالصه قدرها، لكن يتعين على الوالي إخراج الخالص، حفظا للنحاس مثلا على المولى.

وتقدم عن السبكي سؤال في ذلك.

(قوله: عشرين مثقالا) أي لقوله (ص): ليس في أقل من عشرين دينارا شئ، وفي عشرين نصف دينار.

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(قوله: بوزن مكة) أي ويعتبر ذلك بوزن مكة، للخبر الصحيح: المكيال مكيال المدينة، والوزن وزن مكة.

(قوله: فلو نقص إلخ) تفريع على قوله تحديدا.

(قوله: فلا زكاة) أي واجبة فيه.

(وقوله: للشك أي في النصاب.

(قوله: والمثقال هو لم يتغير، جاهلية وإسلاما.

(قوله: متوسطة) أي معتدلة لم تقشر، وقطع من طرفيها ما كان دقيقا رفيعا.

(قوله: ووزن نصاب الذهب بالاشرفي) نسبه للسلطان الاشرف قايتباي، وليس المراد به من بنى جامع الاشرفية، وهو خليل البرسبائي - بضم الباء والراء، وسكون السين، وبموحدة بعدها مدة -.

(قوله: خمسة وعشرون) أي أشرفيا، وهو أقل وزنا من الدينار المعروف الآن.

(قوله: والمراد بالاشرفي: القايتبايي) أي لانه الذي كان في زمن الشيخ زكريا، وبه يعلم نصاب ما زاد على

---

(١) حواشي الشرواني، ٣/٢٦٤

وزنه من المعاملة الحادثة الآن، على أنه حدث أيضا تغيير في المثقال لا يوافق شيئا مما مر.

فليتنبه لذلك.

شرح م ر مع زيادة من الشوبري.

بجيرمي.

وقال في حواشي الاقناع: واعلم أن الذي تحرر أن النصاب في البنادقة **والفنادقة** سبعة وعشرون من كل منهما إلا ثلثا لان البندقي ثمانية عشر قيراطا، والمثقال أربعة وعشرون قيراطا، والقيراط ثلاث شعيرات، فكل ثلاثة مثاقيل أربعة بنادقة.

والفندقي كالبندقي في الوزن، لكنه - أي **الفندقي** - ليس سالما من الغش، وفي المحابيب خمسة وثلاثون محبوبا كاملة.

والدراهم المعروفة الآن كل عشرة منها سبعة مثاقيل، فتكون الاواقي الخمس مائتي درهم.

وقد كان في السابق درهم يقال له البغلي، وكان ثمانية دوانق.

ودرهم يقال له الطبري، أربعة دوانق.

فالدراهم مختلفة في الجاهلية، ثم أخذ نصف كل منهما وهو ستة دوانق، وجعل درهما في زمن عمر وعبد الملك بن مروان، وأجمع عليه المسلمون.

قال الاذرعي - كالسبكي - ويجب اعتقاد أنها كانت في زمنه (ص) وزمن الخلفاء الراشدين، ويجب تأويل خلاف ذلك.

اه.

م ر.

(قوله: وفي فضة) معطوف على ذهب، أي وتجب في فضة.

وسمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى.

وسميت الفضة بذلك لانها تنفض ولا تبقى، وسمي المضروب من الذهب دينارا، ومن الفضة درهما، لان الدينار آخره نار، والدرهم آخره هم، والمرء إن أحبهما قلبه معذب بين الهم في الدنيا، والنار في الآخرة، بسبب اكتسابهما من حرام أو عدم أداء زكاتهما.

وأنشد بعضهم في ذلك فقال: النار آخر دينار نطقت به * * والهم آخر هذا الدرهم الجاري والمرء بينهما - ما لم يكن ورعا - معذب القلب بين الهم والنار

(قوله: بلغت مائتي درهم) وذلك لقوله (ص): ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة.

والاوقية أربعون درهما بالنصوص المشهورة والاجماع.

قال البجيرمي: وقد حدث للناس عرف آخر، فجعلوها عبارة عن اثني عشر درهما، وعند الطيبي عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم، وبعضهم سمى هذه الاوقية: أوقية الطيبي.

اه.

وفي ش ق: وهي - أي المائتا درهم - ثمانية وعشرون ريالا ونصف تقريبا، هذا إن كان في كل ريال درهمان من النحاس، فإن كان فيه درهم فقط كانت خمسة وعشرين ريالا.

اه.

(قوله: بوزن مكة) أي لما تقدم تقريبا.

(قوله: وهو) أي الدرهم.

وعبارة التحفة: والمثقال لم يتغير جاهلية ولا إسلاما: ثنتان وسبعون حبة شعير متوسطة لم تقشر، وقطع من طرفيها ما دق وطال.." [1]

"خفية، فلذلك إذا اطلع عليه تقطع يده (قوله: لا حال كون المال مغصوبا) أفاد به أن مغصوبا حال مما قبله وهو ربع دينار، والمراد بالمال ربع الدينار، ولو عبر به لكان أنسب بما قبله (قوله: فلا يقطع سارقه) أي يد سارق المال

المغصوب.

(وقوله: من حرز الغاصب) متعلق بسارقه، ويعلم بالاولى عدم قطع يد سارقه من غير حرز الغاصب (قوله: وإن لم يعلم) أي السارق (قوله: لان مالكه الخ) علة لعدم قطع يد سارق المال المغصوب: أي لا يقطع لان مالك المال لم يرض بإحرازه في حرز الغاصب (قوله: أو حال كونه فيه) أفاد به أيضا أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال مما قبله أيضا وهو ربع دينار (قوله: فلا قطع الخ) مفرع على قوله أو حال كونه في مكان مغصوب.

(وقوله: أيضا) أي كما أنه لا يقطع فيما إذا كان المال المسروق مغصوبا (قوله: لان الغاصب الخ) علة لعدم قطع يد السارق من حرز مغصوب: أي وإنما لم تقطع يده لان الغاصب للموضع الذي أحرز فيه ماله ممنوع: أي شرعا من أن يحرز فيه ماله (قوله: بخلاف نحو مستأجر ومعار) أي بخلاف حرز مؤجر أو معار وسرق

---

(١) حاشية إعانة الطالبين، ٢/١٧١

منه فيقطع السارق منه لان المستأجر والمستعير مستحقان لمنافعه (قوله: ويختلف الحرز الخ) الانسب ذكره بعد قوله عرفا (قوله: باختلاس الاموال) إنما اختلف باختلافها لانه قد يكون الشئ حرزا في مال دون مال: أي فصحن الدار وصفتها حرز لخسيس آنية، وأما نفيسها فحرزه بيوت الدور وبيوت **الخانات** وبيوت الاسواق المنيعة وخزانة وصندوق حرز حلي ونقد ونحوهما نوم بنحو صحراء أو كمسد وشارع على متاع أو توسده حرز له ورأسه حرز لعمامته وجيبه حرز لما فيه وأصبعه حرز لخاتمه ورجله حرز لمداسه، وقوله والاحوال: أي ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فقد يكون الشئ حرزا في حال دون حال: فالدار المنفصلة عن العمارة حرز في حال ملاحظة قوي يقظان بها ولو مع فتح الباب أو نائم مع إغلاقه والمتصلة بالعمارة حرز بإغلاق الباب مع ملاحظ ولو نائما أو ضعيفا ومع غيبته زمن أمن نهارا لا مع فتحه ونومه ليلا أو نهارا ولا مع غيبته زمن خوف ولو نهارا أو زمن أمن ليلا أو والباب مفتوح فليست حرزا، (وقوله: والاوقات) أي ويختلف ذلك باختلاف الاوقات فقد يكون الشئ حرزا في وقت دون وقت بحسب صلاح أحوال الناس وفسادها وقوة السلطان وضعفه (قوله: فحرز الثوب) أي النفيس، وهو تفريع على اختلافه باختلاف الاموال، (وقوله: والنقد) أي ونحوه كاللؤلؤ (قوله: الصندوق المقفل) أي ونحوه من كل موضع حصين خزانة (قوله: والامتعة) أي وحرز الامتعة الدكاكين وقوله وثم حارس: قيد في كون الدكاكين حرزا للامتعة: أي ويشترط في كونها حرزا أن يكون عندها حارس يحرسها على العادة، وهذا بالنسبة لليل، أما بالنسبة إلى النهار فيكفي إرخاء نحو شبكة وشراع لان الجيران والمارة ينظرونها.

قال في الروض وشرحه: وإن ضم العطار أو البقال أو نحوهما الامتعة وربطها بحبل على باب الحانوت أو أرخى عليها شبكة أو خالف لو حين على باب حانوت فحرزه بذلك بالنهار، ولو نام فيه أو غاب عنه لان الجيران والمارة ينظرونها، ثم قال: والحانوت المغلق بلا حارس حرز لمتاع البقال في زمن الامن ولو ليلا لا لمتاع البزاز ليلا.

اه.

(قوله: ونوم بمسجد) مبتدأ خبره حرز له.

(وقوله: أو شارع) أي أو صحراء.

(وقوله: على متاع) متعلق بنوم.

(وقوله: ولو بتوسدة) أي نومه على المتاع حرز له، سواء كان مفترشا له أو متوسده، أي جاعلا له كالوسادة التي يوضع عليها الرأس عند النوم.

ومحل هذا فيما كان التوسد حرزا له، وإلا كأن توسد كيسا فيه نقد أو جوهر فلا يكون حرزا له (قوله: لا إن وضعه) أي لا إن كان النائم وضع المتاع بقربه، ومثل النائم الذاهل عنه، والاولى حذف لا وزيادة الواو، وعبارة الروض: وإن وضع متاعه بقربه في صحراء أو مسجد أو شارع وأعرض عنه كأن ولاه ظهره أو ذهل عنه شاغل أو نام فليس بمحرز.

اه.

(قوله: بلا ملاحظ) أي حارس، فإن كان هناك ملاحظ قوي ولا زحمة أو كثر الملاحظون ولو وجدت فهو حرز له فيقطع من سرقة.

(وقوله: يمنع) أي ذلك الملاحظ.

(وقوله: بقوة) أي يمنعه بسبب قوة، (وقوله: أو." (١)

"

أحدها أنه يجب لأنه أخرج من بيت مستقل بالإحراز

والثاني لا لأن إغلاق باب الدار لإكمال الحرز ولم يخرجه من كمال الحرز

الثالث أنه يجب فيما لا تجعل العرصة حرزا له كالدنانير والجواهر دون الفرش والأواني

أما **الخانات** فالإخراج من حرزها إلى عرصة الخان كالإخراج إلى عرصة الدار

أما السكة المنسدة الأسفل فإن كانت مملوكة كعرصة الخان فالنقل إليها من الدور سرقة إذ صحن الخان تلحظه الأعين وتوضع فيه الأمتعة بخلاف السكة

أما سكان السكة فالحجرة المقفلة حرز في حقهم والعرصة ليست بحرز في حقهم وهي حرز في حق غير السكان لأنها ملحوظة بالأعين نهارا وبابها مغلق ليلا وكذلك الضيف إذا سرق شيئا أو بعض الجيران إذا سرق من حانوت جاره حيث يحرز باللحاظ فلا قطع لأنه غير محرز فيه

". (٢)

"فصل : في بيان نصاب الذهب والفضة قوله : (قبل الإجماع) وأما بعد الإجماع فالدليل هو الإجماع لأنه قطعي قوله : (والذين يكنزون الذهب إلخ) وجه دلالة الآية على وجوب الزكاة أنه توعد على

---

(١) حاشية إعانة الطالبين، ٤/١٨١

(٢) الوسيط، ٦/٤٧٨

عدم الزكاة بالعذاب والوعيد على الشيء يقتضي النهي عنه ، فكأنه قال : لا تتركوا الزكاة ، والنهي عن الشيء أمر بضده ، فكأنه قال : أدوا الزكاة ، وهو أمر والأمر للوجوب .

قوله : (والكنز هو إلخ) يدل عليه قوله : ﴿ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ فإنه تفسير لما قبله قوله : (ما دق) أي ما كان دقيقا رفيعا قوله : (وفيما زاد) معطوف على قوله " وفيه " أي ويجب فيما زاد ربع عشره ، لكن الواجب فيما زاد بحسابه لا يتقيد بقدر معين ، فقوله " فبحسابه " متعلق بمحذوف والفاء داخلة في جواب شرط مقدر تقديره : فإذا وجب فيما زاد فالواجب بحساب الزائد .

واعلم أن الذي تحرر أن النصاب في البنادقة **والفنادقة** سبعة وعشرون من كل منهما إلا ثلثا ؛ لأن البندقي ثمانية عشر قيراطا والمثقال أربعة وعشرون قيراطا والقيراط ثلاث شعيرات ، فكل ثلاث مثاقيل أربعة بنادقة ؛ **والفندقلي** كالبندقي في الوزن ، لكنه أي **الفندقلي** ليس سالما من الغش والبندقي سالم من الغش .

وفي المحابيب خمسة وثلاثون محبوبا كاملة .

والدراهم المعروفة الآن كل عشرة منها سبعة مثاقيل فتكون الأواقي الخمس مائتي درهم .

وقد كان في السابق درهم يقال له البغلي وكان ثمانية دوانق ، ودرهم يقال له الطبري أربعة دوانق ؛ فالدراهم." (١)

"الأخيرة قبل أن يسلم إليهم الدينار ، لأن غاية الأمر أنهم يتصرفون فيما لهم بيد الغير ولا ضرر في ذلك .

قوله : (حتى يبلغ خالصه) وهو سبعة وعشرون **فندقليا** إلا ثلثا .

قوله : (وكان متطوعا بالنحاس) محله فيمن يتصرف لنفسه ، وإلا فيتعين على الولي إخراج الخالص حفظا للنحاس كما في شرح المنهج ، أي إن أمكن بلا سبك ، أو كانت مؤنته تنقص عن قيمة النحاس ، فإن لم يمكن إخراج الخالص إلا بسبك وكانت مؤنته قدر قيمة النحاس أو أكثر أخرج المغشوش م ر .

قال سم : ومحله أيضا أن لا يوجد خالص من غير المغشوش وإلا تعين ا هـ .

ولم يتكلم الشارح على حكم الخلطة بالفضة ، وانظره .." (٢)

"وتقدمت شروط المعقود عليه .

ولو باع بنقد مثلا وثم نقد غالب تعين لأن الظاهر إرادتهما له ، أو نقدان مثلا ولو صحيحا ومكسرا ولا

---

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب، ٦/٢٦٣

(٢) حاشية البجيرمي على الخطيب، ٦/٢٧١

غالب اشترط التعيين لفظا إن اختلفت قيمتهما ، فإن استوت لم يشترط تعيين

sقوله : (ولو باع بنقد) تفريع على العلم بالصفة الشاملة للجنس ، أي على اشتراط العلم بالصفة ؛ يعني يشترط العلم بالصفة إلا في هذه المسألة .

قوله : (مثلا) راجع لقوله " باع " .

قوله : (بنقد) كدينار ، فإنه يشمل المحبوب والجنزير **والفندقلي** .

قوله : (وثم نقد غالب) أي في مكان البيع ، قال في التحفة : سواء كان كل منهما من أهلها أي بلد البيع ويعلم نقودها أو لا على ما اقتضاه إطلاقهم ا هـ .

وفيه وقفة لمنافاته للتعليل الآتي ، ولأنه إذا جهل كل منهما نقود البلد كان الثمن مجهولا لهما والوجه عدم العمل بهذا الإطلاق ، شوبري .

وكلام الحلبي يوافق التحفة ، وهو أنه يتعين ولو مع جهلهما بہ .

قوله : (نقد غالب) أي نوع منه .

وعلم بقوله " غلب " أن هناك نقدا آخر أو أكثر ، إذ لا أغلبية مع الانفراد لأنه متعين قطعا ، وسواء اتحد النوعان جنسا أو نوعا أو اختلفا ق ل .

قوله : (تعين) أي الغالب وإن أبطله السلطان ، أو كان ناقصا ، أو نويا خلافه ق ل .

قوله (لأن الظاهر إلخ) انظر لو أرادا غيره ، والظاهر أنه لا أثر لمجرد الإرادة بل لا بد من تعيينه باللفظ ؛ شوبري .." (١)

"بما دون نصابين اشترك اثنان في إخراجه ، لأن كلا منهما لم يسرق نصابا ويقطع بثوب رث في جيبه تمام نصاب ، وإن جهله السارق ، لأنه أخرج نصابا من حرز بقصد السرقة ، والجهل بجنسه لا يؤثر كالجهل بصفته وبنصاب ظنه فلوسا لا يساويه لذلك ولا أثر لظنه ، والرابع أن يأخذه (من حرز مثله) فلا قطع بسرقة ما ليس محرزا لخبر أبي داود : ﴿ لا قطع في شيء من الماشية إلا فيما أواه المراح ﴾ ولأن الجناية تعظم بمخاطرة أخذه من الحرز فحكم بالقطع زجرا بخلاف ما إذا جرأه المالك ومكنه بتضييعه .

والإحراز يكون بلحاظ له بكسر اللام دائما ، أو حصانة موضعه مع لحاظ له ، والمحكم في الحرز العرف فإنه لم يحد في الشرع ولا اللغة فرجع فيه إلى العرف كالقبض والإحياء ولا شك أنه يختلف باختلاف الأموال والأحوال والأوقات فقد يكون الشيء حرزا في وقت دون وقت .

---

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب، ٣١٩/٧

بحسب صلاح أحوال الناس وفسادها وقوة السلطان وضعفه .
وضبطه الغزالي بما لا يعد صاحبه مضيعا له ؛ فعرصة دار ، وصفتها حرز خسيس آنية وثياب ، أما نفيسها فحرزه بيوت الدور والخانات والأسواق المنيعة ومخزن حرز حلي ونقد ونحوهما .
ونوم بنحو صحراء كمسجد وشارع على متاع ولو توسده حرز له .
ومحله في توسده فيما يعد التوسد حرزا له ، وإلا كان توسد كيسا فيه نقد ، أو جوهر ، فلا يكون حرزا له كما ذكره الماوردي ويقطع بنصاب انصب من وعاء بنقبه له ، وإن انصب شيئا فشيئا ، لأنه سرق نصابا من حرزه وبنصاب أخرجه دفعتين بأن." (١)

"منه بيان تفاوت أجزاء الدار ، في الحرزية بالنسبة لأنواع المحرز مع قطع النظر عن اعتبار الملاحظة مع الحصانة في الحرزية وعدم اعتبارها ا هـ .
قوله : (والخانات) أي وبيوت الخانات وهي الوكائل وبيوتها الحواصل والطبقات التي فيها ، وقوله : والأسواق أي وبيوت الأسواق وهي الدكاكين ولو فتح داره أو حانوته لبيع متاع فدخل شخص وسرق منه فإن دخل بغير إذنه ، أو به ليسرق قطع أو ليشتري فلا ولو أذن في دخول نحو داره ، لشراء قطع من دخل سارقا لا مشتريا ، وإن لم يأذن قطع كل داخل شرح م ر ومنه الحمام فمن دخله لغسل وسرق منه ، لم يقطع حيث لم يكن ثم ملاحظ ويختلف الاكتفاء فيه بالواحد والأكثر بالنظر إلى كثرة الزحمة وقلتها . ا هـ .

ع ش على م ر .
واعلم أنه إذا كان باب الدار مفتوحا وباب الغرفة أو القاعة مغلقا ودخل السارق فأخرج الشيء من داخل الغرفة مثلا إلى صحن الدار قطع بذلك وإن لم يأخذه ، لأنه أخرجه إلى محل الضياع بعد أن كان محرزا وأما إذا كان باب الغرفة مثلا مفتوحا كباب الدار ، وأخرجه السارق من داخل الغرفة إلى صحن البيت فلا قطع وكذا لو أخذه معه ، لأن المال غير محرز ، وأما إذا كان البابان مغلوقين ، أو باب الدار مغلوقا دون باب الغرفة ، فكذا لا قطع إذا أخرجه من داخل الحرز إلى صحن البيت لأنه لم يخرجه عن تمام الحرز فإن أخرجه إلى خارج الحرز قطع كما يعلم من المنهج .
قوله : (المنيعة) أي الحصينة أي للعادة المطردة بذلك ومن ثم لو دفن ماله بصحراء لم." (٢)

---

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب، ١٢/٢٥٨

(٢) حاشية البجيرمي على الخطيب، ١٢/٢٦٧

"يقطع سارقه .

ا هـ .

زي .

قوله : (ومخزن) بفتح الزاي كما قاله الشوبري وهو القياس لأنه اسم مكان وجوز غيره الكسر والمراد به المكان الذي يخزن فيه داخل محل آخر كخزانة وصندوق قرره شيخنا .

قال ح ل : ومقتضاه أن بيوت الدور **والخانات** لا تكون حرزا للنقد والحلي وفيه نظر ا هـ .

قوله : (ونوم بنحو صحراء) وكذا يقطع بأخذ عمامة النائم من على رأسه ومداسه من رجله إن عسر قلعها وكيس دراهم وكان بحيث لو أخذ منه انتبه .

ح ل : وكذا خاتمه الذي في أصبعه وكذا سوار المرأة وخلخالها إن عسر إخراجه منها بحيث يوقظ النائم غالبا أخذا مما ذكروه في الخاتم في الأصبع شرح م ر ملخصا ، قال ع ش : وقياس ذلك أنه لو كان ثقيل النوم بحيث لا ينتبه بالتحريك الشديد ونحوه لم يقطع سارق ما معه وما عليه ا هـ .

قوله : (كمسجد وشارع) أي ومكان غير مغصوب شرح م ر .

ومفهومه أنه لو نام في مكان مغصوب لا يكون ما معه محرزا به ويوجه بأن المسروق منه متعد بدخول المكان المذكور فلا يكون المكان حرزا له .

قوله : (ولو توسده) ما لم ينقله السارق عما توسده ، أو نام عليه ، وإلا فلا قطع ، لأنه أزال الحرز قبل السرقة بخلاف ما لو جره من تحته فإنه يقطع والفرق : أنه في الأولى أزال الحرز وفي الثانية هتك الحرز وعبارة زي وفارق قلب السارق نحو نقب الجدار بأن هتك الحرز بإزالة من أصله بخلاف نحو النقب ثم وأما قول الجويني ولو وجد جملا صاحبه نائم عليه فألقاه من عليه وأخذ الجمل قطع فقد خالفه." (١)

"قال في المحترز وخرج بنحو حنطة وذهب منكرا المشير إلى أن محل ذلك حيث كان في الذمة المعين كبعتك ملء أو بملء ذا الكوز من هذه الحنطة والذهب فيصح وإن جهل قدره لإحاطة التخمين برؤيته مع إمكان الأخذ قبل تلفه فلا غرر ا هـ قوله صح لإمكان إلخ أي سواء علم ملء البيت أم لا ا هـ شيخنا قوله لإمكان الأخذ إلخ أي ولأن البيع معين والمعين لا يشترط فيه معرفة القدر تحقيقا بل يكفي فيه التخمين ا هـ برماوي وقوله قبل تلفه أي البيت ا هـ ع ش قوله في غير هذا الكتاب عبارته في شرح البهجة نعم إن عين العوض كأن قال بعتك بملء أو ملء ذا البيت من هذه الحنطة صح كما أشعر به تنكير الرافعي

---

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب، ٢٦٨/١٢

الحنطة في مثال البطلان وصرح به في السلم ومثله الكوز فلو قال بعتك ملء ذا الكوز من هذه الصبرة فالأصح الصحة لإمكان الأخذ قبل تلفه فما نقل عنه من البطلان في بعتك ملء ذا البيت من هذه الصبرة خطأ منشؤه عدم التأمل ا هـ وعبارته في شرح الروض فإن عين الحنطة كأن قال بعتك ملء هذا البيت من هذه الحنطة صح كما صرح به في السلم تبعا للأصل ثم وللمجموع هنا وصوروه بالكوز فقالوا لو قال بعتك ملء هذا الكوز من هذه الحنطة صح على الأصح لإمكان الأخذ قبل تلفه فلا غرر واستشكله البارزي وغيره للجهل بقدر العوض انتهت ويجاب بما تقدم من أن الجهل بالقدر في المعين لا يضر بدليل صحة بيع الجزاف ا هـ قوله ولو باع بنقد أي بنوع من النقد وقوله وثم نقد أي صنف من هذا النوع كأن قال بعتك بدينار وفرضنا أنه يطلق على المحبوب والجنزيرلي والبندقي **والفندقلي** فيحمل على الغالب في المعاملة من هذه وقوله أو نقدان معطوف على نقد من قوله وثم نقد أي أو باع بنقد أي نوع من النقد وثم نقدان أي صنفان من هذا النوع الذي باع به وقوله ولا غالب محترزه ما قبله وهو قوله وثم نقد غالب ا هـ شيخنا وصورة المسألة أنه أطلق النقد وعبارة شرح م ر ولو باع بنقد دراهم أو دنانير وعين شيئا اتبع وإن عز فإن كان معدوما أصلا ولو." (١)

"داخلة فيه أيضا ا هـ ح ل قوله إلى حديثة الموصل سمي بذلك لأن نوحا لما وصل بسفينته إلى الجودي أدلى حجرا في حبل ليعلم به قدر ما بقي من الماء فوصل إلى الأرض في ذلك المحل ا هـ ق ل على المحلي قوله ومن أول القادسية سميت بذلك لأن إبراهيم ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ دعا لهما بالتقديس ا هـ ق ل على المحلي قوله بفتح الباء إلخ هذه اللغات الثلاثة إنما هي في التي بالتاء المرادة هنا وأما بصرى الشام التي بالألف فهي بضم الباء لا غير ا هـ شيخنا وعبارة ق ل على المحلي البصرة بتثليث الباء والفتح أفصح والنسبة إليها بصري بالفتح والكسر لا بالضم وتسمى قبة الإسلام وخزانة العرب وخزانة العلم بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل كان بها سبعة آلاف مسجد وعشرة آلاف نهر لكل نهر اسم مخصوص وبني بعدها الكوفة بسنتين على الأشهر في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه انتهت قوله إلا الفرات بالتاء الممدودة في الخط وصلا ووقفا ومن قاله بالهاء فقط أخطأ قاله الجلال فيما كتبه على صحيح مسلم ا هـ شوبري قوله أحياه المسلمون بعد أي بعد الفتح لأنه كان سبخة أي أحياه عثمان بن أبي العاص وعتبة بن غزوان في زمن عمر رضي الله عنهم سنة سبع عشرة بعد فتح العراق ا هـ شرح م ر وعبارة ق ل على المحلي قوله أحياه المسلمون وهو عثمان بن أبي العاص وعتبة بن غزوان ومن

---

(١) حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ٣٧١/٥

معهم في سنة سبع عشرة في زمن عمر رضي الله عنه وقوله بعد أي بعد فتح العراق انتهت قوله وتسميتهما أي الفرات ونهر الصراة والمراد بتسميتهما وصفهما بما ذكر فوصف الأول بقوله شرقي دجلتها والثاني بقوله غربيها ا هـ شيخنا قوله وأبنيته أي التي هي الدور والمساكن لا **الخانات** فإنها من الوقف قال شيخنا وكذا الأشجار فهي وقف لدخولها في وقف الأرض فيمتنع التصرف فيما كان موجودا منها حالة الوقف وكذا يقال في بناء **الخانات** ا هـ ق ل على المحلي وعبارة س ل قوله وأبنيته يجوز بيعها نعم إن كانت آلتها من أجزاء الأرض الموقوفة لم يجز." (١)

" يؤدونه كل عام وقيل بعضه صلحا وبعضه عنوة ، وقيل بالوقف قوله : (وهو من عبادان) ابتداء الغاية داخل في الكل وكذا انتهاؤها قوله : (وهو من عبادان إلى حديثة الموصل إلخ) هو بالفراسخ مائة وستون طولا وثمانون عرضا قوله : (أحياه المسلمون) ابتداء ذلك على يد عتبة بن غزوان ، وعثمان بن أبي العاص بعد فتح العراق ، وكان البناء في سنة سبع عشرة ولم يعبد بها صنم قط ، ثم هذا لا يختص بالبصرة بل كل موات كان في أرض العراق لا يدخل في هذا الحكم ، قوله : (الصحيح) موضع الخلاف الأبنية التي كانت موجودة حين وقفها عمر رضي الله عنه ، فأما الحادث فملك قطعا . نعم استثنى بعضهم من الأبنية التي كانت **الخانات** ونحوها مما يستغل فجعله وقفا ، كالأراضي والشجر ولو اتخذ من طين الأرض لبن وبني به فموقوف والشجر الذي غرس بعد ملكه ، ويجوز أن يبني من طينها المساجد والربط . قوله : (وأرضها المحياة) ينبغي أن يريد التي كانت محياة وقت الفتح ليكون للفاء معنى ، وإلا فالموات وقت الفتح ملك من أحياه بعده سواء فتحت عنوة أو صلحا . فصل يصح من كل مسلم مكلف إلخ لو دخل دارنا وزعم رسالة لم يجز قتله وكذا من قال أردت سماع القرآن أو طلب مالي الذي عندكم وسيأتي ذلك في الجزية . . قوله : (لمن هو معهم) هو مستدرك فغيرهم كذلك ، قوله : (في الأصح) خص الإمام الخلاف بتأمين غير من أسره وإلا فيبطل قطعا

". (٢)

-----

(١) حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ٢٤٦/١٠

(٢) حاشية عميرة، ٢٢٦/٤

"محمد بن عبد الله الحسني، والشيخ الوجيه محمد الحسني ابنه، والشيخ المسن الصوفي المشهور بالتقدم في الصناعة في زمانه محمد المعروف بالعقدة، والشيخ الحسيب عبد الله ابن الدليل، والشيخ المتقدم الحسن الذات، الكثير المواعين والأدوات، أبو الحسن العبادي، في آخرين، ومن أنبل أشباههم الشاب المهذب الفاضل أوحد العصر وأعجوبة الزمان في المعرفة والأحكام، أبو عبد الله الشماني رحم الله جميعهم بمنه.

الفنادق

وعدد **الفنادق** حسبما استفاض على ألسنة أهل البلد ثلاثمائة وستون **فندقا**، أعظمها بناء وأوسعها ساحة **الفندق** الكبير المعد لاختزان الزرع، وهذا **الفندق** من بناء محمد (أبي القاسم) العزفي ومن آثاره الغريبة بسبتة، يحتوي على اثنين وخمسين مخزنا ما بين هري وبيت، تسع تلك المخازن من قفزان الزرع الآلاف العديدة التي لا تبلغ الحصر، ومن ضخامته أن له بابين: باب إلى صحنه والآخر إلى الشوارع المحملة الدائرة بالطبقة الثانية لكون الأرض مرتفعة من تلك الجهة تدخل على البابين الجمال بأحمالها مع الارتفاع والاتساع الكبير، فإذا أبصر الرائي ما يدخل منها على الباب الأعلى." (١)

"ودورانها في تلك الشوارع بأقتابها وغرائر الزرع المحملة عليها هاله ذلك وتعجب منه. ويليه في الكبر من **الفنادق** المعدة لسكنى الناس من التجار وغيرهم **الفندق** المعروف **بفندق** غانم يشتمل على ثلاث طبقات وثمانين بيتا وتسع مصريات، وهو قديم البناء أظنه من بناء المرابطين، وبابه
مناسب لهيكلة. وأبدعها صنعة **فندق** الواهرني، جمع هذا **الفندق** صنائع الجص والنجارة، وعلى بابه عقاب غريب الشكل مفقود النظير وقد بالغنا في وصفه في (الأعلام) فأنظره هنالك، وجملة من هذه **الفنادق** مشتملة على العدد الكثير من سواري الرخام وأعمدته.

الأفران

وعدد الأفران فيما يذكر أيضا أهل سبتة ويدور على السنة الناس كثيرا ثلاثمائة وستون فرنا **كالفنادق**، وشماخة البلد وعظمته يقطع بصحة ذلك، أكبرها الفرن الذي بأعلى زقاق ابن يربوع وهو من بناء بني العزفي، متسع الساحة، كبير البيت، مع حسن البناء ونظافته.

---

(١) اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، محمد بن القاسم السبتي ص/٣٨

السقايات

وعدد السقايات خمس وعشرون سقاية، أبدعها صنعة ووضعا السقاية التي بطرف العطارين وأول سماط العدول." (١)

"بحر أبي السول بها عدة بيوت، وبوسطها صهريج كبير، وأبدعها صناعة وأحكمها بناء ميضأة المدرسة الجديدة تحتوي على بيوت ثمانية ومطهرة كبيرة وفي كل منها نقير من الرخام يصب فيها ميزاب من النحاس، وفرش الجميع ألواح منجورة من الصخر، وبوسطها صهريج مفروش بالزليج الملون، وقبتها مونقة ومن بعضها صنائعها نور البابونج يخاله الناظر إليه خلقة من إحكام الصناعة، ويجلب الماء إلى ذلك كله بالدواليب.

ديار الإشراف

وعدد ديار الإشراف أربعة، دار الإشراف على عمالة الديوان أمام فنادق تجار النصارى حيث." (٢)

"الرحبة العظمى، وفنادقهم سبعة، أربعة على صف واحد وثلاثة مفترقة، ودار الإشراف على سكة المسلمين بقصبة المدينة، ودار الإشراف على سد الأمتعة وحلها وهي المعروفة بالقاعة حيث تجار العطر، ودار الإشراف على البناء والنجارة وما يرجع إليها.

المطامير

وعدد المطامير المعدة لخزن الزرع أربعون ألفا مفترقة بالديار وببعض الحوانيت ما عدا مخازن الفندق الكبير المتقدم الذكر والأهراء التي بالقصبة، ويمكث الزرع في هذه المطامير الستين سنة والسبعين سنة ولا يلحقه تغير لطيب البقعة واعتدال الهواء وكونها جبلية، فسبتة في ذلك شبيهة بقاعدة طليطلة من بر الأندلس أعادهما الله للإسلام، وأحسنها ما كان في أعالي البلد كطالعة الميناء وفي أسناد الربى، الأولى منها ربوة ظهر الغدير حذاء سمع الطير، والسابعة جنة اليانشتي شرقي العرقوب، وهي سبعة من جهة الجنوب.." (٣)

---

(١) اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، محمد بن القاسم السبتي ص/٣٩

(٢) اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، محمد بن القاسم السبتي ص/٤١

(٣) اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني ال آثار، محمد بن القاسم السبتي ص/٤٢

"في لوح من الرخام الأبيض بازاء بابه الشرقي، وجرية نهر عنصر اللوز وهو من الأنهار المعدودة في أنهار القرية إلى جانب الجامع مما يلي قبلته، وعدد الحوانيت خمسة وعشرون حانوتا، ويذكر أنها كانت أكثر من هذا العدد والله أعلم، وعدد الأفران ستة عشر فرنا مفترقة في أزقة المنازل، وليس بها من **الفنادق** إلا **فندق** واحد بساحل القطارة خارج السور هناك، وإليه تنتهي جرية نهر أمزار المذكور، ثم يفترق ذات اليمين وذات الشمال، وبالقرية مصانع ملوكية وأبراج هائلة أبوابها مصفحة بالحديد، بها قبات وطيافر رخامية ومحنشات وصهاريج ومياه خلال ذلك تطرد، ومن أعظم ذلك وأهوله برج السويحلة المشهور الغريب الشكل والنظير، في أعلاه قصر يصعد الماء إليه بالحيل الهندسية حتى يعمه، ومسالكها وطرقها تحت أسوار وأبراج وأبواب، منها بجهة البحر أربعة أبواب، وللبر باب ومسلكان، أحد المسلكين بين الجبلين، والآخر على العين الحمراء لا بناء عليهما لمنعتهما.

والقرية في كثرة الفواكه الصيفية والخريفية واختلاف أصنافها وتعدد أرهاطها وأنواعها بحيث توسق منها الأجفان وتسافر إلى المغرب وبلاد الأندلس.

فمن الخريفية العنب انتهى إلى خمسة وستين بين رهط ونوع، التين انتهى إلى

ثمانية وعشرين نوعا، التفاح انتهى إلى خمسة عشر نوعا، الخوخ أنواعه ستة، السفرجل أنواعه." (١)

"أزهاره، ونثر درهمه وديناره، وحيا ورده وبهاره، وصافح آسه وجلناره، وأطاب تنآه وأخباره، وأمالت بنشأتها قدوده، وأخجلت بقبلتها خدوده، وحشدت جنوده، وحشرت بيضه وسوده، ونشرت ألويته وبنوده، وملأت تهائمه ونجوده، ونظمت جواهره وعقوده، وأعطت مواثيقه وعهوده:

محل كأن الشمس تخجل كلما ... نضت ثوبها عن معطفيه مغيبا

تنم رياح الخلد منه لأهله ... ويطفح تسنيم ويرشح طيبا

ثم جزنا بأعين التوت وهي في أمر مريج، وشهيق وعجيج، وزفير ونشيج، ولغط وضجيج، واضطراب والتواء، واعوجاج واستواء، وشكوى مما صنعته يد النوى، وما أثارته وأثرته شدة الهوى، (ولم نزل) نجد في السير ولا نرفق، حتى نزلنا تعالي النهار من يوم الأربعاء عشرين شهر رمضان بمنزلة خان **الفندق** على عين ماء بارد." (٢)

---

(١) اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، محمد بن القاسم السبتي ص/٥٣

(٢) المطالع البدرية في المنازل الرومية، الغزي، أبو البركات ص/٣٦

"ليلة الأحد سادس عشر الشهر سروة فوصلنا مدينة قونية ضحوة، والشمس قد اكتسبت بعد ضعفها قوة، وانجلت في حللها المذهبة أجمل جلوة، وارتقت من أوجها ذروة، وارتفعت عن مشرقها قدر غلوة، ومن متن برجها صهوة، وكست الأرض والجبال من رونق ضيائها أحسن كسوة، ومدينة قونية مدينة غراء وأرض خضراء، ذات تربة زكية، ونفحة ذكية، ورياض أنيقة،

وأشجار نضرة وريقة، ومحيا صبيح، وترتيب مليح، أسواقها مرضية، **وخاناتها** فضية، ومساجدها وضية، وعيشتها رضية، وزمانها ربيع، وجنابها رفيع، ونسيمها وان، وجنانها دان، وقاطنها بحبها عان، وليس لها في مزية الحسن بين البلاد القرمانية ثان، وبها مساجد متعددة، وعمارات متجددة، وجامع عتيق، ذو معهد أنيق، وبناء وثيق، ومقام رجل مشهور بالولاية يقال له ملا خنكار، يقام عنده وقت كل جمعة يضرب فيه بالدف والمزمار، ويحيط بها سور عظيم، ذو بناء قديم، به شخوص وأشباح، وجسوم تكاد تنطق لولا فقدها الأرواح، وعلى بعض أبوابها صورة إنسان، متصلة أقدامه ببعض حجارة البنيان، فهذا هو المنكر الذي لا نرضاه ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهي الآن سرة بلاد قرمان، وقد كانت تخت الملك في قديم الزمان، وقد انتشأ بها جماعة من الصوفية، ومن أئمة الفقهاء الشافعية والحنفية، ومنهم شيخ الإسلام فخر القضاة والحكام (القاضي علاء الدين وولده العلامة محب الدين وشيخ الصوفية الإمام صدر الدين أعاد الله تعالى من بركاتهم علينا وعلى المسلمين)، فنزلنا خارجها بمرج من تلك المروج، به ربيع تمور به الريح وتموج، وبعض غدران مياه." (١)

"وبسطا، وأجبناه بصلاتها من غير توان ولا إبطاء، وأسكودار بلدة لطيفة حسنة ظريفة فسيحة الأرجاء، صحيحة الهواء، ضوؤها صقيل، ومجتلاها جميل، ونسيمها أرج النشر عليل، يمتد أمامها بسيط أنضر، وبساط أخضر، قد أجرى الله فيه مذانب الماء تسقيه وتحتف بها بساتين ملتفة الأشجار يانعة الثمار، والبحر الأعظم القسطنطيني ينساب بين يديها، وينعطف عليها، ويحنو إليها، ويعنو خاضعا لديها، وبها مساجد وضية وعمارات فضية وأسواق حسنة **وخانات** مستحسنة، ومنها يركب في المعدية إلى المدينة العظمى القسطنطينية، فعدى الحمزاوي بالخزانة ومن معه من القوم بعد العصر من ذلك اليوم، واستخرت الله تعالى في الإقامة بها بقية اليوم، وهو يوم الأحد ثم من تلك الليلة إلى الغد، فنزلت بمن معي بعمارة هناك على الساحل، وأرحنا الأبدان والرواحل، فتلقانا خادمها بالتأهيل والترحيب، وأنزلنا في مكان بها متسع رحيب، فلما أسفر وجه الصباح وحيعل داعي الفلاح واستنار وجه المحجة بعدما كان بسواد الليل منتقبا،

---

(١) المطالع البدرية في المنازل الرومية، الغزي، أبو البركات ص/١٠٢

وابتهجت الأنفس بقدوم فجر كان مرتقبا، وتخلق الكون بردع الشمس، وحمد ظهورها في ذلك اليوم كما حمد

بالأمس، ورد علينا مشرف شريف، وكتاب عال منيف، من مولانا وسيدنا المقر الكريم الإمام العلامة شيخ المسلمين السيد عبد الرحيم، مضمونة الاعتذار عن عدم تلقيه بحمى شديدة بنافض تعتريه، وأنه هيأ لنا منزلا، ولكن ننزل في عمارة." (١)

"بجيحون، النهر العظيم الفاصل بين خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى وسمرقند، وكل ما كان من تلك الناحية فهو ما وراء النهر.

ثم أتينا على قرط كلال في ليلة النصف من شعبان، وفي مثل هذه الليلة يستدبر الإنسان القمر ويكشف رأسه، وينظر إلى ظل عنقه في ضوء القمر، فإن وجده مخلصا فإنه لا يموت في ذلك العام، وإن كان لاصقا بين جنبيه فإنه يموت فيه، ومثل ذلك ما يفعل وقت شروق الشمس عند حلولها برج الحمل، ونحو ما يروى أن من رأى السها ليلة المحرم بين العشاءين لم يمت في عامه، والسها ثابت في الخامس والسادس على العناق، وهو الثاني من البنات، ومن علامته أنه لا يثبت عليه البصر، كذا في برهان البراهمة. وعلى ذكر السها:

وحملت أعباء الغرام وثقله ... فرادا وحاربت الزمان وحيدا

ورعيت أنجمه فأكسبت السها ... سقمي وأكسب جفني التسهيدا

وقال:

يا شمالا هب من أكناف من ... وكل الطرف بأن يرعى السها

خبريني هل حبيبي ذاكر ... لي أم عما ألاقيه سها

وقال:

تالله ما فارقت أرضا لكم ... إلا ورافقت السهى والسهاد

ولا توجهت إلى نحوها ... إلا وواجهت الرشا والرشاد

وقرط كلال هذا واد فيه **خانات** متعددة، وأرضه معشبة جيدة وماؤها معين، ولها بادية تأتي إلى الركب بما يحتاج إليه.

ثم أتينا على ياباس فلم نزل نسير في أوعار، وأحجار وأنهار، حتى أشرفنا على بساتينها التي طابت بالأنفاس،

---

(١) المطالع البدرية في المنازل الرومية، الغزي، أبو البركات ص/١١٨

وشاهدنا محاسنها القائل لسان التصديق في جواب الاستفهام عنها لا باس:

لله كم نزهة يا صاح قد جمعت ... في روضة أزهرت تدعى بياباس

وكم بديع سبت عقلي شمائله ... ورحت من فرحي بالوهم في ياس." (١)

"البحر إلى طرابلس ومنها على الظهور إلى أفامية. فكان يوقع للغلمان بجراياتهم وقضيم دوابهم إلى أفامية على خمسة وعشرين فرسخا فيمضون ويقبضونها ويعودون بها. وبنى وأصحابه الحمامات **والخانات** والأسواق.

وعاد منجوتكين إلى منازلة حلب ومحاصرتها وفتح حصن إعزاز وملك سائر أعمال حلب وولى عليها وبنى حصنا مقابل حلب، وأنجد ملك الروم صاحب حلب

وكان قد استنجده وأرسل إليه ملكوثا السرياني، فقطع المسافة من بلاد البلغار إلى حلب وهي ثلاثمائة فرسخ في بضعة أيام. ولما أقبل الروم أحرق منجوتكين الخزائن والأسواق والأبنية التي كان استحدثها ورحل في الحال منهزما ووافى بسيل فنزل على باب حلب، وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤ ولقياه، ثم عاد ورحل في اليوم الثالث إلى دمشق وفتح حمص ونهب، ونزل على طرابلس فمنعت جانبها منه، فأقام نيفا وأربعين يوما فلما أيس منها عاد إلى الروم، وعاد منجوتكين غازيا إلى إنطاكية، ثم سار إلى حلب ورحل عنها إلى أنطرطوس، وقاتل الحصن أياما وسار عامل الروم إلى أنطرطوس ليدفع عنها، وأرسلت مصر أسطولا مؤلفا من أربعة وعشرين مركبا مشحونا بالرجال فكسر الأسطول بريح عاتية، وخرج رجال المراكب إلى البر، فانهزم منجوتكين وجميع عسكره وخرج المقيمون في أنطرطوس وأخذوا ما سلم من المراكب وأسروا من رجالهم خلقا.

الخوارج على الفاطميين واستنجاد أمراء المسلمين

بالروم:

ظن بعد انصراف ملك الروم عن الشام ورجوع الحمدانيين إلى حلب أن الدولة الفاطمية يطمئن بالها، وما كان يجول في الفكر أن ينقلب عليها أحد قوادها الذي كانت اصطفته ليدفع عن القطر ما يتهدده من الشر وأعني به منجوتكين. فقد عصى على خليفته وأراد أن يستنجد الروم فلم يلتفتوا إليه، فندب الخليفة العساكر من مصر لقتاله وقدموا أبا تميم بن جعفر عليها، وأمدوه من الأموال ما أسرفوا فيه، وسار أبو تميم

(١) رحلة الشتاء والصيف، محمد كبريت ص/١٩٦

من مصر، ورحل منجوتكين من الرملة بعد أن ملكها. والتقى الجيشان بعسقلان وتواقعا فأجلت الوقعة عن هزيمة منجوتكين وأصحابه، فأسر وحمل إلى." (١)

"فسيرته فيها سيرة عمرية، وأما إنشاؤه المدارس والجوامع وعمارة الطرق والجسور ودور المرضى والبائسين **والخانات** فمما لنم يسبق إليه، أقام الأبراج على الطرق بين المسلمين والفرنج جعل فيها من يحفظها ومعهم الطيور الهوادي أي الزاجل فإذا رأوا من العدو أحدا أرسلوا الطيور فأخذ الناس حذرهم واحتاطوا لأنفسهم، وبنى مكاتب للأيتام وأجرى عليها وعليهم وعلى معلميهم الجرايات الوافرة فصارت الشام بعد خلوها من العلم وأهله مقر العلم ومباءة الفقه.

هذه حال ملك القرون الوسطى وحسن بلائه في خدمة أمته وهو يقاتل الأعداء في الغرب والجنوب، وقد فتح نيفا وخمسين حصنا وأقام المعالم وهو مشتغل بحفظ

الأوطان، لم يدخل اليأس على نفسه ولم يخامره الشك بأن العاقبة المحمودة تكون له وللمسلمين، وأنه سيظهر على عدوه فيدفعه عن حماه. مع أن مدة ملكه في الشام لم تتجاوز أربعا وعشرين سنة. لا جرم أن ظهور بني زنكي نعمة أنعمت بها الأقدار على هذه الديار، فخرجت بها من انقسام الكلمة وتشتت الأهواء والآراء، ومن خيانة الملوك والأمراء، والاعتضاد بالمحاربين من الأعداء إلى تماسك وتعاضد، ومن ظلمة الجهل والغرور إلى ضياء العلم والنور، ومن سلب أموال الأمة إلى إمتاعها بالعدل الشامل والأمن الكامل. بسقت فروعها في أيسر زمن وأحرج العصور، فخطب الناس ودها في كل مكان وودوا لو كان لها الحكم عليهم، ورجا أولياؤها أن تطول أيامها لأنها لا تسوق الناس إلا إلى طرق فلاحهم وسعادتهم.." (٢)

"ومياهها الداخلة إليها وانقطعت عن أهلها الميرة وضجوا، بعث العادل إلى الظاهر يقول له: أنا أسلم إليك دمشق على أن تكون أنت السلطان وتكون دمشق لك لا للأفضل، فطمع الظاهر وأرسل إلى الأفضل يقول: أنت صاحب مصر فآثرني بدمشق. فقال: دمشق لي من أبي وإنما أخذت مني غصبا فلا أعطيها أحدا، فوقع الخلف بينهما ووقع التقاعد. وكان إلقاء الخلف بين الأخوين من جملة دهاء عمهما.

ودخلت سنة ٥٩٦ والأفضل والظاهر يحاصران دمشق، وقد أحرق جميع ما هو خارج باب الجابية من **الفنادق** والحوانيت، وأحرق النيرب وأبواب الطواحين،

وقطعت الأنهار وأحرقت غلة حرستا في بيادرها، وحفر على دمشق خندق من أرض اللوان إلى أرض يلدا

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢١٢/١

(٢) خطط الشام، محمد كرد علي ٤٣/٢

شرقا احترازا من مهاجمة من دمشق لهما، ولما تغير الظاهر على أخيه الأفضل ترك قتال العادل، فظهر الفشل في العسكر، فتأخر الأفضل والظاهر عن دمشق وأقاما بمرج الصفر، ثم سار الأفضل إلى مصر والظاهر إلى حلب، ولما تفرق خرج العادل من دمشق وسار في أثر الأفضل إلى مصر، وضرب مع الأفضل مصافا فانكسر الأفضل وانهزم إلى القاهرة، ونازلها العادل ثمانية أيام، فأجاب الأفضل إلى تسليمها، على أن يعوض عنها ميافارقين وخاني وسميساط، فأجابه العادل إلى ذلك ولم يف له به، ثم سار الأفضل إلى صرخد وأقام العادل بمصر على أنه أتابك الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان مدة يسيرة، ثم أزال العادل الملك المنصور، واستقل العادل في السلطنة، فقطع أولا خطبة ولد العزيز بعد أن جمع الفقهاء وقال هل يجوز ولاية الصغير على الكبير فقالوا: الصغير مولى عليه وقال: فهل يجوز لكبير أن يولي عليه وينوب عنه قالوا: لا لأن الولاية من الأصل إذا كانت غير صحيحة فكيف تصح النيابة. فقطع خطبة ابن العزيز وخطب لنفسه ولولده الكامل محمد من بعده، وكان ذلك على الحقيقة مبدأ سلطنة العادل الكبرى، فإن استئثاره بالخطبة والسكة في مصر سهل عليه فيما بعد ملك الشام وما إليها من ديار الشرق.

لما تم الأمر بمصر للعادل كاتب الظاهر صاحب حلب عمه الملك العادل عمه بالمعنيين شقيق أبيه وأبو امرأته وصالحه وخطب له بحلب وأقاليمها وضرب السكة باسمه، واشترط العادل على صاحب حلب أن يكون خمسمائة فارس من خيار." (١)

"عليها، وتم لهم ذلك بسبب تخريب الحصون القريبة منها تبنين وهونين وغيرهما. وبينا كانت الرسل تتردد بين الملك الكامل وبين الأنبرور رحل الناصر داود وهو بنابلس إلى دمشق وكان قد لحقه بالغور عمه الأشرف وعرفه ما أمر به عمه الكامل، وأنه لا يمكنه الخروج عن مرسومه فلم يلتفت الناصر إلى ذلك فسار الأشرف في أثره وحصره بدمشق، وكانت الفتنة بين الملكين الكامل والناصر قبالة باب الجديد وفي الميدان وما بين ذلك والنصر فيه لأهل دمشق، ووقع الحريق والنهب في باب توما، وأحرقت بعض الطواحين ونهبت الدور ووقع الجرح والقتل وخربوا بعد أيام قريات من قرى الغوطة وأخرجوا منها أهلها مثل جوبر وجدبا وزملكا وسقبا وغيرها. قال في الذيل: وسمعت والدي وجماعة من المشايخ الذين

شاهدوا الحصارات المتقدمة في دولة أولاد صلاح الدين يحكمون أنهم ما رأوا أشد من هذا الحصار. وفي هذا الحصار أحرق الناصر للتحصن مدرسة أسد الدين وخانقاه خاتون وما يليهما من الخانات والدور والبساتين والحمامات والخانقاهات.

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢/٧٣

طال الأمر ولم يجد الملك الكامل بدا من المهادنة فأجاب الأنبرور إلى تسليم القدس إليه، على أن تستمر أسواره خرابا ولا يعمرها الفرنج، ولا يتعرضوا إلى قبة الصخرة ولا إلى الجامع الأقصى، ويكون الحكم في الرساتيق إلى والي المسلمين ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا إلى القدس فقط، ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفا عليه وتسلم الأنبرور القدس فقامت القيامة في جميع بلاد الإسلام واشتدت العظائم، وأقيمت المآتم وقال الوعاظ والعلماء: يا خجلة ملوك المسلمين لمثل هذه الحادثة. قال ابن أبي شامة: جاءنا الخبر بأن الكامل أخلى البيت المقدس من المسلمين وسلمه إلى الفرنج فصالحهم على ذلك وعلى تسليم جملة من القرى فتسلموه ودخلوه مع ملكهم الأنبرور، وكان هذا من الوصمات التي دخلت على المسلمين، وكانت سببا في أن توغرت قلوب أهل دمشق على الكامل ومن معه وقد ذكر سبط ابن الجوزي نكتة في تساهل الغالبين والمغلوبين إذ ذاك قال ما نصه: كان الكامل قد تقدم إلى شمس الدين قاضي نابلس أن يأمر المؤذنين ما دام الأنبرور في القدس أن لا يصعدوا المنائر ولا يؤذنوا في الحرم، فأنسي القاضي أن يعلم المؤذنين وصعد عبد الكريم المؤذن في تلك الليلة في وقت السحر والأنبرور نازل في دار القاضي فجعل يقرأ الآيات التي تختص بالنصارى مثل." (١)

"توفي الأشرف ٦٣٥ وتملك دمشق بعده أخوه الصالح إسماعيل بعهد منه. قال أبو الفداء: وكان الأشرف مفرط السخاء يطلق الأموال الجليلة النفيسة، وكان ميمون النقيبة لم تنهزم له راية، وكان سعيدا ويتفق له أشياء خارقه للعقل. وعلل الأشرف سبب الوحشة بينه وبين أخيه الكامل ثم صاحب مصر أن الأشرف لم يبق بيده غير دمشق وعمالتها، وكانت لا تفي بما يحتاجه وما يبذله وقت قدوم أخيه الكامل إلى دمشق، ولما فتح الكامل آمد وما إليها لم يزده منها شيئا وبلغه أن الكامل يريد أن ينفرد بمصر والشام وينتزع دمشق منه فتغير بسبب ذلك، ولما بلغ الكامل في مصر وفاة أخيه الأشرف سار إلى دمشق وكان الصالح إسماعيل قد استعد للحصار ووصلت إليه نجدة الحلبيين وصاحب حمص، فنازل الكامل دمشق وأخرج الصالح النفاطين فأحرق العقيبة جميعها وما بها من خانات وأسواق، وفي مدة الحصار وصل من عند صاحب حمص رجالة يزيدون على خمسين رجلا نجدة للصالح إسماعيل، فظفر بهم الكامل فشنقهم بين البساتين عن آخرهم، وحال نزول الكامل على دمشق أرسل توقيعا للمظفر صاحب حماة بسلمية ثم سلم الصالح إسماعيل دمشق إلى الكامل وتعوض عنها بعلبك والبقاع مضافا إلى

بصرى. قال ابن أبي شامة في هذا الحصار: إنه كان أكثر خرابا في ظاهر البلد وحريقا ومصادرة وأقل غلاء

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢/٨٨

ولم تطل مدته فإن الصلح جرى، ووافق اليوم الذي كسرت فيه الفرنج على دمياط اليوم الذي فتحت فيه آمد.

وفاة الملك الكامل وحال الشام بعده:

توفي الكامل بدمشق هذه السنة ٦٣٥ بعد أن حكم في مصر نائبا وملكا نحو أربعين سنة، حكم نائبا نحو عشرين سنة وملكا نحو عشرين، وكان ملكا جليلا مهيبا حازما حسن التدبير أمنت الطرق في أيامه وكان يباشر تدبير المملكة بنفسه. قال ابن خلكان: كان سلطانا عظيم القدر جميل الذكر، محبا للعلماء متمسكا بالسنة النبوية حسن الاعتقاد، معاشرا لأرباب الفضائل، حازما في أموره، لا يضع الشيء إلا في موضعه من غير إسراف ولا إقتار. وكان يخطب له بمكة: مالك مكة وعبيدها، واليمن وزبيدها، ومصر وصعيدها، والشام وصناديدها الخ.." (١)

"مصر والخوارزمية، وساروا إلى دمشق وحاصروها وبها صاحبها الصالح إسماعيل وإبراهيم بن شيركوه صاحب حمص ولما ضاق صاحب دمشق ذرعا بحصار صاحب مصر له سير الصالح إسماعيل وزيره أمين الدولة إلى العراق مستشفعا بالخليفة ليصلح بينه وبين ابن أخيه فلم يجب الخليفة إلى ذلك. وتسلم عسكر الملك الصالح أيوب دمشق من الصالح إسماعيل بن الملك العادل على أن يستقر بيد الصالح إسماعيل بعلبك وبصرى والسواد وتستقر حمص وما هو مضاف إليها بيد صاحبها. ثم إن الخوارزمية خرجوا من طاعة الصالح أيوب فإنهم كانوا يعتقدون أنهم إذا كسروا الصالح إسماعيل وفتحوا دمشق يحصل لهم من الإقطاعات ما يرضي خاطرهم، فلما لم يحصل لهم ذلك خرجوا من طاعة الصالح أيوب وصاروا مع الصالح إسماعيل، وانضم إليهم الناصر داود صاحب الكرك وساروا إلى دمشق وحصروها فقاسى أهلها شدة عظيمة. قال الذهبي: واشتد البلاء بدمشق واحترقت العقيبة والخوانيق، ودام الحصار والويل خمسة أشهر، وهلك العوام موتا وجوعا، وقل الشيء بالبلد حتى بلغت غرارة القمح ألفا وستمائة درهم وأبيع الخبز كل أوقيتين بدرهم، وأكلوا الميتة وأبيعت الأملاك

والأمتعة بالشيء اليسير، وأبيع رطل اللحم بتسعة دراهم، وأنتن البلد بالموتى على الطرق، وعظم الخطب وأولئك يقاتلون على الملك، والخمور الفاحشة مضمنة بالبلد والمكوس شديدة. وقال غيره: وقطعت الخوارزمية على الناس والطرق وزحفوا إلى البلد من كل ناحية ورموا النيران في قصر حجاج وضربوا بالمناجيق

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٩٢/٢

وكان يوما عظيما، وبعث الصالح إسماعيل الزراقين فأحرقوا جوسق العادل وزقاق الرمان إلى العقيبة بأسرها، ونهبت أموال الناس واحترق بعضها. وزاد سبط ابن الجوزي: إنه أحرق قصر حجاج والشاغور واستولى الحريق على مساجد **وخانات** ودور عظيمة، ثم نصبت على دمشق المناجيق ورميت به من بابي الجابية والصغير، ونصبت مناجيق أيضا من داخل البلد، وترامى الفريقان وأمر بتخريب عمارة العقيبة خارج باب الفراديس وباب السلامة وباب الفرج وأحرق حكر السماق وخارج باب النصر. وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق والده العادل. قال المؤرخون: وجرى بدمشق أمور شنيعة بشعة جدا لم يتم عليها مثلها قط.." (١)

"ولو تمكنوا من دمشق لمحو آثارها وأنسوا أخبارها، وأن ملكها يومئذ صاهر صاحب قبرس ليتقوى به.

ولم يتعرض عسكر هولاكو إلى قتل ولا نهب وعصت قلعة دمشق عليه فحاصرها التتر، وجرى على أهل دمشق بسبب عصيان القلعة شدة عظيمة، ثم تسلموا القلعة بالأمان ونهبوا جميع ما فيها، وجدوا في خراب أسوار القلعة وإعدام ما بها من **الزردخانات** والآلات، ثم توجهوا إلى بعلبك ونازلوا قلعتها وأخذوا نابلس بالسيف وتسلموا قلعة عجلون واستولوا على قلاع الصلت وعجلون وصرخد وبصرى والصبيبة وهدموها ووقعوا على العرب عند زيزاء وحسبان فهزموهم، وغنموا
أولادهم ونساءهم وأنعامهم واستاقوا الجميع، وهرب سلطان تلك الأرجاء الناصر يوسف بن محمد إلى البراري فساقوا خلفه وأخذوه ثم قتلوه. واستولى التتر من أرض الفرنج على صيدا ونهبوها وأسروا منها ثلاثمائة أسير. وعاثوا في حوران ونابلس وبلغت غاراتهم غزوة وبيت جبريل والخليل والصلت وما إليها وجاءوا بالأسرى إلى دمشق فمنهم من افتدى نفسه ومنهم من هرب.
وظل التتر يتنقلون في الشام حتى فتحوه إلى غزة واستقرت شحائنهم فيه لأن الناصر صاحب دمشق لما بلغه أخذ حلب رحل من دمشق في عسكره إلى الديار المصرية وفي صحبته المنصور صاحب حماة، فلما رأى كبراء حماة تخلي ملكهم عنهم توجهوا إلى حلب ومعهم مفاتيح بلدهم وحملوها إلى هولاكو وطلبوا منه الأمان لأهل حماة وشحنة تكون عندهم فأمنهم هولاكو وأرسل إلى حماة شحنة رجلا أعجميا اسمه خسروشاه فقدم حماة وأمن الرعية. واستولى التتر ٦٥٨ على ميافارقين بعد أن حاصروها سنتين حتى فنيت أزوادهم وفني أهلها بالوباء والقتل فقتلوا صاحبها الكامل محمد بن المظفر ابن العادل أبي بكر بن أيوب

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢/٩٩

وحملوا رأسه على رمح وطافوا به في الأرجاء فمروا بحلب وحماة ودمشق بالمغاني والطبول وعلقوه في شبكة بسور باب الفراديس إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين.

قال الذهبي: إن نصارى دمشق شمخت أثناء مجيء هولاكو إلى البلاد ورفعوا الصليب في البلد وألزموا الناس بالقيام له من الحوانيت، ونقضوا العهد." (١)

"السلطان بما وقع من جبغا فأنكر ما وقع لأرغون شاه، ورسم لأمراء دمشق أن يحاربوا جبغا فخرج عليه عسكر دمشق قاطبة، وحاربوه وهو في طرابلس فانكسر وقبضوا عليه وشنقوه. وفي سنة ٧٥٤ قدمت على رواية ابن سباط مراكب الفرنج إلى صيدا فقتلوا طائفة من أهلها وأسروا جماعة وقتل منهم خلق كثير وكسر مركب من مراكبهم، فوصل الصريخ إلى دمشق، فاجتمعت العساكر من صفد ودمشق وأسرعوا إلى فك الأسرى، وأخذوا من ديوان

الأسرى ثلاثين ألفا وأعطوا عن كل رأس خمسمائة درهم.

وإن الخلل الذي طرأ على السلطنة بمصر بعد ذهاب عظماء السلاطين من أولاد قلاوون وسرعة قتلهم واستخلاف غيرهم من المماليك، قد سرى من شرارته شيء كثير في هذه الحقبة من الزمن، ومسألة اليحياوي مع أرغون شاه مثال منها. ومن أمثلة الخلل في تلك الدولة خروج بيبغا أروس نائب حلب عن الطاعة، وكذلك بكلمش نائب طرابلس، وأحمد نائب حماة، الطنبغا برقاق نائب صفد، ولم يبق على الطاعة إلا نائب دمشق أرغون الكاملي، فأرسل يخبر السلطان في مصر بما جرى من النواب، ثم اضطر نائب الشام إلى الهرب تحت الليل هو ومماليكه وتوجه إلى غزة، ليعلم السلطان والأمراء بما جرى، والتف على بيبغا أروس العربان والعشائر مع العساكر الحلبية والشامية وكان معه نحو ستين أميرا لما فتح دمشق واستعرض العساكر بها ثم أرسل إلى نائب قلعة دمشق يطلب منه إطلاق أمير كان مسجونا فيها فاعتذر عن ذلك إلا بمرسوم السلطان، وحصن القلعة تحصينا عظيما، وركب عليها المكاحل بالمدافع، وأرسل يقول لأهل المدينة: لا تفتحوا دكانا ولا سوقا ولا تبيعوا عسكر حلب شيئا، فلما بلغ بيبغا ذلك اشتد به الغضب، وأمر عسكره بأن ينهبوا ضياع دمشق والبساتين ويقطعوا الأشجار، فلما سمعوا هذه المناداة ما أبقوا مكنا من الأذى والفساد، فنهبوا حتى النساء والبنات والقماش، وجرى على أهل دمشق من بيبغا ما لم يجر عليهم

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٠٧/٢

من عسكر غازان لما دخل دمشق.

ثم إن سلطان مصر جهز عسكرا عظيما وجعل عليهم من أمراء **الطبلخانات**." [١]

"ولما استولى على ما وراء النهر وفاق الأقران تزوج بنات الملوك فزادوه في ألقابه كوركان وهو بلغة المغول الختن

وكان عهد تيمور كله عهد حروب وفظائع يقتل الناس بالألوف وعشرات الألوف، إذا لم يخضعوا لسلطانه في الحال قال السخاوي: وكان يقرب العلماء والسمراء والشجعان والأشراف وينزلهم منازلهم ولكن من خالف أمره أدنى مخالفة استباح دمه، فكانت هيبته لا تداني بهذا السبب، وما أخرب البلاد إلا بذلك، فإنه كان من أطاعه من أول وهلة أمن، ومن خالفه أدنى مخالفة وهى، أنجد تيمور أحد **الخانات** على اوروس خان ملك قسم من روسيا الجنوبية الشرقية ثم فتح خراسان وهرات وطوريس وقارص وتفليس وشيراز وأصفهان وكشغر ومازندران والعراق بأسره، وخرب حفيده محمد بولونيا وروسيا ودخل الهند فنازل مملكة المسلمين حتى غلب عليها وفتح أفغانستان وجلب من الهند إلى مملكته المهندسين والنقاشين. ثم حارب السلطان بايزيد العثماني ٨٠٥ وغلبه. وباستيلائه على إزمير اضطر إمبراطور القسطنطينية أن يؤدي إليه الجزية.

هذا الفاتح خرب عاصمتي الشام حلب ودمشق، وكم خرب من مدن عامرة في آسيا، وكان ملوك أوربا يخافونه وكثيرا ما أرسلوا الوفود لتهنئته بانتصاراته. هذا الرجل الجبار لم يحمل على الشام حملته المشئومة إلا بأسباب أوجدها النواب والأمراء والملوك على الأرجح، فقد كان ذكر ابن حجر في حوادث سنة ٧٩٨: أن اطلمش قريب تيمورلنك قبض عليه قرا يوسف التركماني صاحب تبريز وأرسله إلى الظاهر فاعتقله، فكانت هذه الفعلة أعظم الأسباب في حركة تيمورلنك إلى الديار الشامية. وقال في حوادث سنة ٧٩٩ وصلت كتب من تيمورلنك فعوقت رسله بالشام وأرسلت الكتب التي معهم إلى القاهرة ومضمونها التحريض على إرسال قريبه اطلمش الذي أسره قرا يوسف، فأمر السلطان اطلمش المذكور أن يكتب إلى قريبه كتابا يعرفه فيه ما هو عليه من الخير والإحسان بالديار المصرية، وأرسل ذلك السلطان مع أجوبته ومضمونها إذا أطلقت من عندك من

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٤٩/٢

جهتي أطلقت من عندي من جهتك والسلام.

فالقائمون بالأمر هم الذين فتحوا لتيمورلنك السبل للغزو فيما بعد،." (١)

"فبالغ في ذلك حتى إن بعض التجار كانوا يترحمون على تيمور وفرض على جميع الجهات مثليها، وتناول حتى **الخانات** والحمامات وأرباب المعايش حتى انقطعت الأسباب وتعطلت الأرزاق.

ونازل التركمان حلب ٨١٠ فحصرها علي بك بن خليل بن قراجا بن دلغادر ومعه عدة من أمراء التركمان وعدة من أمراء العرب ونازلوها أياما وقاتلهم العوام ومن بها، وكان بها يومئذ تمربغا المشطوب فدخلوا ولم يظفروا بطائل، وكان لعلي بك ولد محبوس بقلعة حلب فصانع أهل حلب أباه بإرساله مكرما فما أفاد ذلك وجد في الحصار ونازل المعجل بن نعير حماة وحاصرها ونهب علي

بك ومن معه القرى التي حول حلب وجدوا في الحصار، وبالغ أهلها بالذب عن أنفسهم واشتدوا للقتال وهان عليهم الأمر خشية على أموالهم وحريمهم بحيث أنهم كانوا كل يوم لا يرجعون إلا وقد أنكوا في التركمان نكاية كبيرة، وأوقع نوروز بالمعجل ومن معه من العرب على حماة وكسرهم.

وجرت في هذه السنة وقعة في وادي عقيبة من كروم بعلبك بين أنصار السلطان وبعض أمراء المماليك الفارين من القاهرة فكاثرهم نوروز وقتل منهم وحملت رؤوسهم إلى مصر. وتصافى شيخ ونوروز بعد الخلاف وتوجها بعسكرهما إلى أقليم ابن بشارة ونهبوه وهرب ابن بشارة. وقصد تمربغا المشطوب نائب حلب النزول على التركمان فبيتوه وكسروه ورجع منهزما، ونهب نوروز للعرب إبلا كثيرة فكبسوا عليها واستنقذوها وحاصر شاهين دويدار شيخ صهيون فغلب عليها فضربت البشائر بدمشق.

وجاء الأمير شيخ والأمير نوروز من غزة في عساكر كثيفة ٨١١ فلما سمع الناصر بذلك خرج هو والأمراء على الهجن فتلاقى العسكران على السعيدية وكان بينهما واقعة عظيمة فانكسر الناصر ورجع إلى القاهرة وهو مهزوم، فتبعه شيخ ونوروز ودخلا إلى القاهرة، ثم قوي حال الناصر على شيخ ونوروز فكسرهما فرجعا إلى الشام مهزومين، وقتل في هذه الحركة جماعة كثيرة من الأمراء والمماليك. وفيها تعين نوروز لنيابة الشام ثم تنحى عنها، وأرسل السلطان تقليدا إلى شيخ بنيابة الشام وتقليدا إلى دمرداش بنيابة حلب، ثم عين نوروز إلى القدس بطالا، ثم كتب إلى دمرداش نائب حلب بالحضور إلى مصر ورسم." (٢)

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٥٦/٢

(٢) خطط الشام، محمد كرد علي ١٨١/٢

"تولى دمشق سنة ٩٧٦ وعمر جامعا في السويقة المحروقة وهو صاحب خيرات وحسنات أيضا.

وأثنى المؤرخون على أحمد بن الأمير قانصوه الغزاوي الساعدي الذي تولى إمارة عجلون وما والاها من كور الكرك والشوبك بعد وفاة أبيه، وباشر الإمارة في هاتيك النواحي في زمن سلطنة مراد بن السلطان سليم وقالوا: إنه كان قليل الأذى للرعايا وهو من قوم لهم قدم في الإمارة في هاتيك الديار، كانوا في زمن الشراكسة أمراءها وكان من أجداده محمد بن ساعد أميرا في جبل عجلون. ومنهم درويش باشا نائب دمشق وصاحب الجامع المنسوب إليه وخان الحرير ٩٨٧ ومن ظلمتهم والي حلب حسين باشا المتوفي ٩٤٩ كان كثير القتل سفاكا للدماء على صورة قبيحة من تكسير الأطراف والإحراق بالنار والمحرق حي وغير ذلك، متناولا للرشى لا نفع له سوى مضرة اللصوص، ومن سفاكيهم العظام سنان باشا فاتح اليمن وصاحب الجامع المنسوب إليه بدمشق وقد ذكر ابن المقار جريدة مخلفاته التي أرسلت إلى الاستانة بعد موته فإذا هي تساوي بضعة ملايين من الدنانير. وقد قال مؤرخو الترك: إن الخيرات التي قام بها سنان باشا في ممالك مختلفة من جوامع ومدارس وتكايا وخانات تقدر نفقاتها بمليوني ليرة ذهب بسكة زماننا، وإن ما عمره من المعاهد والمباني الفخمة في الأقطار التي نزلها تناهز المائة. لا جرم أنه من العتاة الطغاة الذين يجيزون خراب الولايات ليعمروا جيوبهم وخزائنهم، وأعمالهم الخيرية قد تأتي بالعرض أو لحب الشهرة. وأقبح بصدقة أو عمل خير يكون أصل ما أنفق عليه من قتل الأنفس والمال الحرام.

حالة البلاد في الحكم العثماني:

حكم الشام في هذه الحقبة من الزمن أي مدة ٧٨ سنة أربعة من ملوك آل عثمان وهم سليم الأول وسليمان القانوني وسليم الثاني ومراد الثالث، وظلت روح الدولة في هذه الديار لم تتغير. ولئن جاء فيهم واضع القوانين المدعو بالقانوني السلطان سليم وطال عهده على ما لم يقع له مثال في تاريخ هذه الدولة، فإن الشام كانت حالة بعد الفتح العثماني تنتقل من سيئ إلى أسوأ، والوالي أو." (١)

"بالالتزام، فكان الوالي منهم كسائر الولاة يرضي الآستانة بمبلغ ويبقى له بعد كل إسراف مبلغ كبير، وهو المتحكم في الأفراد والجماعات. وقد صادرت الدولة سليمان باشا العظم لما توفي سنة ١١٥٦ وعذب المفوض بذلك أسرته على أبشع وجه، وكذلك ضبطت أموال ابن أخيه أسعد باشا وأخرجت الدفائن من قصره وكان بعضها مخبوءا في الأرض والجدران والأحواض وبيوت الخلاء وفعلت مثل ذلك بأتباعه ورجاله.

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢/٢٣٢

قال الشهابي: إن أسعد باشا العظم بنى أبنية عظيمة في دمشق وجمع مالا لا يحصى وسار بالحج مرات فأنعمت عليه الدولة العلية برتبة علامة الرضى وأمرت أن لا يشهر عليه سلاح ولا يقتل، ثم أرسلت إليه فقتلته في الحمام طمعا بكثرة أمواله وضبطت ماله وأملاكه وقال: إنه كان جليلا عاقلا حسن التدبير مولعا بالخيل الجياد حتى قيل: إنه كان عنده خمسمائة فرس من جياد الخيل لأجل ركوبه.

وذكر الدويهي أن السلطان محمودا أنعم على عبد الرحمن أفندي ١١٦٥ محصل حلب بالولاية فوجه في الحال متسلمه حسن اغا إلى طرابلس فأمن الخواطر ونادى بالأمان وصار الفلاح ينزل إلى طرابلس آمنا على نفسه وأرخص الأسعار ومهد الأمور التي كانت متبلبلة من ظلم بيت العظم، وكذلك فعلوا بإسماعيل باشا في دمشق وبأخيه سليمان باشا والي صيدا وبياسين بك بن إبراهيم باشا والي اللاذقية من قبل أبيه وأسعد بك بن إسماعيل باشا والي حماة وحسن بك أخي إسماعيل باشا حاكم المعرة هؤلاء جميعا سجنوهم وأخذوا أموالهم للسلطنة وولوا على صيدا أحمد باشا بن عثمان باشا أبو طوق اه. وقال فولنيه الرحالة الفرنسي: إن بني العظم كانوا من أحسن من جاء دمشق من الولاة.

وترجم ابن ميرو أسعد باشا العظم فقال: إنه لما وسدت إليه الدولة مالكانة حماة سار فيها سيرة حسنة وعمر بها **خانات** وحمامات وبساتين ودورا ليس لذلك كله في البلاد الشامية نظير، ثم ولي صيدا فاستعفى منها وطلب حماة منصبا بعد أن كانت مالكانة له ولعمه، فرفعت منه المالكانة ووجهت له منصبا ودخلها سنة أربع وخمسين ومائة وألف، وبذل الأموال إلى أن جعلها مالكانة له بعناية الوزير الكبير بكر باشا. وفي سنة ست وخمسين تولى دمشق وإمرة الحاج." (١)

"الخيل والحمير والكلاب، وهناك اضطر الجزار إلى التسليم وطلب الأمان عن يد ظاهر العمر وتسلم الأمير يوسف بيروت وغرم المسلمين ثلاثمائة ألف قرش وسلمها للسفن المسكوبية. قال أحد المؤرخين: ضرب الروس بيروت ونهبوها في القرن الثامن عشر وكانت فيها بيوت أمراء الجبل ومشايخه، وكانوا بنوا فيها **خانات** وقيساريات وكان الفرنسيون يدعونها باريز الموارنة الصغرى وكثير من الموارنة كانوا قناصل لفرنسا. ووقعت هذه السنة بين الشهابيين والحماديين في العاقورة والقلمون واقعة. وفي سنة ١١٨٦ أخذ سيد أحمد من والي دمشق حكم البقاع فتوجه إلى قب الياس وبنى ما كان هدم فيها من الزلازل وحصنها بالمدافع والرجال. وفي هذه السنة أحرق يوسف الشهابي بعض قرى الضنية لما بلغه من خيانة المشايخ بني رعد حكام الضنية مع المشايخ بني حمادة. وفي سنة ١١٨٧ حمل عثمان باشا والي دمشق في خمسة عشر

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢/ ٢٧٨

ألف جندي على الأمير يوسف الشهابي حاكم لبنان في جهات البقاع. وجرت عدة وقائع بين العسكرين وانهزم والي دمشق في الليل تاركا المدافع والذخائر ثم انفصل الفريقان على غير نتيجة.

عهد عبد الحميد الأول وتتمة أخبار أبي الذهب:

هلك أحمد الثالث ١١٨٧ وخلفه ابنه عبد الحميد الأول وفي أيامه استولى العجم على العراق ولم يبلغه الخبر إلا بعد خمس سنين، وهو السابع والعشرون من آل عثمان، مضت مدة على رحيل أبي الذهب من الشام وبقي ظاهر العمر بعد

اعتصامه بروسيا وكسرته والي دمشق غير مرة واتهام أبي الذهب بالخيانة أمام والي مصر ممتعا بولايته حتى سنة ١١٨٩، وفيها سافر أبو الذهب إلى الديار الشامية - رواية الجبرتي - لمحاربة ظاهر العمر واستخلاص ما بيده من الأقاليم، وكانت الدولة أذنت له بالمسير إلى ظاهر العمر وخراب أرضه، فوصل إلى أرجاء غزة وارتجت الديار لوروده، ولم يقف أحد في وجهه وتحصن أهل يافا بها وكذلك ظاهر العمر تحصن في عكا، فلما وصل إلى يافا ١١٨٨ حاصرها وضيق على أهلها وامتنعوا هم أيضا عليه وحاربوه من داخل وحاربهم من خارج، وألقى عليهم المدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليال،." (١)

"قال ابن آق بيق: وفي سنة ١٢١٧ شغلت دمشق بالظلم وإكرامية الباشا من البلاد واشتغل حسن آغا بالظلم في دمشق وإرهاق القرى بالطروحة والإكراميات وفرض الذخائر ومعاونة الجردة وغير ذلك من المظالم التي لم يسمع لها أثر في السابق قال: ولما خرج عبد الله باشا العظم من دمشق سنة ١٢١٨ قاصدا إلى طرابلس ليحارب أهلها، وضرب عسكره بعض القرى ونهبها وظلوا على هذا التخريب حتى بلغوا طرابلس فحاصرها وخرج أهلها هائمين على وجوههم ووقع القتال بين عسكره وعسكر المتسلم وقتل من الفريقين خلق. وكان أحمد باشا الجزار يرسل النجدات إلى عبد الله باشا العظم.

وقال أيضا: إن الجزار كان يطلب من الأغنياء أموالا يأخذها منهم بعد الحبس والضرب وبقي الطرح على جميع الأصناف وأغلقت الدكاكين بدمشق وبات الناس في كرب والعسكر يحيط بالبلد، والأكراد والشيخ طه الكردي وجنوده يعذبون الخلق أنواع العذاب حتى يقروا لهم بالأموال، والطرح على الخلق أشكال

وضروب من بن وتنباك وألاجه وحرير وشاشات وزنانير واستصفاء بيوت **وخانات** وبساتين وغير ذلك، وظهر في دار ابن عقيل وكيل الجزار بدمشق طمائر ذهب قدرت بنحو خمسمائة كيس. ولم يمن يمر يوم دون

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢/٢٩٤

أن يقبض على أربعة أو خمسة من أرباب الوجاهة والثروة يسجنون في سجن القلعة ويعذبهم أكراد الجزار بالكماشات والحديد والعصي إلى أن يشرف المعذبون على الموت ويشتط العمال في طلب المال من المصادرين ويطوفون بهم في المدينة، فيضطرون إلى بيع جميع ما يملكون ليكف عنهم، ووصلت الحال بالأغنياء إلى التسول، وكان قتل النفوس على الأكثر في سبيل أخذ المال مشروعا كان أو غير مشروع. فقد حدثت فتنة طفيفة بين ملتزم أموال بلاد بشارة، فأرسل الجزار على العصاة عسكرا قتلوا منهم ما ينيف على ثلاثمائة رجل وأسروا عدة، وأرسلوهم إلى عكا جعلوا على الأوتاد ثم أخذ الجزار أموالا جزيلة من السكان. ومن الحوادث في أيام عبد الله باشا العظم بدمشق أن القبو قول قصدوا إثارة فتنة ١٢١٤ فأغلق آغا القلعة بابها، وحاصره الباشا فاضطر إلى التسليم بعد مدة، فقتل آغا القلعة وهمدت الفتنة، ثم سار عبد الله باشا لمحاربة." (١)

"وهزموهم إلى مئذنة الشحم ثم ارتدوا عليهم وأخذوا طالع الفضة، ونهب الخلق تلك الجهة كلها، وراح الحرس مكسورين ثم عادوا وهزموا الوطنيين عند الشيخ عمود فنال الفريقان أحدهما من الآخر على غير طائل. ولم يقف شقاء دمشق عند حد التقاتل بين الجند بل أسرف الوالي كنج يوسف باشا ١٢٢٢ في ظلم الناس وأراد ستر ذنوبه فأرسل إلى الدولة ألف كيس من المال لإنعامها عليه بإمارة الحج وإيالة طرابلس مع ولاية دمشق وذهب إلى نابلس وقهر أهلها وجبى منهم أموالا عظيمة ثم ذهب إلى جبل النصيريين وقاتلهم وانتصر عليهم وسبى نساءهم وأولادهم، وكان خيرهم بين الدخول في مذهب أهل السنة والخروج من جبالهم فامتنعوا وحاربوا وخذلوا، وبيعت نساؤهم وأولادهم، فلما شاهدوا ذلك أظهروا التسنن فعفا عنهم وتركهم في
أرضهم بعد أن حاربهم شهرين ونهب قراهم، ثم رحل إلى طرابلس ليقبض على مصطفى بربر متسلمها، فتحصن هذا في القلعة فوقع القتال، وكان الحصار أحد عشر شهرا وطرابلس خلال هذه المدة خالية من سكانها وقد جمعوا في **الخانات** سلعهم ومتاعهم وماعونهم، ثم دخل يوسف باشا البلد وأطلق لعسكره الأكراد والأرناؤد وغيرهم النهب فلم يبقوا على شيء فيها وأنزل عسكره في الدور فخربوها بأخذ خشبها للدفء والوقود. وتوسط سليمان باشا والي صيدا عند الدولة فعفت عن مصطفى بربر وتسلم يوسف باشا القلعة. وكان مصطفى بربر من خدام الأمير حسن أخي الأمير بشير فتوصل بذكائه وشجاعته إلى المناصب العالية وحاز اعتبار الوزراء وخشية الرعية.

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٩/٣

مقتل سليم الثالث ومصطفى الرابع وتولي محمود

الثاني:

في غضون سنة ١٢٢١ خلع سليم الثالث بيد الإنكشارية وقتل لأنه أراد أن ينفذ خطة في إصلاح الإدارة على الرغم من حروبه مع روسيا والنمسا وغيرهما من دول الغرب، وينشئ عسكرا جديدا يستعيض به عن الإنكشارية وكان هذا السلطان واسع النظر لكن الدهر خانه فلم يقدر أن يطبق إصلاحه." (١)

"بحجة العمل في أراضيهم

لإخراج الحبوب للجيش. ولكن الغلات التي استغلوها لم يقدموا منها شيئا للدولة على الرغم من إلحاح القائد العام عليهم، فحفظوا حبوبهم في أهرائهم حتى شحت في الشام، ثم أخذوا يبيعونها بأثمان فاحشة ولولا ذلك لجاع أهل مدينة دمشق نفسها على قربها من حوران أنبار الشام العظيم. ولذلك كان جمال باسا يحرق الأرم عليهم، ولو خرجت دولته ظافرة لأرسلوا حملة على هذا الجبل تهلكه وتخربه. وأخرى وهي تعد في مآثر الدروز هذه النوبة، وهي أنهم آووا في جبلهم نحو عشرين ألف لاجئ من العرب والترك على اختلاف مذاهبهم، فرارا من الجندية أو غيرها، وأطعموهم مدة الحرب بلا عوض، ومنهم من كانوا يشغلونهم في أراضيهم مقابل إطعامهم فقط، فكانت مضافات الرؤساء منهم أشبه **بفنادق** ومطاعم عامة مجانية، خدامها أصحاب تلك البيوت من أعيان الجبل، فمثلوا بعملهم القرى العربي والمروءة والشهامة، وكفروا عن سيئات المسيئين منهم في الماضي، وكان جبل الدروز أقوى صلة بين جزيرة العرب والشام والعراق مدة الحرب ولا سيما بعد استقلال الحجاز، وعزم الحلفاء على فتح الشام باسم الأمير فيصل واسم أبيه، فكان مركز جبل حوران من الوسائط النافعة لأبناء الشام والحجاز معا، وفيه تألفت عصابات من الدروز لإلقاء الاضطراب في صفوف الجيش التركي، وظل أكثر زعماء الجبل على ولائهم للدولة العثمانية حتى أظلتهم الرايات العربية.

الوقائع المهمة في فلسطين وسقوط القدس وما إليها:

أخذ الجيش التركي في الجبهة ينضغط على نفسه وتتضاعف فيه مضاعفات النفوس من جوع وعري، ففي ٢٦ و٢٧ آذار ١٩١٧ حدثت معركة غزة الأولى بين الترك والإنكليز وفي ١٩ نيسان كانت معركة الرمادة،

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢٧/٣

وفي ٤ آب انهزم الأتراك للمرة الثانية في محاولتهم غزوة مصر في قطيا، وفي ٢٣ تشرين الأول و٧ تشرين الثاني اخترق البريطانيون خط العثمانيين بين بئر سبع وغزة، فتخلى الأتراك عن الابن وبئر السبع وكانت وقعة في أزقة غزة على أسلوب حرب المتاريس اشتركت فيها البحرية البريطانية بمدافعها من البحر، وكانت الغلبة." (١)

"وقد وعد المفوض السامي وفود المدن أربع بدرس مطالبهم وإنفاذ ما في وسعه ووسع حكومته إنفاذه، وأشار إلى أن الواجب عليهم أن ينظموا صفوفهم ويؤلفوا أحزابا تسير بعقل وروية لا يتخذها بعض أرباب الأغراض سلما لبلوغ غاياتهم. وقد عاد الجنرال سراي في خطاب له ألقاه في حمص أيار ١٩٢٥ خاطب به الأعيان بقوله: اعملوا على توحيد كلمتكم قبل اهتمامكم بالاستقلال فإن الاستقلال إنما يحصل عليه من اتحدت آراؤهم، إلى هذا أوجه نظركم، اتحدوا أولا فإن الباني إنما يباشر وضع الأساس قبل أن يهتم بالتوريق والدهان اه. وبالفعل تأسس في سورية حزبان حزب من جميع طبقات الشعب واسمه حزب الشعب وآخر يناصر الحكومة الحاضرة واسمه حزب الوحدة كما تألفت في لبنان أحزاب.

صاحب الوعد للصهيونيين ومطالب الفلسطينيين
والسوريين وكوائن:

وفي يوم ٢٥ آذار ١٩٢٥ ١ رمضان ١٣٤٣ جاء القدس لورد بلفور الوزير البريطاني صاحب الوعد للصهيونيين يجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود الذي صرح به في تشرين الثاني ١٩١٧ باسم بريطانيا العظمى، فاحتج المسلمون والنصارى فيها على مجيئه وأضربوا عن الأعمال إضرابا تاما، وكان مجيئه للاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية في بيت المقدس، وقد أرسلت برقيات الاحتجاج من أنحاء القطر على من فصل بعمله فلسطين عن أمها الشام، وجاء مساء يوم ٨ نيسان إلى دمشق فأظهر الدمشقيون نفرتهم منه ومن وعده، وأغلقت المدينة صباح الغد محتجة على وعده وبعد الظهر تجمع جمهور لا يقل عن خمسة آلاف في ساحة الشهداء أراد الدرك منعهم من التجمع بالتهديد والضرب فرشقه بعض الفتيان بالحجارة، فاضطر الدرك إلى استعمال السلاح في الهواء فجرح عشرون شخصا هلك منهم اثنان واضطرت الحكومة اللورد أن يخرج إلى بيروت فأركب البحر والبيروتيون يحتجون عليه كاحتجاج الدمشقيين، ولم يستطع أن يرى اللورد من دمشق غير جدران **الفندق**، ومن بيروت إلى الطريق إلى السفينة فقط.

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٣/١٤٤

وفي ٢٨ أيار ١٩٢٥ أنذرت بريطانيا العظمى الملك حسين بن علي أن يغادر العقبة خلال سبعة أسابيع – وكان جاءها بعد أن سقط الحجاز في أيدي جيش الملك عبد العزيز بن سعود ملك نجد – لتستلمها حكومة شرق الأردن." (١)

"العرب الرحل في أرجاء البتراء في الجنوب كان من المحظور عليهم أن يزرعوا الحنطة ويغرسوا الأشجار المثمرة ويبنوا البيوت إذا كانوا يعتبرون أن الاحتفاظ بهذه الخيرات يحتاج إلى أن يفادي المرء بحريته. وعرفنا أن الفينيقيين كانوا لا يعنون بالزراعة عنايتهم بالتجارة، فكانوا يجلبون من الداخل ومن السواحل القريبة منهم ما يلزمهم في غذائهم. حتى إذا جاء العرب وأبدوا ما أبدوا من حب التحضر كان قانونهم من أحيا أرضا مواتا فهي له واطرد ذلك منذ الفتح. واغتبط العرب بما وجدوه من الخصب في هذه الربوع بعد قحولة الحجاز وبواديه المحرقة فقال زياد بن حنظلة في فتح عمر مدينة إيليا من قصيدة:

وألقت إليه الشام أفلاذ بطنها ... وعيشا خصيبا ما تعد مآكله

حتى إذا تربعت أمية في دست الخلافة وأخذ آلهم ورجالهم يقتنون المزارع، ويبالغون في اتخاذ الغروس والزروع المثمرة المغلة، جعلوا القرى مستغلات لهم ونزازه، وعنوا بعمرانها، وتنافسوا في ذلك. فقد ذكر المنبجي أن هشام بن عبد الملك اتخذ المستغلات الكبيرة في أكثر المدن التي في سلطانه، **والخانات** والحوانيت والحجر والضياع والمزارع، وهو أول من اتخذ الضياع لنفسه من العرب، واشتق أنهارا كثيرة غزيرة، وهو الذي استخرج النهر الذي فوق الرقة، وغرس غرسا كثيرا بالجزيرة والشامات، فبلغت غلته أكثر من خراج مملكته.

ولطالما عني الخلفاء بأن لا تبقى أرض شاغرة لا تستغل، فقد أنزل معاوية قوما من الفرس في طرابلس، وكان الرشيد لما انتشر ذاك الطاعون الجارف في فلسطين على عهده وكان ربما أتى على جميع أهل البيت فتخرب أرضوهم وتعطل، قد وكل بهذه الأرضين من عمرها فكان يتألف الأكرة والمزارعين إليها فصارت ضياعا للخلافة.

وما زالت العناية بتعهد الأرض متوفرة حتى اغتنى العرب الذين استغلوا هذه الديار بذكائهم وبعد نظرهم. والعرب كما – قال أحد علماء الإفرنج – عمال زراعة ورجال براعة، برعوا في سقي الجنائن واخترعوا النواعير

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٩٥/٣

العجيبة بل ووطنوا النباتات والأشجار الإفريقية والآسيوية في أوربا كالنخل والبرتقال والتوت والقطن وقصب السكر والذرة والأرز والحنطة السوداء والزعفران والهندباء." (١)

"وفي الحديث: العالم كالحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء، فبينما هي كذلك إذ غار ماؤها، وقد انتفع بها قوم وبقي أقوام يتفكنون أي يتندمون. فالحمة هي ما يعرف اليوم بالحمامات المعدنية تكثر في أرض الشام البعيدة عن الساحل، وأهمها حمامات طبرية على شاطئ البحيرة، تنفع النساء في الأمراض التناسلية وتشفي الأوجاع الحادة المزمنة وأمراض الرثية والنقرس والبول السكري وأمراض أعضاء التناسل والمرة والسوداء والتهاب قصبة الرئة المزمن وبعض الأمراض الجلدية وغيرها. قال أبو القاسم في وصف حمة طبرية: وفيها عيون ملحة حارة وقد بنيت عليها حمامات فهي لا تحتاج إلى الوقود تجري ليلا ونهارا حارة وبقربها حمة يغتمس فيها الجرب اه. ويجري الماء إلى الحمامات من أربع عيون حارة وأهمها ما بناه إبراهيم باشا المصري وهو في الشمال ويعرف باسمه وهو عبارة عن حوض كبير تحيط به عمد قديمة من الرخام وعليه قبة عظمى، وهي مثقوبة بثقوب أسطوانية يخرج منها البخار ودرجة حرارة الماء ٦٢ بالميزان المئوي وهو صاف براق في الجملة ملح الطعم مر مهوع وتنبعث منه رائحة شديدة من حامض الكبريت أو رائحة بيض فاسد، وهذه الحمامات ملك الحكومة تؤجرها وموسم الاستحمام فيها من أول كانون الثاني إلى آخر حزيران.

ومنها الحمة حمة جدر في وادي اليرموك على الخط الحديدي عند الكيلو متر ٩٣ و٩٥ تنفع في أمراض الجلد وغيرها وهي مياه معدنية حارة تنبجس غزيرة وتجري إلى نهر الشريعة وهي ثلاث حمامات يبعد بعضها عن بعض بضع دقائق يدعى أحدها المقلى أو حمام سليم درجة حرارته ١١٩ والآخران حمام الجرب وحرارته ١٠٨، أو حمام الريح وحرارته ٨٢ بميزان فارنهيت وعندها آثار الحمامات الرومانية وبقربها ملعب عظيم وهو ملعب جدر المشهورة في الجاهلية

والإسلام قال أحد واصفيها: ولا أبالغ إذا قلت إ، معدل قاصديها في شهر نيسان لا يقل عن عشرين ألف ا يقيمون أياما تحت حر الشمس وهبوب الريح لا بيت يؤويهم ولا نزل يكنهم، فإن كان قاصدوها يبلغون هذا العدد وهي قفراء خربة في شهر واحد فكم يكون عددهم لو تهيأت لهم حمامات منتظمة وأبنية وفنادق وما به تستتب لهم الراحة فيه أأبالغ إذا قلت إنهم يزيدون على المائتي ألف؟.." (٢)

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٤٦/٤

(٢) خطط الشام، محمد كرد علي ١٦٥/٤

"هذه أهم حمات أو حمامات الشام المعدنية وأكثرها كما رأيت لا ينتفع بها الانتفاع المطلوب، وحالتها كما عرفت منذ القديم لا نظام فيها ولا أبنية للمستحمين حواليها. وقد عرف من تاريخ الرومان أنهم كانوا يعنون من وراء الغاية بالحمامات المعدنية، فكانوا يبنون عليها أبنية بحسب مصطلحهم، ولكن لم نر أن العرب في هذه الديار عنوا بشيء من هذا القبيل اللهم إلا إذا كان ضاع عنا خبره لقلة التدوين. ولو أنها وقعت العناية اليوم بحماتنا على النحو الذي ينتفع به بعض الأصقاع التي تنبجس فيها مياه معدنية من إقامة المستحمات والمنازل لنزول طلاب الاستحمام وتدبيرها تدبيرا جديدا مرفها صحيا لكان منها منافع كثيرة لأبناء السام ومورد أرباح لها تأتي من ألوف من الغرباء والقرباء يقصدونها للانتفاع بها ويصرفون في جوارها أياما وشهورا يجعلون عليها مقاصير للتغميز والتمسيد، وأخرى للتعريق، وغيرها للتبريد، وفن ادق فيها شروط المدنية الحديثة، وحدائق وغابات تغرس بالقرب منها تحسن المناخ وتجمل المناظر الطبيعية

نظرة في الفلاحة الشامية الحديثة

أقاليم الشام:

أولا: لا تقل حرارة غور الأردن عن مثلها في بعض الممالك العربية الحارة كالعراق ومصر. ففي إحدى السنين كان معدل الحرارة السنوي في طبرية ٧٠ – ٢١ درجة وهو لا ينقص عن ٥ – ٢١ درجة وقد يبلغ أكثر من ٢٢ درجة لا سيما في مناطق الغور الجنوبية. ولما كانوا يحسبون معدل الحرارة السنوي في القاهرة ٥ – ٢١ درجة وفي بغداد ٨ – ٢٢ درجة كانت حرارة الغور كافية لنمو كثير من الزروع والأشجار التي أغنت مصر وستغني العراق وأعظمها شأنا القطن. ويفضل إقليم الغور أقاليم مصر والعراق في أن أمطاره قلما ينقص ارتفاعها في السنة عن ٣٠٠ ميليمتر ولهذا يمكن زرع الحبوب الشتوية فيه عذيا، على حين لا يستطاع ذلك في مصر وفي معظم العراق لقلة الأمطار فيهما.." (١)

"من أشرف الأشجار التي تستعمل أخشابها في البناء يتخذ منها مصاريع الأبواب والدعائم والسفن ويستعان بها في كثير من الأمور.

ينشرون الخشب اليوم بمناشير ميكانيكية بالبخار أو بالكهرباء أو بالطرق القديمة فيعمدون إلى أيدي العملة في إحضارها، يصنعون منها مناضد وأصونة للثياب وإطارات ومقاعد وكراسي ومغاسل وصناديق وتوابيت ورحالا وألواحا لدرس الغلة وأعواد الطرب. وهذه الصناعة صناعة الأعواد قديمة جدا في دمشق ودخلت

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٤/١٦٧

حلب منذ نحو سبعين سنة. وقد اشتهرت دمشق بصناديقها التي كانت تعمل من خشب الجوز وتبقى القرون لا تتشقق ولا يسرع إليها البلى ولا تتآكل، وعليها من النقوش ما يدل على ذوق جميل، كما اشتهرت إلى اليوم بمصنوعاتها الخشبية. وفي حلب معملان للنجارة بأنواعها، وكذلك مدينة بيروت فغن معامل هاته المدن الثلاث كادت تستأثر بتجهيز الدور والقصور **والفنادق** ومنها ما لا تقل جودته عن أدق ما يعمل من نوعه في الغرب مع الرخص والجودة والمتانة.

وإن ما يسمى بالحلقات في القصور والقاعات القديمة دليل كاف على رقي فن النجارة. فإن القصر أو القاعة يبلغ طوله على الاعتدال ستة أمتار في مثلها عرضا وارتفاعه أيضا يتسامى إلى الستة أمتار، فجهاتها الأربع وسقفها مما يشهد

للمتقدمين من النجارين بسلامة الذوق وإتقان الصنع، ويباع منجور بعض هذه القصور إذا كانت سليمة من الأوربيين بأثمان باهظة، وهو عبارة عن أخشاب فقط. وصناعة الدهان المدهون به ذلك الخشب هو من أبرع الصناعات يشهد بذلك من له أقل إلمام أو ذوق من الناظرين في المحلات الخصوصية عدا ما كان من نوعه في المساجد وغيرها من المحال العامة وكله يشهد للمتقدمين من النجارين الشاميين بالبراعة والحذق. والنجارون في الشام اليوم من أشهر نجاري العالم باعتنائهم بصنعتهم، والنجار بطبيعته ينبغي له أن يكون ذكيا، لما يقتضي لصنعته من الإلمام بالهندسة والمساحة وضبط المقاييس والحساب وأن يكون على جانب من سلامة الذوق في الوضع والصنع. فالنجار الذي يخلو من هذه الصفات لا يحق له أن يصير نجارا. إن هذا النجار الشامي الموصوف آنفا يعمل بيده وتدل عليه آثاره في البناء الخشبي في دور دمشق وحلب وغيرهما." (١)

"الصياقلة في صنعها، وقد عرفت بصفاء مائها، واخضرار لونها، وإرهاف حدها، ولطف فرندها، وكانت تكتب عليها آيات وأشعار بماء الذهب، وكذلك على الخناجر والرماح، عرفها الصليبيون في القرون الوسطى ونسبوها إلى دمشق وغدوا يفاخرون بتقلدها ولا مفاخرة العرب بالسيوف اليمانية والرماح السمهرية. وصناعة تنزيل الذهب على السيوف والخناجر والمدى والبنادق كانت من أهم الصناعات الدمشقية ويحسب أربابها من أهل اليسار ويعدون اليوم على الأصابع ولا يسع المنصف إلا أن ينحني إعجابا أمام جمال هذه الصناعة. وقد نقل الفاتحون من العرب إلى الأندلس صناعة صقل السيوف وهي الصناعة التي نسبت إلى دمشق حتى اليوم فقيل لها بالإفرنجية أو أي تنزيل الذهب والفضة في الفولاذ وقد اشتق منه الفعل عندهم

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٤/ ٢٠٨

وكانت تعمل السيوف في زحلة والشوير ودومة من عمل لبنان وتعمل النبال الفائقة في عمتا من بلاد الغور. وكانت الدروع تسرد بيد الدارعين والخوذ والسابرية تصنع في دمشق خاصة. ويعمل من الحديد كل ما يلزم من الطبر
والخناجر والمرادن والمغازل والصنارات والأسياخ والعقافات والقيود والزرد والمباضع والمبازغ والمشارط والآنية، يطرق كل ذلك في كيرة الحدادين وسنداناتهم ويضرب بمطارقهم، وكانت وافية بالغرض.
ومن أهم أعمال صناعة النحاس في دمشق حلقة باب المدرسة الخضيرية في حي الخضيرية وكذلك الحلقتان اللتان على بابي المستشفى النوري. والأولى من القرن الثامن والحلقتان الأخريان من القرن السادس وهي آية الإبداع والمتانة وفي هذا البيمارستان أبواب من خشب من عصر صلاح الدين عليها مرايا المفاتيح على طرز الغرب إذ ذاك. وفي مستودع الجامع الأموي بقايا النحاس الذي كان على باب جيرون من أبواب الجامع تصور للمرء نموذجا من إتقان النحاسين والحدادين لصناعتهم في القديم. وفي بعض مدارس حلب حلقات قديمة من هذا القبيل تدل على مبلغ صناعها من الحذق وفيها أبواب من الحديد صنعت لبعض البيوت والمدارس القديمة آية الجمال الصناعي. ومن صناعة الحديد أمثلة كثيرة مثل أبواب بعض **خانات** دمشق كخان الحرير وخان أسعد باشا." (١)

"مركز تجارة شبه جزيرة العرب ومصر والشام، وإن العرب رقوا الصناعة البحرية ووضعوا قوانين لحقوق الملاحة واستعاروا بيت الإبرة من الصينيين، وضبطوا التجارة بفن مسك الدفاتر أي ضبط وشرحوا الكفالة وأنشئوا المصارف للفقراء ووضعوا السفاتج المألوفة وردود التمسك وبعثوا روح الحركة في مصارفنا الحديثة وكنت تراهم حيثما سكنوا مهدوا السبيل وأمنوها، وعمروا المرافئ والفرض، وأصلحوا وأنشئوا **الفنادق** والرباطات ورتبوا سير القوافل الاقتصادية ولم تكن المدن الكبرى غير أوساط تجارية كبرى.
وكان الفرات بن حيان أهدى الناس بالطرق وأعرفهم بها وكان يخرج مع عيرات قريش إلى الشام وله يقول حسان:

إذا هبطت حوران من رمل عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك

فإنك نلق في تطوافنا وانبعاثنا ... فرات بن حيان يكن وهن هالك

ويقول بيكولوتي: إن أربع موان: عكا وبيروت وطرابلس واللاذقية، وخمس مدن داخلية الرملة ودمشق وحماة وإنطاكية وحلب استفادت من التجارة مع اللاتين ولا سيما مع البيزيين والجنوبيين والطسقانيين والبنادقة

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٤/٢١٤

وكلهم إيطاليون وهذه الجمهوريات الأربع، بيزة وجنوة وطسقانة والبندقية التي كانت تقتسم إيطاليا هي أول من اتجر مع الشام من أمم الغرب وجاراهم بعض تجار من أهل بلجيكا وإنكلترا ثم عدلوا لبعد ديارهم. وكان لهؤلاء الطليان ولتجار أمالفي ومارسيليا مكاتب تجارة في الإسكندرية وفي المدن الساحلية والداخلية في الشام، يقايضون بواسطتها حاصلات الشرق مع حاصلات الغرب، ولما فتح الجنويون ثم البنادقة جزيرة قبرس زادت صلات الشام مع هذه الجزيرة التي هي على ٩٣ كيلومترا من ساحل الشام في طرف جون الإسكندرونة وتعد من الشام. وجعل ملوك فرنسا لهم تاجرا إسرائيليا يذهب كل سنة إلى الشرق يبتاع منه حاصلات آسيا. وكثيرا ما كان اليهود سفراء في المفاوضات مع أمراء آسيا.

وذكر ابن خرداذبة أن التجار اليهود الراذائية، وكانوا يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية الفرنسية والأندلسية الإسبانية أو البرتقالية والصقلبية السلافية يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى." (١)

"قال صالح بن يحيى: إن مراكب الإفرنج أخذت تتردد إلى بيروت بعد الحروب الصليبية بالمتاجر قليلا قليلا. وكانت مراكب البنادقة تحضر إلى قبرس فيرسل صاحب قبرس بضائعهم في شونتين كانتا له إلى بيروت نقلة بعد أخرى، وكان للقبارسة جماعة من التجار يسكنون فيها أي في بيروت، ولهم **خانات** وحمامات وكنائس ثم بطل ذلك.

وتكاثر حضور مراكب طوائف الإفرنج وكانت ضرائب الواردات والصادرات تؤخذ في بيروت، وهي تبلغ جملة مستكثرة، وكان على باب الميناء دواوين

وعامل وناظر ومشارف وشاد يوليهم نائب دمشق والمتوفر من المرتبات يحمل إلى دمشق. وذكر لامنس أنه في نحو سنة ١١٣٦م جاءت مراكب فرنسية عليها تجار إفرنسيون من مرسيليا ثم أخذت بعض مرافئ جنوبي فرنسا كمونبلية وارل تبعث سفنها، وبذلت جنوة جهدها لتبقى لها الأفضلية في التجارة مع الشام، وكانت عكا المرفأ الأعظم بين المواني وقاعدة التجارة ومركز القناصل العامليn، ثم مرافئ صور وطرابلس والسويدية التي كانت تسمى ميناء مارسمعان ثم بيروت. ومنذ القرن الخامس عشر تقدمت بيروت سائر مواني الشام، وكان تجار الإفرنج يستبضعون من ديارنا الحرير والقطن بكميات وافرة والكتان والخام والأنسجة الكتانية والحريرية، وكانت صور لا تزال تتجر بالأرجوان واشتهرت بآنيتها الصينية وزجاجها الفاخر، ويقبل الأوربيون على حرير إنطاكية وزجاجها، ويبتاعون السكر بالكميات الكبرى من صزر وطرابلس وغيرهما من

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٤/٢٤٢

مدن الساحل، إلى غير ذلك من ضروب الثمار والعقاقير والحشائش الطيبة والأفاويه العطرية، وكان البنادقة يجلبون من حلب مقادير عظيمة من القطن والشب والبهار، وخيرات الهند والعجم تتدفق إليها. ومبدأ اشتداد صلات الشام مع الغرب منذ الحروب الصليبية. وقد أخذ تجار الإفرنج أنفسهم بفضل صلاح الدين ثم أخلافه من بعده يغدون ويروحون في هذا القطر، والحرب ناشبة بين الفريقين لا يمس أحدهم بأذى، ولا يعتدي على حقوقه، حتى اضطر الصليبيون أن يعاملوا تجار العرب على هذه الصورة في الأرض التي بقيت في أيديهم إلى آخر مدة الحرب مثل صور وعكا وإنطاكية لا ينال التجار منهم كبير." (١)

"من العمائم والطرابيش والكوفيات الحرير وأكيسة وبرانس وقفاطين. وفي القرن الثامن عشر اقترح الفرنج أن تعمر ميناء اللاذقية مبينين للحكومة حسن مستقبلها، فلم يقبل المتصرف هذا الاقتراح وقال: ربما أكون غدا في جدة فلماذا أتخلى عن الموجود وأتطلب مستقبلا مجهولا.

وممن كان لهم اليد الطولى في تنشيط التجارة في هذه الديار فخر الدين المعني الثاني في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة. وكثيرا ما كانت مراكب الإفرنج تأتي لمشترى الحنطة إلى موانئ عكا وصور والرملة وطنطورة وربما بلغت السفن الصغيرة البرش اراسية في عكا نحو ١٥٠. ولقد توسع فخر الدين في الامتيازات الأجنبية فسمح للفرنسيين أن يبنوا خانا عظيما في صيدا، ولأهل فلورنسة أن يفتحوا قنصلية، فأصبحت صيدا وميناؤها أوائل القرن السابع عشر أهم موانئ الشام.

وفي عصر فخر الدين كان يحمل من دمشق إلى الديار المصرية عشرة قافات كما قال صاحب محاسن الشام: وهي قصب الذهب. قبع. قرضية. قرطاس. قوس. قبقاب. قراصيا. قمر الدين. قريشة. قنبريس. ونقل الغزي عن معجم التجارة العام المطبوع سنة ١٧٢٣ ١١٣٦ أن حلب لا تضاهيها بلد بتجارتها الذين يقصدونها من أقطار الدنيا، فإن **خاناتها** التي لا تقل عن أربعين خانا لا تزال غاصة بالهنود والفرس والترك والفرنج وغيرهم بحيث لا تقوم بكفايتهم. قال: ومن خصائصها التجارية وجود الحمام الذي يأتي تجارها بالأخبار من إسكندرونة بثلاث ساعات بسبب تربيته بحلب وحمله إلى إسكندرونة بأقفاص، فإذا طرأ خعلقت البطاقة في رقبة الطير وسرح، فيصير إلى حلب طالبا لفراخه.

وفي كتاب الشام على عهد محمد علي: ما زالت حلب ودمشق المركزين العظيمين للتجارة في الشام، وما برحت حيفا وبيروت وطرابلس وإنطاكية وإسكندرونة هي الموانئ التي يكثر اختلاف السفن الأوربية إليها، وهي المحطات الرئيسة لتجارة الشرق، فتأتي قوافل بغداد إلى دمشق وحلب حاملة

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٤/٢٤٥

من العجم التنباك والسجاد، ومن غيرها اللؤلؤ والأحجار الكريمة، ومن الهند الطيب والعقاقير والأفاويه، وفي عودتها تحمل جوخا وثيابا من." (١)

"على تنوع ضروبها والآلات الرافعة للماء وأدوات الزراعة الحديثة والجوخ.

وأهم ما يرد من النمسا صناديق الحديد والمقاعد والكراسي الخشبية المعروفة الخيزران والورق. ومن المجر الكبريت والفاصوليا. ومن روسيا **سخانات** بشاي الفاخرة السماورات منها الأبيض ومنها الأصفر، وخيطان الفضة المموهة وتدخل

في الصناعة الشامية لوشي الحرير، والبترول والطنافس والبسط الغاليا الثمن، والفراء الفاخرة والأحذية المطاطة. وأهم ما تصدر إلينا بلجيكة بلور المرايا وزجاج النوافذ وأسلحة الصيد والمسدسات وحديد البناء وحديد الصناعة ولوازم حافلات الكهرباء وآلات الزراعة. وثياب وأجواخ كثيرة والصودا والسلك والورق. ومن بولونيا الخشب والمسامير. ومن أسبانيا القمصان والجوارب والفلين والزئبق وبعض الأدهان. ومن سويسرا الساعات الذهبية والفضية للنساء والرجال والمطرزات الصيفية من الأكسية والدنتلا والشوكولاته والجبن وارلبن المعقم والزبدة وأدوات النسيج والأحذية. ومن هولاندة الجبن والغليسرين والسبيرتو والجعة والشمع والملبس دروبس والبسكوت والدهان والأواني الخزفية والحليب المعقم والكتب العربية الجيدة.

وأهم ما يردنا من السويد الكبريت والمقوى. ومن النروج زيت السمك والقطران وزيت النفط التربنتين. ومن الدانيمارك الحليب المعقم والسمك المقدد والمغموس بالزيت والجعة. ومن البرتقال سمك السردين. ومن التشيكو سلوفاكيا السكر والبلور والمالقي والجوخ العربي والجوخ العادي والأزرار والطرابيش والحرامات الصوف والأواني الزجاجية. ومن بلغاريا الجبن البلغاري ومن رومانيا الأخشاب وتعرف بالقطراني والشوح وقليل من البترول. ومن اليونان التبغ والزيوت والكونياك. ومن أميركا الشمالية والجنوبية آلات الخياطة والسيارات وما ينبغي لها والدراجات والمركبات والزيوت المعدنية والبترول والألكحول والبنزين والأحذية والقهوة والخشب المعروف بالأميركاني والساعات الأميركانية وآلات الهاتف والبرق والمطاط وأدوات الكتابة. ومن أوستراليا الدقيق الأسترالي وغير ذلك.

وأهم ما يرد علينا من اليابان والصين الخزف الصيني والياباني وهو أشكال متعددة والحصر المنقوشة والحرير الياباني والصيني والغزل والشاي الصيني." (٢)

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٤/ ٢٤٨

(٢) خطط الشام، محمد كرد علي ٤/ ٢٦٩

"الصابونية، أنشأها تاجر الخاص الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر المعروف بابي المزلق ميلاده سنة ٧٥٤ كان أبوه لبانا حكى عن نفسه أن أول سفرة سافرها في البحر كسب فيها مائة ألف دينار وثمانمائة ألف درهم وانفتحت عليه الدنيا وعمر أملاكا كثيرة وأنشأ على درب الشام إلى مصر **خانات** عظيمة بالقنيطرة وجسر بنات يعقوب وعيون التجار، أنفق على إعمارها ما يزيد على مائة ألف دينار، وكل هذه **الخانات** فيها الماء وجاءت في غاية الحسن ولم يسبقه أحد من الملوك والخلفاء إلى مثل ذلك،

وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الأوقاف الكثيرة.

ومن المدارس الحديثة بناء مدرسة الحقوق على شاطئ بردى في المرجة وهي من بناء الترك في آخر أيامهم وهي من أجزاء الجامعة السورية. ومدارس الدولة إلى اليوم تقوم على أنقاض البيوت القديمة أو الحديثة أو بقايا الجوامع والمدارس. وهمم الأفراد فاترة لسد هذه الثلمة. ومدارس الطوائف والتبسير تجعل في الكنائس والبيع على الأغلب. ومن أهم مدارس الحكومة مدرسة التجهيز والمعلمين وهي دار خاصة في شرقي المدينة كانت لغني إسرائيلي اسمه عنبر، فوقعت في تلك الحكومة العثمانية لدين كان لها على صاحبها وجعلت مدرسة إعدادية في سنة ١٣٠٤ شرقية، وفيها من ضروب الصناعات في البناء شيء كثير وقد خلفتها المدرسة التجهيزية غربي البلد على الشرف الأعلى وهي من أجمل أبنية دمشق على عهدها الحديث، أما سائر المدارس الحديثة فيستحي المرء من ذكرها إذا لا شأن لها وليس للآمة ولا للحكومة يد في إنشائها.

مدارس الطب بدمشق:

كان بدمشق أربع مدارس للطب وهي:

١٧٠ – الدخوارية بالصاعة العتيقة قرب الخضراء قبلي الجامع وفي رواية شرقي سوق المناخليين: إنشاء مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بالدخوار، وفي رواية: عبد المنعم بن علي المعروف بالدخوار سنة ٦٢١ جعلها مدرسة يدرس فيها من بعده صناعة الطب، ووقف لها ضياعا وعدة أماكن." [١]

"لصرف ريعها وفيها أن كتاب الوقف مؤرخ بمنتصف ذي القعدة الحرام سنة ٧٥٧.

٣٣٩ – الخاتونية تقع أمام المدرسة السقرقية، بنتها أرغون خاتون بالاشتراك مع زوجها ومعتقها عز الدين ايدمر الأشرفي والي طرابلس، وكان الفراغ من بنائها في سنة ٧٧٥ كما هو مذكور في كتاب الوقف المحفور

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٦/١٠٠

عند مدخل المدرسة المذكورة وفيها أسماء العقارات الموقوفة عليها وشروط الواقفة ريعها وإقام الصلات فيها.

٣٤٠ – مدرسة دبها بناها الشيخ عبد الله الديها الحلبي من أصحاب الطريقة النقشبندية قريبا من سوق الصاغة سنة ١٢٣٤ على ما زبر ذلك بابها، ووقف عليها أوقافا حسنة ودفن فيها وتقام فيها الصلوات.

وفي طرابلس مدارس وزوايا وخوانق أخرى لا يعلم اسم بانيها ولا زمن بنائها وبعضها مهجور مقفر وآخر متداع.

ومن مدارس الشام ٣١ مدرسة حصن الأكراد أنشأها والي هذه البليدة بكتمر من عبد الله الحر الأشرفي زاوية ومدرسة وبيمارستانا بأموال جسيمة على الصادي والغادي من أبناء السبيل وذلك في سنة ٧١٩.

ومنها ٣٤٢ رباط الخيل الرحمن أنشأها قلاوون سنة ٦٧٩ صاحب الآثار في دمشق والقدس والخليل وغيرها.

ومنها ٣٤٣ مدرسة غزة أنشأها للشافعية الأمير الكبير علم الدين الجاولي الذي سمع مسند الشافعي بالكرك دانيال، وعمل نيابة السلطنة في غزة وبنى بها مدرسة وجامعا حسنا، وله عمائر كثيرة وخانات توفي سنة ٧٤٥.

ومنها ٣٤٤ خانقاه النجمية في بعلبك، عمره نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين يوسف أيام ولايته عليها وخصه بالصوفية.

ومنها ٣٤٥ السيفية بمدينة الصلت لمنشئها الأمير سيف الدين بكتمر والي الولاية سنة ٧٤٢.

ومنها ٣٤٦ الزبدانية لواقفها محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حيدرة." [١]

"الترك وأزيل ما كان علق بقبتها ومسجدها وحجرها من الكلس والجبس وأعيدت إلى حالتها الأولى فظهر حسن هندستها وطرز بنائها الرومي، ومنارتاها شاهدتان بأنها من طرز بناء الجوامع في فروق، وكانت تتداعى منارتها الشرقية فنقضت وأعيدت كما كانت، واستولت إدارة الجامعة السورية على جزء منها في العهد الأخير جعلته مخابر لمدرسة الطب، ولها أوقاف قيل: أنها تبلغ نحو مائة ألف ليرة مسانهة. وهذه التكية من أجمل آثار العثمانيين هندسها معمار سنان أشهر مهندس في دولة الترك المتوفى ٩٦٦ ولم يحصل الانتفاع بها مع أنها في الغاية بناء وهندسة وأوقافا.

ومن التكايا التي عمرت أواخر القرن العاشر:

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٢٧/٦

٤٣٢ - تكية مولويخانة تكية الدراويش بالقرب من جامع تنكز، وهي في غاية الحسن عمرت سنة ٩٩٣ والمولوية هي طريقة الدراويش المنسوبين لجلال الدين الرومي، وكان مقرها في قونية وطريقتهم تمتاز بالرقص والتواجد والإنشاد وقد ألغى الكماليون طريقة المولوية من مملكتهم ولم يبق منها إلا بعض تكايا في الشام أكلت أوقافها ومن أهلها تكية حلب.

ومن الزوايا التي عمرت بعد صاحب الدارس على ما يظهر:

٤٣٣ - الزاوية الغزالية بالجامع الأموي شمالي مشهد عثمان، كان مدرسها سنة١٠٨٣ مصطفى المحاسني.

٤٣٤ - الزاوية المزلقية بطريق مقابر باب الصغير الآخذ إلى الصابونية لشمس الدين بن المزلق مولده سنة ٧٥٤ وكان من الأغنياء، عمر على درب الشام إلى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر بنات يعقوب وعيون التجار وغيرها، وأنفق

على عمارتها ما يزيد على مائة ألف دينار ولم يسبقه أحد إلى مثل ذلك، وهو صاحب المآثر بدرب الحجاز، وقف جميع أملاكه من القرى وغيرها، وجعل النظر في ذلك لمن كان حاجب الحجاب ولمن كان خطيبا بالجامع الأموي، ولم يمض قرن وبعض الثاني حتى لم يبق جاريا من مبراته سنة ١٠٨٣ المعينة في كتاب الوقف سوى شيء قليل. قاله المحاسني. والغالب أن اسم واقف هذه المدرسة محمد بن علي بن المزلق المتوفى سنة ٨٤٨ وهي عند مسجد الذبان. ومن الزوايا الحديثة:." (١)

"بيسان. وقد حفظت قطع الجمجمية التي وجدت في التابغة ويرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ. وأما مجموعة متحف عمان فأكثرها مما يرجع تاريخه إلى العهد الروماني والبيزنطي.

وبعد فقد عرفنا بما تقدم مقدار العناية التي بذلتها البعثات الأجنبية بآثار الشام غير الإسلامية وإعراضهم عن هذه الأخيرة. لا جرم أن معظم الآثار الإسلامية في القطر محفوظة في الجوامع والمساجد والمدارس تحت إشراف ديوان الأوقاف. ولذلك يتحاشى ما أمكن أن يثيروا عواطف عوام المسلمين حتى إن السلطات المنتدبة تركت لدوائر الأوقاف حرية التصرف بهذه الأماكن المقدسة. وقد اكتفت بأن تسدي إليها من حين إلى آخر النصائح لبذل العناية بهذه الآثار. لكن أكثر هذه الدوائر في شغل شاغل عنها. فكل يوم نسمع بضياع اثر أو تشويهه لا عن قصد منهم بل لأنهم لا يقدرون قيمة ما هو تحت أيديهم، حتى أصبحت أكثر هذه الأمكنة الأثرية في حالة يخشى عليها من الاندراس، وبذلك يفقد القطر هذه المفاخر التي تشهد بمدينة السلف العظيمة في أزهى العصور الشامية. فعسى أن تحذو الشام حذو شقيقتها مصر وتؤلف لجنة

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٣٩/٦

للآثار الإسلامية تعنى بجمعها وتتفقد شؤون البنية

منها.

وقد أنشأت الجمهورية الفرنسية في دمشق معهدا فرنسيا لدرس الآثار وخاصة منها الإسلامية على منوال المعهد الفرنسي في القاهرة. وقد سبق للبعثات الأجنبية أن أسست في القدس معاهد لدرس الآثار مثل المدرسة الأثرية الفرنسية، والمدرسة الأثرية الإنكليزية، والمدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية، ولهذه المعاهد فضل كبير بكشف غوامض تاريخ الشام القديم.

لم تدع السلطتان الفرنسية والإنكليزية في منطقتي سورية وفلسطين بابا إلا وطرقتاه لنشر الدعاية في الممالك الأجنبية عن آثار الشام ومكانتها. وقد تجلى ذلك في دعوتهم لمؤتمر الآثار الدولي الذي عقد في سورية وفلسطين في شهر نيسان سنة ١٩٢٦ فكانت نتائجه مرضية. وبفضل هذه الدعاية نرى عدد السياح بازدياد في كل سنة. ولا شك أن الشام إذا صرفت العناية **بفنادقها** وطرق مواصلاتها تصبح مقصد السياح من أهل الأرض، وتجني من ذلك فوائد مادية وأدبية لا تقدر.." (١)

"وهكذا يقال في الرقص والألعاب كلها فإنها أصبحت بين الطبقات المتعلمين إفرنجية محضة في بيروت **وفنادق** لبنان الكبرى. وقد ولع بعض النساء في بيوت الراقية على الطراز الحديث بالرقص والمخاصرة والمقامرة ولا سيما في بيروت، ولوعا لا تكاد تجد له مثيلا فيما بلغنا وعرفنا من أخبار الأقطار الغربية. فقد ترى

البيروتية ولا سيما من المسيحيات ترقص المتقدمة في السن منهن تجلس إلى منضدة القمار تقضي الساعات الطويلة، وقد يكون بناتها الفتيات واقفات ينتظرنها ليذهبن إلى النوم وهي مستغرقة. وكثير عدد النساء اللاتي فقدن صحتهن وشرفهن لشدة ولوعهن بالقمار والرقص، وإذا رأيت أزياءهن، حسبتهن أوربيات وزيادة إفراطه في التقليد، وغرتهن الظواهر من مدنية الغرب فاجتزان بها، وكانت المرأة المسيحية في جنوبي لبنان في القرن الماضي تتجنب وتتجافى عن غشيان مجالس الرجال من غير محارمها.

وفي أندية بيروت في الشتاء **والفنادق** الكبرى في جبل مدة الصيف نموذج من الحياة البيروتية التي أصبحت مزيجا غريبا من الأخرق والعادات، يبدو فيها التكلف والتصنيع، ويفقد منها الروح العربي، وليس المسلمون فيها على المستوى جيرانهم في النهوض الاجتماعي حتى ترسم لهم الآن صورة بعينهم. وقد أخذت بعض البيوت التي أخذت المدنية الحديثة لا تتكلم في بيوتها أو مجالسها واجتماعاتها إلا بالفرنسية وقليل منها

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٧٩/٦

بالإنكليزية، أو يمزجون لغتهم الأصلية باللغة التي تعلموها بعضها في المدارس، وأصبحت معظم عادات السكان إفرنجية مقتبسة منقولة لا أصلية.

وأنت إذا دخلت اليوم دار لبناني متعلم ممن كتب له السفر كثيرا، ورأيت العادات القديمة محفوظة يأخذك العجب، لأن اللبناني يحاول أن يقلد، ولطالما عولج في هذه السبيل حتى تنزع منه عاداته وتقاليده، ويلحق بالإفرنج في مناحية منازعه. ومن أبشع ضروب التقليد أنه أخذ بعد أن تعلم بعضهم في المدارس تعليما ناقصا أبتر يستعمل في سلامه وحديثة بعض ألفاظ إفرنجية، تساوي في ذلك البحري الجاهل والتاجر المتمول، فصارت أحاديثهم مزيجا." (١)

"في الذهاب إليهم حتى لا نشق عليهم بطول الانتظار، فنزلنا في الزوارق بعدما شكرنا للقبطان تيقظه في خدمتنا واهتمامه المزيد براحتنا مدة سفرنا في البحر، غير أنا كنا تركنا متاعنا في عهدة أتباعنا الذين كانوا لا يزالون في الباخرة ومعهم أحد ضباط الجندرمة الذي كان قد خصص بمساعدتهم في ما عسى أن تستدعيه حاجتهم ويقتضيه ترحالهم. وكانت المسافة من حين نزولنا من الباخرة إلى حين وصولنا إلى الرصيف لا تزيد عن عشر دقائق، مررنا في أثنائها على السفينة الحربية التي أسلفنا أنها للحكومة العثمانية، وقد أديت لنا من أهلها مراسم التجلة وإشارات التعظيم. وعندما حاذينا المرفأ تقدم إلينا في أول المتقدمين صاحب الدولة ناظم باشا الوالي فبادرنا بتحية القدوم وحييناه كذلك وشكرنا له معروفه وحسن عنايته. وبعد ذلك شرع يعرفنا بمن كانوا في انتظارنا مع دولته من علية القوم ويقدمهم لنا واحدا بعد آخر، ونحن نستقبل الكل بما يليق بمكانتهم من الاحترام. فكان من بينهم جناب قومندان الموقع العسكري، وبعض العلماء يتقدمهم حضرة قاضي المدينة ورئيس المجلس البلدي وبعض الرؤساء الروحيين، ثم كان مصطفا على الرصيف فرقة من الجند النظامي ومعها موسيقاها. وبعد أن تصافحنا وشكرنا لحضرات المحتفلين لطفهم وحفاوتهم، ركبنا مركبة دولة الوالي الخاصة التي قدمها إلينا دولته وكان هو صاحبنا فيها. وكان أمامنا إذ ذاك جنديان من السواري ووراءنا أربعة منهم أيضا، وخلف أولئك كانت مركبة عزيزنا أحمد بك العريس ومعه الياور محمود خيري أفندي ومركبات أخرى لبعض المستقبلين. وما زلنا نسير على هذه الهيئة الرسمية حتى وصلنا إلى **فندق** (أوربا). وكان الطريق من الرصيف إلى ذلك **الفندق** غاصا بالأهالي من طبقات عديدة. وقد كان سرنا جدا من هؤلاء المحتشدين ما كنا نلاحظه أثناء السير من حفاوتهم بمقدمنا وسرورهم الحقيقي

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٦/٢٩٧

القلبي الذي ما كنا لنرتاب فيه، وإنا لنرى البشر كان يتألق سناه على وجوههم جميعا، فكنت أحييهم كثيرا نظير ما كنت أجده بين حين وآخر من ترحيبهم وحسن وفادتهم.." (١)

"في الفندق

دخلنا الفندق، وكان ينتظرنا عند مدخله صاحبه ومديره ومندوب من قبل شركة كوك، وهؤلاء أرشدونا أولا إلى الحجرات التي خصصت لأجلنا هناك، حيث كنا أرسلنا قبل قيامنا من مصر إشارة برقية إلى صاحب هذا الفندق بإعداد الغرف اللازمة لنا فيه. وبعد ذلك دخلنا البهو ومعنا دولة الوالي الذي كان لا يزال مرافقا لنا، فجلسنا نتبادل من الحديث ما كان لا يتجاوز الترحيب منه بنا والشكر منا له. وما لبثنا إلا ريثما تناولنا القهوة مع دولته حتى وفد إلينا ثانية جميع الذين كانوا قد خرجوا لمقابلتنا في الباخرة وعلى رصيف الميناء، فاستقبلناهم بغاية الحفاوة شاكرين لهم تكرر الزيارة، معترفين لأصغرهم قبل أكبرهم بذلك الجميل العظيم والمعروف الكبير. ثم مكثنا طويلا نتحدث، وقد تناول حديثنا أطرافا عامة كان
منها أن سألونا عن المدة التي قدرناها لزيارة مدينتهم. وما كدت أن أخبرهم بأني سأبارحهم ثاني يوم قاصدا إلى مدينة دمشق حتى نهضوا جميعا مستغربين ذلك الخبر، وأخذوا يلتمسون منا بإلحاح شديد أن نطيل إقامتنا بينهم، وأن أقل ما يرجونه من المكث في ضيافتهم هو أربعة أيام. وإذ وجدت أن هذه المدة كبيرة لا تتفق هي وما كنت رسمته في خطتي من قبل، أسفت كثيرا لأني لم أستطع إجابتهم على وفق عرضهم، حيث كان الوقت ضيقا وكان السفر أمامنا طويلا. على أني وعدتهم بالإقامة في بلدهم يومين عند العودة، إن شاء الله، إجابة لملتمسهم. ثم استأذننا دولة الوالي في الانصراف، فرافقناه إلى أن ركب العربة شاكرين له ما أبداه لنا من العناية والاهتمام. وقد انصرف على أثره حضرات الزائرين أيضا مودعين منا بمزيد الشكر والثناء. كل هذا والخدم لم يزالوا متأخرين، وما ندري وقتئذ إذا كانوا في الطريق أم ما برحوا موجودين في الباخرة. وكان يهمنا حضورهم سريعا بالمتاع وفيما نحن ننتظرهم بفروغ الصبر إذ رأيناهم يصعدون على سلم الفندق وبينهم عبد أسود كان." (٢)

"يحمل وحده صندوقنا الكبير فعجبنا من قوة ذلك العبد لأن الصندوق كان قد وصل من الثقل إلى حيث لم يتصور أن يحمله واحد فقط ولذلك أعجبنا بهذا الأسود القوي إعجابا عظيما، وحينئذ مالت نفسنا أن نخاطبه ببعض كليمات ترتاح إليها نفسه ويأنس بها طبعه، على عادتنا مع كل شجاع نشيط حيث

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٢٩

(٢) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٣٠

إن لنا ميلا خاصا إلى الشجعان الأقوياء، فخاطبناه بما دل على ميلنا نحوه على أننا كافأناه وأجزناه فوق أجره بما شرح صدره وسر خاطره.

رد الزيارة

وقد كنا طوينا العزم على رد بعض الزيارات في هذا اليوم لمن كانوا قد خفوا لاستقبالنا وزيارتنا مرة بعد أخرى، ورأينا أن نبادر بذلك حتى لا يفوتنا أداء ما استحقه علينا أولئك القوم تلقاء ما لاقيناه من حفاوتهم وكرمهم وحتى نتفرغ

لمشاهدة ما يهمنا أن نطلع عليه في تلك المدينة إذ ليست مدة إقامتنا فيها إلا ساعات. لذلك أوعزنا إلى **الفندق** أن يشعر بعزمنا ہذا دولة الوالي الذي استحسنا أن نرد زيارته في دار الحكومة ودولة متصرف جبل لبنان الذي كان في هذا الحين مقيما في مدينة بيروت وجناب قومندان العسكر الشاهانية وقد رأينا أيضا أن نزور هذا الأخير في مقر سلطته، وإنما أشعرناهم بذلك لكي يستعدوا لمقابلتنا في المواضع التي تخيرنا زيارتهم فيها، ثم إني طلبت إلى بعض خدمي إحضار الملابس المعتادة في الزيارات الرسمية فلبستها وكنت قد استوفيت استعدادي كله لهذا الغرض في مسافة لا تزيد عن ربع الساعة.

نزلنا من **الفندق** وكنا نحسب أننا سنذهب على تلك المركبات العامة التي يستأجرها النزل لمعامليه في ضمن ما يلزمهم، ولكنا وجدنا جملة عربات خاصة قد أرسل بها إلينا بعض أعيان المدينة الكرام فركبت إحداها، وكان معي حضرة الفاضل أحمد بك العريس. وركب عربة ثانية البكباشي خيري أفندي وذلك الضابط الذي أسلفنا أنه مندوب الحكومة لخدمتنا. وكانت لنا الكفاية من هاتين العربتين. ولعل السبب في إرسال تلك العربات أنهم لم يجدوا من مركبات الإيجار ما كان يوافق." (١)

"ركابنا في حفلة حافلة، تشخص إليها أبصار المحتشدين على طول الطريق وعرضه. أما الموكب فكان رسميا منتظما، حيث كان يسير خلفنا وأمامنا بعض الجند السواري على الهيئة التي وصفناها حال حضورنا من الميناء حتى **الفندق**. وكان طريق مرورنا من وسط شوارع المدينة التي كانت غاصة من الجانبين بالأهالي على اختلاف أعمارهم وتفاوت أقدارهم. وكان سروري يتجدد كلما كنت أرى أولئك الناس متشبثين بالعوائد الشرقية ومتمسكين بالملابس القديمة والأزياء الفطرية. ثم كنت أشاهد كثيرا من العامة يتخذون مجالسهم من المحال العمومية كالقهاوي والحوانيت التجارية ويتعاطون من المكيفات المباحة ما جرت به

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٣١

عوائد
معظم الناس في جميع الجهات تقريبا. فمنهم من كان يدخن بالأنابيب التي تصنع عادة من أغصان الياسمين وتتحلى مباسمها غالبا بالكارم الأصفر الجميل، وهي عين ما كان يستعمله المصريون للتدخين من عهد غير بعيد، ويسمى في متعارف أصحاب الكيوف بالشبك. ومنهم من كان يدخن بالنارجيل على نحو ما يشاهد في القهاوي في مصر غير أن استعمال هذا النوع في بلاد الشام أكثر منه في البلاد المصرية. وبعضهم كان يتعاطى القهوة وآخر يشرب الشاي إلى غير ذلك مما يشبه أن يكون نسخة طبق الأصل من عوائد المصريين في بلادهم. ولهذه المناسبة نذكر هنا كلمة عن الأخلاق مما تعرفناه في تلك الرحلة، لعل القارئ يدرك منها نسبة ما بين العناصر الشرقية بعضها إلى بعض على ما بينها من تباعد المواطن وشتات الأماكن وتباين الأسباب والعلل واختلاف الملل والنحل، ثم نعود فنذهب في طريقنا إن شاء الله.

استطراد في الطريق إلى بحث أخلاقي
إن ما صادفناه من عوائد أولئك الشاميين في محافلهم ومجالسهم ليس في الغالب مما يختص بالشاميين دون سواهم، بل هو يكاد يكون عاما يشاهده الإنسان في جهات كثيرة ويعرفه في عوائد أكثر الآدميين الشهيرة. غير أن الناقد الذي يتبين فاضل الأشياء من مفضولها، ويميز أجناسها من فصولها ويرجع بفروعها إلى أصولها، عندما يعنى بالتنسيب ويقايس بين أخلاق أهل الشام وبين أخلاق أهل مصر لا يجد." (١)

"فاستغربت جدا أن أرى في هذه المكان صورة إمبراطور ألمانيا ولا أرى صورة ملك البلاد وسلطانها. وليس موضع الغرابة من هذا إلا أن القوم مسلمون من حكومة سلطانها مسلم، وهم مع ذلك يحتفلون بصورة غير سلطانهم ويعلقونها على جدار ذلك القشلاق، فلم يسعني حينئذ غير أن أسأل جناب القومندان لماذا وجدت هنا هذه الصورة دون صورة السلطان. فقال إن جلالة الإمبراطور، حينما ساح سياحته في البلاد الشامية وجاء إلى بيروت، تخير منزله في تلك الثكنة حيث أعد له مكان خاص أقام فيه مدة وجوده في هذه المدينة. وقد منح جلالته المكان هذه الصورة لتكون تذكارا له في ذلك القشقلاق. هذا وأقول لعل جلالة الإمبراطور قد راق لعينيه ضخامة المحل وفخامة شأنه فلم يشأ أن يبارحه بذاته ويفارقه بجسمه حتى يحل فيه بصورته ورسمه. ثم بارحنا جناب القومندان بعد أن ودعنا منه ومن رجاله بمثل ما قوبلنا به حيث قصدنا إلى **الفندق**. وقد كان جاء ميعاد الغداء الذي ما كدنا نستريح بعده حتى وفد إلينا جمهور كبير من

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٣٢

المسافرين بقصد زيارتنا.

حديث مع بعض التلاميذ

وكان بين أولئك الوافدين بعض طلبة المصريين في كلية الأمريكان ومدرسة اليسوعيين، فاستقبلناهم بما يليق بهم من الحفاوة والإكرام. وقد مكثوا في مجلسنا زمنا غير قليل كان حديثنا في أثنائه يدور غالبا على نظام التدريس والتعليم في المدارس والكليات النظامية، وكنت أشجعهم على طلب العلم، وأحثهم على المثابرة والجد في تحصيل الواجبات المدرسية على شريطة أن يقرنوا خطاهم في سبيل تلك الغاية الشريفة بالنية الصحيحة والفكرة الصالحة. وهنا قلت لهم: إن طلب العلم، وإن كان في حد ذاته، هو أسنى مطالب الإنسان وأسمى رغائبه في تلك الحياة بل العلم هو وحده الأساس الذي لا اعتماد للسعادة إلا عليه والأصل الذي لا

استناد للفضيلة إلا إليه. غير أنه لما كانت منافعه متعددة وفوائده متفاوتة كانت نوايا الناس إليه مختلفة ومقاصدهم نحوه متباينة. فمن فريق يطمح إلى تحصيل الأعراض الزائلة والأغراض السافلة، ومن فريق آخر يطمع في تكميل عقله وتثقيف فكره إلى." (١)

"على عدة مذاهب. وهو صاحب مجلة الجوائب المعروفة، وله غيرها كثير من التآليف النافعة، منها: الجاسوس على القاموس في فن اللغة، وكتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق، وهو كتاب جميل ضخم في علم الأدب. ثم قصدنا إلى **الفندق** من داخل البلد حيث كنا في وقت الغروب، وعلى ذلك انقضت سحابة اليوم. وفي صبيحة اليوم الثاني جاء إلينا جماعة من أهل بيروت ومعهم خيل اختاروها بقصد أن يطلعونا عليها على أمل أن نبتاعها منهم، حيث كانوا قد سمعوا من قبل بميلي إلى اقتناء جياد الخيل. وقد كنت أود أن أجد منها ما يعجبني فأشتريه، ولكنها مع مزيد الأسف كانت عادية لا تمتاز عن غيرها بحال، فضلا عن كونها مجهولة الأصل.

ولذلك لم يرق في نظري شيء منها، على خلاف ما كنت أحسب.

وكان علي بعض زيارات لعلية القوم في المدينة، فأرسلت أحد الحاشية وأرسلت معه جملة من بطاقات الزيارة لينوب عني في ذلك، إذ كان لا يمكنني أن أؤدي هذا الواجب. وقد حضر لزيارتنا في **الفندق** حينذاك عدد جم من أهل الشام، وكان من بينهم جملة من حضرات الرؤساء الروحيين. ثم حضر أيضا أحد

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٣٧

أصحابنا (البلوني المسكوفي كونت برانتيسبيسكي) أحد عظماء بلاد الروسيا وأغنيائها وأشهر غواة الخيل العربية فيها. وكان قد جاء إلى الأقطار الشامية هذه المرة لغرضين: أحدهما زيارة بيت المقدس، والثاني البحث عن الخيل العربية الأصلية. وقد أخبرني جنابه في ضمن حديثه أنه لم يجد من بين الخيل الشامية والعربية التي اطلع عليها في تلك السياحة ما كان يستوجب العناية أو يستحق الشراء. ولذلك عدل عن الغرض الأخير الذي وفقت الصدفة بيننا وبينه فيه. وقد كنت مسرورا من حديث هذا الشيخ الكبير ومجلسه. وليست هذه أول مرة اجتمعت فيها بجنابه، لأني كنت عرفته قبل هذه الزيارة في مصر، وآنست منه نفسا عالية وطبعا رقيقا وكمالا وأدبا. وما أجدر الشيخ الهرم أن يكون متحليا بالآداب ومتجملا بالفضائل. وإن صاحبنا هذا كان قد طالع الثمانين وولاها ذنبا، ثم إنه قضى معظم هذا العمر الطويل في سياحة الممالك والبلاد طولا وعرضا، فاستفاد معرفة كثير من الأمراء والعظماء، كما استفاد خبرة واسعة بمعرفة الأخلاق والعوائد القومية المختلفة. وكان قد زار مصر مع والده على عهد المرحوم محمد علي باشا الكبير، واصطادا تمساحا من بركة الأزبكية، قبل أن يصل." (١)

"إليها بالطبع هذا العمار الباهر. ثم هو لا يزال يتردد على القاهرة في كل شتاء. وإننا نشكر الصدفة الجميلة التي جمعتنا بهذا الشيخ الجليل في فندق من فنادق الشام على غير موعد.

غريبة في بيروت

وبينما كنت أنقب عن الخيل الأصيلة وأبحث عنها في المدينة وغيرها لأشتري ما يعجبني منها، إذ أخبرت أن شابا إنجليزي التبعة يدعي أنه يعرف البلاد ويتعشق الخيل ويقتنيها يريد أن يقابلني فأذنت له. وكانت هيئته وحركاته في سلامه وكلامه تدل على أنه رجل عاقل مهذب ظريف. ثم إني افتتحت حديثي معه بشأن الخيل التي توجد في جهات الضواحي، وسألته أي الجهات التي تعرف فيها وجود الخيل الكريمة، وأي الناس أعظم شهرة باقتنائها من العرب وغيرهم؟ فقال: إن لي أصحابا كثيرين من دروز حوران وعرب رولة الذين يقطنون بالقرب من مدينة دمشق، وهؤلاء أعرف الناس بالخيل وأبعدهم صيتا في حيازتها. ثم دار بيني وبينه من الكلام والبحث ما عرفته منه أن هذا الشاب ملم حقيقة بموضوعنا وله معرفة تامة بحسن الخيل وقبيحها وجيدها ورديئها، فقلت في نفسي الآن وقعت على خير عارف وسأبلغ إن شاء الله بواسطة هذا الشاب النشيط مأربي من خيل الشام. ثم عدنا إلى الحديث مستطردين إلى ذكر بعض أمور عامة تتناول

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٤٤

الموضوع الذي جاءنا بصدده وغيره، فكان منها أنه غزا في وقائع كثيرة، وأنه مرة كان يكون مع الدروز وأخرى يكون في صف العرب، وأنه يجيد النطق باللغة العربية ويحسنها حتى كأنها لغته، إلى غير ذلك. ثم إني سألته عن غايته من مجيئه إلينا ومقابلتنا وأنه لم يسبق لي به معرفة ولا كلام، فقال بكل رزانة وأدب: أنه لم يعنني على التشرف بمقابلة دولتكم سوى أن أتشرف بخدمتكم فيما عسى أن ترغبوا شراءه من خيل تلك البلاد أو غيرها، وأن لدي خيلا لبعض الناس أريد أن أطلع دولتكم عليها، لعلكم تجدون منها ما يطابق غرضكم ويوافق رغبتكم. فقلت له: وأين توجد هذه الخيل؟ وإننا بحثنا كثيرا فلم نجد ما كان يروق لنا شراؤه. فقال: إني أعرف من تلك الخيل حصانين في." [1]

"حوران. فقلت كان بودي أن

أراهما، ولكن مع الأسف ليس عندي الآن من الوقت ما يسع أن أنتظر ريثما تجيء الخيل من جهة بعيدة عن بيروت أو ضواحيها، لأني عازم على زيارة دمشق ولم يبق إلا ساعات قليلة. فقال: إذا كان لابد من السفر فإن أمامنا حصانين آخرين في بعض الجهات القريبة من دمشق، ومن السهل جدا أن أسافر وأستحضرهما لدولتكم عندما تشرفون هذه المدينة؛ وإن هذين الحصانين لا يقلان حسنا وشهرة عن الحصانين الأولين. ولما لم يكن ثمت مانع من ذلك تفاوضنا في ما ندفعه أجرا له على سعيه وتعبه، وانتهينا على أن يتقاضى منا جنيها واحدا في كل يوم، حيث يكون منه أيضا أكله وشربه ومصاريف سياحته سفرا وإقامة، حتى تتم مأموريته التي أنطناه بها. وقد كان علم أن سفرنا من بيروت سيكون في صباح اليوم الثاني، فأراد أن يزج بنفسه في حاشيتنا ويسافر معنا. ومن أجل ذلك سألنا: هل ترون من اللازم أن أستبدل ملابسي بزي عربي أو لبوس عادي، لكي أحظى بشرف السفر في معية دولتكم في القطر الذي تسافرون فيه؟ فأجبته بأن سفرنا في هذه السياحة ربما لا يسمح لنا بمرافقة عدد أكثر ممن سيسافرون معنا، وربما لا تحب الحكومة العثمانية أن ترى في ضمن رفاقنا أحد رجال الإنجليز، على أننا لا نرى هناك من ضرورة لأن تكون في هذا السفر من جملة حاشيتنا، وأنت تعرف أن القطار غير خاص بنا، وأن في عرباته الكثيرة سعة لك ولغيرك من المسافرين، فانزل منه في أي عربة تريد. ثم إذا جئت دمشق فانزل منها أيضا في أي فندق تحب وتختار. وعلى ذلك انصرف الرجل ونحن لا نعرف من أمره سوى أنه عاقل نبيه ووادع مؤدب. وسنذكر بقية قصته في فندق دمشق، إن شاء الله.

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٤٥

إلى متصرف لبنان

ما كادت تتوسط الغزالة حتى كنا أخذنا زينتنا وأعددنا عدتنا للذهاب إلى سراي صاحب الدولة يوسف باشا فرانكو متصرف لبنان السابع، فركبنا من باب **الفندق** ومعنا رفاقنا ما وسعنا من المركبات، حيث قصدنا توا إلى السراي. وكان في انتظارنا عند بابها من العسكر والموسيقى في هذه المرة ما كان لا يقل عنه عددا ونظاما في المرة." (١)

"عليهم. وعندما انتهى ذلك الخطيب الفاضل هممت بأن أقوم خطيبا وأبدأ خطبتي لهم بشكرهم على ما صادفته من سماحة نفوسهم وكرم أخلاقهم، ثم أبين مقدار ما انطوت عليه قلوب المصريين الكرماء من محبة العرب والشاميين، غير أني لاحظت أن الظروف وقتئذ لا تسمح لي أن أقوم فأقول شيئا من هذا في حفلة كبيرة مجموع لها الناس، مخافة أن الحكومة العثمانية الجديدة ربما تتشوش من الخطبة، أو تتأولها بما لعله يخالف غرض الخطيب ويبتعد عن قصده ومراميه. وبعد ذلك قمنا متوجهين نحو السرادق لتناول ما كان أعد لنا من الشاي وغيره. ثم قصدنا إلى **الفندق** وكان طريق مرورنا من وسط الحديقة حتى الباب غاصا بالأهالي. وعند ذلك ودعنا من

حضرتي الرئيسين ومن كان معهما بمثل ما استقبلنا به من الإكرام والحفاوة، فشكرناهم وركبنا العربات حيث وصلنا إلى **فندقنا** قبل الغروب. وإذ ذاك حضر لزيارتنا بعض أعيان المدينة وكبارها، وكان بينهم المفتش العثماني في شركة السكة الحديدية الفرنسية، فقابلناهم جميعا شاكرين لهم حفاوتهم الكبيرة وزياراتهم الكثيرة. وقد بلغني في هذا المجلس أن الشركة أعدت لسفرنا صالونا خاصا بقطر الصباح، حيث كنا اعتزمنا – مع مشيئة الله تعالى – على الرحلة في ذلك القطر إلى مدينة دمشق.

كلمة عن بيروت

وهنا رأيت أنه لابد لي قبل مبارحتي لهذا البلد من ذكر كلمة مختصرة عنها، ملحقة بما تقدم من كلامنا فيها، على الرغم من أن هذه المدينة من المراسي الشهيرة والمدن التجارية الكبيرة التي قد عني بشأنها قديما وحديثا أرباب المحابر من الكتاب وعلماء التاريخ، فأفاضوا في الوصف وأطنبوا في بيان ما يتعلق بها من الجهات المهمة والأغراض المفيدة، لأني إنما أريد أن أذكر في رحلتي هذه جميع ما كنت أشاهد بعيني وأقف عليه بنفسي. ولعلني إن أتيت في خلال ذلك من الآراء والملاحظات على حياة القوم الاجتماعية

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٤٦

وبعض الأمور الداخلية بما عساه أن يمر على بعض الناس فيغمضوا فيه إغماضا أو يتركوه وراءهم ظهريا، دون أن يعيروه ما يستحقه من." (١)

"المهاجرين إلى سنة ١٩٠٦ بنحو٢٥٠ ألفا متفرقين في الجهات المذكورة. واللبنانيون من هؤلاء يبلغون نحو ستين ألفا ما بين ذكور وإناث. وليس هذا شاهدنا مما أردنا إيراده في ذلك الموضوع، وإنما نريد أن ابن لبنان إذا ما انقضى أربه وتم له ما يريد من الهجرة على البلاد البعيدة عاد ثانية إلى وطنه، ويفضل أن يأوي إلى بيت في الجبل دون أن يسكن بيتا في مدن الولاية وبلادها، مع أن متممات رفاهته وأسباب ترفه وكماليات معيشته قد لا تتيسر له إلا في المدينة، لا سيما وأن بعض أرض الجبل صخري لا يصلح للاستنبات والزراعة. وعلى ذلك يؤثر اللبناني العاشق للزراعة أن يعيش في ذلك البلد ناقص الحاجة أو أن يتجشم مشاق كثيرة ويتكبد متاعب جمة بجلب الطين من بيروت وغيرها لإصلاح الصخر وإعداده للزرع. كل هذا لأنه يرى أن سكنى الجبل خير له من أن يسكن بلدا من بلاد الولاية، ويعيش تحت سيطرة الحكام خاضعا للنظامات والقوانين، ومعروف كيف كان يجري تنفيذها أرباب الشؤون. ليت شعري، كيف يملك الإنسان نفسه عندما يجد ذلك اللبناني قد

ترك وفضل ما بين المدينة المتحضرة وبين الجبل مهما كانت حاله لأن يعيش متمتعا بسرور الأمن ولذة الراحة مطمئن النفس على ماله وعياله، على حين أنه يرى غيره من أبناء الأمة في دائرة الولاية وتحت سلطة الحكومة كاسف البال، منكود الحظ، وضيع النفس. هذا ما كان يستدعي أسفي الشديد وما كنت عنده أرجو الله تعالى أن يوفق أصحاب الكلمة والشأن لإصلاح الحال حتى يستوي اللبناني والبيروتي ويسود العدل ويعم الأمن والسلام.

السفر إلى دمشق

ولما أن أصبح الصباح وأراد الله أن نمضي عزيمتنا على زيارة دمشق، أخذنا أهبتنا للسفر وركبنا من باب الفندق مركباتنا التي مازالت تواصل السير حتى كان آخر سيرها عند رصيف الميناء حيث كان عند مرسى السفينة موقف القطار. وقد وجدنا المحطة غاصة بأهل المدينة الذين كانوا قد سبقونا إليها للاحتفال بوداعنا، فودعنا منهم ومن رجال الحكومة والثراة والأعيان وداعا كان من أكبر مظاهر الأبهة وأبهر مناظر." (٢)

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٥٠

(٢) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٥٥

"تتجلى لك الطبيعة آنا ... ثم آنا بحسنها تتوارى

وقد كان من أجمل المناظر التي يشاهدها المسافر ما كان يرى من تلك البقعة على وادي شهرور، وبعد أن يسير القطار مسافة ٢١ كيلومترا من عرية يكون قد وصل إلى محطة علية. وقد استقبلنا على إفريز تلك المحطة جناب وكيل المتصرف، حاملا إلينا سلام دولته، وكان معه ثلة من العساكر وبعض الأعيان وبعض الرؤساء الروحيين. فشكرنا لحضراتهم هذا الاحتفال، بعد أن شكرنا من

صميم القلب دولة حاكم الجبال الذي كان شديد العناية بسفرنا، عاملا كل ما في وسعه لراحتنا وسرورنا، فضلا عن أنه كان عظيم الحرص على إجراء الرسميات والمظاهرات لمقدمنا في كل مقام ومكان في دائرة حكومته، إذ ما كنا نقف على محطة في طريق سيرنا حتى نجد في استقبالنا استعدادا تاما من رجال الحكومة وأعيان البلاد، فيستقبلوننا بمزيد الحفاوة وكبير الاحترام. وكنا نشاهد من البشر الذي يتلألأ على وجوههم ما نستدل منه على صفاء سرائرهم وحسن طوياتهم، وما زال يمر بنا القطار في وسط الجبل حيث كانت تستقبلنا الطبيعة بمناظرها البديعة حتى وصلنا عين صوفر. ويقال إن هذا البلد أحسن بلاد الجبل هواء وأعذبها ماء وأكثرها ازدحاما بالمصطافين من أعيان مصر وغيرها. ولهذا السبب يوجد فيها **فندق** كبير من أحسن وأكبر **الفنادق** في بلاد الشام، كما أنه يوجد فيها منازل كثيرة للإيجار مدة مصيف الناس. وقد كان في استقبالنا على تلك المحطة قومندان الجندرمة ومعه بعض العساكر فشكرناهم وكنا نرى أثناء المسير مناظر الأشجار الكبيرة والبلدان الجسيمة تتصاغر أمام أعيننا كلما ازددنا صعودا إلى الجبل مما كان يدل على زيادة العلو، خصوصا وأن من عين صوفر يبتدئ شعور المسافر بالصعود المحسوس. ثم يجتاز القطار بعد ذلك بطن الجبل، فيمر هناك من نفقين كبيرين: يبلغ طول الأول نحو ٢٨٠ مترا، والثاني نحو ٣٦٠ مترا، ويسمى هذا خان مراد أو بيدار. ثم يصل على محطة بعيضان، وهي أعلى نقطة." (١)

"في هذه الجهة حيث يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر نحو ١٥٠٠ متر. ومن عندها يتحدر القطار إلى جهة الشرق مسافة ٤٤ كيلومترا حتى يصل إلى المريجات، حيث هناك تنكشف المناظر الجميلة ذات اليمين على جبل بروق، وذات الشمال على جبل كنيسة. وبعد ذلك يرسو القطار على موقف المعلقة، وهي تبعد عن مدينة بيروت بنحو ٥٦ كيلومترا. وتلك البلدة هي الحد الفاصل بين ولاية سورية

وحكومة لبنان، ويوجد فيها كفر كبير إسلامي تابع لبلاد الشام، وفيها أيضا بعثة إنجليزية ومدرسة لليسوعيين. ثم إن هذه البلدة قريبة من قرية تسمى زحلة من البلاد التابعة لحكومة الجبل. ويبلغ عدد سكانها

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٥٨

نحو ١٥٠٠ نسمة، وهم عن بكرة أبيهم مسيحيون كما أنهم جميعا يعنون بزراعة العنب ولهم به عناية زائدة، ولديهم نهر يسمى البردوني. ويوجد في تلك البلدة دير ومدرسة لليسوعيين أيضا. ومما يحفظه التاريخ لأهل زحلة والمعلقة أنهم كانوا أعظم الناس مصابا وشقاء عند حدوث العاديات التي كانت وقعت في بلاد الشام من الدروز سنة ١٨٦٠. وبعد أن يفارق القطار محطة المعلقة، يمر هناك في وسط أرض واسعة وسهل فسيح بين لبنان والجبل الشرقي، وهو يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ٣٤، ٤٠، ٢٢ من العرض، وطوله نحو ٧٠ ميلا وعرضه يختلف بين ٣و٧ أميال. وهذا السهل غاية في الخصب، تكثر فيه الزروع وفيه أكثر من ١٠٠ قرية عامرة، وتجري إليه ينابيع غزيرة من الجبال فتشقه في أنحاء شتى. ويسمى هذا السهل ببقاع العزيز، نسبة في ما قيل إلى الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين الأيوبي. وهو غير البقاع التي تعرف ببقاع كلب، وهي أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة. وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل يقال لها عين الجر، وهي المعروفة اليوم بعنجر. وفي هذه البقاع يوجد قبر النبي إلياس عليه السلام. وهكذا يستمر القطار في سيره على أن يصل إلى رياق، وهي محطة تبعد عن مدينة بيروت بمسافة ٦٦ كيلومترا، وعندها ينتظر القطار نحو نصف الساعة. وفي تلك المدة يتناول من شاء من المسافرين طعام الغذاء في مطعم تابع لأكبر فندق في دمشق يعرف بفندق الشرق الأكبر. ويمتد من." (١)

"المستقبلين. أما أنا فمذ سمعت ذلك العذر العجيب صممت على أن آخذ مركبي من غير تلك العربة المستعارة، لذلك لم أجبه إلى طلبه وقلت له: إنه ليجدر بمن لم يكن سفره رسميا أن لا يتعاطى شيئا من الرسميات مطلقا، ومن ثم لا أخالف تلك الخطة وأركب عربة تجعل لي تلك الصفة في بلدكم. وقد كنت وأنا أحدثه ألاحظ أن حركته ولهجته في الكلام أشبه بحركات ولهجات الغربيين منها بالشرقيين، وأنه لا يعلم إلا الله مقدار استغرابي وعجبي مما وجدته في استقبال ذلك الشاب، عندما صافحني مصافحة النظائر والأنداد وخاطبني وهو يهز يدي بما كان لا يقل عن خطاب كبير من الكبراء وأمير من الأمراء إلى غير ذلك مما كان لا يجمل بالمعاملة ولا يتفق هو والتقاليد التي تقتضيها حالة الشرق وتستدعيها عادة البلاد. وكيف لا أعجب عجبا شديدا، ولم يسبق لي أن أرى مثل هذه المقابلة من أحد، حتى ولا من نفس الأمراء والعظماء في البلاد المتمدنة التي يزعم الناس أنها بلاد الحرية والمساواة، لولا أن ذلك الناشئ بادرنا بشرح وظيفته وتعريف نفسه، ما كنا شككنا أن الذي كان يستقبلنا ويهز يدنا هزا هو حاكم الشام نفسه.

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٥٩

على أن جميع الناس الذين قابلناهم قبل هذا فيما تركناه وراءنا من البلاد الشامية كانوا غاية في اللطف والأدب عارفين وزن أنفسهم، ثم هم لا يزالون محتفظين بتقاليد الشرق وأخلاقه. خرجنا من المحطة فركبنا من العربات ما كان لنا منه الكفاية، وقصدنا توا إلى فندق فكتوريا الذي اخترناه لنزولنا مدة إقامتنا في دمشق حيث هو أجمل فندق في تلك المدينة. ولم يكن ليصادفنا في الطريق الذي كنا نمر منه ما كان يلفت نظر السائح نحوه غير تكية للمولوية وذلك النهر العظيم، نهر بردى الذي يمر في وسط المدينة أشبه بنهر السين في وسط باريس، وأنه لقد سرني كثيرا منظره الجميل وحسن موقعه بين المزارع والبساتين. وكانت المسافة منذ ركبنا العربات حتى وصلنا النزل لا تتجاوز الدقائق إلى الساعات. وهناك وجدنا عند مدخل الفندق صاحبه الذي كان ينتظرنا ليهدينا إلى الحجرات التي خصصت لنا فيه. ولم يمض على جلوسنا هناك أكثر من ربع الساعة حتى شرفنا الوالي بزيارته مرتديا إذ ذاك لباسا عسكريا فاستقبلناه وجلسنا نتحدث، فأفهمنا في غضون حديثه أنه كان لا يستطاع إعمال شيء في ما يتعلق باستقبالنا عند موقف القطار أكثر مما حصل حيث لم يكن." (١)

"أن نكتب في جريدته شكايتنا وانتقادنا تلك الحالة الغريبة التي استنكر حصولها هذا الرجل، فشكرنا له معروفه وأجبناه بأنه ليس لنا شكاية من شيء، ولا نريد أيضا أن ننتقد عمل الحكومة على كل حال. وحسبنا من كل ما نطلب منكم ما وجدناه من محبتكم لنا وشعوركم الجميل نحونا. ثم بارحنا تلك السراي قافلين إلى الفندق، فلما وصلنا

إليه رأينا علما عثمانيا مرفوعا في داخله على السلم الضيق فسألت صاحبه (وهو الخواجا بيترو وكان رجلا كبير السن يميل كثيرا إلى مصر حيث كان يتاجر فيها حينما كان شابا): لماذا رفع هنا هذا العلم العثماني؟ فأجابني بأن العادة المتبعة في جميع جهات الدنيا أنه عندما ينزل ضيف كريم في أي فندق من الفنادق يرفع له علم الحكومة التابع هو لها إجلالا له واحتفالا بقدومه، فقلت له: هذا العلم يرفع عادة على باب الفندق من الخارج فلماذا كان مرفوعا من الداخل؟ فقال: نعم كان يجب رفع العلم خارج الفندق، غير أن أصحاب الأمر والنهي في البلد قد أبوا علي ذلك ومنعوني منه. فما أمكن لي أن أؤدي ذلك الواجب إلا برفعه حيث ترون، وإني لشديد الأسف من تلك الظروف التي عاكستني حتى لم أتمكن من نصب العلم على باب الفندق إشعارا بوجود مثل دولتكم فيه.

لعل القارئ يأخذ علي شيئا من الملاحظات على بعض رجال الحكم والإدارة في حكومة الشام. ولست

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٦٥

أنكر أن ذلك يكاد يكون بارزا يلمس باليد من خلال سطور بعض المقالات في رحلة دمشق، ولكنه ما جاء مقصودا ولا مرادا به أي شيء، وإنما جاء عفوا في ما تستدعيه الرحلة من ذكر كل ما يرى الراحل ضرورة ذكره. وإذا كان من الضروري أن أبين كيف كان استقبالي في كل مدينة أو بلد أنزل فيها أو أمر بها لا جرم كان وصف استقبالي في أكبر مدن الشام وأعظم عواصمها منتظرا في رحلتي قبل كل شيء، كما أنه ضروري على كل حال، خصوصا بعدما تحدث به المتحدثون وكتب فيه الكاتبون.

قد ذكرت في غضون هذه الرحلة ما كنت لاقيته من أولئك الكرام المساميح أهل بيروت وأهل الجبل حكاما وغير حكام، وما كان من لطفهم وأدبهم واعتنائهم بضيوفهم، مما مر على القارئ بيانه من وقت أن كنا في ميناء بيروت إلى أن نزلنا في محطة دمشق، وأنه ما فاتنا والحمد لله أن نشكر لهم معاملتهم لنا وحسن صنيعهم." (١)

"بنا عدة مرات. كما أننا كتبنا كل ذلك مفصلا في رحلتنا هذه ليبقى معروفهم مسطرا على صفحات الكتاب مثلما كان مطبوعا من قبل في طويات الألباب. وقد كان بودي لو أنه يسطر بمداد من نور على صفحات خدود الحور. وإذا رأى القارئ في ما رأى أني لم أنس ذلك لأحد منهم حتى ولا لأصغر القوم سنا وأقلهم شأنا واحتراما، عرف من مبدئي في الأمور الإعلان بالصدق والصراحة في الحق كائنا ما كان وبالغا ما بلغ.

زيارة في الفندق

عدنا إلى الفندق وبعد قليل من الزمن حضر إلينا صاحب الجريدة الذي كان قابلنا في دار الولاية، وقد ارتحت كثيرا لمجلس هذا الرجل الظريف لما سبق لي من مروءته ومعروفه على غير معرفة سابقة. وكان حديثنا معه قاصرا على وصف بلاد الشام وذكر مواهب الله فيها من خصوبة الأرض وجودة الهواء وعذوبة الماء وصفاء الجو إلى غير ذلك، وما كدنا نتمم حديثنا معه في ما كان يقتضي سرورنا من مناظر تلك البلاد وأشكالها الطبيعية الساحرة حتى جاءنا عدة رجال من أعيان المدينة مظهرين لنا شدة استيائهم من أننا لم نخبرهم بوقت حضورنا إلى دمشق، إذ كان ذلك سببا في فوات أكبر فرصة كانوا ينتهزونها لتأدية الواجب نحونا من الاحتفاء بنا والاحتفال باستقبالنا لدى المحطة، فشكرنا لهم جميعا هذا الشعور العالي والإحساس الجميل. ثم جاء بعدئذ الأمير علي بن الأمير عبد القادر الجزائري، فقابلناه بما يليق بمقامه

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٦٧

الكريم من الحفاوة والتعظيم. أما حضرته فكان وقورا بشوشا سمح الوجه ظريف المحادثة، لا يشك من يراه أنه من بيروت المجد والإمارة. وقد أظهر لنا في فاتحة حديثه ما انطوت عليه نفسه الطاهرة من الميل والإخلاص للأسرة العلوية. ثم أخذنا نتبادل أطراف الحديث، وكان أكثر ما يدور عليه كلامه هو امتداح المغفور له جدنا الأكبر محمد علي باشا وبيان مآثره النافعة

في بلاد الشرق. وكان يسرني ما كنت أسمعه من ذلك الحديث الحسن الصحيح سرورا جما، ليس ذلك لأن الأمير كان يطري جدنا ويذكر من أعماله وآثاره ما كان يذكر، فإن الآثار والأعمال نفسها تعرب عن." (١)

"سياحة في المدينة

في صبح اليوم الثاني عولنا على الخطة التي كنا رسمناها للسياحة في بياض ذلك اليوم، وكان منها زيارة بعض وجهاء المدينة وسادتها الذين كانوا جاؤوا لزيارتنا في فندق فكتوريا، ومنها أيضا مشاهدة ما كان لا بد للسائح أن يطلع عليه في دمشق من المناظر والآثار.

الإنجليزي في دمشق

وفيما نحن نعد أنفسنا للخروج، جاءنا صاحب الفندق يخبرنا أن الشاب الإنجليزي (ومعروف للقارئ من هو) مصاب في عقله وأنه كثيرا ما تعتريه نوبات جنون شديدة فيتشوش دماغه ويضطرب فكره، وعند ذلك يتهيج وربما يتلون في الملابس والأزياء ويتداخل في ما لا يعنيه من شؤون الناس ولا يبالي أن يزج بنفسه في أخطر الوقائع وأصعب الفظائع. وقد تعددت جناياته وجرائمه في بلاد الشام حتى صار يعرفه كل الناس تقريبا، وأن له أبا رجلا طبيبا من سكان لبنان ومن محترمي الإنجليز أيضا، وقد تعب كثيرا هذا الوالد المسكين يحاول إصلاح شأن ولده ويعالجه بكل أنواع العلاج، رجاء أن يؤوب إلى ثباته ويعود إلى رشده. ومع ذلك لم يفده الإصلاح إلا فسادا، ولم يزده العلاج إلا جنونا. ولما أن يئس

والده المسكين من جهته ووجد أن نسبة ابنه إليه وارتباطه به على هذه الحال السيئة ربما يلحق به أذى وضررا من جراء الجنايات التي يقترفها ذلك الوالد بخبله، اضطر أن يعلن على الملأ انفصاله عنه وبراءته من كل ما يحصل منه. أما أنا فقد أدهشني جدا هذا الخبر الفجائي الغريب، ولكني كنت أسأت الظن بالمخبر حتى أتبين صحة خبره، فسألت عن حقيقة ذلك الإنجليزي بعض من يعرفه من سكان دمشق فأجابوني بما

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٦٨

أكد عندي حكاية صاحب النزل وحققها تحقيقا. وعندئذ لم يسعني غير أن أوعزت إلى حضرة الفاضل أحمد بك العريس أن يخليه من مأموريتنا ويبعده عنا بدعوى أننا." (١)

"لا حاجة لنا برؤية الخيل ولا شرائها. وقد وصلناه بمكافأة مالية ترضيه، فانصرف بها إلى حال سبيله. أما نحن فقد اعتبرنا ما ذكره لنا الخواجة بيترو نصيحة جميلة وشكرناها له في نفسنا. وبعد ذلك ركبنا عربة من باب **الفندق** وذهبنا جاعلين وجهتنا في أول الأمر رد الزيارات، فابتدأنا بزيارة سعادة محمد باشا العظم في داره التي كانت واقعة في داخل البلد الأصلية من ضمن العمائر القديمة. وهي من البيوت الأثرية النفيسة شرقية الشكل، فيها ساحة من حولها الغرف، وفي الساحة أشجار وأغراس وبركة ماء، وقد تكون البرك في داخل الغرف أيضا، والأرض كلها مبلطة بالرخام المرمر الجميل، وبعض السقوف والجدران مذهبة أو مزخرفة بفاخر الفسيفساء. وقد كان أكثر البيوت التي زرنا فيها أصحابها من هذا القبيل، وإن كانت تتفاوت بالطبع في سعة المساحة وضخامة البناء. وبالجملة، فإن بيوت دمشق التاريخية تشبه كل الشبه البيوت القديمة في جميع بلاد الشرق، ومثل تلك البيوت في مصر بيوت الغز والسادات. وحقيقة، كانت بيوت دمشق التي زرناها جميلة المنظر دقيقة الصنع، يطالع فيها المتأمل درسا طويلا من أهم دروس التاريخ الأثري. ومنها يعلم كيف كان غرام المتقدمين وولعهم بالفنون البديعة والصنائع الدقيقة. نعم،
ويعرف أيضا إلى أي درجة بلغت عنايتهم بزخرفة بيوتهم بالرسوم الفاخرة والأوضاع المحكمة. وقد كنت أدركت شيئا من الفرق بين تلك الصناعة في بيوت الشام وبينها في بيوت مصر، فهي في الأخيرة أدق وأتقن منها في الأولى. وأظن أن هذا الفرق يمكن أن يدركه كل من زاول هذه الصناعة واطلع عليها في المدينتين. ولكني مع مزيد الأسف أقول: إن الصناعات القديمة والآثار التاريخية ليس لها مكان من قلوب المصريين ولا نصيب من استحسانهم مثل ما لها من قلوب غيرهم، لأن معظم عنايتهم أو كلها منصرفة دائما إلى التقاليد الغربية والأنماط الإفرنكية، وبالأخص في العمارات التي غيرت بالكلية هيئة البلد وخرجت بها عن الشكل الشرقي بالمرة. وأنه إذا كان بقي من ذلك البناء القديم بقية إلى اليوم، فإن ذلك من النادر القليل. وكم كنت جذلا مسرورا من أن أهل الشام لا يزالون إلى اليوم محافظين على آثار أسلافهم وتاريخ عمائرهم، إذ أن أكثرهم ما فتئ يسكن البيوت العتيقة. ولا سبب لهذا في ما نعلم إلا أن العوائد الأوربية لم تتغلب عليهم ولم تنل." (٢)

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٧٠

(٢) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٧١

"منهم ريثما نالت من سواهم، فهم شرقيون بارون بالشرق محتفظون بمخلفات الأصول وآثار الجدود.
وبعد أن انتهينا من الزيارات ومشاهدة أفخر البيوتات ذهبنا إلى أسواق المدينة.

أسواق المدينة

في هذه المدينة أسواق كثيرة تسمى بأسماء مختلفة، وفي الغالب يسمى كل سوق منها باسم ما يصنع أو يباع فيه على نحو ما يعرف في المدن الكبيرة. وهذه الأسواق على نوعين مجموعة ومتفرقة. والمجموعة منها يطلق عليها اسم المدينة، وهي شرقية الشكل أكثرها ضيق مسقوف. أما سوق الحميدية الجديدة وسوق الخوجه، وسوق محمد علي، فهي من الأسواق الحديثة الجميلة. ويوجد في المدينة من **الخانات** عدد كبير، أقدمها خان أسعد باشا وخان سليمان باشا. وقد كان أول

مرورنا من السوق الأكبر، ورأينا أن حركة البيع والشراء متبادلة هناك بين الشرقيين، وقلما وقعت العين على أوربي يبيع أو يشتري أو يمر في هذا السوق، على أنه هو أكبر الأسواق في ذلك البلد. ثم إننا كنا نسير بين حوانيت من الجانبين، منها حوانيت السروجية والقصارين وباعة الخبز واللحوم المشوية والعطارين وغيرهم من أصحاب التجارات وأرباب الصنائع الشرقية البحتة. كما كنا نلاحظ أن مجموعة المتعاملين بالبيع والشراء كانوا يختلفون بين عرب وأكراد وأعجام وشراكسة ويتميزون كل بلبوسه المعروف. ثم إن هناك بعض الأعاجم قد اتخذوا محال لنقش الأختام، وجماعة كثيرة من الكتاب العموميين يجلسون متفرقين في طول السوق ومسافة ما بين الواحد منهم والآخر تبلغ من عشرة أمتار تقريبا إلى عشرين في الكثير. وحول هؤلاء الكتاب زحام من أهل البلد، إذ يستكتبونهم العروض والجوابات، كما قد يشاهد في الشوارع القريبة من المحاكم." (١)

"بمثل البساط السندسي، وأرسل النظر تارة أخرى إلى الجنوب فأشاهد مآذن دمشق الشاهقة بين مبانيها ومعالمها الفائقة، وقد أحاط بها سياج من الحدائق الفيحاء إحاطة النطاق

بخصر المشبوبة الهيفاء، فما أدرى وقتئذ إذا كنت أردد البصر بين نضارة المزارع وجمال المدينة أم كنت أغازل عروسا بديعة الحسن في ثياب البهاء وشعار الزينة. ولكن ماذا كان يفيدني أن أكون أبلغ المتكلمين فأصف ما كونته يد القدرة في هذا المقام الكريم بأفصح مقال وأوضح تبيين، أو أكون أحذق المصورين فيتحرك قلمي في رسم ذلك المنظر الفخيم بأبدع نقش وأبهر تلوين وأنه شتان بين ما يقع في القلب من روعة المشاهدة والعيان وبين ما يصل إلى السمع من حديث التعريف والبيان.

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٧٢

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدثوك فما راء كمن سمعا

وعلى ذلك تمت الرحلة على الصالحية.

ثم عدنا إلى **الفندق** وقد مررنا في أثناء الطريق بمدرسة الملك الظاهر بيبرس ومكتبة الحكومة التي جمعت عند قبره واشتهرت في تلك الدائرة بادخار نفائس الأسفار العربية وغرائب الكتب الفنية، ويقولون إنه قبل أن تتكون هذه المكتبة كانت الكتب متفرقة في عدة أماكن متنائية، فكان يصعب على عشاق العلم أن يصلوا إلى غايتهم من البحث والمراجعة في تلك الكتب. على أن تباعد مواضعها كان من أهم الأسباب لتدشينها ونقص بعضها بل ضياع عدد كثير منها. ولولا أن أتاح الله لها مدحت باشا فعني بجمعها وترتيبها لكانت اليوم في حيز العدم، وكانت تكون دمشق كبيروت خالية من المكتبات العامة التي لا تقل فائدتها في المجتمع عن المدارس. ثم إني كنت عجبت من أنه كيف تكون بيروت خالية من **الكتبخانات** العامة وهي البلد الوحيدة التي اختصت من بين سائر بلاد الشام بكثرة المدارس وانتشار العلوم والمعارف. ولا شك أن تأسيس مثل هذه المكتبة الجميلة المشتملة على الكتب القديمة في مدينة كبيرة يعد نهضة شريفة تبقى لمدحت باشا في تاريخه إلى." (١)

"آخر الزمان. وقد كان أمام هذه المكتبة جامع ابن بيبرس وقد منعنا أن نزور غيره أيضا من جوامع دمشق الكثيرة التي منها أيضا جامع السنانية أننا كنا قريبين من وقت الظهر. وبعد أن تناولنا طعام الغداء في **الفندق** أخبرنا بحضور جملة من الخيل فاطلعنا عليها. وكنا نحسب أن فيها ما يجتلب رغبتنا ويجتذب استحساننا ولكنا، مع مزيد الأسف، وجدناها كسائر الخيل المعتادة لا تمتاز حتى ولا بأنها من تلك الجياد الأصيلة. ولذلك صرفنا عنها النظر، وذهبنا في عربة إلى زيارة تكية المولوية، تلك التي ذكرنا أنها كانت في طريقنا من المحطة إلى **الفندق**. دخلنا هذه التكية، وهي من البناء المزخرف الجميل قائمة في وسط حديقة غناء. وقد استقبلنا عند مدخلها شيخها، وهو رجل كامل ظريف، وبعد أن رحب بنا ناولنا من سعوطه الذي أخبرنا أنه من عمله وصنعة يده، فشكرت له أدبه ومعروفه. ثم طفنا على قاعات التكية ورأينا أن أهلها من أولهم إلى آخرهم ممتلئون جذلا وسرورا بسبب أن جلالة السلطان محمد الخامس مولوي الطريقة، فهم من أجل ذلك يطمعون في رعايته وعطفه بنوع خاص، ويؤملون أملا كبيرا في أن يكون لجميع التكايا من وراء ذلك ما يرقيها ويوسع نطاقها، حقق الله آمالهم. ثم قصدنا إلى زيارة شيخ النقشبندية. ومن هناك مررنا ثانيا من داخل المدينة في عدة أسواق يتصل بعضها ببعض وتتمايز بالأسماء،

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٨١

وكان منها سوق الأروام وسوق باب البريد وسوق الحرير وسوق الخياطين. وإذ ذاك صادفنا دار أسعد باشا، وهي تعد من ضمن الأمكنة التي يقصد إليها المسافرون ويرتادها السائحون. ولهذا الباشا خان من ضمن **خانات** المدينة، كما أن لمدحت باشا سوقا طويلا يعرف باسمه هناك. ومن الأسواق التي مررنا فيها من هذا الطريق سوق يسمى سوق القطن لأن القطن يباع فيه، ومنه مررنا بجامع السنانية حيث قصدنا إلى **الفندق**. وكان سبيل سيرنا من ناحية المرج، وهو طريق طويل من المنتزهات البديعة المنسقة مار بجوار نهر بردى وعليه من جهة اليمين واليسار مزارع

وأغراس بهيجة والمتفسحون من أهل دمشق يستحسنون هذه الطريق كثيرا وأكثرهم استحسانا له وفسحة فيه المغرمون بركوب الخيل، فإنهم يروحون ويغدون على خيولهم يرتعون ويلعبون في هذا الطريق الجميل. بذلك ختمنا رحلة هذا اليوم، وما كاد يجيء صبح اليوم الثاني حتى حضر إلينا في **الفندق** جم غفير من ذوات المدينة." (١)

"عظيم الروم. وكان هربيس هذا رجلا شديد البأس شجاع القلب، ولكنه لم تنفعه شجاعته ولم تغنه كثرة قومه وجنده والمسلمون يومئذ أشد بأسا وأشد تنكيلا وكان عليهم من أمراء الجيش وقواده خالد بن الوليد وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ورافع بن عبد الله السهمي من سادات قريش فنصر الله المسلمين وأيدهم بعدما كان حمي وطيس الحرب بين الروم والعرب، وحصر العرب الروم حصارا شديدا ضايقهم حتى انتهى الأمر بانهزامهم واستكانتهم وخضوعهم لشروط الغالبين. وقد ثار الروم أخيرا بالبطريق هربيس زعيمهم فقتلوه وانضموا للإسلام، وتم الفتح للمسلمين واستخلف أبو عبيدة على بعلبك رافع بن عبد الله السهمي وأوصاه على عادته بالعدل والاستقامة. ويعتقد العرب أن القلعة من بناء سيدنا سليمان، وقد بنوا فيها حصونا كان لها أهم تأثير في حروب القرون الوسطى. وفي سنة ١١٣٩ استولى الأمير محمود زنكي على المدينة والقلعة. وفي سنة ١١٧٥ استولى عليهما أيضا السلطان صلاح الدين. وفي سنة ١٢٦٠ خربها المغول تحت رياسة هولاكو، وجاء بعده تيمورلنك فأجهز عليها. أما بناء المعابد فقد وجدت نقود من عهد الإمبراطور سبيتم سفير سنة ١٩٣ إلى سنة ٢١١، وكذلك وجدت نقود من

العصور التي تلي عصر هذا الإمبراطور، عليها كلها صورتا المعبدين. ولكن مع هذا لم يعلم بالتحقيق متى كان تم بناء المعبد الكبير. وقد وجدت كتابة من عهد أنطونيوس الصالح تدل على أن المعبد الكبير كان لجميع آلهة اليوبوليس. وأما المعبد الصغير، فكان خاصا بالإله باكيس. وعلى كل حال، فإن بناء المعبدين

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٨٢

ينتهي تاريخه إلى عصر واحد. وقد هدمت جميع تلك المباني في ما جاء من العصور بعد ذلك. وفي القرن السادس عشر بعض الأوربيين على آثار المعبدين. ومنذ ذلك الوقت، تناوبتهما الزلازل خصوصا في سنة. ١٩٥٩ وقد أظهرت مباحث علماء من سنة ٩٠٠ إلى سنة ٩٠٤ كثيرا من الآثار المفيدة.

من المحطة إلى الفندق

نزلنا في محطة بعلبك فوجدنا في استقبالنا على إفريزها عددا كبيرا من أعاظم." (١)

"البلد وأعيانها وأهاليها، وكان في مقدمتهم نقيب السادة الأشراف وبعض أسرته وجناب أسقف الروم الكاثوليك، فرحبوا جميعا بمقدمنا وشكرناهم، ثم ذهبنا إلى الفندق بينما كان الطريق من المحطة إليه غاصا بالأهالي. ومذ وصلنا إليه طلبنا من صاحبه ما يكفينا وضيوفنا من الغرف. ولم تمض علينا فيه إلا برهة صغيرة، ثم توجهنا نرد زيارة من كانوا زارونا واستقبلونا على المحطة، فبدأنا بزيارة أسرة مطران بك ثم نقيب السادة الأشراف، وقد دعينا من جانب الأول لتناول طعام العشاء عنده في مساء ذلك اليوم فأجبناه شاكرين له حسن عنايته ومعروفه. وحين فرغنا من تلك الزيارات ذهبنا، وكنا إذ ذاك في وقت العصر، إلى التروض والفسحة في روضة أنيقة يمر في وسطها نهير غاية في العذوبة والصفاء. وقد اجتمع لأجلنا هنالك عدد كبير من الفرسان على خيلهم الجميلة، ثم أخذوا يلعبون أمامنا على جملة كان منها طريقة الهجوم. وكان البعض من تلك الخيل حروريا كريما، فسررت كثيرا من ألاعيبهم. وأكثر ما سرني أني شاهدت بين هؤلاء الفوارس جملة من الشبان الأحداث الذين لا يزيد عمر أكبرهم عن ١٤ سنة، وكانوا يلعبون ألاعيب مدهشة بمهارة فائقة. وقد مكثنا نشاهدهم معجبين بما كانوا يأتونه من ضروب الفروسية، ريثما جيء لنا بالقهوة. ثم ذهبنا إلى حضرة أسقف المذهب الأرتدكسي (وهذا المذهب يحتمي أبناؤه بحماية دولة الروسيا) فاستقبلنا حضرته استقبالا جميلا مع بعض رجاله. ومذ جلسنا قام شاب من تلاميذ مدرستهم وألقى بين يدينا خطابة رشيقة اللفظ كانت تنحصر عباراتها في الترحيب بنا وبيان ما شمل القوم من السرور بزيارتنا لبلدهم. فشكرنا لحضرة الأسقف وحاشيته لطفهم وأدبهم، ثم خرجنا من عندهم مودعين بكل حفاوة واحترام حيث قصدنا إلى بيت آل مطران.

أسرة مطران

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٨٧

هي أسرة كبيرة قديمة كاثوليكية المذهب، هاجرت من زمن بعيد من حوران إلى الشام، ثم توطنت بعلبك، ولم تزل فيها منذ أربع مائة سنة. ويحكى أن جد هذه الأسرة كان المطران أبيفانيوس، أسقف بعلبك الذي حضر المجمع الأسقفي المعقود في." (١)

"قرية الراس ضد البطريرك مكاريوس الدباس في سنة ١٦١٨. ومما ثبت بشهادة البطريرك مكاريوس الحلبي أن المطران أبيفانيوس المذكور كان ذا أولاد، فمن سلالته آل مطران الذين نحن بصددهم. ولهذه الأسرة التي مضى عليها نحو أربع مائة سنة، وهي في بعلبك تتناوب المجد وتتوارث الفضل والنبل إلى اليوم، تاريخ طويل رأينا أن نكتفي منه بالقدر الذي ذكرناه ليعرف القراء من هم آل مطران الذين دعونا، ونحن ذاهبون إليهم الآن إجابة لدعوتهم. ومذ وصلنا إلى بيتهم، رأيناه من أجمل البيوت، وكان فوق حسنه الذاتي وجماله الموضعي غاية في الزخرف والزينة، وفيه ثريات كثيرة يكاد يبيض منها وجه الليل الحالك. وحين جلسنا في قاعة الاستقبال، جاء إلينا حضرة البك يعرفنا بقرينته المصونة

على حسب العادة، ثم دعينا على المائدة، وإذ ذاك أخذوا يشعلون السواريخ ذات الألوان البديعة التي كانت تمثل في صعودها وهبوطها جملة أشياء مختلفة رائعة حتى انتهينا من تناول الطعام الشهي وخرجنا إلى مجالسنا ريثما تعاطينا القهوة.

ثم انصرفنا مودعين من تلك الأسرة الكريمة بمثل ما استقبلنا به حيث ذهبنا لا وجهة لنا إلا **الفندق**، ثم ما لبثنا هناك أن جاء إلينا جناب ميخائيل أفندي موسى ألوف البعلبكي، مدير مصلحة الآثار التاريخية في مدينة بعلبك فاستقبلناه وقد عرفنا بنفسه ووظيفته فسررت من هذا التعريف، لأني كنت مصمما على زيارة الأثر الغريب في هذا البلد، وهو المسمى بقلعة بعلبك أو المعبد القديم. أما هذا الزائر، فقد كان عالما أثريا يكاد يتوقد فطنة وذكاء، عرفت ذلك مما كان يدور بيني وبينه من الكلام الذي كان يتناول بعض العموميات تارة وبعض الخصوصيات تارة أخرى. ثم إنه خرج من عندنا على نية أن ينتظرنا عند الأثر ليرشدنا فيه إلى ما عساه يخفى علينا، وعلى ذلك انتهت رحلة اليوم الأول في تلك المدينة. ولما جاء صباح اليوم الثاني توجهنا إلى زيارة القلعة، وكان في انتظارنا هناك مدير الآثار المذكور فأخذ يسرد لنا قصتها وتاريخها من أول الأمر إلى آخره، ويشرح عجائبها وغرائبها شرحا وافيا." (٢)

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٨٨

(٢) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٨٩

"إليها إن انحرفوا عنها ولن تجد لسنة الله تبديلا.

إلى المسجد

ومن هذه القلعة ذهبنا إلى المسجد لتأدية فريضة الجمعة حيث كنا على وشك الصلاة، وهناك رأينا في انتظارنا عددا كبيرا من عظماء القوم في مدينة بعلبك، يتقدمهم حضرات أصحاب الفضيلة والسعادة نقيب السادة الأشراف، وقائمقام بعلبك، وعبد الحميد باشا الدروبي. وبعدما فرغنا من أداء الصلاة، قصدنا إلى الفندق مباشرة فتناولنا هناك طعام الغداء، وجلسنا بعد ذلك ريثما أخذنا أهبتنا

للسفر. ثم ذهبنا على عرباتنا إلى المحطة التي كانت مكتظة بالمودعين من حكام المدينة وعلية الناس فيها فسلمنا عليهم. وقد رأينا من عنايتهم وعناية الأهالي بتوديعنا ما كان لا يقل عن ترحابهم وحفاوتهم بنا عند الاستقبال. أما نحن فقد بارحنا هذا البلد على غاية من السرور، شاكرين لأهلها الكرماء ما قابلونا به أولا وأخرا من اللطف والمعروف.

السفر إلى حمص

نزلنا من القطر وما هي إلا لمحة عين وقد تحرك متجها مع سلامة الله إلى حمص وكان طريق سيره بالقرب من نهر هناك يعرف بنهر العاصي وكان على جانبي الطريق بساتين أنيقة وزروع بهيجة تنعش الروح وتسر الخاطر وقد صادفنا أثناء سيرنا قرية تسمى الياعات.

الياعات

قرية واقعة في طريق حمص بين بعلبك وبلد تسمى برأس بعلبك، وعدد سكانها يبلغ نحو ألف نفس، وأهلها يستقون من بئر عذب جميل. وقد اشتهرت هذه القرية." (١)

"الاستراحة في المحطة، وجلسنا فيها برهة مع حضرات المحتفلين الكرام. وعند ذلك قام في وسط هذا الاجتماع العظيم شيخ جليل وألقى على مسامع الحاضرين خطبة لطيفة، كان موضوعها منحصرا في تهنئتنا بالسلامة وإظهار سرور أهل البلاد بقدومنا إليهم، فسررت منه ومن خطبته، وشكرته وشكرت أيضا جميع الموجودين. ثم ذهبنا إلى خارج المحطة حيث كانت العربات مجهزة لنا فركبنا وركب معنا عطوفة الوالي عربته الخاصة، وتبعتنا حاشيتنا في عربة أخرى. فسرنا أولا من طريق كان قد اصطف على حافتيه عدد

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٩٦

كبير من العساكر الذين كانوا يختلفون بين بيادة وسواري وطوبجية، وكانت الموسيقى العسكرية تحيينا بنغماتها الشجية. ثم سرنا في الطريق الموصل إلى **الفندق** بين زحام عظيم على جانبيه من سكان المدينة الذين كنا نشاهد البشر العظيم يتألق سناه على وجوههم البسامة، لا فرق في ذلك بين شبابهم وشيبهم ولا بين غنيهم وفقيرهم. كما أننا كنا نرى من لطف عطوفة الوالي وكماله ما ليس في وسعي أن أقدره في عبارتي فيدرك أو أصفه فيفهم بأكثر مما يعرفه الإنسان من أحب الناس إليه وأشفقهم عليه. وقد صرح لي في خطابه أثناء السير بما كان ينطوي عليه فؤاده من محبتنا وما كان ينويه ويوده من نزولنا ضيوفا عليه مدة إقامتنا في المدينة، لولا أن بيته صغير وقد نزل فيه بالصدفة صاحب الدولة ناظم باشا بدعوة سابقة من لدن عطوفته. فسررت جدا من تصريحه بجميل نيته وحسن قصده بنا، وقد اتسعت من صدري مكانته وعظمت في قلبي محبته، عندما كان يكرر أسفه الشديد من ضيق البيت، حتى لقد عد ذلك من الصدف التي عاكسته في أحب شيء إليه، وحالت بينه وبين ما كان يرجوه ويوده من صميم قلبه. ثم ما زال عطوفته معنا حتى دخلنا **الفندق** وتعرفنا منه بهداية صاحبه ما كان خصص لأجلنا من
الحجرات. وهناك جلسنا مستأنسين بحديث عطوفة الوالي ولطفه ريثما شربنا القهوة، ثم جاء إلينا سعادة توفيق باشا القومندان وعدد كبير من عظماء المدينة فرحبنا بمقدمهم وأهلنا بهم جميعا، وذكرت لهم بعبارات متكررة حسن عنايتهم واهتمامهم بنا، وكنت أشكرهم لذلك شكرا جزيلا. وقد كنت في غضون حديثي معهم ألاحظ من حركاتهم ولهجاتهم نشاطا عظيما وأدبا تاما وحماسا زائدا، إلى غير ذلك مما استوجب فرط محبتي لهم، خصوصا بعدما أظهروا لنا مودتهم الكاملة وإخلاصهم." (١)

"المتناهي. وحقيقة كنت أقرأ في وجوههم آيات الإخلاص والصدق وكانت نفسي لا تحدثني بغير ذلك فيهم.

والعين تعلم من عيني محدثها ... إن كان من حزبها أو من أعاديها

ولم نلبث، بعد أن خرجوا من عندنا وخرج عطوفة الوالي أيضا، إلا برهة صغيرة، ثم وصل إلينا أن دولة ناظم باشا قد حضر إلى **الفندق** بقصد زيارتنا، فاهتممت جدا بزيارة هذا الرجل الكبير المحبوب. وعندما استشعرت بقدوم دولته، ذهبت مسرعا لاستقباله على سلم **الفندق**. وكانت هذه أول مرة تقابلت فيها مع دولته، فسلمت عليه، وذهبت به إلى ردهة الاستقبال، حيث جلسنا نتحدث، آونة في بعض الشؤون العامة، ومرة في بعض الأحوال الخاصة، حتى انتهى بنا الحديث إلى ذكر القلاقل والصعوبات الكثيرة التي توجد

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١١٤

الآن في جهة العراق من جراء الحوادث الأخيرة. ذلك كان لمناسبة أن دولة الباشا سيسافر من حلب إلى مركز وظيفته في تلك الجهات، حيث أن دولته والي بغداد والموصل وديار بكر. وقد ذكر لي في خلال حديثه أنه يعرف الجناب العالي الخديوي، وأنه يحب كثيرا نجل عمنا دولة الأمير عزيز باشا حسن، المستخدم في الجيش العثماني. وقد كنت كلما تغلغلنا في الكلام وتبادلنا أطراف الحديث في المسائل المهمة، أجد في ذلك الرجل العظيم نباهة زائدة وذكاء حادا وعلما غزيرا. أما هو فكان شيخا أبيض اللحية والرأس، وعسكريا بكل معاني الكلمة، وكانت تبدو على وجهه مع السماحة والبشاشة سيمياء القوة والشجاعة. وعندما أراد الانصراف قمنا فودعناه بما يليق بمقامه الجليل من الحفاوة والتبجيل شاكرين له خفته إلى زيارتنا في الفندق على أثر حضورنا.

رد زيارة

ولم نمكث بعد ذلك إلا حيث تهيأنا للخروج وأعددنا له عدته، ثم قصدنا إلى منزل عطوفة فخري باشا، الوالي، لنرد لدولته ودولة ناظم باشا ضيفه الكريم زيارتهما. وقد لبثنا لديهما مدة غير قصيرة، دار حديثنا في أثنائها على موضوعات." (١)

"مصالحها الداخلية بعض المستخدمين في المصالح الصغيرة، كما تعلم دولتكم. وربما كان أمثال هؤلاء، الذين ترفعهم الحكومة وتمر بهم فوق رؤوس الكبراء، لم يكونوا من العلم والفضل بالمكان الذي ينبغي لصاحبه أن يتصل بأرباب العمل وأصحاب الرأي، ثم تترك في زوايا الإهمال فطاحل العلماء وأفاضل الرجال مثل عطوفة فخري باشا، ذلك الرجل العظيم الذي كلنا يعلم بمقدار نبله وفضله وتثبته في الأمور. نعم، إني مستغرب جدا كيف تنساه الحكومة وتهمله وتؤخره من تقديم هو أولى وأحق به من أولئك الذين قدمتهم وكبرتهم، ممن لا يحسن بمثلنا التصريح بأسمائهم أو عنوانات وظائفهم. هذا وقبل أن أبرح مجلسهم التفت مرة ثانية إلى دولة ناظم باشا وصافحته، ودعوت الله له أن يعينه ويساعده على مأموريته المهمة، وأن يؤيده

ويوفقه لخدمة البلاد والأمة بما يقطع عنه ألسنة مبغضيه وحساده، وبما يكون منه البرهان الساطع على نقيض ما يقال الآن عن بعض المتفيهقين في كبار الرجال وشيوخهم المعمرين. ومن هناك قفلنا عائدين إلى الفندق. وقد كنت أشعرت بعض الجماعة من أهل المدينة بشدة ميلي إلى مشاهدة ما يصنع في ذلك البلد

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١١٥

من قبيل المنسوجات الحريرية والقطنية والأصواف والجلود، كما طلبت إليهم أن يعرضوا علي كرائم خيلهم، عسى أن أظفر هذه المرة بطلبي وأستعيض من جياد حلب الكريمة ما فاتني في المدن الأخرى. ولما أن سكنت معالم الطبيعة ولبس الجو جلبابه الحالك، قصدنا إلى غرفة الأكل حيث تناولنا ورفاقنا طعام العشاء، وكان معنا سعادة المفضال الأكرم عبد الحميد باشا الدروبي.

في الفندق

وفي صبيحة اليوم الثاني، جاءنا في الفندق صاحبا العطوفة والسعادة فخري باشا وجابري باشا، فاستقبلناهما بما يليق بمقامهما الكريم. وبعد أن تبادلنا أطراف الحديث في غير مسألة، طلب إلينا سعادة جابري باشا أن نتناول طعام الغداء في منزله، فأجبناه إلى ما طلبه شاكرين له مروءته وكرمه. ودعانا كذلك عطوفة الوالي لتناول طعام العشاء، ملتمسا إجابته إلى دعوته في محفل الاتحاد والترقي. وحينئذ قلت." [١]

"بعدما استوثق منا عطوفته بإجابته إلى ملتمسه.

مسجد سيدنا زكريا

أما نحن فما نشبنا بعد انصراف عطوفة الوالي وصاحبه إلا بضع دقائق ريثما تهيأنا للخروج، ثم ركبنا من باب الفندق عربة، ومعنا صاحبنا الهمام سعادة عبد الحميد باشا الدروبي. وركب عقبنا عربة أخرى عزيزنا الفاضل أحمد بك العريس، ومعه الياور خيري أفندي، فقصدنا توا إلى جامع سيدنا زكريا نبي الله عليه السلام. وهو مسجد جميل الشكل متقن الصناعة والبنيان، تعتمد سقوفه المتينة على أقبية وعمد في طول المسجد وعرضه. ويقال إن موضع هذا المسجد كان في الأصل كنيسة من عهد الإمبراطورة هيلانة من قياصرة الرومان، ويسمى الجامع الأموي لأنه من آثار بني أمية. ويدعي أهل هذه الجهات أنه كان شبيها بالجامع الأموي في دمشق، وقد أحرقته طائفة الإسماعيلية سنة ١١٦٩ ميلادية، ثم أعاد بناءه المرحوم السلطان نور الدين الشهيد، ثم هدمه المغول تحت رياسة هولاكو. ويمتاز هذا المسجد بمئذنته الشاهقة التي يبلغ ارتفاعها نحو ٥٤ مترا، ولم نشاهد مأذنة في مساجد المسلمين التي رأيناها بلغت من العلو هذا المبلغ إلا تلك المأذنة العجيبة، وهي قائمة في الزاوية الشمالية الغربية من جهة الصحن الكبير الذي تحيط به الأعمدة من الثلاث جهات. ويقال إن هذه المأذنة بنيت في سنة ١٢٩٠ ميلادية. أما المسجد الذي

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١١٧

تقام فيه الصلاة فإنه واقع في الجهة الجنوبية من الصحن المذكو، وفيه حجاز من الخشب (درابزين) يقسمه إلى قسمين لكنهما غير متساويين؛ وقد خصص القسم الأصغر منهما بالصلوات الخمس، وجعل القسم الأكبر خاصا بصلاة الجمعة. وفيه يوجد قبر النبي زكرياء، والد النبي يحيى الذي قدمنا أنه مدفون بجامع بني أمية في دمشق، ويسمى يوحنا المعمدان. وهذا القبر لم يكن هو القبر الوحيد المجمع عليه من أهل المدن والطوائف، فإن مدينة سامرا وبعض مدن أخرى من الشام تزعم أن فيها قبره عليه." (١)

"ومتى أرادوا أن يحاولوا أمرا من الأمور لا يعدمون له وسيلة ولا يفقدون فيه حيلة. إذن، فماذا عساني أن أصنع ولا محيص من الكلام مع هؤلاء الخطباء الكرام، لاسيما وأن فيهم عطوفة الوالي وقومندان الجيش وأركان الولاية إلى غير ذلك ممن عرفت أنه لا يحسن السكوت في إجابتهم؟ نعم، إني قمت وأجملت في أقل ما يمكن من الكلام ما كان يجول في نفسي من إظهار عواطفي نحو الجماعة وشكرهم على ما لاقيته من كرمهم ولطفهم. وقلت في ختام مقالتي، بعد أن دعوت الله لهم ولجلالة السلطان، أني أرجو لبلدكم هذا مستقبلا جميلا في عهد عطوفة الوالي، وأنكم بهمته ونشاطه ستبلغون، إن شاء الله، أسمى المقاصد وأعلى المطالب، فإنه من خير الرجال المخلصين والحكام العاملين دائما على سعادة بلادهم وراحة شعوبهم. ثم عدنا إلى الفندق مودعين من لدن صاحب العطوفة فخري باشا بكل تجلة واحترام. وقد بيتنا النية على الرحلة من حلب في صباح يوم الثلاثاء ٢ربيع الثاني سنة ١٣٢٨. ولابد لنا إن شاء الله من ذكر كلمة عن حلب الشهباء وفاء بحقها، وقد كانت من أجمل بلاد الشام وأعظم مدائنها عمارة وحضارة، لاسيما وقد رأينا من معروف أهلها ووداتهم ما لا ننساه لهم على طول الحياة، وما لعلنا إذا ذكرنا شيئا منه نكون قد أدينا الواجب علينا تلقاء ما صادفناه من شهامة هؤلاء القوم ومروءتهم العالية.

حلب

هذه المدينة واقعة على الدرجة ٣٦ و١١ دقيقة و٣٢ ثانية من العرض الشمالي ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر نحو ٣٢٠ مترا، وهي قائمة في سهل منخفض على حدود الصحراء تحيط بها تلول كثيرة، ويرى حواليها آثار أبنية قديمة تدل على أن هذه البلد كان محاطا بسور كبير ضخم، بل إن أثر السور نفسه لا يزال قائما في بعض نواحيها إلى الآن، وله أبواب عدة تسمى بأسماء مختلفة، فمنها باب النصر وباب الفرج وباب الجنين وباب أنطاكية، لأنه قائم على طريق أنطاكية التي هي على." (٢)

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١١٩

(٢) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١٢٨

"بيوت المدينة

وقد كنا نشاهد أثناء مرورنا في طرق المدينة وشوارعها أن البيوتات في معظم الجهات مبنية من حجارة منقوشة مزخرفة لا فرق في ذلك بين طبقاتها العليا وأدوارها السفلى، وقد أعجبني كثيرا ما رأيته من تلك النقوش البديعة المحفورة في نفس الأحجار بغاية الدقة والإتقان. ومن ذلك عرفت أن لأهل هذا البلد مهارة فائقة وحذقا عجيبا في صنعة النقش الحفري الذي يظهر فضل الصانع فيه على الأحجار أكثر مما يظهر على غيرها، فكان ذلك مصدقا لما اشتهر عنهم منذ زمان بعيد. ثم رأينا في بعض أحياء البلد أبنية حديثة العهد على النمط الأوربي، ولم نستغرب أن نمر من شوارع البلد في بيوت على الطراز الجديد وأن سكانها أكثرهم من ثراة المسيحيين، وهناك حي آخر يسكنه جماعة اليهود.

السفر من حلب

وأنه ما كادت تشرق علينا شمس يوم الأربعاء ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨ حتى كنا تأهبنا للسفر. وكان قد حضر إلينا جم غفير من أهل المدينة، فركبنا العربات من

باب الفندق إلى المحطة. وهناك كان في انتظارنا زحام شديد من المودعين الكرام، يتقدمهم جميعا عطوفة الوالي وأركان الولاية وأصحاب الحيثيات الكبيرة. وبعد أن تبادلنا السلام والشكر، وودعنا من حضراتهم جميعا بما لا يتسع المقام لشرحه من التجلة والتفخيم، نزلنا في الصالون الخاص وكانت المحطة لا تزال تموج بالناس موجا. وما هي إلا لحظة وتحرك القطار في طريق حمص، وإذ ذاك لا أستطيع أن أعبر عن سروري وابتهاجي بأولئك الحلبيين الأفاضل الذين لم يتركوا في سبيل راحتنا وانبساطنا شيئا إلا فعلوه. وقد نزل معنا في القطار الوفد الذي كان قد عين لاستقبالنا." (١)

"الأقطان والمصنوعات قد بلغت نحو عشرة ملايين وسبع مائة ألف فرنك، وأن الصادرات من الغلال والصوف والحرير والصابون والإسفنج بلغ تقريبا من سبعة ملايين ومائة ألف فرنك. وأهم ما فيها من الصناعات صناعة الحرير التي اشتهرت منها جدا المناطق الحريرية، وكذلك صناعة الصابون، حتى إن الباعة يروجون بضاعتهم من هذين الصنفين بنسبتها إلى طرابلس. أما ضواحيها فخصبة التربة جيدة المعدن، وفيها كثير من شجر الزيتون والبرتقال والليمون وشجر التوت، وهو أكثر من كل المغروسات لتربية دود الحرير. وفيها أيضا يزرع الدخان الذي لا تزال زراعته تتقدم شيئا فشيئا.

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١٣٣

تاريخ طرابلس

لم يعلم إلى الآن ما هو الاسم القديم الذي كان يطلقه الفينيقيون على مدينة طرابلس. وقال بعض المؤرخين إنه يغلب على الظن أن بناء هذه المدينة لا يتجاوز سبع مائة سنة قبل الميلاد. وهي باعتبارها مدينة من مدن الجمهورية الفينيقية لم يظهر عليها أنها كانت شغلت مركزا مهما في تاريخ تلك الجمهورية. ويقال إنها بنيت في ذلك الوقت على شاطئ البحر. وقد بنى فيها الأشوريون

والرومانيون بعد ذلك مباني فخمة، تكون منها إذ ذاك جمال المدينة وحسنها. ولكن الزلازل التي توالت عليها خربتها ولم تبق شيئا يذكر من آثار العمائر الجميلة. وقد فتحها المسلمون بدون مقاومة منها مطلقا. ثم توالت عليها حوادث الحروب الصليبية وغيرها، كما تعاقبت عليها مصائب طبيعية كثيرة. وهي تتألف كما قلنا من قسمين، قسم الميناء البحرية وقسم المدينة الداخلية التي بناها المسلمون وازدادت عمارتها وكثر عدد سكانها في القرن السادس عشر. وقد اشتهرت طرابلس فيما بين الناس بأنها مدينة غير صحية بسبب ما يظهر فيها من الحميات، مع أن هذه الأمراض لا تظهر هناك إلا قبيل فصل الخريف، وهي مع ذلك قليلة الخطر جدا. وتسمى هذه المدينة عند أهلها بدمشق الصغرى، وشوارعها مرصوفة مرصوصة بالحجارة، وعليها أقبية وعقود يذكر منظرها بالقرون الوسطى. وفيها سوق للحرير الذي يصنع بها، وعدد كبير من **الخانات،**." (١)

"وأجملها كلها خان الصاغة. وأحسن موضع يرى منه الناظر جمال طرابلس في مجموعه هو القصر الحصين المبني على الجبل المقابل لها. ويقال إن الذي شيد هذا القصر هو الكنت ريموند ديسانجيل، ويسمى عند المسلمين إلى الآن ساندجيل. ويوجد خارج المدينة غابة من أشجار الفاكهة، عظيمة المساحة جميلة المنظر. أما المدينة البحرية، فإنها قائمة على لسان داخل في البحر، تحيط بها عدة أبراج قديمة. وعدد سكانها يبلغ خمسة آلاف نفس تقريبا، وهذا العدد محسوب من جملة العدد المتقدم.

هذا، وقد قدرنا المسافة من طرابلس إلى ميناء بيروت بنحو أربع ساعات، قضيناها كلها والحمد لله في راحة تامة وسرور عظيم، لأن سير السفينة في طول هذا السفر كان قريبا من الشاطئ. وناهيك بمنظر الطبيعة البديع الذي كنا نشاهده على الساحل من شاطئ البحر إلى جبال لبنان، فقد كان من أحسن ما اتفق أن يراه الإنسان في بلاد الجمال.

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١٤٨

الوصول إلى بيروت

وصلنا إلى بيروت حيث كانت الساعة ستا ونصف بعد الظهر تقريبا، فوجدنا في استقبالنا على المرفأ حضرات أصحاب السعادة والفضيلة رجال الحكومة، يتقدمهم دولة الوالي ثم العلماء والرؤساء الروحيون فالأعيان والوجهاء. وبالجملة، فإن الاحتفال كان بالغا حد الأبهة والوقار، لا ينقص عما في المرة الأولى، إن لم يكن قد زاد أمرا معنويا، هو ما كان يدور بين القلوب من المحبة والإخلاص. وبعد أن تبادلنا السلام والتحية، ركبنا قاصدين إلى **الفندق** الذي كنا نزلنا فيه أول مرة. ولم يمض علينا إلا قليل من الزمن حتى توافد إلينا جميع الذين كانوا ينتظروننا على مرسى السفينة، فاستقبلناهم شاكرين لهم ما أبدوه نحونا من العناية واللطف. وكان من ضمنهم وفد من التلاميذ المصريين في كلية الأمريكان، جاؤوا ليتعرفوا منا الوقت الذي نحدده لزيارة مدرستهم، وقد وعدتهم بذلك في صباح اليوم الثاني، إن شاء الله.." (١)

"وكيل البطريك

وكان قد جاءنا على أثر نزولنا في **الفندق** أيضا جناب وكيل غبطة بطريك الطوائف المارونية، يحمل إلينا سلام غبطته ويدعونا عن لسانه إلى زيارته في بيته الذي في الجبل حيث هو لم يستطع الخروج منه. وقد بلغني أنه يميل كثيرا إلى الأسرة الخديوية لما يعرفه من رعايتهم لأبناء الشام، وما يبلغه من حسن معاملة الحكومة الخديوية لهذا الشعب. ومن ثم كان غبطة البطريك يود من صميم قلبه أن نعده بزيارته كيما يستعد بعمل زينة باهرة واحتفال فخيم، حتى قال محدثنا في هذا الشأن إنه قد صمم على أن يبالغ في تكوين الزينة ورونقها إلى ما لم يسبق له نظير لسوانا من كل زائريه وضيوفه. ولقد كنت أحب كثيرا أن ألبي دعوة هذا الرئيس الديني الكبير وأصعد لزيارته في الجبل، غير أنه مع مزيد الأسف كانت

مدة إقامتنا لا تسمح بهذه الزيارة. ولذلك قلت لجناب الوكيل ما يتضمن هذا العذر، ووعدته أن أستبدل من زيارة غبطة البطريك زيارة مدرستهم. فشكر لنا ذلك وانصرف مشيعا بما يليق به من الاحترام، محملا منا إلى رئيسه الكريم عاطر التحية والسلام. وعلى ذلك انقضت سحابة هذا اليوم.

زيارة المدارس

ولما أن أصبح الصباح ذهبنا إلى زيارة المدارس التي كنا بيتنا النية على مشارفتها، فابتدأنا بزيارة المدرسة

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١٤٩

الأهلية، وحين وصلنا إليها وجدنا في استقبالنا عند مدخلها جناب ناظرها الفاضل، وهو رجل هندي الجنس، غاية في الأدب والنشاط، فسلمنا عليه ورحب بنا وكان يعجبني منه زيادة عن كل شيء احتفاظه بدينه وتمسكه به تمسكا شديدا. ثم إنه عرض علينا ما كانت تشتمل عليه المدرسة من الأعمال والأدوات، بعد أن طاف بنا على جميع مداخلها وغرفها، وعرض علينا أيضا بعض التلاميذ ممن كانوا لا يزيد عمر الواحد منهم عن أربع سنوات، وامتحنهم أمامنا فيما." (١)

"صحاف الحلوى وفناجين الشاي، فتناولنا منها ما طاب لنا، وشكرناهم. ثم قمنا مودعين من حضراتهم جميعا بغاية الإجلال والتعظيم.

ومن هناك عدنا توا إلى **الفندق**. وبعد أن تناولنا طعام الغداء وركبنا سيارة، ومعنا حضرة الأمثل سليم بك ثابت، حيث قصدنا إلى التنزه في جهات الضواحي. وكان سيرنا في هذه المركبة السريعة على شاطئ البحر من شمال بيروت، بين المناظر الطبيعية الجميلة، حتى وصلنا إلى بلدة تسمى سوق مصباح، ومنها عدنا في نفس الطريق إلى **الفندق**، حين لم يبق من الوقت إلا ريثما يسعنا للعشاء والنوم. وعند الصباح توجهنا إلى زيارة معمل الخواجه خوري السيوفي، وهو معمل كبير للمصنوعات الخشبية، وحركاته الصناعية تجري كلها بواسطة الأدوات والآلات

التي تختلف على حسب اختلاف أدوار العمل وأجزائه. وهناك شاهدنا من العمال مهارة فائقة ونشاطا عجيبا، ولهم دقة غريبة في الصناعة، خصوصا صناءة الدواليب التي كانت لا تقل في نظرنا عن الدواليب التي تصنع في أهم فبريقات أوربا وأشهر معاملها. وبالجملة، فإن هذا المصنع كان حافلا بالعدد المتينة والآلات المكينة التي تلزم لصناعة الخشب بجميع أنواعه، من المبدأ إلى المنتهى، على نحو ما يتصوره زائر المصانع في البلاد الغربية. وقد طفنا في هذا المعمل على كل ما كان يدور فيه من العمل، وسررنا جدا من تلك النهضة العملية الشريفة التي تبشر بحسن مستقبل الصناعة في بلاد الشام، وتعد خطوة واسعة في طريق الحضارة الشرقية. وإذ ذاك امتدحنا مؤسس هذا العمل المفيد الذي كان أكبر مشجع لتلك الصناعة البديعة في بلاد الشرق، حتى أصبحنا نرى في مثل بيروت مصنوعات مهمة تضارع مصنوعات الغربيين في أعظم مصانعهم. ولابد على طول الزمان أن تنشأ المعامل لمثل هذه الصناعة وغيرها في كثير من حواضر البلاد الشامية، وحينئذ يتوفر للبلاد شيء كثير من ثروتها، يتبادل بين أهاليها ويصرف منها فيها، وذلك هو الأساس

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٥١.

الأول الذي عليه يبنى استقلال البلاد وترتكز سعادتها. وإنه بقدر ما كان سرني أن أرى تلك الحركة العظيمة والنهضة السامية من أبناء سورية، لقد ساءني أني لم أجد مثل ذلك." (١)

"لأحد أبناء مصر، وفيهم الأغنياء المثرون والعقلاء المفكرون. وقد أخبرني جناب الخواجه خوري بأن لأخيه تجارة واسعة في مصر، تصدر إليه من بيروت. وهي إذا كانت من الإتقان، بالدرجة التي شاهدناها، لا جرم كانت قمنة بأن تحرز ثقة المصريين وتروج في أسواقهم رواجا عظيما. ولما أن قضينا مأربنا من رؤية ما في المعمل واطلعنا على جميع أدواته، وتعهدنا دوائره ومصنوعاته، شكرنا للرئيس همته ونشاطه وشجعناه. وحينئذ دق الجرس، فوقفت حركة العمل في كل جهة من جهات المعمل، وجاء العمال عن

بكرة أبيهم وأحاطوا بنا إحاطة الثوب بالبدن، وكان يبلغ عددهم ٣٠٠ نفس تقريبا. ثم تقدم نحوي أصغرهم وقدم باقة زهر، وجاء آخر وأخذ يهتف لنا بالدعاء بعد الترحيب والثناء. وعلى أثر ذلك قدم لنا الشاي والحلوى فتناولنا منهما ما وافقنا، ثم خرجنا. وكان ينتظرنا في غضون الطريق مصورون معهم آلة التصوير (الفوتوغراف) فأخذوا رسمنا حال مرورنا. ثم توجهنا إلى **الفندق**، لنتهيأ من هناك للذهاب إلى مدينة صيدا حيث كنا دعينا لتناول الغداء فيها من قبل صاحب السعادة نسيم بك جنبلاط، أحد أمراء الدروز وعظمائهم.

صيدا

مدينة صيدا الحالية وهي سيدوم القديمة قائمة على هضبة وهي من هذا تشبه جميع المدن الفينيقية. ثم هي محاطة بحدائق غناء تمتد على طول الشاطئ، خصوصا في الجهة الشمالية. وأكثر ما فيها من الأغراس أشجار البرتقال والليمون والخوخ واللوز والموز والنخيل، ولكن يقال أن هذا الأخير أقل من غيره. أما عدد سكان المدينة فيقال إنه يبلغ نحو ١١ ألف وخمس مائة نسمة، منهم ٨ آلاف مسلمون و٢٥٠٠ من اللاتين و٨٠٠ من اليهود و٢٠٠ من المذهب البروتستانتي. وهي مركز قضاء باسمها، وفيها أسقفان للروم الأرتذكس، وأسقف للمارونيين. وفيها مدارس إسلامية، بعضها." (٢)

"السفر إلى صيدا

ركبنا مركبة سيارة (أتوموبيل) من باب **الفندق**، وذهبنا متجهين نحو ذلك البلد في طريق كان معظمه على

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١٥٦

(٢) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١٥٧

شاطئ البحر. وكانت هذه أول مرة مررنا فيها من تلك السكة التي وجدناها مثل أكثر سكك الضواحي في بلاد الشام، إذ كانت مغروسة على الجانبين بالزروع والأشجار. وكنا نشاهد أثناء السير شجر التوت يمتاز بالكثرة عن كل الشجر، وقد قدمنا أن سبب ذلك هو أن ثروة أكثر المدن والقرى في تلك الجهات معظمها من محصول الحرير الذي يتغذى دوده من ورق التوت، فهم لأجل ذلك يكثرون من زراعته في البساتين وفي الطرق أيضا. ويقال إن صيدا ازدادت ثروتها كثيرا بسبب اتجارها بالحرير ومنسوجاته. وحينما كنا على مسافة قريبة من البلد، ألفينا في انتظارنا سعادة نسيم بك جنبلاط، ومعه عدة

رجال من مستخدمي الحكومة وثلة من عساكر الجندرمة، فاستقبلونا بغاية الحفاوة. ثم ساروا بنا إلى هضبة تبعد عن البلد قليلا، حيث على تلك الهضبة تقوم دار سعادة البك التي وجدنا على مدخلها، حين وصلنا إليها، أنجال سعادته واقفين ينتظروننا، فرحبوا بمقدمنا واستقبلونا بما دل على تهذيب نفوسهم وحسن تربيتهم. ثم دخلنا إلى ردهة الاستقبال، وما كدت أستقر فيها حتى ذهبت مني نظرة إلى الحائط فرأيت على دائره صور جميع أفراد الأسرة العلوية، من الجد الأكبر إلى الحضرة الفخيمة الخديوية. وكانت تلك الرسوم البديعة متقنة إلى درجة أنها تكاد تمثل أشخاص المرسومين، لأنها على إتقانها العجيب كانت مكبرة وملونة بالزيت، فانشرح صدري من رؤية هذه المجموعة أيما انشراح. وحينئذ أظهرت لأصحاب البيت سروري وجذلي من ذلك العمل الذي كنت أستشف منه إخلاص أسرة جنبلاط الكريمة نحو البيت العلوي القديم. ثم إني ما كدت أبدي عجبي واستغرابي من أني أرى رسم الأسرة الخديوية كلها على حائط هذا البيت، وهو قائم على تل من تلال الشام، حتى كان قد أدرك ذلك منا سعادة الأمير نسيم بك وقال لنا على الفور: لا تعجبوا دولتكم أن تجدوا أمام أعينكم الآن صور أسرتكم الفخيمة، فما هو إلا بعض الواجب تؤديه لكم أسرة شامية، كانت ولا." (١)

"وبعدما شكرناهم وأبدينا لهم سرورنا، ذهبنا متجهين إلى **الفندق**. وهناك تجهزنا للسفر، ثم خرجنا فأدينا ما كان علينا من الزيارات، حيث زرنا دولة الوالي ودولة متصرف لبنان وحضرة القومندان. وقبل قيامنا من بيروت، بلغتنا حادثة أزعجتنا وكدرت صفونا، وهي خبر وفاة المأسوف عليه الخواجه سرسق، فقد كان لهذا الخبر أشد تأثير في أنفسنا بعدما أنه كان دعانا لتناول الطعام في منزله، وكنا أجبناه إلى ذلك. ولكننا مذ بلغنا نعيه، عدلنا عن الذهاب لهذا الخصوص، على الرغم من أسرته كانوا قد استعدوا بالفعل. وقد ذهبنا لتعزيتهم وشكرهم على همتهم الكبيرة التي لم يكن ليمنع منها هذا الحادث وهو أشد ما يكون على نفوسهم.

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١٦٠

ثم توجهنا إلى الباخرة الفرنساوية بعد الظهر مودعين من حكام المدينة وأعيانها ومظاهرها بما كان لا يقل في الرسميات عن الاستقبال.." [1]

"ومن كانت له دار يسكنها هو، وسكنها أبوه من قبله خمسين سنة، يتعهدها فيها بالإصلاح وبالتجديد، لم يستطع أن يحدد تاريخ كل باب فيها وكل جدار، فكيف بالأموي وهو من ألف وثلاثمئة سنة عرضة للإصلاح والتجديد.

بقي الأموي على صفته الأولى (التي ستقرؤونها بعد صفحات) أو على قريب منها نحوا من أربعمئة سنة، أي إلى سنة ٤٦١ حين نشب فيه الحريق العظيم، فنسخ آيات حسنه، وطمس وجه جماله، وصيره تلالا من التراب، وبقي على ذلك أربع عشرة سنة إلى سنة ٤٧٥ حين جدد بأمر ملكشاه السلجوقي.

ثم تتالت عليه الزلازل والحرائق على ما سيأتي تفصيله، ولم يكن عمل البشر في صحن المسجد أقل من عمل الطبيعة (١)، فلقد انتابه الإهمال مرة حتى صار كأنه خان أو **فندق**، وامتلأ صحنه باللاجئين والمقيمين، وصار الرجل يجد لنفسه موضعا فيه يضع فيه حاجاته وصندوقه، ويقيم لنفسه مقصورة أو كوخا، ويستقر فيه، وبلغ ما فيه من هذه المقاصير أكثر من ثلاثمئة، واتخذ فيه الأمراء حواصل ومستودعات، وبقي ذلك مدة لا يعرف مقدارها حتى جاء الملك الظاهر، فكان من بداية إصلاحاته أن طرد هؤلاء الناس، ونظفه وغسل رخامه، وفرشه وأعاده مسجدا للعبادة والعلم.

---

(١) الطبيعة (فعيلة) بمعنى مفعولة، والذي طبعها وأجراها على سننها والله خالق كل شيء.." [2]

"ونوشجان مسيرة يوم ومن اطباش الى نوشجان الاعلى بعض الطريق فى جبال صغار والبعض فى كلأ وعيون لا قرى فيها ومن يسلك الطريق يحمل معه ما يحتاج اليه والسابلة يسلكونه وقل ما ينجرون ست مراحل ومن نوشجان الاعلى الى موضع تغزغر خاقان ملك التغزغز مسيرة سته ايام نرجع الى طريق كيماك من طراز فيؤخذ من طراز الى قريتين فى موضع يقال له كواكت عامرتين كثيرتى الاهل بين هذا الموضع الى موضع ملك كيماك مسيرة ثمانين يوما للفارس المسرع يحمل معه طعامه فقط لأن سيره فى صحارى واسعة كثيرة الكلأ والعيون وعامة الكلأ قت ثم نرجع الى مرو فنبين الطريق منها الى طخارستان ونواحيها فمن مدينة مرو الى قرية تدعى فاز سبعة فراسخ ومن فاز الى مهدي آباذ على طريق المفازة ستة فراسخ ومن

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١٦٤

(٢) الجامع الأموي في دمشق، ص/١٢

مهدي آباذ الى يحيى آباذ منزل وسط الوادى فى هذا المنزل خانات وسكة سبعة فراسخ ومن يحيى آباذ الى القرينين وهذه القرية فى المفازة على شط الوادى على تل كبير اهلها مجوس وكسبهم من كرى حميرهم يضربون عليها الى الآفاق يقال لهم يركون خمسة فراسخ ومن القرينين الى اسدآباذ سبعة فراسخ ومن اسدآباذ الى حوزان خمسة فراسخ ومن حوزان الى قصر الاحنف قرية على الوادى تنسب الى الاحنف بن قيس." (١)

"اربعة فراسخ ومن قصر الاحنف الى مدينة مرو الاعلى خمسة فراسخ ثم تجاوز هذه المدينة حتى تنتهى الى موضع يقال له قصر عمرو فى الجبل على فم الشعب قدر فرسخ، ومن مدينة مرو الروذ الى ارسكن خمسة فراسخ ومن ارسكن الى الاسراب وهى صغيرة بيوتها اسراب فى الجبل على الطريق فى الشعب سبعة فراسخ ومن الاسراب الى كنجاباذ وهى قرية من كور الطالقان ستة فراسخ ومن كنجاباذ الى الطالقان ستة فراسخ ومن الطالقان الى كسحان قرية عظيمة بين جبلين خمسة فراسخ ومن كسحان الى ارغين قرية عامرة فى وادى مرو فرسخ ثم فى عقبة ترابية ليست بصعبة وبعد ذلك فى الجبل بعض الطريق حجارة وفى العقبة عين بحجارة وكله ليس بصعب اربعة فراسخ ومن ارغين الى قصر خوط قرية عامرة فى صحراء كثيرة الاهل وهى اول عمل كورة الفارياب خمسة فراسخ ومن قصر خوط الى مدينة الفارياب قدر فرسخين ثم الى المفازة التى يقال لها مفازة القاع وهى خمسة فراسخ ومن مدينة الفارياب الى القاع فى المفازة اكثر من ذلك فى صعود وهبوط وهو سهل المنزل فيه خانات وآبار وهو من سلطان كورة الجوزجان وهو فى صحراء تسعة فراسخ ومن القاع الى الشبورقان فى البرية وا؟؟؟ م؟ و؟ ه وهى كثيرة الاهل فيها منبر وهى من الجوزجان تسعة فراسخ ومن الشبورقان الى السدرة وهى من كورة بلخ ستة فراسخ كان هذا المنزل هو الدو وليس فيه الا سكة البريد وخانات فلما كانت سنة الزلزلة بخراسان فى نواحى مرو وطخارستان وهى سنة." (٢)

"إلى صاحبه بخوارزم بترك العرض «٥٦» لنا والكتاب بباب الترك ببذرقتنا «٥٧» وترك العرض لنا.
فقال: وأين أحمد بن موسى؟ فقلنا: خلفناه بمدينة السلام ليخرج خلفنا لخمسة أيام. فقال: سمعا وطاعة لما أمر به مولاي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه.
قال: واتصل الخبر بالفضل بن موسى النصراني وكيل ابن الفرات فأعمل الحيلة في أمر أحمد بن موسى،

---

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة ابن خرداذبه ص/٢٠٩

(٢) المسالك والممالك لابن خرداذبة ابن خرداذبه ص/٢١٠

وكتب إلى عمال المعاون «٥٨» بطريق خراسان من جند سرخس إلى بيكند: أن أذكوا العيون «٥٩» على أحمد بن موسى الخوارزمي في الخانات «٦٠» والمراصد «٦١» وهو رجل من صفته ونعته فمن ظفر به فليعتقله إلى أن يرد عليه كتابنا بالمسألة، فأخذ بمرو واعتقل.

وأقمنا نحن ببخارى ثمانية وعشرين يوما، وقد كان الفضل بن موسى أيضا واطأ عبد الله بن باشتو وغيره من أصحابنا يقولون: إن أقمنا هجم الشتاء وفاتنا الدخول وأحمد بن موسى إذا وافانا لحق بنا.

قال «٦٢» :

ورأيت الدراهم ببخارى ألوانا شتى منها دراهم يقال لها الغطريفية «٦٣» : وهي نحاس وشبه «٦٤» وصفر يؤخذ منها عدد بلا وزن، مئة منها بدرهم فضة، وإذا." (١)

"الصناعات (خ) الخزف ١٠٣

(د) الديباج الرومي ٧٦، ٨٧، ١٠٦

منشآت (ح) الحمام ٥٢

(خ) الخانات ٤٧." (٢)

"وإلى باب الفراديس أربعمائة وخمسين ذراعا.

وإلى باب الفرج سبعمائة ذراع.

الجامع: الطول مائتان وثمانية وثمانون ذراعا، العرض مائة وثمانون ذراعا، ارتفاع النسر تسعون ذراعا.

ميدان الحصى الطول ستمائة وثلاث وخمسين ذراعا ونصف وثمن قاسمية، العرض مائتان وأربعة عشر ذراعا ونصف وربع وثمن قاسمية.

الميدان الأخضر الكبير: الطول ثمانمائة وتسعة وستون ذراعا ونصف وربع قاسمية، العرض مائتان وأربعون ذراعا ونصف قاسمية.

الميدان الأخضر الصغير: طوله ستمائة وثمانون ذراعا ونصف وثمن قاسمية عرضه مائتان وثلاث وخمسين ذراعا ونصف وثمن قاسمية.

ارتفاع قبة النسر، ثلاثة وتسعون ذراعا قاسمي.

بعد ما بين داريا ودمشق عشرة الف «١» وخمسمائة ذراع قاسمية.

---

(١) رساله ابن فضلان = رحلة ابن فضلان الى بلاد الترك والروس والصقالبة ابن فضلان ص/٤٧

(٢) رساله ابن فضلان = رحلة ابن فضلان الى بلاد الترك والروس والصقالبة ابن فضلان ص/١٤٨

بعد ما بين دمشق وحمص أربعة وعشرين فرسخا وثلث، تفصيله من باب توما إلى محاذى حرستا ستة ألف وثمانمائة ذراع قاسمية، وإلى **فندق** القصير ستة عشر ألفا ومائتى ذراع فرسخ وثلث وسدس عشر.
وإلى نهر يزيد مفرق طريق القطيفة من الجادة ثلاثة فراسخ تقريبا.." (١)

"غير ماء يكون بالمسجد الجا ... مع صاف مروق مبذول

وقال بعضهم: رأيت في غرفة ببعض **الخانات** التي في طريق إصبهان مكتوبا:

قبح السالكون في طلب الر ... زق على ايذج إلى أصبهان

ليت من زارها فعاد إليها ... قد رماه الإله بالخذلان

ويقال إن بليناس لما أراد دخول إصبهان ليطلسم آفات مدينتها، اجتاز ببعض رساتيقها وقد أضر الماء بزروع أهله، ١٠٢/٢ فشكوا ذلك إليه، فاتخذ لهم طلسما في جوف بئر إذا احتاجوا إلى الماء فاضت بماء غزير.
فإذا استغنوا منه، تراجع إلى البئر وغار فيها حتى يحتاجوا إليه فيخرج.
ثم اتخذ بأصبهان طلسما للهوام فقلت.
واتخذ بروذدشت طلسما لينضب ماؤهم في الصيف ويفيض عليهم في الشتاء فيضر بهم ويؤذيهم. وذلك أنهم أغضبوه.
وعمل طلسمين أحدهما تحت باب من أبواب المدينة، والآخر إلى جانب شجرة بينها وبين المدينة فرسخ.
فإذا فتح ذلك الباب وقع الوباء في أهل المدينة، وإذا قطع غصن من أغصان تلك الشجرة ارتفع الوباء.
وعمل طلسما للفجور وفساد النساء، فليس الزنى ببلد من البلدان أظهر منه بها. وإنما دعاه إلى ذلك أن أهلها أفسدوا غلامه. ثم لم يقنع بذلك حتى عمل على طرقهم وهي سبع طرق، سبع طلسمات للخوف، فطرقهم مخوفة أبدا.
ويقال: لم يبن بالجص والآجر بناء أبهى من إيوان كسرى الذي بالمدائن، ولا بالحجارة أحسن من قصر شيرين. وبازرميدخت أيضا بناء عجيب. ولا بني باللبن والطين أبهى ولا أحسن ولا أعجب من بناء بأصبهان في رستاق من رساتيقها يقال له نيمور.
وبأصبهان قرية يقال لها انباجن، عند أهلها خرزة [خضراء آسمانجونية]." (٢)

---

(١) رحلة السيرافى السيرافي، أبو زيد ص/١٠١

(٢) البلدان لابن الفقيه ابن الفقيه ص/٥٣٤

"ونصراباذ وساربانان وباب الجبل وباب هشام وباب سين واعمرها الروذة فان بها معظم التجارات والخانات وهو شارع عريض مشتبك الخانات والابنية ولها مدينة عليها حصن وفيها مسجد الجامع واكثر المدينة خراب والعمارة فى الربض ومياههم من الآبار ولها ايضا قنى ولهم فى المدينة نهران للشرب احدهما يسمى سورقنى يجرى على الروذة والآخر الجيلانى يجرى على ساربانان ومنهما شربهم ولهم قنى كثيرة ما يفضل عن مشربهم ويتفرع الى ضياعهم، ونقودهم الدراهم والدنانير وزى اهلها زى العراق ويرجعون الى مروة ولهم دهآء وتجارب وبها قبر محمد بن الحسن الفقيه والكسائى المقرئ والفزارى المنجم واما الخوار فانها مدينة صغيرة نحو ربع ميل وهى عامرة وبها ناس يرجعون الى شرف ولهم ماء جار يخرج من." (١)

"وقطرها نحو فرسخ وابوابها اربعة باب زامين باب مرسمندة باب نوجكت باب كهلباذ ولها ستة انهار كلها من منبع واحد هو من المدينة على اقل من نصف فرسخ وتليها فى الكبر زامين وهى على طريق فرغانة الى السغد وتسمى المدينة سوسندة وديزك مدينة فى السهل بها رباطات وخانات وماء ينبع من عين وهى كثيرة النزه والبساتين والمياه وليس بجميع اشروسنة نهر تجرى فيه سفينة ولا بها بحيرة والبتم جبال شاهقة منيعة واكثرها تغلب عليها البرد وبالبتم حصون منيعة جدا وفيه معدن الذهب والفضة والزاج والنوشاذر وهو جبل فيه مثل الغار يبنى عليه بيت ويستوثق من ابوابه وكواه فيرتفع من الغار بخار يشبه بالنهار الدخان وبالليل النار فاذا تلبد هذا البخار قلع منه وهو النوشاذر ولا يتهيأ لاحد ان يدخله من." (٢)

"أ- موارد المياه فى مختلف صورها من الآبار والعيون والبرك، وما يتجمع من ماء الأمطار والسيول فى الأحواض، وما أقامه الإنسان من قباب على هذه الموارد.

ب- كما ذكر ما أقيم على الطرق فى محطاتها من خدمات للمسافرين كالخانات والرباطات والحصون، وينزل بعضها من يقومون بالخفارة (البذرقة) من قبل السلطان.

ح- كذلك يشير إلى معلومات عن السكان وعن نمط السكن حتى ولو قل عدد السكان حتى لا يتجاوز بضعة أشخاص، كما يحصى المساكن، ولا ينسى ذكر ما بالقرى من زرع وضرع، وهو يفعل كل ذلك بدقة واضحة.

والملاحظ أن نصيب ديار الإسلام من حيث صفحات الكتاب فيه تفاوت كبير بين ما يخص كل إقليم، فإذا كان ما يخص ما وراء النهر يتجاوز ثلاثين صفحة ومثله ما يخص بلاد فارس، فإن ما يخص خراسان

---

(١) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – ليدن الإصطخري ليدن/٢٠٨

(٢) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – ليدن الإصطخري ليدن/٣٢٧

هو نحو ١٦ صفحة، وما عدا هذه الأقاليم الثلاثة من جملة الأقاليم لا يتجاوز عشر صفحات لكل إقليم، وأحيانا أقل من ثلاث صفحات، مع الأخذ فى الاعتبار ما فى هذه الطبعة من هوامش وتعليقات تشغل حيزا كبيرا لا يقل عن ثلث حجم الكتاب ككل. ومثل هذا التفاوت يرجع إلى أن الإصطخرى قد زار ما وراء النهر وبلاد فارس موطنه الأصلى، كما زار ديار العرب ومصر والشام والعراق والجزيرة العربية، أما ما عدا هذه المناطق فهو مقل فى سرد التفاصيل مكتفيا أساسا بصور الأقاليم.
د. عبد العال الشامى." (١)

"صاحب الجبل المملكة بها منذ «١» أيام الأكاسرة، وجبال فادوسبان جبال مملكة، ورئيسهم يسكن قرية تسمى أرم، وليس بجبال فادوسبان «٢» منبر، وبينها وبين سارية مرحلة. وأما جبال الروبنج فإنها كانت ممالك، إلا أن فى هذا العصر قد فنيت ملوكهم، وهم من الرى وطبرستان، فما كان فى وجه الرى فمن حدود الرى، وما كان فى وجه طبرستان فمن طبرستان. والمدخل إلى الديلم «٣» من طبرستان على سالوس، وهى على البحر ولها منعة، إذا استوثق منها بالشحنة صعب المسلك على أهل الديلم إلى طبرستان، وبين هذه الجبال من حد الديلم إلى أستراباذ إلى البحر أكثر من «٤» يوم، وربما ضاق حتى يضرب الماء الجبل، فإذا جزت «٥» الديلم إلى الجيل اتسع حتى صار بينه وبين البحر مسيرة يومين وأكثر.
وأما نواحى قزوين فإن الذي يتصل بها من المدن أبهر وزنجان والطالقان؛ ويتصل بالرى: الخوار وشلنبة وويمة؛ وتقع فى قومس سمنان والدامغان وبسطام؛ وتقع فى طبرستان: آمل وناتل وسالوس وكلار والرويان وميلة وبرجى وعين الهم ومامطير وسارية وطميسة؛ وتقع فى عمل جرجان: جرجان وأستراباذ وأبسكون ودهستان.
وأما جبال الروبنج وفادوسبان وقارن فلست أعرف بها منبرا غير سهمار، وهى فى جبال قارن، وأعظم هذه المدن الرى «٦» ، وهى مدينة إذا جاوزت العراق إلى المشرق فليس مدينة أعمر ولا أكبر ولا أيسر أهلا منها إلى آخر الإسلام، إلا نيسابور فإنها فى العرصة أوسع، فأما اشتباك الأبنية والعمارة واليسار فإن الرى تفضلها، وطولها فرسخ ونصف فى مثله «٧» ، وبناؤها «٨» طين، وقد يستعمل فيها الجص والآجر، ولها أبواب مشهورة:
منها باب طاق، يخرج منه إلى الجبال والعراق، وباب بليسان يخرج منه إلى قزوين، وباب كوهكين «٩» يخرج منه إلى طبرستان، وباب هشام يخرج منه إلى قومس وخراسان، وباب سين يخرج منه إلى قم، ومن

---

(١) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – مصر الإصطخري المقدمة/٢٣

أسواقها المشهورة: روذة وبليسان ودهك نو ونصرآباذ وساربانان وباب الجبل وباب هشام وباب سين، وأعمرها الروذة، فإن بها معظم التجارات **والخانات**، وهو شارع عريض مشتبك **الخانات** والأبنية، ولها مدينة عليها حصن، وفيها المسجد الجامع، وأكثر المدينة خراب، والعمارة فى الربض، ومياههم من الآبار، ولها أيضا قنى، ولهم فى المدينة نهران للشرب «١٠» ، أحدهما يسمى سورقنى يجرى على الروذة، والآخر الجيلانى يجرى على ساربانان،." (١)

"والصغانيان وشومان وواشجرد وراشت، شرقيها بعض فرغانة. ومدنها: ارسيانيكث «١» وكركث «٢» وغزق ووغكث «٣» وساباط وزامين وديزك ونوجكث وخرقانة، ومدينتها التى يسكنها لولاة هى بونجكث «٤» ، وبناؤها طين وخشب، وهى مدينة داخلها مدينة أخرى على كل منهما سور، وللمدينة الداخلة بابان «٥» ، ويجرى فى المدينة الداخلة نهر كبير وعليه «٦» فيها رحى «٧» ، ويشتمل حائطها على دور وبساتين وقصور وكروم، وقطرها نحو فرسخ، وأبوابها أربعة: باب زامين وباب مرسمندة وباب نوجكث وباب كلهباذ «٨» ، ولها ستة «٩» أنهار «١٠» ، كلها من منبع واحد «١١» ، هو من المدينة على أقل من نصف فرسخ، وتليها فى الكبر زامين، وهى على طريق فرغانة إلى السغد، وتسمى «١٢» المدينة سوسندة؛ وديزك «١٣» مدينة فى السهل «١٤» ، بها رباطات **وخانات**." (٢)

"الربل، قصور الروم، مغائر الرقيم، العقبه ودونها رماده، قصر الابيض، حانوت بنى ابى ساره وهو حوانيت الرمل، خرائب القوم، سكه الحمار او قباب معان، جب العوسج، الكنائس، الطاحونه، الحنيه، ذات الحمام، فم الغراب،؟؟؟»

، ترنوط، ذات الساحل، ورسم عن يمين الاسكندرية فوهة نهر النيل وعليه دون تشعبه مدينة الفسطاط وتقابلها فى الجانب الآخر الجيزه وبينهما الجزيره، ويقرأ فى أعلى النيل وقاطعا له حدود مصر واعمالها، وأعلى ذلك حدود الشأم، ثم حدود الثغور، ثم عن يسار ذلك نواحى اقليميه، ويلى ذلك عن يساره على البحر انطاليه «٧» ، ومن عند ذلك يأخذ خليج من البحر الى أعلى الصورة وبقرب هذا الخليج فى البر عن يمينه بحيرة نيقيه ثم بحيرة نقموذيه، وعن يمين هذه البحيرة عند طرف الصورة الأعلى يقرأ بلد الناطليق ثم بلد هرقله ثم ارض الصرهوه «١٠» ، وكتب موازيا للطرف الأعلى من الصورة كله صورة المغرب وبلد الروم، وفى البحر من الجزائر قبرص واقريطش، وعلى وسط الخليج من الجانب الأيسر مدينة القسطنطينيه

---

(١) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – مصر الإصطخري النص/١٢٢

(٢) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – مصر الإصطخري النص/١٨٣

ويقرأ أسفلها على الساحل نواحى مجذونيه، ثم أسفل ذلك فى لسان البر المدور الخارج فى البحر أرض بلبونس دورها الف ميل وفيها امم للروم وبها نيف وسبعون حصنا ويضيق طرفها من جهة البر ويدعا بكسميلى اى ستة اميال، [١٩ ب] إيضاح ما يوجد فى القسم الثانى من صورة المغرب من الأسماء والنصوص، قد رسم على ساحل البحر من أسفله من المدن مبتدئا عن اليمين اطرابلس، قابس، اسفاقس، المهديه، سوسه، اقليبيه، تونس، طبرقه، مرسى الخرز، بونه، مرسى الدجاج، جزائر بنى مزغناى «٢٠» ، تامدفوس، اشرشال «٢١» ، برشك «٢٢» ، ومقابلا لا طرابلس فى أسفل الصورة فزان ويقرأ بينهما وادى الرمال او قصر ابن اسود وعن يمين ذلك المحتنى او حليما، ورسم عن يسار ذلك جبل يقرأ عنده جبل نفوسه وسكانه الشراه ويتصل بالجبل مدينتا شروس وجادو، ويقرأ بين جبل نفوسه ومدينة قابس مبتدئا من اليسار وادى اجاس، بئر زناته او ازروار، تامديت او تاجرجت «٢٤» ، ابار العباس او فاضلات، المنقوب وبينهما صبره، بئر الصفا وهى بئر الجمالين، وعن يسار قابس مبتدئا عن اليسار اللحمتين، حدوبس، فلانس، **فندق** ابن لقمن، عين الزيتونه،." (١)

"عامرة وهى قليلة الكروم وفاكهتها من قابس «١» تسد حاجة أهلها وشرب أهلها من مواجل بها ومواجنها صالحة الطعوم حافظة لما استودعت، ولهم من صيود السمك ما يكثر ويعظم تصاد بحظائر قد زربت «٣» وعملت فى الماء فتؤخذ بأيسر سعى، وبناؤها بالحجارة والجير وبينها وبين المهدية مرحلتان ولها عامل عليها للسلطان بذاته، (١٧) والمهدية مدينة صغيرة «٦» استحدثها المهدى القائم بالمغرب وسماها بهذا الاسم وهى فى نحر البحر وتحول اليها [من رقادة القيروان] «٧» فى سنة ثمان وثلثمائة وهى من القيروان على مرحلتين فرضة لما والاها من البلاد كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة منيعة ولها سور من حجارة وله بابان ليس لهما فيما رأيته من الأرض شبيه ولا نظير غير البابين اللذين على سور الرافقة وعلى مثالها عملا ومثل شكلهما اتخذا كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور حسنة الحمامات [٢٢ ظ] **والخانات** خصبة رفهة الفواكه والغلات طيبة الداخل نزهة الخارج بهية المنظر أدركتها سنة ست وثلثين وملوكها كماة وجيوشها حماة وتجارها طراة وقد اختلت أحوالها والتاثت أعمالها وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها عنها وبعدهم منها وكان أول نحس أظلها أبو يزيد مخلد بن كيداد وخروجه بالمغرب على أهلها وانثالت المناحس عليها الى الآن وقد بقى بها بعض رمق «١٧» ، (١٨) «١٨» [وانتقل عنها رجالها بانتقال المنصور عليه السلام عنها وبعده عنها وسكناه بالمنصورية من ظهر القيروان وذلك لما دهمه من أبى يزيد مخلد بن كيداد

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٦٣/١

وقصده المخالفة عليه واطراد ما اطرد له عند خروجه بالمغرب فى أحزاب الكفر والنفاق والإباضية والنكارية المراق فإنه صارت به الحال عند نجومه «٢٢» لما سبق به القدر وتقدم به القضاء الى أن." (١)

"استولى على المغرب بأجمعه وحاصر المهدية وضيق على أهلها وموالينا عليهم السلام حتى أذن الله تعالى ببواره وهو فى غاية الثقة «٢» بأنصاره والسرور باغتراره فخانه فجوره وأسلمه سروره وخرج اليه مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله صلى الله عليه وسلم فى فئة شعارها الإيمان وعادتها من الله الظفر والإحسان وعدو الله فى عدد لا يحصى وأمة أذن الله فيها بالفنى «٥» ..... يمر مراكرجع الطرف أبطؤوه فى قبض أنفسهم والنصر منتظم فزحزحهم عن مستقرهم وصياصيهم وبذل السيف فى نواصيهم وانهزم اللعين وقد عاين الموت وشارف الفوت يطلب من الأرض معاذا وفيها من سوء ما اقترفه لواذا فمناه أهل القيروان الغرور وأنزلوه كالمقهور وقد وصل اليهم فى مرحلة واحدة فمنوه الأباطيل وزخرفوا له الأقاويل فأقام ووصل المنصور أمير المؤمنين صلوات الله عليه فنزل عن غربى القيروان فى منزل نزله بالسعادة وعلت فيه طير النصر وال‌سلامة فتيمن بنزوله وتبرك بحلوله فأنجزه الله ما وعده وبلغه ما أمله فهزم أبا يزيد عن مكانه وأمكن الله من حزبه وأعوانه فمن على أهل القيروان بالعفو والغفران واتبع أبا يزيد فكان بينهما ما يطول شرحه ويتفاقم إنباؤه الى أن أخذه ورجع الى العسكر المنصور والمكان المذكور فاختط به أحسن بلد فى أسرع أمد وانتقل اليه واستوطنه وأقام به واستحسنه صلوات الله عليه يوم الثلثاء «١٨» لليلة بقيت من شوال سنة سبع وثلثين وثلثمائة،] «١٩» (١٩) وأما سوسه فمدينة بين الجزيرة والمهدية طيبة رفهة خصبة على نحر البحر ولها سور حصين وماؤها معين وبها مواجن قليلة وأعمال صالحة نبيلة وفى أهلها دهقنة والغالب عليهم السلامة وهى إحدى فرض البحر ولها أسواق حسنة **وفنادق** وحمامات طيبة وهى من القيروان على." (٢)

"وأوغل فى برارى سجلماسه واودغست ونواحى لمطه وتادمكه الى الجنوب ونواحى فزان ففيه مياه عليها قبائل من البربر المهملين الذين لا يعرفون الطعام ولا رأوا الحنطة ولا الشعير ولا شيئا من الحبوب والغالب عليهم الشقاء والاتشاح بالكساء وقوام حياتهم باللبن واللحم وسأذكر ذلك وأصفه بعد فراغى من ذكر المسافات على استقصاء إن شاء الله، (٣٧) ذكر الطريق من افريقية الى تاهرت وفاس، فمن القيروان الى الجهنيين قرية مرحلة، ومنها الى سبيبه مدينة أزلية كثيرة المياه والأجنة وعليها سور من حجارة حصين ولها ربض فيه الأسواق **والخانات** وشربهم من عين جارية كثيرة تسقى بساتينهم وأجنتهم وهى على مر الأيام

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٧١/١

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ٧٢/١

كثيرة الفواكه رخيصة الأسعار ويغلب على غلاتهم الكمون والكروياء والبقول ويزرع عندهم الكتان ولهم ماشية كثيرة مرحلة، ومنها الى مرماجنه قرية مرحلة وهى لهوارة وفيها أسواق حسنة، ومنها الى مجانه مدينة ذات سور من طابية مرحلة وهى كثيرة الزعفران والزرع وبها معادن حديد وفضة ومنها الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب ولهم واد غزير الماء يزرعون عليه وأسواق صالحة، ومن مجانه [٢٥ ب] الى تيجس «١٥» طريق قصد على مناهل وقرى خمس مراحل ويفارق طريق باغاى قبل أن يصل الى نهر ملاق، ومنها الى مسكيانه قرية عليها سور قديمة كثيرة المياه والزرع ولها سوق وماؤها جار من عيون فيها من الحوت الكثير الرخيص وسوقها ممتد كالبساط مرحلة وهى أكبر من مرماجنه وتجمعان أبدا لعامل واحد، ومنها الى مدينة باغاى وهى كبيرة عليها سور أزلى من حجارة ولها ربض عليه سور والأسواق فيه وكانت الأسواق قديما فى المدينة فنقلت ولها ماء جار من واد يأتيهم من القبلة ومنه شربهم مع أبآر لهم عذبة ولهم من البساتين الكثير مرحلة وهو بلد بربرى البادية وأكثر غلاتهم الحنطة والشعير وعاملها على صلاتها ومعاونها ووجوه أموالها عامل بنفسه لا من تحت يد أحد وجبل اوراس منها على أميال وفيه المياه الغزيرة والمراعى." (١)

"وأصله من تنس ومن غلاتهم القطن والحنطة والشعير وتكثر عندهم المواشى من الدواب والأنعام والبقر وعليها من البربر بنو «٢» برزال وبنو زنداج [٢٦ ظ] وهوارة ومزاتة وعليهم صدقات وخراج غزير، ومنها الى جوزا منهل ينزله الناس لا ساكن به وفيه ماء من عيون عدبة مرحلة، ومن جوزا الى هاز قرية كانت قديمة عظيمة فخربت وهى فى وقتنا هذا مفازة فيها ماء عيون مسجونة مرحلة وهو بلد يغلب عليه الرمل، ومنها الى جرتيل قرية كبيرة كثيرة الزرع والمياه وشربهم من عيون بها مرحلة وسكانها زناتة، ومنها الى ابن ماما مدينة صغيرة ذات منبر عليها سور طوب ولها خندق وماء فى واد عذب كثير الماء يزرع عليه وعلى المطر أيضا مرحلة، ومنها الى اغير قرية صغيرة يشقها الطريق ويقطعها جانبين مرحلة، ومنها الى تاهرت مرحلة، وتاهرت مدينتان كبيرتان إحداهما «١١» قديمة أزلية والأخرى محدثة والقديمة ذات سور وهى على جبل ليس بالعالى وبها كثير من الناس وفيها جامع وفى المحدثة أيضا جامع ولكل إمام وخطيب والتجار والتجارة بالمحدثة أكثر ولهم مياه كثيرة تدخل «١٤» على أكثر دورهم وأشجار وبساتين وحمامات وخانات وهى أحد معادن الدواب والماشية والغنم [والبغال] «١٦» والبراذين الفراهية ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات، (٣٩) ومن القيروان الى المسيلة طريق غير هذا الطريق على بلاد كتامة والأربس وهو من

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٨٤/١

القيروان الى جلولا مدينة عليها سور وفيها عين ماء جارية وعليها بساتين كثيرة قد حفت بها ونخيل غزيرة مرحلة خفيفة، ومنها الى أجر قرية ماؤها من الأبآر ولهم زروع كثيرة من القمح والشعير مرحلة خفيفة، ومنها الى طافجنه قرية لها فحص واسع، ولهم من الغلات المتصلة بنواحى الاربس من الحنطة والشعير أمر عظيم مرحلة خفيفة أيضا، ومنها الى الاربس مدينة لها إقليم واسع وغلات جلها." (١)

"والغلات والمطاعم والمشارب والتجارات والمرافق **والخانات** فزائد على سائر ما قرب منها وبعد فى أرض الهبط موقعه وظاهر بكثرته حده وموضعه ومستفاض بوفوره مكانه ومرفقه، (٤٣) ومنها الى سجلماسه ثلث عشرة مرحلة وسجلماسه مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل فاخرة العمل على نهر يزيد فى الصيف كزيادة النيل فى وقت كون الشمس فى الجوزاء والسرطان والأسد فيزرع بمائه حسب زروع مصر فى الفلاحة وربما زرعوا سنة عن بذر وحصدوا ما راع من زرعه وتواترت السنون بالمياه فكلما أغدقت تلك الأرض سنة فى عقب «٨» أخرى حصدوه الى سبع سنين بسنبل لا يشبه سنبل الحنطة ولا الشعير بحب صلب المكسر لذيذ المطعم وخلقه ما بين القمح والشعير ولها نخيل وبساتين حسنة وأجنة ولهم رطب أخضر من السلق فى غاية الحلاوة وأهلها قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب فى المنظر والمخبر مع علم وستر وصيانة وجمال واستعمال للمروؤة وسماحة ورجاحة وأبنيتها كأبنية الكوفة الى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة عالية، (٤٤) وعن يسار طريق فاس الى سجلماسه إقليم اغمات وهو رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير والتجارة الى سجلماسه وغيرها، ومن سجلماسه الى اغمات نحو ثمانى مراحل ومثلها الى فاس، ومن ورائها الى ناحية البحر المحيط السوس الأقصى وليس بالمغرب كله بلد أجمع ولا ناحية أوفر وأغزر وأكثر خيرا منها قد جمعت فنون المآكل كلها ذات الصرود والجروم فيها الأترج والجوز واللوز والنخل وقصب السكر والسمسم والقنب وسائر البقول التى لا تكاد تجتمع بغيرها وأهل السوس فرقتان مختلفتان مالكيون أهل سنة وموسويون شيعة يقطعون على موسى بن جعفر من أصحاب على بن ورصند والغالب على الجميع الجفاء والغلظة فى العشرة وقلة رقة الطبع والمالكيون من فظاظ الحشوية وبينهم القتال المتصل والدماء الدائمة ولهم بالبلد مسجد جامع تصلى فيه الفرقتان [فرادى] «٢٥» عشره." (٢)

"غافق، وبالاندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن وهم على دين النصرانية روم وربما عصوا فى بعض الأوقات ولجأ بعضهم الى حصن فطال جهادهم لأنهم فى غاية العتو والتمرد وإذا خلعوا ربقة

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٨٦/١

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ٩١/١

الطاعة صعب ردهم إلا باستئصالهم وذلك شيء يصعب ويطول، ومارده وطليطله من أعظم مدن الاندلس وأشدها منعة، وثغور الجلالقة مارده ونفزه ووادى الحجارة وطليطله تلى مدينتى الجلالقة التى تعرف بسموره «٦» وليون وليون مسكن سلطانهم وعدتهم بعد سموره واوبيط «٧» من كبار مدنهم وهى بعيدة عن بلد الإسلام، وليس فى أصناف الكفر الذين يلون الاندلس أكثر عددا من الافرنجه غير أن الذي يلى المسلمين منهم ضعيفة شوكتهم قليلة عدتهم وعدتهم وفيهم إذا ملكوا طاعة وحسن نصيحة ومحاسن كثيرة، واليهم يرغب أهل الاندلس عن الجلالقة بأولادهم والجلالقة أحسن وأصدق محاسن وأقل طاعة وأشد بأسا وقوة وبسالة وفيهم غدر وهم فى عرض طريق الافرنجه، (٧) وأعظم مدينة بالاندلس قرطبه وليس بجميع المغرب لها شبيه ولا بالجزيرة والشأم ومصر ما يدانيها فى كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق ويزعم قوم من سافرتها الواصلين الى مدينة السلام أنها كأحد جانبى بغداذ وذلك أن عبد الرحمن بن محمد صاحبها ابتنى فى غربها مدينة وسماها بالزهراء «١٨» فى سفح جبل حجر أملس يعرف بجبل بطلش وخط فيها الأسواق وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمتنزهات واجتلب اليها العامة بالرغبة وأمر مناديه بالنداء فى جميع أقطار الاندلس ألا من أراد أن يبتنى «٢١» دارا أو أن [٣٣ ظ] يتخذ مسكنا بجوار السلطان فله «٢٢» من المعونة أربع مائة درهم فتسارع الناس الى العمارة وتكاثفت الأبنية وتزايدت فيها الرغبة وكادت الأبنية أن تتصل بين قرطبه والزهراء «٢٤» ونقل اليها بيت ماله وديوانه." (١)

"مساكن أعالى ربضها متصلة مبانيها بربضها الأسفل وأبنيتها مشتبكة مستديرة على البلد من شرقه وشماله وغربه فأما الجنوب منه فهو الى واديه وعليه الطريق المعروف بالرصيف والأسواق والبيوع والخانات والحمامات ومساكن العامة بربضها، ومسجد جامعها جليل عظيم فى نفس المدينة والحبس منه قريب، وقرطبه هذه بائنة بذاتها عن مساكن أرباضها غير ملاصقة لها والمدينة قريبة الحال ودرت بسورها غير يوم فى قدر ساعة وهى نفسها مستديرة حصينة السور وسورها من حجر، ولم تكن الزهراء «٧» بذات سور تام وبها مسجد جامع حسن طيب فى نفسه [دون جامع البلد فى المحل والقدر والكبر] «٩» ولقرطبه سبعة أبواب حديد، وهى فخمة واسعة الحال بحسن الجدة وكثرة المال والتصرف فى وجوه التنعم بجيد الثياب والكسى من لين الكتان وجيد الخز والقز والمتعة بفاره المركوب والمأكول والمشروب، (١٠) وليس لجيوشهم حلاوة فى العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها وإن شجعت أنفسهم [٣٣ ب] ومرنوا

(١) صورة الأرض ابن حوقل ١١١/١

بالقتال فإن أكثر حروبهم تتصرف على الكيد والحيلة وما رأيت ولا رأى غيرى بها إنسانا قط جرى «١٦» على فرس فاره أو برذون هجين ورجلاه فى الركابين ولا يستطيعون ذلك ولا بلغنى عن أحد منهم لخوفهم السقوط وبقاء الرجل «١٧» فى الركاب على قولهم وهم يفرسون على الأعراء من الخيل وما أطبقت قط جريدة عبد الرحمن بن محمد ولا من سبقه من آله وآبائه على خمسة آلف فارس ممن يقبض رزقه ويختم عليه ديوانه لأنه مكفى المؤونة بأهل الثغور من أهل جزيرته ما ينوبه من كيد العدو ومن يجاوره من الروم ولا عدو عليه سواهم وقلما يكترث بهم، وربما طرقه فى بعض الأحايين مراكب الروس والترك البجناكية وقوم فى جملتهم من الصقالبة والبلغار فينكوا «٢٣» فى أعماله وربما انصرفوا خاسرين خائبين." (١)

"الى ترجيله يومان ومن ترجيله الى قصراش يومان ومن قصراش الى مكناسه «٢» يومان ومن مكناسه الى مخاضة البلاط يوم ومن المخاضة الى طلبيره خمسة أيام ومن طلبيره الى طليطله ثلثة أيام، ومن قرطبه الى بطليوس على الجادة ست مراحل ومن قرطبه الى بلنسيه اثنا عشرة مرحلة ومن قرطبه الى المريه فرضة بجانة سبعة أيام ومن المريه الى مرسيه خمسة أيام، (١٣) وجميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالغلات والتجارات والكروم والعمارات والأسواق والبيوع والحمامات **والخانات** والمساجد الحسنة يقام فيها جميع الصلوات وليس بجميع الاندلس مسجد خراب وفيها مدن يزيد بعضها على بعض فى المحل والجباية والارتفاع والولاة والقضاة والمخلفين على رفع الأخبار ويقال لأحدهم مخلف وليس بها مدينة غير معمورة ذات رستاق فسيح الى كورة فيها ضياع عداد وأكرة وسعة وماشية وسائمة وعدة وعتاد وكراع وزروعهم فإما بخوس حسنة الربع كثيرة الدخل أو أسقاء على غاية الكمال وحسن الحال، (١٤) ومن قرطبه الى كركويه «١٤» المدينة وفيها منبر وأسواق وحمامات **وفنادق** أربعة أيام والمنزل فى كل ليلة بقرية آهلة ومن كركويه الى قلعة رباح مدينة كبيرة ذات سور من حجارة وهى على واد لها كبير منه شرب أهلها ويزرعون عليه وبها أسواق وحمامات ومتاجر مرحلة والطريق على قرى ذات عمارة ومن قلعة رباح الى ملقون مدينة على نهر لها سور من تراب [٣٤ ب] وهى دون قلعة رباح فى الكبر ونهرها يعرف باسمها ومنه شرب أهلها [مرحلة «١٩» ومنها الى ابنش «٢٠» قرية فيها **فندق** وعين منها شربهم كثيرة الأهل مرحلة ومن ابنش «٢١» الى طليطله مرحلة وهى مدينة كبيرة جليلة مشهورة أكبر من بجانه ذات سور منيع وهى على وادى تاجو وعليه قنطرة عظيمة طولها خمسون باعا ويصير واديها الى الوادى المنصب الى." (٢)

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ١١٣/١

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ١١٦/١

"شنتره، ومن طليطله الى مغام قرية كبيرة وبها معدن الطفل الاندلسى مرحلة ومن مغام الى الغراء مدينة كبيرة ذات أسواق ومحال ويكون نحو وادياش مرحلة، ومنها الى وادى الحجارة مدينة كبيرة وثغر مشهور الحال مسور بحجارة ذات أسواق وفنادق وحمامات وحاكم ومخلف وبها يسكن ولاة الثغور كأحمد بن يعلى وغالب وعليها أكثر جهاد جليقيه، ومنها الى شعراء «٦» القوارير وفيها منهل تنزله الرفاق مرحلة، ومنها الى مدينة سالم مرحلة ومنها غالب بن عبد الرحمن صاحب الجيش ولها سور عظيم ورستاق وإقليم واسع وناحية كثير الماشية رفهة فى جميع أسبابها فائضة الخير واسعته وهى أكثر الاندلس حربا وغزوا، فهذه جملة من أخبار جزيرة الاندلس،." (١)

"توجب الفزعة «١» الى الله تعالى والتقرب اليه فى حين الشدة وخوف الهلكة وعند وطئ بعضهم لبعض وقد رأيت خشبة يوشك أن يكون هذا القبر فيها، (٣) وتجاهها مدينة تعرف بالخالصة ذات سور من حجارة وليس كسور بلرم يسكنها السلطان وأتباعه وفيها حمامان ولا أسواق فيها ولا فنادق وفيها مسجد جامع صغير مقتصد وبها جيش للسلطان ودار صناعة للبحر والديوان ولها أربعة أبواب من قبولها ودبورها وغربها وشرقيها البحر وسور لا باب له، وحارة تعرف بحارة الصقالبة وهى أعمر من المدينتين اللتين ذكرتهما وأجل ومرسى البحر بها وبها عيون جارية بينها وبين صقلية [٣٥ ظ] ومياه كالحد بينهما، وحارة تعرف بحارة المسجد المعروف بابن سقلاب وهى كبيرة «١١» أيضا وليس بها مياه جارية وشرب أهلها من الأآبار وعلى طرفها الوادى المعروف بوادى عباس وهو عظيم كبير ومطاحنهم عليه كثيرة وبساتينهم وأجنتهم غير منتفعة به، والحارة الجديدة وهى كبيرة تقارب حارة المسجد وليس بينهما فرق ولا فاصلة ولا عليهما ولا على حارة الصقالبة سور، وأكثر الأسواق فيما بين مسجد ابن سقلاب والحارة الجديدة كسوق الزياتين بأجمعهم والدقاقين والصيارفة والصيادنة «١٧» والحدادين «١٨» والصياقلة وأسواق القمح والطرازيين «١٩» والسماكين والأبزاريين وطائفة من القصابين وباعة البقل وأصحاب الفاكهة والريحانيين والجرارين والخبازين والجداليين وطائفة من العطارين والجزارين والأساكفة والدباغين والنجارين والغضائريين والخشابين «٢٠» خارج المدينة وببلرم طائفة من القصابين والجرارين والأساكفة وبها للقصابين دون المائتى حانوت." (٢)

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ١١٧/١

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ١١٩/١

"(٥) وللفسطاط طريق على الظهر فى البر الى الإسكندرية من جانب الصحراء وقد ذكرته فى صفة المغرب ومراحله على ذات الساحل الى ترنوط، ولها طريق آخر إذا نضب الماء يأخذ بين المدائن والضياع وينزل فى كرائم المدن وذلك إذا أخذت من شطنوف الى سبك العبيد فهو منزل «٥» فيه منبر لطيف وبينهما اثنا عشر سقسا «٦» ومن سبك العبيد الى مدينة منوف وهى كبيرة فيها حمامات وأسواق وبها قوم تناء وفيهم يسار ووجوه من الناس منهم جابر المنوفى لا رضى الله عنه ولها إقليم عظيم وعمل يليه عامل جسيم وبينهما ستة عشر سقسا، ومن منوف الى محلة صرد منبر فيه [حمام] «٩» وفنادق [٤١ ب] وسوق صالح سته عشر سقسا، ومن محلة صرد الى صخا مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع وإقليم جليل له عامل بعسكر وجند وكثرة أصحاب وله غلات وبه الكتان الكثير وزيت الفجل الى قموح عظيمة ستة عشر سقسا، ومن صخا الى شبرلمنه «١٤» مدينة كبيرة بها جامع وأسواق صالحة ستة عشر سقسا، ومن شبر لمنه الى مسير مدينة لها جامع وأسواق كثيرة القمح وفنون الغلات وبها عامل عليها للماء وقسمته ستة عشر سقسا، ومن مسير الى سنهور مدينة ذات إقليم كبير ولها حمامات وأسواق وعامل كبير فى نفسه وكانت بها من النعم للكتاب والدهاقين فى ضروب الكتان والقموح وقصب السكر وغير ذلك ما بلغنى أنه قد تناقصت وقتنا هذا حالها فيما ذكرته وأذكره من سائر مدنها ستة عشر سقسا، ومن سنهور الى البجوم إقليم مدينته باسمه عظيمة بها عامل عليها وعسكر [وجامع] «٢٠» وحمامات وفنادق وأسواق واسعة ستة عشر سقسا، ومن البجوم الى نستراوه «٢١» مدينة كانت حسنة وهى على بحيرة البشمور ويحيط بها المياه كثيرة الصيود من السموك وعليها." (١)

"أيضا هذا الماء على بستامه «١» ضيعة عظيمة ذات منبر وأسواق كثيرة وبادية تزيد على ألفى رجل وغلاتهم واسعة وبينهما اثنا عشر سقسا، ثم يمضى الماء منها الى شابور مدينة كثيرة العبيد والمقاتلة واسعة الغلات فيها حمام وعامل تحته خيل للحماية ستة عشر سقسا، ومنها الى محلة نقيده وهى ضيعة كبيرة عامرة بها منبر وعامل عليها ولها حمام وناحية كبيرة وغلات غزيرة وضياع برسمها وفى ضمنها [جليلة ستة عشر سقسا، ومن محلة نقيده الى دنشال بلد عامر فيه جامع وحمام وكروم كثيرة وبرسمه ضياع جليلة] «٧» وعمل مضاف اليها ستة عشر سقسا، ومن دنشال الى قرطسا وهو بلد كبير فيه حمام ومنبر وبرسمه ناحية وضياع وافرة غزيرة فوق ما تقدم ذكره مما بالمدن المضافة اليها الكور والضياع وبقرطسا كروم وفواكه غزيرة عظيمة ويجلب منها «١١» ستة عشر سقسا، ومن قرطسا الى شبرو ابو مينا ضيعة كبيرة بها جامع

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ١/١٣٨

وخلق كثير وبادية ومزارع وغلات واسعة اثنا عشر سقسا، ومن شبرو ابو مينا الى قرنفيل ضيعة بها جامع وعمارة آهلة غناء اثنا عشر سقسا، ولها وبرسمها ضياع تعرف بالجابرية تدخل فى صفقتها، ومن قرنفيل الى برسيق «١٥» ضيعة بها منبر وبيع وأسواق ولها كورة كبيرة اثنا عشر سقسا، ومن برسيق الى الكريون مدينة كبيرة حسنة فيها جامع وحمام **وفنادق** وكروم تجلب أعنابها الى الأماكن وبرسمها كورة ذات ضياع وهى جانبان على خليج الإسكندرية ومنها تركب التجار فى الصيف عند زيادة النيل الى مصر ولها عامل عليها ومعه خيل ورجل ستة عشر سقسا، ومن الكريون الى قرية الصير منهل فيه صيادون للصير ثمنية سقسات، ومن قرية الصير الى الإسكندرية ثمنية سقسات وهذه مسافات على خليج الإسكندرية، (٧) وأما الشعبة الخارجة تجاه ترنوط مشرقة فتشرع «٢٣» الى شبروالاو «٢٤»." (١)

"والارتفاق بالحمامات **والفنادق** الى قصور مشيدة ونعم عتيدة وقد أحدق بها سور منيع رفيع يزيد على ثلثة أضعاف ما بنى بها وهى خالية كأنها تركت محالا للسائمة عند حصول خوف، وبها ديوان مصر ومسجد جامع حسن نظيف غزير القوام والمؤذنين وقد ابتنت بعض نساء أهل المغرب جامعا آخر بالقرافة «٥» موضع بظاهر مصر كان مساكن لقبائل اليمن ومن اختط بها هناك قديما عند فتحها وهو من الجوامع الفسيحة الفضاء الرائعة البناء أنيق السقوف يهى المنظر، وبالجزيرة والجيزة أيضا جامعان آخران دون جامع القرافة فى نبله وحسنه، (١٥) وبمصر نخيل كثيرة وبساتين وأجنة صالحة وتمتد زروعهم بماء النيل من حد اسوان الى حد الإسكندرية والباطن ويقيم الماء فى أرضهم بالريف والحوف منذ امتداد الحر الى الخريف «١١» وينضب على ما قدمت ذكره فيزرع ولا يحتاج الى سقى ولا مطر من بعد ذلك، وأرض مصر لا تمطر ولا تثلج، وليس بأرض مصر مدينة يجرى فيها الماء من غير حاجة الى زيادة النيل إلا الفيوم والفيوم اسم الإقليم وبالفيوم مدينة وسطة ذات جانبين تعرف بالفيوم ويقال أن يوسف النبي عليه السلام اتخذ لهم مجرى وزنه ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنضدة وسماه اللاهون «١٧» ، (١٦) وماء النيل فلا يعلم أحد مبتدأه وذلك أنه يخرج من مفاوز وراء أرض الزنج لا تسلك حتى ينتهى الى حد الزنج ويقطع فى مفاوز النوبة وعماراتهم فيجرى لهم فى عمارات متصلة الى أن يقع فى أرض مصر، [قال «٢١» كاتب هذه الأحرف زعم مؤلف الكتاب أن النيل لا يعلم أحد مبتدأه وأنه." (٢)

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ١/١٤٠

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ١/١٤٧

"النيل، ومن قصدها من اسوان وأعلى الصعيد اجتاز بدنقل بماء عد فى أحساء تحفر باليد وعليه نخيل كثيرة بغير ساكن وتزود الماء الى بيريس ومسيرة كل طريق مما ذكرته اليها ثلث مراحل، وأكثر هذه الطرق فى عقاب وأودية وجميع من قصدها من هذه الأربع نواحى يقطع الوادى المعروف بدواى وأحساء بنى فضالة، ومن قصد الواح الداخلة وهى داره مملكة آل عبدون من ناحية القيس والبهنسة كان وصوله الى بهنسة الواح إذ بها ناحية تعرف بالبهنسة أيضا وبينها وبين الفرفرون مرحلة والفرفرون قرية ذات قصور، وبين بهنسة مصر والقيس وبهنسة الواح أربع مراحل وهى فى جملة الواح الداخلة وتصيب «٩» الماء فى هذا الطريق بموضع يعرف بماء النخلة وفيه نخلة، والغالب على أهل الفرفرون القبط النصارى وبالفرفرون والبهنسة قصران لآل عبدون يليهما مساكن كمساكن القلمون ولا حرم فيهما ولا ذخيرة بل هى عدة لنزول أهلها بها عند نزههم ويليهما مساكن الأكرة وبالبهنسة وببيخيط وبيريس قرى ظاهرة وباطنة وأمم عليهم لوازم للسلطان وجزية ولا يمد آل عبدون وخدمهم أيديهم فى شيء من الجباية سوى الخراج والجزية من النصارى وليس بجميع الواحات يهودى واحد فما فوقه وبالواحات من بنى هلال عدة «١٦» غزيرة وأمة كثيرة وهى مصيفهم وقت الغلة وميرتهم منها وليس بجميع الواحات حمام ولا فندق يسكنه الطارئ والقادم اليها وإذا قدم التجار والزوار على آل عبدون أنزلوهم أين كانوا من قرارهم ولزمتهم الأنزال ودرت عليهم الضيافات الى حين رحيلهم وعندهم بجميع نواحيهم المطاحن بالإبل والبقر وقلما يمطرون ومياه عيونهم حارة فهى تقوم لهم مقام الحمامات وقد يقصد الواحات من ناحية المغرب ومن جزيرة [٤٦ ب] فيها نخيل وسكان من البربر تعرف بسنترية «٢٣» فيكون أول وصولهم منها الى ناحية بهنستها، وبجميع الواحات بيع قديمة أزلية معمورة لأن البلد كان نصرانى الأصل قديما وكان غزير الدخل كثير المال فشاب وشمط بجور السلطان." (١)

"على البحر ثغر لأهل حمص فيه مصحف عثمن بن عفان وعليه سور من حجارة يمنع أهلها من بادية «٢» وقصدها من الروم استباحة وقد نجوا غير مرة من الروم لقلة اكتراثهم بما فى البلد ورزوح حال أهله ولم يقف نقفور عليه لهذا من سبب، وشيزر وحماة مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا المياه والشجر والزرع والفواكه والخضر حصينتان فى ذاتهما لذاتهما، (١١) وجند قنسرين فمدينتها حلب وكانت عامرة غاصة بأهلها كثيرة الخيرات على مدرج طريق العراق الى الثغور وسائر الشأمات وافتتحها الروم [وكان الروم قد افتتحها فى تأريخ ثلثمائة ونيف وسبعين] «٨» مع سور عليها حصين من حجارة لم يغن عنهم من العدو شيئا بسوء تدبير سيف الدولة وما كان به من العلة فأخرب جامعها وسبى «١٠» ذرارى أهلها وأحرقها،

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ١٥٥/١

ولها قلعة غير طائلة وقد عمرت وقتنا هذا ولجأ اليها فى وقت فتح حلب قوم فنجوا «١٢» ، وهلك بحلب [٥٣ ظ] وقت فتحها من المتاع والجهاز للغرباء وأهل البلد وسبى منها وقتل من أهل سوادها ما فى إعادته على وجهه إرماض لمن سمعه ووهن على الإسلام وأهله، وكان لها أسواق حسنة وحمامات **وفنادق** كثيرة ومحال وعراص فسيحة ومشايخ وأهل جلة، [وهى الآن فى زماننا وهو تأريخ نيف وسبعين وخمس مائة للهجرة أحسن مما كانت قديما وأكثر عمارة مأهولة بالمشائخ والرؤساء وأما قلعتها فهى حصينة منيعة فى غاية الإحكام لا يقدر عليها،] «١٨» وهى الآن «١٩» بخسة أميرها ودناءة نفسه مملوكة من جهتين إحداهن أنها فى قبضة الروم مجزية يؤدى كل إنسان عن داره ودكانه جزية والثانية «٢٠» أن أميرها إذا وردها متاع من خسيس ونفيس اشتراه من جالبها وباعه هو لأهلها على أقبح صورة وأخس جهة وما يستثار بها من خل وصابون فهو يعمله ويبيعه وليس بها مبيع ولا مشترى." (١)

"أدركتها وشاهدتها وكان السبب فى ذلك أن ليس مدينة عظيمة من حد سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والرى واصبهان وجميع الجبال وطبرستان والجزيرة واذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشأمات «٣» ومصر والمغرب إلا وبها لأهلها دار ورباط ينزله غزاة تلك البلدة ويرابطون بها إذا وردوها وترد عليها الجرايات والصلات وتدر عليهم الأنزال والحملان العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكلفونه وأرباب النعم يعانونه وينفذونه متطوعين ويتحاضون عليه متبرعين ولم يكن فى ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس إلا وله عليها أوقاف من ضياع ذوات أكرة وزراع وغلات أو مسقف من **فنادق** ودور وحمامات **وخانات** هذا الى مشاطرة من الوصايا بالعين الكثير والورق والكراع الغزير فهلكت وهلكوا وذهبت وذهبوا وكأنهم لم يقطنوها وعفوا وكأنهم لم يسكنوها حتى لصاروا كما قال جل ذكره هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا «١٢» ، وكانت اولاس حصنا على ساحل البحر فيه قوم متعبدون حصينا وكانت فيهم خشونة فى ذات الله وكان فى آخر ما على بحر الروم من العمارة فكانت مما بدأ به العدو، وبغراس حصن كان فيه منبر على طريق الثغور وكانت فيه دار ضيافة لزبيدة ولم يكن للمسلمين بالشأم دار ضيافة غيرها، (١٦) وأما البحيرة الميتة فهى من الغور فى صدر الشأم بقرب زغر وإنما تسمى الميتة لأنه لا شيء فيها من الحيوان إلا شيء تقذف «١٨» به يعرف بالحمرية «١٩» وأهل زغر بناحية يلقحون كرومهم وكروم فلسطين كما تلقح النخل بالطلع الذكر وكما يلقح أهل المغرب تينهم بذكارهم، وزغر مدينة حارة جرومية متصلة بالبادية صالحة

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ١٧٧/١

الخيرات وبها من عمل النيل والتجارة به وفيه ما لا يقصر عما بكابل من صناعه وعماله غير أنه يقصر عن." (١)

"(٨) وأعمال نصيبين أربعة أرباع ولكل ربع منها عامل وحضرت فى سنة ثمان وخمسين وقد رفع تقديرها على توسط الى أبى تغلب الغضنفر «٢» بالموصل فكان حاصل دخلها من حنطة وأرز وشعير وحبوب عشرة آلف كر وأخرج تقويم أسعارها على خمس مائة درهم الكر فكان المال عند التقدير المذكور خمسة آلف ألف درهم، ورفع لها من الجماجم عن جواليها ولوازمها مع الزيادات فيها فكانت خمسة آلف دينار، ورفع لها عن عشور أموال اللطف وهى «٧» ضرائب الشراب «٨» خمسة آلف دينار، ورفع القوانين المأخوذة من عراصها عن الغنم والبقر والبقول والفواكه خمسة آلف دينار، وما يقبض من الطواحين فى القصبة والضياع المقبوضة والمشتراة وغلات العقار المسقف من **الخانات** والحمامات والحوانيت والدور سته عشر ألف دينار، [٦٣ ظ] وكانت أعمال دارا فى الربع الشمالى وطور عبدين أيضا وهو من أعظم رساتيقها، ورفع تقدير رستاق ابنين «١٢» وهو مجاور لطور ءبدين وكان لسيف الدولة بألفى كر حبوبا فقومت بألف ألف درهم، ورفع عصيرها وأسقاؤها «١٤» وجماجمها وعراصها وطواحينها بثلثين ألف دينار، وهذا على أن البلد قد خرب وناسه قد هلكوا ليوبق الله متلى ذلك بما أملى له وأسسه من ظلمه وجوره، (٩) وبنصيبين عقارب قاتلة موصوفة مشهورة، وبالقرب منها جبل ماردين ومن قرار الأرض الى ذروته نحو فرسخين وعليه قلعة [لحمدان ابن الحسن بن عبد الله بن حمدان] تعرف بالباز الأشهب لا يستطاع فتحها عنوة وبنواحيها حيات موصوفة تفوق الحيات فى سرعة القتل ومضاء المنية وبجبل ماردين جوهر للزجاج الجيد ويحمل منه الى سائر بلدان الجزيرة والعراق وبلد الروم فيفضل على ما سواه بجوهرية فيه، (١٠) وأما الموصل فمدينة على غربى دجلة صحيحة التربة والهواء وشرب أهلها من مائها وفيها نهر يقطعها اتخذه بنو أمية فى وسطها وبين." (٢)

"مائها ووجه الأرض نحو ستين ذراعا وزائد وناقص ولم يك بها كثير شجر ولا بساتين إلا التافه القليل اليسير فلما تملك «٢» بنو حمدان ورجالهم غرسوا فيها الأشجار وكثرت الكروم وغزرت الفواكه وغرست النخيل والخضر، وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ومجتبى أموالها وارتفاعها ولها أقاليم «٤» ورساتيق ومدن كثيرة مضافة اليها وارتفاع وجبايات زادت على ما كانت عليه فى سالف الزمان لأن اللعين لا رحمه

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ١٨٤/١

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ٢١٤/١

الله أخذ ممن كان فى جملته وخدمه أملاكهم «٧» واشترى الكثير منها بالقليل التافه من أعشار أثمانها واستملك رباعها واحتوى على خارجها وداخلها واستعمل فيهم من الحال ما أثره من سيرته فى بلد نصيبين فزاد قائمة وتناهى كثرة وإسرافا وذلك أن للموصل أضعاف أعمال نصيبين فى فسحة الأعمال وكثرة الضياع وعظم المحل وغزر السكان وأهل الأسواق إذ كانت أسواقها واسعة وأحوالها فى الشرف «١٢» والفخم ظاهرة، وهى مدينة أبنيتها بالجص والحجارة كبيرة غناء وأهلها عرب ولهم بها خطط وأكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة وكانت من عظم الشأن بصورة أكابر البلدان وكان بها لكل جنس من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة مما يكون فى السوق المائة حانوت وزائد وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكان البلاد النائية فقطنوها وجذبتهم اليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها، وهى فرضة لاذربيجان وارمينيه والعراق والشأم ولها بواد وأحياء كثيرة تصيف فى مصائفها وتشتو فى مشاتيها من أحياء العرب وقبائل ربيعة ومضر واليمن وأحياء الأكراد كالهذبانية «٢٠» والحميدية واللارية «٢١» وكانت بها بيوت فاخرة وقوم أهل مروءة ظاهرة لهم من التناية." (١)

"يسار وبأملاكهم ويسارهم على الأيام استطالة واقتدار كبنى فهد وبنى عمران من وجوه الأزد وأشراف اليمن وبنى شخاج «٢» وبنى اود وبنى زبيد وبنى الجارود وبنى أبى خداش «٣» [٦٣ ب] والصداميين «٤» والعمريين وبنى هاشم وغير ذلك فمزقهم جور بنى حمدان وبددهم فى كل صقع ومكان بعد انتزاع أملاكهم وقبض ضياعهم وإحواج أكثرهم الى قصد الأطراف والشتات فى أعماق الأكناف بعد أن كانوا مقصودين والى «٦» السؤال بعد أن لم يزالوا مسئولين فمن هالك فى نجف ومضطهد فى طرف ومعرض نفسه للحين والتلف، [أما فى زماننا هذا وهو سنة ستين وخمس مائة فقد عمرت عمارة لم تكن قط منذ أسست حتى أن العمارة قد استولت عليها ولم يبق بها موضع فامتدت العمارة الى خارج السور وصار فى خارجها أسواق وحمامات وفنادق وغير ذلك من المراقق،] «١١» وفى ذكر تقدير البلد ما يدل على ما كان عليه من العتاد والعدد ووصف ارتفاعه ما يعرب عن حاله و أصقاعه ومكانه وأوضاعه ويغنى عن الإطالة فى وصف شرفه وشأنه وقوانينه الواصلة الى سلطانه وهى الدليل على أوصاف أهله وشأنهم فى ذات أنفسهم، وقد تقدم القول بذلك وأن قوام الدنيا وأهلها بالأموال إذ محلهم فى أنفسهم وكيفيتهم فى عيشهم وسياستهم فى مروءاتهم بمقدار ما يملكونه وبه يمكنهم المروءة والأفضال والتصرف فى كل جهة وحال وهذه عبرة لجميع العقلاء ومرآة لسائر الفهماء وإن خرج بالخصوص عن حد العموم فى هذه القضية قوم لم يحكم

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٢١٥/١

بهم ولا يلتفت الى سيرتهم وسياستهم، (١١) وللموصل نواح عريضة ورساتيق عظيمة وكور كثيرة غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشى الى غير ذلك من أسباب النتاج والسائمة من الأغنام والكراع فمن ذلك رستاق نينوى وكانت به مدينة فى سالف الزمان تجاه الموصل من الجانب الشرقى من دجلة آثارها بينة وأحوالها." (١)

"فى أول سنة تسع وسبعين وخمس مائة فأطلق لهم الأبواب ورفع المكوس ومحى تلك الرسوم المذمومة وفعل فعل الأكارم الأجواد الطلاعين فى الفضل ذروة الأنجاد مغتنما للذكر الجميل والأجر الجزيل والآن قد دبت الحيوة فى عروق أهلها اليها وإفاضة العدل من مالكها عليها إن شاء الله تعالى وهو الموفق والمعين] ، (٢٠) [وميافا قين مدينة جليلة عظيمة الخطر عليها سور من حجارة وفصيل وخندق عميق مصطكة العمارة ضيقة الأسواق وبها مسجد جامع لا بأس به والفواكه والأشجار والأنهار محتفة بها وفى هوائها وخامة ما، وماردين حصن حصين منيع لا يرام ولا يقدر عليه مبنى على قلة جبل شاهق فى الهواء وهو مشرف على تلك الجبال شرقا وغربا شمالا وجنوبا لا يدانيه قلة جبل البتة وفيه من الذخائر والعدة والأسلحة ما لا يمكن حصره ومن تحته فى ناحية الجنوب ربض عامر منغص بالسكان ضيق الأسواق وليس بين أيديهم حائل يمنعهم من النظر الى برية رأس العين والخابور وسنجار ومياههم من عيون مجرورة فى قنوات وقد استحدثوا الآن الصهاريج والبرك ليجمعوا ماء المطر حيث كثر الخلق وازدادت العمارة ولهم الفواكه الكثيرة اللذيذة والكروم الواسعة والهواء الصحيح والرخص، وتحتها فى الصحراء من جانب القبلة على أربع فراسخ منها أو أقل موضع يعرف بسوق «١٥» دنيسر كان قبل هذا قرية يجتمع الناس فى صحرائها كل يوم أحد للبيع والشرى فانعمرت الآن عمارة كثيرة واتخذ بها **الخانات** **والفنادق** والحمامات والأسواق والبيع والشرى يجلب اليها الجهاز من سائر البلدان قد استوطنها الناس من كل فج عميق وكثر بها الارتفاع والضمانات، وأما حصن كيفا فهى قلعة حصينة منيعة ذات شعب مدفونة بين الجبال سوى جانبها المشرف على الدجلة من الجانب الغربى عن الدجلة وفيها شعاب وأودية لا يقدر عليها وبين يديها على الدجلة قنطرة عالية حسنة البناء استحدثها الأمير فخر الدين قرا ارسلان بن داود فى عشر خمس مائة وتحتها ربض عامر فيه الأسواق والحمامات **والفنادق** والمساكن الحسنة وبناؤهم بالحجر والجص ولها رساتيق كثيرة وضياع عامرة وهى وخمة الهواء وبية لا سيما فى الصيف] ، «٢٤» (٢١) وجزيرة ابن عمر مدينة

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٢١٦/١

صغيرة لها أشجار وثمار ومياه ومرافق وخصب وعليها سور ولما بلغها الروم لم يقفوا عليها وبينها وبين الموصل." (١)

"والفلاحين مفعمة بالخيرات مملوؤة بالبركات فواكههم كالباطل ومأكلهم كالمجان، وكانت داخرقان وتبريز الى اشنه الاذرية وما يحتف بها تعرف ببنى الردينى خطة لهم وأملاكا لم تزل بعز السلطان من الاعتراضات سليمة حتى إذا فسد الزمان وهلك السلطان وتحيف الجيران فهى لمن غلب وكان آل الردينى من العرب فأتى عليهم الدهر ومشى فيهم الزمان بالغلبة والقهر فعفى «٦» آثارهم وترك اليسير من أخبارهم، [وأما دوين «٢٠» فمدينة كبيرة كثيرة الخيرات والبساتين والفواكه والزروع وعليها سور من طين وفيها عيون ومياه جارية والغالب على زروعهم الأرز والقطن وقد اختل أحوال أهلها فى زماننا هذا بمجاورتهم للكرج فإنهم نهبوا المدينة وأحرقوها وفى كل وقت يجدون فرصة يشنون عليهم الغارات والآن فقد عمروا فى وسط المدينة المسجد الجامع وسوروه بسور آخر وحوله خندق وفيه عين ماء فى وسط المسجد يلتجئون اليه حين يفجأهم عسكر الكرج وبينها وبين الرس نحو فرسخين،] «١٢» (٨) ومدينة برذعه فهى أم الران «١٣» وعين تلك الديار لم تزل على قديم الزمان كبيرة وتكون نحو فرسخ طولا فى أقل منه عرضا وكانت من النزهة والخصب وكثرة الزرع والثمار والأشجار والأنهار بحال سنى ومحل سرى هنى، ولم يكن بين العراق وطبرستان بعد الرى واصبهان مدينة أكبر منها ولا أخصب ولا أحسن موضعا ومرافق «١٧» وأسواقا الى فنادق وخانات ودور وحمامات وأموال وتجارات [فاختل حالها بمجاورة الكرج لها] «١٨» قد حلها ما حل بغيرها من رغبة السلاطين وتوسط الكتاب المتمردين من استحلال المحظور لأموال أهلها وقصد أربابها بالمصادرات والمطالبات بغرائب العدوان فى الجبايات فواها لها ولأهلها، ولقد بلغنى أنها وقتنا هذا من سوء الحال واختلال الأسباب بما أصارها الى أن جميع من يخبز بها خمسة «٢٣» خبازين ولقد كان بها منهم أكثر من ألف ومائين «٢١» ، وكان منها على." (٢)

"كالذى اتخذه بنو أمية بمصر وغيرها وهو من عملهم وأسواق بردعه فكانت فى ربضها منغصة مرصصة وفيما بين ذلك فنادقهم وخاناتهم وحماماتهم عامرة اهلة وبعد أن دخلها الروسية فى غاية الانتظام والتمام «٣» ، [فاختل حالها بمجاورة الكرج لها، وجنزه مدينة حسنة كثيرة الخير عامرة بعمارة تامة منغصة بالخلق وأهلها ذوو «٢٠» مروءة وأخلاق طيبة مرضية ومجاملة ومحبة للغرباء وأهل العلم] ، «٥» (٩)

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٢٢٤/١

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ٣٣٧/٢

ومدينة باب الأبواب مدينة على بحر الخزر فى وسطها مرسى للسفن وفى هذا المرسى الخارج من البحر اليها بناء قد بنى كالسد بين جبلين مطلين على ماء هذا المرسى الخارج ماؤه من بحر الخزر وفى هذا السد باب مغلق على الماء قد استحكم من وصيده بعقد قد عقد على نفس الماء والماء من تحته وللسفن مدخل مقلوب من ناحية بابه «١٠» وعلى فم المدخل الذي تدخل فيه السفن سلسلة ممدودة [كالتى] «١١» بصور وبيروت بالشأم وعلى خليج القسطنطينية وعليها قفل لمن ينظر فى أمر البحر فلا يخرج المركب ولا يدخل إلا بأمر صاحب القفل والسد «١٣» من صخر ورصاص وبحر الخزر بحر طبرستان، ومدينة الباب أكثر من اردبيل زروعا وثمارها قليلة إلا ما يحمل اليهم «١٥» من النواحى وهذه مدينة عليها سور منيع من حجارة وآجر وطين «١٦» وهى فرضة بحر الخزر والسرير واللان وسائر بلدان طبرستان وجرجان وبلدان الكفر والديلم، ويرتفع منها ثياب كتان فى عروض الأبدان وليس بالران «١٨» وارمينيه واذربيجان ثياب كتان إلا." (١)

"الأطراف من ارمينيه «١» وما شاكلها ألسنة أخر يتكلمون بها كالأرمنية مع اهل دبيل ونشوى «٢» ونواحيهما ويتكلم أهل برذعه بالرانية، ولهم الجبل المشهور المعروف بالقبق ويحيط به ألسنة مختلفة كثيرة للكفار وقد تقدم ذكره ويجمع الكثير منهم لسان واحد، ونقود أذربيجان والران وارمينيه الذهب والفضة، وأكثرهم أهل عافية وسلامة ورغبة فى الخير وأهله وطلب المعاش والستر لما دهمهم من المصائب وتكانف عليهم من النوائب وفيهم وقتنا هذا من هو على مذاهب أهل الحديث والقول بالحشو وكثير من الباطنية البقلية فيهم، وليس بجميع اذربيجان وارمينيه والرانين متكلم ولا متعصب للكلام والنظر وفيهم أطباء فضلاء أدركتهم أجلاء مياسير بصناعة الطب أرباب ضياع ونعم وكراع يرون أن المنطق كفر وصنعة النظر شغل قاطع عن الواجبات وصاد عن أكثر أسباب السياسات، (٢٠) ذكر الطرق بها والمسافات بهذه النواحى، فالطريق من برذعه الى اردبيل فمن برذعه الى مويان «١٤» قرية سبعة فراسخ ومن مويان الى مدينة البيلقان سبعة فراسخ ومن البيلقان وهى مدينة طيبة كثيرة المياه والأجنة والأشجار والطواحين الواسعة على أنهارها الى ورثان وهى مدينة أكبر من البيلقان وأفسح وأكثر أهلا وأسواقا [٩٧ ظ] ومتاجر وبها ما يكون بالمدن الكبار من الأعمال والفنادق وعليها سور ولها ربض فيه أسواقها سبعة فراسخ، ومن ورثان الى بلخاب سبعة فراسخ وهى قرية آهلة فيها رباطات وفنادق للسبيل تنزلها السيارة ومن بلخاب الى برزند [وهى مدينة قريبة

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٣٣٩/٢

الحال من البيلقان سبعة فراسخ ومن برزند] «٢١» الى اردبيل خمسة عشر فرسخا بين قرى ومنازل عن يمين وشمال لا تنقطع ولا تغيب." (١)

"ولها أسواق حسنة وفنادق نظيفة وكان لها تانئة أجلة من آل زانبر «١» وغيرهم فهلكوا وبادوا أدركت مشايخهم والمروءة فيهم فاشية وأحوالهم مع السلار متماسكة، ومن اردبيل الى الميانج عشرون فرسخا مدينة صالحة فى نفسها رفهة بأهلها رفيقة بسكانها ورخصها وخيرها، ومن الميانج الى الخونج مدينة أيضا بها مرصد على ما يخرج من اذربيجان الى نواحى الرى ولوازم على الرقيق والدواب وأسباب التجارات كلها من الأغنام والبقر ومقاطعة هذا المرصد دائما مائة ألف دينار وزائد الى ألف ألف درهم وناقص فى السنة وليس له ولما يجتاز به شبه فى جميع أقطار الأرض، الطريق من اردبيل الى آمد وأعمال الثغور الجزرية «٩» فمن اردبيل الى المراغة نحو أربعين فرسخا ومن المراغة الى ارميه على الظهر وفى البحر نحو ثلثين فرسخا ومن ارميه الى سلماس مرحلتان ومن سلماس الى خوى تسعة فراسخ ومن خوى الى بركرى ثلثون فرسخا ومن بركرى الى ارجيش يومان ومن ارجيش الى خلاط ثلثة أيام ومن خلاط الى بدليس ثلثة أيام ومن بدليس الى ارزن الى ميافارقين أربعة أيام ومن ميافارقين الى آمد يومان ومن آمد الى حران على الطريق الذي تسلكه الغزاة والمجاهدون الى شمشاط وعلى سميساط الى ملطيه «١٦» نحو خمسة أيام، والطريق من المراغة الى دبيل على ارميه وسلماس الى خوى «١٧» ثلثة وخمسون فرسخا ومن خوى الى نشوى خمسة أيام ومن نشوى الى دبيل «١٨» أربع مراحل، ومن المراغة." (٢)

"والطالقان، ويتصل بالرى خوار وشلنبه وبيمه «١» ، ويقع فى قومس سمنان والدامغان وبسطام، ويقع بطبرستان آمل وناتل «٢» وشالوس وكلار «٢٠» والرويان وميله وتريجى «٣» وعين «٢١» الهم وما مطير «٢٢» وساريه وطميسه «٢٣» ، ويقع فى عمل جرجان [جرجان] «٤» واستاراباذ وابسكون «٢٤» ودهستان، فأما جبال روينج «٢٥» وباذوسبان «٢٦» وقارن فما بها مدينة ولا منبر غير شهمار وهى فى جبال قارن، (٦) وأعظم مدينة فى هذه الناحية الرى وقد مر ذكرها [وذلك أن طولها فرسخ ونصف فى مثله وهى مدينة بناؤها من طين ويستعمل فيها الآجر والجص] «٨» ولها حصن حسن مشهور له أبواب مشهورة منها باب ما طاق «٩» يخرج منه الى الجبال والعراق وباب بليسان «٢٧» يخرج منه الى قزوين وباب كوهك يخرج منه الى طبرستان وباب هشام يخرج منه الى قومس وخراسان وباب سين «١١» يخرج منه

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٣٤٩/٢

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ٣٥٣/٢

الى قم، [١٠٣ ظ] ومن أسواقها المشهورة روذه وبليسان ودهك بر «٢١» ونصراباذ وساربانان «٢٨» وباب الجبل وباب هشام وباب سين وأعظمها الروذه وبها معظم التجارات **والخانات** وهو شارع عريض مشتبك الأبنية والعقارات والمساكن، ولها مدينة عليها حصن وفيها مسجد الجامع وأكثر المدينة خراب والعمارة فى الربض ومياههم من الأبآر ولهم أيضا قنى وفى المدينة نهران للشرب يسمى أحدهما سورينى «١٧» ويجرى على روذه والآخر الجيلانى يجرى على ساربانان «٢٩»." (١)

"وبست وروذان «١» وسروان «٢٠» والزالقان «٢١» وبغنين «٢٢» ودرغش «٢٣» ودرتل «٢٤» وبشلنك وفنجواى وكهك وغزنه «٢» والقصر وسيوى «٢٥» واسفنجاى «٢٦» وماهكان، «٢٧» (٤) ومدينتها العظمى زرنج وهى مدينة عليها حصن ولها ربض واسع الأبنية كثير السكان وفيه دور الإمارة لآل الصفار الى غير ذلك من المحال **والفنادق** وعليه سور وحصن دائر بالربض وخندق على الربض حصين وفيه ماء وماؤه ينبع من مكانه ويقع فيه فضل من المياه الجارية اليها، ولها خمسة أبواب أحدها الباب الجديد «٧» والآخر الباب العتيق وكلاهما يخرج منهما «٨» الى فارس وبينهما قريب مسافة وباب كركويه «٢٨» يخرج منه الى خراسان والرابع باب نيشك يخرج منه الى بست والخامس يعرف بباب الطعام يخرج منه الى الرساتيق وأعمر أبوابها باب الطعام وكلها حديد، وللربض ثلثه عشر بابا فمنها باب مينا يأخذ الى فارس ويليه باب دخان ثم يليه باب شيرك «١٢» ثم يليه باب شاراو «٢٩» ثم يليه باب شعيب ويليه باب نوجويك «١٣» ويليه باب آكان «٣٠» ويليه باب نيشك «٣١» ثم يليه باب كركويه «٣٢» ويليه باب اسبريس «١٤» ويليه باب غنجره «٣٣» ويليه باب بارستان ويليه باب روذكران «١٥» ، وأبنيتها كلها من طين آزاج معقودة لان الخشب بها يأرض ولا يلبث، ومسجد الجامع فى المدينة منها دون الربض إذا دخلت باب." (٢)

"وسأذكر كلما هو مضاف الى غيره من أعمال نيسابور وطخيرستان المضافة الى بلخ والمجموعة اليها وهى «٢» فى الدواوين مفردة ومدنها وبقاعها عنها متميزة منفصلة، وليس فى تفريق هذه الكور وجمعها درك أكثر «٣» من استيفائها وتأليفها فى الصورة ومعرفة مكان كل شيء منها فى صورة خراسان وإثباته فى شكل ما وراء النهر، (٥) ونيسابور تعرف بابرشهر [وفيها يقول أبو تمام حبيب بن أوس الطائى
أيا سهرى بليلة أبرشهر ... ذممت إلى نوما فى سواها] ، «٨»

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٢/٣٧٨

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ٢/٤١٤

وهى مدينة فى أرض سهلة أبنيتها من طين وهى [كانت] مفترشة البناء نحو فرسخ فى مثله [الى سنة تسع وأربعين وخمس مائة عند كسرة الغز للسلطان سنجر بن ملك شاه واستيلائهم على خراسان ففى هذه السنة دخل الغز اليها ونهبوها وقتلوا أكثر أهلها وانجلى الباقون ثم تواترت عليهم نوائب الزمان وصروف الحدثان الى أن خربت ثم لما تقاصرت عنهم أيدى الظلمة وعطف الله عليهم بالرحمة عادوا الى موضع قريب من المدينة على غربيها يعرف بشايكان وثم تل عال فبنوا هناك دورا وقصورا وأسواقا وحمامات وفنادق ومساجد وعادت الآن الى أحسن ما كانت عليه من العمران وسموها نيسابور وسمعت فى سنة ثمانين وخمس مائة أن العمارة قد اتصلت الى الموضع القديم وذلك التل قد ابتنوا عليه حصارا منيعا حصينا] «١٧» ، ولها مدينة وقهندز وربض وقهندزها وربضها عامران ومسجد جامعها فى ربضها بمكان يعرف بالمعسكر ودار الإمارة بمكان يعرف بميدان الحسين والحبس عند دار الإمارة وبين الحبس ودار الإمارة وبين المسجد الجامع نحو ربع فرسخ ودار الإمارة بها من بناء العاتى عمرو بن الليث، ولقهندزها بابان وللمدينة أربعة أبواب فأحدها يعرف بباب رأس القنطرة والثانى بباب سكة معقل والثالث بباب القهندز «٢٣» والرابع بقنطرة در ميكين،." (١)

"وقهندزها خارج عن مدينتها ويحف بالمدينة والقهندز جميعا الربض وللربض أبواب فأما الباب الذي يخرج منه الى العراق وجرجان فإنه يعرف بباب القباب والباب الذي يخرج منه الى بلخ ومرو وما وراء النهر فإنه يعرف بباب جيك «٤» والباب الذي يخرج منه الى فارس وقوهستان فإنه يعرف بباب أحوص آباذ والباب الذي يخرج منه الى طوس وعدة أبواب لا أقف على جميع أسمائها، ولها باب يعرف بباب سوخته وباب يعرف بباب سرسبريس «٧» وغير ذلك، فأما أسواقها فإنها خارج من المدينة والقهندز فى الربض وخيرة أسواقها سوقان إحداهما تعرف بالمربعة الكبيرة والأخرى بالمربعة الصغيرة فإذا اخذت [١١٦ ظ] من المربعة نحو الغرب فالسوق ممتد «٢٠» الى مقابر الحسينيين، «١٠» «٢١» وفى خلال هذه الأسواق خانات وفنادق يسكنها التجار بالتجارات وفيها الخانبارات للبيع والشرى فيقصد كل فندق بما يعلم أنه يغلب على أهله من أنواع التجارة وقل فندق منها لا يضاهى أكابر أسواق ذوى جنسه ويسكن هذه الفنادق أهل اليسار ممن فى ذلك الطريق من التجارة وأهل البضائع الكبار والأموال الغزار ولغير المياسير فنادق وخانات يسكنها أهل المهن وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٤٣١/٢

بالصناع كالقلانسيين فى سوقهم غير **فندق** فيه الحوانيت والحجر المملوءة بهم وكذلك الأساكفة والخرازون «١٨» والحبالون الى غير ذلك فى أضعاف أسواقهم **الفنادق** المملوءة." (١)

"بذوى الصنائع منهم، وأما **فنادق** البزازين وخانباراتهم بها وبيعهم فيها وشراهم فأكثر البلدان يشركهم فى ذلك ولا يقصرون عنهم، وشرب البلد ومياهه فأكثره من قنى تجرى تحت مساكنهم وتظهر «٣» خارج البلد فى ضياعهم ومنها قنى تظهر فى البلد وتجرى فى دورهم وبساتينهم بقصبة نيسابور «٥» ، ولهم نهر كبير يعرف بوادى سغارذ «٢٠» ويجتمع اليه كثير من قنى البلد فيسقى منه بعض أجنة البلد ورساتيق كثيرة وعلى هذا الوادى قوام وحفظة عليه وعلى قنيهم فى عمق الأرض وربما كان منها شىء بينه وبين وجه الأرض مائة درجة ويزيد وينقص فى نفس نيسابور، وليس بخراسان مدينة أصح هواء وأفسح فضاء وأشد عمارة وأدوم تجارة وأكثر سابلة وأعظم قافلة من نيسابور، ويرتفع عنها من أصناف البز وفاخر ثياب القطن والقز ما ينقل الى سائر بلدان الإسلام وبعض بلدان الشرك لكثرته وجودته لإيثار الملوك والرؤساء لكسوته إذ ليس يخرج من بلد ول ا ناحية كجوهريته ولا يشاكله لرفعته «١٣» وخاصيته، (٦) ولنيسابور حدود واسعة ورساتيق عامرة وفى ضمنها مدن معروفة كالبوزجان «١٥» ومالن المعروفة بكواخرز «٢١» وخايمند «٢٢» وسلومك «٢٣» وسنكان «٢٤» وزوزن وكندر «١٦» وترشيز «٢٥» وخان روان «٢٦» وازاذوار وخسروكرد «٢٧» وبهمن آباذ ومزينان وسبزوار «١٧» وديواره «٢٨» ومهرجان واسفرايين «٢٩» وخوجان وريوند «٣٠» ، وإن." (٢)

"الروذ والقرينين من مرو، ومقاسم الماء من زرق «١» قرية بها مقسم ماء مرو وقد جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر ساقية صغيرة عليها ألواح خشب فيها ثقب مقدرة لا يترك «٣» أحد يزيد فيها ولا ينقص ويأتى كل قوم من شربهم بمقدار إن زاد الماء دخلت عليهم الزيادة وإن نقص نقصوا بأجمعهم لا إيثار لقوم على قوم [وهذه الألواح منصوبة بقرية تسمى بخس آب على مقدار نصف فرسخ من المدينة] «٦» ومتولى هذا الماء أمير مفرد وهو أجل من والى المعونة بمرو وبلغنى أنه يرتزق على هذا الماء زيادة على عشرة آلف رجل لكل واحد منهم على هذا الماء عمل، (١٠) وكانت مرو معسكر الإسلام فى أول الإسلام ومنها استقامت مملكة فارس للمسلمين لأن يزدجرد ملك الفرس قتل بها فى طاحونة الزرق «١٠» ومنها ظهرت دولة بنى العباس وفى دار آل أبى النجم المعيطى «١١» صبغ أول سواد صبغ ولبسته المسودة،

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٤٣٢/٢

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ٤٣٣/٢

ومن صحة فواكههم أن بطيخهم يقدد ويحمل الى كثير من الآفاق ولا أعلم [١١٧ ظ] هذا يمكن فى بلد غيره، وفى مفازتها يكون الاشترغاز الذي يحمل الى أكثر المواضع، ويرتفع من مرو الإبريسم والقز الكثير ويقال أن أصل الإبريسم بجرجان وطبرستان على قديم الأيام وقع من مرو ومنها يرتفع القطن الذي ينسب فى سائر الأقطان اليها جودته وهو الغاية فى اللين والثياب التى تجهز منها الى كثير من البلاد، ولها منابر مضافة اليها وبرسمها فمنها كشميهن «١٨» وهى على مرحلة منها فى نفس الرمل بها منبر ولها نهر كبير وأشجار وفواكه وسوق صالحة **وفنادق** ورباطات وحمامات، وبهرمزفره «٢٠» منبر وبسنج «٢٢» منبر وبحيرنج منبر." (١)

"الدبوسية ثم اربنجن والكشانية وسمرقند وكل هذا بلد السغد على أن من الناس من يزعم أن بخارا وكش «٢» ونسف من السغد وهى فى أعمال الديوان مفردة، وقصبة السغد سمرقند وهى مدينة على جنوبى وادى سغد مرتفعة عليه ولها قهندز ومدينة وربض وقد جعل فى وقتنا هذا الحبس فى القهندز وكانت دار الإمارة فيه فخربت وعلوته فرأيت أحسن منظر عاينه مبصر وتمتع به ناظر شجر أخضر وقصور تزهر وأنهار تطرد وعمارة تتقد «٦» لا يقع الطرف منه على مكان إلا ملأه وعلى باغ إلا استملحه واستصباه قد فصلت ميادينها وتناهت تحاسينها وقصصت به أشجار السرو فجعل منها طرائف الحيوان من الأفيلة «٩» والإبل والبقر والوحوش المقبل بعضها على بعض كالمتناجيه والمطالب بعضها لبعض كالمتقابلة المتعاتبة، فيا له منظرا ما أتلفه للأموال وآخذه بمجامع قلوب الرجال، هذا الى أنهار تطرد وبرك مسجورة لا تزال ترتعد ظريفة المغانى وقصور ومستشرفات سامقة المبانى قد رصفت فهى مساكن جليلة ومجالس نفيسة وأحوال تدل على ملوك جلة، «١٣» (٢٩) وأما سمرقند فيشتمل عليها حصن ولها أربعة أبواب باب مما يلى المشرق يقال له باب الصين مرتفع عن وجه الأرض ينزل عنه بدرج كثيرة العدد مطل على نفس وادى السغد ومما يلى المغرب باب النوبهار وهو على نشز من الأرض ومما يلى الشمال باب بخارا ومما يلى الجنوب باب كش «١٨» ، وهى مدينة فيها أسواق [كبار] «٢١» وفيها ما فى المدن العظام من المحال والحمامات **والخانات** والمساكن، ولها مياه جارية تدخل اليها فى نهر بعضه رصاص معلق وهو نهر قد بنى عليه مسناة عالية من الأرض وفى «٢٠»." (٢)

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٢/٤٣٦

(٢) صورة الأرض ابن حوقل ٢/٤٩٢

"بنظرك نحو قهندزها فى المدينة لم يره البصر [١٣١ ظ] لاستتاره بالبساتين والأشجار فى دورها وحافات أنهارها وأسواقها، والخانات وصنوف التجار فى الربض إلا شيئا يسيرا فى المدينة، وهى فرضة ما وراء النهر وكانت دار الإمارة بما وراء النهر الى أيام إسماعيل بن أحمد رحمه الله، وليس لسور الربض أبواب تغلق من خشب ولا حديد لفتن كانت فأمر السلطان بقلعها والأبواب شارعة بغير أبواب ومنها باب غذاوذ وباب اسبشك وباب شوخشين «٧» [وباب افشينه] «٢٠» وباب ورسنين «٢١» [وباب كوهك] «٢٢» وباب ريودد «٨» وباب فرخشيذ «٢٣» ، ويزعم بعض الناس أن تبعا ابتنى مدينتها وأن ذا القرنين أتم بعض بنائها وأخبرنى أبو بكر الدمشقى قال رأيت على بابها الكبير صفيحة «١٠» حديد وعليها كتابة زعم أهلها [أنها] «٢٤» بالحميرية وأنهم يتوارثون علم ذلك من أنها من صنعة تبع وبعض الكتابة إن من صنعاء الى سمرقند ألف فرسخ وهذا دليل على أن بانى صنعاء أحدثها وكان حكمه عليها ويقال أنه كان يقيم بصنعاء حولا وبسمرقند مثله فوقعت الفتنة بسمرقند واحترق الباب الذي كانت عليه الصفيحة وأعاده أبو المظفر محمد بن لقمن بن [نصر بن] «١٥» أحمد بن أسد كما كان من حديد وتغيرت تلك الكتابة، وتربة سمرقند من أصح تربة وأيبسها ولولا كثرة البخارات من المياه الجارية بها فى سككهم ودورهم وكثرة أشجار الخلاف بينهم لأضر بهم فرط يبسها على ما يحكيه بعض الأطباء وبناؤهم من طين وخشب، وأهلها يرجعون الى جمال وكانوا من الإفراط فى إظهار المروءات وتكلف النفقات والقيام على أنفسهم بما يزيدون به على أكثر بلاد خراسان حتى يجحف ذلك بأموالهم، وسمرقند مجمع رقيق ما وراء النهر وخير الرقيق بما وراء النهر تربية سمرقند، وبينها وبين." (١)

"٢٣- القول في بلاد خراسان ومدنها

تحدها من الشرق بلاد الهند؛ ومن الجنوب بعض حدود خراسان وقسم من مفازة كركس كوه؛ ومن الغرب نواحي جرجان وحدود الغور؛ ومن الشمال نهر جيحون.

وهي بلاد واسعة. ذات تجارة واسعة وخيرات وفيرة. وتقع وسط عمارة العالم.

وفيها معادن الذهب والفضة والجواهر التي يؤتى بها من الجبال. وفي هذه البلاد تكثر الخيول. وأهلها مقاتلون. وهي باب بلاد الترك. وتنتج فيها الثياب والذهب والفضة والفيروزج والعقاقير.

وهي بلاد ذات هواء صحيح. وأهلها أصحاء أشداء.

وكان ملك خراسان قديما منفصلا عن ملك ما وراء النهر، لكنه الآن ملك واحد.

---

(١) صورة الأرض ابن حوقل ٢/٤٩٤

ويجلس أمير خراسان في بخارى وهو من آل سامان، ومن أولاد بهرام جوبين ويسمى ملك المشرق. وينتشر عماله في جميع أرجاء خراسان. ويوجد في حدود خراسان ملوك يدعون ملوك الأطراف.

١- نيسابور:

أكبر مدينة في خراسان. وبها البضائع الكثيرة. وطولها فرسخ وعرضها فرسخ. وهي مزدحمة بالناس ومحط رحال التجار، ومقر قادة الجيوش. وفيها قهندز «١» وربض ومدن. ويؤتى بمائها من العيون الموجودة في باطن الأرض.

ويؤتى منها بالثياب المختلفة الصوفية والقطنية. وهي بلدة قائمة بذاتها، ولها ثلاث عشرة قرية وأربعة **خانات**.

٢- سبزوار:

مدينة صغيرة على طريق الري وقصبة الرستاق.

٣- خسروجرد:

قريبة منها، وهي مدينة صغيرة.

٤- بهمن آباد ومزينان:

مدينتان صغيرتان على طريق الري. وفيهما مزارع وبساتين كثيرة.." (١)

"في بحر المحلة، وهي من كورة الغربية، بينها وبين المحلة ثمانية أميال «٤٥» .

العريش

قال الحسن بن محمد المهلبي: من الورادة إلى مدينة العريش ثلاثة فراسخ.

قال: ومدينة العريش مدينة جليلة وهي كانت حرس مصر أيام فرعون، وهي آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر ويتقلدها والي الجفار وهي مستقرة، وفيها جامعان ومنبران، وهواؤها صحيح طيب، وماؤها حلو عذب، وبها سوق جامع كبير **وفنادق** جامعة كبيرة ووكلاء للتجار ونخل كثير، وفيها صنوف من التمور ورمان يحمل إلى كل بلد بحسبه، وأهلها من جذام.

قال: ومنها إلى بئري أبي إسحاق ستة أميال، وهما بئران عظيمتان ترد عليهما القوافل وعند هما أخصاص فيها باعة، ومنها إلى الشجرتين وهي أول أعمال الشام ستة أميال، ومنها إلى البرمكية ستة أميال ثم إلى رفح ستة أميال «٤٦» .." (٢)

---

(١) حدود العالم من المشرق الى المغرب مؤلف: حدود العالم من المشرق إلى المغرب ص/١١٤

(٢) المسالك والممالك للمهلبي = العزيزي المهلبي ص/٣٥

"زويلة

قال في العزيزي: ومدينة زويلة كثيرة النخل، وزرع أهلها يسقى من الآبار «٦٧» .

سوسة

قال في العزيزي: وبين المهدية وبين مدينة سوسة مرحلتان.

وسوسة مدينة أزلية بها سوق **وفنادق** وحمامات، وهي على البحر الملح، وهي حد بين كورة الجزيرة وبين القيروان «٦٨» .

طبنة

وطبنة مدينة عظيمة كثيرة المياه والبساتين والأهل والزروع وأكثر زرعهم سقي وأكثر غلاتهم القطن «٦٩» .

غذامس

قال في العزيزي: مدينة غذامس مدينة جليلة عامرة. في وسطها عين أزلية عليها أثر بنيان رومي عجيب، ويفيض الماء منها، ويقتسمها أهل المدينة بأقساط معلومة، وعليه يزرعون، وأهلها قوم." (١)

"رفح

قال المهلبي: ورفح مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر **وفنادق**، وأهلها من لخم وجذام وفيهم لصوصية وإغارة على أمتعة الناس، حتى إن كلابهم أضر كلاب أرض بسرقة ما يسرق مثله الكلاب، ولها والي معونة برسمه عدة من الجند، ومن رفح إلى مدينة غزة ثمانية عشر ميلا. وعلى ثلاثة أميال من رفح من جنب هذه غزة شجر جميز مصطف من جانبى الطريق عن اليمين والشمال نحو ألف شجرة متصلة أغصان بعضها ببعض مسيرة نحو ميلين «١٦٧» . وهناك منقطع رمل الجفار ويقع المسافرون في الجلد «١٦٨» .

الرملة

قال العزيزي: والرملة قصبة فلسطين، وهي محدثة، وبينها وبين البيت المقدس مسيرة يوم. وقال: الرملة لم تكن مدينة قديمة وإنما كانت المدينة لد، فأخربها سليمان بن عبد الملك وبنى مدينة الرملة، وبينهما نحو ثلاثة فراسخ، وولد في ناحية المشرق وكان لعبد الملك دارا بالرملة، وجر إلى الرملة قناة ضعيفة للشرب منها،." (٢)

---

(١) المسالك والممالك للمهلبي = العزيزي المهلبي ص/٤٩

(٢) المسالك و المالك للمهلبي = العزيزي المهلبي ص/٩٣

"ويتصل بها فإنها من جهة البر، وما يسامت الثغور الجزرية تواجه بلاد **الفندق** «١٨١» من بلد الروم، وبعض الناطلين «١٨٢» ، ومن جهة البحر بلاد سلوقية. وكانت عواصم هذه الثغور من ناحية الشام، أنطاكية وبلاد الجومة «١٨٣» وقورس «١٨٤» . فأما أهل هذه الثغور ومن كان يسكنها وأحوال البلاد ومقاديرها، فإن طرسوس كانت أجلها مدينة وأكثرها أهلا، وأغصها أسواقا، وليس على وجه الأرض مدينة جليلة إلا ولبعض أهلها دار حبس عليها حبس «١٨٥» نفيس وغلمان برسم تيك الدار بأحسن العدة وأكمل الآلة، يقوم بهم الحبس الذي عليهم، وكان أكثر ذلك لأهل بغداد، فإنه كان لهم بها ولغيرهم من وجوه أهل البلدان وذوي اليسار منهم جلة الغلمان، مقيمين عليهم الوقوف السنية، والأرزاق الدارة، ليس لهم عمل إلا ارتباط فرهة الخيل وتخريجها في الطراد والعمل عليها بسائر." (١)

---

(١) المسالك والممالك للمهلبي = العزيزي المهلبي ص/٩٧

ت

تاهرت ٤٨

تاهرت الجديدة ٤٨." [1]

"جبان [١] طباخ بقال فامى تاجر، ميزاب مرزاب مزراب مثعب، باقلى [٢] فول، قدر [٣] برمة، موقدة أثافى، زنبيل مكتل قفة، سفل مركن [٤] إجانة تغار، قنطار بهار، من رطل، حبة طسوج، خادم قيم مغرك، بلان [٥] ، شمشك صندل، حصن قلعة قهندز كلات، صاحب ربع مصلحة [٦] مسلحة صاحب الطريق، عشار مكلس مرصدى [٧] ، مخاصم خصيم [٨] ، حاكم قاض، وكيل جري [٩] ، شيرج سليط، زجاج قواريرى، صفع صك، بقعة موضع [١٠] ، قطة سنور دمة هرة، معلم خادم استاذ شيخ خصى [١١] ، دباغ صرام [١٢] أدمى سختياني جلودى، فاعل روزكارى، قرياتى [١٣] رستاقى سوادي، زراع فلاح حراث، فندق خان تيم دار التجار [١٤] ، مرزبة أكلة، حبل قلس، وتد كنورا [١٥] ، هدنها كركرها، لص مشوشا، جنحت ولجت [١٦] ، أنقض زور [١٧] ، قف هلى، هيارا جماعة، لكيشا كثير [١٨] ، زرنوق دولاب حنانة [١٩] ، دالية كرمة [٢٠] ، مسحاة مجرفة، معول فاس، صاعدا زقافا [٢١] ، منحدرا شبالا، طاروس شرته، سكان رجل، ربان راس [٢٠] ، ملاح نوتى، ساحل شط، رقعة بطاقة [٢٢] ، روحة نفسة، سفينة جاسوس [٢٣] زورق رقية تلوى عرداس [٢٤] طيار زبزب كاروانية مثلثة واسطية [٢٠] ملقوطة شنكولية [٢٥] براكية

---

[١] . بقال et طباخ.interpungitinter حبانC,.Bom

[٢] . باقلاB

[٣] قدرةC .ormaaequebonaest

[٤] . الجانه ethabet مركنCom.

[٥] خادم بلار (sic) قيم معرك (sic) .Chabet

[٦] بن مسلحة etpro مصله Chabet مصلحة Pro حصن قلعة.cedunteiibiverba مساحه بن.icealienolocoest صاحب ربع، aequeinseruiante, quaeinBdesunt قهندز كلات (كلاته cod.)

[٧] . رصدىC

---

(١) المسالك والممالك للمهلبي = العزيزي المهلبي ص/١٧٧

[٨] . (قاضى (C حاكم قاض.DeindeBom.خصمC

[٩] جزىC

[١٠] . بقه موضعB

[١١] . خصى et خادمCom.

[١٢] . صدامC

[١٣] بن sic و.B [؟] قريانىC

[Chaecom. [14

[١٥] . هديها ،C هديها.DeindeB كبوداB

(.EgoaddidiVocales.B [؟] [١٦] ولحت) C وحكت

[١٧] . انفصر رور ،C انفص رورB

.18] C] كتين

[١٩] . خنانةB

[Com. [20

[٢١] . صاعد زفافاC

.22] Bhaecom.Deinde] روحة نفسةCom.

[٢٣] . حاسوسC

[24 LJ.Deinde] را.Com.;Bhabet [؟] طيانC

[٢٥] . تراكيه ،B تراكبه Com.DeindeC." (١)

"مدينة منى [١] على فرسخ من مكة وهي من الحرم طولها ميلان [٢] تعمر أيام الموسم وتخلوا بقية السنة الا ممن [٣] يحفظها وكان ابو الحسن الكرخي يحتج لأبي حنيفة في جواز الجمعة بها انها [٤] ومكة كمصر واحد فلما حج ابو بكر الجصاص وراى بعد ما بينهما استضعف هذه العلة وقال انها [٥] مصر ٥ من أمصار المسلمين تعمر وقتا وتخلو وقتا وخلوها لا يخرجها من [٦] حد الأمصار وعلى هذه العلة يعتمد القاضي ابو الحسين [٧] القزويني وسألني يوما كم يسكنها وسط السنة من [٨] الناس قلت عشرون ثلاثون [٩] رجلا وقل مضرب [١٠] الا وفيه امرأة تحفظه قال صدق ابو بكر وأصاب فيما [١١]

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣١

علمك فلما لقيت الفقيه ابا حامد البغولني [١٢] بنيسابور حكيت له ذلك فقال العلة ما نص بها [١٣] ١٠ ابو الحسن الا ترى الى قول الله عز اسمه [١٤] ثم محلها إلى البيت العتيق وقال [١٥] هديا بالغ الكعبة وانما يقع النحر بمنى، وقل [١٦] بلد مذكور في الإسلام الا ولأهله به [١٧] مضرب وعلى رأسها من نحو مكة عقبة [١٨] ترمى عليها الجمرة يوم النحر والثالث [١٩] من الأيام الأخر والاولى بقرب مسجد الخيف والوسطى بينهما ومنى شعبان فيهما ازقته [٢٠] والمسجد في الشارع ١٥ الأيمن ومسجد الكبش بقرب العقبة بها [٢١] آبار ومصانع وقياسير [٢٢] وحوانيت حسنة البناء بالحجر وخشب الساج [٢٣] وهي بين جبلين يطلان عليها والمزدلفة على فرسخ من منى بها مصلى وسقاية ومنارة وبرك عدة [٢٤] الى جبل

---

[١] . مناCodd.interdum

[٢] . في شعب etaddit ميلينC

Quae. [٣] من C inCdesunt.Vid.quoqueJaqut النحر بمنى ad وكان ابو الحسن 6, 643, IV seqq.sequuntura

[٤] . ومكة.InBdeest لأنهاJaqut

[٥] . هذهJaqut

[٦] . عنJaqut

[٧] . الحسنJaqut

[8 .Bom]

[٩] . الى ثلاثينJaqut

Jaqut. [١٠] قلما تجد فيه مضربا

[١١] . علمك pro علل.Jaqut فيهاB

Jaqut، [١٢] الجعولى.B البغوي

[١٣] . الشيخ.Jaqutaddit بضبهاB؟

[14 .Qoran.22 vs.34]

٥ [15 .vs.96.Qoran]

[١٦] . وقل ان يكون.Jaqut مذكور omisso وأقلC

[١٧] بمنى.Jaqut راس منىetmox
[١٨] . ترىBaddit
[١٩] الاولى etmox والثالثةC .sinecopula
[٢٠] . بينهما ازقةCom.Jaqut
[٢١] . وبهاJaqut
[٢٢] . وخانات Jaqut، وقياسينC
[٢٣] . مطلين Jaqut ويظلانBetJaqutom.Seqq.om.C ;inhisB
[٢٤] C. الى جنب ٢ بن ٥٢٠ بن.DeindeJaqutIV وعدة برك." (١)

"الفار [١] حاذية وغيرهن ومدن الفراتية أكبرهن رحبة ابن طوق قرقيسيا غانة الدالية الحديثة، ومدن الخابور قصبتها عرابان ومن مدنها الحصين الشمسينية [٢] ميكسين [٣] سكير العباس الخشية [٤] السكينية [٥] التنانير [٦] الموصل هو مصر هذا الإقليم بلد جبل حسن البناء طيب الهواء صحيح الماء كبير الاسم قديم الرسم حسن الأسواق والفنادق كثير الملوك والمشايخ لا يخلو من اسناد عال وفقيه مذكور منها ميرة بغداد واليه قوافل الرحاب وله منازه وخصائص وثمار حسنة وحمامات سرية ودور بهية ولحوم جيدة وأمور جامعة غير ان البساتين بعيدة وريح الجنوب موذية وماء النهر بعيد المستقى، والبلد شبه طيلسان مثل البصرة ليس بالكبير في ثلاثة [٧] شبه حصن يسمى المربعة على نهر زبيدة ويعرف بسوق الأربعاء داخلة فضاء واسع به يجتمع الاكرة والحواصيد على كل ركن فندق وبين الجامع والشط رمية سهم على نشزة يصعد اليه بدرج من نحو الشط ودرجه من قبل الأسواق اقل كله آزاجات من حجارة باناط ووجه المغطى بلا أبواب وأكثر الأسواق مغطاة، والآبار مالحة وشربهم من دجلة ومن نهر زبيدة، ومن دروبه درب دير الأعلى درب باصلوت درب الجصاصين درب بنى ميدة درب الجصاصة درب رحى أمير المؤمنين درب الدباغين درب جميل والبلد على الشط وقصر الخليفة على نصف فرسخ من الجانب الآخر عند نونوى القديمة، وكان اسم الموصل خولان فلما وصل العرب

Bsupra، [١] الفاف psisecunduminfra ,Nomen ,20 ,21 ap.JaqutIV
Ch.1; .coll.Jaqutinv, .فان.Hincfort.oriundaestlectio ألفان.etinfra

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٧٦

حاذه seq.etBinfrautrecepi.SupraB

[٢] الشمشيه، Bsupra. (VIII ,295 ,X ,298) oquescribitIbnal -Athir شمسانية.Jaqut

المسمستينهC

[٣] . سكين etdeinde ميسكين.C ماكسينVulgo

[٤] الحبشة ،C الخيشه IbnHauqal 150 ,14 ,JaqutII ,35 ,14.Conveni tautem

Bsupra.الجحشية nbapudI Hauqal 129 ,19.Cogitavide الجشيشيةPostissimumillud

[٥] بن المسكينيه.rbesapudRitterXI ,p.262.Bsupra المسكينةC

[٦] . تنينير.Vulgo لا ،C [؟] البابينBsupra

[٧] Hodiefortumextra. ثلثه ,p.203.C ,v.ltkeapudRitterXi .urbemest". (١)

"البحر بها ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا ارض [١] تدخل فيه المراكب كل ليلة ثم تجر السلسلة التي ذكرها محمد بن الحسن في كتاب الإكراه [٢] ولهم ماء يدخل في قناة معلقة وهي مدينة جليلة نفيسة بها صنائع ولهم خصائص وبين عكا وصور [٣] شبه خليج ولذلك [٤] يقال عكا حذاء صور، الا انك تدور،، يعنى حول الماء الرملة قصبة فلسطين بهية حسنة البناء خفيفة الماء مرية واسعة الفواكه جامعة الاضداد بين رساتيق جليلة ومدن سرية ومشاهد فاضلة وقرى نفيسة والتجارة [٥] بها مفيدة والمعايش حسنة ليس في الإسلام ابهى من جامعها ولا أحسن وأطيب [٦] من حواريها ولا ابرك من كورتها ولا ألد من فواكهها موضوعة بين رساتيق زكية ومدن محيطة ورباطات فاضلة [٧] ذات فنادق رشيقة وحمامات انيقة واطعمة نظيفة [٨] وادامات كثيرة ومنازل فسيحة ومساجد حسنة وشوارع واسعة وأمور جامعة قد خطت في السهل وقربت من الجبل والبحر [٩] وجمعت التين والنخل وأنبتت الزروع [١٠] على البعل وحوت الخيرات والفضل غير انها في الشتاء جزيرة من الوحل وفي الصيف ذريرة من الرمل لا ماء يجرى ولا خضر [١١] ولا طين جيد ولا ثلج كثيرة البراغيث عميقة الآبار مالحة وماء المطر في جباب مقفلة [١٢] فالفقير عطشان والغريب حيران وفي الحمام ديوان ويدور في الدولاب

---

[١] بل هي في البحر لانه يدور عليها ويدخل اليها على جسر ويدخل C اليهم الماء في قناة معلقة وهي نصفان نصف كبس ونصف حيطان في الماء. كذا rariusadscripsit كبس.Advocabulum على ما

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/١٣٨

ذكرنا من عكا وله باب

وانما [٢] Cf.H.Khal.V ,p.48.Mohammedibnal -Hasanas -Shaiban ,dequoiam suprap.152 sermofuit ,strisdeiurebelli.Caddit:ندخل المراكب هذا الحير وتجر السلسلة كي لا يعبر (يغير (i عليها الروم في. الليل

[٣] وصور مدينة نفيسة بها صنائع كالبصرة وخصائص ومنها أكثر.C سكر الشام ولهم ماء غزير ومزارع القصب بها كثير وبينها وبين عكا

[٤] .C ومنه

[٥] . والتجاراتC

[٦] [؟] Lectionemservar. حواريها.MoxB ولا أطيب) C 20, coll.suprap.151 حواراها (pro

[٧] قدس وبحر وجبل وسهل وأحاط بها.C مدن يا لك من مدن

[٨] . نصيفهB

[٩] . قد اجتمع فيهاCom.etHabetdeinde:

[١٠] . الزرعC

[١١] . حصن C، خصرB

[١٢] . مغلقة C." (١)

"تزفان [١] اليها فتحوى الفضل كله واما الكبر فالخلائق كلهم يحشرون اليها فأي ارض أوسع منها فاستحسنوا ذلك [٢] واقروا به، الا ان لها عيوبا [٣] عدة يقال ان في التوراة مكتوب بيت المقدس طشت ذهب مليء [٤] عقارب ثم لا ترى اقدر من حماماتها ولا أثقل مؤنة [٥] قليلة العلماء كثيرة النصارى [٦] وفيهم جفا على الرحبة والفنادق ضرائب ثقال على [٧] ما يباع فيها رجالة على الأبواب [٨] فلا يمكن أحدا [٩] ان يبيع شيئا مما يرتفق به الناس الا بها مع قلة يسار، وليس للمظلوم أنصار [١٠] ،، والمستور مهموم والغنى محسود، والفقيه مهجور [١١] والأديب غير مشهود،، لا مجلس نظر ولا تدريس قد غلب عليها النصارى واليهود وخلا المسجد من الجماعات والمجالس [١٢] ،، وهي أصغر من مكة وأكبر من المدينة عليها [١٣] حصن بعضه على جبل وعلى بقيته خندق ولها ثمانية أبواب حديد باب صهيون باب التيه [١٤] باب البلاط باب جب ارمي‌ا باب سلوان [١٥] باب أريحا باب العموم باب محراب داود والماء

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/١٦٤

بها واسع ويقال ليس ببيت المقدس أمكن من الماء والأذان قل دار ليس بها صهريج وأكثر [١٦] وبها ثلاث.

(،utQuoquedeinde [()] واليها المحشر ومنها المنشر ١ و ٥٩٣) ومنها النشر واليها الحشر. مكة بالكعبة والمدينة بالنبي

[١] . يزفان ،C بزفانB

[٢] . منىCaddit

[٣] عيوبc

[4، Jaqut] ملا.C مملو

[٥] . وهي مع ذلكJaqutadd.

[6 .eJaqut] كثيرة النصارىAddidi

[٧] . وعلىJaqutmale

[٨] أعوان nempe, male رجالة على الأبواب أعوان.Jaqut رجالةestgloss.vocis

[٩] . كن of.Gl.Tab.sub ب oأحدBetJaq.

[10. E] فالمستونJaqutSupplevi.DeindeB

[١١] مشهور.moxJaqut مهجودB

[١٢] . وخلا المجلس من الناس والمسجد من الجماعاتJaqut

[13- Cprohisom] على **الفنادق** ضرائب ثقال قد غلب عليها النصارى واليهود وخلا المسجد nibus:من المجالس وقل بها العلماء والمشايخ وهي أصغر من مكة وأكبر من يثرب غير انها شديدة العمارة قد رحل اليها خلق كثير من المشرق والمغرب والنصارى. واليهود وعليها

،Jaqut [١٤] (النية) ،C باب تيه) ١ و.565 Numa- SicquoqueDjihan النية- nunevocaturBabal I, nddasHeiligeLand, SecundumSepp. (Mistthor) Magharibas.Portsstercoris estporta P.260,

[15 .Bom]

[١٦] قل ان يكون بها دار ليس بها.Jaqut لان اقل دار ليس بها جب ماء c ولها.DeindeB صهريج أو صريجان أو ثلاثة على قدر كبرها وصغر." (١)

"ثمارا هو اليوم بيد الأرمن وطرسوس من ورائه وانطاكية دونه [١] والولايات [٢] لصاحب مصر وقد كان سيف الدولة غلب [٣] على اعلاه والضرائب فيه هينة الا ما يكون على **الفنادق** فإنه منكر على ما ذكرنا من بيت المقدس [٤] ، وحماياته ثقيلة على قنسرين والعواصم ثلاثمائة ألف وستون ألف دينار وعلى الاردن مائة ألف وسبعون [٥] ألف دينار وعلى فلسطين مائتا [٦] ألف وتسعة وخمسون ألف دينار وعلى دمشق اربعمائة ألف ونيف وقرأت في كتاب ابن خرداذبه [٧] خراج قنسرين اربعمائة ألف [٨] دينار وخراج حمص ثلاثمائة ألف وأربعون الفا وخراج الاردن ثلاثمائة ألف وخمسون الفا وخراج فلسطين خمسمائة ألف دينار

---

[١] واما الجبل الشريفة فجبل لبنان وجبل الجولان فيهما Chaecsichabet:عباد عند عيون ضعيفة قد بنوا ثم اخصاصا من القصب والحلفاء يتقوتون بشيء يقال له البلوط على مقدار التمر عليه قشر وهو مر الا انهم يلقونه في الماء حتى يحلو ثم إذا جف طحنوه وخبزوه واخلطوا عليه شيء (شيئا (l.من شعير ينبت عندهم مباح وفي هذين الجبلين ثمار كثيرة وهو موضع طيب ورأيت رئيسهم ابا إسحاق البلوطي فرأيته عاقلا فقيها على مذهب سفيان الثوري، واما جبل صديقا فإنه متصل بجبل لبنان فيه مشهد لهم موسم يوم النصف من شعبان واتفق يوم الجمعة في النصف من شعبان وانا ثم فبعثني القاضي ابو القاسم بن العباس حتى خطبت بهم ورغبتهم في بناء ذلك المسجد في الخطبة فجمعوا له شيئا كثيرا وعمروه أحسن عمارة وبنوا فيه منبرا، وجبل. الكلام خلف انطاكية قد غلب عليه الأرمن

[٢] . الشام تكونCaddit:

[٣] . غير ان بنى حمدان قد غلبوا c

[4. Deindehic] في الساحل والطرق c وخراج فلسطين مائة ألف دينار وخراج حمص ثلاثمائة ألف وأربعين (habet (sic:ألف دينار وخراج دمشق اربعمائة ألف دينار ونيف وخراج قنسرين اربع مائة ألف ألف (sic) دينار وخراج الأردن ثلاثمائة ألف دينار وخمسون ألف، وطول الشام من مدائن (مدين (l.شعيب الى الثغور تسع وثلاثون يوما واما العرض. فيختلف لان راس الشام الحجازى ادق والثغري اعرض

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/١٦٧

[٥] . وسبعمائةB

[6. B] وخمسين etmox مائتي

[٧] . خرداذهB

[٨] . ٦ بن ،cf.IbnKhord.75 ألف Baddit." (١)

"وحالومهم وحيسهم [١] وحيتانهم ومعايشهم وتجاراتهم وصدقاتهم كل ذلك في غاية الجودة [٢] ، وقد اجتمع بها من خصائص فلسطين القلقاس وهو شيء على قدر الفجل المدور عليه قشر وفيه حدة يقلى بالزيت ويطرح في السكباج والموز وهو على مقدار الخيار عليه مزود رقيق يقشر عنه ثم يؤكل له حلاوة وعفوصة والجميز وهو أصغر من التين له ذنب طويل والترمس وهو على قدر الظفر يابس مر يحلى ويملح والنبق وهو على قدر الزعرور فيه نواة كبيرة حلو وهو ثمرة شجرة السدر ويزيدون عليهم بالنيدة وهي السمنوا غير انه عجيب الصنعة يبسط على القصب حتى يجف وينعلك ودهن البلسان من بنت؟

ثم [٣] أو النقود القديمة المثقال والدرهم ولهم المزبقة [٤] خمسون بدينار ويكثرون التعامل بالراضي [٥] وقد غير الفاطمى [٦] النقود الا هذين [٧] وأبطل القطع والمثاقيل [٨] والمكاييل الوبية وهي خمسة عشر منا [٩] والاردب ست ويبات [١٠] والتليس ثمان وهي بطالة

---

[١] . وخيسيهم ،C وحبشهم s.وحبشهمB

[٢] . غايةB

[٣] الموز Cprohis:وقد ذكرناه وهو أيضا موجود بالبصرة والحجاز واليمن والجميز وهو شيء على قدر التين له ذنب طويل احمر على غير طعم التين شجره عظيمة الكبر لا ترى اغلظ من ساقها منه عامة أبواب **الفنادق** (الفناد و (cod.يتثمر الشجر سبع بطون لا جرم انه يكون رخيص مباح (رخيصا مباحا (l.والترمس حب مثل الظفر يجلا ويباع في الأسواق ويدق ويخمر ثم يطرح عليه الأبازير ويحمل الى ببخارا يشترونه الحرم للقدور والنبق وهو إلخ– السدر وقد جاء في الخبر نبق الجنة كالقلال يزيدون على أهل الشام بالنيدة وهو نوع من السمنوا غير انه عجب الصنعة يبسط إلخ– ودهن البلسان sic يستخرج من نبت ثم واما القلقاس فإنه شيء إلخ– يقلى في الزيت ويطرح في السكباج سوداوى ومستفيض ان من شق قلقاسة وجعل فيها نواة تمرة وغرسها في الأرض نبت منها شجرة موز وورق. ه وسنجهم tebah والنقود orpednieD.حسن

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/١٨٩

يشبه ورق الموز

C، [٤] المرقة.B [؟] خمسين.DeindeB المربقه

[٥] . بالراضيةC

[٦] . المغربي l.المغربlC

[٧] . هاتينC

[٨] . ومكاييلهلهم لهم الوبية:Com.Deindehabet

[٩] . عشر InBlacunapost

[١٠] . ثمانية etmox سته BetC، وبيات. (C اردب.Cf.Lanesub أمنا B." (١)

"وهي قوية الهواء لا ترى بها مجذوما ومن واظب بها على اكل الدسم ودخول الحمام واستعمل دهن البنفسج فليس يعدها [١] ويحكى عن حمويه [٢] انه قيل له لو اتخذت بنيسابور [٣] بيمارستان قال لا يسع لذلك بيت مالي قالوا كيف وأنت صاحب الجيش قال لانه ينبغي ان يدار على البلد كله الحائط اى انهم كلهم يحتاجون الى البيمارستان لطيشهم وخفة رءوسهم، اسم قصبتهم ايرانشهر ولها اربع خانات واثنا عشر رستاقا وثلاث خزائن وقصر ودار فالخانات الشامات ريوند مازل بشتفروش [٤] ، والرساتيق بشت [٥] بيهق كويان [٦] جاجرم أسفراين أستوا [٧] أسفند جام باخرز [٨] خواف زاوه [٩] رخ، والدار زوزن، والقصر بوزجان، والخزائن طوس نسا أبيورد، ولهذه الرساتيق التي [١٠] ذكرنا غير الخزائن ستة آلاف قرية مثل عمواس وبها عشرون ومائة منبر [١١]

---

[١] . بعدها؟B

[٢] . حمويه بن على Vid.Ibnal -AthIrsub

[٣] .؟ بنيسابور؟B

؟SC briVid.Jaqutinv.itur. [٤] بشتنفروش.Quoque؟ بشت افروشB

B. [٥] بست.C بست

Chic؟ [٦] جاجرم.Pro؟ جوين ؟.VulgoutCinfra جويان.C؟ أرغيانescriptionehabet

[٧] اسفند.DeindeinBpro اسنوه.B اشفندmalbumJaquthabet

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٢٠٤

[٨] . خواف ؟etdeinde باجرنB؟

c. [٩] الرخ ،C حرom.DeindeB

[١٠] . الذيB

uslocussicexstat: [١١] واما نيسابور فيقال ان اسمها ايرانشهر ومن مدنها ريوند خوجان سابزوار (ساندوان cod.خسروجرد) أزاذوار أسفراين طرثيث بوزجان زوزن مالن فهذه عشر مدن جليلات، ولها اثنا عشر رستاقا (رستاق cod.وقصر) ودار وثلاث خزائن وفوق مائة منبر ويحدق بها اربعة رساتيق جليلة من اربعة جوانبها يسمونها خانات أولهما الشامات ثم ريوند ثم مازل ثم بشتفروش، واما الرساتيق فاولها من قبل القبلة بشت (بست cod.ثم) بيهق ثم جويان ثم ارغيان ثم أسفراين ثم استوا ثم اسفند ثم جام ثم باخرز ثم خواف ثم الرخ، واما الخزائن فطوسS قصبتها طبران ولها ثمانية منابر نوقان (موقان cod.جناوذ) (جناوز cod.استورقان) جرموكان تروغبذ (بروغنه cod.سرك) رايكان برنوخدان، والخزانة الأخرى نسا ولها مدينتان ورباطان اجل من مدينتين." (١)

"نزهة وتربة علكة [١] وقرائح دقيقة ومجالس اليقة ومدارس رشيقة وظرف ولباقة ورسوم آيين [٢] مختارة وصناعة وحذاقة وتجارة وعبارة وهمة ومروة ومعروف وصدقة وحفاظ ومودة في الآفاق مذكورة، وفي الإسلام مشهوره [٣] ،، ثم هي خزانة لمشرقين، متجر الخافقين،، بضائعه تحمل الى الآفاق، ولبزه نور واشراق، يتجمل [٤] به أهل مصر والعراق،، يجبى [٥] اليه الثمرات، ويرحل اليه في العلم والتجارات،، فرضة فارس والسند وكرمان، ومطرح خوارزم والرى وجرجان،، طيب الصيف كثير الجمد رخي الشتاء مديد العنب، لا يخلو الفقيه من أدب، والعدل من حسب [٦] ،، واليوم من مجلس النظر، مصر صغر الرجال وجوهه وانزل الاشراف ساداته وحير [٧] العلماء ائمته وزاد على المدن محلاته وعلى الأمصار رقعته [٨] فهات في الإسلام مثله، وسمعت ابا علي العلوي [٩] يقول لأبي سعيد [١٠] الجورى أنت شيخ محلة لو كانت منفردة عن نيسابور لاحتاجت الى طبL وعلم وأمير محكم وسئلت عنه بفارس فقلت هو اربع وأربعون محلة منها ما يكون مثل نصف شيراز مثل الحيرة والجور [١١] ومنيشك وهو أوسع من الفسطاط وأهل من [١٢] بغداد وأكمل من البصرة واجل من القيروان وأنظف من أردبيل واعمر من همذان [١] لا عفنة ولا سبخة ولا ملولة ولا كربة [١] الا ان في هوائها يبوسة وفي أهلها جفوة وفي لسانهم رخاوة وفي رءوسهم خفة لا رفقة ولا [١] بهية ولا مساجد وضية شوارع نجسة [١٣] وخانات شعثة وحمامات وضرة

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٠٠

وحوانيت منكرة وجدارات وعرة [١] قد عاندها البلاء [١٤] وخالطها الغلاء قليلة الادامات والحطب ثقيلة المعايش والمؤن سواد يابس وجبل [١٥] عابس ماؤهم تحت الأرض وفتنهم تعمى القلب وعصبياتهم [١٦] تجرح الصدر [١] ليس لمحتسبهم هيبة ولا صرامة ولا لخطيبهم خفر ولا لباقة ولا لجامعهم في الأيام تلك [١٧] الجماعة

[Com. [1

[٢] . (؟ أيمن. (B؟ وبه رسوم ايينC

[٣] . وللاقليم مفخرةCaddit

[٤] .؟ فيحملB؟

[٥] . اليه من كل الثمرات etdeinde يحمل ؟C، يحبىB؟

C. [٦] و؟ الموم.DeindeB؟ خشب

[٧] . و؟ حين C،؟ وخبرB

[٨] . حدهC

[٩] . الحسينيC

[١٠] . الحوزى.DeindeB سعدC

[١١] . الخيرة والجوزهB

[١٢] . الفسطاس وأهلB

[١٣] . وحانات ؟.DeindeB بخسه ؟C،؟ بجسهB؟

[١٤] . اليها) C، عابذها (et البلا.B وخالصهاDeindeB

[١٥] . وبلدC

[١٦] . وعصباتهمB

[١٧] .؟ الأيام؟ تلك B؟." (١)

"المرتفع والحديد وغير ذلك [١] ومن نسا وأبيورد القز وثيابه [١] والسمسم ودهنه وثياب الزنبفت [٢] ومن نسا ثياب البنبوزية [٣] وفرى الثعالب والبزاة ومن طوس البرام الفائقة والحصر والحبوب ومن

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣١٥

رساتيق نيسابور ثياب كثيرة غليظة [١] ، ومن هراة البز الكثير ودبياج دون وخلدي والزبيب [٤] الطائفي والعنجد الأخضر والأحمر ودوشابه [٥] وناطفه والبولاذ والفستق وأكثر حلاوات خراسان [٦] ، ومن مرو الملاحم ومقانع القز والإبريسم والقطن والبقر والجبن [٧] والبزر والشيرج والنحاس، ومن سرخس الحبوب والجمال، ومن سجستان التمور والزنابيل [٨] والحبال من الليف والحصر، ويرتفع من قوهستان ثياب تشابه النيسابورية بيض وبسط ومصليات حسنة [١] ، ومن بلخ الصابون والسمسم والارز والجوز واللوز والزبيب والعنجد والسمن وعسل الشمسى من العنب [١] والتين ولب الرمان والزاج والكبريت والرصاص واسبرك والزرنيخ والاخرة والوقايات على عمل الجرجانية [١] والإبراد [٩] والادهان والجلود، ومن غرج الشار الذهب واللبود والبسط الحسان والحقائب وما في معناها [١٠] والخيل الجيدة [١] والبغال، ومن ترمذ الصابون والحلتيث [١١] ، ومن ولوالج السمسم ودهنه والجوز واللوز والفستق والارز والحمص والبيري [١٢] والرخبين والسمن والقرون وجلود الثعالب، ويرتفع من بخارا الثياب الرخوة والمصليات والبسط وثياب الفرش [١٣] الفندقية وصفر المناير والطبرى وحزم الخيل تنسج [١٤] في المحابس [١٥] وثياب اشمونى والشحم وجلود الضأن ودهن الرأس [١] ، ومن كرمينية [١٦] المناديل ومن دبوسية ووذار [١٧] ثياب الوذارية وهي ثياب على لون المصمت وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسميها ديباج خراسان [١٨] ومن ربنجن أزر الشتاء [١٩] من اللبود الحمر ومصليات وطاسات اسبيدروى والجلود ومرير [٢٠] القنب والكبريت، ومن خوارزم السمور

---

[1] .Com

[٢] . الزنبقتB؟

[٣] . البنوزدهB؟

[٤] . وزبيبC؟

[٥] . ودواشبهC؟

[٦] . وغير ذلكC

[٧] . والحمرC

[٨] . والزنابيلB؟

[٩] . (Bsinepuncto) والحللC؟

[١٠] . والأنماط والحقيبات؟C

[١١] . والحلتيت؟C

[odinCdesideratur.Bsinepunctis ,utquoque [12

[١٣] . الفروشC

[١٤] . ينسجC, Bsinepunctis؟

[١٥] . السجون؟C

[١٦] . كرمينيةB

[١٧] . ودار C، وذار؟B

[١٨] . وبنسا نظيرها.Coniecturaedidi.C؟ ومن و؟ كه C، ؟ ومن ودحهDeindeB؟

[١٩] . النساء i.e.النسا؟B

[٢٠] . ومن بر C، ومري B؟." (١)

"دفع [١] أثمان،، وأجبال عامرة على نعت [٢] لبنان، وخانات ظريفة [٣] ومسجد دينار فهذا صحيح كله ولكن [٤] فاسمع الآن،، هو مصر حره شديد [٥] مع كرب وذبان [٦] ، وبراغيث ضارية اليها صرفنا اسم كركان [٧] ،، والتين حماء [٨] والماء آكران، ومن حلها من بلده فليعدد الأكفان،، فان بها منجلا [٩] يحصد الأبدان، وتراهم على راس الجمل يوم النحر حزبان [١٠] ،، فمجروح ومضروب وحيران، ولا يفارقهم هرج وقتل وجيشان،، جيش من الديلم والآخر من ترك [١١] سامان، وتعصب وحش عليه [١٢] الفريقان،، وتشيع مفرط مع خلق قرآن، لها تسعة دروب أولها درب سليمان،، ثم درب القومسيين ثم درب لشارع حيان، ثم درب كندة ثم درب البادنجان [١٣] ،، ودرب الباركاه قبله درب خراسان، فهذا ما أتقنته من [١٤] وصف جرجان،، وبكراباذ [١٥] ملتزقة بها بينهما نهر وقناطر وهي شبه مدينة عامرة بها مساجد [١٦] ومشايخ واجلة والمقابر ممتدة تقابل [١٧] المصر على نهر بجسر [١٨] ولهم نهر آخر في العراض [١٩] يسمى طيفورى أنظف وأعذب من الآخر ولهم آبار حلوة وأستراباذ أطيب هواء واصح ماء من جرجان عامتهم حوكة [١٩] القز حذاق فيه وقد خرب حصنها وانطم الخندق والجامع في السوق على بابه نهر وآبسكون بحرية عليها حصن من آجر والجامع في السوق والنهر طرف البلد وهي فرضة جرجان ومطرح الرحاب وهرى بحرية دون آبسكون واخف أهلا وفيهم نحافة وآخر [٢٠] مدينة رستاق

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٢٤

دهستان على يمنة الطريق الى الرباط بها منارة ترى من البعد في وسط القرى وجميع قرى دهستان اربع وعشرون قرية وهي من [١٩] اجل اعمال جرجان والرباط على فم المفازة قد خرب السلطان [١٩] حصنه وكان بثلاثة [٢١] أبواب وهو عامر ظريف

---

[١] . رفعC

[٢] . على ما وصفنا لكC

Bsine، [٣] دنيار.MoxC علىpunctis.Binsert

[4 .Csinecopula]

[٥] . شديدة حرهC

[٦] . ضاربة.MoxC ودبارC [؟]

Cf. [٧] براغيث كالذئاب alibihabetauctor, significatlupi كركان Eran, quoqueSpiegel ,p.122.Nempe

[٨] . حماء C، حماB

[٩] . منجلC

[10 punctis.Bsine]

[١١] . (من .ComالتركB

[١٢] . وعليهB

[١٣] . الباذلجانC [؟]

[14. C] سجعته لك في

[١٥] . ونكرناوادB

[١٦] . حسنةCadd.

[١٧] . معC

[18. Cpro] ولم أر بلدا أكثر مقابر منهhis:

[19 .Com]

[٢٠] . هيCadd.

[٢١] . ثلاثة C." (١)

"بسطام قبر ابى يزيد وبنواحي الخزر رباطات فاضلة ومن العجائب بطبرستان دويبة صغيرة لها ألف قائمة [١] أصغر من الجرادة وأدق من الدودة إذا تحركت تختالها [٢] امواجا تظهر من [٣] عناقيد العنب ودويبة اخرى لها جناحان كجناحى السنونية [٤] على عظم الثعلب تقضم الثمار قضما ولهم اسماك مثل فلق الجميز واجتزت يوما في سوق السماكين بجرجان فرأيت رأسا على قدر راس الثور فقيل لي هي راس سمكة [٥] ، بنواحي جرجان بئر تظهر [٦] فيه شجرة كل سنة ثم تغيب [٧] وقد احتال بعض السلاطين [٨] وشدها بالسلاسل الغليظة ففكتها وكسرتها وغابت ولسان قومس وجرجان متقاربان يستعملون الهاء يقولون هاده وهاكن وله [٩] حلاوة ولسان [١٠] طبرستان مقارب له [١١] الا ان فيه عجلة ولسان الديلم مخالف منغلق والجيل يستعملون الخاء [١٢] ولسان الخزر شديد الانغلاق وفي ألوانهم [١٣] أهل قومس ابتلاء [١٤] والديلم حسان اللحى والوجوه أيضا ولهم طلل [١٥] وفي أهل جرجان نحافة [١٦] أهل طبرستان أحسن وأصفى [١٧] ، وفي الخزر مشابه من الصقالبة وأكثر أسامي [١٨] أهل جرجان ابو صادق وابو الربيع وابو نعيم وأهل طبرستان ابو حامد [١٩] ورسمهم بجرجان ان التذكير للفقهاء وأهل الروايات [٢٠] ولا يكثرون التطالس [٢١] وللديلم رسوم عجيبة لا يزوجون الى غيرهم وكنت في بعض الخانات [٢٢] فإذا بصبية تعدو ورجل شاهر سيفه يعدو خلفها يروم قتلها فقلت ما فعلت حتى استوجبت القتل قال انها زوجت الى غيرنا

---

[١] . وهيCaddit

[٢] . تظنهاC, Bsinepunctis

[٣] . فيC

[٤] . السنونة B.cf.Ibnal -FaqIh 363, 12, 243 QazwiniII الثعلب الطيارllaturhaecbestia

[٥] . عظيمةCprohis

[٦] . شجوه etmox دمر يظهرB

[٧] . يغيبB

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٥٨

C. [٨] الأمراء عليها

[9 Csinecop.]

[١٠] . أهلCadd.

[١١] . يقاربهC

[١٢] . الحآB

[13 Clac.]

[١٤] . ابتلاB

[١٥] أحسن وأبدانهم أجسم وابهى.Cprohis:ظلل.B من غيرهم الا الديلم فإنهم حسان حداد ولحا وطلل

[١٦] . وصفرةCadd.

icverohabetlocum 371 ,10 seqq.C. [١٧] وأكثر ،ceterisomissisad أفضل وأحسن

[١٨] . وعامة كنىC

[١٩] وكذلك أهل نيسابور وأهل مرو وسرخس ابو.Caddit:العباس

[٢٠] ورسومهم المذكورون بجرجان بلا مستملى لانهم (الا انهم.sive) C فقهاء وغيرهم بالضد

[٢١] . التطلسC

[٢٢] . الحمامات B." (١)

"مدينة صغيرة في الجبال على نهر طاب اشترينا الخبز فيها ثمانية أمناء بمنهم بدرهم واللحم والجوز وسائر الفواكه بها رخيص قد بنى بها جامع لطيف سنة ٣٦٧ [١] وأردستان [٢] أكبر من هذه المدائن من نحو المفازة جيدة الأسواق عامرة الجامع بها مشايخ وفقهاء وهي ارض على بياض الدقيق ومنه اشتق اسمها وقاشان على تخوم المفازة كبيرة الاسم قديمة الرسم حولها مزارع حسنة وبها قنى عدة ولهم حذق في عمل القماقم ورأيت بها طلخونا [٣] مثل المرسين ناعما ما رأيت مثله وهي من معادن الخوخ الجيد وبها عقارب عجيبة سمعت ان ابا موسى الأشعري لما عجز عن فتحها حمل اليها من عقارب نصيبين في الجرار ثم رماها الى داخل الحصن فاشغلتهم وآذتهم فسلموا البلد وأصفهان كورة نفيسة وقد كانت قم وكرج منها الا ان بعض الخلفاء أضافهما [٤] الى الرى وهمذان وما زالت دواوين هذه الكورة مفردة وذكرها مقدم لجلالتها عند الملوك والسلاطين الري بلد جليل بهى نبيل كثير المفاخر والفواكه فسيح الأسواق حسن

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٦٨

[٥] الخانات طيب الحمامات كثير [٦] الادامات قليل المؤذيات غزير المياه مفيد التجارات علماء سراة وعوام [٧] دهاة ونسوان مدبرات بهى المحلات خفيف ظريف نظيف [٨] لهم جمال وعقل وآئين [٩] وفضل وبه مجالس ومدارس وقرائح [١٠] وصنائع ومطارح ومكارم وخصائص لا يخلو المذكر من فقه ولا الرئيس من علم ولا المحتسب من صيت ولا الخطيب من أدب هو أحد مفاخر الإسلام وامهات البلدان به

---

[١] بنى جامعها سنة ثمان وستين وانا ثم وهي في الجبال على.Chabetprohis:نهر طاب ولهم عيون أيضا

.giapatetauctorem [٢] وازدستان B وأردستان على تخوم المفازة في ارض بيضاء تشبه.Chabet:أردستان scripsisse وسائر المدن طيبات.Additporro:الدقيق ومنه اشتق اسمها وهي كبيرة عامرة بن inCdesunt الري.sequunturusquead والدز على جادة العسكر (infra ciaeRay (v.besprovin.

. [3]طلحونـاB

[4] . أضافهاB

[٥] . كثيرC

[٦] . نظيفC

[7 vixhuiuslociest.B] غواة sed وعواه

[٨] . حفيف- نصيفB [؟]

[9، .Com] وابينB

[١٠] . وفرايح ،C وقرا؟ ح B." (١)

"مشايخ واجلة وقراء وائمة وزهاد وغزاة وهمة كثير الجليد [١] والثلج ولفقاعهم ذكر ولبزهم اسم ولمذكريهم فن ولرساتيقهم شان به دار الكتب الاحدوثة وعرصة البطيخ العجيبة والروذة البهية وبه [٢] قلعة ومدينة حسن الخانات كامل الآلات نفيس سري [٣] ، ودخلنا يوما على [٤] ابى العباس اليزدادى وقد أنزله ناصر الدولة موضعا نزيها بنيسابور فقال ما علمت ان نيسابور بهذه الطيبة فهل الرى مثلها فتكلم كل

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٩٠

أحد بما عنده فقلت أيد الله الشيخ [٥] نيسابور أكبر وأهلها أيسر والرى ابهى وانزه وماؤها اغزر، فالري فوق ما وصفنا الا ان ماءهم يسهل وبطيخهم يقتل [٦] وعالمهم يضل أكثر ذبائحهم البقر قليل الحطب كثير الشغب لحوم عاسية وقلوب قاسية وجماعة منكرة وائمة الجامع مختلفة يوم للحنفيين ويوم للشفعويين [٧] وقال بعض الرجاز [٨]

الري فيها درهم كدانق ... والخبز في أعلى علو الخالق

واللحم قد علق بالشواهق ... وكم ب٥١ من قاطع وسارق

أسرق للحبات من عقاعق ... وليس بالمأمون من ترافق

يحلف بالطور وبالمشارق [٩] ... إني على حق فغير صادق

وهو إذا خصك [١٠] عين الفاسق

وهو بلد كبير نحو فرسخ في مثله الا ان اطرافه قد خربت [١١] والجامع على طرف المدينة الداخلة عند القلعة ليس خلفه [١٢] عمارة والقلعة خربة [١٣] والمدينة الخارجة عامرة بلا أسواق [١٤] والأسواق والعمارات بالربض والمياه تتخلله وفيه قنى [١٥] ودار الكتب بأسفل الروذة في خان [١٦] ودار البطيخ عند الجامع وقزوين

---

[١] . الجلدC

[٢] . ولهمC

[٣] . نفيس سرى طيبC

[٤] . الشيخ.Cadd.البزدادىMoxB

[٥] . الفاضلCaddit

[٦] . يقبلC

[٧] حنيفى ويوم.C حديثي

[٨] . الرجالC

[٩] . والمشارقC

[١٠] . غمر.DeindeB حصلC

.C [١١] جوانبه قد خرب

[١٢] . وراءهC

[١٣] . خرابC

[١٤] وقد كانوا أخذوا.Caddit:في عمارة الداخلة ثم تركوه

[١٥] . ينزل اليها بدرجCaddit:

Caddit.: [[16ا تخذها الصاحب ليست بكثيرة الكتب." (١)

"وخرب اطرافها الا انها كثيرة الخيرات ومعدن الخصائص والاضداد بلد الأترنج الحسن والادهان [١] والقصب والزيتون والعنب اسعار [٢] رخيصة البان كثيرة وبلدة نزيهة وبساتين [٣] وعيون غزيرة ومساجد محفوظة وحمامات طيبة وخانات عدة وزهد ومعرفة وثلج وفواكه متضادة [٤] قد اعبقت [٥] بساتينها بروائح الياسمين، واجتمع بها [٦] الرطب والتين،، ووجد بها الخرنوب الغريب [٧] بناؤهم حجر وجص والجامع خارج البلد وسط [٨] البساتين حسن لطيف لها اربعة أبواب باب هرمز باب مهر باب بهرام باب شهر وعليها خندق والنهر دائر على القصبة كلها يعبر على جسور [٩] وعلى طرف البلد قلعة تسمى دنبلا [١٠] قدامها مسجد وفي وسطها آخر به حجر اسود مفروش وسطه [٧] محراب يروون [١١] ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه وثم مسجد الخضر عم [١٢] بقرب القلعة حبس جاهلى حيطانه بالمرمر وهي [١٣] موضوعة في لحف جبل لها شعبان كلاهما بساتين وأشجار [١٤] وقرى وخارج البلد قنطرة عظيمة كانت وقت كوني بها منقطعة [١٥] ولهم سوق يسمونه العتيق قد اختل وخرب وخف البلد وقل أهلها وأذهبت كازرون دولتها ومع ذلك [١٦] ماؤهم ثقيل، وكل مصفر عليل، وليس بها عالم جليل [٧] ،، ودريز [١٧] مدينة صغيرة بها سوق جيد وصناع كتان كثير [١٨] وكازرون عامرة كبيرة هي دمياط الأعاجم [١٩] وذلك ان ثياب الكتان التي على عمل القصب وشبه الشطوى وان كانت من عطب [٢٠] تعمل

---

[١] . ويجتمع بها الأترج ١٧ بن ٤٣٢ بنJaqutIII

[٢] . وأسعارهمJaqut

Jaqut. [٣] بلد C بلدة.Pro وبساتين كثيرةtantum

[٤] . متضاددهB

[٥] . اعقتB [؟]

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٩١

[٦] . فيهاC

[Com. [7

[٨] . حسن etom.فيC

[٩] . اربعة أبوابهاC

B. [١٠] وهناك.DeindeJaqut دنبلا، Jaqutl.l.20، بندلا، C، ذنب لا

C، [١١] يرون.B يزعمون، Jaqut، ذكروا

[١٢] . حبس- بالمرمر.Jaqutom.وبقربChaecom.etlegit

[١٣] . وهوC

[١٤] . وانهارC

[Com.aulloaliterhabet. [15

[C [16. وهي طيبة الا انprohis:

[Correcteh.l.scribitC.DeindeC [17. وردز.B مدينةom.

[١٨] . يعملون الكتان وهي على جادة كازرون addit:كتانComisso

[JaqutIV ,225 ,16 utB. [19. دمياط الصغيرة وسجستان المجهولةC

[B [20. حطبا، Jaqut، حطب C، من حطب." [(١)]

"البلد قلعة اخرى والجامع قربها [١] لطيف ويحدق بالبلد بساتين والقلعة عالية [٢] كان يصعد اليها ابن الياس على [٣] الدواب الجبلية المعتادة لصعودها وينام فيها [٤] كل ليلة والقني تسقى بساتينهم المحيطة [٥] وماهان [٦] مدينة العرب الجامع وسط البلد شربهم من نهر في وسطها قهندز [٧] بباب واحد يحوط به خندق وتسير [٨] منها مرحلة الى القصبة في أشجار مشتبكة ومياه جارية وكوغون جامعها وسط البلد شربهم من نهر وقنى وزرند [٩] قد بنى ابن الياس على حافتها قلعة وهي كبيرة [١٠] شربهم من قنى والجامع في الميدان عند السوق [١١] وجنزروذ كثيرة [١٢] الفواكه الجامع في الأسواق ولهم نهر [١٣] وأناس أكبر من الروذان على راس الحد خربة [١٤] بها كتاب فره والجامع وسط السوق شربهم من قنى وسط البلد حصن [١٥] ولها ربض وكوه بيان صغيرة لها بابان وربض فيه حمامات **وخانات** والجامع على الباب قد التفت بها البساتين و الجبل منها قريب سوقها [١٦] صغير والعلم بها قليل وخطيب سخنة

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٤٣٣

عين [٥] وزاور أكبر من كوه بيان لها حصن [١٧] على راس الحد وخوناوب متوسطة الجامع وسط الأسواق [١٨] كثيرة المزارع والضياع وشجر الغبيراء بعض سقيهم بالدواليب وطواحينهم بالجمال وقواف وبهاوذ [١٩] بينهما ثلاث فراسخ سردسير كله بساتين وهما عامرتان نزيهتان وغبيرا صغيرة لها قرى باردة شربهم من نهر في الوسط قهندز [٢٠] وقد بنى ابن الياس خارج البلد سوقا

---

[١] في القلعة وسط البلد غير التي ذكرنا وبها بساتين والجامع وسط.C البلد

[٢] . والقلعة الكبرى مطلة على البلدC

Bom.DeindeC. [٣] الجبلية pro الخيلية etB الخيل l.الجبل

[٤] . بهاC

[Com. [5

CinseritS. [٦] هي

[٧] . بها etmox وسطها قلعةC

[٨] بن منه.DeindeC ويسير ،C ودسيرBom.B

[٩] . وقد.Hichabet وزرندChaecom.etquoqueinBdeest

C. [١٠] مدينة كبيرة عليها حصن بستة أبواب

[11] بن وحنزود.DeindeB ولهم نهر.Cadd.وختروذC

[١٢] . كبيرةC

[١٣] . واداس sic.DeindeB بهنC

[١٤] . وقد خربتC

[١٥] . قلعةC

[١٦] . ولها سوقC

[١٧] . وهيCadd.

[١٨] . (متوسطB) .Com

[١٩] . كوبيان etsub بهاباذ Vid.Jaqutsub ونهاودBetC

[٢٠] . وسطها قلعة C." [١]

"وذلك فى خلافة معاوية.

روى أبو داود عن رجاله، عن مجاهد، قال: قال لى شيخ فى غزوة رودس، وكان قد أدرك الجاهلية، يقال له ابن عنيش، قال: كنت أسوق لأى لنا، يعنى بقرة، فسمعت من جوفها: يا آل ذريح، قول نصبح، رجل يصيح: يقول «١» لا إله إلا الله. قال: فقدمنا، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة.

روذبار

بضم أوله، وإسكان «٢» الذال المعجمة، بعده باء معجمة بواحدة، وراء مهملة: اسم لساحل جيحون كله.

روذة

بضم أوله، وبالذال المعجمة أيضا: موضع من قرى نهاوند، قد تقدم ذكره فى رسم دستبى.

قال ابن الكلبى: خرج عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى جماعة من مذحج زمان عثمان، يريد الرى ودستبى، فنزلوا خانا من تلك **الخانات**، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يستعجل عنها، فأمعن عمرو فى حاجته وأبطأ، وأرادوا الرحيل، وكره كل واحد منهم أن يدعوه، وذلك من إعظامهم إياه، حتى طال عليهم، فجعلوا يقولون: أى أبا ثور، أى أبا ثور، وجعلوا يسمعون علزا «٣» ونفسا شديدا. قال: فخرج عليهم محمرة عيناه، مائل الشق «٤» والوجه مفلوجا، وإذا الشيطان قد ساوره، فسار معهم محمولا، مرحلة أو دونها، فمات، فدفن بروذة، وقالت امرأته ترثيه:

لقد غادر الركب الذين تحملوا ... بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا

وروى أيضا أنه شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن، وقاتل يومئذ،." [٢]

"الطريق من الفسطاط الى دمياط الى جزيرة تنيس

١٠٣٦ تسير في النيل منحدرا حتى تأتي محلة المحروم، وهي على ساحل طنرثى، وطنرثى مدينة كبيرة فيها الحمامات **والفنادق** الكثيرة «١» والأسواق، وهي غير مسورة، وبينها وبين ساحل محلة المحروم ثلاثة أميال، وهي بين خليجين من النيل وبينها وبين النيل من ناحية الشرق ميلان «٢» . وهو الخليج الذي ينزل الى دمياط (ومن عبره يأتي) «٣» مدينة مليج «٤» ، وهي مدينة كبيرة في أول منبعث هذا الخليج، ووراء

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٤٦٢

(٢) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع أبو عبيد البكري ٢/٦٨٤

مدينة مليج «٥» خليج آخر يذهب أيضا الى دمياط، وهناك مدينة تسمى نيطائي «٦» وهي مدينة جليلة فيها أسواق كثيرة «٧» ومسجد جامع. وتسير من مدينة نطائي «٨» مع النيل الى مدينة دمسيس «٩» ، (وهي كبيرة كثيرة الخير والبساتين) «١٠» ، وهي على شاطىء النيل، وبإزائها من العدوة الثانية مدينة تسمى شبرى دمسيس، (وهي مدينة كبيرة «١١» كثيرة الخير والبساتين. وعلى مقربة منها مدينة فجنجين واسعة ذات أسواق، ويخرج عندها خليج من النيل يجري الى بحيرة تنيس) «١٢» ، ويسمى أول مدخل الى هذه البحيرة الديجور، وهي كالبحر عظما. ومن مليج المذكورة الى مدينة صهرجت نصف يوم. وعلى مقربة من صهرجت مدينة بلبيس، مدينة جليلة بين الشرق والشمال من مصر وبينها وبين مصر بحيرة الأسرا «١٣» ، ويخرج اليها الماء من خليج يقرب مدينة رشيد من الضفة الشرقية، وهي بحيرة ملحة، وفيها مدينة سنجار، وبهذه المدينة أكثر السفن التي تجري الى مصر في النيل بالأطعمة كل عام.." [1]

"الأشجار إلا الآراك) «١» ، وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله، له صومعة مثمنة بديعة العمل، ولها حمامات وفنادق كثيرة وأسواق حافلة مقصودة وأهلها ذوو يسار وثروة «٢» أكثرهم أقباط، وبها نبذ من صرحاء «٣» لواتة، ولها مرسى على البحر يعرف بالماحور له ثلاثة قصور بينه وبينها ثمانية عشر ميلا. وليس لمباني مدينة «٤» أجدابية سقوف خشب، إنما هي أقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها. وهي راخية الأسعار كثيرة التمر يأتيها من مدينة أوجلة أصناف التمور «٥» .

ذكر مدينة سرت

١٠٨٩ وهي مدينة كبيرة على سيف «٦» البحر، عليها سور طوب وبها جامع وحمام وأسواق، ولها ثلاثة أبواب قبلي وجوفي «٧» وباب صغير إلى البحر ليس حولها «٨» أرباض، ولهم نخل وبساتين وآبار عذبة وجباب كثيرة، وذبائحهم المعز ولحمانها «٩» عذبة طيبة ليس يؤكل بطريق مصر أطيب من لحومها «١٠» .

وأهل سرت من أحسن خلق الله خلق، وأسوأهم معاملة لا يبيعون ولا يبتاعون «١١» إلا بسعر قد اتفق جميعهم عليه، وربما نزل المركب «١٢» بساحلهم موسوقا بالزيت، وهم أحوج الناس إليه، فيعمدون إلى الزقاق الفارغة «١٣» فينفخونها ويوكونها ثم يصفونها في حوانيتهم وأفنيتهم ليرى أهل المركب «١٤» أن الزيت عندهم كثير بائر، فلو أقام أهل المركب «١٥» عندهم «١٦» ما شاء الله أن." [2]

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٦٢١

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٦٥١

"فاستعظمه وأمرهم أن يحفروا زبية «١» في الموضع الذي كان يدخل منه ويغطوا «٢» أعلاه بالحشيش ويرقبوه ليالي (تباعا، ففعلوا) «٣» . فلما كان بعد ليال أقبل على عادته فتردى في الزبية فبدروا فغلبوه بكثرتهم وترديه، فإذا هي امرأة سوداء عظيمة الخلق مفرطة الطول والعرض لا يفقه منها كلمة.
فكلموها بكل لسان علم هناك فلم تجاوب منهم أحدا، فبقيت عندهم أياما يأتمرون في أمرها، ثم اتفقوا على إرسالها وركوب «٤» الخيل والنجب في أثرها إلى أن يقفوا منها ومن موضعها على حقيقة خبر. فلما أرسلت لم يكن طرف العين يلحقها وفاتت شأو النجب والخيل ولم يقف أحد من أمرها على حقيقة.
ويذكرون أن هناك رمالا عظيمة تعرف بالجزائر كثيرة النخل والعيون لا عمران فيها ولا أنيس بها وأن عزيف الجن يسمع بها الدهر كله. وربما أقام بها غزاة السودان ولصوصهم لانتهاز الفرصة في المسلمين، ويتكادس التمر هناك أعواما لا يقع عليه أحد ولا يبلغ إليه حتى ينتجعه الناس في السنين الجدبة وعند الحاجة والضرورة.
الطريق من مدينة أطرابلس إلى قابس
١١١٢ من أطرابلس إلى صبرة، وهو بلد معمور يسكنه زواغة، ثم الطريق من صبرة على ما تقدم قبل هذا عند ذكر الطريق إلى القيروان «٥» . ومدينة قابس مدينة جليلة مسورة بالصخر الجليل من بنيان الأول ذات حصن حصين وأرباض وأسواق **وفنادق** وجامع سري وحمامات كثيرة، وقد أحاط بجميعها خندق كبير يجرون إليه الماء عند الحاجة فيكون أمنع شيء. ولها ثلاثة أبواب بشرقيها وقبليها أرباضها، ويسكنها العرب والأفارق، وفيها جميع الثمار." (١)
"وهي مدينة على البحر مسورة، ولها أسواق كثيرة ومساجد وجامع وسورها صخر وطوب ولها حمامات **وفنادق** وبواد عظيمة وقصور جمة وحصون ورباطات على البحر، منها محرس بطوية «١» وهو أشرفها، وفيها منار مفرط الارتفاع يرقى إليه في مائة وست وستين درجة، ومحرس حبلة ومحرس أبي الغصن ومحرس مقدمان ومحرس اللوزة ومحرس الريحانة.
١١١٨ وسفاقس في وسط غابة زيتون ومن زيتها يمتار أهل مصر وأهل المغرب وصقلية والروم، وربما بيع الزيت منها أربعين ربعا قرطبية بمثقال واحد. وهي محط السفن، فإذا جزر الماء بقيت السفن في الحصاة وإذا مد رجعت السفن. يقصدها التجار من الآفاق بالأموال الجزيلة لابتياع المتاع والزيت، وعمل أهلها في القصارة والكمادة كعمل أهل الإسكندرية وأكثر وأجود.

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٦٦٥

١١١٩ ويقابل سفاقس في البحر جزيرة تسمى قرقنة، وهذه الجزيرة في وسط القصير بينها وبين مدينة سفاقس في ذلك البحر الميت القصير القعر نحو عشرة أميال، وليس للبحر هناك حركة في وقت، وبحذاء هذا الموضع في البحر على رأس القصير بيت مشرف مبني بينه وبين البر الكبير نحو أربعين ميلا، فإذا رأى قلب البيت أصحاب السفن الواردة من الإسكندرية والشام وبرقة أداروها إلى مواضع معلومة. وجزيرة قرقنة المذكورة فيها آثار بنيان ومواجل للماء، ويدخل فيها أهل سفاقس دوابهم ومواشيهم لأنها خصبة «٢» .." (١)

"ذكر «١» مدينة رقادة

١١٣٦ وهي من القيروان على أربعة أميال، ودورها أربعة وعشرون ألف ذراع (وأربعون ذراعا) «٢» ، وأكثرها بساتين وليس بإفريقية أعدل هواء ولا أرق نسيما ولا أطيب تربة من مدينة رقادة، ويذكر أن من دخلها لم يزل ضاحكا مستبشرا من غير سبب. وذكروا أن أحد بني الأغلب «٣» أرق وشرد عنه النوم أياما، فعالجه إسحاق الذي ينسب إليه اطريقل إسحاق فلم ينم، فأمر بالخروج والمشي، فلما وصل إلى موضع رقادة نام، فسميت من يومئذ رقادة واتخذت «٤» دارا ومسكنا وموضع فرجة «٥» للملوك «٦» .

١١٣٧ والذي بنى مدينة رقادة واتخذها دارا ووطنا إبراهيم بن أحمد وانتقل إليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا، وعمرت بالأسواق والحمامات والفنادق ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الأغلب إلى أن هرب عنها زيادة الله من أبي عبد الله الشيعي. وسكنها عبيد الله إلى أن انتقل إلى المهدية سنة ثمان وثلاثمائة. وكان ابتداء تأسيس إبراهيم لها سنة ثلاث «٧» وستين ومائتين. فلما انتقل عنها عبيد الله إلى المهدية دخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها، ولم تزل تخرب شيئا بعد شيء إلى أن ولي معد بن إسماعيل، فخرب ما بقي منها وعفا أثرها وحرث «٨» منازلها ولم يبق منها غير بساتينها.

ولما بناها إبراهيم بن أحمد وجعلها داره منع بيع النبيذ بمدينة القيروان وأباحه بمدينة رقادة. فقال بعض ظرفاء أهل القيروان [منسرح] :

يا سيد الناس وابن سيدهم ... ومن إليه الرقاب منقادة

ما حرم الشرب «٩» في مدينتنا ... وهو حلال بأرض رقادة." (٢)

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٦٦٩

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٦٧٩

"١١٣٨ قال محمد بن يوسف: إنما سميت بهذا الاسم لأن أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري القائم بدعوة الإباضية بأطرابلس لما نهض «١» إلى القيروان لقتال ورفجومة- وكانوا قد تغلبوا عليها مع عاصم بن جميل- التقى بهم بموضع رقادة وهي إذ ذاك منية، فقتلهم هناك قتلا ذريعا فسميت رقادة لرقاد «٢» جثثهم بعضها فوق «٣» بعض.

١١٣٩ فأما مدينة القصر القديم «٤» فإن الذي أسسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم سنة أربع وثمانين ومائة، وصارت دار أمراء بني الأغلب، وهي بقبلي مدينة القيروان وعلى ثلاثة أميال منها، بها جامع له صومعة مستديرة مبنية بالآجر والعمد سبع طبقات لم يبن أحكم منها ولا أحسن منظرا، وحمامات كثيرة وفنادق وأسواق جمة ومواجل للماء. وإذا قحطت القيروان وفقد الماء في مواجلها نقلوا «٥» الماء من مدينة القصر «٦» . وكان لها من الأبواب باب الرحمة قبلي وباب الحديد قبلي وباب غلبون شرقي وب ا ب الريح شرقي وباب السعادة غربي يقابل المقبرة الكبيرة. وداخل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف بالميدان. (ويجاور مدينة القصر بنية) «٧» تعرف بالرصافة. ولما أتى إبراهيم مدينة القصر وانتقل إليها خرب دار الإمارة التي كانت بالقيروان بقبلي الجامع منذ فتحت.." (١)

"١١٤٠ وإذا خرج المتوجه إلى مصر من القيروان على باب الطراز «١» تلقى «٢» مدينة القيروان يسرة ويسلك بين مدينة رقادة ومدينة القصر، فأول ما يلقى وادي السراويل شتوي، ثم المنية المعروفة وهي كبيرة آهلة، ثم قرية زرور «٣» وهي كثيرة البقول لاسيما الجزر وأهلها قوم يضرب بهم المثل في سوء الحال بإفريقية، ويقال مشايخ زرور «٤» شهد منهم سبعة على قبضة اسفنارية، فقال الحاكم للطالب: زد بينة. ثم وادي الطرفا كبير شتوي إذا حمل أهلك ما حوله من القرى والمنازل، وسعته إذا حمل أزيد من ثلاثة أميال. ثم مدينة قلشانة «٥» ومن القيروان إليها اثنا عشر ميلا، كبيرة آهلة بها جامع وحمام ونحو عشرين فندقا، وهي كثيرة البساتين وشجر التين، وأكثر تين القيروان الأخضر منها.

وأبواب الدور بمدينة قلشانة قصار ليس تدخلها الدواب، فعلوا ذلك خوفا من نزول العمال والجباة «٦» .

ذكر مدينة المهدية

١١٤١ مدينة المهدية م نسوبة إلى عبيد الله المهدي الذي بناها على ما ذكر في التاريخ، وبينها وبين القيروان ستون ميلا. تخرج من القيروان فتنزل منزل كامل، ثم تخرج منها فتأتي المهدية. وطريق آخر: تخرج من القيروان إلى مدينة تماجر مرحلة، إلى المهدية (مرحلة أخرى) «٧» . ومدينة تماجر كبيرة آهلة بها

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٦٨٠

جامع وأسواق وفنادق وحمام وماؤها زعاق، وفي وسطها غدير ماء وحولها غابة زيتون وشجر أعناب، وبين مدينة تماجر والمهدية الوادي الملح." (١)

"[ذكر مدينة تونس]

١١٦٣ ومن القيروان إلى مدينة تونس مائة ميل، وهي ثلاث مراحل: فإلى فندق شكل مرحلة وإلى منستير عثمان مرحلة وإلى القيروان مرحلة. وطريق آخر:

إلى منزل باشو «١» إلى الدواميس إلى القيروان.

١١٦٤ ودور مدينة تونس أربع وعشرون ألف ذراع. وفي سنة أربع عشرة ومائة بنى عبيد الله بن الحبحاب الجامع ودار الصناعة بمدينة تونس. وأهلها موصوفون بدناءة «٢» النفوس. واسم مدينة تونس في الأول ترشيش، ويقال لبحرها بحر رادس وكذلك يسمى مرساها مرسى رادس. وافتتحها حسان بن النعمان (بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو مزيقياء «٣» بن عامر الأزدي. وروى جماعة عن أبي المهاجر قال: سار حسان بن النعمان) «٤» إلى أرطة فقاتل الروم بفحص تونس، فسأله الروم ألا يدخل عليهم وأن يضع الخراج عليهم ويقوموا له بما يحمله وأصحابه، فأجابهم إلى ذلك. وكانت لهم سفن معدة من ناحية الباب الذي يقال له باب النساء، فاحتملوا فيها أهلهم وأموالهم وهربوا ليلا وأسلموا المدينة. فدخلها حسان فحرق وخرب فبنى فيها مسجدا وبقي هناك طائفة من المسلمين. وكذلك كان من مكر صاحب قرطاجنة أيضا بحسان بن النعمان، إن الروم لما فروا عنها وبقي فيها مرناق صاحبها ليس معه إلا أهله بعث إلى حسان: هل لك أن تعاهدني وولدي وتقطع لي قطائع أشترطها عليك وأفتح لك بابا «٥» فتدخل المدينة على من." (٢)

"ذكرناها وسبخة «١» ، وبشرقيها أيضا باب قرطاجنة دونه داخل الخندق بساتين كثيرة وآيار بسوان تعرف سواني المرج. وباب السقائين جوفي نسب إلى السقائين لأن بئرا تعرف ببئر أبي القفار «٢» تقابله، وهي بئر كبيرة عزيزة عذبة المائة نميرة، وهناك قصور لبني الأغلب وبساتين فيها أصناف الثمار والرياحين، ويتصل بها جبل أجرد يقال له جبل خفاجة في أعلاه آثار بنيان. وباب أرطة غربي وتجاوره مقبرة تعرف بمقبرة سوق الأحد، ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف الفحامين، وربض المرضى خارج عن المدينة،.

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٦٨١/٢

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٦٩٣/٢

وبقبلي ربض المرضى ملاحة كبيرة منها ملحهم وملح من يجاورهم.

١١٧١ وجامع «٣» مدينة تونس رفيع البناء مطل على البحر ينظر الجالس «٤» فيه إلى جميع جواريه، ويرقى إلى الجامع من جهة الشرق على اثني عشرة درجة، وبها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة. وبمدينة تونس خمسة عشر حماما **وفنادق** كثيرة رفيعة. وعضادات أبواب دور «٥» مدينة تونس كلها رخام بديع لوحان قائمان وثالث معترض عليهما مكان العتبة. ومن أمثالهم: دور تونس أبوابها رخام وداخلها سخام.

١١٧٢ ومدينة تونس دار علم وفقه ولي منها قضاء إفريقية جماعة كثيرة، ومع هذا الفضل الذي فيها هي مخصوصة بالقيام على الأمراء والخلاف للولاة، خالفت." (١)

"رواية أخرى «١» : أنا معتب «٢» بعثت إلى (أهل هذه) «٣» القرية أدعوهم إلى الله، أتيتهم ضحى فقتلوني ظلما فحسيبهم الله. وقال إسحاق بن عبد الملك «٤» الملشوني «٥» : لم يدخل إفريقية نبي قط، وأول من دخلها بالإيمان حواري عيسى بن مريم عليه السلام.

١١٨٣ وفيما بين مدينة سوسة ومدينة تونس جزيرة شريك، (تنسب إلى شريك العبسي كان عاملا عليها، وأم إقليم «٦» جزيرة شريك) «٧» منزل باشو، وهي مدينة كبيرة آهلة بها جامع وحمامات وثلاث رحاب وأسواق عامرة وبها قصر أحمد بن عيسى القائم على ابن الأغلب. وبجزيرة شريك اجتمعت الروم بعد دخول عبد الله بن سعد بن أبي سرح المغرب وتبادروا «٨» منها إلى مدينة إقليبية وما حولها، ثم ركبوا منها إلى جزيرة قوصرة وهي بين صقلية وإفريقية وكانت إذ ذاك عامرة. فيقال إنهم أقاموا بها إلى خلافة عبد الملك بن مروان، فأغزى عبد الملك بن مروان (عبد الملك) «٩» بن قطن في البحر، ففتح ما كان هنالك من الجزائر والقصور وخربها وقفل ظافرا «١٠» .

١١٨٤ ومن تونس إلى منزل باشو هذا مرحلة بينهما قرى (كبيرة آهلة) «١١» كثيرة وحامة «١٢» جليلة مجربة النفع. ثم من باشو إلى قرية الدواميس مرحلة، وهي قرية كبيرة آهلة كثيرة الزيتون والشجر بينهما قصر الزيت ووادي الدمنة **وفندق**." (٢)

"ريحان ووادي الرمان «١» . ومن قرية الدواميس إلى القيروان مرحلة بينهما قصور ومنازل وقرى «٢»

.

١١٨٥ وبحذاء جزيرة شريك في البر نحو الجنوب جبل زغوان، وهو جبل منيف مشرف يسمى كلب الزقاق

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/ ٦٩٧

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/ ٧٠٤

«٣» ، لظهوره وعلوه واستدلال المسافرين به أينما توجهوا، فإنه يرى على مسيرة الأيام الكثيرة، ولعلوه ترى السحاب دونه وكثيرا ما يمطر (سفحه ولا يمطر) «٤» أعلاه. وأهل إفريقية يقولون لمن يستثقلونه من الناس: هو أثقل من جبل زغوان وأثقل من جبل الرصاص، وهو على تونس. وقال الشاعر يخاطب حمامة «٥» أرسلها بكتاب من القيروان إلى تونس [وافر] :

وفي زغوان فاستعلي علوا ... وداني في تعاليك السحابا

وبزغوان قرى كثيرة آهلة كثيرة المياه والثمار والبساتين، منها **فندق** شكل المحلة «٦» المعروفة وهي على مرحلة من تونس قرية كبيرة آهلة، ومنها قرية قلمجنة «٧» كان أبو القاسم بن عبيد الله شرع في بنيانها واتخذها مدينة يسكنها الغريب السابل من هوارة ونفوسة. وهذا الجبل مأوى للصالحين وخيار المسلمين.." (١)

"عامرة «١» ، وقد صنع بها مرفأ للسفن منذ مدة قريبة. وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية التي يغزى بها إلى بلاد الروم. وإلى هذه المدينة «٢» يقصد الغزاة من كل أفق لأن مقطعها يقرب من جزيرة سردانية بينهما نحو مجرأين. وبإزاء مدينة مرسى الخرز بئر وبية الماء تعرف ببئر أزراق، يقول أهلها: طعنة بمزراق خير من شربة من بئر أزراق. وهذه المدينة كثيرة الحيات فاسدة الهواء، يمتاز أهلها من غيرهم بصفرة ألوانهم ولا يكاد يخلو عنق أحد منهم من تميمة. وجباية هذه المدينة عشرة آلاف دينار.

الطريق من القيروان إلى طبرقة

١٢٠٥ من مدينة القيروان إلى منستير عثمان ست مراحل، وهي قرية كبيرة آهلة بها جامع **وفنادق** كثيرة وأسواق وحمامات «٣» وبئر لا تنزف وقصر للأول مبني بالصخر كبير. وأرباب المنستير قوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان وهو اختطها عند دخوله إفريقية، وبها عرب وبربر وأفارق. ومنها إلى مدينة باجة ثلاث مراحل في قرى غير متصلة.

١٢٠٦ ومدينة باجة كبيرة كثيرة الأنهار، وهي على جبل يسمى عين الشمس في هيئة الطيلسان تطرد حواليها المياه «٤» وفيها عيون الماء العذب، ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس هي تحت سور المدينة، والباب هناك منسوب." (٢)

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٧٠٥

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٧١٨

"إليها، ولها أبواب (غير هذا) «١» . وفي داخل الحصن عين أخرى عذبة غزيرة الماء، وحصنها أولي مبني بالصخر الجليل أتقن بناء، ويقال إنه من عهد عيسى عليه السلام. ولها ربض كبير في شرقي الحصن، وسور الحصن مما يلي الربض مهدوم، وبها جامع متقن البناء قبلته سور المدينة، وفيها خمسة حمامات ماؤها من العيون وفنادق كثيرة، وبها ثلاث رحاب لبيع الأطعمة وعيون خارجها (لا تحصى كثرة، وهي دائمة الدجن والغيم، كثيرة الأمطار والانداء قلما يصحى هواؤها، وبها يضرب المثل في كثرة المطر) «٢» . ولها نهر (من جهة الشرق) «٣» جار من الجوف إلى القبلة على ثلاثة أميال منها، وحولها بساتين عظيمة تطرد فيها المياه، وأرضها سوداء متشققة يجود بها جميع البزور، وبها حمص وفول قلما يرى مثله، وتسمى هري إفريقية لريع زرعها وكثرة رفائعها، وإنها خصيبة لينة الأسعار أمحلت البلاد أو خصبت، وإذا كانت أسعار القيروان نازرة »٤» لم يكن للحنطة بها قيمة، ربما اشتري وقر البعير من الحنطة بدرهمين ويردها كل يوم من الدواب والإبل العدد العظيم «٥» الآلاف والأكثر لانتقال الميرة، فلا يؤثر ذلك في سعرها لكثرة طعامهم. ثم تسير منها مرحلة إلى باسلي «٦» ، وهي قرارات للبربر ببلد ورداجة على عيون عذبة.
١٢٠٧ (ومن قرى باجة المغيرة شريفة) «٧» فيها آثار عظيمة عجيبة «٨» للأول من كنائس قائمة البنيان محكمة «٩» العمل كأنما رفعت عنها الأيدي بالأمس، وكلها مفروشة بالرخام النفيس يقف عليها من الغربان عدد «١٠» لا يحصى كثرة حتى يظن المرء أن غربان الأرض قد تجمعت هناك، ويزعمون «١١» أن بها طلسما.." [(١)]

"١٢٤٢ ثم من بنطيوس إلى مدينة بسكرة وقد تقدم ذكرها. ومنها إلى مدينة تهوذا وتعرف بمدينة السحر «١» ، وهي مدينة آهلة كثيرة الثمار والنخل والزرع، وتهوذا مدينة أولية بنيانها بالحجر ولها أموال كثيرة وحولها ربض قد خندق على جميعه واستدار بالمدينة، وبها جامع جليل ومساجد كثيرة وأسواق وفنادق ونهر ينصب في جوفيها من جبل أوراس، سكانها العرب وقوم من قريش، وإن كانت بينهم وبين من يجاورهم حرب أرسلوا ماء النهر في الخندق المحيط بمدينتهم فشربوا منه وامتنعوا (من عدوهم) «٢» به. (وفي المدينة بئر لا تنزح أولية) «٣» وآبار كثيرة طيبة. وأعداؤهم هوارة ومكناسة إباضية وهم بجوفيها، وأهل تهوذا على مذاهب أهل العراق. وحولها بساتين كثيرة من أصناف الثمار وضروب البذر يجود بها، وحواليها أزيد من عشرين قرية.
١٢٤٣ وروى أبو المهاجر عن رجاله عن شهر بن حوشب أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نهى عن

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٧١٩

سكنى هذه البقعة الملعونة التي يقال لها تهوذا، (ويقال إنه قال) «٤» :
سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله ثوابهم ثواب أهل بدر وأهل أحد، والله ما بدلوا حتى ماتوا. وكان شهر بن حوشب يقول:
وا شوقاه إليهم. وكان يقول: سألت بعض «٥» التابعين عن هذه العصابة فقال: ذلك عقبة بن نافع قتله البربر والنصارى بمدينة يقال لها تهوذا، فمنها يحشرون يوم القيامة وسيوفهم على عواتقهم حتى يقفوا بين يدي الله تعالى.
قال أبو المهاجر: قدم عقبة بن نافع مصر وعليها عمرو بن العاص في خلافة معاوية (بن أبي سفيان) «٦» ، فنزل منزلا من بعض قراها ومعه عمرو بن." (١)

"وتأسيسه جامعها وأنهم يقولون إن الله عز وجل يمنعه منه «١» بدعاء صاحب نبيه - صلى الله عليه وسلم -. فأمر معد لعنه الله بنبش قبر عقبة وإحراق رمته بالنار، وبعث إلى مدينة تهوذا لذلك خمسمائة بين فارس وراجل. فلما دنوا من قبره وحاولوا ما أمرهم به هبت ريح عاصفة ولاحت بروق خاطفة وقعقعت رعود قاصفة كادت تهلكهم، فانصرفوا ولم يعرضوا له.
١٢٤٥ ومنها إلى مدينة باديس مرحلة. وبمدينة باديس حصنان فهما جامع وأسواق وبسائط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم. ومن باديس إلى قيطون بياضة وهو أول بلد سماطة، ومنه يفترق الطريق إلى بلاد السودان وإلى أطرابلس وإلى القيروان. إلى مدينة نفطة مرحلتان، وهي مدينة «٢» مبنية بالصخر عامرة آهلة بها جامع ومساجد وحمامات كثيرة، وهي كثيرة المياه السائحة، وشرب جميع «٣» بلاد قسطيلية بوزن إلا نفطة فإن شربها جزاف. وجميع أهلها شيعة وتسمى الكوفة الصغرى. إلى مدينة توزر وهي آخر أقاليم بلد قسطيلية وقد تقدم ذكرها، وبينها وبين بسكرة خمسة أيام. ثم تسير منها إلى قفصة مرحلتان، ومن مدينة قفصة مرحلتان «٤» إلى فج الحمار وبه فندق وماجل للماء. إلى الهروية وهي آخر قرى كورة قمونية. إلى مدينة مذكود وهي أم أقاليم بلد قمونية بها جامع وحمامات وأسواق ومساجد كثيرة وفنادق عدة وآبار عذبة الماء بعيدة الرشاء، وحولها ثمار كثيرة من جميع الأصناف أكثرها شجر التين «٥» وهو يفوق تين إفريقية طيبا. ومنها يحمل التين زبيبا إلى القيروان فيكون أغلى من

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٧٤١

سائر التين ثمنا وأكثر طلبا. وهي في غابة من شجر التين الأخضر «٦» لا تظهر لمن قصدها حتى يبلغها. ومن مدينة مذكود إلى جمونس «٧» الصابون قرية." (١)

"يسقى منه بساتينهم وثمارهم، وهي مقطوعة منحوتة السور بنهر من كل ناحية، ولها (عيون تجري) «١» بينها وبين البحر. وكان عبد الرحمان افتتحها وبعث إليها محمد بن أبي عامر حميد بن يزل فبناها وجددها «٢» .

١٢٥٥ (فأما الطريق من أرشقول إلى القيروان فمنها إلى مدينة أسلن ومن أسلن إلى قصر ابن سنان مرحلة لطيفة، ثم الطريق على ما تقدم من أسلن إلى تيهرت أربع مراحل، ومن تيهرت إلى القيروان تسع عشرة) «٣» . ومنها إلى حصن تانكرمت «٤» ، وهو أيضا على الساحل، ستة أميال وله مزارع واسعة وبسائط خصيبة. وعلى مرحلتين من أسلن مدينة فكان (بينهما نهر سي وعليه المنزل في المرحلة الأولى «٥» . ومدينة فكان) «٦» كانت سوقا قديمة من أسواق زناتة فمدنها يعلى بن محمد بن صالح اليفرني، وكان ابتداء تأسيسه لها سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وارتحل إليها أهل المعسكر من أهل تيهرت ويلل وشاطىء بني واطيل ووهران وقصر الفلوس فعمرت وتمدنت وعظمت، وهي في سفح جبل أوشيلاس «٧» وهو بجوفيها، ولهذا الجبل شعراء غامضة.

وبقبليها نهر سيرة ومنبعثه من عيون بشرقيها عليه الأرحاء والبساتين من كلتا ضفتيه. (وبغربي فكان) «٨» أسفل بساتينها مجمع الأودية: وادي سيرة ووادي سي ووادي هنت. وعلى مدينة فكان سور طوب وبها جامع وحمام وفنادق «٩» . وبين هذا الحصن وحصن مرنيسة البير ثلاثة أميال وهو حصن حصين، ومنه إلى حصن ابن «١٠» زيني ثلاثة أميال أيضا، ولهذا الحصن نهر كثير الثمار.." (٢)

"١٣٨٥ ولجراوة مرسى تافرجنيت «١» . ومن جراوة إلى ترنانة، وهي سوق عامرة، مرحلة. ومنها إلى مدينة تلمسان مرحلة، يسكنها زناتة، وقد تقدم ذكرها.

إلى مدينة تافدة «٢» ، وهي مدينة كبيرة آهلة على نهرين أحدهما حمة ومنه شربهم وعليه أرحاؤهم. إلى قصر ابن سنان «٣» الأزداجي حوله بساتين كثيرة على نهر كدال. إلى مدينة يلل، وهي كبيرة آهلة كثيرة الأشجار يسكنها هوارة، وبها مسجد جامع. إلى مدينة الغزة يسكنها مكناسة، وهي مدينة شريفة على نهر شلف كثيرة البساتين وبها مسجد جامع. ومنها إلى مدينة تيهرت وقد مر ذكرها ثلاث مراحل. إلى حصن

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٧٤٣

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٧٤٩

تامغيلت «٤» مرحلتان، وهو مبني بالطوب على نهر، له ربض وسوق، يسكنه بنو دمر من زناتة. إلى إيزمامة حصن له سوق وفيه فنادق، يسكنه لواتة ونفزاوة. إلى مدينة هاز على نهر شتوي «٥» ، وهي خالية أجلى أهلها زيري بن مناد الصنهاجي. إلى بورة «٦» نهر جار يسكن حوله بنو يزناتن وهم كانوا أصحاب هاز، وبورة كثيرة العقارب وبها سويقة. ومنها إلى حصن موزية وبقرب هذا الحصن قصر من بنيان الأول بالصخر يعرف بقصر العطش حوله ماء ملح، ومدينة عظيمة للأول أيضا خالية مبنية بالصخر الجليل «٧» تسمى مدينة الرمانة تنفجر تحتها عيون ثرة طيبة تسيل إلى مدينة المسيلة، (وقد تقدم ذكرها) «٨» . ومدينة للأول أيضا خالية «٩» تسمى بالبربرية تاورست «١٠» تفسيره الحمراء، وهي مبنية بالصخر على نهر عذب. ومن حصن مورية إلى مدينة المسيلة، وقد تقدم ذكرها.." (١)

"١٣٨٦ ومنها إلى مدينة أدنة، وهي خالية أخربها علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة في وقوع «١» ميسور الفتى إلى المغرب، وبلد أدنة بلد كثير الأنهار والعيون العذبة، هناك عين الكتان عين عذبة في مفازة عليها أربع نخلات بينها وبين المسيلة مرحلة، وبشرقيها وادي مقرة عليه سبع قرى منها قرية يكسم وزيتها أطيب الزيوت، وبين عين الكتان وأدنة نهر سهر «٢» ونهر النساء (ونهر أبي طويل وعين الغزال، وبين نهر سهر ونهر النساء) «٣» ثلاثة أميال، وسمي بذلك لأن هوارة أغاروا على نساء أدنة وذهبوا بهن فأدركهم أهل أدنة فاستنقذوا النساء هناك والغنيمة وقتلوا جماعة من هوارة. ومن أدنة إلى مدينة طبنة مرحلتان، وقد تقدم ذكر مدينة طبنة، وحواليها بنو زنراج. ومنها إلى نهر الغابة.

١٣٨٧ ثم تمشي ثلاث مراحل في مساكن العرب وهوارة ومكناسة (وكبينة وورفلة) «٤» ، يطل عليها وعلى ما والاها جبل أوراس، وهو مسيرة سبعة أيام، وفيه قلاع كثيرة يسكنها قبائل هوارة ومكناسة، وهم على رأي الخوارج الإباضية. ومن هذا الجبل قام أبو يزيد مخلد بن كيداد النفزي الزناتي على أبي القاسم بن عبيد الله، وفي هذا الجبل كان مستقر الكاهنة.

إلى مدينة باغاية، وهي حصن صخر قديم حوله ربض كبير من ثلاث نواح، وليس فيما يلي الناحية الغربية ربض إنما يتصل بها بساتين ونهر، وفي أرباضها فنادقها وحماماتها وأسواقها وجامعها داخل الحصن، وهي في بساط من الأرض عريض كثير المياه، وجبل أوراس مطل عليه. ويسكن فحص هذه." (٢)

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٨٣٠

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٨٣١

"المدينة قبائل مزاتة وضريسة وكلهم إباضية، وهم يظعنون في زمن الشتاء إلى الرمال (حيث لا مطر ولا ثلج) «١» خوفا على نتاج إبلهم. وإلى مدينة باغاية «٢» لجأ البربر والروم وبها تحصنوا من عقبة بن نافع القرشي، فدارت بينهم حروب عظيمة وكانت الدائرة «٣» فيها على أهل باغاية، فهزمهم عقبة بن نافع وقتلهم قتلا ذريعا، ولجأ فلهم إلى الحصن وغنم منهم خيلا لم يروا في مغازيهم «٤» أصلب ولا أسرع منها من نتاج خيل أوراس. فرحل عنهم عقبة ولم يقم عليهم كراهة أن يشتغل بهم عن غيرهم. وأهلها اليوم كلهم على رأي الإباضية. وكيل الطعام بباغاية بالويبة «٥» وهي أربعة وستون مدا بمد النبي - صلى الله عليه وسلم -، (وهو قفيز ونصف قفيز قرطبي) «٦» ، وقفيز الزيت قروي وهو خمس ربع قرطبي، ورطل اللحم عندهم عشرون رطلا فلفلية.

١٣٨٨ ومن باغاية إلى مدينة مجانة، وهي كبيرة (عليها سور طوب وبها جامع وحمامات ومعادن كثيرة) «٧» منها معدن فضة للواتة يسمى الوريطسي «٨» ، وتعرف بمجانة المعادن، ولها قلعة مبنية بالحجر فيها ثلاثمائة وستون جبا قد تقدم ذكرها. وهذه المدينة للعرب وحولها لواتة. وهذه القلعة تعرف بقلعة بسر لأن بسر بن أرطاة افتتحها عنوة، بعثه إليها موسى بن نصير وبعث خمس غنيمتها إليه. وبين باغاية ومجانة فندق مسكيانة ووادي ملاق، وهو واد صعب كثير الدهس وعر المخائض. وتسير من مجانة إلى مرماجنة «٩» ، وهي مدينة لطيفة بها جامع وفندق وسوق وهي في بساط مديد. وهذه طريق الصيف.." [1]

"١٣٨٩ فأما طريق الشتاء فتأخذ «١» من مسكيانة إلى مدينة تبسا لأن وادي ملاق يتسع من سلوك تلك الطريق. ومدينة تبسا مدينة كبيرة (كثيرة الفواكه) «٢» أولية مبنية بالصخر الجليل، أخرب بعض سورها أبو يزيد مخلد بن كيداد، وهي على نهر كبير كثير الفواكه والأشجار لا سيما الجوز، فإن المثل يضرب بجلالته هناك وكبره وطيبه. وفيها أقباء يدخلها الرفاق بدوابهم في زمن الثلج والشتاء، يسع القبو الواحد ألفي دابة وأكثر.

١٣٩٠ ومنها إلى مدينة سبيبة، أولية مبنية (بالحجارة أي) «٣» بالصخر، بها جامع وحمامات تطرد فيها المياه العذبة تطحن عليها الأرحاء، وهي كثيرة البساتين ويجود في أرضها الزعفران، وحواليها جبال كثيرة (يسكنها من العرب قوم يعرفون ببني المغلس وبني الكسلان وحولهم قبائل من البربر كثيرة) «٤» من هوارة ومرنيسة. وفي الطريق إلى سبيبة مرصد «٥» يعرف بعين التينة وعين تعرف بعين أربان ماء يجري من قناء للأول «٦» . وبشرقي هذا العين جبل منيف محدد فيه شق وفي ذلك الشق رجل مذبوح معروف هناك قبل

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٨٣٢

فتوح إفريقية لا يحل منه قليل ولا كثير «٧» ولا نال «٨» منه سبع ولا دابة، ويقال إنه من الحواريين، وقد تقدم ذكره. ومن مدينة سبيبة إلى قرية الجهنيين، وهي قرية كبيرة آهلة كثيرة **الفنادق** والحوانيت ولها أشجار وفواكه، بينها وبين القيروان مرحلة، وعليها جبل يسمى ممطور لأن معاوية بن حديج نزله فأصابه مطر فقال: جبلنا ممطور. ومنها إلى منزل يقال له الهرى يجاوره مرصد، ومنه إلى كدية الشعير، إلى مدينة القيروان. وقال محمد بن يوسف: من مدينة." (١)

"سبيبة إلى ساقية ممس قرية عامرة آهلة بها مسجد **وفندق** «١» ، ثم قرية المشفق «٢» كبيرة آهلة بها ماجلان وبئر طيبة عمقها ثلاثون قامة، ثم قصر الخير فيه ماء شريب «٣» ، ثم قصر الزرادية ويعرف بالخطارة عامر آهل، ثم مدينة القيروان.

الطريق من مدينة فاس إلى سجلماسة

١٣٩١ من مدينة فاس إلى مدينة سفروي مرحلة، وهي مدينة مسورة ذات أنهار وأشجار. ومنها إلى الأصنام مرحلة. ومنها إلى موضع يقال له المزي مرحلة، وهو بلد مكلاتة. ومنها إلى تاسغمرت مرحلة، وهي قرية على نهر. ومنها إلى موضع يقال له أمغاك «٤» مرحلة كبيرة نحو الستين ميلا. ومنها تدخل في عمل سجلماسة بين أنهار وثمار ثلاث مراحل إلى مدينة سجلماسة.

١٣٩٢ وطريق آخر «٥» من سجلماسة إلى مدينة فاس ذكرها محمد بن يوسف: من مدينة سجلماسة إلى موضع يقال له أرفود جبل موت لا عمارة حوله فيه حمة مرحلة. ومنه إلى موضع يقال له الأحساء رمل، يحفر فيه فـيـنبعث الماء على ذراع ونحوه في بلد زناتة مرحلة. ومنه إلى حصن يرارة مرحلة، عامر آهل به سوق وجامع وله جدول ماء، وهو بلد يحسن فيه الغنم، ويقال إن أصول." (٢)

"ذكر مدينة نول «١»

١٤٢٦ ومن مدينة نول إلى درعة ثلاث مراحل. ومدينة إيجلى «٢» مدينة كبيرة سهلية بغربيها نهر كبير جار من القبلة إلى الجوف عليه بساتين كثيرة متصلة، ولم يتخذوا قط عليه رحى، فإذا سئلوا عن المانع لهم من ذلك قالوا: كيف يسخر مثل «٣» هذا الماء العذب في إدارة الأرحاء؟ وهي كثيرة الفواكه والخير، وربما بيع حمل التمر بها بدون كراء الدابة من البستان إلى السوق.

وقصب السكر أكثر شيء بها يحمل الرجل بربع درهم منه ما يؤذيه ثقله، ويعمل بها السكر كثيرا وقنطار

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٨٣٣

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٨٣٤

سكرها يبتاع بمثقالين وأقل. ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به إلى بلاد الشرك. وبها مسجد جامع وأسواق **وفنادق**. والذي «٤» افتتحها عقبة بن نافع وأخرج منها سبيا لم ير (مثله حسنا وتماما) «٥» ، كانت تباع الجارية الواحدة منهن بألف دينار وأكثر. ودخلها عبد الرحمان بن حبيب بعد ذلك وبها معسكره إلى اليوم.

١٤٢٧ وبالسوس زيت «٦« الهرجان وشجره يشبه شجر الكمثرى إلا أنه لا يفوت اليد وأغصانه نابتة من أصله لا ساق له. وهي شوكاء وثمرها يشبه الأجاص، فيجمع ويترك حتى يذبل، ثم يوضع على النار في مقلى فخار فيستخرج دهنه، وطعمه يشبه طعم القمح المقلو، وهو جيد محمود الغذاء يسخن الكلى ويدر البول. وبالسوس عسل يفوق عسل الأمصار يلقي." (١)

"إفريقية «١» وبلاد السودان، وهى جبال من الرمال من المشرق «ا» إلى المغرب؛ وفيها يصاد الفنك الذي لا يوجد لجلده مثال. وجاء فى حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ينقطع الجهاد من جميع الجهات ولا يبقى إلا ببلاد إفريقية، فبينما القوم بإزاء عدوهم نظروا إلى الجبال قد سيرت فيخرون «ب» لله سجدا فلا ينزع أطمارهم عنهم إلا أزواجهم من الحور العين» . وروى عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه بعث سرية فى سبيل الله، فلما قفلوا «ج» منها، شكوا شدة برد أصابهم، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

«لكن «د» إفريقية أكثر بردا وأعظم أجرا» «٢» . وبإفريقية فى هذا الوقت من أبناء الإمام الخليفة وحفدته السادات النجباء– أدام الله نصرهم– ما تمهدت به «ر» أكنافها وعمرت لهم أوساطها وأطرافها؛ ولكن الشقى يحيى بن اسحاق، صنو الشقى على متوغل فى صحاريها، وقراقوش متصيد له متوثب عليه «٣» ؛ والله سبحانه ولى التوفيق بمنه وكرمه.

مدينة قابس «٤» : وتعد أيضا من بلاد الجريد، بينها وبين طرابلس ٨ أيام، وهى مدينة كبيرة قديمة أزلية وعليها سور صخر جليل من بناء الأول، ولها حصن حصين وأرباض واسعة؛ وفيها **فنادق** وحمامات؛ وقد أحاط بجميعها خندق كبير يجرون إليه الماء إذا خافوا من نزول عدو إليهم «س» فيكون أمنع شيء.

ولها واد يسقى بساتينها وأرباضها ومزارعها؛ وأصل هذا الوادى من عين خرارة." (٢)

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٨٥٤

(٢) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/١١٢

"الذي ذكروا لهم، فحفر المجوس موضعا من تلك المواضع التى زعموا فوجدوا على الخبء مطامير من الدخن فاستخرجوه، فلما نظر البربر من بعيد إلى صفرة الدخن ظنوه تبرا، فبدروا إليهم ونقضوا عهدهم وهرب المجوس إلى مراكبهم.

فلما أصاب البربر الدخن ندموا فرغبوا إلى المجوس أن يرجعوا إلى استخراج المال فأبوا؛ وقالوا: «قد رأينا منكم نقض العهد فلا نأمنكم أبدا» .

مدينة تشمس «ا» «١» : وهى مدينة قديمة أزلية فيها آثار للأول؛ وهى على نظر واسع كثيرة الخصب والزرع والضرع. وهى تشبه بلاد الأندلس، وبقربها بحيرة كبيرة تسمى أمسنا، يصب فيها البحر ٧ أعوام وتصب هى فى البحر ٧ أعوام؛ وينقطع البحر عنها فتظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك. وبين البحر والبحيرة مسجد مقصود يسكن حوله النساك وأهل الخيرة، وأمرهم مشهور بتلك الجهات معروف.

مدينة سلا «٢» : اسمها بالعجمى شلة «ب» ؛ وهى مدينة أزلية فيها آثار للأول. وهى معروفة بضفة الوادى، متصلة بالعمارة التى أحدثها الخليفة الإمام أمير المؤمنين وآباؤه المكرمون. وقد كان اتخذ أرباب البلد العشريون وأولياؤهم مدينة بالعدوة الشرقية، وهى المعروفة الآن بسلا، فيها ديارهم بحومة الجامع؛ ولم يبق منه سوى المنار، وأما السقف كله فتهدم واحتمى الغرباء فى بنائه فى سنة ٥٧٤ [- ١١٧٨] . وأمر الخليفة أبو يعقوب رضه ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التى أحدثها الإمام أمير المؤمنين، وفى هذه القصبة جامع وقصور، وصهاريج الماء أمام الجامع وهو مجلوب من نحو ٢٠ ميلا. وفى هذه المدينة المحدثة قيصارية عظيمة وحمامات وفنادق «ج» وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع." [١]

"مدينة أجدابية «١» : هى مدينة كبيرة فى صحراء صفا، وآبارها منقورة فى ذلك الصفا «ا» ؛ طيبة الهواء والماء وبها عين ثائرة عذبة «ب» ، ولها بساتين ونخل يسير «ج» ؛ وبها جامع حسن البناء بناه الشيعى، وله صومعة مثمنة بديعة العمل.

وبها حمامات وفنادق كثيرة، وأسواق حافلة مقصودة، وأهلها ذو يسار وأكثرهم أقباط «د» ، وبها نبذ من صرحاء لواته. وليس لمبانيها سقوف من خشب، وإنما هى أقباء من الطوب لكثرة الرياح بها. ثم كذلك قبائل البربر والعرب إلى جبل نفوسة «٢» وطوله من المشرق إلى المغرب ٦ أيام؛ وبينه وبين القيروان ٦ أيام، وفيه مدن كثيرة. وفى هذا الجبل مواضع كثيرة فيها آثار قديمة للأول، عجيبة فيها غرائب لمن تأملها.

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/١٤٠

ووصل عمرو بن العاص- رحمه الله- إلى جبل نفوسة وافتتحه وكان أهله نصارى، وفى جبل نفوسة رجع بكتاب عمر بن الخطاب رضه. وفى وسط هذا الجبل مدينة جادوا «ر» [وهى] مدينة كبيرة لها أسواق حافلة وأكثر أهلها يهود، وهى أم قرى جبل نفوسة.

مدينة شروس «٣» : وهى مدينة كبيرة جليلة قديمة، فيها آثار للأول، وأهلها إباضية «س» ، وليس بها جامع ولا فيما حولها من القرى؛ وفى نظرها أزيد من ٣٠٠ قرية. ولا يرون فى مذهبهم الجمعة، وفى هذا الجبل أمم كثيرة على مذاهب شتى، وأكثرهم إباضية «ص» . وليس لهم أمير يرجعون إلى أمره وإنما." (١)

"مدينة- كرت «ا» «١» : وكانت مدينة كبيرة حصينة كثيرة الخير على نظر كبير، يعمرها قبائل من البربر يقال لهم بياتة، وهى اليوم قرية عامرة.

ثم منها إلى مدينة البصرة «٢» ، مدينة كبيرة على ربوة مشرفة على بسائط ونظر واسع، كثيرة الزرع والضرع ليس بتلك النواحى أوسع مرعى منها، وبكثرة ألبانها كانت تعرف ببصرة الألبان «ب» . وتعرف أيضا ببصرة الكتان، لأن أهلها كانوا يتبايعون بالكتان؛ وكانت تعرف بالحمراء لحمرة تربيتها. وكان عليها سور مبنى بالحجارة والطوب يحمر من بعيد، وكانت لها ١٠ أبواب. ونساؤها مخصوصات بالجمال الفائق، والحسن الرائق، لم يكن ببلاد المغرب أجمل منهن.

مدينة قصر صنهاجة «٣» : وهى على تل وتحته نهر لكس «ج» تدخله المراكب، وتعرف بقصر عبد الكريم، وكان من أشياخ كتامة القاطنين هناك فرأس فيهم وأستوطن ذلك الموضع. وكانت فيه آثار قديمة، فبنى فيه دارا سميت قصرا لعدم القصور بتلك الجهات، وأحدث الأمر العالى فى موضعه فى هذه المدة فندقين عجبين، وتمدن هذا الموضع، وشرف وقصده التجار وأستوطنوه. ومصب «د» واديه فى البحر على ١٥ ميلا أو نحوها؛ على المدخل حصن كبير قديم يسمى تشمس قدمنا ذكره «ر» . وكان إدريس بن القاسم بن ابراهيم العلوى «س» قد أحيار سمه «ص» وأظهره فهو إلى الآن معمور ويسكنه المتعيشون من البحر، وهو كثير الأمراض وبى الهواء «ط» وخم الماء، ومنه تشحن المراكب بالزرع.." (٢)

"وخارجها صهريجين عظيمين كنا فى تلك المدة نعوم فيهما فلا يكاد القوى منا يقطع الصهريج إلا عن مشقة، وكنا نتفاخر بذلك. وأحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب رضه بحائر مثلها فى الغرس بل أجمل، وجلب لها المياه وأخذها فى صهاريج أعظم من المتقدمة، وزاد فى قبلة المدينة حصنا أنفذه الآن ابنه الإمام

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/١٤٤

(٢) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/١٨٩

الخليفة أبو يوسف رضه، وزاد عليه مدينة أخرى تقارب الأولى فى دورها؛ وكانت بحائر عظيمة فبناها قصورا وجامعا وأسواقا وفنادق، وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبق فى مدن الأرض أعظم منها، وأمر بعمارتها أول سنة ٥٨٥ [١١٨٩] . ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات، وكانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء، وأكثر شجرها الزيتون ففى مراكش اليوم من الزيتون والزيت ما تستغنى به عن غيرها من البلاد وتمير بلادا كثيرة، وكان زيتها قبل اليوم دهن الهرجان «١» لأنه بتلك البلاد كثير جدا. وزيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة وزيتها أرخص وربما أطيب.

ومما شرف به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبو يوسف حضرته المكرمة رضه أن أرسل فى وسط المدينة ساقية ظاهرة ماؤها ماء قصره المكرم، تشق المدينة من القبلة إلى الجوف، وعليها السقايات لسقى الخيل والدواب واستقاء الناس، فهى اليوم أشرف مدن الدنيا وأعدلها هواء. ومن بركاته «ب» وضع دار الفرج فى شرقى الجامع المكرم، وهو مارستان المرضى، يدخله العليل فيعاين ما أعد فيه من المنازه والمياه والرياحين والأطعمة الشهية والأشربة المفوهة «ج» ، ويستطعمها ويسيغها فتنعشه من حينه بقدرة الله تعالى. وكان فى سنة ٥٨٥ [- ١١٨٩] قد استدعى العلماء ورواة الحديث وأمر بتدريس حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -.

مدينة فروجة «د» «١» : يسمونها أفروجى، بينها وبين مراكش مرحلة، وهى فى بطحاء كثيرة المياه والفواكه والخيرات. وبالقرب منها مدينة." (١)

"ويصاد بها من السمك ما يعظم خطره ويكثر قدره وأكثر صيدهم بالزروب المنصوبة لهم في الماء الميت بضروب حيل وجل غلاتها الزيتون والزيت وبها منه ما ليس يوجد بغيرها مثله وبها مرسى حسن ميت الماء وبالجملة إنها من عز البلاد وأهلها لهم نخوة وفي أنفسهم عزة وافتتحها الملك المعظم رجار في عام ثلاثة وأربعين وخمس مائة من سني الهجرة وهي الآن معمورة وليست مثل ما كانت عليه من العمارة والأسواق والمتاجر في الزمن القديم.

ومن سفاقس إلى مدينة المهدية مرحلتان ولها عامل من قبل الملك المعظم رجار والمهدية مدينة لم تزل ذات إقلاع وحط للسفن الحجازية القاصدة إليها من بلاد المشرق والمغرب والأندلس وبلاد الروم وغيرها من البلاد وإليها تجلب البضائع الكثيرة بقناطير الأموال على مر الأيام وقد قل ذلك في وقتنا هذا ومدينة

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٢١٠

المهدية كانت مرسى وفرضة للقيروان واستحدثها المهدي عبيد الله وسماها بهذا الاسم وهي في نحر البحر ترحل من سفاقس إلى رقادة القيروان ثم ترحل إليها من مدينة رقادة ومدينة المهدية من مدينة القيروان على مرحلتين وكانت فيما سلف المسافر إليها كثير والبضائع إليها مجلوبة من سائر البلاد والأقطار والأمتعة والمتاجر بها نافقة وفيها بائعة والهمم على أهلها موقوفة وإليهم راجعة ولها حسن مبان لطيفة نظيفة المنازل والمتبوات وديارها حسنة وحماماتها جليلة وبها **خانات** كثيرة وهي في ذاتها حسنة الداخل والخارج بهية المنظر وأهلها حسان الوجوه نظاف الثياب ويعمل بها." (١)

"ذكية وجل لباسهم البياض ولهم همم في أنفسهم وملابسهم وفيهم الجمال ولهم معرفة زائدة في التجارات وطريقتهم حميدة في المعاملات ولهذه المدينة أسوار عالية حصينة جدا تطيف بها من سائر جهاتها ونواحيها البرية والبحرية وجميعها مبني بالحجر وفيها **فنادق** كثيرة وحمامات جمة ولهذه المدينة من جهة البر خندق كبير تستقر به مياه السماء وبخارجها من جهة غربيها حمى كان قبل دخول العرب أرض إفريقية وإفسادهم لها فيه جنات وبساتين بسائر الثمار العجيبة والفواكه الطيبة ولم يبق الآن منها بهذا الحمى المذكور شيء وعلى مقربة من هذه المدينة قرى كثيرة ومنازل وقصور يسكنها قوم بواد لهم زروع كثيرة ومواش وأغنام وأبقار وإصابات كثيرة في القمح والشعير وبها زيتون كثير يعتصر منه زيت طيب عجيب يعم سائر بلاد إفريقية ويتجهز به إلى سائر بلاد المشرق وبين هاتين المدينتين أعني المهدية وزويلة فضاء كبير يسمى الرملة مقداره أشف من رمية سهم والمهدية قاعدة بلاد إفريقية وقطب مملكتها.

وإذ قد انتهى بنا القول في ذكر بلاد إفريقية فلنرجع الآن إلى ذكر بلاد نفزاوة فنقول إن مدينة سبيطلة كانت مدينة جرجيس ملك الروم الأفارقة وكانت من أحسن البلاد منظرا وأكبرها قطرا وأكثرها مياها وأعدلها هواء وأطيبها ثرى وكانت بها بساتين وجنات وافتتحها المسلمون في صدر الإسلام وقتلوا بها ملكها العظيم المسمى جرجيس ومنها إلى مدينة قفصة مرحلة وبعض ومنها أيضا إلى القيروان سبعون ميلا.." (٢)

"وبين تونس ومدينة القيروان جبل زغوان وهو جبل عال جدا تقصد إليه المراكب من ظهر البحر لعلوه وارتقائه في الجو وهو أكثر الجبال ماء وفيه خصب ومزارع وعمارة ويعمر منه في أماكن قوم عباد مسلمون متفردون وكذلك جبل واسلات وطوله يومان ومنه إلى تونس يومان وبينه وبين القيروان خمسة عشر ميلا وفيه عمارات كثيرة ومياه جارية وفيه من الحصون حصن الجوزات وحصن تيفاف وحصن القيطنة ودار

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ٢٨١/١

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ٢٨٣/١

إسماعيل ودار الدواب وكل هذه البلاد يعمرها قبائل من البربر وهم أهل هذه الناحية وهم في خصب ولهم مواش أبقار وأغنام وبغال ورماك والعرب متغلبون على سهول هذه الأرض كلها.

ولنذكر الآن الطرقات المسلوكة بين هذه البلاد فمن ذلك الطريق من القيروان إلى تاهرت.

فمن القيروان إلى الجهنيين وهي قرية مرحلة.

إلى مدينة سبيبة مرحلة وهي مدينة أزلية كثيرة المياه والجنات وعليها سور من حجارة حصين ولها ربض فيه الأسواق **والخانات** وشربهم من عين جارية كبيرة عليها جناتهم وبساتينهم وغلاتهم من الكمون والكروياء والبقول.

ومنها إلى مرماجنة وهي قرية لهوارة مرحلة.." (١)

"وتتصل هذه البلاد بغربي بلاد مرو الروذ ولمرو الروذ بلاد كثيرة عامرة ومدينة مرو الروذ أكبرها وهي أكبر من بوشنج وهي على غلوة سهم من النهر.

ومرو مدينة قديمة في مستو من الأرض بعيدة عن الجبال أرضها سبخة كثيرة الرمل وأبنيتها من الطين وفيها ثلاثة مساجد للجماعات ولها قصبة في نشز مرتفع وماء المدينة يجلب إليها في قنوات كثيرة وللمدينة أربعة أبواب ولمرو نهر عظيم تتشعب منه أنهار يسقى بها الرساتيق ومبدؤه من شمال جبل الباميان واسم هذا النهر نهر مرغاب ويجري هذا النهر على مرو الروذ وعليه ضياعهم وفي هذه الضياع مبان متقنة ومتنزهات حسنة ومساكن متحصنة ومدينة مرو معتدلة الهواء حسنة الثرى حكى الحوقلي أن البطيخ بها يقدد ويحمل إلى سائر الآفاق ويرفع من مرو الإبريسم والقز الكثير ويتجهز منها بالقطن العجيب الذي ينسب في سائر الأقطار إليها وهو الغاية في اللين ويعمل بها منه ثياب تحمل إلى كل الآفاق ولها منابر مضافة إليها ومعدودة منها مثل كشميهن وهي على مرحلة منها ولها منبر ويجري عليها نهر كبير ولها بساتين وأشجار وأسواق قائمة عامرة وبها **فنادق** وحمامات ومنها هرمز فرة على مقدار فرسخ من كشميهن عن يسارها وعليها طريق مفازة سيفاية التي تؤدي إلى خوارزم وهي مدينة متوسطة ذات عمارات وأسواق ودخل وخرج ولها منبر ومنها سنج وهي مدينة مثل." (٢)

"هرمز فرة وهي على مرحلة من مرو غربا وبها منبر ولها بساتين وزروع ومن مدنها أيضا جيرنج وهي مدينة صغيرة لها أسواق وتجار مياسير وبها منبر وهي على تسعة أميال من مرو قبل زرق بثلاثة أميال وهي

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٢٩٤/١

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٤٧٦/١

على ضفة النهر وكذلك الدندانقان على مرحلتين من مرو على طريق سرخس وهي مدينة حسنة لها سور وحصن وأسواق وحمامات **وفنادق** وبها مسجد جامع ومنبر ومن مدنها القرينين وهي مدينة حسنة حصينة خصبة بها سوق ومسجد جامع وخطبة قائمة ولها مياه جارية وبساتين ومنها إلى مرو أربع مراحل ومن مدنها باشان وهي مدينة عامرة حسنة المباني فرجة الأرجاء متقنة الأسواق وبها **فنادق** وحمامات ومسجد جامع ومنبر يمشى إليه وهي من هرمزفره على ثلاثة أميال ومن مدنها السوسقان وهي مدينة كبيرة عامرة رحبة المساكن فرجة كثيرة النزه لها مياه جارية وبساتين كثيرة وبها مسجد ومنبر ومدينة السوسقان يسرة زرق غير أنها أبعد منها بثلاثة أميال وزرق على نهر مرو وبينها وبين مرو اثنا عشر ميلا بين طريق سرخس وأبيورد.
ومن مدن مرو (الروذ) قصر أحنف وهو على مرحلة من مرو (الروذ) في طريق بلخ وهي من الأميال خمسة عشر ميلا وهي مدينة صغيرة بها سوق عامرة وعليها سور تراب ولها مياه جارية وبساتين وفواكه كثيرة ومن مدنها." (١)

"صغيرة ولها رساتيق كثيرة خصبة ولها كروم وأشجار وعيون جارية وعليها سور تراب حصين وبها أسواق **وفنادق** وحمامات وتجار وأموال متصرفة وهي على نهر جرياب وفي غربيه ونهر جرياب هو معظم نهر جيحون الأعظم وبجبالها دواب كثيرة ونتاج كثير وبجلب منها الخيل والبغال والرماك المنتخبة وترفع منها الحجارة ذوات الجواهر النفيسة التي تشاكل الياقوت الأحمر والرماني وسائر أنواع الحجارة ويجلب منها اللازورد ويستخرج بها منه الشيء الكثير ويحمل إلى سائر أقطار الأرض فيعمها كثرة ولا شيء يفوقه ويقع إليها المسك من طريق وخان من أرض التبت ومدينة بذخشان هذه تتصل ببلاد القنوج من الهند.
وأول كورة على جيحون مما وراء النهر الختل والوخش وهما كورتان غير أنهما مجموعتان في عمل واحد ومكانهما هو بين نهر جرياب ونهر وخشاب وتتصل بالشرق من نهر جرياب بلاد الختل ثم الوخش المقدم ذكرها فمدن الوخش هلاورد ولاوكند ومدن الختل كاربنك وتمليات وهلبك وسكندرة ومنك وانديجاراغ وفارغر ورستاق بيك والختل أكثره جبال إلا ناحية وخش وأكبر مدينة في الختل منك.." (٢)

"إلى بخارا الحجر الكثير تفرش به سطوح الدور **والفنادق** والشوارع وقد يجلب منه طين الأواني وأحجار الجص وقد يحرق ما صغر من حجره فيتخذ منه الجيار للبنيان والسطوح وفي بخارا بساتين وجنات يأتي منها ألوان الفواكه التي لا يعدلها شيء من الفواكه.

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ٤٧٧/١

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ٤٨٧/١

ولبخارا عدة مدن في داخل حائطها وفي خارجه فأما المدن التي في داخل الحائط فالطواويس وهي أكبر منبرا في هذه الناحية وبمجكث وزندنة ومغكان وخجادة وهذه كلها من داخل الحائط وأما المدن التي هي خارج الحائط فمنها بيكند وفربر وكرمينية وخديمنكن وخرغانكث ومذيامجكث وأكبر هذه المدن المذكورة الطواويس وهي مدينة عامرة لها سوق في وقت من السنة معلوم ويقصد إليه الناس والتجار من جميع أرض خراسان للبيع والشراء ويجلب إليه كثير من الأمتعة ويحمل منه الثياب المتخذة من القطن إلى سائر أرض العراق لكثرتها وبها صناعات وطرز لاتخاذ هذه الثياب وبها فواكه." (١)

"أميال وهذه البلاد تتقارب أقدارها كبرا ويتوازى عمارها بشرا وفي كل واحدة منها مسجد ومنبر وخطبة قائمة وخرغانكث بحذاء كرمينية وعلى ثلاثة أميال من وراء الوادي.

ويتصل ببخارا من شرقيها مع الجنوب أرض الصغد وأولها إذا جزت كرمينية سرت إلى الدبوسية مشرقا مرحلة وهي من الأميال أربعة وعشرون ميلا والدبوسية مدينة حسنة كثيرة البساتين والثمار ولها قرى ومزارع وعمارات حسنة ولها سور تراب وبها مياه جارية ومن الدبوسية إلى أربنجن مرحلة خفيفة وهي من الأميال خمسة عشر ميلا وأربنجن مدينة متوسطة المقدار فيها أسواق وعمارات وتجارات وصنائع وأحوال حسنة ولها مزارع متصلة وبساتين ومنها إلى زرمان ثمانية عشر ميلا ومن زرمان إلى قصر علقمة خمسة عشر ميلا ومنها إلى سمرقند ستة أميال.

ومدينة سمرقند مدينة حسنة كبيرة على جنوبي وادي الصغد وقصبة الصغد سمرقند وهي مدينة لها شوارع ومجالات متسعة ومبان وقصور سامية **وفنادق** وحمامات **وخانات** وعليها سور تراب منيع يطيف بها خندق وهي كثيرة الخصب والنعم والفواكه ولها أربعة أبواب ويدخل المدينة ماء جلب إليها على جهة الجنوب على باب كش وهو نهر قد بني له قنطرة عالية على الأرض في بعض المواضع إلى أن يدخل المدينة ويشق أسواقها ويعم أكثر قصور المدينة ولهذا النهر حفظة وحراس ونظر بالغ لئلا يصل إليه شيء من الفساد ولها قهندز حسن حصين والمسجد الجامع منها في المدينة أسفل القهندز." (٢)

"غربا إقليم مرمرية وفيه حصون خالية ومما يلي البحر حصن طشكر وكشطالي وكتندة فهذه كلها أقاليم اشبانية المسمى جملتها الأندلس.

فأما جزيرة طريف فهي على البحر الشامي في آخر المجاز المسمى بالزقاق ويتصل غربيها ببحر الظلمة

---

(١) نزهة الم شتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٤٩٥/١

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٤٩٧/١

وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب ويشقها نهر صغير وبها أسواق وفنادق وحمامات وأمامها جزيرتان صغيرتان تسمى إحداهما القنتير وهما على مقربة من البر ومن جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا تخرج من الجزيرة إلى وادي النساء وهو نهر جار ومنه إلى الجزيرة الخضراء.

وهي مدينة متحضرة لها سور حجارة مفرغ بالجيار ولها ثلاثة أبواب ودار صناعة داخل المدينة ويشقها نهر يسمى نهر العسل وهو حلو عذب ومنه شرب أهل المدينة ولهم على هذا النهر بساتين وجنات بكلتي ضفتيه معا وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإقلاع وحط وبينها وبين مدينة سبتة مجاز البحر وعرضه هنالك ثمانية عشر ميلا وأمام المدينة جزيرة تعرف بجزيرة أم حكيم وبها أمر عجيب وهو أن فيها بئرا عميقة كثيرة الماء حلوة والجزيرة في ذاتها صغيرة مستوية السطح يكاد البحر يركبها.

والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الإسلام وذلك في سنة تسعين من الهجرة وافتتحها موسى بن نصير من قبل المروانيين ومعه طارق بن عبد الله بن ونموا الزناتي ومعه قبائل البربر فكانت هذه الجزيرة أول مدينة افتتحت في ذلك الوقت وبها على باب البحر مسجد يسمى." (١)

"ولها أبواب عدة ولها من الجانب الغربي ربض كبير عامر يسمى ربض الحوض وهو ربض له سور عامر بالأسواق والديار والفنادق والحمامات والمدينة في ذاتها مدينة كبيرة كثيرة التجارات والمسافرون إليها كثيرون وكان أهلها مياسير ولم يكن في بلاد أهل الأندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا وعدد فنادقها التي أخذها عد الديوان في التعنيب ألف فندق إلا ثلاثين فندقا وكان بها من الطرز أعداد كثيرة قدمنا ذكرها وموضع المرية من كل جهة استدارت به صخور مكدسة وأحجار صلبة مضرسة لا تراب بها كإنما غربلت أرضها من التراب وقصد موضعها بالحجر والمرية في هذا الوقت الذي ألفنا كتابنا هذا فيه صارت ملكا بأيدي الروم وقد غيروا محاسنها وسبوا أهلها وخربوا ديارها وهدموا مشيد بنيانها ولم يبقوا على شيء منها.

وللمرية منابر منها مدينة برجة ودلاية وبين المرية وبرجة مرحلة كبيرة وبين برجة ودلاية نحو من ثمانية أميال وبرجة أكبر من دلاية وبها أسواق وصناعات وحروث ومزارع ومن المرية لمن أراد مالقة طريقان طريق في البر وهو تحليق وهو سبعة أيام والطريق الآخر في البحر وهو مائة وثمانون ميلا وذلك أنك تخرج من المرية إلى قرية البجانس على البحر ستة أميال ومن قرية البجانس يمر الطريق في البر إلى برجة ودلاية ومن قرية

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٥٣٩/٢

البجانس إلى آخر الجون وعليه برج مبني بالحجارة مصنوع لو قيد النار فيه عند ظهور العدو في البحر ستة أميال ومن هذا الطرف إلى مرسى النبيرة اثنان وعشرون." (١)

"ميلا ومنها إلى قرية عذرة على البحر اثنا عشر ميلا وقرية عذرة مدينة صغيرة لا سور لها وبها الحمام والفندق وبها بشر كثير وبغربيها ينزل نهر كبير منبعه من جبل شلير ويجتمع بمياه برجة وغيرها فيصب عند عذرة في البحر ومن عذرة إلى قرية بليسانة عشرون ميلا وهي قرية آهلة على شاطئ البحر ومنها إلى مرسى الفروح اثنا عشر ميلا وهو مرسى كالحوض صغير ومنه إلى قرية بطرنة ستة أميال وبها معدن التوتيا التي فاقت جميع معادن التوتيا طيبا ومنها إلى قرية شلوبنية اثنا عشر ميلا ومن شلوبنية إلى مدينة المنكب في البحر ثمانية أميال.

والمنكب مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصايد السمك وبها فواكه جمة وفي وسطها بناء مربع قائم كالصنم أسفله واسع وأعلاه ضيق وبه حفيران من جانبيه متصلان من أسفله إلى أعلاه وبإزائه من الناحية الواحدة في الأرض حوض كبير يأتي إليه الماء من نحو ميل على ظهر قناطر كثيرة معقودة من الحجر الصلد فيصب ماؤها في ذلك الحوض ويذكر أهل المعرفة من أهل المنكب أن ذلك الماء كان يصعد إلى أعلى المنار وينزل من الناحية الأخرى فيجري هناك إلى رحى صغيرة كانت وبقي موضعه الآن على جبل مطل على البحر ولا يدرى المراد بذلك ما كان ومن مدينة المنكب في البر إلى اغرناطة أربعون ميلا ومن المنكب على البحر إلى قرية شاط اثنا عشر ميلا وبقرية شاط زبيب حسن الصفة كبير المقدار أحمر اللون يصحب طعمه." (٢)

"مزازة ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية وهو منسوب إلى هذه القرية ومن قرية شاط إلى قرية طرش على ضفة البحر اثنا عشر ميلا ومنها إلى قصبة مرية بلش اثنا عشر ميلا وهو حصن على ضفة البحر صغير المقدار ويصب بمقربة منه في جهة المغرب نهر الملاحة وهو نهر يأتي من ناحية الشمال فيمر بالحمة ويتصل بأحواز حصن صالحة فيقع فيه هناك جميع مياه صالحة وتنزل إلى قرية الفشاط وتصب هناك في غربي حصن مرية بلش في البحر ومن مرية بلش إلى قرية الصيرة ولها طرف يدخل في البحر سبعة أميال ومن طرف قرية الصيرة إلى قرية بزليانة سبعة أميال وهي قرية كالمدينة في مستو من الأرض وأرضها رمل وبها الحمام والفنادق وشباك يصاد بها الحوت الكثير ويحمل منها إلى تلك الجهات المجاورة لها.

ومن بزليانة إلى مدينة مالقة ثمانية أميال ومدينة مالقة مدينة حسنة عامرة آهلة كثيرة الديار متسعة الأقطار

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ٥٦٣/٢

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ٥٦٤/٢

بهية كاملة سنية أسواقها عامرة ومتاجرها دائرة ونعمها كثيرة ولها فيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إلى رية وتينها يحمل إلى بلاد مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند وهو من أحسن التين طيبا وعذوبة ولمدينة مالقة ربضان كبيران ربض فنتنالة وربض التبانين وشرب أهلها من مياه الآبار وماؤها قريب الغور كثير عذب ولها واد يجري في أيام الشتاء والربيع وليس بدائم الجري وسنذكرها بعد هذا بحول الله.." (١)

"إلى قرطبة وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات ومستغلات الزعفران بها كثيرة ومنها إلى مدينة ابدة في جهة الشرق سبعة أميال وهي مدينة صغيرة وعلى مقربة من النهر الكبير ولها مزارع وغلات قمح وشعير كثيرة جدا وفيما بين مدينة جيان وبسطة ووادي آش حصون كثيرة عامرة ممدنة آهلة لها خصب وغلل نافعة كثيرة فمن ذلك أن بشرقي جيان وقبالة بياسة حصنا عظيما يسمى شوذر وإليه ينسب الخلاط الشوذري ومنه في الشرق إلى حصن طوية اثنا عشر ميلا ومنه إلى حصن قيشاطة وهو حصن كالمدينة له أسواق وربض عامر وحمام وفنادق وعليه جبل يقطع به من الخشب الذي تخرط منه القصاع والمخابئ والأطباق وغير ذلك ما يعم بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب أيضا وهذا الجبل يتصل ببسطة وبين جيان وهذا الحصن مرحلتان ومنه إلى وادي آش مرحلتان ومنه إلى اغرناطة مرحلتان ومن وادي آش المتقدم ذكرها إلى اغرناطة أربعون ميلا.

ومدينة اغرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة فخلت وانتقل أهلها منها إلى اغرناطة ومدنها وحصن أسوارها وبنى قصبتها حبوس الصنهاجي ثم خلفه ابنه باديس بن حبوس فكملت في أيامه وعمرت إلى الآن وهي مدينة يشقها نهر يسمى حدروا وعلى جنوبها نهر الثلج المسمى شنيل ومبدؤه من جبل شلير وهو جبل الثلج وذلك أن هذا الجبل طوله يومان وعلوه في غاية الارتفاع والثلج به دائما في الشتاء والصيف." (٢)

"ووادي آش واغرناطة في شمال الجبل ووجه الجبل الجنوبي مطل على البحر يرى من البحر على مجرى ونحوه وفي أسفله من ناحية البحر برجة ودلاية وقد ذكرناهما فيما سبق ومن اغرناطة إلى مدينة المنكب على البحر أربعون ميلا ومن اغرناطة إلى مدينة لوشة مع جرية النهر خمسة وعشرون ميلا ومن المنكب إلى مدينة المرية مائة ميل في البحر ومن المنكب إلى مدينة مالقة ثمانون ميلا.

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ٥٦٥/٢

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ٥٦٩/٢

ومدينة مالقة مدينة حسنة حصينة ويعلوها جبل يسمى جبل فاره ولها قصبة منيعة وربضان لا أسوار لهما وبهما فنادق وحمامات وبها من شجر التين ما ليس بأرض وهو التين المنسوب إلى رية ومالقة قاعدة رية ومن مالقة إلى قرطبة في جهة الشمال أربعة أيام ومن مالقة أيضا إلى اغرناطة ثمانون ميلا ومن مالقة إلى الجزيرة الخضراء مائة ميل ومن مالقة إلى اشبيلية خمس مراحل ومن مالقة إلى مربلة في طريق الجزيرة أربعون ميلا ومربلة مدينة صغيرة متحضرة ولها عمارات وأشجار تين كثيرة وفي الشمال منها قلعة ببشتر وهي قلعة في نهاية الامتناع والتحصين والصعود إليها على طريق صعب وأما ما بين مالقة وقرطبة من الحصون العامرة التي هي حواضر في تلك النواحي فمنها مدينة ارشذونة وانتقيرة وبينهما وبين مالقة خمسة وثلاثون ميلا وكانت ارشذونة هذه وانتقيرة مدينتين أخلتهما فتن الثوار بالأندلس بعد دولة ابن أبي عامر القائم بدولة بني أمية ومن ارشذونة إلى حصن اشر عشرون." (١)

"المذهب وطيب المكسب وحسن الزي في الملابس والمراكب وعلو الهمة في المجالس والمراتب وجميل التخصيص في المطاعم والمشارب مع جميل الخلائق وحميد الطرائق ولم تخل قرطبة قط من أعلام العلماء وسادات الفضلاء وتجارها مياسير لهم أموال كثيرة وأحوال واسعة ولهم مراكب سنية وهمم علية وهي في ذاتها مدن خمسة يتلو بعضها بعضا بين المدينة والمدينة سور حاجز وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال وكذلك عرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود بشمالها ميل واحد وهي في سفل جبل مطل عليها يسمى جبل العروس ومدينتها الوسطى هي التي فيها باب القنطرة وفيها المسجد الجامع الذي ليس بمساجد المسلمين مثله بنية وتنميقا وطولا وعرضا.

وطول هذا الجامع مائة باع مرسلة وعرضه ثمانون باعا ونصفه مسقف ونصفه صحن للهواء وعدد قسي مسقفه تسع عشرة قوسا وفيه من السواري أعني سواري مسقفه بين أعمدته وسواري قبلته صغارا وكبارا مع سواري القبة الكبيرة وما فيها ألف سارية وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقيد أكبر واحدة منها تحمل ألف مصباح وأقلها تحمل اثني عشر مصباحا وسقفه كله سماوات خشب مسمرة في جوائز سقفه وجميع خشب هذا المسجد الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشي ارتفاع خد الجائزة منه شبر وافر في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع في طول كل جائزة منها سبعة وثلاثون شبرا وبين الجائزة." (٢)

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٥٧٠/٢

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٥٧٥/٢

"وهي على قسمين قصر وربض فالقصر هو القصر القديم المشهور فخره في كل بلد وإقليم وهو في ذاته على ثلاثة أسمطة فالسماط الأوسط يشتمل على قصور منيعة ومنازل شامخة شريفة وكثير من المساجد والفنادق والحمامات وحوانيت التجار الكبار والسماطان الباقيان فيهما أيضا قصور سامية ومبان فاخرة عالية وبهما من الحمامات والفنادق كثير وبها الجامع الأعظم الذي كان في الزمن الأقدم وأعيد في هذه المدة على حالته كما كان في سالف الأزمان وصفته الآن تغرب عن الأذهان لبديع ما فيه من الصنعة والغرائب المفتعلة المنتخبة المخترعة من أصناف التصوير وأجناس التزاويق والكتابات.

وأما الربض فمدينة أخرى تحدق بالمدينة من جميع جهاتها وبه المدينة القديمة المسماة بالخالصة التي بها كان سكنى السلطان والخاصة في أيام المسلمين وباب البحر ودار الصناعة التي هي للإنشاء.

والمياه بجميع جهات مدينة صقلية مخترقة وعيونها جاريةٌ متدفقة وفواكهها كثيرة ومبانيها ومتنزهاتها حسنة تعجز الواصفين وتبهر عقول العارفين وهي بالجملة فتنة للناظرين.

والقصر المذكور من أكثر الحصون منعة وأعلاها رفعة لا ينال بقتال ولا يطاق على حال وبأعلاه حصن محدث للملك المعظم رجار مبني بالفصوص الجافية والصخور المنحوتة الضخمة وقد أحكم نسقه وأعليت رققه وأوثقت منائره ومحاريسه واتقنت قصوره ومجالسه وشيدت بنيانا ونمقت بأعجب المغتربات وأودعت بدائع الصفات فشهد لها بالفضل المسافرون وغلا في وصفها المتجولون وقطعوا قطعا ألا مباني أعجب من مباني المدينة ولا مكان أشرف من مغانيها وأن قصورها مشارف القصور وأن ديارها منازه الدور.." (١)

"والربض المحدق بالقصر القديم المتقدم ذكره هو في ذاته كبير القطر كثير الديار والفنادق والحمامات والحوانيت والأسواق وله سور يحيط به وخندق وفصيل وبه في داخله بساتين كثيرة ومتنزهات عجيبة وسقايات ماء عذبة جارية مجلوبة إليها من الجبال المحدقة ببقعتها وبخارج الربض من الجهة الجنوبية منها نهر عباس وهو نهر جار عليه جمل من الأرحاء الطاحنة ما لا يحتاج معها إلى غيرها.

وبالشرق من المدينة وعلى مرحلة منها قلعة ثرمة وهي على أكمة مطلة على البحر وهي قلعة من أجل القلاع وبقعة من أكبر البقاع وعليها سور يطيف بها ولها آثار أولية وأبنية أزلية منها ملعب غريب الصنعة يدل على قدرة بانيه وبها حصن محدث وبها حمتان متقاربتان من أجل الحمات وعليها بنيان قديم الزمان.

وبجانبها الغربي محل يعرف بالتربيعة وهو من المنازه البديعة وبه مياه جارية وعليه كثير من الأرحاء ولها بادية ورباع واسعة ويصنع بها من الأطرية ما يتجهز به إلى كل الآفاق من جميع بلاد قلورية وغيرها من بلاد

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ٢/٥٩١

المسلمين وبلاد النصارى ويحمل منها الأوساق الكثيرة.

وبها وادي السلة ونهر السلة نهر كبير كثير الماء غزير يصاد به السمك المعروف بالري في زمن الربيع ويصاد بمرساها السمك الكبير المعروف بالتن.

ومنها على اثني عشر ميلا حصن بورقاد وهو حصن شاهق به عمارات كثيرة وسوق ومرافق ومياه غزيرة وأرحاء كثيرة وبساتين وجنات وضياع متسعات ومزارع طيبات والبحر منه على ميلين.." (١)

"جبل مطل على البحر وله مرسى حسن والسفر إليه من كل الجهات ويحمل منه كثير من الغلات وبه منازل وأسواق وهو مجتمع القوافل والرفاق الواصلة إلى مسينى وبها ضياع صالحة ومزارع طيبة زاكية وبها معدن الذهب وبها الجبل المشهور المسمى بالطور الموصوف بالآيات المعروف بالعبادات وبها أنهار غزيرة عليها أرحاء كثيرة وبها جنات قلائل ولها واد عليه قنطرة عجيبة وبناؤها يدل على قوة بانيها وقدرة سلطانه وكذلك بها ملعب من ملاعب الروم القديمة تدل رسومه أيضا على شرف ملك وشماخة قدر وبها معدن الذهب ومنها إلى لياج مرحلة.

ولياج بلدة على البحر وهي من البلدان القديمة العمران ذات سوق وبادية ومزارع طيبة زاكية حارة المزاج يحصد بها الزرع قبل غيرها من بلاد الجزيرة ويحمل منها الزفت والقطران والخشب وأشياء كثيرة.

وفي الغرب منها الجبل المعروف بجبل النار أيضا.

ومن لياج إلى مدينة قطانية ستة أميال وهي البلد الجميل المعروف ببلد الفيل الشامخة القدر العالية الذكر وهي على ساحل البحر وبها الأسواق العامرة والديار الزاهرة والمساجد والجوامع والحمامات والمنازل والخانات وبها مرسى حسن ويسافر إليها من جميع الآفاق ويحمل منها كل البضائع والأوساق وجناتها كثيرة ومياهها من أنهارها وعيونها غزيرة وبها نهر في أمره عجب عجيب وشأن مستطرف غريب وذلك أنه في بعض السنين يفيض فيضا كثيرا فتنصب عليه الأرحاء وتمتلىء منه الأودية وفي بعضها ينضب فلا يوجد فيه ما يشرب وعمارتها واسعة وباديتها ومزارعها طيبة نافعة وأسوارها." (٢)

"منيعة وأقطارها واسعة والفيل الذي اشهرت به هو طلسم من حجر على صورة فيل كان منصوبا على بناء شاهق في سالف الزمان ثم نقل الآن فنصب داخل المدينة بكنيسة الرهبان وبغربي قطانية وادي موسى النهر العظيم وهو يصب ببحرها وبه من السمك كل نهاية في العظم وحسن الذوق ومدينة طبرمين ولياج

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٥٩٢/٢

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٥٩٦/٢

وقطانية بسفح جبل النار المتقدم ذكره من الناحية الشرقية منه.

ومن مدينة قطانية إلى حصن لنتيني مرحلة وهي قلعة حصينة متحضرة الأسواق كالمدينة وهي من البحر على ستة أميال وموضعها على ضفة النهر المنسوب إليها وتصعد فيه المراكب بأوساقها حتى تحط بين يديها من شرقيها وبغربيها أرض واسعة جدا فسيحة الأرجاء ممتدة الفضاء ولها بواديها أنواع من السمك الجليل المعدوم المثيل ما يحمل منه إلى جميع جهاتها وفي لنتيني أسواق عامرة **وفنادق** وبشر كثير ومنها إلى سرقوسة مرحلة كبيرة.

ومدينة سرقوسة من مشاهير المدن وأعيان البلاد تشد إليها المطي من كل حاضر وباد ويقصد إليها قصاد التجار من سائر جميع الأقطار وهي على ساحل البحر وهو محدق بها دائر بجميع جهاتها والدخول إليها والخروج عنها على باب واحد وهو بشمالها وشهرتها تغنى عن التكثير من وصفها إذ هي منبر مشهور ومعقل مذكور وبها مرسيان ليس مثلهما في جميع البلدان أحدهما أكبر من الآخر وهو بجنوبها والآخر أشهر وهو بشمالها وفيها فوارة النبودي تنبع من جرف على حاشية البحر وهي عجيبة الأمر وبها ما بأكبر المدن من الأسواق ذوات السماطات **والخانات** والديار والحمامات والمباني الرائقة والأفنية الواسعة ولها إقليم كبير طائل وضياع ومنازل وهو خصيب المواضع زكي المزارع وتوسق منه السفن بالطعام وغيره من الأوساق إلى سائر البلاد والآفاق وبهذه." (١)

"قديمة العمران أزلية المكان محدقة بها الأودية والأنهار كثيرة الأرحاء والمطاحن حسنة الأبنية واسعة الأفنية ولها بادية خصيبة ومزارع زكية رحيبة وبينها وبين البحر سبعة أميال ونهرها المنسوب إليها يجري منها بجهتها الشرقية وبهذا الوادي عند مصبه في البحر مرسى حسن والمراكب تدخله وبه توسق وتفرغ ولها أسواق يتصرف إليها من جميع النواحي والآفاق ومنها إلى بثيرة مرحلتان خفيفتان وهما من الأميال خمسة وأربعون ميلا.

وبثيرة قلعة منيعة الحصن رفيعة القدر سنية الذكر أحسن البلاد بادية وحاضرة وأشبه شيء بالمدن الكبيرة العامرة حسنة البنيان مشيدة الأركان ديارها رائقة عجيبة وأسواقها مرتبة رحيبة وبها مساجد للجماعات وحمام **وخانات** ويدور بها واد من أعظم الأودية محدقة به الجنات من جميع الجهات ولها فواكه طيبة وخيرات كثيرة معجبة وبينها وبين البحر نحو من سبعة أميال ومن بثيرة إلى لنبياذة مرحلة وهي من الأميال خمسة وعشرون ميلا.

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٥٩٧/٢

ولنبياذة حصن في أعلى حجر محدق به البحر والنهر ولا يدخل إليها إلا من باب واحد بشمالها وبها مرسى تسافر المراكب إليه وتحمل الأوساق منه وبها عمارة وسوق ولها عمل واسع وأرضها زكية المزارع ونهرها المنصب ببحرها يسمى الوادي الملح وبه سمك طيب الطعم كثير شحم لذيد المأكل ومن لنبياذة إلى كركنت مرحلة وهي خمسة وعشرون ميلا.

وكركنت مدينة متحضرة من أشرف الحواضر عامرة بالوارد والصادر قلعتها حصينة سامية ومدينتها حسنة زاهية قديمة العمران مشهورة في جميع البلدان بل هي من أعظم الحصون منعة وأجل البلاد رقعة يسعى إليها من سائر." (١)

"فائقة بها أزقة واسعة وشوارع وأسواق عامرة بالتجارات والصنائع وحمامات فاضلات **وخانات** واسعات وبساتين وجنات طيبات المزدرعات يسافر إليها من جميع الآفاق ويتجهز منها بوافرات الأوساق وإقليمها كثير الاتساع يشتمل على منازل جليلة وضياع وبأصل سورها الوادي المعروف بوادي المجنون توسق منه المراكب وتشتو فيه القوارب ومن مازر إلى مرسى علي ثمانية عشر ميلا.

مرسى علي كان مدينة قديمة أزلية من أشرف بلاد صقلية وكانت قد خربت ودثرت فعمرها القومس رجار الأول وسور عليها سورا فحصلت ذات عمارة وأسواق وجباية ولها إقليم واسع وعمل شاسع وسفر أهل بلاد إفريقية إليها كثير وشرب أهلها من آبار عذبة في ديارها مع مياه من العيون التي حولها ولها **فنادق** وحمامات وبساتين ومزارع طيبات ومنها إلى طرابنش مرحلة وهي ثلاثة وعشرون ميلا.

وطرابنش مدينة أزلية قديمة المحل على ساحل البحر والبحر يحدق بها من جميع جهاتها وإنما يسلك إليها على قنطرة على باب شرقيها ومرساها بالجانب الجنوبي منها وهو مرسى ساكن غير متحرك يشتى به أكثر السفن في الشتاء آمنة من جميع الأنواء هاد موجه عند هيجان البحار ويصاد به من السمك ما يفوق المقدار ويصاد بها السمك الكبير أيضا المعروف بالتن بشباك كبار ويصاد ببحرها المرجان السني وعلى بابها سباخ الملح البحري ولها إقليم واسع الأجناب ممتد الأطناب أرضها من أكرم الأرضين في الزراعات كثيرة الفوائد والغلات وطرابنش في ذاتها ذات أسواق رحيبة ومعائش خصيبة.

وبقربها جزيرة الراهب وجزيرة اليابسة وجزيرة مليطمة ولكل واحدة من." (٢)

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٢/٥٩٩

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٢/٦٠١

"الجزء الثامن

إن هذا الجزء الثامن من الإقليم الرابع تضمن جزءا من بلاد خراسان والنهر وما خلفه من بلاد فرغانة واشروسنة وبلاد الشاش وايلاق وبلاد فاراب وبلاد الأغزاز وفي كل واحد من هذه الأكوار جمل بلاد معمورة وقواعد مدن مشهورة.

فأما بقية بلاد مرو وهي كشميهن وهرمزفره وباشان فقد ذكرناها فيما مضى من ذكر الإقليم الثالث لكن نقول إن كشميهن من مرو الروذ على مرحلة وهي على رأس المفازة لها منبر ونهر كبير وفواكه وأشجار وسويقة صالحة وفنادق وحمامات وبقربها في جهة الشمال على ثلاثة أميال مدينة هرمزفره وعلى طريق مفازة سيفايه التي على غربي النهر المؤدي إلى الجرجانية من أرض خوارزم وهذه المفازة كبيرة متصلة وليس بها أنيس لكن المياه بها كثيرة.

وأما ما جاور النهر فمن أعلاه مدينة زم وأسفله بحيرة خوارزم المشهورة ومدينة زم ومدينة آمل قد ذكرناهما في الإقليم الثالث بأكمل صفاتهما وما." (١)

"للسفن وعلى فم هذا المرسى الخارج إليها بنا آن كالسدين من جانبيه وهناك سلسلة تمنع الداخل والخارج إلا بأمر صاحب البحر وهذان السدان من الصخر المحكم أفرغ بينه الرصاص وهي مدينة كبيرة بساتينها يسيرة وفواكهها قليلة وأكثر ذلك يجلب إليها من غيرها وعليها سور حجارة وآجر وطين وهو في نهاية من المنعة وهي فرضة بحر الخزر والسرير وسائر بلاد طبرستان وجرجان وتصنع بها ثياب الكتان كثيرا وأهلها يلبسونها دون أهل بلاد أران وبلاد أرمينية وآذربيجان.

وأما مدينة برديج والشماخية وشروان واللايجان وجسر سمور فكلها بلاد تتقارب في أقطارها وتتشابه في عمارها ولأهلها أسواق عامرة وصناعات متكاثرة وأشجارهم ناضرة كثيرة وفواكههم عامة رخيصة جدا وساكنها رائح ومسافرها رابح.

والطريق من برذعة إلى أردبيل بين جنوب وشرق من مدينة برذعة إلى مويان أحد وعشرون ميلا وهي مدينة طيبة ذات مياه جارية وأشجار ملتفة وبس اتين وفواكه وبنا آت ومنازه ولهم أنهار مجاورة عليها طواحينهم وكذلك منها إلى مدينة ورثان أحد وعشرون ميلا وهي مدينة أكبر من البيلقان وأفسح قطرا وأكثر عمارة

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٢/٦٩٥

وبشرا وأسواقا ومتاجر ولها سور وربض ومن ورثان إلى البيلقان ستة وثلاثون ميلا ومنها إلى مدينة بلخاب أحد وعشرون ميلا وهي قرية آهلة وبها رباطات وفنادق والسابلة تنزلها ومن بلخاب إلى مدينة برزند." (١)

"وتبريز ودبيل وقد يصنع بها مقاعد وأنخاخ أرمينية عديمة المثال وكذلك السبنيات والمقارم والمناديل المعمولة بميافارقين لا نظير لها ولا يعدلها في مثلها صنعة.

والطريق من أردبيل إلى المراغة من أردبيل إلى كورسره ستة وثلاثون ميلا وهو قصر عظيم وحصن منيع وله إقليم ورستاق جليل جسيم وفيه أسواق في أوقات من السنة وقد قدمنا من ذكرها ما يغنى عن إعادة ذلك وبين هذا القصر ومدينة أردبيل المدينة المسماة سراه وهي على أحد وعشرين ميلا من أردبيل ومدينة سراه مدينة طيبة الهواء كثيرة الخير والبساتين والمياه والمزارع والفواكه والطواحين ولها أسواق حسنة وفنادق نظيفة ومن كورسره إلى مدينة المراغة أربعة وثمانون ميلا بين أكوار لطاف وقرى عامرة وأشجار وزراعات متصلة غير منفصلة.

والطريق من أردبيل إلى آمد من أرض الجزيرة وأعمال الثغور فمن أردبيل إلى المراغة نحو مائة ميل وعشرين ميلا ومن المراغة إلى شابرخاست أربعة وعشرون ميلا ثم إلى برزة أربعة وعشرون ميلا إلى مرند اثنا عشر ميلا ومن شاء سار في البحيرة من المراغة إلى أرمية اثنين وسبعين ميلا ومن أرمية إلى مدينة سلماس خمسة وأربعون ميلا وهي مرحلتان ومن مدينة سلماس إلى مدينة خوي سبعة وعشرون ميلا ومن مدينة خوي إلى بركري تسعون ميلا ومنها أيضا إلى مدينة أرجيش خمسة وأربعون ميلا وهي مرحلتان ومن أرجيش إلى." (٢)

"ففي هذه الأقطار كلها لا يعين الرابيون والحزانون «١» إلا بمعرفة رأس الجالوت. وهم يشخصون إلى بغداد بعد نصبهم لمقابلة الرئيس، ويحملون إليه الهدايا والعطايا من أقصى المعمور. ويمتلك الرئيس العقارات الواسعة والمزارع والبساتين في جميع أنحاء بابل (العراق) وأكثرها مما ورثه عن أجداده. وأملاكه هذه مصونة، ليس من حق أحد أن ينتزعها منه. وله إيراد سنوي عظيم من الفنادق والأسواق والمتاجر عدا الهدايا التي تتوارد عليه من البلدان القصية. فهو على ذلك واسع الثروة، وعلى جانب عظيم من الحكمة والفقه بأحكام التوراة والتلمود.

ويجري الاحتفال بنصب رأس الجالوت الجديد بمهرجان مشهور. إذ يبعث إليه الخليفة بإحدى ركائبه الملوكية فيتوجه إلى قصر الخلافة، وفي ركابه الأمراء والنبلاء، ومعه الهدايا والتحف النفيسة للخليفة ورجال

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٨٢٢/٢

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٨٢٦/٢

قصره. وعندما يمثل بين يدي الخليفة يتسلم منه كتاب العهد، ثم يضع أمير المؤمنين يده على رأس الرئيس الجديد «٢» ، ومن ثم يعود إلى داره بموكبه الخاص وحوله الجماهير الغفيرة. وتنفخ أمامه البوقات وتقرع الطبول. وبعدها يحتفل بتجديد نصب رؤساء المثيبة بأن يضع الرئيس الأكبر يده على رأس كل منهم.." (١)

"وقلعة صوعن محاطة بالأسوار المنيعة. أما مصر (القاهرة) فلا سور لها، لأن نهر النيل يستدير بها من كل جانب. وهي مدينة واسعة الأرجاء. فيها الأسواق **والفنادق**، وبين يهودها عدد من كبار الأغنياء والعلماء «١» .

والقطر المصري كثير الجفاف، لا ينزل فيه مطر ولا تتساقط فيه ثلوج.

ومناخه شديد الحر. ويفيض نهر النيل مرة في العام، قرابة شهر أيلول، فتغمر مياهه من الأراضي، ما مسيرته خمسة عشر يوما. فتبقى المياه فوق الأرض شهري أيلول وتشرين لإسقائها وإروائها.

وبظاهر المدينة جزيرة تحيط بها المياه «٢» . وفيها عمود من رخام أبيض، أقامه المهندسون البارعون بحكمة وإتقان. ويبلغ ارتفاع القسم الظاهر فوق الماء من هذا العمود اثنى عشر ذراعا. وهو مفصل على درجات تشير إلى مبلغ ارتفاع مياه النيل، عليه حارس موكل باعطاء." (٢)

"ونواحي الهند وزويلة والحبشة وليبية واليمن والعراق والشام واليونان المعروفين بالروم والترك.

وتأتيها من الهند التوابل والعطور بأنواعها فيشتريها تجار النصارى.

ولتجار كل أمة **فندقهم** الخاص بهم، وهم في ضجة وجلبة يبيعون ويشترون.

وبظاهر المدينة، على شاطئ البحر، يشاهد عمود كبير من رخام.

عليه صور الطير والحيوان وكتابات ورموز قديمة، ليس بميسور أحد اكتناه طلاسمها «١» ، ويقال: إنها قبر ملك عاش قبل الطوفان، يبلغ طوله خمسة عشر شبرا بالطول وستة أشبار بالعرض.

ويعيش في إسكندرية نحو ٣٠٠٠ يهودي. وعلى مسيرة يومين منها:-

دمياط «2 Dimiatta» أو كفتور الواردة في التوراة. فيها نحو مائتي يهودي وتبعد مسيرة ثلاثة أيام عن بحيرة التماسيح. ومنها إلى:-

---

(١) رحلة بنيامين التطيلى بنيامين التطيلي ص/٣٠٣

(٢) رحلة بنيامين التطيلى بنيامين التطيلي ص/٣٥١

سنباط 3« Sanbat» حيث يزرع الكتان. وأهلها ينسجون منه الأثواب الناعمة ويتجرون بها مع جميع أنحاء العالم. وعلى مسيرة." (١)

"وفي صبيحة يوم الأربعاء السادس والعشرين منه ظهر لنا البر الكبير المتصل بالإسكندرية المعروف ببر الغرب، وحاذينا منه موضعا يعرف بجزائر الحمام «١» على ما ذكر لنا، وبينه وبين الاسكندرية نحو الأربع مئة ميل على ما ذكر لنا فأخذنا في السير والبر المذكور منا يمينا.

البشرى بالسلامة

وفي صبيحة يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر المذكور أطلع الله علينا البشرى بالسلامة بظهور منار الاسكندرية على نحو العشرين ميلا، والحمد لله على ذلك حمدا يقتضي المزيد من فضله وكريم صنعه.

وفي آخر الساعة الخامسة منه كان ارساؤنا بمرسى البلد، ونزولنا اثر ذلك، والله المستعان فيما بقي بمنه. فكانت اقامتنا على متن البحر ثلاثين يوما، ونزلنا في الحادي والثلاثين، لأن ركوبنا إياه كان يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر شوال، ونزولنا عنه في يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة، وبموافقة السادس والعشرين من مارس، والحمد لله على ما من به من التيسير والتسهيل، وهو سبحانه المسؤول بتتميم النعمة علينا ببلوغ الغرض من المقصود، وتعجيل الإياب الى الوطن على خير وعافية، انه المنعم بذلك لا رب سواه.

وكان نزولنا بها بفندق يعرف بفندق الصفار بمقربة من الصبانة.

شهر ذي الحجة من السنة المذكورة

أوله يوم الأحد، ثاني يوم نزولنا بالإسكندرية.

فمن أول ما شاهدنا فيها يوم نزولنا أن طلع أمناء الى المركب من قبل السلطان بها لتقييد جميع ما جلب فيه. فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين." (٢)

"وفي يوم الأربعاء المذكور أجزنا القسم الثاني من النيل في مركب تعدية أيضا بموضع يعرف بدجوة، وذلك وقت الغداة الصغرى، وكان نزولنا في مصر بفندق أبي الثناء في زقاق القناديل بمقربة من جامع عمرو بن العاص، رضي الله عنه، في حجرة كبيرة على باب الفندق المذكور.

ذكر مصر والقاهرة

---

(١) رحلة بنيامين التطيلي بن يامين التطيلي ص/٣٥٩

(٢) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/١٢

فأول ما نبدأ بذكره منها الآثار والمشاهد المباركة التي ببركتها يمسكها الله عز وجل:
فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، وهو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بني عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به، مجلل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا أبيض ومنه ما هو دون ذلك، قد وضع أكثرها في أتوار «١» فضة خالصة ومنها مذهبة، وعلقت عليه قناديل فضة، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهبا في مصنع شبيه الروضة يقيد الأبصار حسنا وجمالا، فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون.
والمدخل الى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والغرابة، حيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها بيتان من كليهما المدخل اليها وهما أيضا على تلك الصفة بعينها. والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع.
ومن اعجب ما شاهدناه في دخولنا الى هذا المسجد المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلها." (١)

"ومنها مدينة قنا، وهي من مدن الصعيد، بيضاء انيقة المنظر ذات مبان حفيلة، ومن مآثرها المأثورة صون نساء أهلها والتزامهن البيوت، فلا تظهر في زقاق من ازقتها امرأة البتة، صحت بذلك الأخبار عنهن، وكذلك نساء دشنة المذكورة قبيل هذا. وهذه المدينة المذكورة في الشط الشرقي من النيل، وبينها وبين قوص نحو البريد.
ومنها قفط، وهي مدينة بشرقي النيل وعلى مقدار ثلاثة أميال من شطه.
وهي من المدن المذكورة في الصعيد حسنا ونظافة بنيان وإتقان وضع.
ثم كان الوصول الى قوص يوم الخميس الرابع والعشرين لمحرم المؤرخ وهو التاسع عشر من مايه، فكان مقامنا في النيل ثمانية عشر يوما ودخلنا قوص في التاسع عشر. وهذه المدينة حفيلة الأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنديين وتجار أرض الحبشة، لأنها مخطر للجميع، ومحط للرحال ومجتمع الرفاق، وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والإسكندريين ومن يتصل بهم، ومنها يفوزون بصحراء عيذاب، واليها انقلابهم في صدرهم من الحج، وكان نزولنا فيها بفندق ينسب لأبن العجمي بالمنية، وهي ربض كبير خارج المدينة، على باب الفندق المذكور.

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/١٨

شهر صفر

استهل هلاله ليلة الأربعاء، وهو الخامس والعشرين من شهر مايه، ونحن بقوص نروم السفر الى عيذاب، يسر الله علينا مرامنا بمنه وكرمه.

وفي يوم الاثنين الثالث عشر منه، وهو السادس من يونيه، أخرجنا جميع رحالنا من زاد وسواه الى المبرز، وهو موضع بقبلي البلد وعلى مقربة منه، فسيح الساحة، محدق بالنخيل، يجتمع فيه رحال الحاج والتجار وتشد فيه ومنه يستقلون ويرحلون، وفيه يوزن ما يحتاج الى وزنه على الجمالين. فلما." (١)

"البحر واختلاف رياحه وكثرة شعابه المعترضة فيه. ومنها ما كان يطرأ من ضعف عدة المركب واختلالها واقتصامها المرة بعد المرة عند رفع الشراع أو حطه أو جذب مرساة من مراسيه، وربما سنحت الجلبة بأسفلها على شعب من تلك الشعاب أثناء تخللها فنسمع لها هدا يؤذن باليأس، فكنا فيها نموت مرارا ونحيا مرارا، والحمد لله على ما من به من العصمة وتكفل به من الوقاية والكفاية حمدا يبلغ رضاه ويستهدي المزيد من نعماه، بعزته وقدرته، لا اله سواه.

وكان نزولنا فيها بدار القائد علي وهو صاحب جدة من قبل أمير مكة المذكور، في صرح من تلك الصروح الخوصية التي يبنونها في أعالي ديارهم ويخرجون منها الى سطوح يبيتون فيها. وعند احتلالنا جدة المذكورة عاهدنا الله عز وجل، سرورا بما أنعم الله به من السلامة، الا يكون انصرافنا على هذا البحر الملعون الا ان طرأت ضرورة تحول بيننا وبين سواه من الطرق، والله ولي الخيرة في جميع ما يقضيه ويسنيه بعزته.

جدة

وجدة هذه قرية على ساحل البحر المذكور اكثر بيوتها اخصاص، وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطين وفي اعلاها بيوت من الأخصاص كالغرف، ولها سطوح يستراح فيها بالليل من أذى الحر. وبهذه القرية آثار قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة، وأثر سورها المحدق بها باق الى اليوم. وبها موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يذكر أنه كان منزل حواء أم البشر، صلى الله عليها، عند توجهها الى مكة، فبني ذلك المبنى عليه تشهيرا لبركته وفضله، والله أعلم بذلك.

وفيها مسجد مبارك منسوب الى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ومسجد آخر له ساريتان من خشب الآبنوس ينسب ايضا إليه، رضي الله عنه، ومنهم من ينسبه الى هارون الرشيد، رحمة الله عليه.." (٢)

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٣٧

(٢) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٤٧

"تحت سورين عتيقين أنفق فيهما أموالا لا تحصى كثرة. ومن أعجب ما وفقه الله تعالى اليه أنه جدد ابواب الحرم كلها.

وجدد باب الكعبة المقدسة وغشاه فضة مذهبة، وهو الذي فيها الآن حسبما تقدم وصفه، وجلل العتبة المباركة بلوح ذهب ابريز، وقد تقدم ذكره أيضا. فأخذ الباب القديم وأمر بأن يصنع له منه تابوت يدفن فيه، فلما حانت وفاته أوصى بأن يوضع في ذلك التابوت المبارك ويحج به ميتا. فسيق الى عرفات ووقف به على بعد وكشف عن التابوت، فلما افاض الناس افيض به وقضيت له المناسك كلها وطيف به طواف الافاضة، وكان الرجل، رحمه الله، لم يحج في حياته. ثم حمل الى مدينة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وله فيها من الآثار الكريمة ما قدمنا ذكره، وكاد أشرافها يحملونه على رؤوسهم. وبنيت له روضة بإزاء روضة المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وفتح فيها موضع يلاحظ الروضة المقدسة، وأبيح له ذلك على شدة الضنانة بمثله لسابق أفعاله الكريمة، ودفن في تلك الروضة، وأسعده الله بالجوار الكريم، وخصه بالمواراة في تربة التقديس والتعظيم، والله لا يضيع أجر المحسنين، وسنذكر تاريخ وفاته اذا وقفنا عليه من التاريخ الثابت في روضته، ان شاء الله عز وجل، وهو ولي التيسير، لا رب غيره.

ولهذا الرجل، رحمه الله، من الآثار السنية والمفاخر العلية التي لم يسبقه اليها الأكابر الأجواد وسراة الأمجاد فيما سلف من الزمان ما يفوت الإحصاء ويستغرق الثناء ويستصحب طول الأيام من الألسنة الدعاء، وحسبك أنه اتسع اعتناؤه بإصلاح عامة طرق المسلمين بجهة المشرق من العراق الى الشام الى الحجاز، حسبما نذكره، واستنبط المياه، وبنى الجباب، واختط المنازل في المفازات، وأمر بعمارتها مأوى لأبناء السبيل وجميع المسافرين، وابتنى بالمدن المتصلة من العراق الى الشام فنادق عينها لنزول الفقراء أبناء السبيل الذين يضعف أحدهم عن تأدية الأكرية، وأجرى على قومة تلك الفنادق والمنازل ما يقوم بمعيشتهم." (١)

"لو لم تكن حديدا لاكلوها اكلا فضلا عن غير ذلك، لما هم عليه من صحة النفوس شوقا الى هذه المشاهد المقدسة وتطارحهم بأجرامهم عليها، والله ينفعهم بنياتهم، بمنه وكرمه.

وفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من الشهر المذكور جاء زعيم الشيبيين المعزول يتهادى بين بنيه زهوا واعجابا ومفتاح الكعبة المقدسة بيده قد أعيد اليه، ففتح الباب الكريم وصعد مع بنيه السطح المبارك الأعلى بأمراس من القنب غليظة يوثقونها في أوتاد الحديد المضروبة في السطح ويرسلونها الى الأرض فيربط فيها

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٩٢

شبيه محمل من العود ويجلس فيه أحد سدنة البيت من الشيبيين، فيصعد به على بكرة معدة لذلك في أعلى السطح المذكور، فيتولى خياطة ما مزقته الريح من الأستار، فسألنا عن كيفية صرف هذا الشيبي المعزول الى خطته على صحة الهنات المنسوبة اليه، فأعلمنا أنه صودر عليها بخمس مئة دينار مكية استقرضها ودفعها. فطال التعجب من ذلك والاعتبار، وتحققنا أن إظهار القبض عليه لم يكن غيرة ولا أنفة على حرمات الله المنتهكة على يديه، مع كونها في خطة دونها الخلافة رفعة، والحال تشبه بعضها بعضا، «وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض»

، والى الله المشتكى من فساد ظهر حتى في اشرف بقاع الارض، وهو حسبنا، ونعم الوكيل.

منشأ الإسلام

وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذي القعدة المذكور دخلنا دار الخيزران التي كان منها منشأ الاسلام، وهي بإزاء الصفا ويلاصقها بيت صغير عن يمين الداخل اليها كان مسكن بلال، رضي الله عنه، ويدخل اليها على حلق كبير شبيه **الفندق** قد أحدقت به البيوت للكراء من الحاج. والدار المكرمة دار صغيرة يجدها الداخل الى الحلق المذكور عن يساره، وهي مجددة البناء، أنفق." (١)

"هذا الموضع الى الموصل مرحلتان.

وأجزنا تلك العيون القارية ونزلنا قائلين، ثم رحنا وسرنا الى العشي، ونزلنا بقرية تعرف بالعقيبة، ومنها تصبح الموصل ان شاء الله. فأسرينا منها بعد نصف الليل ووصلنا الموصل عند ارتفاع النهار من يوم الثلاثاء الثالث والعشرين لصفر، والخامس من يونيه، ونزلنا بربضها في أحد **الخانات** بمقربة من الشط.

ذكر مدينة الموصل

هذه المدينة عتيقة ضخمة، حصينة فخمة، قد طالت صحبتها للزمن، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن، قد كادت أبراجها تلتقي انتظاما لقرب مسافة بعضها من بعض، وباطن الداخل منها بيوت، بعضها على بعض، مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله، كأنه قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه، وللمقاتلة في هذه البيوت حرز وقاية، وهي من المرافق الحربية. وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصا، ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج، وتتصل بها دور السلطان. وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى اسفله. ودجلة شرقي البلد، وهي متصلة بالسور، وأبراجه في مائها.

وللبلدة ربض كبير فيه المساجد والحمامات **والخانات** والأسواق، وأحدث فيه بعض أمراء البلدة، وكان

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/١٢٩

يعرف بمجاهد الدين، جامعا على شط دجلة، ما أرى وضع جامع أحفل منه، بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه، وكل ذلك نقش في الآجر. وأما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة، ويطيف به شبابيك حديد، تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد أشرف منها ولا أحسن، ووصفه يطول، وانما وقع الإلماع بالبعض جريا الى الاختصار، وأمامه مارستان حفيل من بناء مجاهد الدين المذكور.

وبنى أيضا داخل البلد وفي سوقه قيسارية للتجار، كأنها الخان العظيم،." [(١)]

"بالذهب، ومراكب جواريها كذلك؛ مجموع ذلك الذهب لا يحصى تقديره.

وكان مشهدا أبهت الأبصار، وأحدث الاعتبار، وكل ملك يفنى الا ملك الواحد القهار، لا شريك له.

وأخبرنا غير واحد من الثقات، ممن يعرف حال خاتون هذه، أنها موصوفة بالعبادة والخير، مؤثرة لأفعال البر. فمنها أنها أنفقت في طريقها هذا الى الحجاز، في صدقات ونفقات في السبيل، مالا عظيما، وهي تحب الصالحين والصالحات تزورهم متنكرة رغبة في دعائهم. وشأنها عجيب كله على شبابها وانغماسها في نعيم الملك. والله يهدي من يشاء من عباده.

وفي عشي اليوم الرابع من المقام بهذه البلدة، وهو يوم الجمعة السادس والعشرين لصفر المذكور، رحلنا منها على دواب أشتريناها بالموصل تفاديا من معاملة الجمالين، على أن القدر المحمود لم يسبب لنا الا صحبة الأشبه منهم، ومن شكرناه على طول الصحبة، وتماديها من مكة، شرفها الله، الى الموصل، فأسرينا ليلة السبت الى بعيد نصف الليل ثم نزلنا بقرية من قرى الموصل، ورحلنا منها ضحوة يوم السبت المذكور، وقلنا بقرية تعرف بعين الرصد، وكان مقيلنا تحت جسر معقود على واد يتحدر فيه الماء، وكان مقيلا مباركا. وفي تلك القرية خان كبير جديد. وفي محلات الطريق كلها **خانات**. واتفق مبيتنا تلك الليلة بالقرية المذكورة، واسرينا منها واصبحنا يوم الاحد بقرية تعرف بالمويلحة، وأسرينا منها وبتنا بقرية كبيرة تعرف بجدال لها حصن عتيق. وفي يومنا هذا رأينا، عن يمين الطريق، جبل الجودي المذكور في كتاب الله تعالى الذي استوت عليه سفينة نوح، عليه السلام، وهو جبل عال مستطيل. ثم رحلنا في السحر الأعلى من يوم الاثنين التاسع والعشرين لصفر، فكان مبيتنا في قرية من قرى نصيبين، ومنها اليها مرحلة، ويعرف الموضع المذكور بالكلاي.

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/١٨٨

شهر ربيع الأول من سنة ثمانين

استهل هلاله ليلة الثلاثاء، بموافقة الثاني عشر من يونيه، ونحن بالقرية." (١)

"بالسواقي، وهي مائلة الطبع الى البادية، ولا سور لها، وهي مشحونة بشرا، ولها الأسواق الحفيلة، والأرزاق الواسعة، وهي مخطر لأهل بلاد الشام وديار بكر وآمد وبلاد الروم التي تلي طاعة الأمير مسعود وما يليها، ولها المحرث الواسع، ولها مرافق كثيرة. فكان نزولنا مع القافلة ببراح ظاهرها، وأصبحنا يوم الخميس الثالث لربيع الأول بها مريحين. وخارجها مدرسة جديدة بقية البناء فيها، ويتصل بها حمام، والبساتين حولها، فهي مدرسة ومأنسة. وصاحب هذه البلدة قطب الدين، وهو أيضا صاحب مدينة دارى ومدينة ماردين ورأس العين، وهو قريب لابني أتابك.

وهذه البلدة لسلاطين شتى كملوك طوائف الأندلس، كلهم قد تحلى بحلية تنسب الى الدين، فلا تسمع الا القابا هائلة، وصفات لذي التحصيل غير طائلة، قد تساوى فيها السوقة والملوك، واشترك فيها الغني والصعلوك، ليس فيهم من اتسم بسمة به تليق، أو اتصف بصفة هو بها خليق، الا صلاح الدين صاحب الشام وديار مصر والحجاز واليمن، المشتهر الفضل والعدل، فهذا اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، وما سوى ذلك في سواه فزعازع ريح، وشهادات يردها التجريح، ودعوى نسبة للدين برحت به أي تبريح!

ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

ونرجع الى حديث المراحل، قربها الله:

فكان مقامنا بدنيصر الى أن صلينا الجمعة، وهو اليوم الرابع لربيع (الأول) ، تلوم أهل القافلة بها لشهود سوقها، لأن بها يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد بعدها سوق حفيلة، يجتمع لها أهل هذه الجهات المجاورة لها والقرى المتصلة بها، لأن الطريق كلها يمينا وشمالا قرى متصلة **وخانات** مشيدة، ويسمون هذه السوق المجتمع اليها من الجهات البازار، وأيام كل سوق معلومة.." (٢)

"الأشجار، مختلفة الثمار. والماء يطرد فيها، ويتخلل جميع نواحيها، وخصص الله داخلها بآبار معينة، شهدية العذوبة، سلسبيلية المذاق، تكون في كل دار منها البئر والبئران. وارضها أرض كريمة، تستنبط مياها كلها. وأسواقها وسككها فسيحة متسعة، ودكاكينها وحوانيتها كأنها **الخانات** والمخازن اتساعا وكبرا، وأعالي أسواقها مسقفة.

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/١٩١

(٢) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/١٩٤

وعلى هذا الترتيب أسواق أكثر مدن هذه الجهات، لكن هذه البلدة تعاقبت عليها الأحقاب، حتى أخذ منها الخراب. كانت من مدن الروم العتيقة، ولهم فيها من البناء آثار تدل على عظم اعتنائهم بها. ولها قلعة حصينة في جوفيها تنقطع عنها وتنحاز منها. ومدن هذه الجهات كلها لا تخلو من القلاع السلطانية وأهلها أهل فضل وخير، سنيون شافعيون، وهي مطهرة بهم من أهل المذاهب المنحرفة، والعقائد الفاسدة، كما تجده في الأكثر من هذه البلاد، فمعاملاتهم صحيحة، وأحوالهم مستقيمة، وجادتهم الواضحة في دينهم من اعتراض بنيات الطريق سليمة.

فكان نزولنا خارجها، في أحد بساتينها، وأقمنا يوما مريحين ثم رحلنا نصف الليل، ووصلنا بزاعة ضحوة يوم السبت الثاني عشر لربيع المذكور.

بلدة بزاغة

بقعة طيبة الثرى، واسعة الذرى، تصغر عن المدن وتكبر عن القرى، بها سوق تجمع بين المرافق السفرية، والمتاجر الحضرية. وفي أعلاها قلعة كبيرة حصينة، رامها أحد ملوك الزمن فغاظته باستصعابها، فأمر بثلم بنائها، حتى غادرها عورة منبوذة بعرائها. ولهذه البلدة عين معينة يخترق ماؤها بسيط بطحاء ترف بساتينها خضرة ونضارة، وتريك برونقها الأنيق حسن الحضارة.." (١)

"لها ربضا كبيرا فيه من **الخانات** ما لا يحصى عدده. وبهذا النهر الأرحاء، وهي متصلة بالبلد وقائمة وسط ربضه. وبهذا الربض بعض بساتين تتصل بطوله.

وكيفما كان الأمر فيه داخلا وخارجا فهو من بلاد الدنيا التي لا نظير لها، والوصف فيه يطول.

فكان نزولنا بربضه في خان يعرف بخان أبي الشكر، فأقمنا به أربعة أيام ورحلنا ضحوة يوم الخميس السابع عشر لربيع المذكور، والثامن والعشرين ليونيه. ووصلنا قنسرين قبيل العصر، فأرحنا بها قليلا ثم انتقلنا الى قرية تعرف بتل تاجر، فكان مبيتنا بها ليلة الجمعة الثامن عشر منه.

وقنسرين هذه هي البلدة الشهيرة في الزمان، لكنها خربت وعادت كأن لم تغن بالأمس، فلم يبق الا آثارها الدارسة، ورسومها الطامسة، ولكن قراها عامرة منتظمة لأنها على محرث عظيم مد البصر عرضا وطولا. وتشبهها من البلاد الأندلسية جيان، ولذلك يذكر أن أهل قنسرين عند استفتاح الأندلس نزلوا جيان تأنسا بشبه الوطن وتعللا به مثلما فعل في أكثر بلادها، حسب ما هو معروف.

ثم رحلنا من ذلك الموضع، عند الثلث الماضي من الليل، فأسرينا وسرنا الى ضحوة من النهار، ثم نزلنا

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٠١

مريحين بموضع يعرف بباقدين في خان كبير يعرف بخان التركمان، وثيق الحصانة. وخانات هذا الطريق كأنها القلاع امتناعا وحصانة، وأبوابها حديد، وهي من الوثاقة في غاية. ثم رحلنا من هذا الموضع وبتنا بموضع يعرف بتمنى في خان وثيق على الصفة المذكورة.

ثم أسحرنا منه يوم السبت التاسع عشر لربيع الأول المذكور، وهو آخر يوم من يونيه، ورأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين، يوم الجمعة المذكور، بلاد المعرة، وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه، ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين، وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقا. ووراءها جبل لبنان وهو سامي الارتفاع، ممتد الطول،." (١)

"يتصل من البحر الى البحر، وفي صفحته حصون للملاحدة الإسماعيلية، فرقة مرقت من الإسلام وادعت الإلهية في أحد الانام، قيض لهم شيطان من الإنس يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها، وسحرهم بمحالها، فاتخذوه الها يعبدونه ويبذلون الأنفس دونه، وحصلوا من طاعته وامتثال امره بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهقة جبل فيتردى ويستعجل في مرضاته الردى، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء بقدرته، نعوذ به سبحانه من الفتنة في الدين، ونسأله العصمة من ضلال الملحدين، لا رب غيره، ولا معبود سواه.

وجبل لبنان المذكور هو حد بين بلاد المسلمين والإفرنج، لأن وراءه أنطاكية واللاذقية وسواهما من بلادهم، أعادها الله للمسلمين، وفي صفح الجبل المذكور حصن يعرف بحصن الأكراد، هو للإفرنج، ويغيرون منه على حماة وحمص، وهو بمرأى العين منهما. فكان وصولنا الى مدينة حماة في الضحى الأعلى من يوم السبت المذكور، فنزلنا بربضها في أحد خاناته.

ذكر مدينة حماة

مدينة شهيرة في البلدان، قديمة الصحبة للزمان، غير فسيحة الفناء، ولا رائقة البناء، أقطارها مضمومة، وديارها مركومة، لا يهش البصر اليها، عند الإطلال عليها، كأنها تكن بهجتها وتخفيها، فتجد حسنها كامنا فيها، حتى إذا جست خلالها، ونقرت ظلالها، ابصرت بشرقيها نهرا كبيرا، تتسع في تدفقه أساليبه، وتتناظر بشطيه دواليبه، قد انتظمت طرتيه، بساتين تتهدل أغصانها عليه، وتلوح خضرتها عذارا بصفحتيه، ينسرب

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٠٥

في ظلالها، وينساب على سمت اعتدالها، وبأحد شطيه المتصل بربضها مطاهر منتظمة بيوتا عدة، يخترق الماء من دواليبه جميع نواحيها، فلا يجد المغتسل أثر أذى فيها. وعلى." (١)

"شطه الثاني المتصل بالمدينة السفلى جامع صغير قد فتح جداره الشرقي عليه طيقانا تجتلي منها منظرا ترتاح النفس اليه، وتتقيد الأبصار لديه. وبإزاء ممر النهر بجوفي المدينة قلعة حلبية الوضع، وإن كانت دونها في الحصانة والمنع، سرب لها من هذا النهر ماء ينبع فيها، فهي لا تخاف الصدى، ولا تتهيب مرام العدى.

وموضع هذه المدينة في وهدة من الأرض عريضة مستطيلة، كأنها خندق عميق، يرتفع لها جانبان: أحدهما كالجبل المطل، والمدينة العليا متصلة بصفح ذلك الجانب الجبلي، والقلعة في الجانب الآخر في ربوة منقطعة كبيرة مستديرة قد تولى نحتها الزمان، وحصل لها بحصانتها من كل عدو الأمان، والمدينين السفلى تحت القلعة متصلة بالجانب الذي يصب النهر عليه، وكلتا المدينتين صغيرتان.

وسور المدينة العليا يمتد على رأس جانبها العلي الجبلي ويطيف بها.

وللمدينة السفلى سور يحدق بها من ثلاثة جوانب، لأن جانبها المتصل بالنهر لا يحتاج الى سور. وعلى النهر جسر كبير معقود بصم الحجارة يتصل من المدينة السفلى الى ربضها. وربضها كبير فيه **الخانات** والديار، وله حوانيت يستعجل فيها المسافر حاجاته الى أن يفرغ لدخول المدينة، وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى، وهي الجامعة لجميع الصناعات والتجارات، وموضوعها حسن التنظيم، بديع الترتيب والتقسيم، ولها جامع أكبر من الجامع الأسفل، ولها ثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير.

وبخارج هذه البلدة بسيط فسيح عريض قد انتظم أكثره شجيرات الأعناب وفيه المزارع والمحارث، وفي منظره انشراح للنفس وانفساح. والبساتين متصلة على شطي النهر، وهو يسمى العاصي، لأن ظاهر انحداره من سفل الى علو، ومجراه من الجنوب الى الشمال، وهو يجتاز على قبلي حمص وبمقربة منها.

فكان مقامنا بحماة الى عشي يوم السبت المذكور، ثم رحلنا منها وأسرينا الليل كله وأجتزنا في نصفه هذا النهر العاصي المذكور على جسر كبير معقود من." (٢)

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٠٦

(٢) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٠٧

"لأسواقها، كاسدة لا عهد لها بنفاقها. وما ظنك ببلد حصن الأكراد منه على أميال يسيرة، وهو معقل العدو، فهو منه تتراءى ناره، ويحرق اذا يطير شراره، ويتعهد اذا شاء كل يوم مغاره.

وسألنا أحد الأشياخ بهذه البلدة: هل فيها مارستان على رسم مدن هذه الجهات؟ فقال، وقد أنكر ذلك: حمص كلها مارستان! وكفاك تبيينا شهادة أهلها فيها! وبها مدرسة واحدة، وتجد في هذه البلدة عند اطلالك عليها من بعد في بسيطها ومنظرها وهيئة موضوعها، بعض شبه بمدينة إشبيلية من بلاد الأندلس، يقع للحين في نفسك خياله، وبهذا الاسم سميت في القديم، وهي العلة التي أوجبت نزول الأعراب أهل حمص فيها، حسبما يذكر. وهذا التشبيه وان لم يكن بذاته، فله لمحة من احدى جهاته.

وأقمنا بها يوم الأحد المذكور ويوم الاثنين بعده، وهو الثاني ليوليه، الى أول الظهر، ورحلنا منها وتمادينا الى العشي، ونزلنا بقرية خربة تعرف بالمشعر فعشينا ب١٥ الدواب، ثم رحلنا عند المغرب وأسرينا طول ليلتنا، وتمادى سيرنا الى الضحى الاعلى من يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من الشهر المذكور، ونزلنا بقرية كبيرة للنصارى المعاهدين تعرف بالقارة، ليس فيها من المسلمين أحد، وبها خان كبير كأنه الحصن المشيد في وسطه صهريج كبير مملوء ماء يتسرب له تحت الأرض من عين على البعد، فهو لا يزال ملآن، فأرحنا بالخان المذكور الى الظهر ثم رحلنا منه الى قرية تعرف بالنبك، بها ماء جار ومحرث متسع، فنزلنا بها للتعشية، ثم رحلنا منها بعد اختلاس تهويمة خفيفة.

وأسرينا الليل كله، فوصلنا الى خان السلطان مع الصباح، وهو خان بناه صلاح الدين صاحب الشام. وهو في نهاية الوثاقة والحسن، بباب حديد على سبيلهم في بناء خانات هذه الطرق كلها واحتفالهم في تشييدها، وفي هذا الخان ماء جار يتسرب الى سقاية في وسط الخان كأنها صهريج، ولها منافس ينصب منها الماء في سقاية صغيرة مستديرة حول الصهريج ثم يغوص في سرب في." (١)

"لأرض.

والطريق من حمص الى دمشق قليل العمارة الا في ثلاثة مواضع أو أربعة، منها هذه الخانات المذكورة، فأقمنا بها يوم الأربعاء الثالث والعشرين لربيع المذكور بالخان المذكور مريحين ومستدركين للنوم الى أول الظهر، ثم رحلنا وجزنا بثنية العقاب ومنها يشرف على بسيط دمشق وغوطتها، وعند هذه الثنية مفرق طريقين: احداهما التي جئنا منها، والثانية آخذة شرقا في البرية على السماوة الى العراق، وهي طريق قصد لكنها لا تدخل الا في الشتاء. فانحدرنا منها بين جبال في بطن واد الى البسيط ونزلنا منه بموضع يعرف

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٠٩

بالقصير، فيه خان كبير والنهر جار أمامه، ثم رحلنا منه مع الصبح وسرنا في بساتين متصلة لا يوصف حسنها، ووصلنا دمشق في الضحى الأعلى من يوم الخميس الرابع والعشرين لربيع الأول والخامس ليوليه، والحمد لله رب العالمين.

شهر ربيع الآخر

استهل هلاله يوم الأربعاء بموافقة الحادي عشر ليوليه، ونحن بدمشق نازلين فيها بدار الحديث غربي جامعها المكرم.

مدنية دمشق

جنة المشرق، ومطلع حسنه المؤنق المشرق وهي خاتمة بلاد الاسلام التي استقريناها، وعروس المدن التي اجتليناها، قد تحلت بأزاهير الرياحين، وتجلت في حلل سندسية من البساتين، وحلت من موضوع الحسن بالمكان المكين، وتزينت في منصتها أجمل تزيين، وتشرفت بأن آوى الله تعالى المسيح وأمه، صلى الله عليهما، منها الى ربوة ذات قرار ومعين، ظل ظليل، وماء." (١)

"للأكفان، فتفطرت قلوبنا له اشفاقا ودعونا له بحسن الخاتمة، واتحفناه ببعض ما كان عندنا مما رغب فيه. وأبلغ في مجازاتنا ومكافأتنا واستكتمناه سائر اخوانه من الفتيان.

ولهم في فعل الجميل أخبار مأثورة، وفي افتكاك الأسرى صنائع عند الله مشكورة. وجميع خدمتهم على مثل أحوالهم. ومن عجيب شأن هؤلاء الفتيان أنهم يحضرون عند مولاهم فيحين وقت الصلاة فيخرجون أفذاذا من مجلسه فيقضون صلاتهم. وربما يكونون بموضع تلحقه عين ملكهم فيسترهم الله عز وجل، فلا يزالون بأعمالهم ونياتهم وبنصائحهم الباطنة للمسلمين في جهاد دائم، والله ينفعهم ويجمل خلاصهم بمنه. ولهذا الملك بمدينة مسينة المذكورة دار صنعة البحر تحتوي من الأساطيل على ما لا يحصى عدد مراكبه، وله بالمدينة مثل ذلك.

مغادرة صقلية

فكان نزولنا في أحد **الفنادق**، وأقمنا بها تسعة أيام، فلما كان ليلة الثلاثاء الثاني عشر للشهر المبارك المذكور، والثامن عشر لدجنبر، ركبنا في زورق متوجهين الى المدينة المتقدم ذكرها، وصرنا قريبا من الساحل بحيث نبصره رأي العين، وأرسل الله علينا ريحا شرقية رخاء طيبة زجت الزورق أهنأ تزجية وسرنا نسرح اللحظ في عمائر وقرى متصلة وحصون ومعاقل في قنن الجبال مشرفة، وأبصرنا عن يمننا في البحر

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢١٠

تسع جزائر قد قامت جبالا مرتفعة: على مقربة من بر الجزيرة اثنتان منها، تخرج منهما النار دائما، وابصرنا الدخان صاعدا منهما، ويظهر بالليل نارا حمراء ذات السن تصعد في الجو، وهو البركان المشهور خبره، وأعلمنا ان خروجها من منافس في الجبلين المذكورين يصعد منها نفس ناري بقوة شديدة تكون عنه النار، وربما قذف فيها الحجر الكبير فتلقي به في الساعة الى الهواء لقوة ذلك النفس وتمنعه من الاستقرار والانتهاء الى القعر، وهذا من أعجب المسموعات الصحيحة.

وأما الجبل الشامخ الذي بالجزيرة، المعروف بجبل النار، فشأنه أيضا عجيب، وذلك أن نارا تخرج منه في بعض السنين كالسيل العرم، فلا تمر بشيء الا أحرقته." [١]

"وتذكرنا قول الله عز وجل «ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون»

وأبصرنا فيما أبصرناه مجلسا في ساحة فسيحة قد أحدق بها بستان وانتظمت جوانبها بلاطات، والمجلس قد أخذ استطالة تلك الساحة كلها، فعجبنا من طوله واشراف مناظره، فأعلمنا أنه موضع غذاء الملك مع اصحابه وتلك البلاطات والمراتب حيث تقعد حكامه. وأهل الخدمة والعمالة أمامه. فخرج الينا ذلك المستخلف يتهادى بين خديمين يحفان به ويرفعان أذياله، فأبصرنا شيخا طويل السبلة أبيضها ذا أبهة، فسألنا عن مقصدنا وعن بلدنا بكلام عربي لين، فأعلمناه، فأظهر الإشفاق علينا وأمر بانصرافنا بعد أن أحفى في السلام والدعاء، فعجبنا من شأنه.

وكان أول سؤاله لنا عن خبر القسطنطينية العظمى وما عندنا منه، فلم يكن عندنا ما نعلمه به، وقد نقيد خبرها بعد هذا. وكان من أغرب ما شاهدناه من الأمور الفتانة أن أحد من كان قاعدا عند باب القصر من النصارى قال لنا عند انصرافنا عن القصر المذكور: تحفظوا بما عندكم يا حجاج من العمال الممكسين لئلا يقع عليكم. وظن أن عندنا تجارة تقتضي التمكيس. فاستجاب له احد النصارى، فقال: ما أعجب أمرك، يدخلون حرم الملك، ويخافون من شيء، ما كنت أود لهم الا آلافا من الرباعيات، انهضوا بسلام لا خوف عليكم. فقضينا عجبا مما شاهدناه وسمعناه.

وخرجنا الى أحد الفنادق فنزلنا فيه، وذلك يوم السبت السادس عشر للشهر المبارك، والثاني والعشرين لدجنبر، وفي خروجنا من القصر المذكور سلكنا بلاطا متصلا مشينا فيه مسافة طويلة، وهو مسقف، حتى انتهينا الى كنيسة عظيمة البناء. فاعلمنا أن ذلك البلاط ممشى الملك الى هذه الكنيسة.

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٦٩

ذكر المدينة التي هي حضرة صقلية

هي بهذه الجزائر أم الحضارة، والجامعة بين الحسنين غضارة ونضارة، فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر، ومراد عيش يانع أخضر، عتيقة أنيقة، مشرقة مونقة، تتطلع بمرأى فتان، وتتخايل بين ساحات وبسائط كلها بستان، فسيحة السكك والشوارع، تروق الأبصار بحسن منظرها البارع، عجيبة الشان." (١)

"الفصوص الخضر ونظم أعلاها بالشمسيات المذهبات من الزجاج، فتخطف الأبصار بساطع شعاعها، وتحدث في النفوس فتنة نعوذ بالله منها، وأعلمنا ان بانيها الذي تنسب اليه أنفق فيها قناطير من الذهب، وكان وزيرا لجد هذا الملك المشرك، ولهذه الكنيسة صومعة قد قامت على أعمدة سوار من الرخام ملونة وعلت قبة على أخرى سوار كلها فتعرف بصومعة السواري، وهي من أعجب ما يبصر من البنيان، شرفها الله عن قريب بالأذان، بلطفه وكريم صنعه.

وزي النصرانيات في هذه المدينة زي نساء المسلمين: فصيحات الألسن، ملتحفات، منتقبات، خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب، والتحفن اللحف الرائقة، وانتقبن بالنقب الملونة، وانتعلن الأخفاف المذهبة، وبرزن لكنائسهن أو كنسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر. فتذكرنا على جهة الدعابة الأدبية قول الشاعر:

أن من يدخل الكنيسة يوما ... يلق فيها جآذرا وظباء

ونعوذ بالله من وصف يدخل مدخل اللغو، ويؤدي الى أباطيل اللهو، ونعوذ به من تقييد، يؤدي الى تفنيد، انه سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة. فكان مقامنا بهذه المدينة سبعة أيام، ونزولنا بها في احد فنادقها التي يسكنها المسلمون، وخرجنا منها صبيحة يوم الجمعة الثاني والعشرين لهذا الشهر المبارك، والثامن والعشرين لشهر دجنبر، الى مدينة أطرابنش، بسبب مركبين بها: أحدهما يتوجه الى الأندلس والثاني الى سبتة، وكنا أقلعنا الى الاسكندرية فيه، وفيهما حجاج وتجار من المسلمين، فسلكنا على قرى متصلة وضياع متجاورة، وأبصرنا محارث ومزارع لم نر مثل تربتها طيبا وكرما واتساعا، فشبهناها بقنبانية قرطبة، أو هذه أطيب وأمتن.

وبتنا في الطريق ليلة واحدة في بلدة تعرف بعلقمة، وهي كبيرة متسعة، فيها السوق والمساجد، وسكانها وسكان هذه الضياع التي في هذه الطريق كلها مسلمون، وقمنا منها سحر يوم السبت الثالث والعشرين لهذا الشهر المبارك، والتاسع والعشرين لدجنبر، فاجتزنا بمقربة منها على حصن يعرف بحصن الحمة، وهو

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٧٢

بلد كبير فيه حمامات كثيرة، وقد فجرها الله ينابيع في الارض وأسالها عناصر لا يكاد البدن يحتملها لإفراط حرها، فأجزنا منها واحدة على." (١)

"البشرى بالسلامة

وفي صبيحة يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر المذكور اطلع الله علينا البشرى بالسلامة بظهور منار الإسكندرية على نحو العشرين ميلا والحمد على ذلك حمدا يقتضى المزيد من فضله وكريم صنعه.

وفي آخر الساعة الخامسة منه كان ارساؤنا بمرسى البلد ونزولنا اثر ذلك والله المستعان فيما بقي بمنه. فكانت اقامتنا على متن البحر ثلاثين يوما ونزلنا في الحادي والثلاثين لأن ركوبنا إياه كان يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر شوال ونزولنا عنه في يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة وبموافقة السادس والعشرين من مارس والحمد لله على ما من به من التيسير والتهسيل وهو سبحانه المسئول بتتميم النعمة علينا ببلوغ الغرض من المقصود وتعجيل الاياب إلى الوطن على خير وعافية إنه المنعم بذلك لا رب سواه وكان نزولنا بها **بفندق** يعرف **بفندق** الصفار بمقربة من الصبانة.." (٢)

"وفي يوم الأربعاء المذكور أجزنا القسم الثاني من النيل في مركب تعدية أيضا بموضوع يعرف بدجوة وذلك وقت الغداة الصغرى وكان نزولنا في مصر **بفندق** أبي الثناء في زقاق القناديل بمقربة من جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه في حجرة كبيرة على باب **الفندق** المذكور.." (٣)

"المغاربة والمصريين والاسكندريين ومن يتصل بهم ومنها يفوزون١ بصحراء عيذاب واليها انقلابهم في صدرهم من الحج وكان نززولنا فيها **بفندق** ينسب لابن العجمي بالمنية وهي ربض٢ كبير خارج المدينة على باب **الفندق** المذكور.

---

١ فوز: اخترق المفازة، وهي الصحراء لا ماء فيها.

٢ الربض: ما حول المدينة من بيوت ومساكن.." (٤)

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٧٤

(٢) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/١٢

(٣) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/١٩

(٤) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٤١

"صفة جدة

وجدة هذه قرية على ساحل البحر المذكور أكثر بيوتها اخصاص وفيها **فنادق** مبنية بالحجارة والطين وفي أعلاها بيوت من الاخصاص كالغرف ولها سطوح يستراح فيها بالليل من أذى الحر. وبهذه القرية آثار قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة وأثر سورها المحدق بها باق إلى اليوم وبها موضع فيه قبة مشيدة عتقيقة يذكر إنه كان منزل حواء أم البشر صلى الله عليها عند توجهها إلى مكة فبنى ذلك المبنى عليه تشيهرا لبركته وفضله والله أعلم بذلك.

وفيها مسجد مبارك منسوب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومسجد آخر له ساريتان من خشب الآبنوس ينسب أيضا إليه رضى الله عنه ومنهم من يسنبه إلى هارون الرشيد رحمة الله عليه.

وأكثر سكان هذه البلدة مع ما يليها من الصحراء والجبال أشراف علويون: وحسنيون وحسينيون وجعفريون رضى الله عن سلفهم الكريم وهم من شظف العيش بحال يتصدع له الجماد إشفاقا، ويستخدمون انفسهم في كل مهنة من المهن: من إكراء جمال أن كانت لهم أو مبيع لبن أو ماء إلى غير ذلك من تمر يلتقطونه أو حطب يحتطبونه وربما تنأول ذلك نساؤهم الشريفات بأنفسهن فسبحان المقدر لما يشاء ولا شك انهم أهل بيت ارتضى الله لهم الآخرة ولم يرتض لهم الدنيا جعلنا الله ممن يدين بحب أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وبخارج هذه البلد مصانع قديمة تدل على قدم اختطاطها ويذكر أنها كانت من مدن الفرس وبها جباب١ منقورة في الحجر الصلد يتصل

---

١ جباب، الواحد جب: البئر الكثيرة الماء، البعيدة القعر.." (١)

"تحت سورين عتيقين انفق فيهما أموالا لا تحصى كثرة. ومن أعجب ماوفقه الله تعالى إليه إنه جدد أبواب الحرم كلها.

وجدد باب الكعبة المقدسة وغشاه فضة مذهبة وهو الذي فيها الآن حسبما تقدم وصفه وجلل العتبة المباركة بلوح ذهب إبريز وقد تقدم ذكره أيضا فأخذ الباب القديم وأمر بأن يصنع له منه تابوت يدفن فيه فلما حانت وفاته أوصى بأن يوضح في ذلك التابوت المبارك ويحج به ميتا. فسيق إلى عرفات ووقف به على بعد وكشف عن التابوت فلما أفاض الناس أفيض به وقضيت له المناسك كله وطيف به طواف الإفاضة وكان

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٥٣

الرجل رحمه الله لم يحج في حياته ثم حمل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وله فيها من الآثار الكريمة ما قدمنا ذكره وكاد أشارفها يحلمونه رؤوسهم. وبينت له روضة بإزاء روضة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفتح فيها مضوع يلاحظ الروضة المقدسة وأبيح له ذلك على شدة الضنانة بمثله لسابق أفعاله الكريمة ودفن في تلك الروضة وأسعده الله بالجوار الكريم وخصه بالمواراة في تربة التقديس والتعظيم والله لا يضيع أجر المحسنين وسنذكر تاريخ وفاته إذا وقفنا عليه من التاريخ الثابت في روضته إن شاء الله عز وجل وهو ولي التيسير لا رب غيره.

ولهذا الرجل رحمه الله من الآثار السنية والمفاخر العلية التي لم يسبقه إليها الأكابر الأجواد وسراة الأمجاد فيما سلف من الزمان ما يفوت الإحصاء ويتسغرق الثناء ويستصحب طول الأيام ن الألسنة بالدعاء وحسبك إنه اتسع اعتناؤه بإصلاح عامة طرق المسلمين بجهة المشرق من العراق إلى الشام إلى الحجاز حسبما نذكره واستنبط المياه وبنى الجباب واختط المنازل في المفازات وأمر بعمارتها مأوى لأبناء السبيل وكافة المسافرين وابتنى بالمدن المتصلة من العراق إلى الشام فنادق عينها لنزول الفقراء أبناء السبيل الذين يضعف أحد هم عن تأدية الاكرية وأجرى على قومة تلك الفنادق والمنازل ما يقوم." (١)

"منشأ الإسلام

وفي يوم الأربعاء التاسع والشعرين من ذي القعدة المذكور دخلنا دار الخيزران التي كان منها منشأ الإسلام وهي بإزاء الصفا ويلاصقها بيت صغير عن يمين الداخل إليها كان مسكن بلال رضى الله عنه ويدخل إليها على حلق٢ كبير شبيه الفندق قد أحد قت به بيوت للكراء من الحاج. والدار المكرمة دار صغيرة يجدها الداخل إلى الحلق المذكور عن يساره وهي مجددة البناء انفق في بنائها جمال الدين المذكرو اثره الكريم في هذا المكتوب نحو الالف دينار نفعه الله بما اسلفه من العمل الصالح. وعن يمين الداخل الدار المباركة باب يدخل منه إلى قبة كبيرة بديعة البناء فيها مقعد النبي صلى الله عليه وسلم والصخرة التي كان إليها مستنده وعن يمينه موضع أبي بكر الصديق وعن يمين أبي بكر موضع علي بن أبي طالب والصخرة التي كان إليها مستنده هي داخلة في الجدار كشبه المحراب. وفي هذه الدار كان إسلام عمر بن الخطاب ومنها ظهر الإسلام على يديه وأعزه الله نفعنا الله ببركة هذه المشاهد المكرمة والآثار المعظمة وأماتنا على محبة الذين شرفت بهم ونسبت إليهم صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/١٠٣

٢ الحلق: الحظيرة أو الحائط الدائر.." (١)

"بعد نصف الليل ووصلنا الموصل عند ارتفاع النهار يوم الثلاثاء الثالث والعشرين لصفر والخامس من يونيه ونزلنا بربضها في أحد **الخانات** بمقربة من الشط.." (٢)

"ذكر مدينة الموصل حرسها الله تعالى

هذه المدينة عتيقة ضخمة حصينة فخمة قد طالت صحبتها للزمن فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن قد كادت أبراجها تلتقى انتظاما لقرب مسافة بعضها من بعض وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله كان قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه وللمقاتلة في هذه البيوت حرز وقاية وهي من المرافق الحربية. وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصا ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج وتتصل بها دور السلطان وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد إلى أسفله ودجلة شرقي البلد وهي متصلة بالسور وأبراجه في مائها.

وللبلدة ربض كبير فيه المساجد والحمامات **والخانات** والأسواق واحدث فيه بعض أمراء البلدة وكان يعرف بمجاهد الدين جامعا على شط دجلة ما أرى وضع جامع أحفل منه بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه وكل ذلك نقش في الاجر وأما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة ويطيف به شبابيك حديد تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد أشرف منها ولا أحسن ووصفه يطول وإنما وقع الالماع بالبعض جريا إلى الاختصار وأمامه مارستان حفيف من بناء مجاهد الدين المذكور.

وبنى أيضا داخل البلد وفي سوقه قيسارية للتجار كأنها الخان العظيم تنغلق عليها أبواب حديد وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض قد جلى ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له فما." (٣)

"الأعناق بالذهب ومراكب جواريها كذلك مجموع ذلك الذهب لا يحصى تقديره وكان مشهدا ابهت الأبصار وأحدث الاعتبار وكل ملك بفنى إلا ملك ألواح د القهار لا شريك له.

وأخبرنا غير واحد من الثقات ممن يعرف حال خاتون هذه أنها موصوفة بالعبادة والخير مؤثرة لأفعال البر

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/١٤٥

(٢) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢١٠

(٣) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢١٠

فمنها أنها انفقت في طريقها هذا إلى الحجاز في صدقات ونفقات في السبيل مالا عظيما وهي تحب الصالحين والصالحات وزورهم متنكرة رغبة في دعائهم وشأنها عجيب كله على شبابها وإنغماسها في نعيم الملك والله يهدي من يشاء من عباده.

وفي عشي اليوم الرابع من المقام بهذه البلدة وهو يوم الجمعة السادس والشعرين لصفر المذكور رحلنا منها على دواب اشتريناها بالموصل تفاديا من معاملة الجمالين على أن القدر المحمود لم يسبب لنا إلا صحبة الأشبه[1] منهم ومن شكرناه على طول الصحبة وتماديها من مكة شرفها الله إلى الموصل فأسرينا ليلة السبت إلى بعيد نصف الليل ثم نزلنا بقرية من قرى الموصل ورحلنا منها ضحوة يوم السبت المذكور وقلنا بقرية تعرف بعين الرصد وكان مقيلنا تحت جسر معقود على واد يتحدر فيه الماء وكان مقيلا مباركا وفي تلك القرية خان كبير جديد وفي محلات الطريق كلها **خانات** واتفق مبيتنا تلك الليلة بالقرية المذكورة وأسرينا منها واصبحنا يوم الأحد بقرية تعرف بالمويلحة وأسرينا منها وبتنا بقرية كبيرة تعرف بجدال لها حصن عتيق.

وفي ويمنا هذا راينا عن يمين الطريق جبل الجودي المذكور في كتاب الله[2] تعالى الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام وهو جبل عال مستطيل ثم رحلنا في السحر الأعلى من يوم الإثنين التاسع والعشرين لصفر فكان مبيتنا بقرية من قرى نصيبين ومنها إليها مرحلة ويعرف الموضع المذكور بالكلاي.

---

١ الأشبه: الأحسن.

٢ سورة هود، الآية ٤٤.." (١)

"فكان مقامنا بدنيصر إلى أن صلينا الجمعة وهو اليوم الرابع لربيع "الأول" تلوم[1] أهل القافلة بها لشهود سوقها لأن بها يوم الخيمس ويوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد بعدها سوق حفيلة يجتمع لها أهل هذه الجهات المجاورة لها والقرى المتصلة بها لأن الطريق كلها يمينا وشمالا قرى متصلة **وخانات** مشيدة ويسمون هذه السوق المجتمع إليها من الجهات البازار وأيام كل سوق معلومة.

ورحلنا إثر صلاة الجمعة فاجتزنا على قرية كبيرة لها حصن تعرف بتل العقاب هي للنصارى المعاهدين الذميين ذكرتنا هذه القرية بقرى الأندلس حسنا ونضارة تحقها البساتين والكروم وأنواع الأشجار وينسرب بازائها نهر ترف الظلال عليه وخطها متسع والبساتين قد انتظمته وشاهدنا بها من الخنانيص امثال الغنم كثرة وانسا بأهلها. ثم وصلنا عشي النهار إلى قرية أخرى تعرف بالجسر هي الآن لناس من المعاهدين وهم

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢١٣

فرقة من فرق الروم فكان مبيتنا بها ليلة السبت الخامس لربيع المذكور ثم اسحرنا منها لووصلنا مدينة راس العين قبيل الظهر من يوم السبت المذكور.

---

١ تلوم: انتظر وتمهل.." (١)

"ذكر مدينة منبج حرسها الله

بلدة فسيحة الإرجاء صحيحة الهواء يحف بها سور عتيق ممتد الغاية والانتهاء جوها صقيل ومجتلاها جميل ونسيمها أرج النشر عليل نهارها يندى ظله وليلها كما قيل فيه: سحر كله تحف بغربيها وبشرقيها بساتين ملتفة الأشجار مختلفة الثمار ولماء يطرد فيه ويتخلل جميع نواحيها، وخصص الله داخلها بآبار معينة شهدية العذوبة سلسبيلية المذاق تكون في كل دار منها البئر والبئران. وأرضها أرض كريمة تستنبط مياها كلها وأسواقها وسككها فسيحة متسعة ودكاكينها وحوانيتها كانها الخانات والمخازن اتساعا وكبيرا وأعالي أسواقها مسقفة.

وعلى هذالترتيب أسواق أكثر مدن هذه الجهات لكن هذه البلدة تعاقبت عليهاالاحقاب حتى أخذ منها الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولهم." (٢)

"مفتح كله بيوتا وغرفا لها طيقان يتصل بعضها ببعض وقدامتد بطول الجدار عريش كرم مثمر عنبا فحصل لكل طاق من تلك الطيقان قسطها من ذلك العنب متدليا إمامها فيمد الساكن فيها يده ويجتنيه متكئا دون كلفة ولا مشقة. وللبلدة سوى هذه المدرسة نحو أربع مدارس أو خمس ولها مارستان.

وأمرها في الاحتفال عظيم فهي بلدة تليق بالخلافة وحسنها كله داخل لا خارج لها إلا نهير يجري من جوفيها إلى قبيلها ويشق ربضها المستدير بها فإن لها ربضا كبيرا فيه من الخانات ما لايحصى عدده وبهذا النهر الأرحاء وهي متصلة بالبلد وقائمة وسط ربضه وبهذا الربض بعض بساتين تتصل بطوله. وكيفما كان الأمر فيه داخلا وخارجا فهو من بلاد الدنيا التي لا نظير لها والوصف فيه يطول.

فكان نزولنا بربضه في خان يعرف بخان أبي الشكر فأقمنا به أربعة أيام ورحلنا ضحوة يوم الخيمس السابع عشر لربيع المذكور والثامن والشعرين ليونيه ووصلنا قنسرين قبيل العصر فأرحنا بها قليلا ثم انتقلنا إلى قرية تعرف بتل تاجر فكا نمبيتنا بها ليلة الجمعة الثامن عشر منه.

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢١٧

(٢) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢٢٣

وقنسرين هذه هي البلدة الشهيرة في الزمان لكنها خربت وعادت كأن لم تغن بالأمس فلم يبق إلا آثارها الدارسة ورسومها الطامسة ولكن قراها عامرة منتظمة لأنها على محرث عظيم مد البصر عرضا وطولا وتشبهها من البلاد الأندلسية جيان ولذلك يذكر أن أهل قنسرين عند استفتاح الأندلس نزلوا جيان تأنسا بشبه الوطن وتعللا به مثل ما فعل في أكثر بلادها حسب ما هو معروف.

ثم رحلنا من ذلك الموضع عند الثلث الماضي من الليل فأسرينا وسرنا إلى ضحوة من النهار ثم نزلنا مريحين بموضع يعرف بباقدين في خان كبير يعرف بخان التركمان وثيق الصحانة **وخانات** هذا الطريق كأنها القلاع امتناعا وحصانة وأبوابها حديد وهي من الوثاقة في غاية. ثم رحلنا من هذا الموضع." (١)

"وبتنا بموضع يعرف بتمنى في خان وثيق على الصفة المذكورة.

ثم اسحرنا منه يوم السبت التاسع عشر لربيع الأول المذكور وهو آخر يوم من يونيه ورainا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين يوم الجمعة المذكور بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه ويتصل التفاف بساتيها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلادالله وأكثرها أرزاقا. ووراءها جبل لبنان وهو سامي الارتفاع ممتد الطول يتصل من البحر إلى البحر وفي صفحته حصون للملاحدة الاسماعيلية فرقة مرقت من الإسلام وادعت الإلهية في أحد الانام قيض لهم شيطان من الأندلس يعرف بسنان ١ خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها وسحرهم بمحالها فاتخذوه الها يعبدونه ويبذلون الأنفس دونه وحصلو من طاعته وامتثال أمره بحيث يأمر أحد هم بالتردي من شاهقة جبل فيتردى ويستعجل في مرضاته الردى والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء بقدرته نعوذ به سبحانه من الفتنة في الدين ونساله العصمة من ضلال الملحدين لا رب غيره ولا معبود سواه.

وجبل لبنان المذكور هو حد بين بلادالمسلمين والإفرنج لأن وراءه انطاكية واللاذقية وسواهما من بلادهم اعادها للمسلمين وفي صفح الجبل المذكور حصن يعرف بحصن الأكراد هو للافرنج ويغيرون منه على حماة وحمص وهو بمرأى العين منهما فكان وصولنا إلى مدينة حماة في اضحى الأعلى من يوم السبت المذكور فنزلنا بربضها في أحد **خاناته**.

---

١ أبو الحسن سنان بن سليمان البصري صاحب الدعوة الإسماعيلية.." (٢)

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢٢٨

(٢) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢٢٩

"وللمدينة السفلى سور يحدق بها من ثلاثة جوانب لأن جانبها المتصل بالنهر لا يحتاج إلى سور.
وعلى النهر جسر كبير معقود بصم الحجارة يتصل من المدينة السفلى إلى ربضها وربضها كبير فيه **الخانات** والديار وله حوانيت يستعجل فيها السافر حاجته إلى أن يفرغ لدخول المدينة وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى وهي الجامعة لجميع الصناعات والتجارات وموضوعها حسن التنظيم بديع الترتيب والتقسيم ولها جامع أكبر من الجامع الأسفل ولها ثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير.

وبخارج هذه البلدة بسيط فسيح عريض قد انتظم أكثره شجرات الاعناب وفيه المزارع والمحارث وفي منظره نشراح اللنفس وانفساح والبساتين متصلة على شطى النهر وهو يسمى العاصي لأن ظاهره انحداره من سفل إلى علو ومجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلي حمص وبمقربة منها.

فكان مقامنا بحماة إلى عشي يوم السبت المذكور ثم رحلنا منها وأسرينا الليل كله وأجزنا في نصفه هذا النهر العاصي المذكور على جسر كبير معقود من الحجارة وعليه مدينة رستن التي خربها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وآثارها عظيمة ويذكر الروم القسطنطينيون أن بها أموالا جمة مكنوزة والله أعلم بذلك فوصلنا إلى مدينة حمص مع شروق الشمس من يوم الأحد الموفى عشرين لربيع الأول وهو أول يوليه[١] فنزلنا بظاهرها بخان السبيل.

---

١ يوليو: تموز.." (١)

"أوجبت نزول الأعراب أهل حمص فيها حسبما يذكر وهذا التشبيه وإن لم يكن بذاته فله لمحة من إحدى جهاته.

وأقمنا بها يوم الأحد المذكور ويوم الإثنين بعده وهو الثاني ليوليه إلى أول الظهر ورحلنا منها وتمادى سيرنا إلى العشى ونزلنا بقرية خربة ترعف بالمعشر فعشبنا بها الدواب ثم رحلنا عند المغرب وأسرينا طول ليلتنا وتمادى سيرنا إلى الضحى الأعلى من يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من الشهر المذكور ونزلنا بقرية كبيرة للنصارى المعاهدين تعرف بالقارة ليس فيها من المسلمين أحد وبها خان كبير كأنه الحصن المشيد في وطسه صهريج كبير مملوء ماء يتسرب له تحت الأرض من عين على البعد فهو لا يزال ملآن

فأرحنا بالخان المذكور إلى الظهر ثم رحلنا منه إلى قرية تعرف بالنبك بها ماء جار ومحرث متسع فنزلنا بها

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢٣١

للتعشبية ثم رحلنا منها بعداختلاس تهويمة١ خفيفة.

وأسرينا الليل كله فوصلنا إلى خان السلطان مع الصباح وهو خان بناه صلاح الدين صاحب الشام وهو في نهاية الوثاقة والحسن بباب حديد على سبيلهم في بناء **خانات** هذه الطرق كلها واحتفالهم في تشييدها وفي هذا الخان ماء جار يتسرب إلى سقاية في وسط الخان كانها صهريج ولها منافس ينصب منها الماء في سقاية صغيرة مستديرة حول الصهيريج ثم يغوص في سرب في الأرض.

والطريق من حمص إلى دمشق قليل العمارة إلا في ثلاثة مواضع أو أربعة منها هذه **الخانات** المذكورة فأقمنا يوم الأربعاء الثالث والعشرين لربيع المذكور بالخان المذكور مريحين ومستدركين النوم إلى أول الظهر ثم رحلنا وجزنا بثنية العقاب ومنها يشرف على بسيط دمشق وغوطتها وعند هذه الثنية مفرق طريقين: إحد اهما التي جئنا منها ولا ثانية آخذة شرقا في البرية على السماوة إلى العراق وهي طريق قصد لكنها لا تدخل إلا في الشتاء. فانحدرنا

---

١ التهويمة: النوم القليل.." [١]

"دمشق وآثارها

ولهذه البلدة قلعة يسكنها السلطان منحازة في الجهة الغربية من البلد وهي بازاء باب الفرج من أبواب البلد وبها جامع السلطان يجمع فيه وعلى مقربة منها خارج البلد في جهة الغرب ميدانان كأنهما مبسوطان خزا لشدة خضرتهما وعليهما حلق والنهر بينهما وغيضة١ عظيمة من الحور متصلة بهما وهما من أبدع المناظر يخرج السلطان إليهما ويلعب فيهما بالصوالجة٢ ويسابق بين الخيل فيهما ولا مجال للعين كمجالها فيهما وفي كل ليلة يخرج أبناء السلطان إليهما للرماية والمسابقة واللعب بالصوالجة.

وبهذه البلدة أيضا قرب مائة حمام فيها وفي أرباضها وفيها نحو أربعين دارا للوضوء يجرى الماء فيها كلها وليس في هذه البلاد كلها بلدة أحسن منها للغريب لأن المرافق بها كثيرة وفي الذي ذكرناه من ذلك كفاية والله يبقيها دار إسلام بمنه.

وأسواق هذه البلدة من أحفل أسواق البلاد وأحسنها انتظاما وأبدعها وضعا ولا سيما قيسارياتها وهي مرتفعات كانها **الفنادق** مثقفة كلها بأبواب حديد كأنها أبواب القصور وكل قيسارية منفردة بضبتها٣ وأغلاقها الجديدة.

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢٣٣

١ الغيضة: الأجمة.

٢ الصوالجة، الواحد صولجان: العصا المعقوفة الرأس.

٣ الضبة: حديدة عريضة يقفل بها الباب.." (١)

"مغادرة صقلية

فكان نزولنا في أحد الفنادق وأقمنا به تسعة أيام فلما كان ليلة الثلاثاء الثاني عشر للشهر المبارك المذكور والثامن عشر لدجنبر ركبنا في زورق متوجهين إلى المدينة المتقدم ذكرها وصرنا قريبا من الساحل بحيث نبصره رأي العين وأرسل الله علينا ريحا شرقية رخاء طيبة زجت الزورق١ أهنأ تزجية وسرنا نسرح اللحظ في عمائر وقرى متصلة وحصون ومعاقل في قن الجبال مشرفة، وأبصرنا عن يميننا في البحر تسع جزائر٢ قد قامت جبالا

١ زجت الزورق: دفعته دفعا لينا.

٢ تسع جزائر: يريد بها الجزائر المعروفة بالأيولية في شمالي جزيرة صقلية.." (٢)

"وتذكرنا قول الله عز وجل: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون١﴾ وأبصرنا فيما أبصرناه مجلسا في ساحة فسيحة قد أحد ق بها بستان وانتظمت جوانبها بلاطات والمجلس قد أخذ استطالة تلك الساحة كلها فعجبنا من طوله وأشراف مناظره فأعلمنا إنه موضع غداء الملك مع أصحابه وتلك البلاطات والمراتب حيث تقعد حكامه وأهل الخدمة والعمالة أمامه. فخرج إلينا ذلك المستخلف يتهادى بين خديمين يحفان به ويرفعان أذياله فأبصرنا شيخا طويل السبلة أبيضها ذا أبهة فسألنا عن مقصدنا وعن بلدنا بكلام عربي لين، فأعلمناه فأظهر الإشفاق علينا وأمر بانصرافنا بعد أن أحفى في السلام والدعاء فعجبنا من شأنه.

وكان أول سؤاله لنا عن خبر القسطنطينية العظمى وما عند نا منه فلم يكن عند نا ما نعمله به وقد نقيد خبرها بعد هذا. وكان من أغرب ما شاهدناه من الأمور الفتانة أن أحد من كان قاعدا عند باب القصر من النصارى قال لنا عند انصرافنا عن القصر المذكور: تحفظوا بما عندكم يا حجاج من العمال الممسكين

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢٦١

(٢) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٣٠٠

لئلا يقعو عليكم. وظن أن عند نا تجارة تقتضى التمكيس. فاستجاب له أحد النصارى فقال: ما أعجب أمرك يدخلون حرم الملك ويخافون من شيء ما كنت أود لهم إلا آلافا من الرباعيات انهضوا بسلام لا خوف عليكم. فقضينا عجبا مما شاهدناه وسمعناه.

وخرجنا إلى أحد **الفنادق** فنزلنا فهي وذلك يوم السبت السادس عشر للشهر المبارك والثاني والعشرين لدجنبر وفي خروجنا من القصر المذكور سلكنا بلاطا متصلا مشينا يه مسافة طويلة وهو مسقف حتى انتهينا إلى كنيسة عظيمة البناء فأعلمنا أن ذلك البلاط ممشى الملك إلى هذه الكنيسة.

---

١ سورة الزخرف، الآية ٢٣.." (١)

"السواري وهي من أعجب ما يبصر من النبيان شرفها الله عن قريب الأذان بلطفه وكريم صنعه

وزى النصرانيات في هذه المدينة زي نساء المسلمين فصيحات الالسن ملتحفات متنقبات خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبست ثياب الحرير المذهب والتحفن اللحف الرائقة وانتقبن بالنقب الملونة وانتعلن الاخفاف المذهبة وبرزن لكنائسهن أو كنسهن حاملات جميع زنية نساء المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر فتذكرنا على جهة الدعاية الأدبية قول الشاعر١:

إن من يدخل الكنيسة يوما

...

يلق فيها جآزرا وظباء

ونعوذ بالله من صوف يدخل مدخل اللغو ويؤدى إلى أباطيل اللهو ونعوذ به من تقييد يؤدى إلى تفنيد إنه سبحانه هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

فكان مقامنا بهذه المدينة سبعة أيام ونزلنا بها في أحد **فنادقها** التي يسكنها المسلمون وخرجنا منها صبيحة يوم الجمعة الثاني والعشرين لهذا الشهر المبارك والثامن والعشرين لشهر دجنبر إلى مدينة أطرابنش بسبب مركبين بها: أحدهما يتوجه إلى الأندلس والثاني إلى سبتة وكنا أقلعنا إلى الإسكندرية فيه وفيهما حجاج وتجار من المسلمين، فسلكنا على قرى متصلة وضياع متجاورة وأبصرنا محارث ومزارع لم نر مثل تربتها طيبا وكرما واتساعا فشبهناها بقنبانية قرطبة أو هذه أطيب وأمتن.

وبتنا في الطريق ليلة واحدة في بلدة تعرف بعلقمة وهي كبيرة متسعة فيها السوق والمساجد وسكانها وسكان

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٣٠٤

هذه الضياع التي في هذه الطريق كلها مسلمون، وقمنا منها سحر يوم السبت الثالث والعشرين لهذا الشهر المبارك والتاسع والعشرين لدجنبر فاجتزنا بمقربة منها على حصن يعرف بحصن الحمة،

---

١ هو الأخطل.." [1]

"مستطيلة، ما شرق منها هو الأوداة، وما غرب فهو البياض.

أجان:

بضم الهمزة، وتخفيف الجيم، وآخره نون: بليدة بأذربيجان، بينها وبين تبريز عشرة فراسخ في طريق الري. رأيتها وعليها سور، وبها سوق، إلا أن الخراب غالب عليها.

الأجاول:

بالفتح بلفظ الجمع جالا البير جانباها، والجمع أجوال، والأجاول جمع الجمع، وهو موضع قرب ودان، فيه روضة ذكرت في الرياض. وقال ابن السكيت: الأجاول أبارق بجانب الرمل عن يمين كلفى من شماليها، قال كثير:

عفا ميت كلفى بعدنا فالأجاول

الأجايين:

بالفتح، وبعد الألف ياءان، تحت كل واحدة منهما نقطتان، بلفظ التثنية: اسم موضع كان لهم فيه يوم من أيامهم.

الأجباب:

جمع جب، وهو البير: قيل واد، وقيل مياه بحمى ضرية معروفة، تلي مهب الشمال من حمى ضربة، وقال الأصمعي: الأجباب من مياه بني ضببنة وربما قيل له الجب، وفيه يقول الشاعر:

أبني كلاب، كيف ينفى جعفر، ... وبنو ضبي‍ن‍ة حاضر والأجباب؟

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٣٠٧

أجبال صبح:

أجبال جمع جبل، وصبح بضم الصاد المهملة ضد المساء: موضع بأرض الجناب لبني حصن ابن حذيفة، وهرم بن قطبة، وصبح رجل من عاد كان ينزلها على وجه الدهر، قال الشاعر:

ألا هل إلى أجبال صبح بذي الغضا، ... غضا الأثل، من قبل الممات، معاد؟

بلاد بها كنا، وكنا نحبها، ... إذ الأهل أهل، والبلاد بلاد

أجدابية:

بالفتح، ثم السكون، ودال مهملة، وبعد الألف باء موحدة، وياء خفيفة، وهاء، يجوز أن يكون، إن كان عربيا، جمع جدب، جمع قلة. ثم نزلوه منزلة المفرد لكونه علما، فنسبوا إليه، ثم خففوا ياء النسبة لكثرة الاستعمال، والأظهر أنه عجمي: وهو بلد بين برقة وطرابلس الغرب، بينه وبين زويلة نحو شهر سيرا، على ما قاله ابن حوقل. وقال أبو عبيد البكري: أجدابية مدينة كبيرة في صحراء أرضها صفا وآبارها منقورة في الصفا، طيبة الماء، بها عين ماء عذب، وبها بساتين لطاف، ونخل يسير، وليس بها من الأشجار إلا الأراك. وبها جامع حسن البناء، بناه أبو القاسم المسمى بالقائم بن عبيد الله المسمى بالمهدي، له صومعة مثمنة بديعة العمل، وحمامات وفنادق كثيرة، وأسواق حافلة مقصودة وأهلها ذوو يسار أكثرهم أنباط، وبها نبذ من صرحاء لواتة، ولها مرسى على البحر يعرف بالمادور، له ثلاثة قصور بينه وبينها ثمانية عشر ميلا، وليس بأجدابية لدورهم سقوف خشب، إنما هي أقباء طوب، لكثرة رياحها ودوام هبوبها، وهي راخية الأسعار، كثيرة التمر، يأتيها من مدينة اوجلة أصناف التمور. وقال غيره: أجدابية مدينة كثيرة النخل والتمور، وبين غربيها وجنوبيها مدينة أوجلة، وهي من أعمالها، وهي أكثر بلاد المغرب نخلا وأجودها تمرا.

وأجدابية في الإقليم الرابع، وعرضها سبع وثلاثون درجة، وهي من فتوح عمرو بن العاص، فتحها مع برقة صلحا على خمسة آلاف دينار، وأسلم كثير من بربرها. ينسب إليها أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل ابن أحمد بن عبد الله الطرابلسي يعرف بابن الأجدابي.

كان أديبا فاضلا، له تصانيف حسنة، منها كفاية المتحفظ." (١)

"ورستاق أنارباذ ورستاق ورانقان، ونهر أصبهان المعروف بزندروذ غاية في الطيب والصحة والعذوبة، وقد ذكر في موضعه، وقد وصفته الشعراء، فقال بعضهم:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١/١٠٠

لست آسى، من أصبهان، على شي ... ء، سوى مائها الرحيق الزلال

ونسيم الصبا، ومنخرق الري ... ح، وجو صاف على كل حال

ولها الزعفران والعسل الما ... ذي، والصافنات تحت الجلال

وكذلك قال الحجاج لبعض من ولاه أصبهان:

قد وليتك بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران، وقال آخر:

لست آسى، من أصبهان على شي ... ء، فأبكي عليه عند رحيلي

غير ماء، يكون بالمسجد الجا ... مع، صاف مروق مبذول

وأرض أصبهان حرة صلبة فلذلك تحتاج إلى الطعم، فليس بها شيء أنفق من الحشوش فإن قيمتها عندهم وافرة، وحدثني بعض التجار قال: رأيت بأصبهان رجلا من الثناء يطعم قوما ويشرط عليهم أن يبرزوا في خربة له، قال: ولقد اجتزت به مرة وهو يخاصم رجلا وهو يقول له: كيف تستخير أن تأكل طعامي وتفعل كذا عند غيري ولا يكني؟

وقد ذكر ذلك شاعر فقال:

بأصبهان نفر، ... خسوا وخاسوا نفرا

إذا رأى كريمهم ... غرة ضيف نفرا

فليس للناظر في ... أرجائها، إن نظرا،

من نزهة تحيي القلو ... ب غير أوقار الخرى

ووجد في غرفة بعض **الخانات** التي بطريق أصبهان مكتوب هذه الأبيات:

قبح السالكون في طلب الرز ... ق، على أيذج إلى أصبهان

ليت من زارها، فعاد إليها، ... قد رماه الإله بالخذلان

ودخل رجل على الحسن البصري فقال له: من أين أنت؟

فقال له: من أهل أصبهان، فقال: الهرب من بين يهودي ومجوسي وأكل ربا، وأنشد بعضهم لمنصور ابن باذان الأصبهاني:

فما أنا من مدينة أهل جي، ... ولا من قرية القوم اليهود

وما أنا عن رجالهم براض، ... ولا لنسائهم بالمستريد

وقال آخر في ذلك:

لعن الله أصبهان بلادا، ... ورماها بالسيل والطاعون

بعت في الصيف قبة الخيش فيها، ... ورهنت الكانون في الكانون

وكانت مدينة أصبهان بالموضع المعروف بجي وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة، فلما سار بخت نصر وأخذ بيت المقدس وسبى أهلها حمل معه يهودها وأنزلهم أصبهان فبنوا لهم في طرف مدينة جي محلة ونزلوها، وسميت اليهودية، ومضت على ذلك الأيام والأعوام فخربت جي وما بقي منها إلا القليل وعمرت اليهودية، فمدينة أصبهان اليوم." (١)

"درن، منها كان مخرج أبي عبد الله محمد بن تومرت المصودي الملقب بالمهدي صاحب عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب.

إيجلي:

بوزن إفعلي: اسم موضع، قالوا: ولم يأت عنهم على هذا الوزن غيره.

إيجلين:

جيمه تشبه القاف والكاف، وياء ساكنة، ولام مكسورة، وياء أخرى، ونون: جبل مشرف على مدينة مراكش، ولا أدري لعله إيجلن المذكور قبل هذا، والله أعلم.

أيد:

بالفتح، ودال مهملة: موضع في بلاد مزينة، قال معن بن أوس المزني:

فذلك من أوطانها فإذا شتت ... تضمنها من بطن أيد غياطله

أيدم:

بالفتح ثم السكون، وفتح الدال، وميم: بلد يمان، عن نصر.

إيذج:

الذال معجمة مفتوحة، وجيم: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان، وهي أجل مدن هذه الكورة، وسلطانها

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢٠٨/١

يقوم بنفسه، وهي في وسط الجبال، يقع بها ثلج كثير يحمل إلى الأهواز والنواحي، وشربهم من عين شعب سليمان، ومزارعهم على الأمطار، ولهم بطيخ كثير وهو في هوة، وقنطرة إيذج من عجائب الدنيا المذكورة لأنها مبنية بالصخر على واد يابس بعيد القعر، وإيذج كثيرة الزلازل، وبها معادن كثيرة، وبها ضرب من القاقلي تنفع عصارته النقرس، وبها بيت نار قديم كان يوقد إلى أيام الرشيد، ودونها بفرسخين صور من الماء، وهو مجمع أنهار، وكل ماء دائر يسمى صورا، بفتح الصاد، يعرف هذا الموضع بفم البواب إذا وقع فيه إنسان أو دابة لا يزال يدور حتى يموت ثم يقذفه إلى الشط من غير أن يغيب في الماء أو يركبه الموج، وهذا من الأمور العجيبة لأن الذي يقع فيه لا يرسب فيه ولا يعلو ماؤه عليه، ويفتتح خراجها قبل النوروز الفارسي بشهر، وهذا الرسم أيضا مخالف لرسوم الخراج في سائر الدنيا، ومائة قصب سكرها على سائر قصب سكر الأهواز أربعة في كل عشرة، وفانيذها يعمل عمل المكراني والسنجري، ووجد في غرفة بعض **الخانات** التي بطريق أصبهان:

قبح السالكون في طلب الرز ... ق، على إيذج إلى أصبهان

ليت من زارها فعاد إليها ... قد رماه الإله بالخذلان

وقال أبو سعد: إيذج في موضعين، أحدهما بلدة من كور الأهواز وبلاد الخوز، ينسب إليها جماعة من ولد المهدي بن المنصور، منهم: أبو محمد يحيى بن أحمد بن الحسن بن فورك الإيذجي، والثاني إيذج من قرى سمرقند، منها: أبو الحسين محمد بن الحسين الإيذجي، توفي سنة ٣٨٧، وقال أبو بكر محمد بن موسى: إيذج من بلاد خوزستان، ينسب إليها أبو القاسم الحسين بن أحمد بن الحسن الإيذجي، روى عن أبي بكر أحمد بن محمد بن العباس الأسفاطي، روى عنه ابنه أبو العباس، وأحمد بن أبي حميد الإيذجي شيخ ثقة، يروي عن أبي ضمرة المدني ويوسف بن العرف والفرج بن عباد الواسطي، روى عنه جعفر ابن أحمد بن فارس، قاله أبو أحمد العسال، وأحمد ابن بهرام الإيذجي حدث عن إسحاق بن زياد العطار، روى عنه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وأبو العباس أحمد بن الحسين الإيذجي روى عن أبيه وغيره، روى عنه أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد." (١)

"ويوم بباجسرى هزمت، وغودرت ... جماعتهم صرعى لدى جانب الجسر

فولوا سراعا هاربين، كأنهم ... رعيل نعام بالفلا شرد ذعر

ووجد على حائط مكتوب:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١/٢٨٨

أقول، والنفس لهوف حسرى، ... والعين من طول البكاء عبرى،
وقد أنارت في الظلام الشعرى، ... وانحدرت بنات نعش الكبرى:
يا رب خلصني من باجسرى ... وابدل بها، يا رب، دارا أخرى

باجميرى:
بضم الجيم، وفتح الميم، وياء ساكنة، وراء مقصورة: موضع دون تكريت. ذكر الأخباريون أن عبد الملك بن مروان كان إذا هم بقصد مصعب بن الزبير بالعراق، يخرج في كل سنة إلى بطنان حبيب، وهي من أدنى قنسرين إلى الجزيرة، فيعسكر بها، ويخرج مصعب بن الزبير إلى مسكن فيعسكر بباجميرى من أرض الموصل، كل واحد منهما يرى صاحبه أنه يقصده، ولا يتم كل واحد منهما قصده، فإذا اشتد الشتاء وارتج الثلج، انصرف عبد الملك إلى دمشق ومصعب إلى الكوفة، فكان عبد الملك يقول: إن مصعبا قد أبى إلا جميراته، والله موقدهن عليه، فقال أبو الجهم الكناني:
أكل عام لك باجميرى؟! ... تغزو بنا ولا تفيد خيرا

باجنيس:
بفتح النون، والسين مهملة، كذا وجدته بخط أبي الفضل العباس بن علي الصولي المعروف بابن برد الخيار مضبوطا: وهو بلد قديم يذكر مع أرجيش من أعمال خلاط وهو من أرمينية الرابعة، فتحها عياض بن غنم، وهي في الإقليم الخامس، طولها سبعون درجة ونصف، وعرضها أربعون درجة وسدس. وقال مسعر بن مهلهل: باجنيس بلد بني سليم، بها معدن الملح الأندراني ومعدن مغنيسيا ومعدن نحاس، وبها منبت الشيخ الذي يستخرج الدود والحيات من الجوف، إلا أن التركي خير منه، وبها أبسنتين وأستوخودوس.

باجوا:
موضع ببابل من أرض العراق في ناحية القف.

باجة:
في خمسة مواضع، منها: باجة، بلد بإفريقية تعرف بباجة القمح، سميت بذلك لكثرة حنطتها، بينها وبين تنس يومان. وحدثني من أثق به أن الحنطة تباع فيها كل أربعمائة رطل، برطل بغداد، بدرهم واحد فضة.

قال أبو عبيد البكري:

ومدينة باجة إفريقية مدينة كثيرة الأنهار، وهي على جبل يقال له عين الشمس في هيئة الطيلسان يطرد حواليها، وفيها عيون الماء العذب، ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس، هي تحت سور المدينة، والباب هناك ينسب إليها، ولها أبواب غير هذا. وفي داخل البلد عين أخرى عذبة، وحصنها أزلي مبني بالصخر الجليل أتقن، بناء، يقال إنه من عهد عيسى، عليه السلام، وفيها حمامات ماؤها من العيون، وفنادق كثيرة، وهي دائمة الدجن والغيم، كثيرة الأمطار والأنداء، قلما يصحى هواؤها، وبها يضرب المثل في كثرة المطر، ولها نهر من جهة المشرق يجيء من جهة الجنوب إلى القبلة على ثلاثة أميال منها، وحولها بساتين عظيمة تطرد فيها المياه، وأرضها سوداء مشققة، تجود فيها جميع الزروع، وبها." (١)

"فو الله ما فارقتكم قاليا لكم، ... ولكن ما يقضى فسوف يكون

وقال العماد أبو عبد الله محمد بن محمد الأصبهاني الكاتب يذكر هذه الأنهر من قصيدة:

إلى ناس بأناس لي صبوة، ... لها الوجد داع وذكري مثير

يزيد اشتياقي وينمو، كما ... يزيد يزيد وثورا يثور

ومن بردى برد قلبي المشوق، ... فها أنا من حره مستجير

وبردى أيضا: جبل بالحجاز في قول النعمان بن بشير:

يا عمرو لو كنت أرقى الهضب من بردى ... أو العلى من ذرى نعمان أو جردا

وكل هذه مواضع بالحجاز.

بما رقيتك لاستهويت مانعها، ... فهل تكونن إلا صخرة صلدا؟

وبردى أيضا: من قرى حلب من ناحية السهول.

وبردى أيضا: نهر بثغر طرسوس.

برذاور:

بسكون الراء، والذال معجمة، والواو مفتوحة، وراء: موضع بهمذان ولا أدري قرية أو محلة.

برذعة:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١/٣١٤

وقد رواه أبو سعد بالدال المهملة، والعين مهملة عند الجميع: بلد في أقصى أذربيجان، قال حمزة: برذعة معرب برده دار، ومعناه بالفارسية موضع السبي، وذلك أن بعض ملوك الفرس سبى سبيا من وراء أرمينية وأنزلهم هناك، وقال هلال بن المحسن: برذعة قصبة أذربيجان، وذكر ابن الفقيه أن برذعة هي مدينة أران، وهي آخر حدود أذربيجان، كان أول من أنشأ عمارتها قباذ الملك، وهي في سهل من الأرض، عمارتها بالآجر والجص، وقال صاحب كتاب الملحمة: مدينة برذعة طولها تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وأربعون درجة في الإقليم السادس، طالعها الحوت ثلاث عشرة درجة، كف الخضيب في درجة طالعها وقلب العقرب في خامسها ويد الجوزاء في رابعها وسرة الجوزاء في رابعها بالحقيقة، وذكر أبو عون في زيجه: برذعة في الإقليم الخامس، طولها ثلاث وسبعون درجة، وعرضها ثلاث وأربعون درجة، وقال الإصطخري: برذعة مدينة كبيرة جدا أكثر من فرسخ في فرسخ، وهي نزهة خصبة كثيرة الزرع والثمار جدا، وليس ما بين العراق وخراسان بعد الري وأصبهان مدينة أكبر ولا أخصب ولا أحسن موضعا من مرافق برذعة، ومنها على أقل من فرسخ موضع يسمى الأندراب ما بين كرنة ولصوب ويقطان أكثر من مسيرة يوم، مشتبكة البساتين والباغات، كلها فواكه، وفيها **الفندق** الجيد أجود من **فندق** سمرقند، وبها شاه بلوط أجود من شاه بلوط الشام، ولهم فواكه تسمى الروقال في تقدير الغبيراء، حلو الطعم إذا أدرك، وفيه مرارة قبل أن يدرك، وببرذعة تين يحمل من لصوب يفضل على جميع أجناسه، ويرتفع منها من الإبريسم شيء كثير مستحدث من توت مباح لا مالك له، يجهز منه إلى فارس وخوزستان جهازا واسعا. وعلى ثلاثة فراسخ من برذعة نهر الكر فيه الشورماهي الذي يحمل إلى الآفاق مملحا، وهو نوع من السمك، ويرتفع من نهر الكر سمك أيضا يقال له الدواقن والعشب، وهما سمكان يفضلان على أجناس السمك بتلك النواحي. وببرذعة باب يسمى باب الأكراد تقوم عنده سوق تسمى الكركي في يوم الأحد." (١)

"وقد غرس فيه جميع الثمار وأصناف الرياحين، وفي شرقي مدينة تونس الميناء والبحيرة وباب قرطا جنة، ودونه داخل الخندق بساتين كثيرة وسواق تعرف بسواقي المرج، ويتصل بها جبل أجرد يقال له جبل أبي خفنجة، في أعلاه آثار بنيان وباب أرطة غربي تجاوره مقبرة يقال لها مقبرة سوق الأحد، ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف بغدير الفحامين، وربض المرضى خارج عن المدينة، وفي قبليه ملاحة كبيرة منها ملحهم وملح من يجاورهم، وجامع تونس رفيع البناء مطل على البحر ينظر الجالس فيه إلى جميع جواريه، ويرقى إلى الجامع من جهة الشرق على اثنتي عشرة درجة، وبها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة **وفنادق**

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١/٣٧٩

وحمامات، ودور المدينة كلها رخام بديع، ولها لوحان قائمان وثالث معرض مكان العتبة ومن أمثالهم: دور تونس أبوابها رخام وداخلها سخام وهي دار علم وفقه، وقد ولي قضاء إفريقية من أهلها جماعة ومع ذلك فهي مخصوصة بالتشغب والقيام على الأمراء والخلاف للولاة، خالفت نحو عشرين مرة وامتحن أهلها أيام أبي يزيد الخارجي بالقتل والسبي وذهاب الأموال قال صاحب الحدثان:

فويل لترشيش وويل لأهلها ... من الحبشي الأسود المتغاضب!

وقال بعض الشعراء:

لعمرك ما ألفيت تونس كاسمها، ... ولكنني ألفيتها وهي توحش

ويصنع بتونس للماء من الخزف كيزان تعرف بالريحية، شديدة البياض في نهاية الرقة تكاد تشف، ليس يعلم لها نظير في جميع الأقطار، وتونس من أشرف بلاد إفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة، فمن ذلك اللوز الفريك يفرك بعضه بعضا من رقة قشره ويحت باليد وأكثره حبتان في كل لوزة مع طيب المضغة وعظم الحبة، والرمان الضعيف الذي لا عجم له البتة مع صدق الحلاوة وكثرة المائية، والأترج الجليل الطيب الذكي الرائحة البديع المنظر، والتين الخارمي أسود كبير رقيق القشر كثير العسل لا يكاد يوجد له بزر، والسفرجل المتناهي كبرا وطيبا وعطرا، والعناب الرفيع في قدر الجوزة، والبصل القلوري في قدر الأترج مستطيل سابري القشر صادق الحلاوة كثير الماء، وبها من أجناس السمك ما لا يوجد في غيرها، يرى في كل شهر جنس من السمك لا يرى في الذي قبله، يملح فيبقى سنين صحيح الجرم طيب الطعم، منه جنس يقال له النقونس يضربون به المثل فيقولون: لولا النقونس لم يخالف أهل تونس.

قال البكاري: بين تونس والقيروان منزل يقال له مجقة، إذا كان أوان طيب الزيتون بالساحل قصدته الزرازير فباتت فيه وقد حمل كل طائر منها زيتونتين في مخلبيه فيلقيهما هناك، وله غلة عظيمة تبلغ سبعين ألف درهم ويقال لبحر تونس رادس، وكذلك يقال لمرساها مرسى رادس، وأهلها موصوفون بدناءة النفس وافتتحها حسان بن نعمان بن عدي بن بكر بن مغيث الأسدي في أيام عبد الملك، نزل عليها فسأله الروم أن لا يدخل عليهم وأن يضع عليهم خراجا يقسطه عليهم، فأجابهم إلى ذلك، وكانت لهم سفن معدة فركبوها ونجوا وتركوا المدينة خالية، فدخلها حسان فحرق وخرب وبنى بها مسجدا وأسكنها طائفة من المسلمين، ورجع حسان إلى القيروان فرجعت الروم إلى المسلمين فاستباحوهم، فأرسل حسان من أخبر عبد الملك بالقضية، فأمده بجيش كثير قاتل بهم الروم." (١)

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٦١/٢

"ومن عجب أن الغنيين أبرقا، ... مغيرين في أقطار شعري، وأرعدا
فقد نقلاه عن بياض مناسبي ... إلى نسب في الخالدية أسودا
وقد نسب بهذه النسبة أبو الحسن محمد بن أحمد الخالدي الشاهد منسوب إلى سكة خالد بنيسابور سمع أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ولم يقتصر عليه فخلط به غيره فضعفه الحاكم.
خالد:
سكة خالد: بنيسابور، ينسب إليها أبو الحسن محمد بن أحمد الخالدي الشاهد، سمع أبا بكر محمد ابن خزيمة ولم يقتصر عليه فحدث عن شيوخ أخيه.

الخالص:
اسم كورة عظيمة من شرقي بغداد إلى سو بغداد، وهذا اسم محدث لم أجده في كتب الأوائل ولا تصنيف، وإنما هو اليوم مشهور، ولعلي أكشف عن سببه إن شاء الله تعالى، ووجدت في كتاب الديرة أن نهر الخالص هو نهر المهدي.

الخالصة:
قال أبو عبيد السكوني: بركة خالصة بين الأجفر والخزيمية بطريق مكة من الكوفة على ميلين من الأغر، وبينها وبين الأجفر أحد عشر ميلا وأظن خالصة التي نسبت هذه البركة إليها هي الجارية السوداء التي كان بعض الخلفاء يكرمها ويلبسها الحلي الفاخر، فقال بعض الشعراء:
لقد ضاع شعري على بابكم ... كما ضاع در على خالصه
فبلغ الخليفة ذلك فأمر بإحضاره وأنكر عليه بما بلغه منه، فقال: يا أمير المؤمنين كذبوا، إنما قلت:
لقد ضاء شعري على بابكم ... كما ضاء در على خالصه
فاستحسن الخليفة تخلصه منه وأمر له بجائزة حسنة بعد أن أراد أن يفتك به، وبلغني أن هذه الحكاية حوضر بها في مجلس القاضي أبي علي عبد الرحيم النيسابوري فقال: هذا بيت قلعت عينه فأبصر، وهذا من لطيف الاختراع. وخالصة: مدينة بصقلية ذات سور من حجارة يسكنها السلطان وأجناده، وليس بها سوق ولا فنادق، وهي على نحر البحر، ولها أربعة أبواب، ذكر ذلك ابن حوقل، وحدثني أبو الحسن علي بن باديس أنها اليوم محلة في وسط بلرم وبلرم محيط بها.
الخال:

الخال في لغتهم ينصرف إلى معان كثيرة تفوت الحصر، والخال: اسم جبل تلقاء الدثينة لبني سليم، وقيل: في أرض غطفان، وأنشد:

أهاجك بالخال الحمول الدوافع، ... فأنت لمهواها من الأرض نازع؟

والخال أيضا: موضع في شق اليمن. وذات الخال:

موضع آخر، قال عمرو بن معدي كرب:

وهم قتلوا بذات الخال قيسا ... وأشعث، سلسلوا في غير عهد

فكتب ما في أخبار أبي الطيب من أسماء الخال.

خالة:

هو مؤنث الذي قبله: وهو ماء لكلب بن وبرة في بادية الشام، قال النابغة:

بخالة أو ماء الذنابة أو سوى ... مظنة كلب أو مياه المواطر

وتروى بالحاء المهملة، وكل هذه مواضع، قال أبو عمرو: استسقى عدي بن الرقاع بني بحر من بني زهير بن جناب الكلبيين وهم على ماء لهم يقال له خالة وفيه جفر يقال له القنيني كانت بنو تغلب قد رعت فيه فوقع قعب في القنيني وزعم أنه وجد القعب في التراب، فاقتتلت في ذلك الجفر بنو تغلب حتى كادت." (١)

"لك مطيعون وليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريده، يعنون اللات، إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم وبعثوا معه بأبي رغال رجل منهم يدله على مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالمغمس، فلما نزله مات أبو رغال هناك فرجم قبره العرب، فهو القبر الذي يرجم بالمغمس، وفيه يقول جرير بن الخطفى:

إذا مات الفرزدق فارجموه ... كما ترمون قبر أبي رغال

الرغام:

بفتح أوله، وهو دقاق التراب، ومنه أرغمته أي أهنته وألزقته بالتراب، وقال الأصمعي:

الرغام من الرمل الذي لا يسيل من اليد، وقال الفرزدق في جرير:

تبكي المراغة بالرغام على ابنها، ... والناهقات يصحن بالإعوال

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢/٣٣٩

وهو اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة بالوشم، قالت امرأة من بني مرة:

أيا جبلي وادي عزيزة التي ... نأت عن ثوى قومي وحم قدومها

ألا خليا تجري الجنوب لعله ... يداوي فؤادي من جواه نسيمها

وق٫لا لركبان تميمية غدت ... إلى البيت ترجو أن تحط جرومها

فإن بأكناف الرغام قريبة ... مولهة ثكلى طويل نئيمها

رغباء:

اسم بئر في شعر كثير حيث قال:

أبت إبلي ماء الرداه وشفها ... بنو العم يحمون النضيح المبردا

إذا وردت رغباء في يوم وردها ... قلوصي دعا إعطاشه وتبلدا

فإني لأستحييكم أن أذمكم، ... وأكرم نفسي ان تسيئوا وأحمدا

رغبان:

بفتح أوله، وبعد ثانيه الساكن باء موحدة، وآخره نون، مسجد ابن رغبان: كان ببغداد وكان مشهورا باجتماع أهل العلم والفضل فيه.

رغمان:

فعلان من الرغم، وهو الإهانة: اسم رمل.

رغوان:

اسم موضع في شعر أعشى باهلة حيث قال:

وأقبل الخيل من تثليث مصغبة، أو ضم أعينها رغوان أو حضر

رغوة:

بضم أوله، بلفظ رغوة اللبن وغيره: ماء بأجإ أحد جبلي طيء.

رغيمان:

بلفظ تصغير الرغم وتثنيته: موضع، قال:

أحس قنيصا بالرغيمين خاتلا

باب الراء والفاء وما يليهما

رفح:

بفتح أوله وثانيه، وآخره حاء مهملة: منزل في طريق مصر بعد الداروم بينه وبين عسقلان يومان للقاصد مصر، وهو أول الرمل، خرب الآن، تنسب إليه الكلاب، وله ذكر في الأخبار، قال أبو حاتم: من قرون البقر الأرفح، وهو الذي يذهب قرناه قبل أذنيه، قال المهلبي: ورفح مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر **وفنادق**، وأهلها من لخم وجذام، وفيهم لصوصية وإغارة على أمتعة الناس حتى إن كلابهم أضر كلاب أرض بسرقة ما يسرق مثله الكلاب، ولها والي معونة برسمه عدة من الجند، ومن رفح إلى مدينة غزة ثمانية عشر." (١)

"يوما، وعلى ثلاثة أيام من رفح من جنب هذه غزة شجر جميز مصطف من جانبي الطريق عن اليمين والشمال نحو ألف شجرة متصلة أغصان بعضها ببعض مسيرة نحو يومين، وهناك منقطع رمل الجفار، ويقع المسافرون في الجلد.

الرفدة:

ماء في سبخة بالسوارقية.

رفرف:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وتكرير الراء والفاء، وقد ذكرت تفسيره في دارة رفرف:

وهو موضع في ديار بني نمير. وذات رفرف:

واد لبني سليم.

رفنية:

بفتح أوله وثانيه، وكسر النون، وتشديد الياء المنقوطة من تحت باثنتين: كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رفنية تدمر، وقال قوم:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣/٥٤

رفنية بلدة عند طرابلس من سواحل الشام، ينسب إليها محمد بن نوار الرفني، سمع حيان الرفني صاحب رفنية.

الرفون:
بضم أوله، وآخره نون: من قرى سمرقند، عن السمعاني.

الرفيف:
بفتح الراء، وكسر الفاء، وياء ساكنة.
قصر كان في أول العراق من ناحية الموصل لم يكن أحد يجوزه إلا بخاتم المتوكل. وإياه أراد البحتري بقوله:
سلكت بدجلة ساريات ركابنا ... يرصدنها للورد إغباب السرى
فإذا طلعن من الرفيف فإننا ... خلقاء أن ندع العراق ونهجرا
قل الكرام فصار يكثر فذهم، ... ولقد يقل الشيء حتى يكثرا
إن يتن إسحاق بن كنداجيق في ... أرض فكل الصيد في جوف الفرا

باب الراء والقاف وما يليهما
رقادة:
بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام، وكان دورها أربعة وعشرين ألف ذراع وأربعين ذراعا، وأكثرها بساتين، ولم يكن بإفريقية أطيب هواء ولا أعدل نسيما وأرق تربة منها، ويقال: إن من دخلها لا يزال مستبشرا من غير سبب، وذكروا أن أحد بني الأغلب أرق وشرد عنه النوم أياما فعالجه إسحاق المتطبب الذي ينسب إليه اطريفل إسحاق فلم ينم فأمره بالخروج والمشي، فلما وصل إلى موضع رقادة نام فسميت رقادة يومئذ واتخذها دارا ومسكنا وموضع فرجة للملوك، وقيل في تسميتها برقادة: إن أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري القائم بدعوة الإباضية بأطرابلس لما نهض إلى القيروان لقتال رنجومة وكانوا قد تغلبوا على القيروان مع عاصم بن جميل التقى بهم بموضع رقادة وهي إذ ذاك منية، فقتلهم هناك قتلا ذريعا فسميت رقادة لرقاد قتلاهم بعضهم فوق بعض، والمعروف أن الذي بنى رقادة إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وانتقل إليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا وعمرت الأسواق والحمامات والفنادق فلم تزل

بعد ذلك دار ملك لبني الأغلب إلى أن هرب عنها زيادة الله من أبي عبد الله الشيعي وسكنها عبيد الله إلى أن انتقل إلى المهدية سنة ٣٠٨، وكان ابتداء تأسيس إبراهيم بن أحمد لها سنة ٢٦٣، فلما انتقل عنها عبيد الله إلى المهدية دخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها ولم تزل تخرب شيئا بعد شيء إلى أن ولي معد بن إسماعيل فخرب ما بقي من آثارها ولم يبق." (١)

"وقال الشاعر:

وخافت من جبال السغد نفسي، ... وخافت من جبال خوارزم

وذكر أبو عبد الله المقدسي أن بالسغد اثني عشر رستاقا:

ستة جنوبي النهر، وهي بنجكث ثم ورغسر ثم ما يمرغ ثم سحرقعر ثم درغم ثم أوفر، وأما الشمالية فأعلاها باركث ثم وريمد ثم بورماجر ثم كبوذنجكث ثم وذار ثم المرزبان، ومن مدنها:

كشانية وإشتيخن ودبوسية وكرمينية، والله أعلم.

باب السين والفاء وما يليهما

سفا:

موضع من نواحي المدينة، قال ابن هرمة:

أقصرت عن جهلي الأدنى وحلمني ... زرع من الشيب بالفودين منقود

حتى لقيت ابنة السعدي يوم سفا، ... وقد يزيد صباي البدن الغيد

فاستوقفتني وأبدت موقفا حسنا ... بها وقالت لقناص الصبا: صيدوا

إن الغواني لا تنفك غانية ... منهن يعتادني من حبها عيد

سفار:

بوزن قطام، اسم معدول عن مسافر:

منهل قبل ذي قار بين البصرة والمدينة، وهو لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، قاله ابن حبيب، قال الفرزدق:

متى ما ترد يوما سفار تجد بها ... أديهم يروي المستجيز المعورا

المستجيز: المستسقي، والمعور: الذي لا يسقى، وقال المنخل بن سبيع العنزي في يوم سفار:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥٥/٣

لقد نعبت طير الهديل وشحشحت ... غداة سفار بالنحوس الأشائم

ولاقى بها مرعى الغنيمة مجدبا ... وخيما على المرتاد مرعى الغنائم

أتاها فلاقى بين أرجاء حفرها ... سهام المنايا الضاريات الحوائم

وكان فيه يوم مشهور من أيام العرب بين بكر بن وائل وبني تميم فر فيه جبر بن رافع فارس بكر ابن وائل فسلبه سلمة بن مرارة التميمي بزه وقال:

ولما رأى أهل الطوي تبادروا ال ... نجاء وألقى درعه شيخ وائل

وفي كتاب ابن الفقيه: سفار بلد بالبحرين.

سفاقس:

بفتح أوله، وبعد الألف قاف، وآخره سين مهملة: مدينة من نواحي إفريقية جل غلاتها الزيتون، وهي على ضفة الساحل، بينها وبين المهدية ثلاثة أيام وبين سوسة يومان وبين قابس ثلاثة أيام، وهي على البحر ذات سور، وبها أسواق كثيرة ومساجد وجامع، وسورها صخر وآجر، وفيها حمامات **وفنادق** وقرايا كثيرة وقصور جمة ورباطات على البحر ومنائر يرقى إليها في مائة وستين درجة في محرس يقال له بطرية، وهي في وسط غابة الزيتون، ومن زيتها يمتار أكثر أهل المغرب وكان يحمل إلى مصر وصقلية والروم ويكون فيها رخيصا جدا، يقصدها التجار من الآفاق بالأموال لابتياع الزيت، وعمل أهلها القصارة والكمادة مثل أهل الإسكندرية وأجود، والطريق من سفاقس إلى قيروان ثلاثة أيام ومنها إلى المهدية يومان، ينسب إليها أبو حفص عمر ابن محمد بن إبراهيم البكري السفاقسي المتكلم، لقيه السلفي وأنشده وقال: كان من أهل الأدب وله." (١)

"إلى طرخ اسم رجل أو غيره، وأباذ بمعنى النسبة في كلام الفرس: قرية من قرى جرجان في ظن أبي سعد.

طررة:

بالكسر، والفتح، وإظهار التضعيف، جمع طرة الوادي، ومنه المثل: أطري فإنك ناعلة، يضرب مثلا في الجلادة، وأصله أن رجلا قاله لراعية له كانت ترعى في السهولة وتترك الحزونة، أي خذي طرر الوادي أي نواحيه فإنك ناعلة أي في رجليك نعلان، وطررة: اسم موضع.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣/٢٢٣

طرسوس:

بفتح أوله وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة، بوزن قربوس، كلمة عجمية رومية، ولا يجوز سكون الراء إلا في ضرورة الشعر لأن فعلول ليس من أبنيتهم، قال صاحب الزيج: طول طرسوس ثمان وخمسون درجة ونصف، وعرضها ست وثلاثون درجة وربع، وهي في الإقليم الرابع، وقالوا: سميت بطرسوس بن الروم بن اليفز بن سام ابن نوح، عليه السلام، وقيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان كان خادما للرشيد في سنة نيف وتسعين ومائة، قاله أحمد بن محمد الهمذاني، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، قال أحمد بن الطيب السرخسي: رحلنا من المصيصة نريد العراق إلى أذنة ومن أذنة إلى طرسوس، وبينها وبين أذنة ستة فرسخ، وبين أذنة وطرسوس فندق بغا والفندق الجديد، وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب ويشقها نهر البردان وبها قبر المأمون عبد الله بن الرشيد جاءها غازيا فأدركته منيته فمات، فقال الشاعر:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون في عز ملكه المأسوس؟

غادروه بعرصتي طرسوس ... مثل ما غادروا أباه بطوس

وما زالت موطنا للصالحين والزهاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين ثم لم تزل مع المسلمين في أحسن حال وخرج منها جماعة من أهل الفضل إلى أن كان سنة ٣٥٤ فان نقفور ملك الروم استولى على الثغور وفتح المصيصة، كما نذكره في موضعه، ثم رحل عنها ونزل على طرسوس وكان بها من قبل سيف الدولة رجل يقال له ابن الزيات ورشيق النسيمي مولاه فسلما إليه المدينة على الأمان والصلح على أن من خرج منها من المسلمين وهو يحمل من ماله مهما قدر عليه لا يعترض من عين وورق أو خرثي وما لم يطق حمله فهو لهم مع الدور والضياع، واشترط تخريب الجامع والمساجد، وأنه من أراد المقام في البلد على الذمة وأداء الجزية فعل وإن تنصر فله الحباء والكرامة وتقر عليه نعمته، قال: فتنصر خلق فأقرت نعمهم عليهم وأقام نفر يسير على الجزية وخرج أكثر الناس يقصدون بلاد الإسلام وتفرقوا فيها، وملك نقفور البلد فأحرق المصاحف وخرب المساجد وأخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله مما كان جمع من أيام بني أمية إلى هذه الغاية، وحدث أبو القاسم التنوخي قال: أخبرني جماعة ممن جلا عن ذلك الثغر أن نقفور لما فتح طرسوس نصب في ظاهرها علمين ونادى مناديه: من أراد بلاد الملك الرحيم وأحب العدل والنصفة والأمن على المال والأهل والنفس والولد وأمن السبل وصحة الأحكام والإحسان في المعاملة وحفظ الفروج وكذا وكذا، وعد أشياء جميلة، فليصر تحت هذا العلم ليقفل مع الملك إلى بلاد الروم، ومن أراد الزنا واللواط

والجور في الأحكام والأعمال وأخذ الضرائب وتملك الضياع عليه وغصب الأموال، وعد أشياء من هذا النوع غير جميلة، فليحصل تحت هذا العلم إلى بلاد." (١)

"الشام ساروا إلى مصر يمتارون وكان ليوسف حراس على أطراف البلاد من جميع نواحيها فمسكوا بالعريش وكتب صاحب الحرس إلى يوسف يقول له:

إن أولاد يعقوب الكنعاني قد وردوا يريدون البلد للقحط الذي أصابهم، فالى أن أذن لهم عملوا لهم عريشا يستظلون تحته من الشمس فسمي الموضع العريش، فكتب يوسف إلى عامله يأذن لهم في الدخول إلى مصر، وكان ما قصه الله تعالى في القرآن المجيد، وينسب إلى العريش أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن الفتح العريشي شاعر فقيه من أصحاب الحديث، يروي عنه ولده أبو الفضل شعيب بن أحمد وابن ابنه أبو إسحاق إبراهيم بن شعيب، كتب عنه السلفي شيئا من شعره، وقال الحسن بن محمد المهلبي: من الورادة إلى مدينة العريش ثلاثة فراسخ، قال: ومدينة العريش مدينة جليلة وهي كانت حرس مصر أيام فرعون، وهي آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر ويتقلدها والي الجفار وهي مستقرة، وفيها جامعان ومنبران. وهواؤها صحيح طيب، وماؤها حلو عذب، وبها سوق جامع كبير وفنادق جامعة كبيرة ووكلاء للتجار ونخل كثير، وفيها صنوف من التمور ورمان يحمل إلى كل بلد بحسبه، وأهلها من جذام، قال: ومنها إلى بئري أبي إسحاق ستة أميال، وهما بئران عظيمتان ترد عليهما القوافل وعندهما أخصاص فيها باعة، ومنها إلى الشجرتين وهي أول أعمال الشام ستة أميال، ومنها إلى البرمكية ستة أميال ثم إلى رفح ستة أميال.

عريض:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره ضاد، وهو بمعنى خلاف الطويل: وهي قنة منقادة بطرف النير نير بني غاضرة، وفي قول امرئ القيس:

قعدت له وصحبتي بين ضارج ... وبين تلاع يثلث فالعريض

فالعريض: جبل، وقيل: اسم واد، وقيل: موضع بنجد.

عريض:

تصغير عرض أو عرض، وقد سبق تفسيره، قال أبو بكر الهمذاني: هو واد بالمدينة له ذكر في المغازي: خرج أبو سفيان من مكة حتى بلغ العريض وادي المدينة فأحرق صورا من صيران وادي العريض ثم انطلق هو وأصحابه هاربين إلى مكة، وقال أبو قطيفة:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤/ ٢٨

ولحي بين العريض وسلع ... حيث أرسى أوتاده الإسلام
كان أشهى إلي قرب جوار ... من نصارى في دورها الأصنام
منزل كنت أشتهي أن أراه، ... ما إليه لمن بحمص مرام
وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم حنين حين فر الناس من أبيات:
لولا الإله وعبده وليتم ... حين استخف الرعب كل جبان
أين الذين هم أجابوا ربهم ... يوم العريض وبيعة الرضوان؟

عريضة:

من بلاد بني نمير، قال جران العود النميري:
تذكرنا أيامنا بعريضة ... وهضب قساء، والتذكر يشعف
الهضب: جنب الجبل.

عريعرة:

تصغير عرعرة، بتكرير العين والراء، وعرعرة الجبل غلظة معظمه: وهو ماء لبني ربيعة،." (١)

"له فنا، وبه قال محصن بن رباب الجرمي:
يهيج علي الشوق أن تحزأ الضحى ... فنا أو أرى من بعض أقطاره قطرا
فليت جبال الهضب كانت وراءه ... رواسي حتى يؤنس الناظر الغمرا
يقول: ألا تهدي لأم محمد ... قصائد عورا؟ ما أتيت إذا عذرا
لبئس إذا ما سرت إذ بلغ المدى، ... وما صنت عرضي إذ هجوت به نصرا
ولكنني أرمي العدى من ورائهم ... بصم تؤم الرأس أو تكسر الوترا

الفناة:

مثل الذي قبله وزيادة هاء: ماء لبني جذيمة ابن مالك بن نصر بن قعين بن أسد بجنب جبل يقال له فنا، وقد ذكر.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١١٤/٤

فناخره:

كورة بناحية فارس كانت مفردة ثم أدخلت في كورة أردشير خره.

فنجديه:

بالفتح ثم السكون ثم فتح الجيم، وكسر الدال، وياء ثم هاء خالصة، وينسب إليها فنجديهي، وهو كلمة مركبة أصلها بنج ديه ومعناها خمس قرى:

وكذا هي بليدة فيها خمس قرى قد اتصلت عمارة بعضها ببعض قرب مرو الروذ، وقد ذكرت في الباء.

فنجكان:

بالفتح ثم السكون، وجيم بعدها كاف، وآخره نون: قرية من قرى مرو.

فنجكرد:

بالفتح ثم السكون، وجيم مفتوحة، وكاف مكسورة، وراء ساكنة، ودال مهملة: قرية من نواحي نيسابور، ينسب إليها أبو علي الحسن بن محمد ابن الحسن الفقيه الأديب، سمع أبا عمرو بن مطر وأبا علي حامد بن محمد الرفاء، روى عنه أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود الداودي، مات ببوشنج سنة ٣٩٩، وأحمد بن عمر بن أحمد ابن علي أبو حامد الفنجكردي الطوسي، سمع أبا بكر بن خلف الشيرازي وأبا المظفر موسى بن عمران الصوفي وأبا القاسم عبد الرحمن بن أحمد الواحدي، ذكره في التحبير وقال: مات بنيسابور في آخر يوم من المحرم سنة ٥٣٤.

فنجة:

بالفتح ثم السكون، وجيم، قال ابن الأعرابي:

الفنج الثقلاء من الرجال، وفنجة: موضع في شعر أبي الأسود الدؤلي، وما أظنه إلا عجميا.

فند:

بالفتح ثم السكون، وآخره دال، وهو في الأصل قطعة من الجبل: وهو اسم جبل بعينه بين مكة والمدينة قرب البحر.

الفندق:

بالضم ثم السكون ثم دال مضمومة أيضا، وقاف: موضع بالثغر قرب المصيصة، وهو في الأصل اسم الخان بلغة أهل الشام. وفندق الحسين:

موضع آخر.

فندلاو:

أظنه موضعا بالمغرب، ينسب إليه يوسف بن درناس الفندلاوي المغربي أبو الحجاج الفقيه المالكي، قدم الشام حاجا فسكن بانياس مدة وكان خطيبا بها ثم انتقل إلى دمشق فاستوطنها ودرس بها على مذهب مالك، رضي الله عنه، وحدث بالموطإ وكتاب التلخيص لأبي الحسن القابسي، علق عنه أحاديث أبي القاسم الحافظ الدمشقي، كان صالحا فكها متعصبا للسنة، وكان الأفرنج قد نزلوا على دمشق يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول سنة ٥٤٣ ونزلوا بأرض قتيبة إلى جانب التعديل من زقاق الحصى وارتحلوا يوم السبت سادسه، وكان خرج إليهم أهل دمشق يحاربونهم فخرج الفندلاوي فيمن خرج فلقيه الأمير المتولي لقتالهم ذلك اليوم قبل أن يتلاقوا وقد." (١)

"ق

باب القاف والألف وما يليهما

قابس:

إن كان عربيا فهو من أقبست فلانا علما ونارا أو قبسته فهو قابس، بكسر الباء الموحدة:

مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر فيها نخل وبساتين غربي طرابلس الغرب، بينها وبين طرابلس ثمانية منازل، وهي ذات مياه جارية من أعمال إفريقية في الإقليم الرابع، وعرضها خمس وثلاثون درجة، وكان فتحها مع فتح القيروان سنة ٢٧ على ما يذكر في القيروان، قال البكري: قابس مدينة جليلة مسورة بالصخر الجليل من بنيان الأول ذات حصن حصين وأرباض وفنادق وجامع وحمامات كثيرة وقد أحاط بجميعها خندق كبير يجرون إليه الماء عند الحاجة فيكون أمنع شيء، ولها ثلاثة أبواب، وبشرقيها وقبليها أرباض يسكنها العرب والأفارق، وفيها جميع الثمار، والموز فيها كثير وهي تمير القيروان بأصناف الفواكه، وفيها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يقوم من خمس شجرات

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤/٢٧٧

غيرها، وحريرها أجود الحرير وأرقه وليس في عمل إفريقية حرير إلا في قابس، واتصال بساتين ثمارها مقدار أربعة أميال، ومياهها سائحة مطردة يسقى بها جميع أشجارها، وأصل هذا الماء من عين خرارة في جبل بين القبلة والغرب منها يصب في بحرها، وبها قصب السكر كثير، وبقابس منار كبير منيف يحدو به الحادي إذا ورد من مصر يقول:

يا قوم لا نوم ولا قرارا ... حتى نرى قابس والمنارا

وساحل مدينة قابس مرفأ للسفن من كل مكان، وحوالي قابس قبائل من البربر: لواتة ولماتة ونفوسة وزواوة وقبائل شتى أهل أخصاص، وكانت ولايتها منذ دخل عبيد الله إفريقية تتردد في بني لقمان الكناني، ولذلك يقول الشاعر:

لولا ابن لقمان حليف الندى ... سل على قابس سيف الردى

وبين مدينة قابس والبحر ثلاثة أميال، ومما يذكرون من معايبهم أن أكثر دورهم لا مذاهب لهم فيها وإنما يتبرزون في الأفنية فلا يكاد أحد منهم يفرغ من." (١)

"درجة وعشرون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وست دقائق، في الإقليم الرابع، طالعها القوس عشرون درجة من السرطان: مدينة عتيقة رومية فيها أبنية قديمة مكينة، وهو بلد حسن في وطاء من الأرض وله مرفأ جيد محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض والبحر على غربيها وهي على ضفته، ولذلك قال المتنبي:

ويوم جلبتها شعث النواصي ... معقدة السبائب للطراد

وحام بها الهلاك على أناس ... لهم باللاذقية بغي عاد

وكان الغرب بحرا من مياه، ... وكان الشرق بحرا من جياد

وقال المعري الملحد إذ كانت اللاذقية بيد الروم بها قاض وخطيب وجامع لعباد المسلمين إذا أذنوا ضرب الروم النواقيس كيادا لهم فقال:

في اللاذقية فتنة ... ما بين أحمد والمسيح

هذا يعالج دلبة، ... والشيخ من حنق يصيح

الدلبة: الناقوس، والشيخ الذي يصيح: أراد به المؤذن، قال ابن فضلان: واللاذقية مدينة قديمة سميت باسم بانيها، ورأيت بها في سنة ٤٤٦ أعجوبة وذلك أن المحتسب يجمع القحاب والغرباء المؤثرين للفساد من

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢٨٩/٤

الروم في حلقة وينادي على كل واحد منهم ويزايدون عليها إلى دراهم ينتهون إليها ليلتها عليه ويأخذونهم إلى الفنادق التي يسكنها الغرباء بعد أن يأخذ كل واحد منهم من المحتسب خاتم المطران حجة معه ويعقب الوالي له فإنه متى وجد إنسانا مع خاطئة وليس معه خاتم المطران ألزم خيانة، ومن هذه المدينة، أعني اللاذقية، خرج نيقولاوس صاحب جوامع الفلسفة وتوفلس صاحب الحجج في قدم العالم، وينسب إلى اللاذقية نصر الله بن محمد بن عبد القوي أبو الفتح بن أبي عبد الله المصيصي ثم اللاذقي الفقيه الشافعي الأصولي الأشعري نسبا ومذهبا، نشأ بصور وسمع بها أبا بكر الخطيب وأبا الفتح المقدسي الزاهد وعليه تفقه وأبا النصر عمر بن أحمد بن عمر القصار الآمدي، سمع بدمشق والأنبار وببغداد أبا محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي وبأصبهان، وكان صلبا في السنة، أقام بدمشق يدرس في الزاوية الغربية بعد وفاة شيخه أبي الفتح المقدسي، وكان وقف وقفا على وجوه البر، وكان مولده باللاذقية في سنة ٤٤٨، ومات سنة ٥٤٢، وهو آخر من حدث بدمشق عن أبي بكر الخطيب، وأسعد بن محمد أبو الحسن اللاذقي، حدث بدمشق عن أبي عثمان سعد بن عثمان الحمصي وموسى ابن الحسن الصقلي وإبراهيم بن مرزوق البصري وأبي عتبة البخاري، روى عنه جمح بن القاسم المؤذن وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن أسد القنوي، وكان قد ملكها الفرنج فيما ملكوه من بلاد الساحل في حدود سنة ٥٠٠، وهي في أيدي المسلمين إلى الآن، وفي هذا العام في ذي القعدة من سنة ٦٢٠ خرج إليها العسكر الحلبي وأقام فيها إقامة مديدة حتى خربوا القلعة وألحقوها بالأرض خوفا من أن يجيء الأفرنج فينزلوا عليها ويحولوا بين المسلمين وبينها فيملكوها على عادة لهم في ذلك، وقال أبو الطيب:

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى ... رضوى على أيدي الرجال تسير

خرجوا به ولكل باك خلفه ... صعقات موسى يوم دك الطور." (١)

"والجوف من أعمال قرطبة إحدى القواعد التي تخيرتها الملوك للسكنى من القياصرة والروم، وهي مدينة رائقة كثيرة الرخام عالية البنيان فيها آثار قديمة حسنة تقصد للفرجة والتعجب، وبينها وبين قرطبة ستة أيام، ولها حصون وقرى تذكر في مواضعها، ينسب إليها غير واحد من أهل العلم والرواية، منهم: سليمان ابن قريش بن سليمان يكنى أبا عبد الله أصله من ماردة وسكن قرطبة، وسمع من ابن وضاح ومن غيره من رجالها ورحل فسمع بمكة من علي بن عبد العزيز كتب أبي عبيد وغير ذلك، وسمع قريش جعفرا الخصيب المعروف بسيف السنة ودخل اليمن وسمع تعسفا من عبيد بن محمد الكشوري وغيره واستقضاه مروان

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٦/٥

ببطليوس ثم سار إلى قرطبة فسكنها وسمع منه الناس كثيرا، وكان ثقة، ومات بقرطبة في محرم سنة ٣٢٩.

ماردين:

بكسر الراء والدال، كأنه جمع مارد جمع تصحيح، وأرى أنها إنما سميت بذلك لأن مستحدثها لما بلغه قول الزباء:

تمرد مارد وعز الأبلق

ورأى حصانة قلعته وعظمها قال: هذه ماردين كثيرة لا مارد واحد، وإنما جمعه جمع من يعقل لأن المرود في الحقيقة لا يكون من الجمادات وإنما يكون من الجن والإنس وهما الثقلان الموصوفان بالعقل والتكليف، وماردين: قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع وقدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة **وخانات** ومدارس وربط وخانقاهات ودورهم فيها كالدرج كل دار فوق الأخرى وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع، وعندهم عيون قليلة الماء، وجل شربهم من صهاريج معدة في دورهم، والذي لا شك فيه أنه ليس في الأرض كلها أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا أحكم، وقد ذكرها جرير في قوله:

يا خزر تغلب إن اللؤم حالفكم ... ما دام في ماردين الزيت يعتصر

وقد ذكرت في الفتوح، قالوا: وفتح عياض بن غنم طور عبدين وحصن ماردين ودارا على مثل صلح الرها، وقد ذهب بعض الناس إلى أنها أحدثت عن قريب من أيامنا وأنه شاهد موضع القلعة ووجد به من شاهده وليس له بينة وهذا يكذبه قول جرير، قالوا: وكان فتحها وفتح سائر الجزيرة في سنة ١٩ وأيام من محرم سنة ٢٠ للهجرة في أيام عمر بن الخطاب، وقال أنشدني بعض الظرفاء فقال:

في ماردين، حماها الله، لي قمر ... لولا الضرورة ما فارقته نفسا

يا قوم قلبي عراقي يرق له، ... وقلبه جبلي قد قسا وعسا

مارشك:

بكسر الراء والشين معجمة: من قرى طوس، منها محمد بن الفضل بن علي أبو الفتح المارشكي الطوسي من أهل الطابران، كان إماما فاضلا متقنا مناظرا فحلا أصوليا حسن السيرة جميل الأمر كثير العبادة تفقه على أبي حامد الغزالي وكان من أنجب تلامذته الطوسيين، سمع نصر الله الخشنامي وعمر بن عبد الكريم الرواسي، سمع منه أبو سعد بطوس وتوفي بها خوفا من الغز وقت نزولهم بطوس وإحاطتهم بها من غير معاقبة في أواخر رمضان سنة ٥٤٩.

مارصمويل:

ويقال مار سمويل، ومار بالسريانية هو القس، وسمويل اسم رجل من الأحبار: وهو." [1]

"الناقة مع الحجاج، قلت: أما قولي أجل فلأنها بلدة جمعت الدنيا والآخرة فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها، ومن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها، وأما طيب هوائها فإنه لا سم لبردها ولا أذى لحرها، وأما الحسن فلا يرى أحسن من بنيانها ولا أنظف منها ولا أنزه من مسجدها، وأما كثرة الخيرات فقد جمع الله فيها فواكه الأغوار والسهل والجبل والأشياء المتضادة كالأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز، وأما الفضل فهي عرصة القيامة ومنها النشر وإليها الحشر وإنما فضلت مكة بالكعبة والمدينة بالنبي، صلى الله عليه وسلم، ويوم القيامة تزفان إليها فتحوي الفضل كله، وأما الكبر فالخلائق كلهم يحشرون إليها فأي أرض أوسع منها؟ فاستحسنوا ذلك وأقروا به، قال: إلا أن لها عيوبا، يقال إن في التوراة مكتوبا بيت المقدس طست من ذهب مملوء عقارب، ثم لا ترى أقذر من حماماتها ولا أثقل مؤنة وهي مع ذلك قليلة العلماء كثيرة النصارى وفيهم جفاء وعلى الرحبة **والفنادق** ضرائب ثقال وعلى ما يباع فيها رجالة وعلى الأبواب أعوان فلا يمكن أحدا أن يبيع شيئا مما يرتفق به الناس إلا بها مع قلة يسار، وليس للمظلوم أنصار، فالمستور مهموم والغني محسود والفقيه مهجور والأديب غير مشهور، ولا مجلس نظر ولا تدريس، قد غلب عليها النصارى واليهود وخلا المجلس من الناس والمسجد من الجماعات، وهي أصغر من مكة وأكبر من المدينة عليها حصن بعضه على جبل وعلى بقيته خندق، ولها ثمانية أبواب حديد:

باب صهيون وباب النية وباب البلاط وباب جب ارميا وباب سلوان وباب أريحا وباب العمود وباب محراب داود، عليه السلام، والماء بها واسع، وقيل: ليس ببيت المقدس أكثر من الماء والأذان قل أن يكون بها دار ليس بها صهريج أو صهريجان أو ثلاثة على قدر كبرها وصغرها، وبها ثلاث برك عظام: بركة بني إسرائيل وبركة سليمان وبركة عياض عليها حماماتهم لها دواع من الأزقة، وفي المسجد عشرون جبا مشجرة قل أن تكون حارة ليس بها جب مسيل غير أن مياها من الأزقة وقد عمد إلى واد فجعل بركتين تجتمع إليهما السيول في الشتاء وقد شق منهما قناه إلى البلد تدخل وقت الربيع فتدخل صهاريج الجامع وغيرها، وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقي نحو القبلة أساسه من عمل داود، طول الحجر عشرة أذرع

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣٩/٥

وأقل منقوشة موجهة مؤلفة صلبة وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان وشرفوه وكان أحسن من جامع دمشق لكن جاءت زلزلة في أيام بني العباس فطرحته إلا ما حول المحراب، فلما بلغ الخليفة خبره أراد رده مثلما كان فقيل له:

تعيا ولا تقدر على ذلك، فكتب إلى أمراء الأطراف والقواد يأمرهم أن يبني كل واحد منهم رواقا، فبنوه أوثق وأغلظ صناعة مما كان، وبقيت تلك القطعة شامة فيه وهي إلى حذاء الأعمدة الرخام، وما كان من الأساطين الـمشيدة فهو محدث، وللمغطى ستة وعشرون بابا: باب يقابل المحراب يسمى باب النحاس الأعظم مصفح بالصفر المذهب لا يفتح مصراعه إلا رجل شديد القوة عن يمينه سبعة أبواب كبار في وسطها باب مصفح مذهب وعلى اليسار مثلها وفي نحو المشرق أحد عشر بابا سواذج وخمسة عشر رواقا على أعمدة رخام أحدثها عبد الله بن طاهر، وعلى الصحن من الميمنة أروقة على أعمدة رخام وأساطين، وعلى المؤخر أروقة ازاج من الحجارة، وعلى وسط المغطى جمل عظيم خلف قبة حسنة، والسقوف كلها." (١)

"وأصبح سعد حيث أمست كأنه ... برابغة الممروخ زق مقير

فما نومت حتى ارتمى بثقالها ... من الليل قصوى لابة والمكسر

ممسى:

بالفتح ثم السكون، والسين مهملة، مقصور:

قرية بالمغرب.

ممطير:

مدينة بطبرستان، قال محمد بن أحمد الهمذاني:

مدينة طبرستان آمل وهي أكبر مدنها ثم ممطير وبينهما ستة فراسخ من السهل وبها مسجد ومنبر، وبين ممطير وآمل رساتيق وقرى وعمارات كثيرة.

الممنع:

بفتح النون وتشديدها: موضع في شعر الحطيئة.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٦٩/٥

الممهى:

بكسر الميم الأولى، وسكون الثانية، وفتح الهاء، والمهي: ترقيق الشفرة، والمها: بقر الوحش، والمهي: إرخاء الحبل ونحوه، فيصح أن يكون مفعلا من هذا كله: وهو ماء لبني عبس، قال الأصمعي: من مياه بني عميلة بن طريف ابن سعد الممهى وهي في جوف جبل يقال له سواج، وهو الذي يقول فيه الراجز:

يا ليتها قد جاوزت سواجا، ... وانفرج الوادي بها انفراجا

وسواج: من أخيلة الحمى.

باب المـيم والنون وما يليهما

منى:

بالكسر، والتنوين، في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمي بذلك لما يمنى به من الدماء أي يراق، قال الله تعالى:

من مني يمنى ٧٥: ٣٧، وقيل: لأن آدم، عليه السلام، تمنى فيها الجنة، قيل: منى من مهبط العقبة إلى محسر وموقف المزدلفة من محسر إلى أنصاب الحرم وموقف عرفة في الحل لا في الحرم، وهو مذكر مصروف، وقد أمتني القوم إذا أتوا منى، عن يونس، وقال ابن الأعرابي: أمنى القوم ومنى الله الشيء قدره وبه سمي منى، وقال ابن شميل: سمي منى لأن الكبش مني به أي ذبح، وقال ابن عيينة: أخذ من المنايا: وهي بليدة على فرسخ من مكة، طولها ميلان، تعمر أيام الموسم وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها، وقل أن يكون في الإسلام بلد مذكور إلا ولأهله بمنى مضرب، وعلى رأس منى من نحو مكة عقبة ترمى عليها الجمرة يوم النحر، ومنى شعبان بينهما أزقة والمسجد في الشارع الأيمن ومسجد الكبش بقرب العقبة وبها مصانع وآبار وخانات وحوانيت وهي بين جبلين مطلين عليها، وكان أبو الحسن الكرخي يحتج بجواز الجمعة بها لأنها ومكة كمصر واحد، فلما حج أبو بكر الجصاص ورأى بعد ما بينهما استضعف هذه العلة وقال: هذه مصر من أمصار المسلمين تعمر وقتا وتخلو وقتا وخلوها لا يخرجها عن حد الأمصار، وعلى هذه العلة يعتمد القاضي أبو الحسن القزويني، قال البشاري:

وسألني يوما كم يسكنها وسط السنة من الناس؟ قلت:

عشرون إلى ثلاثين رجلا قلما تجد فيه مضربا إلا وفيه امرأة تحفظه، فقال: صدق أبو بكر وأصاب فيما علل، قال: فلما لقيت الفقيه أبا حامد البغوي بنيسابور حكيت له ذلك فقال: العلة ما نص به الشيخ أبو الحسن، ألا ترى إلى قول الله عز وجل: ثم محلها إلى البيت العتيق، وقال تعالى: هديا بالغ الكعبة، وإنما

يقع النحر بمنى؟ وقد ذكر منى الشعراء فقال بعضهم:

ولما قضينا من منى كل حاجة،

ومسح بالأركان من هو ماسح." (١)

"عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير، وبالمنستير البيوت الحجر والطواحين الفارسية ومواجل الماء، وهو حصن كبير عال متقن العمل، وفي الطبقة الثانية مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه وفيه جماعة من الصالحين المرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل والوطن، وفي قبلته حصن فسيح مزار للنساء المرابطات، وبها جامع متقن البناء وهو آزاج معقودة كلها، وفيه حمامات وغدر، وأهل القيروان يتبرعون بحمل الأموال إليهم والصدقات، وبقرب المنستير ملاحة يحمل ملحها في المراكب إلى عدة مواضع، قال: ومنستير عثمان بينه وبين القيروان ست مراحل، وهي قرية كبيرة آهلة بها جامع وفنادق وأسواق وحمامات وبئر لا تنزف وقصر للأول مبني بالصخر كبير، وأرباب المنستير قوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان وهو اختطه عند دخوله إفريقية وبه عرب وبربر، ومنه إلى مدينة باجة ثلاث مراحل، والمنستير في شرق الأندلس بين لقنت وقرطاجنة، كتب إلي بذلك أبو الربيع سليمان بن عبد الله المكي عن أبي القاسم البوصيري عن أبيه.

المنشار:

بكسر أوله، بلفظ المنشار الذي يشق به الخشب: وهو حصن قريب من الفرات، وقال الحازمي: منشار جبل أظنه نجديا.

منشد:

بالضم ثم السكون، وكسر الشين، ودال مهملة، بلفظ أنشد ينشد فهو منشد: موضع بين رضوى جبل بني جهينة وبين الساحل وجبل من حمراء المدينة على ثمانية أميال من طريق الفرع، وإياه أراد معن بن أوس المزني بقوله بعد ذكر منازل وغيرها:

تعفت مغانيها وخف أنيسها ... من ادهم محروس قديم معاهده

فمندفع الغلان من جنب منشد، ... فنعف الغراب خطبه وأساوده

ومنشد: بلد لبني سعد بن زيد مناة بن تميم، ومنشد:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٩٨/٥

في بلاد طيء، قال زيد الخيل وكان يتشوقه وقد حضرته الوفاة:
سقى الله ما بين القفيل فطابة ... فما دون أرمام فما فوق منشد

منشم:
بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الشين المعجمة، وميم، والنشم: شجر الجبال تعمل منه القسي، وليس هذا منشم، بفتح الشين، للعطر في قول زهير:
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
قال أبو عبيدة: موضع.

المنشية:
بضم الميم، وسكون النون، وكسر الشين، والياء مشددة: اسم لأربع قرى بمصر: إحداها من كورة الجيزية من الحبس الجنوبي، والثانية من عمل قوص، والثالثة من عمل إخميم يقال لها منشية الصلعاء، والصلعاء: قرية إلى جانبها، والرابعة المنشية الكبرى من كورة الدنجاوية.

منصح:
بالفتح ثم السكون، وفتح الصاد، من قولهم:
نصح الغيث البلاد إذا اتصل نبتها فلم يكن فيه فضاء ولا خلل، ومنصح من نصح ينصح لموضع حرف الحلق: وهو واد بتهامة وراء مكة، قال امرؤ القيس بن عابس السكوني:
ألا ليت شعري هل أرى الورد مرة ... يطالب سربا موكلا بغراز." (١)
"وهو موضع قرب ينبع، قال العجاج: ... في بيض ودعان مكان سي
أي مستو، وهو موصوف بكثرة البيض.

ودقان:
بالفتح ثم السكون، والقاف، وبعد الألف نون، يجوز أن يكون فعلان من الودق وهو المطر قليلا كان أو كثيرا، أو من الوديقة وهي شدة الحر، سميت وديقة لأنها ودقت على كل شيء أي وصلت، أو من قولهم

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥/٢١٠

وديقة من بقل وعشب: وهو موضع ذكر في الجمهرة.

الودكاء:

بالفتح، من الودك وهو الدهن والدسم:

رملة أو موضع بعينه، قال ابن أحمر:

أم كنت تعرف أبياتا فقد جعلت ... أطلال إلفك بالودكاء تعتذر

الوديان:

أرض بمكة لها ذكر في المغازي.

الوديك:

بالضم ثم الفتح، وياء، وكاف، بلفظ التصغير: موضع، قال عبيد بن الأبرص:

وهل رام عن عهدي وديك مكانه ... إلى حيث يفضي سيل ذات المساجد؟

باب الواو والذال وما يليهما

وذار:

بالفتح، وآخره راء: من قرى سمرقند على أربعة فراسخ منها، فيها منارة وجامع وحصن حسن، وهي كبيرة كثيرة البساتين والزروع في سهل وجبل ومباخس، ووذار وكس من قرى هذا الرستاق لقوم من بني بكر بن وائل يعرفون بالساعية كانت لهم ولاية وضيافات ومساع حسنة، ينسب إليها من المتأخرين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن صالح الخطيب السمرقندي ثم الوذاري، مولده بوذار سنة ٤٨٧، وأبو مزاحم سباع بن النضر ابن مسعدة السكري الوذاري، كان له معروف وأفضال، سمع يحيى بن معين وعلي بن المديني، روى عنه أبو عيسى الترمذي ومحمد بن إسحاق الحافظ السمرقندي وغيره، توفي سنة ٢٠٩. ووذار أيضا:

قرية بأصبهان.

الوذ:

بالفتح، وتشديد الذال، كذا ضبطه ابن موسى:
موضع بتهامة أحسبه جبلا.

وذرة:
بالفتح ثم السكون، والراء: من أقاليم أكشونية بالأندلس.

وذفة:
بالتحريك، قال ابن الأعرابي: الوذفة بظارة المرأة، والتوذف الإسراع في المشي والتبختر:
وهو اسم موضع، عن ابن دريد.

وذلان:
بالفتح ثم السكون، وآخره نون: من قرى أصبهان.

وذنكاباذ:
بفتح أوله وثانيه، وسكون النون، ومعناه عمارة وذنك: من قرى أصبهان، ينسب إليها محمد بن إبراهيم بن عمر أبو بكر سبط هبة الله الوذنكاباذي المؤدب، ومحمد بن علي بن محمد بن أحمد الوذنكاباذي أبو عبد الله، حدث عن ابن الشيخ.

باب الواو والراء وما يليهما
وراخ:
ناحية باليمن، قال الصليحي:
ما اعتذاري وقد ملكت وراخا ... عن قراع العدى وقود الرعال؟

الورادة:
منزل في طريق مصر من الشام في وسط الرمل والماء الملح من أعمال الجفار، فيها سوق للمتعيشين ومنازل

لهم ومسجد ومبرجة الحمام يكتب ويعلق على أجنحتها ويرسل إلى مصر بالوارد والصادر، وكانت قديما مدينة فيها سوق وجامع **وفنادق**، وكان." [1]

"فلخار (٤) ٢٧٢ الفلس (٤) ٢٧٣ (٥) ٢٠٥ فلسطين (١) ٣٦٨، ٥٢٣ (٢) ٤١، ١٤٥، ٤٠٨ (٣) ٣٢٥ (٤) ٤٦، ٢٧٤ (٥) ٤٢٥ فلشت (١) ٤٩٩ فلطاح (٤) ٢٧٥ الفلفل (٣) ٤٤٥ فلفلان (٤) ٢٧٥ الفلق (٤) ٢٧٥ فلق (٤) ٢٧٥ فلك (٤) ٢٧٥ الفلوجة (١) ١٧٤، ٣١٠، ٥١٦ (٢) ٤٧١ (٣) ١٢٥ (٤) ٢٧٥ فليج (١) ٥٢٨ (٤) ٢٤٣، ٢٧٦ فليجة (٤) ٢٧٦ فليش (٤) ٢٧٦ الفليق (٤) ٢٧٦ فم الصلح (٢) ٤، ٤٨١ (٣) ٤٢١ (٤) ٢٣٣، ٢٧٦ (٥) ٣٤، ٥١، ٣٤٨ فنا (٤) ٢٧٦ الفناة (٤) ٢٧٧ فناخرة (٤) ٢٧٧ فنجدية (٤) ٢٧٧ فنجكان (٤) ٢٧٧ فنجكرد (٤) ٢٧٧ فنجة (٤) ٢٧٧ فند (٤) ٢٧٧ **الفندق** (٤) ٢٧٧ **فندق** بغا (٤) ٢٨ فندلاو (٣) ٢٧٧ الفندم (٤) ٢٧٨، ٣٥١ فندورج (٤) ٢٧٨ فندوين (٤) ٢٧٨ فنديسجان (٤) ٢٧٨ فندين (٤) ٢٧٨ فنسجان (٤) ٢٧٨ الفنطاس (٣) ٢٨٣ فنك (٤) ٤٤، ٢٧٨ فنكد (٣) ٢٧٨ فنوني (٣) ٢٧٨ الفنيدق (٢) ٤٢ (٤) ٢٧٨ الفنيق (٤) ٢٧٨ فنين (٤) ٢٧٨ (٥) ١١٥ الفوارس (٤) ٢٧٩ (٥) ١٣٢ الفوارع (١) ١٦٥، ١٦٦ (٤) ٢٧٩ الفوارة (٤) ٦٣، ٢٧٩، ٣٧٤ (٥) ٥٣، ١٧٨ فوتق (٤) ٢٧٩ فود (٤) ٢٧٩ الفودجان (٤) ٢٧٩ فوذان (٤) ٢٧٩ الفور (٤) ٢٧٩." [2]

"فحدثت المدن والأمصار والقرى والديار. ثم إن الملوك الماضية لما أرادوا بناء المدن، أخذوا آراء الحكماء في ذلك، فالحكماء اختاروا أفضل ناحية في البلاد، وأفضل مكان في الناحية، وأعلى منزل في المكان من السواحل والجبال ومهب الشمال، لأنها تفيد صحة أبدان أهلها وحسن أمزجتها، واحترزوا من الآجام والجزائر وأعماق الأرض، فإنها تورث كربا وهرما.

واتخذوا للمدن سورا حصينا مانعا، وللسور أبوابا عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج، بل يدخل ويخرج من أقرب باب إليه. واتخذوا لها قهندزا لمكان ملك المدينة والنادي لاجتماع الناس فيه، وفي البلاد الإسلامية المساجد والجوامع والأسواق **والخانات** والحمامات، ومراكض الخيل، ومعاطن الإبل، ومرابض الغنم، وتركوا بقية مساكنها لدور السكان، فأكثر ما بناها الملوك العظماء على هذه الهيئة، فترى أهلها موصوفين بالأمزجة الصحيحة والصور الحسنة والأخلاق الطيبة، وأصحاب الآراء الصالحة والعقول الوافرة،

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣٦٩/٥

(٢) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٦٤٠/٧

واعتبر ذلك بمن مسكنه لا يكون كذلك مثل الديالم والجيل والأكراد، والتركمان وسكان البحر في تشويش طباعهم وركاكة عقولهم واختلاف صورهم.

ثم اختصت كل مدينة لاختلاف تربتها وهوائها بخاصية عجيبة، وأوجد الحكماء فيها طلسمات غريبة، ونشأ بها صنف من المعادن والنبات والحيوان لم يوجد في غيرها، وأحدث بها أهلها عمارات عجيبة، ونشأ بها أناس فاقوا أمثالهم في العلوم والأخلاق والصناعات، فلنذكر ما وصل إلينا من خاصية بقعة بقعة، إن شاء الله تعالى.." (١)

"وكان هارون شديد الخلق رابط الجأش فاعتمد في تلك الحالة على نابيه، وأصلهما مجوف، فانقلعا من أصلهما وأدبر الفيل وبقي النابان في يد هارون، وكان ذلك سبب هزيمة الهند، وغنم المسلمون، فقال هارون في ذلك:

مشيت إليه رادعا متمهلا ... وقد وصلوا خرطومه بحسام

فقلت لنفسي: إنه الفيل ضاربا ... بأبيض من ماء الحديد هذام

فإن تنكإي منه فعذرك واضح ... لدى كل منخوب الفؤاد عبام

ولما رأيت السيف في رأس هضبة ... كما لاح برق من خلال غمام

فعافسته حتى لزقت بصدره ... فلما هوى لازمت أي لزام

وعذت بنابيه وأدبر هاربا ... وذلك من عادات كل محامي

مليبار

ناحية واسعة بأرض الهند تشتمل على مدن كثيرة، بها شجرة الفلفل وهي شجرة عالية لا يزول الماء من تحتها، وثمرتها عناقيد إذا ارتفعت الشمس واشتد حرها تنضم على عناقيدها أوراقها، وإلا أحرقتها الشمس قبل إدراكها، وشجر الفلفل مباح إذا هبت الريح سقطت عناقيده، على وجه الماء، فيجمعها الناس، وكذلك تشنجها، ويحمل الفلفل من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وأكثر الناس انتفاعا به الفرنج يحملونه في بحر الشام إلى أقصى المغرب.

منى

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٨

بلدة على فرسخ من مكة طولها ميلان، وهي بين جبلين مطلين عليها، بها مصانع وآبار **وخانات** وحوانيت تعمر أيام الموسم، وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها.

من عجائبها أن الجمار التي ترمى منذ حج الناس إلى زماننا هذا لا يظهر بها." (١)

"رديئة. وفيها ثلاث برك: بركة بني إسرائيل، وبركة سليمان، وبركة عياض.

قال محمد بن أحمد البشاري المقدسي، وله كتاب في أخبار بلدان الإسلام: إنها متوسطة الحر والبرد، وقلما يقع بها ثلج، ولا ترى أحسن من بنيانها ولا أنظف ولا أنزه من مساجدها! قد جمع الله فيها فواكه الغور والسهل والجبل والأشياء المتضادة: كالأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز، إلا أن بها عيوبا منها ما ذكر في التوراة: انها طست ذهب مملوء عقارب، ثم لا يرى أقذر من حماماتها ولا أثقل مونة منها! وهي مع ذلك قليلة العلماء كثيرة النصارى، وفيهم جفاء على الرحبة **والفنادق** والضرائب ثقال على ما يباع فيها، وليس لمظلوم ناصر وليس بها أمكن من الماء والأذان.

بها المسجد الأقصى الذي شرفه الله تعالى وعظمه وقال: إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله. وقال، صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا. وهو في طرف الشرق من المدينة، أساسه من عمل داود، عليه السلام. طول كل حجر عشرة أذرع، وفي قبلته حجر أبيض عليه مكتوب: محمد رسول الله، خلقة لم يكتبه أحد. وصحن المسجد طويل عريض طوله أكثر من عرضه، وهو في غاية الحسن والإحكام، مبني على أعمدة الرخام الملونة، والفسيفساء الذي ليس في شيء من البلاد أحسن منه.

وفي صحن المسجد مصطبة كبيرة في ارتفاع خمسة أذرع، يصعد إليه من عدة مواضع بالدرج، وفي وسط هذه المصطبة قبة عظيمة مثمنة على أعمدة رخام مسقفة برصاص، منمقة من داخل وخارج بالفسيفساء، مطبقة بالرخام الملون. وفي وسطها الصخرة التي تزار، وعلى طرفها أثر قدم النبي، عليه السلام، وتحتها مغارة ينزل إليها بعدة درج يصلى فيها. ولهذه القبة أربعة أبواب، وفي شرقيها خارج القبة قبة أخرى على أعمدة حسنة يقولون: انها قبة السلسلة. وقبة المعراج أيضا على المصطبة، وكذلك قبة النبي، عليه." (٢)

"الفرنج فيما ملكوه من بلاد الساحل في حدود سنة خمسمائة. وللمسلمين بها جامع وقاض وخطيب، فإذا أذن المسلمون ضرب الفرنج بالناقوس غيظا، قال المعري:

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/١٢٣

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/١٦١

باللاذقية فتنة ... ما بين أحمد والمسيح

هذا يعالج دلبه ... والشيخ من حنق يصيح!

أراد بالدلب الناقوس وبالصياح الأذان.

قال ابن رطلين: رأيت باللاذقية أعجوبة، وذلك أن المحتسب يجمع الفواجر والغرباء المؤثرين للفجور في حلقته، وينادي على واحدة ويتزايدون، حتى إذا وقف سلمها إلى صاحبها مع ختم المطران. وهو يأخذها إلى **الفنادق**، فإذا وجد البطريق إنسانا لم يكن معه ختم المطران ألزمه جناية، فلما كانت سنة أربع وثمانين وخمسمائة استرجعها صلاح الدين يوسف، وهي إلى الآن في يد المسلمين.

اللجون

مدينة بالأردن. في وسطها صخرة كبيرة مدورة، وعلى الصخرة قبة مزار يتبركون بها.

حكي أن الخليل، عليه السلام، دخل هذه المدينة ومعه غنم له، وكانت المدينة قليلة الماء، فسألوه أن يرتحل لقلة الماء، فضرب بعصاه هذه الصخرة فخرج منها ماء كثير اتسع على أهل المدينة، حتى كانت قراهم ورساتيقهم تسقى من هذا الماء، والصخرة باقية إلى الآن.

ماردين

قلعة مشهورة على قلة جبل بالجزيرة، ليس على وجه الأرض قلعة أحسن منها ولا أحكم ولا أعظم، وهي مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين، وقدامها." (١)

"ربض عظيم فيه أسواق **وفنادق** ومدارس وربط. وضعها وضع عجيب ليس في شيء من البلدان مثلها، وذلك أن دورهم كالدرج كل دار فوق أخرى، وكل درب منها مشرف على ما تحته، وعندهم عيون قليلة، جل شربهم من الصهاريج المعدة في دورهم. وقال بعض الظرفاء:

في ماردين، حماها الله، لي سكن ... لولا الضرورة ما فارقتها نفسا

لأهلها ألسن لان الحديد لها ... وقلبهم جبلي قد قسا وعسا

ماسبذان

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٢٥٩

مدينة مشهورة بقرب السيروان، كثيرة الشجر كثيرة الحمات والكباريت والزاجات والبوارق والاملاح. بها عين عجيبة، من شرب منها قذف اخلاطا كثيرة، لكنه يضر بأعصاب الرأس، وإن احتقن بمائها أسهل إسهالا عظيما.

مجانة

بلدة بإفريقية تسمى قلعة بسر لأن بسر بن أرطاة فتحها. أرضها أرض طيبة ينبت بها زعفران كثير، بها معادن الفضة والحديد والمرتك والرصاص والكحل، وفي جنوبيها جبل تقطع منه أحجار الطواحين وتحمل إلى سائر بلاد العرب.

محجة

من قرى حوران. بها حجر يزوره الناس، وزعموا أن النبي، صلى الله عليه وسلم، جلس عليه.." (١)

"من المناصب مثل الوزارة، فلما رأى حمل فيه فضة اشترى به فقاعا وشربه، وألحق بالكتاب هذه الأبيات الثلاثة:

برين سال بكذشت از سي وبنج ... بدرويشي وناتواني ورنج

بذان تا بيري مرا بر دهذ ... مرا شاه مر تخت واسفر دهذ

جو اندر نهاذش بزركي نبوذ ... نيارست نام بزركان شنوذ

وحكي أن الشيخ قطب الدين أستاذ الغزالي اجتاز على قبر الفردوسي مع أصحابه، فقال بعضهم: نزور الفردوسي! فقال الشيخ: دعه فإنه صرف عمره في مدح المجوس! فرأى ذلك القائل الفردوسي في نومه يقول له: قل للشيخ لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق، وكان الانسان قتورا.

طيب

بليدة بين واسط وخوزستان، قال داود بن أحمد الطيبي: مدينة طيب من عمارة شيث بن آدم، عليه السلام، وما زال أهلها على ملة شيث إلى أن جاء الإسلام. والمدينة قديمة، أحدث القدماء بها أشياء وطلسمات، منها ما زال ومنها ما بقي. ومما زال قالوا: كان بها طلسم لدفع العقارب والحيات، وكان باقيا إلى قريب من زماننا.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٢٦٠

ومن عجائبها الباقية أن لا يدخلها زنبور البتة، فإن دخلها مات، ولا يدخلها غراب أبقع ولا عقعق.

طيزناباد

معناه عمارة الضراط. قرية بين الكوفة والقادسية على جادة الحاج من أنزه المواضع. وهي محفوفة بالكروم والأشجار والخانات والمعاصر، كانت أحد." [1]

"يمنعون من يذهب إليه بالثياب المصبوغة. وبقرب هذا التل عين يخرج الناس إليها كل ليلة جمعة، فيرون في بعض ناشئة الليل في تلك العين ضياء ونورا، حتى يتبين لهم الحصى والحجر، ويسمون تلك العين الثواب.

بتم

حصن منيع بناحية فرغانة. به معدن الذهب والفضة والنوشاذر الذي يحمل إلى سائر البلاد. وهو في جبل شبه غار قد بني عليه بيت يستوثق من بابه وكواه يرتفع منه بخار شبيه بالدخان في النهار وبالنار في الليل، فإذا تلبد هذا البخار يكون منه النوشاذر، ولا يتهيأ لأحد أن يدخل هذا البيت من شدة حره، إلا أن يلبس لبودا يرطبها بالماء، ثم يدخله كالمختلس فيأخذ ما يقدر عليه ويسرع الخروج.

بجانة

مدينة بالأندلس بقرب المرية. بها جمة غزيرة الماء يقصدها الزمنى ويسكنون بها، وأكثر من يواظب عليها يبرأ من زمانته. وبها فنادق مبنية بالحجارة لسكان قاصدي تلك الجمة، وربما لم يوجد بها المسكن لكثرة قاصديها .وعلى الجمة بيتان: أحدهما للرجال وهو على الجمة نفسها، والآخر للنساء يدخله الماء من بيت الرجال. وقد بني بيت ثالث مفروش بالرخام الأبيض، يأتيه الماء من قناة ويختلط بماء الجمة حتى يصير فاترا، ويدخله من لا يستطيع دخول ماء الجمة، وتخرج فضلتها تسقي الزروع والأشجار.

بخارى

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٤١٧

مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر قديمة طيبة. قال صاحب كتاب الصور: لم أر ولا بلغني أن في جميع بلاد الإسلام مدينة أحسن خارجا من بخارى.." (١)

"وبها **الخانات** على طرق القوافل على كل فرسخ خان، بنتها بنات السلاطين للثواب، فإن البرد بالروم ثمانية أشهر والثلج كثير، والقفل لا ينقطع في الثلج، فيمشون كل يوم فرسخا وينزلون في خان من **الخانات**، ويكون فيه من الطعام والشعير والتبن والحطب والبزر والاكاف والنعال والمنقل، وانها خير عظيم لم يبن مثلها في شيء من البلاد.

ومن خواص الروم أن الإبل لا تتولد بها، وإذا حملت إليها تسوء حالها وتتلف.

بها جبل أولستان. في وسط هذا الجبل شبه درب فيه دوران، من اجتاز فيه وفي حال اجتيازه يأكل الخبز بالجبن، ويدخل من أوله ويخرج من آخره لا يضره عضة الكلب الكلب، وإن عض إنسانا غيره فعبر من بين رجلي المجتاز يأمن أيضا غائلته. وهذا حديث مشهور بالروم.

وبها عين النار بين أقشهر وانطاكية، إذا غمست فيه قصبة احترقت. حدثني من شاهدها أنه قد ذكر للسلطان علاء الدين كيخسرو عند اجتيازه بها، فوقف عليها وأمر بتجربتها، فكان الأمر كما قالوا.

رندة

مدينة حصينة بأرض الأندلس من أعمال تاكرنا قديما. استجلب إليها المياه من ناحية المشرق وناحية المغرب فتوافي المياه داخلها.

بها نهر رندة، وهو نهر يتوارى في غار لا يرى جريه أميالا، ثم يخرج إلى وجه الأرض ويجري.

وبها نهر البرادة، وهو نهر يجري في أول الربيع إلى آخر الصيف، فإذا دخل الخريف ييس إلى أول الربيع من القابل، وهو على فرسخين من رندة.." (٢)

"ثم يتلو هذا الباب المصفح من جهة الشرق باب العراق وسمي بذلك لأنه يخرج منه إلى ناحية العراق وهو باب قديم مكتوب على بعض أبرحته: " أبو علوان ثمال لن صالح بن مرداس " وكان ثمال بحلب بعد العشرين وأربعمائة. وبين يدي هذا الباب ميدان أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وله بابان.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٥٠٩

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٥٣٢

وويلي هذا الباب شرقا باب دار العدل كان لا يركب منه إلا الملك الظاهر غياث الدين غازي وهو الذي بناه.

ويلي هذا الباب شرقا أيضا الباب الصغير وهو الباب الذي يخرج منه من تحت القلعة من جانب خندقها وخانقاه القصر إلى دار العدل ومن خارجه البابان اللذان جددهما الملك الظاهر غازي في السور الذي جدده على دار العدل أحدهما يدعى الباب الصغير أيضا يفتح على شفير الخندق ويخرج منه إلى الميدان المقدم ذكره والآخر مغلق.

ويلي الباب الصغير الأول باب أربعين وكان قد سد ثم فتح وله بابان واختلف في تسميته بهذا الاسم فقيل إنه خرج منه مرة أربعون ألفا فلم يعودوا فسمي بذلك وقيل إنما سمي بذلك وقيل إنما سمي لأنه كان بالمسجد الذي داخله أربعون من العباد وقيل أربعون محدثا وقيل كان به أربعون شريفا وإلى جانبه أعلى المسجد للأشراف مقبرة.

وهذه الثلاثة أبواب أعني باب العراق والباب الصغير وباب أربعين كان الملك الظاهر غياث الدين غازي قد سفح بين يديها تلا من التراب الذي أخرجه من خندق الروم سماه التواثير يحيط بها من شرقي قلعة الشريف إلى باب القناة وفتح فيه ثلاثة أبواب ولم يتمها فأتمها ولده الملك العزيز محمد وسمي القبلي منها باب المقام ويعرف الآن بباب نفيس " وهو " رجل كان به إسباسلارا.

ويلي هذا الباب شرقا باب سمي باب النيرب لأنه يخرج منه إلى قرية تسمى بهذا الاسم.

ويلي هذا الباب باب القناة وسمي بهذا الاسم لأن القناة التي ساقها الملك الظاهر من حيلان إلى المدينة تعبر منه.

ويلي باب أربعين المقدم ذكره من جهة الشمال باب النصر وكان يعرف قديما بباب اليهود لأن اليهود تجاوره بدورهم ومنه يخرجون إلى مقابرهم فاستقبح الملك الظاهر وقوع هذا الاسم عليه فسماه باب النصر وجعل عليه أربعة أبواب لكل بابين دركاه يسلك من إحداهما إلى الأخرى في حنيه معقودة وبنى عليه أبراجا محكمة البناء ويخرج منه على جسر معقود على الخندق وإلى **فنادق** أمر بإنشائها تباع فيها الغلات كان في مكانها تلال من التراب والرماد.

ويلي هذا الباب باب الفراديس وهو من غربي البلد أنشأه الملك الظاهر غياث الدين غازي وبنى عليه أبرجة عالية حصينة بعد وفاته ولم يزل مسدودا إلى أن فتحه الملك الناصر ابن ابنه.

ويلي هذا الباب باب الجنان وسمي بذلك لكونه يخرج منه إلى البساتين وله بابان.

ويلي هذا الباب باب إنطاكية وسمي بذلك لكونه يخرج منه إلى جهة إنطاكية وهذا الباب كان قد خربه نقفور لما استولى على حلب في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ثم لم عاد إليها سيف الدولة بناه ولم يزل على ما أنشأه إلى أن هده الملك الناصر صلاح الدين يوسف وبناه وكان ابتداء عمارته في سنة ثلاث وأربعين وستمائة. وتم في سنة خمس وأربعين وبني عليه برجان عظيمان وعمل له دركاه وحنايا " ينفذ " بعضها على بعض وله بابان.

ويلي هذا الباب باب السعادة يخرج منه إلى ميدان الحصى أنشأه الملك الناصر في سنة خمس وأربعين وبني عليه أبرجة وله دركاه وبابان. ومن هذا الباب إلى قنسرين. وكان بحلب من الأبواب قديما باب يسمى باب الفرج وهو إلى جانب حمام القصر المشهور أخربه الملك الظاهر ودرست معالمه وباب على الجسر الذي على نهر قريق خارج باب إنطاكية كان من بناء سيما الطويل وسماه باب السلامة دثرت معالمه وكانت الروم خربته أيام سيف الدولة بن حمدان وسنذكره في ذكر المباني القديمة التي بحلب.

الباب السادس في

ذكر بناء القلعة التي بحلب والقصور القديمة." (١)

"مسجد إنشاء سمس الدين أبي بكر أحمد بن العجمي.

مسجد براس درب الديلم يعرف بابن الزراد.

مسجد في الدرب المذكور.

مسجد قرب دار ابن خرخاز بالسهلية.

ومن غربي الدار مسجد أيضا.

مسجد عند حمام السرور.

مسجد السويقة.

مسجد بالمدبغة.

مسجد قرب دار عز الدين بن مجلى.

مسجد مجاور دلر نظام الدين الوزير الطغرائي.

مسجد مسمار.

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/٩

مسجد قرب حمام السويقة.

مسجد عند القسطل خلف باب النصر.

مسجد تجاه حمام محي الدين بن العديم.

مسجد الشجرة.

مسجد القصر.

مسجد الزنيقة ويعرف باعنابة مقصود بالنذور.

مسجد سويد.

مسجد باحسيتا.

مسجد داخل باب الفراديس.

مسجد قرب دور أولاد المقارمي.

مسجد يعرف بالمهتار عمر.

مسجد قرب دار ابن الباشق.

مسجد ابن حرب.

مسجد ابن الأقرع.

مسجد ابن حرب أيضا.

مسجد أسفل رأس التل.

مسجد برأس التل.

مسجد عند دار جعفر سقيلة.

مسجد أنشأه الحاج منصور القصاب.

مسجد جب عثمان.

مسجد برأس الفرائين.

مسجد في وسط الفرائين.

مسجد في آخرها.

مسجد مجاور دار ابن بزاز الليل.

مسجد مجاور دار بن طوير العشاء.

مسجد السماقة.

مسجد درب المقيدسي.

مسجد مجاور الصبانة.

مسجد يعرف بأبي خنبش بالسدلة.

مسجد برأس قطيعة السدلة.

مسجد إنشاء النقيب محمد بن صدقة.

مسجد قبلي دار ابن السروجي.

مسجد إنشاء خازم السمان.

مسجد قرب دار ابن قشام.

مسجد ذيل العقبة من جهة الشمال.

مسجد **بفندق** العيش مسجد في وسطه.

مسجد صاحب شيزر بالحصارين.

مسجد الجرارين.

مسجد برأس البنائين.

مسجد الحسبة بسوق السراجين.

مسجد داخل دار الزكاة.

مسجد خارجها.

مسجد بدرب بني خمردكين.

مسجد برأس الشماعين.

المساجد التي بين أبواب المدينة

مسجد بين بابي قنسرين.

مسجد بين بابي باب العراق.

مسجد بين بابي باب أربعين.

مسجد بين بابي النصر مسجد بباب الجنان.

مسجد بباب الفراديس.

مسجد بباب السعادة.

مسجد بين بابي باب إنطاكية.

مسجد بباب النيرب.

مسجد بباب المقام.

وقد تقدم لنا فيما سلف في باب المزارات: مسجد علي عم بباب الجنان.

ومسجد غوث ومسجد شعيب المعروف بالغضانري ومسجد النور وفي الأبرجة الكبار التي بناها الملك الناصر مساجد. هذه المساجد التي أدركها حصري وعدي من المساجد التي يحيط بها سور البلد على ما تركته حين خروجي منها ولا أدعي الاستقصا. لأن معرض للنسيان وهي مائتان وسبعة عشر مسجدا خارجا عن المساجد التي في أبراج السوار فإنا لم يمكننا تحقيق عددها ولا الإحاطة بها وقد بلغني أنها دثر أكثرها بعد استيلاء التتر عليها.

ذكر المساجد التي بأرباض حلب

مساجد الياروقية: مسجد أنشأه الملك الظافر خضر بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب.

مسجد أنشأه عز الدين ميكائيل الياروقي.

مسجد أنشأه الأسد يوسف بن سنغر الياروقي.

مسجد أنشأه شعيب الياروقي.

مسجد أنشأه أحمد التركماني.

مسجد أنشأه العلم سليمان الياروقي.

مسجد يعرف بالشيخ علي التركماني.

مسجد إنشاء الفارس خليل الياروقي.

مسجد إنشاء الصارم إبراهيم نقيب العسكر.

مسجد بالسوق.

مسجد تجاه مسجد الأنصاري.

مسجد أنشأه عبد الرحمان بن مبشر نقيب شيزر.

مسجد أنشأه الكماتل محمد الفراء العجمي.

مسجد قبالة حمام كامل.

مسجد أنشأه الجوالقية. خمسة عشر مسجدا.

مساجد الحاضر السليماني

مسجد الأسد يولق.

مسجد بدر الدين بن إيكز.

مسجد في الجانوسية.

مسجد بها أيضا.

مسجد القواسين.

مسجد بحارة معتوق.

مسجد السنجاري.

مسجد الأمير سيف الدين بن علم الدين.

مسجد أنشأه المذكور أيضا.

مسجد لبني عصرون.

مسجد الساقية.

مسجد قطب الدين ويعرف بزكي البيطار.

مسجد علم الدين قيصر.

مسجد بحارة الأكراد.

مسجد بحارة المشارقة.

مسجد البدوية.

مسجد الهروي.

مسجد المهراني.

مسجد الجمقدار.

ثلاث مساجد في جب السلسلة في خط واحد.

مسجد جمال الدين حبيب.." (١)

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/٢٧

"مسجد الحاجريان.

مسجد العقدة.

مسجد الشيخ سوار.

مسجد أخيه خليل.

مسجد الشسخ يحيى الأتابكي.

مسجد الكيال.

مسجد بلدك.

مسجد الجوكندار.

مسجد مجاور إسطبل ابن محلى.

مسجد الطواشي فلاح.

مسجد طرنطاي.

مسجد ابن أبي الهيجاء.

مسجد مجاور دار ابن فخر الدين إياس.

مسجد أنشأه شهاب الدين.

مسجد الرابية.

مسجد يعرف بالشريف.

مسجد الروس.

مسجد الحجارة.

مسجد السابق الكردي.

مسجد السوق. أربعة وثلاثون.

ذكر مساجد بانقوسا

مسجد عيسى الإسبالار.

مسجد الظاهري.

مسجد بهاء الدين بن أبي الحصين.

مسجد الشيخ أبي الفتح.

مسجد فاخر.

مسجد الرماح.

مسجد الشيخ نزار.

مسجد جمال الدولة.

مسجد في رأس الطباخين.

مسجد عبيد الرئيس.

مسجد عند دار غرس الدين.

مسجد البدوية.

مسجد عند باب القناة. ثلاثة عشر.

ذكر مساجد الهزازة

مسجد المغارة.

مسجد اللبودي.

مسجد قرب دار شهاب الدين.

مسجد الحاج نصر.

مسجد الكاملية.

مسجد بجوسق جمال الدولة.

مسجد الباب الخارج.

مسجد باب السلطان.

مسجد جعفر.

مسجد شعيب.

مسجد مجاور المهمانخاناه. اثنا عشر.

ذكر المساجد التي بخارج باب إنطاكية

مسجد البوابين.

مسجد النهر.

مسجد يعرف بمشهد علي على النهر عند الجسر.

ثلاث مساجد بالدارين.

مسجد على نهر باب الجنان في المساطيح.

مسجد إنشاء رئيس الزط.

مسجد مجاور الخان.

مسجد الخريزاتي على النهر.

مسجد كبير عند الجسر المكسور.

مسجد في الفاخورة.

مسجد الجسر.

مسجد مجاور حمام الجسر.

مسجد مجاور خان الشريف عز الدين.

مسجد إنشاء النقيب محمد بن صدقة.

مسجد عند **فنادق** الحطب.

مسجد على النهر.

مسجد معلق تجاه حمام ابن السروجي.

مسجد في وسط الحلبة.

مسجد بجوار خان طيبغا.

مسجد عند بستان ابن شمس الرؤساء.

مسجد قرب دار ريحان.

مسجد بالحلبة أيضا.

مسجد قرب دار العفص بن العجمي.

مسجد قرب دار حبيب.

مسجد قرب **فندق** الطرابش.

مسجد الساحة.

مسجد شمالي الحلبة.

مسجد ابن الموصل.
مسجد الخضر عليه السلام. أحد وثلاثون.

ذكر مساجد المضيق

مسجد الرضى.
مسجد أبي الفتح.
مسجد بجوار خان المنابجة.
مسجد في رأس المضيق.
مسجد بجوار خان ابن الأثير.
مسجد بين المقابر به شجرة.
مسجدان عند الحياك.
مسجد عند بستان بكتاش.
مسجد عند الجسر.
مسجد يعرف بأولاد الملك.
مسجد يعرف بالمحمدية.
ثلاث مساجد بالخناقية.
مسجد يعرف بجلال الملوك.
مسجد بالساقيات. ستة عشر.

ذكر المساجد التي كانت بالقلعة

مسجد النور ملاصق سور القلعة. ذكرت جماعة من أهل القلعة أنهم عاينوا الأنوار تنزل فيه في أكثر الأوقات.
مسجد الخضر عم. ذكرت جماعة من سكان القلعة أنهم رأوا الخضر عم يصلي فيه.
مسجد يعرف بالمدار بالشيخ صالح عمر رحمه.
مسجد الخزانة.
مسجد يعرف بالشيخ إبراهيم البيري.
مسجد الدركاه الكبيرة.

مسجد الدركاه الوسطى.

مسجد بالتربة.

مسجد داخل دار السلطان.

مسجد ثان بدور السلطان. عشرة.

الباب الحادي عشر في

ذكر ما بباطن حلب وظاهرها من الخوانق والربط

فمما في باطنها: خانقاه القصر وهي تحت القلعة أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر وسميت بهذا الاسم لأنها كان في مكانها قصر من بناء شجاع الدين فاتك وكان مبدأ عمارته لها سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

خانقاه القديم أنشأها نور الدين المذكور وتولى النظر على عمارتها شمس الدين أبو القاسم بن الطرسوسي.

خانقاه أنشأتها الست أم الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين تحت القلعة في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وبنت إلى جانبها تربة دفنت بها ولدها الملك الصالح.

خانقاه البلاط أنشأها شمس الخواص لؤلؤ الخادم عتيق الملك رضوان بن تاج الدولة تتش وهي أول خانقاه بنيت بحلب وذلك في سنة تسع وخمسمائة وكان يتولى حلب نيابة فسمت نفسه إلى التغلب عليها فقتل.." (١)

"وأما الطريق الذي من المصنعة إلى كتاب الأسود فيسير إلى تحت المسجد المعلق المعروف ببني الطرسوسي وهناك قسطل ثم إلى المسجد المعلق الذي على سطح كتاب الأسود وهناك قسطل ثم إلى الحدادين إلى قدام المدرسة الحنفية وهناك قسطل ثم إلى الأسفريس إلى عند المسجد المعروف ببني دايح وهناك قسطل وينقسم الماء هناك قسمين قسم يأخذ إلى عمود العسر وهناك قسطل وهو آخر هذه الطريق. وقسم يأخذ إلى عند مسجد الجبلي وهناك قسطل ثم يدخل من هناك إلى درب البنات وهناك قسطل وهو آخر هذه الطريق. وأما الطريق التي تأخذ من المصنعة إلى باب العراق فتسير إلى خلف مدرسة القاضي بهاء الدين ابن شداد عند حمام النفري ودار الحديث وهناك قسطل وينقسم الماء هناك قسمين قسم يأخذ إلى باب العراق وقسم يأخذ إلى باب القطيعة وقلعة الشريف. فأما الذي يسير إلى باب العراق فينتهي إلى

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/٣٠

داخل باب العراق وهناك قسطل ثم يخرج إلى ظاهر السور من شمالي باب العراق وهناك حوض عظيم يفيض فيه ثلاثة أنابيب ليلا ونهارا ثم يسير الماء منه إلى تحت التواثير قدام الباب الذي يؤخذ منه إلى مقام إبراهيم عليه السلام والمقابر وهناك قسطل عند مسجد الأراحي ثم يسير منه إلى المدرسة التي جددها الملك الظاهر تربة فيفيض في بركتها وينقسم الماء هناك قسمين قسم يسير إلى قدام خان السبيل الذي بناه سيف الدين بن علم بن جندر وهناك قسطل يفيض في بركة أمام الخان ليلا ونهارا. وأما الطريق التي تأخذ إلى رأس القطيعة وقلعة الشريف فإنه يسير إلى رحبة السوق التي تأخذ إلى حمام حمدان وهناك قسطل ثم منه إلى عند مسجد الشجرة وهناك قسطل ثم يسير إلى خرابة خليج إلى عند المسجد وهناك قسطل ثم ينقسم الماء هناك قسمين قسم يأخذ إلى حمام القاضي ابن الخشاب في رأس درب الحديد وهناك قسطل وقسم يأخذ إلى قلعة الشريف إلى عند مسجد القبة وهناك قسطل ثم يسير هذا إلى الطريق التي ظاهر باب قنسرين إلى **فندق** الخاص الكبير فيفيض إلى بركة وفي ظاهر هذا **الفندق** من القبلة مقابل الحمام المعروفة بسوق التبن قسطل ثم يسير منه إلى باب الرابية القبلي وهناك قسطل ثم يسير منه إلى كنف الخندق ثم يسير منه إلى يسرى حمام القاضي وهناك قسطل ثم يسير منه إلى المدرسة التي أنشأها سيف الدين بن علم الدين سليمان بن جندر فيفيض في بركتها ثم يسير الفائض إلى بركة الجامع فيفيض ليلا ونهارا ويتصل بالقساطل التي ذكرناها في طريق مدرسة سيف الدين إلى جامع أسد الدين. وهذا آخر ما جدده الملك الظاهر وأنشأه من القساطل التي تجري فيها المياه وينتفه بها سوى ما هو سائح إلى برك المساجد والمدارس والربط والحمامات والدور والبساتين وغير ذلك وصرف على هذه القساطل والطرقات أموال كثيرة ووقف عليها الملك الظاهر أوقافا سنية وتجدد في أيام الملك الناصر صلاح الدين بن الملك العزيز ابن الملك الظاهر بظاهر البلد بسبب سوق الماء إلى حمام سعد الدين بن الدزمش أربعة قساطل أحدها بسوق الخيل سيق إليه الماء من القسطل الذي خارج باب المقام عند مسجد الأراحي وساق من القسطل المذكور قسطلا إلى آخر السوق الآخذ من باب الرابية إلى الحاضر من قبلي السوق وقسطلا بالقرب من جامع أسد الدين بالحاضر وساق الماء فيه إلى قسطل على باب داره.

وكان يدخل وإلى حلب قناة من جهة باب قنسرين ولما عمل الشيخ منتجب الدين بن الإسكافي المصنعة وقد نبش فاستدللت بذلك على صحة ما قيل ورأيت جماعة من الصناع يقولون إن القناة إسلامية جلبها إلى حلب ابن الفصيصي حين حبس في حلب وكانت هذه القناة قد فسدت طريقها إلى البلد وسد مخارج الماء منها فكثر ماؤها وجرى في القنوات والقساطل كما قدمنا. فقال أبو المظفر محمد بن محمد الواسطي

المعروف بابن سنينير يمدحه بما فعل من هذه المكرمة التي عن نفعها وشاع برها وصنعها:
روى ثرى حلب فعادت روضة ... أنفا وكانت قبله تشكو الظما
أحيا موات رفاتها فكأنه ... عيسى بإذن الله أحيا الأعظما
لا غرو أن أجرى القناة جداولا ... فلطالما بقناته أجرى الدما." (١)

"ونهر باناس: ثلاثين مسكبة، ومسكبة حملت فيه.
ليزيد بن أبي مريم مولى سهل بن الحنظلية، وثلاث مساكب للفضل بن صالح الهاشمي " حملت فيه " من بعد.
ونهر مجدول: اثنتي عشرة مسكبة.
ونهر داعية: ثلاث عشرة مسكبة.
ونهر حيوة: - وهو نهر الزلف -: اثنتي عشرة مسكبة.
ونهر التومة العليا: خمس مساكب.
ونهر التومة السفلي: أربع مساكب ونهر الزابون: أربع مساكب.
ونهر الملك: أربع مساكب.
والقناة لم تكن تمتاز يومئذ تأخذ ملء جنبتيها.
وكان الوليد بن عبد الملك لما بنى المسجد اشترى ماء من نهر السكون يقال له " الوقية " فجعله في القناة إلى المسجد. والحجر شبر ونصف. وثقب الثقب شبرا في أقل من شبر، على أنه إذا انقطعت القناة أو اعتلت ليس لأحد أن يأخذ من ماء الوقية شيئا، ولا لأصحاب القساطل فيها حق. فإذا جرت يأخذ كل ذي حق حقه، وتفتح القساطل على الولاء.
وقال يزيد: أنا أدركت القناة يدخل فيها الرجل يسير في٥ا وهي مسقوفة يمد يديه فلا ينال سقفها، وليس فيها شيء مثلوم. ومات يزيد بن معاوية في رجب سنة أربع وستين فهذه قصة " نهر " يزيد.
وولي سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين، وتوفي يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسعة وتسعين.
فهذه الأنهار التي ينتفع بها الداني والقاصي. وينقسم منها الماء الأرضين في الجداول من المواصي، ويدخل من بعضها الماء إلى البلد في القني، وينتفع به الناس الانتفاع العام على الوجه الهني، ويتفرق إلى البرك

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/٥٣

والحمامات، ويجري في الشوارع والسقايات.

ذكر القني

وبدمشق قني لها أوقاف معينة، ومنها ما ليس له وقف، وإنما يجري عليها من المسلمين إسعاف، وأنا ذاكر جميعها ومثبت عددها ليعرفها من أحب أن يعددها.

فمن ذلك ما هو في الجانب القبلي: ١ - قناة ابن الفاخوري، عند مسجد السقطيين وباب الجابية، لها وقف.

٢ - قناة عند درب القصاعين، تجديد الملك العادل.

٣ - قناة في أول القصاعين، عن يمنة الداخل.

٤ - قناة أخرى في القصاعين، عل دار ابن النقار.

٥ - قناة أخرى " فيها " عند دار سندقرا.

٦ - قناة أخرى، عند دار ابن الخياط.

٧ - قناة عند سقاية الشيخ.

٨ - " قناة في القيسارية الفخرية ".

٩ - قناة القلانسيين برأس الخواصين، لها وقف.

١٠ - قناة في درب السوسي، عند سوق علي.

١١ - قناة في درب الجلادين، لها وقف.

١٢ - قناة عند السجن الجديد، أنشأها الملك العادل نور الدين.

١٣ - قناة عند مسجد واثلة، تعرف بحسين الشنباشي كانت قد خربت فجددها.

١٤ - قناة الزلاقة، لها وقف.

١٥ - قناة عند حمام ابن أبي نصر.

١٦ - قناة أخرى عند الحمام.

١٧ - قناة عند سوق الصرف، لها وقف.

١٨ - قناة ابن القصيعة، في السوق الكبير عند رأس درب الريحان.

١٩ - قناة الملح، عند رأس سوق البزوريين وطرف سوق الجلادين، لها وقف.

٢٠ - قناة في **الفندق**، عند سوق البزوريين.

٢١ – قناة عند فندق البيع.

٢٢ – قناة في درب الجمحي، أنشأها نصر بن قوام الصافي.

٢٣ – قناة في درب القرشيين، في درب النخلة مجاورة الحمام.

٢٤ – قناة في درب الناقديين.

٢٥ – قناة عند دكان ابن مقلد الشوا، في قبة اللضحم.

٢٦ – قناة في درب البقل، وتعرف بابن عنقود.

٢٧ – قناة في حارة الخطاب، تعرف بابن عبد الرزاق المحتسب.

٢٨ – قناة أخرى، في داخل حارة الخاطب.

٢٩ – قناة عند حمام الجبن.

٣٠ – قناة سوق اللؤلؤ.

٣١ – قناة ابن شفون في طرف سوق اللؤلؤ.

٣٢ – قناة المناخليين والأبارين، في سوق الطير، بناها ابن نجاح، لها وقف.

٣٣ – قناة الثلاج، عند دار البطيخ.

٣٤ – قناة في أول درب الفراش، عند دار سليمان، جددها ابن منقذ.

٣٥ – قناة أخرى، في درب الفراش، عند دار ابن علان.

٣٦ – قناة أخرى في درب الفراش، بناها أبو يعلى النصراني.

٣٧ – قناة تحت الكشك.

٣٨ – قناة درب العلف ٣٩ – قناة سويقة كنيسة مريم.

٤٠ – قناة درب الحجر.

٤١ – قناة أخرى في دار بطيخ.

٤٢ – قناة أخرى في درب الحجر تعرف بابن خطية.

٤٣ – قناة العميد بن الجسطار، عند مسجده.

٤٤ – قناة في سويقيه الباب الشرقي، عند رأس درب الداراني.

٤٥ – قناة داخل الباب الشرقي.." [١]

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/٦٥

"٤٦ – قناة خارج الباب الشرقي، ملاصقة الباشورة.

ومن شامي البلد: ٤٧ – قناة في درب الشعارين.

٤٨ – قناة في درب الهاشميين، عند الحمام الجديد.

٤٩ – قناة أخرى، عند دار ابن كجك.

٥٠ – قناة عند دار علي كرد.

٥١ – قناة في القلعة المحروسة، عند الباب.

٥٢ – قناة أخرى قبلي القلعة.

٥٣ – قناة في أول درب اللبان.

٥٤ – قناة أخرى، في فندق عز، في الدرب المذكور، عند المدرسة، تعرف بقناة السبع.

٥٥ – قناة عند طرف درب اللبان، ومدرسة أنشأها الملك العادل.

٥٦ – قناة عند دار ابن يغمور، عند التوتة من حجر الذهب.

٥٧ – قناة في رأس درب الأنصار ودار البابا.

٥٨ – قناة عند المدرسة المعينية.

٥٩ – قناة على باب حمام القصير.

٦٠ – قناة عند دار " البسار " ... وطاحونته.

٦١ – قناة عند دار إسماعيل الطيب.

٦٢ – قناة عند خضر بن عمر بن بختيار السلار في الافتريس.

٦٣ – قناة أخرى في الافتريس عند دار جناح الدضولة.

٤6 – قناة السباع.

٦٥ – قناة ابن حرور، عند باب الخوصين، لها وقف.

٦٦ – قناة في دهليز دار الشريف ابن أبي الجبن.

٦٧ – قناة ابن الحبوبي في درب معن.

٦٨ – قناة أخرى، في درب معن.

٦٩ – قناة بزان الكردي، عند مدرسته.

٧٠ – قناة باب الخضراء، عند المدرسة الأمينية.

٧١ – قناة في داخل الخضراء، تحت المنارة الشرقية.

٧٢ – ٧٣ – قناتا باب البريد.

٧٤ – قناة باب الجامع الغربي، عند سقاية باب البريد.

٧٥ – قناة الطرايفيين، تحت المنارة الغربية عند البيمارستان.

٧٦ – قناة عند دار الحكم.

٧٧ – قناة عند دار ابن صميد في سوقية باب البريد.

٧٨ – قناة أخرى بقربها عند دار ابن أبي الحسن السلحدار.

٧٩ – قناة في دهليز دار إلى جانب دار ابن العزي.

٨٠ – قناة عند رباط النساء ودار أبي زرعة.

٨١ – قناة عند حمام العقيقي.

٨٢ – قناة خلف دار أتابك طغتكنين.

٨٣ – قناة في دهليز الشنباشي، معطلة.

٨٤ – قناة أخرى في هذا الدرب، عند الفرن.

٨٥ – قناة في دهليز دار الشريف أبي تراب، ويعرف بابن منزو.

٨٦ – قناة في مسجد باب الفراديس، داخل الباب.

٨٧ – قناة عند دار السلار ودار عطاء، محاذي دار أتابك.

٨٨ – قناة النطافين، على باب الجامع.

٨٩ – قناة دار العميد أبي يعلى القلانسي.

٩٠ – قناة داخل دار السميساطي.

٩١ – قناة داخل درب بوقة، عند باب النطافين.

٩٢ – قناة حربور عند مدرسة الحنابلة.

٩٣ – قناة عند دار العكبري، خلف دار النحاس خربت.

٩٤ – قناة بسوق القمح، لها وقف.

٩٥ – قناة ابن المغربي، في درب الريحان.

٩٦ – قناة في درب تليد.

٩٧ – قناة في سوق أم حكيم، وهو سوق العلبيين.

٩٨ – قناة الرحبة.

٩٩ – قناة زقاق العجم، لها وقف.

١٠٠ – قناة في مشهد الراس، على باب الجامع.

١٠١ – قناة جيرون، وتعرف بقناة القثاء، لها وقف..

١٠٢ – قناة دار خديجة، خربت.

١٠٣ – قناة في درب كشك.

١٠٤ – قناة أخرى فيه.

١٠٥ – قناة أخرى، في درب خفيف عند دار ابن الشيرجي.

١٠٦ – قناة في سقيفة القطيعي، عند المدرسة التي في باب طرخان.

١٠٧ – قناة اللحامين، على باب جيرون.

١٠٨ – قناة في عقبة الصوف، وعطلة.

١٠٩ – " قناة أخرى في درب عقبة الصوف، معطلة ".

١١٠ – قناة في قيسارية الفرش معطلة.

١١١ – قناة الوزير أبي علي المرذقاني، على باب داره.

١١٢ – قناة عند دار ابن أخيه كريم الملك.

١١٣ – قناة عند دار ابن المصيصي تعرف بسمنديار، معطلة.

١١٤ – قناة عند دار ابن البري ومسجد الأذرعي.

١١٥ – قناة داخل باب السلامة، إنشاء الملك العادل ١١٦ – قناة في زقاق صفوان.

١١٧ – " وفيه قناة أخرى معطلة ".

١١٨ – " قناة في طرف الأسكافة العتق ورأس سوق الأحد ".

١١٩ – قناة عند دار ابن الشحادة.

١٢٠ – قناة سوق الأحد، لها وقف.

١٢١ – قناة سوق الغزل العتيق، لها وقف.

١٢٢ – " قناة ابن أبي الحديد ".

١٢٣ – " قناة صالح في الفورنق، لها وقف ".

4١٢ – قناة على باب الجينيق، في السقاية.

١٢٥ – قناة خواجا يعقوب، في الجينيق.

١٢٦ – قناة ابن الماشكي.

١٢٧ – قناة عند دار الشريف أحمد، وهي دار ابن بوري خان.." [١]

"ثم رتب السلطان فيها واليا. ورحل عنها في سابع عشر شوال. وأمر بعمارتها وتحصينها، والزيادة فيها. وحمل إليها الذخائر والسلاح. وجعل فيها أربعة وخمسين مملوكا من مماليكه، وأقطعهم في بلد إقطاعا. وقدم عليهم الأمير علاء الدين كندغدي. وولى في قلعتها مجد الدين الطوري، وصير نيابته في بلدها إلى الأمير عز الدين أيبك العلائي. ثم لما توجه مولانا السلطان إلى الشام في جمادى سنة خمس وستين، في خف من عسكره، استصحب معه أصحاب أصناف الصناعات. وقصد " صفد " فعمر الباشورة، وبنى فيها أبرجة، وأسواقا، وخانات، وحمامات، فصارت بما أحدثه فيها من أحسن القلاع وأمنعها. وأطيب البقاع وأخصبها.

ولم تزل بيده إلى ان توفي في ثامن عشري المحرم من سنة ست وسبعين، فصارت إلى ولده الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان. واستمرت في يده الى أن خرج الملك عنه لأخيه الملك العادل سيف الدين سلامش ليلة الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وستمائة.

هونين وتبين

وهما حصنان منيعان بناها الفرنج بعد الخمسمائة وهما بين جبل عوف وبين بانياس وصور، فتحهما السلطان الملك الناصر – رحمه الله –.

نزل على تبنين في يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى فنصب عليها المجانيق، وضيق عليهم بالزحف. وكان بها رجال أبطال مشددون في دينهم، فأعانه الله عليهم. وفتحها يوم الأحد ثامن عشر من الشهر، وأسر من بقي بها بعد القتل. وفتح هنين بعدها بقليل. وأنعم بهما على مجد الدين أحمد، وهو فخر الدين جركس، ثم استعادهما منه. وأنعم بهما على الأمير فخر الدين أياس جركس، فولى عليهما مملوكا له يقال له " صارم قايماز ".

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/٦٦

" وظلا كذلك " إلى أن تسلمهما الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق في سنة سبع عشرة وستمائة، وأخربهما، وأقطعهما لأخيه الملك المغيث محمود.

واستمرا في يده إلى أن توفي، وملكهما ولده الملك المغيث يوسف. وبقيا في يده إلى أن توفي في أيام الملك الأشرف في " حصن كيفا " في المحرم سنة ثلاثين وستمائة.

فصارا إليه، وبقيا في يده إلى أن توفي. فصارا إلى الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، وبقيا في يده إلى أن أعطاهما للفرنج " سير فليت " في سنة ثمان وثلاثين وستمائة مع ما أعطاهم من الحصون فملكهما الفرنج، ولم يزالا بأيديهم إلى أن تسلمهما مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس في شوال أربع وستين وستمائة. ولم يبق لقلاعهما أثر غير البلاد، فإنها في يده إلى يومنا هذا، وهو تاريخ وضع الكتاب. والله أعلم.

شقيف أرنون

بنته الفرنج. وهو مطل على جبل مطل على بيروت، وصيدا. طوله ثمان وسبعون درجة وثلاثون دقيقة؛ وعرضه ثلاث وثلاثون درجة.

لم يتصل بعلمي فيما طالعته من الكتب من أمر هذا الحصن إلا ما أنا ذاكره: وهو أن ضحاك بن جندل رئيس " وادي التيم " تغلب عليه، وأخذه من نواب الحافظ عبد المجيد صاحب مصر، يوم الجمعة لست بقين من المحرم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة فسار إليه شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بوري فتسلمه.

ولم يزل بيده أخيه شهاب الدين من بعده إلى أن سلمه لفلك ملك الفرنج، في سنة أربع وثلاثين. ولم يزل بأيدي الفرنج إلى أن فتحه الملك الناصر صلاح الدين يوسف، في خامس عشر شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وخمسمائة، فأقطعه الأمير عز الدين سياروخ.

فلم يزل إلى أن تغير الناصر على عز الدين سياروخ، فأقطعه الأمير فخر الدين أياس جركس، ثم استعاده الملك الناصر منه لما تغير عليه، ثم أعاده إليه لما رضي عنه. فلما صار في يده حصنه، وزاد فيه أبرجة.

ولم يزل في يده إلى أن توفي في سنة ثمان وستمائة، فأقطعه الملك العادل ولده الملك المغيث عمر، ولم يزل في يده إلى أن تفي ودفن بسفح " قاسيون " في تربة أخيه الملك المعظم شقيقه، حياة والده الملك العادل في سنة ست وستمائة. فصار إلى ولده من بعده الملك المغيث محمود.

ولم يزل بيده إلى أن توفي في المحرم من سنة ثلاثين على " حصن كيفا " فصار إلى الملك الأشرف مظفر

الدين موسى ابن الملك العادل صاحب دمشق، إذ ذاك، وبقي في يده، إلى أن توفي في المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة، فصار إلى الملك الصالح إسماعيل.." (١)

"ذكر ولاية سيف الدولة ديار بكر من قبل أخيه ناصر الدولة

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة، سلم الأمير ناصر الدولة أبو محمد بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ميافارقين. وديار بكر إلى أخيه سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء نائبا عنه.

وفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة خرج الدمستق إلى ناحية آمد وسميساط. فسار إليه سيف الدولة وهزمه وعاد إلى ميافارقين وأرزن.

وكان بأرزن يومئذ " أبو " علي بن جعفر الديلمي. فعصي بها. فحاصره سيف الدولة إلى أن التمس منه الأمان ونزل على حكمه فأمنه.

وتوجه سيف الدولة إلى خدمة أخيه ناصر الدولة بالموصل، فوصلهما فيها التشاريف والتقاليد من الخليفة الراضي في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وأكرما غاية الإكرام.

ونظر سيف الدولة في مصالح ميافارقين، " وروم ما كان استهدم من سورها، وعمر بها مواضع كثيرة، ظاهرا وباطنا، واسمه عليها مكتوب بتولي القاضي عبد الله بن الخليل.

ولم يكن على الباب الوسطاني باب، بل كان له مشط من الحديد مشبكا، فعمد القاضي إلى ذلك المشط فكسره، وزاد عليه وعمله بابا، وركبه على الباب الوسطاني في سنة ثلاث وثلاثين ومائة. ووزن المصراعين ثلاثة آلاف وثلاثة مائة رطل بالظاهري.

وكان على باب الفصيل باب واهن ضعيف، فكسره القاضي أيضا وزاد عليه وعمله بابا وركبه عليه، وهو الذي عليه إلى الآن. ووزن المصراعين ألفان وأربع مائة وستون رطى بالظاهر ".

وفي سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة توفي عبد الله بن سيف الدولة بميافارقين ودفن بها، ورثاه المتنبي وعزاه. واجتمع عند سيف الدولة من الفضلاء والعلماء والشعراء ما لم يجتمع مثله إلا في زمان المأمون. وكان سيف الدولة أكثرهم فضلا. واجتمع عنده ابن خالويه وخطيب الخطباء عبد الرحيم ابن نباتة والقاضي أبو بكر بن قريعة والمتبني وأبو فراس. كل منهم يقر لسيف الدولة أنه أكثر فضلا منه.

ذكر محاولة استيلاء الروم على آمد بحيله

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/٨٨

كانت أمد يومئذ بيد ناصر الدولة وبها نوابه. وكان بالبلد رجل من النصارى فراسلوه الروم وراسلهم، وسعى لهم في أخذ البلد، وذلك أنه نقب نقبا عن أربعة أميال تحت الأرض إلى المدينة. ففطن لذلك أهل المدينة، فلحقوا النقب وأخذوه. وقتلوا ذلك الرجل.

واستمرت آمد في يد نواب ناصر الدولة.

عدنا إلى أخبار ميافارقين وسيف الدولة

وفي سنة إحدى وأربعين وثلاث مائة سار الدمستق إلى بلد آمد لقصدها وغيرها من البلاد، فسار إليه سيف الدولة فهزمه.

وفي سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة وقع الصلح بين سيف الدولة وملك الروم.

ذكر حصار الروم آمد وميافارقين

وفي سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة وردت الروم مع ملكها ابن سمسقيق ونزل على باب ميارفاقين، وحوصرت مدة.

ثم انتقل عنها ونزل على آمد وحاصرها سبع سنين وضرب كمين سنادين الحديد في المناجيق، وغرس على آمد الكروم بباب الجبل، وأقام إلى أن حمل العنب وأكل منه.

ثم رحل عنها إلى نصيبين، وأقام بها مدة ثم رحل عنها. وأخرب في طريقه مدينة دارا والهتاخ **وفندق** الرأس وتل ميمون. ولم يفتح موضعا إلا خربه، وعاد إلى بلاده.

وهذا كلام أحمد بن الأزرق – صاحب تاريخ ميافارقين وآمد – وعمل الخطيب عبد الرحيم بن نباتة خطبة في الجهاد.

ذكر قتل نجا غلام سيف الدولة وملك سيف الدولة خلاط

وفي سنة أربع وخمسين وثلاث مائة قتل نجا – غلام سيف الدولة – وكان السبب في قتله أنه لما وقع أبو الورد – صاحب خلاط ومنازجرد – من السور ومات، سار نجا إلى تلك النواحي، وملكها بعساكر سيف الدولة. فلما أن ملكها عصى على سيف الدولة وسار إلى ميافارقين وحاصرها في سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة ليأخذها ويسلمها إلى معز الدولة، وكان قد أمده بالعساكر، فلما جد في القتال لميافارقين بلغه أن قرابة ابن أبي الورد وثب على منازجرد فأخذها، فانفصل عن ميافارقين وطلب خلاط وتلك الولاية، ونهب

عساكر قرابة أبي الورد.

وفي سنة أربع وخمسين وثلاث مائة حضر نجا في مجلس سيف الدولة وعنده جماعة، وهم على الشراب، فحاج سيف الدولة وخرج عليه بكلام قبيح. وكان لسيف الدولة غلام يسمى نجاح فوثب على نجا فضربه بالسيف فقتله.

وكان له قلوفح إقطاعا برسم مائدة رمضان.

وحمل إلى ميافارقين ودفن بها.." (١)

"الجزء الثامن: أول ما يلقاك منه هندستان. وهي التي فتحها الغوريون من الهند، وقاعدتها دلهي وهي كبيرة، وموضوعها حيث الطول مائة وثمان وعشرون درجة وخمسون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة، ولها ثلاث برك من ماء المطر، إحداها للسلطان، والأخرى للجند، والأخرى للعامة. وصاحب دلهي في عصرنا، هو أحد مماليك الغوريين، وجنده أتراك مسلمون، والرعايا كفار الهنود، لم يقدر التتر على بلاده لما عنده من اسود الرجال وكثرة الفيلة. ويقع في هذا الجزء من قواعد هندستان، التي في كل واحدة ملك، هاسي: وهي في أول الجزء، حيث الطول مائة وست وعشرون درجة وثمان دقائق، والعرض إحدى وثلاثون درجة. وفي شرقيها على مرحلة منها مدينة براور. وهي حيث الطول مائة وتسع وعشرون درجة، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وفي شرقيها وشرقي دلهي، جبال القشمير، وهي مسكونة بجنس متولد بين الهند والسند. والأتراك في نهاية من الحسن، ولم يقدر عليهم التتر لمناعتهم بالجبال المحدقة بهم في هذا الإقليم الخامس. ونهر كنك المعظم عند الهنود يمر في بلادهم، وهم أيضا يعظمونه، ويغرقون فيه أنفسهم لأنهم مشاركون لهم في الضلالة. وفي شرقيهم طمغاج، وهي بلاد الخط. يزعم المسافرون أن السور دائر على مدنها وضياعها وسائر عمائرها، نحو ثلاثة وعشرين يوما في الطول من الغرب إلى الشرق، وحدها الغربي بلاد القشمير، وحدها الشرقي بلاد التتر. ويأخذ طولها واتساعها في هذا الجزء والجزء الذي يليه من الإقليم الخامس. والمشهور من مدنها مدينة طمغاج، وقد حل محلها في عصرنا هذا، مدينة خان بالق. ويذكرون عن كبر هذه المدينة ما لا يصدقه إلا من شاهده. وصاحبها مسلم يقال له لواجا، واصله من خوارزم، وهو يحمل الأموال للتتر. والرعايا كفار من أجناس الخط، ومعظمهم قد دخل في الإسلام. والحرير في بلادهم كثير. ويقال إن عندهم معادن الفضة الكثيرة. ويلي بلادهم من الجنوب بلاد بلهرا ملك ملوك الهند، وتقع مدينة خان بالق حيث الطول مائة وأربعون درجة والعرض خمس

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/١٦١

وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة. ومدينة طمغاج في الإقليم الخامس.
الجزء التاسع: أول ما يلقاك منه مدينة خرمق من قواعد التتر القديمة، وحي حيث الطول ست وأربعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة. وفي شرقيها مدينة ينبعا، وهي كانت قاعدة التتر في القديم. وهي على نهر ينزل من الجبل الكبير الممتد على بلاد الهند والصين. وهي حيث الطول مائة واثنتان وخمسون درجة، والعرض ثلاثون درجة وخمس دقائق. وفي شرقيها نهر ينزل من نهر المرفأ إلى نهر ياجوج. وفي شرقي ذلك قاعدة التتر في عصرنا، قراقرم. وهي حيث الطول مائة وخمسون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وست وثلاثون دقيقة. وفي جهاتها بلاد المغل وهم خاصة التتر، ومنها **خاناتهم**، ولهم في هذا ال جزء والذي يليه بحيرة كوارث. وبجنوبيها جبل كوارث الذي ينزل منه نهر البحيرة (..) ونهر البحيرة التي سيأتي ذكرها.
الجزء العاشر: فيه بقية بلاد المغل وبقية بحيرة بلاد كورث. وفي شرقيها بحيرة السوكام، طولها أربع مراحل وعرضها مرحلتان، وليس ينزل إليها نهر، بل في جوفها ينابيع ومياه الأمطار تتسرب إليها من الجهات. وفي شرقيها بلاد الطرغل، وهو طائر يصيد طائرين في نهضة واحدة، يضرب الأول ويتركه يقع ثم يصيد الثاني. ويقال لها أيضا بلاد السنقر. وفي جنوبهم وشرقي بلاد المغل، بلاد سميغلي وهم أخوة المغل، إلا أن الرياسة للمغل، ولهم مدينة سميغلي على بحيرة، حيث الطول مائة وسبع وسبعون درجة واثنتان وعشرون دقيقة والعرض اثنتان وثلاثون درجة غير دقائق. ولهم جبل يلتوي على شرقي بلادهم من صين صين ويدخل في البحر المحيط، وينزل إليهم منه نهران إلى بحيرتين ينحدر فاضلهما إلى البحر في آخر المعمور. وفي شماليهم نهر منجار الكبير، ينزل من جبل الصين الأعظم ويكون في آخره بحيرة متوسطة، ثم يخرج منه نهر ويكون بحيرة صغيرة، ثم يصب فاضلها في البحر المحيط. وفي شمالي هذا النهر جبال القرقر، وهي دائرة ببلاد هؤلاء القوم، ويزعم المسافرون أن عيونهم في صدورهم. ولهم مدينة القرقر في آخر العمارة، وفي جنوبيها بحيرة يخرج منها نهر إلى بحيرة ثانية.
الإقليم الخامس." (١)

"قال الحسن بن محمد بن الحوت: ليس هو كذلك وإنما كان يزن أحدهم سبعة يوسفية ونصف كل يوسفي ستة وعشرين قيراطا وحبتين بوزن مكة، وفي دية الكلب نصف يوسفي صار المبلغ ثمانية يعقوبية، أسس ذلك في دولة الأمير عيسى بن فليتة وبقي يحيى على حله إلى أواخر دولة الأمير مكثر. فلما كثرت

---

(١) الجغرافيا ابن سعيد المغربي ص/٤٨

الأقاويل ووصل هذا الخبر إلى مسامع العالم أنفذ صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب إلى الأمير مكثر بأربعة آلاف إردب حنطة والأصح ستة آلاف أردب إلى جدة وإلى مكة وقال له: خذ هذا القدر وأترك عن المغاربة الجزية مع دية الكلب! فأزال الأمير مكثر ذلك كله سنة ست وثمانين وخمسمائة. وبقى الأمر على حاله في أيام الأمير قتادة بن إدريس بن مطاعم بن الكريم وأراد أن يرد الشيء إلى أصله يعني أخذ الجزية من المغاربة فأدركه الموت وارتفع عنهم. حدثني أبو الربيع سليمن بن الريع الطرابلسي قال: وكانوا ملوك الفاطميين يوزنون المغاربة جزية على كل رأس دينارين وقيراطين.

فصل

قال ابن المجاز: رأيت في المنام ليلة الثلاثاء ثالث عشرة ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة كأني حدثني الأمير ناصر الدين فاروت والي عدن وفي هذا التاريخ تولى إمرة الحج إضافة إلى ولايته الأولى وكان الحاج قد رجع من مكة إلى اليمن وكأنه يقول من حج ورجع إلى الهند يوزنه عبد الغفور بن أحمد بن محمد بن الصناديفي البصري جزية عن كل رأس أثنين وتسعين فيلي ولو أن الحاج عقال لما سافروا إلى الهند إلا في مركبي حتى كنت أعطيهم مقرعتي فيأمن فيامن القوم من شر عبد الغفور في أخذ الجزية منهم وبنو مهدي ولاة زبيد ما كانوا يستحلون أخذ المكوسات من ما خلا الحاج وإنهم كانوا يأخذون منهم مقام الدرهم ثلاثة دراهم.

ذكر الجار

وهو موسى قريب من جدة ترسي فيه المراكب الواردة من الديار المصرية وهو بحر أسود جيفة وموج هائل تبطل فيه حيلة السابح.

فصل

سمعت من ألفاظ جماعة بمكة وغيرها أنه وقع من يد بعض السراملة قدوم بهذا المكان فشد في وسطه جراب ونزل ليأخذ الفأس فلما غور في النزول سمع هاتفا يقول له: إلى أين أنت نازل يا عبد الله؟ فقال: نزلت لأخذ ما أنفلت من يدي. فرد عليه الهاتف: انفلت من مركب بهذا المكان أنجر فهو في النزول إلى قيام الساعة. والله اعلم واحكم.

ذكر جزر الخيل

يقال أنه كان في قديم العهد لم يكن هذا بحر وإنما كان عرصة إلا إنه لا فرق بين بر العرب وبر السودان. فلأجل ذلك إن السودان كانت تملك إقليم اليمن جميعا دئما في زمن الجاهلية والإسلام. ولما كثر الماء

في البحر وظهرت صعوبته من قريب صاروا يعدونه في المراكب، فلما عرق البحر هذه الأرض وكل موضع كان عليها رجع جزيرة في البحر يقال لها جزر المطارد أي مطاردة الخيل. ويقال إن العرب غي قديم الزمان كانوا يطاردون الخيل في قعر هذا البحر لم كان ناشفا. ويقال مربط الخيل بهذه الأمكنة والعلف والشجر موجود.

صفة جدة

هي مدينة صغيرة على ساحل البحر وهي فضة مكة، وليس يمكن بها السكن لازدحام الخلق بها في أيام الموسم الحاج لأنه يلتام إليها من جميع أطراف بلاد العالم والربع المسكون والبحر المعمور من ديار مصر والمغرب والهند واليمن. وإذا قل الماء على أهلها نقلوه من القرين من نصف الطريق ما بين مكة وجدة. وأهلها من نسل العجم وبناءهم من الحجر الكاشور وخوص وكلها **خانات**. والخان المعروف بها خان البصر وهما خانان متقابلان بمخازن كبار. ويقال أنه بني بظاهرها الأمير شمس الدين طنبغا خان كبير عظيم ينة ثلاث وعشرين وستمائة. وكل من بنى بها بيت خوص يزن للسلطان في كل بيت في السنة ثلاث دراهم ملية. وأما الدور التي هي بالحجر والجص فليس عليها شيء لأنها ملك لأصحابها وفي تصرب أربابها. ويقال إنها سميت جدة إلا إنها دفن بها أم البشر حوى عليها السلام فهي جدة جميع العالم فلما بني هذا البلد عرف باسم جدة أي حوى زوج أبي البشر عليه السلام. ويقال إنها سميت بلاد العرب جزيرة لأحاطة البحار والأنهار من أقطارها وأرجائها فصارت بلاد العرب جزيرة من جزائر العرب.

ومن مكة إلى الرحالب." (١)

"بئر أحمد العشيري قديمة طيبة الماء، بئر أحمد بن المسيب حفرت سنة أربع عشرة وستمائة، وبئر العقلاني حفرت سنة خمس عشرة وستمائة، وبئر خيط عتيقة. وبئر عقيب وتسما بئر الكلاب، ويقال إن الكلاب نهشت الأرض في هذا الموضع فحفر عقيب ذلك في ذلك المكان بئر عرفت البئر ببئر الكلاب وجدد عمارتها أحمد العشيري سنة أثنتين وستمائة، وبئر الجديدة حفرت سنة إحدى وعشرين وستمائة، وبئر السلامي حفرت سنة سبع عشرة وستمائة، والآبار التي بطريق اللخبة آبار اللخبة بئر السماكين على الطريق في قرب المسجد حفرت سنة ست عشرة وستمائة، وبئر الموحدين في أول شط اللخبة، وبئر أصحاب العمارة حفرت سنة أربع عشرة وستمائة لأجل ضرب اللبن، وبئر الشيخ علي بن عبيد في وسط اللخبة حفرت سنة عشر وستمائة، وبئر السعفة حفرت على طريق المفاليس قديمة ولم يستق منها إلا إذا

(١) تاريخ المستبصر ابن المجاور، يوسف بن يعقوب ص/١٩

علا الماء بعدن، وبئر العماد على طريق ابين قديمة يستقى من٥ا أيام الموسم.
وغالب سكان البلد عرب مجمعة من الإسكندرية ومصر والريف والعجم والفرس وحضارم ومقاديشة وجبالبة وأهل ذبحان وزياليغ وباب وحبوش، وقد التأم أليها من كل بقعة ومن كل أرض وتمولوا فصاروا أصحاب خير ونعم. وغالب أهلها حبوش وبرابر. ولم يكن في سائر الربع المسكون والبحر المعمور أعجب من نساء البرابر ولا اوقح منهن والله اعلم.

القول على وقاحة نساء البرابر

إذا تخاصم بعض نساء البرابر مع أخرى تخلع ما عليها من ثياب وتلطم صدرها وتصفق وتقفز وتسلق عيناها في وجه صاحبتها وتغدو كل واحدة منها تارة تنام وتارة تنحني وتارة تضحك وتبكي وتارة تعبس وتارة تلطم. وتنتف شعرتها تذره في الهوا وتدخل إصبعها في رحمها وتلعق صاحبتها من رحمها أو تدس إصبعها في ثقبها وتشم صاحبتها الخراء، وأيش ما عملت إحداهن عملت الأخرى مثل الأولى فما رأيت أوقح ولا أوسخ ولا أقل حياء من البرابر لا جزاهم الله عن الإسلام خيرا وقال النبي (: الحياء من الإيمان. وقال حكيم: إذا لم تستحي فأصنع ما شئت! وقال بعض العجم في هذا المعنى شعرا:

جه نيكو كفت خسروبا سباهي ... جو شرمت نيست روآن كن كه خوافي

فصل

نساء بين الصورين بالموصل ونساء النفاطات ببغداد إذا خاصمت إحداهن الأخرى تصعد السطح عريانة وتقف على الطف وتضرب يدها على رحمها وتقول: إضربي من حرى لبن ومن شعرتي تبن! ونساء يتربون في الخانات يسمونهم العجم كام سرواني إذا خاصمت إحداهن الأخرى تضرب إصبعها في جعصها وتشم صاحبتها. ونساء السناكمة في اليمن إذا خاصمت إحداهن الأخرى ترفع إزرتها وتقف على أربع وتقول للتي تقابلها: بالله ياستي ابصري الهلال قد طلع والخزا قد انقطع! ونساء سيوستان تخلع ثيابها وتنزل السيل عريانة تسبح. ونساء القرامطة إذا قعدت لقضاء حاجة تغطي وجهها وتكشف قماشها كله. ونساء النهروان تمدد قائمة قدام المزين ويحلق لها شعرتها، وإذا أرادت أن يحلق لها شعر أستها يدس المزين في أستها أكرة صغيرة فيها خيط ممدود وتضم المرأة شعرتها على الأكرة ويمد المزين الخيط بيده اليسرى فحينئذ تخرج شعرتها فيحلق الشعر بيده اليمنى وكذلك الرجال. ونساء الروم يدخلن الحمام مع الرجال فتدخل المرأة مع زوجها عريانة. والسماكات في الديبول فإذا تخاصمت امرأة مع أخرى تدس السمك في رحمها، والنساء اللاتي يبيعون الخضر تدس في رحمها فجلة. ملبوسهم الكتان والعمائم الملس، وإما العجم فتنعمم

بذؤابة بر الذؤابة فتعززها في العمامة ثانية، وهكذا أصحاب الشيخ عدي بالموصل، وعلى كتف لك واحد منهم كرأى مصلى أو منديل مطرز. وقيل لرجل من أهلها: تعال معي إلى فلان! قال: أنا عريان قال: أليس ثيابك عليك؟ قال: صدقت ولكن ليس معي كرو. لبس نسائهم الحجل وهو الخلخال والحراف ويسمى عند العجم مسحه والدملج.

وانشد بعضهم في حلي أهل اليمن:

يا بدر تم طلعا ... ونور فجر سطعا

ويا قضيبا ناعما ... على كثيب مرعا

وبارقا من ثغر من ... بهواء قلبي لمعا

ويا غزالا مر بي ... عصرا يجر الخلعا

محجلا مدملجا ... محرفا مملجعا." (١)

"وإذا دخلت المرأة على بعلها تجيء كل امرأتين من جيرانها يهنئانها بإتمام سرورها وتأتي معها بجراب ملآن دقيق سميد أو سويق أو زبيب. وحينئذ يحصل للمرأة نحو مائة ظرف ملآن تنفقها مدة أيام واشهر، وإذا كان لأحد النسوة الذين حضروا العرس عرس ردت لهم المرأة الجراب الملآن مثل ما كان، مثل ما كان، وهذه عوائدهم. وتغزل النساء هذه الديار القطن كما يغزل الوبر بالقانون غليظ مرة، وينسج منه شبه سياسات شبه الأكسية الصوف يسمونها الصوف يسمونها ثياب الهجيرة لبس العبيد والإماء والضعيف. ويقال إنما يوجد في هذه البلد ستون حائكا ودحاح. وليس يعرف القوم إيمان إلا إن زيدا يخط خطا دائرا على وجه الأرض ويقول لعمرو المنكر عليه: أدخله! فإذا دخله يقول له: ارفع رأسك إلى الله! فإذا رفع رأسه نحو السماء قال زيد: كفيت بالله ربا اقصد يا إنسان طريقك بارك الله فيك! وهذه أيمان القوم. وينقسم أموال هذه البلاد على فريقين: الضان وبعض الإبل والخيل، فأما الإبل والضأن يستقنوتهم قوم يقال لهم الشاورية وبعض الإبل والخيل يستقنوتهم الدواشر. ولم يعرفوا غير هذا المال شيئا آخر يعني مثل المعز والبقر والثيرة والحمير والبغال. والآن ينزل البدوان حول القصور بالبيوت الشعر والخيل والإبل والغنم وهم أهل جود وعطا وكرم يأكلوهم لحم الإبل ومشروبهم الحليب وركوبهم الخيل وبيعهم وشراؤهم الخيل والإبل ولبسهم الخام. وهم أهل قوة وفصاحة ويديرون الفلاة وراء الأموال والنعم لا يودون قطعة ولا يعرفون خراجا س. قال أبن المجاور: وكل بدوي لا يأوى تحت سقف ولا يؤدي قطعة فهو من أولاد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه

---

(١) تاريخ المستبصر ابن المجاور، يوسف بن يعقوب ص/٥٢

السلام ليس فيه خلاف ولا شك والله اعلم.

وأما نجد وحدودها فما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين إلى البحر فهو حد نجد

ومن صعدة إلى صنعاء راجعا على الطريق الجديد

قال أبن المجاور: حدثني الحسن بن علي بن محمد التولي الصعدي قال: لما فتح الله عز وجل بالإسلام سلكوا هذه الطريق. من صعدة إلى الخيام ثلاثة فراسخ وتسمى الدروب. وإلى العين فرسخ. وإلى العمسة أربعة فراسخ. وفي هذه الحدود مدينة تسمى خيران ويقال وادي خيران، وهذه مدينة وضعت في لحف جبل ومن علها إنه كان بها ستمائة شارع وكان يخرج من كل شارع ستمائة فارس وكان قد بني لهذه المدينة سد شبه المأزمين بمأرب وقد تقدم ذكره. فلما خرب السد خربت المدينة والآن هي ملك أحمد ومحمد أبني عبد الله بن حمزة واشتروا أراضيها بذهب كثير وهي ذات زرع وضرع، ويقال إن من طيبة أهلها كانت تسمى خيران في أيام الجاهلية. وإلى حوت خمسة فراسخ. وإلى جحضم أربعة فراسخ.وإلى صنعاء فرسخين.

ذكر الرؤيا

قال أبن المجاور: رأيت في المنام كأني في مدينة عامرة وكان عمارتها بالحجر المنقوش طول كل حجر منها مقدار خمسة أذرع ولكل حجر لون، وهي ذات جامع ومساجد وخانات وربط ومساجد ومدارس وع أسواق ودكاكين وحوانيت، نزهة بين جبلين عاليين كثيرة المياه والأنهار والأشجار والبساتين. وكان قد طبق إحدى جبلي الوادي الآخر القائم على حرفه وقد كحل السوق بالجص من لحفه إلى ذروته، فلو سار على وجه أي سد الجبل نملة لناظره من على بعد المسافة. وكأني قلت لأحدهم: ما تسمى هذه البلد، قال: حجب. قلت: وما المعنى في هذا الاسم؟ قال: إنها احتجبت عن الناظرين. قلت: فمن أي الأعمال تحسب؟ قال: من أعمال صنعاء اليمن. وذلك ليلة الجمعة سادس رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة.

من تعز إلى زبيد راجعا

من تعز إلى عدينة ربع فرسخ، قرية في لحف الحصن. وفيها قال الشاعر:

قد كنت لألأ برق من عدينة ... ناديت: ما بال أحباب لنا بعدوا؟." (١)

"(تل زاذان)

بالزاى، والذال معجمة: موضع قرب الرقة، من أرض الجزيرة.

---

(١) تاريخ المستبصر ابن المجاور، يوسف بن يعقوب ص/٨٧

(تل زبدى)

«١» بفتح الزاى، والباء الموحدة، ودال مهملة مقصورة: قرية من قرى الجزيرة.

(تل الزبيبية)

محلة ببغداد منسوبة إلى كل امرأة كانت تبيع الزبيب بالجانب الشرقى منها.

(تل السلطان)

موضع بينه وبين مدينة حلب مرحلة، نحو دمشق، وفيه خان يعرف **بالفندق** «٢» للقوافل.

(تل الصافية)

«٣» ضد الكدرة: حصن من أعمال فلسطين.

(تل عبدة)

«٤» قرية من قرى حران، بها خان للقوافل إلى الرقة.

(تل عبلة)

قرية أخرى من حران، بينها وبين رأس عين.

(تل عقرقوف)

بفتح العين، وسكون القاف، وفتح الراء، وضم القاف الثانية، وسكون الواو، وفاء: قرية. قال: من نواحى دجيل «٥» ، وهى من نهر عيسى، سميت بتل عال إلى إلى جانبها، فى وسطه بناء عال باللبن والقصب، والتل حوله بما يهدم منه بالمطر على ممر السنين.

(تل عكبرا)

«٦» بضم العين: عند عكبرا، والظاهر أنه قد كان محلة منها «٧» .

(تلعة)

بالفتح ثم السكون: ماء لبنى سليط بن يربوع «٨» . وتلعة النعم: موضع بالبادية «٩» .

(تلفياثا)

بكسر الفاء، وياء وألف، وثاء مثلثة: قرية من غوطة دمشق.." (١)

"وتسمى هذه القطعة سوق أسفل، وبها قلعة وقطعة من الحاضر عليا مع أرض المدينة، وأعلى منها بيسير، تسمى المنصورية، بها **خانات** كثيرة، ومنازل للناس، وسوقات. وأما المدينة فأحد جوانبها مشرف

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عبد الحق ٢٧١/١

على العاصى والبساتين، ولأهلها مستشرفات بها. وللمدينة قلعة أخرى عظيمة حصينة، لها خندق، وهى مدينة قديمة جاهلية «١» ، إلا أنها لم تكن من العظمة كما هى اليوم، وإنما كانت من عمل حمص، وبينهما يوم، وبينها وبين شيزر نصف يوم.

(الحمائر)

موضع.

(الحمائم)

قال الحفصى: من قلات العارض- يعنى عارض اليمامة- الحمائم والحمائر.

(حمتا الثوير)

تثنية الحمة، والثوير، تصغير الثور: جبلان لبنى كعب بن عبد الله بن أبى بكر. والثوير: أبيرق أبيض.

(حمدان)

فعلان من الحمد. قيل: مدينة حواليها مائة وعشرون قرية.

(حمراء الأسد)

بالمد. والأسد السبع: موضع على ثمانية أميال [من المدينة] «٢» ، إليه انتهى النبي عليه السلام يوم أحد تابعا للمشركين. والحمراء «٣» : اسم لمدينة لبلة بالأندلس، وهى مدينة قديمة فيها آثار عجيبة على نهر طنتس «٤» ، فيها عين الشب وعين الزاج. والحمراء أيضا: حصن من نواحى بيت المقدس. والحمراء أيضا: موضع بفسطاط مصر. والحمراء أيضا: من قرى مصر، وتعرف بحمراء السنبلاوين، بكسر السين المهملة، وسكون النون، وكسر الباء الموحدة، وفتح الواو، وياء ساكنة، بلفظ التثنية: من كورة الشرقية. والحمراء أيضا، وتعرف بالحمراء الغربية، والحمراء أيضا: من قرى سنحان «٥» باليمن.

[(الحمرانية)

بالضم، وسكون الميم، وفتح الراء، وبعد الألف نون، ثم تحتانية مشددة، ثم هاء: قرية كبيرة باليمن] «٦» .." (١)

"بواسط، من كسكر «١» . والمعروف ببغداد أن الزندورد ببغداد كما ذكر أولا، وهو الآن محال ودروب ومساكن كثيرة فى موضع الدير، كان له أحد النصارى من الصوم يجتمع النصارى فيه، لأن كل أحد من آحاد الصوم كانوا يجتمعون ببيعة تختص به.

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عبد الحق ١/٤٢٤

(دير زور)

بتقديم الزاى، وسكون الواو: بالأهواز.

(دير سابا)

قرية بالموصل.

(دير سابان)

وهو دير رمانين– تقدم. قالوا: وسابان بالسريانية اسم الشيخ.

(دير سابر)

قرب بغداد، بين المزرفة والصالحية، فى الجانب الغربى، عندها قرية تعرف ببزوغى «٢» . ودير سابر: من نواحى دمشق، من إقليم خولان.

(دير سرجس ويكس «٣»)

منسوب إلى راهبين، كانا بنجران «٤» ، كان هذا الدير بطيز ناباذ، بين الكوفة والقادسية، بينه وبين القادسية ميل، وكان محفوفا بالكروم والأشجار والخانات «٥» ، وقد خرب وبطل، ولم يبق منه إلا خرابات يقال لها قباب أبى نواس «٦» .

(دير سعد)

بين بلاد غطفان والشام «٧» .

(دير سمالو)

«٨» فى رقة الشماسية ببغداد مما يلى البردان، وينجر بين يديه نهر الخالص، وهو نهر المهدى، يقال إن الرشيد غزا أهل صمالوا «٩» فسألوا الأمان لعشرة أبيات منهم القومس." [1]

"(الفاء والميم)

(فم الصلح)

وهو نهر كبير فوق واسط، بينها وبين جبل، عليه عدة قرى، وعند فمه كانت دار الحسن بن سهل، وفيه بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل، وهو الآن خراب.

(الفاء والنون)

(فنا)

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عبد الحق ٥٦٣/٢

بضم أوله «١» ، والقصر: جبل قرب سميراء.

وفناة: ماء لبنى جذيمة فوق الثلبوت، من أرض نجد إلى جنب جبل يقال له فنا.

(فنا خرة)

كورة بفارس أدخلت فى كورة أردشير خرة.

(فنجديه)

بالفتح، ثم السكون، ثم فتح الجيم، وكسر الدال، وياء، ثم هاء خالصة.

وأصلها بنج ديه، ومعناه خمس قرى، وهى بليدة فيها خمس قرى، اتصلت بعضها ببعض قرب مرو الروذ- تقدمت فى الباء.

(فنجكان)

بالفتح، ثم السكون، وجيم بعدها كاف، وآخره نون: قرية من قرى مرو.

(فنجكرد)

بالفتح، ثم السكون، وجيم مضمومة «٢» ، وكاف مكسورة، وراء ساكنة، ودال مهملة: قرية من نواحى نيسابور.

(فنجة)

بالفتح، ثم السكون، وجيم: موضع فى شعر أبى الأسود الدؤلى. ق ا ل. وما أظنه إلا أعجميا.

(فند)

بالفتح، ثم السكون، وآخره دال: جبل بين مكة والمدينة قرب البحر.

(الفندق)

بالضم، ثم السكون، ثم دال مضمومة، وقاف: موضع بالثغر قرب المصيصة.

وهو فى الأصل الخان المعد للسكنى بلغة أهل الشام.

(فندلاو)

قال: أظنه موضعا بالمغرب.

(الفندم)

موضع بالأهواز.." (١)

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عبد الحق ١٠٤٤/٣

"ومدينة يثرب، وهى مدينة الرسول عليه السلام، وهى مقدار نصف ميل: فى حرة سبخة، وبها نخل كثير على مياه الآبار والسواقى، وعليها سور دائرة، ومسجد الرسول عليه السلام فى وسطها، وقبر النبي عليه السلام فى زاويته الشرقية فى بيت مرتفع قد ألحق الآن بسقف المسجد، وعليه قبة رصاص، فيه قبر النبي عليه السلام، وقبر أبى بكر وعمر، ولا باب له، ومصلى النبي عليه السلام خارج سور المدينة فى غربيها.

(الميم والذال)

(المذاد)

بالفتح، وآخره دال مهملة: موضع بالمدينة حيث حفر النبي خندقها «١» .

وقيل: واد بين سلع وفندق المدينة.

(المذار)

بالفتح، وآخره راء: بلدة فى ميسان، بين واسط والبصرة، وهى قصبة ميسان، بينها وبين البصرة نحو من أربعة أيام، وبها مشهد عظيم به قبر عبد الله بن على بن أبى طالب.

(المذارع)

جمع مذرع، وهى البلاد التى بين الريف والبر، مثل القادسية والأنبار.

ومذارع البصرة: نواحيها.

(المذاهب)

من نواحى المدينة، فى شعر ابن هرمة «٢» .

(مذحج)

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الحاء المهملة، وجيم: قبيلة [اسم أكمة] «٣» .." (١)

"وهى خمسة قصور يحيط بها سور واحد يرابط به أهل الصلاح، وبقربها ملاحة يحمل ملحها فى المراكب إلى البلاد.

ومنسبير عثمان: بينه وبين القيروان ست مراحل، وهى قرية كبيرة آهلة بها جامع، وفنادق وحمام وبئر لا تنزف.

والمنسبير: فى شرقى الأندلس، بين لقنت وقرطاجنة.

(المنشار)

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عبد الحق ١٢٤٧/٣

بلفظ منشار النجار: حصن قريب من الفرات. وقيل: جبل.

(منشد)

بالضم، ثم السكون، وكسر الشين، ودال مهملة: موضع بين رضوى، جبل جهينة وبين الساحل. وجبل من حمراء المدينة، على ثمانية أميال من طريق الفرع «١» .

وأيضا بلد لبنى سعد بن زيد مناة.

ومنشد أيضا: فى بلاد طيىء «٢» .

[(المنشر)

بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده شين معجمة وراء مهملة: موضع معروف فى بلد عنس، باليمن، وموضع آخر فى بلد سنحان من جنب] «٣» .

(منشم)

بالفتح، ثم السكون، وكسر الشين المعجمة، وميم: موضع.

(المنشية)

بالضم، ثم السكون، وكسر الشين، والياء مشددة: اسم لأربع قرى بمصر:

إحداها من كورة الجيزية من الحبس الجنوبى «٤» .." (١)

"(الوذ)

بالفتح، وتشديد الذال: موضع بتهامة. قال: أحسبه جبلا.

(وذرة)

بالفتح، ثم السكون، والراء: من أقاليم أكشونية بالأندلس.

(وذفة)

بالتحريك: موضع.

(وذلان)

بالفتح، ثم السكون، وآخره نون: من قرى أصفهان.

(وذنكاباذ)

بفتح أوله وثانيه، وسكون النون: من قرى أصفهان.

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عبد الحق ١٣٢٠/٣

(الواو والراء)

(وراخ)

ناحية باليمن «١» .

(الورادة)

منزل فى طريق مصر من الشام، فى وسط الرمل، من أعمال الجفار، بها سوق ومسجد، وكانت قديما مدينة فيها سوق وجامع **وفنادق**، وخربت بعد ذلك.

(ورازان)

بالزاى «٢» ، وآخره نون: من قرى نسف.

(ورازون)

بعد الألف زاى، ثم واو، ونون: موضع.

(الوراق)

بكسر أوله: موضع.

(الوراقين)

موضع، وكأنه تثنية الذي قبله «٣» .

(ورليز «٤»)

بالفتح، ثم السكون، واللام مكسورة، ثم ياء وزاى- ويروى بالنون:

[بلدة] »

بينها وبين بلخ ثلاثة أيام، وبين خلم «٦» يومان.

(ورام)

بالفتح: بلد قريب من الرى «٧» ، أهله شيعة.." [1]

"من العيش، حتى طلبه ففر إلى السند «١» وقال:

[البسيط]

لم يروه ما أراق النعي من دمنا ... في كل أرض ولم يقصد من الطلب

وليس يشفي غليلا في حشاه سوى ... ألا ترى فوقها ابنا لبنت نبي

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عبد الحق ١٤٣١/٣

وكتب صاحب السند إلى المنصور يخبره أنه وجد في بعض **خانات** الموليان مكتوبا بقول القاسم بن إبراهيم طباطبا العلوي: انتهيت إلى هذا الموضع بعد أن مشيت حتى انتعلت الدم، وقد قلت:

[الطويل]

عسى منهل يصفو فيروي ظميه ... أطال صداها المنهل المتكدر

عسى جابر العظم الكسير بلطفه ... سيرتاح للعظم الكسير فيجبر

عسى صور أمسى لها الجور دافنا ... سيبعثها عدل يجيء فيظهر

عسى الله لا ينأى من الله إنه ... ييسر منه ما يعز ويعسرا [ص ٩]

فكتب إليه المنصور: قد فهمت كتابك، وأنا وعلي وأهله كما قيل:

[الطويل]

يحاول إذلال العزيز لأنه ... بدأنا بظلم واستمرت مرائره

ولما أنشد مؤلف الكنوز للقاسم بن طباطبا قوله:

[الوافر]

أرقت لب ارق ما زال يسري ... ويبكيني بمبسم أم عمرو

فلم يترك وعيشك لي دموعا ... بأجفاني ولا قلبا بصدر." (١)

"الشمر النديم:

[الرمل]

يا ولي الأمر من بعد الحكم ... بك جاد الصنع للخلق وتم

خذ بشكر نعمة الله التي ... هي من خير العطايا والقسم

واشكر الله على نعمته ... إن في الشكر مزيدا للنعم

فلقد قربت قربانا به ... تلج الفردوس من طاغي العجم

كافرا سلمه أشياعه ... وبه حلت من الله النقم

ثم تخلى له أبوه الحكم عن النظر في أمور الخلافة، وأراد أن يخلي له قصر الإمارة فأبى ابنه عبد الرحمن، وقال: بل أكتفي بالقعود على باب السدة مقعد صاحب المدينة، فاستحسن رأيه، وبدأ بتغيير المنكر، وأمر بهدم **الفندق** السلطاني المعد لبيع الخمور وسكن المومسات الخواطي، فهدمت بنيته، وصبت أشربته،

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٤/٣٨

وكسرت آنيته، وخليت من العواهر أفنيته، فضج الناس بالدعاء له وعلت أصواتهم حتى سمعها الحكم، فارتاع وسأل عما أوجب ضجيج الرعاع، فلما أعلم بما صنع ابنه سكن وقال: هو أعلم بما صنع.

وتوفي الحكم يوم الخميس لأربع بقين من ذي الحجة سنة ست ومائتين، ومولده سنة أربع وخمسين ومائة، ومدة خلافته نحو ست وعشرين سنة وشهر ونصف شهر، وسنه ثلاث وخمسون سنة، وصلى عليه ابنه عبد الرحمن، [وكان] طوالا أشم نحيفا لا يخضب.

١١٦- دولة ابنه عبد الرحمن بن الحكم

أبي المطرف «١» [ص ٣١٦] ، كان أثيرا عند أبيه الحكم، كثيرا مما يظهر به من." (١)

"جيحون «١» ، ومعهم ملكهم جنكز خان، فاستولوا على بخارى رابع ذي الحجة من هذه السنة بالأمان، وعصت عليهم القلعة فحاصروها وملكوها وقتلوا من كان بها (١٧٤) ، ثم قتلوا أهل البلد عن آخرهم.

قال محمد بن أحمد بن علي [المنشئ] «٢» النسوي كاتب إنشاء جلال الدين: إن مملكة الصين مملكة متسعة دورها ستة أشهر، وقد انقسمت من قديم الزمان ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر يتولى أمره خان وهو الملك بلغتهم نيابة عن خانهم الأعظم، وكان خانهم الكبير الذي عاصر خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش يقال له الطرخان «٣» قد توارث الخانية كابرا عن كابر بل كافرا عن كافر، ومن عادة خانهم الأعظم الإقامة بطرغاج «٤» وهي واسطة الصين، وكان من زمرتهم في عصر المذكور شخص يسمى دوشي خان، وكان أحد **الخانات** المتولي أحد الأجزاء الستة، وكان مزوجا بعمة جنكز خان، وقبيلة جنكز خان هي المعروفة بقبيلة التمرجي سكان البراري، ومشتاهم موضع يسمى أرغون، وهم المشهورون بين الترك بالغدر والشر (و) لم ير ملوك الصين إرخاء عنانهم لطغيانهم، فاتفق أن دوشي خان مات فحضر جنكز خان إلى عمته زائرا ومعزيا، وكان الخانان المجاوران لعمل دوشي خان المذكور يقال لأحدهما كشلو خان «٥» وللآخر فلان خان وكانا يليان ما يتاخم من أعمال دوشي خان المذكور من الجهتين، فأرسلت امرأة دوشي خان إلى كشلو خان وإلى الآخر تنعى إليهما." (٢)

"المصافاة أن الملك الأشرف لم يبق بيده غير دمشق وبلادها وكانت لا تفي بما يحتاجه وما يبذله وقت قدوم أخيه الملك الكامل دمشق، وأيضا لما فتح الملك الكامل آمد وبلادها لم يزده منها شيئا، وأيضا

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٦٥/٢٤

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٣٦/٢٧

بلغه أن الملك الكامل يريد أن ينفرد بمصر والشام وينتزع دمشق منه فتغير بسبب ذلك.
ولما استقر الملك الصالح إسماعيل في ملك دمشق كتب إلى الملوك من أهله وإلى كيخسرو صاحب الروم في اتفاقهم معه على أخيه الكامل، فوافقوه على ذلك إلا المظفر صاحب حماة، وأرسل الملك المظفر رسولا إلى الملك الكامل يعرفه انتماءه إليه، وأنه إنما وافق الأشرف خوفا منه، فقبل الملك الكامل عذره وتحقق صدقه ووعده بانتزاع سلمية من شير كوه صاحب حمص وتسليمها إليه، ولما بلغ الملك الكامل وفاة أخيه الأشرف توجه إلى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك وهو لا يشك في أن الملك الكامل يسلم إليه دمشق لما كان تقرر بينهما، وأما الملك الصالح إسماعيل فإنه استعد للحصار ووصلت إليه نجدة الحلبيين وصاحب حمص ونازل الملك الكامل دمشق، (٢٣٩) وخرج الصالح بالنفاطين فأحرق العقيبة بما بها من **خانات** وأسواق، وفي مدة الحصار وصل من عند صاحب حمص رجالة يزيدون عن خمسين راجلا نجدة للصالح إسماعيل فظفر بهم الملك الكامل فشنقهم بين البساتين عن آخرهم، وحال نزول الملك الكامل على دمشق أرسل توقيعا للملك المظفر صاحب حماة بسلمية فتسلمها الملك المظفر واستقرت نوابه بها، وكان نزول الملك الكامل على دمشق في جمادى الأولى هذه السنة في قوة الشتاء، ثم سلم الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه." (١)

"خراب سور حماة بتقدم هولاكو، إليه فخربت أسوارها واحترقت **زردخاناتها** وبيعت [الكتب] «١» التي في دار السلطنة بقلعة حماة بأبخس الأثمان.
وأما أسوار مدينة حماة فلم تخرب لأنه كان بحماة رجل يقال له إبراهيم ابن الفرنجية «٢» ضامن الجهة المفردة بذل لخسرو شاه جملة كثيرة من المال، وقال:
الفرنج قريب منا بحصن الأكراد ومتى خربت أسوار المدينة [لا] «١» يقدر أهلها على المقام فيها فأخذ منه المال ولم يتعرض لخراب أسوار المدينة، وكان قد أمر هولاكو الملك الأشرف صاحب حمص بخراب قلعة حمص [أيضا] «٣» فلم يخرب منها إلا شيئا قليلا لأنها مدينته.
وأما دمشق فإنهم لما ملكوا المدينة بالأمان لم يتعرضوا إلى قتل ولا نهب، وعصت عليهم قلعة دمشق فحاصرها التتر وجرى على أهل دمشق شدة عظيمة من عصيان القلعة، وضايقوا القلعة وأقاموا عليها المناجيق، ثم تسلموها بالأمان في منتصف جمادى الأولى من هذه السنة (٣٠٧) ونهبوا جميع ما فيها، وجدوا في خراب أسوار القلعة وإعدام ما بها من **الزردخانات** والآلات، ثم توجهوا إلى بعلبك ونازلوا قلعتها.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٧/٣٠٤

وفي هذه السنة، استولى التتر على ميافارقين وقد تقدم ذكر نزولهم عليها في سنة ست وخمسين «٤» ودام الحصار عليهم حتى فنيت أزوادهم وفني أهلها." (١)

"للجانب التاريخي.

د- التأريخ والمؤرخون في عصر المؤلف:

- ١- شهد أواخر القرن السابع الهجري والقرن الثامن الهجري مولد عدد من المؤرخين المعروفين من الفرس والعرب واشتهرت مؤلفاتهم في الأفاق، ومن ثم فإن ظهور ابن فضل الله العمري هو امتداد طبيعي لهذا الفيض من المؤرخين، ولما كان العالم الإسلامي متصلا ومتواصلا، ورحلات الرحالة وزيارات التجار والسفراء، وتنقلات العلماء والأدباء من وطن إلى آخر لا تنقطع، وكان سلاطين هذه العصور يهتمون بطرق التجارة والقوافل والبريد لذا أقاموا عليها العمارات وأنشأوا الرباطات، وأمنوا السالكين في الآفاق، ولذلك كانت أخبار الممالك الإسلامية معروفة ومتداولة، لا تخفى خافية عن جوابي البلاد من الرحالة والمؤرخين.

- ٢- ظهر في أواخر القرن السابع الهجري المؤرخ الكبير علاء الدين عطا ملك جويني المتوفى ٦٨١ هـ. وكان مقربا من خانات المغول في عهد هولاكو وخلفه، وتولى حكم بغداد، وقد ألف كتابا من أفضل كتب التاريخ في العصر المغولي وهي جهانكشاي «فاتح العالم» وهو في ثلاثة مجلدات ضخمة تناول فيها عادات وتقاليد المغول والقواعد التي سنها جنكيز خان وفتوحات جنكيز وسلطنة اوكتاى وكيوك و چغتاي، كما تناول تاريخ الخوارزمشاهية وأحوال ملوك القراختاي والاورخانية، وتحدث عن منكوقاآن وهولاكو، وتوجه الأخير إلى بغداد للقضاء على الإسماعيلية.

وقد ترجم الجزء الأول منه على يد الاستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي،." (٢)

"وما لا يحصى من الدواب السائمة من الجواميس والأبقار والأغنام والمعز، ودواجن الطير من الدجاج والحمام البلدي والأوز، وهو أقل أنواعه، فأما الدجاج الهندي فيكاد أن يكون كالأوز في عظم المقدار، وكل هذا يباع بأرخص الأسعار، وأقل الأثمان، وأما السمن واللبن على اختلاف أنواعه فكثير لا يعبأ به ولا له قيمة، ويباع بأسواقها من الأطعمة المنوعة كالشواء والأرز والمطجن والمقلى والمنوع والحلوى [١] المنوعة [٢] على خمسة وستين نوعا، والفقاع والأشربة ما لا يكاد يرى في مدينة سواها، وبها من أصحاب الصنائع للسيوف والقسى والرماح وأنواع الرماح والزردا، والصواغ «١» والزراكش [٣] والسراجين وغير ذلك من أرباب

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٨١/٢٧

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٣/٣

كل صنف «٢» مما يختص بالرجال والنساء وذوي السيوف والأقلام وعامة الناس ما لا يحصى لهم عدد، وأما الجمال فقليلة لا تكون إلا للسلطان ومن عنده من **الخانات** [٤] والأمراء والوزراء وأكابر أرباب الدولة، وأما الخيل فكثيرة وهي نوعان (المخطوط ص ١٦) : عراب [٥] وبراذين [٦] ، وأكثرها مما لا يحمد فعله، ولهذا

---

[١] وردت بالمخطوط الحلوا وهو عادة يكتب الألف المقصورة ألفا مثل أحلى، أعلى، أسمى، وقد كتبتها على الرسم المستعمل الآن، وذلك في نسخة أ، ب.

[٢] انظر الزردخانة فيما بعد.

[٣] الزراكش جمع مفرده زركش وتعني وضع خطوط ذهبية على الثوب ويسمى ذلك تذهيبا والثوب مذهبا وهو من الفعل الفارسي زركشيدن ويعني التذهيب ومنه في العربية مزركش ويزركش وزركشة (انظر الدخيل في لهجة أهل الخليج ٦٦ فرهنج عميد ٢/١١٠٤، قاموس الفارسية ٣٢٠) .

[٤] **الخانات** جمع مفرده خان وهي كلمة تركية الأصل بمعنى رئيس وأمير وتطلق على رؤساء الترك والتاتار (انظر فرهنج عميد ١/٨٢٨، تفسير الألفاظ الدخيلة ٢٣/معجم أنيس فريحة ٤٢/معجم آدى شير ٥٨، الدخيل في لهجة أهل الخليج ٤٣) .

[٥] العراب: الخيول العربية ذات الأصول الكريمة.

[٦] براذين جمع مفرده برذون وهو الحصان التاتاري والبغل والحصان غير الأصيل (فرهنج عميد ١/٣٣٦)

.." (١)

"بسكونه «١» وسكن حريمه ومقاصير جواريه [١] وحظاياه [٢] ، وبيوت خدمه ومماليكه، لا يسكن معه أحد من **الخانات**، ولا من الأمراء، ولا يكون به أحد منهم إلا إذا حضروا للخدمة، ثم ينصرف كل واحد إلى بيته، وخدمتهم مرتين في كل نهار في بكرة كل يوم وبعد العصر منه، ورتب الأمراء على هذه الأنواع، أعلاهم قدرا **الخانات** ثم الملوك ثم الأمراء، ثم الأصبهلاريه [٣] ثم الجند، وفي خدمته ثمانون خانا أو أزيد، وعسكره تسعمائة ألف فارس من هؤلاء، منهم من هو بحضرته، ومنهم في سائر البلاد، يجرى عليهم كلهم ديوانه [٤] ، ويشتملهم إحسانه، وعساكره من الأتراك والخطا والفرس والهند، ومنهم البهالوين [٥] والشكار [٦] ، ومن بقية الأنواع والأجناس، كلهم بالخيل المسومة، والسلاح الفائق والتجمل الظاهر

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٥٢

الزائد، وغالب الأمراء والجند تشتغل بالفقه،

---

[١] وردت بالمخطوط جواره أ، جواريه ب ٦٩.

[٢] حظاياه جمع مفرده حظية وهن الجواري أصحاب فنون الغناء والموسيقى (انظر حظية فرهنگ عميد ٧٩٨/١) .

[٣] وردت بالمخطوط الأصفهسلايه وصوابها السبهسلارية وهي من سيه سالار، كلمة فارسية تعني قائد الجيش مأخوذ عن الپهلوية) SPah SalAx فرهنگ عميد ١١٦٨/٢) .

[٤] الديوان: الكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية، وأول من وضعه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وأخذه عن الفرس وكان كسرى أنوشيروان ملك فارس قد أطلق اسم ديوان أو ديوانه على الموظفين الحكوميين (انظر: الدلالات اللفظية للكلمات الفارسية في كتاب سيبويه د. أحمد الشاذلي، المنوفية ١٩٨٧ ص ٢٨- واژه هاي فارسي در زبان عربي ٢٧٣/٢٧٥) .

[٥] البهالوين: جمع مفرده بهلوان، والباء مثلثة، ومعربها فهوي، واللفظ فارسي بمعنى البطل والشجاع (انظر الدخيل في لهجة أهل الخليج ص ٩١، فرهنگ عميد ٤٩٦/١) .

[٦] الشطار جمع مفرده شاطر وهم جماعة تماثل العيارين والفتوة، وكانوا في القديم عبارة عن مشاة يسيرون أمام موكب السلاطين والأمراء في زمن خاص (فرهنگ عميد ١٢٧٧/٢- ١٣٠٥) .." (١)

"ويتمذهبون [١] خاصة وأهل الهند عامة لأبي حنيفة رضي الله عنه، وله [٢] ثلاثة آلاف فيل محققة، تلبس في الحروب البركصطوانات [٣] الحديد المذهب، وأما في أوقات السلم فتلبس جلال الديباج [٤] والوشى وأنواع الحرير، وتزين بالقصور والأسرة المصفحة، وتشد عليها البروج من الخشب المسمرة، ويتبوأ بها رجال الهند مقاعد القتال، ويكون على الفيل من عشرة رجال إلى ستة رجال على قدر احتمال الفيل، وله عشرون ألف مملوك أتراك.

قال البرس «١» وعشرة آلاف خادم خصى، وألف خزندار [٥] وألف بشمقدار [٦] وله مائتا ألف عند ركابيه [٧] ، تلبس السلاح (المخطوط ص ١٨) ، وتمشي في ركاب السلطان، وتقاتل رجالة بين يديه، وليس يستخدم أحد من **الخانات** والملوك والأمراء والأصفهلاريه «٢» أجنادا، يقطع لهم الإقطاعات من قبلهم، كما هو في مصر والشام، بل ليس يتكلف الواحد منهم إلا نفسه وعدته من الجند، استخدامهم

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٥٥/٣

[١] أي يعتنق كل منهم مذهبا، ويتعمق فيه كالمالكية والشافعية والحنابلة.

[٢] أي للسلطان.

[٣] البركصطوانات: من الكلمة الفارسية برگستوان وتعني غطاء مخصوص من الصلب يضعونه أثناء الحرب على الجسم أو على الجياد والأفيال وهي من برگستوان وبرگستان (فرهنگ عميد ١/٣٤٢) .

[٤] الديباج: هو من اللفظ الفارسي ديبا بمعنى حرير وعربت ديباج ومنها الفعل ديج ويديج، والديباج حزب من الحرير، واللفظ الفارسي مأخوذ من البهلوية (انظر لسان العرب ٢/١٣١٦، قاموس شتايجس فارسي/ إنجليزي ٥٥١، فقه اللغة للثعالبي ٣٢٥، واژه هاي فارس لشوشترى ٢٦٨) .

[٥] خزندار: الخازن من الكلمة العربية خزانة واللاحقة الفارسية دار، وخزندار من خزانة دار أي القائم بأعمال الخزانة (فرهنگ عميد ١/٨٢٠) .

[٦] بشمقدار من باشماق دار وباشماق تركية بمعنى حذاء وباشماقدار حامل الحذاء (فرهنگ عميد ١/٣٠٦) .

[٧] قواد الجيش.." (١)

"للسلطان، وأرزاقهم من ديوانه، ويبقى كلما تعين لذلك الخان أو الملك أو الأمير أو الأصفهلار خاص لنفسه والحجاب وأرباب الوظائف وأصحاب الأشغال من أرباب السيوف من **الخانات** والملوك والأمراء، لكل رتبة من يناسبها على مقدارها، فأما الأصفهلارية فلا يؤهل منهم أحد لقرب السلطان، وإنما يكون منهم نوع الولاة «١» ، ومن يجري مجراهم، والخان يكون له عشرة آلاف فارس، والملك ألف فارس، والأمير مائة فارس، والأصفهلارية دون ذلك.

وأما أرزاقهم فيكون **للخانات** والملوك والأمراء والأصفهلارية بلاد مقررة عليهم من الديوان، إن كانت لا تزيد، فإنها لا تنقص، والغالب أن تجيء أضعاف ما عبرت به.

ولكل خان لكان [١] ، كل لك مائة ألف تنكة [٢] كل تنكة ثمانية دراهم، هذا خاص له، لا يخرج منه لجندي من أجناده شيء، ولكل ملك ستين ألف تنكة إلى خمسين ألف تنكة، ولكل أمير منه «٢» أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة، وال أصفهلارية من عشرين ألف تنكة وما حولها، وأما الجند فكل جندي من عشرة آلاف تنكة إلى ألف تنكة، وأما المماليك السلطانية، فكل مملوك من خمسة آلاف تنكة إلى

(١) مسالك الأبصار في م مالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٥٦/٣

ألف تنكة، وطعامهم وكساويهم وعليقهم [٣] والجند والمماليك ليس لهم بلاد، وإنما يأخذون أموالهم نقدا من الخزانة، وأما أولئك «٣» فبلاد تلك غيرها.

---

[١] لكان: مثنى لك، والك مائة ألف (الدخيل في لهجة أهل الخليج ١٠١) .

[٢] تنكه: هي عملة فضية وذهبية، ولكنها في الغالب فضية (انظر معجم فريحة ٢٣، فرهنج عميد ١/٦٢٨، الدخيل في لهجة أهل الخليج ٣٥) .

[٣] ما يقدم للحيوانات التي يستخدمها الأمراء وأرباب الوظائف من خيل وإبل وبغال وخلافه.." (١)

"زركشي [١] ، يعمل الزراكش لباقي الحريم، ويعمل في مستعملاته، ولما يخلعه على أرباب دولته، ويعطى لنسائهم.

ويفرق في كل سنة عشرة آلاف فرس عربي من الخيل العراب المسومة منها ما هو مسرج ملجم، ومنها ما هو عربي بلا سرج ولا لجام، والمسرجات والملجمات على أنواع منها ما هو ملبس، ومنها ما هو محلى، ثم إن تلك الملبسات والملجمات.

منها ما هو بالذهب، ومنها ما هو بالفضة، فأما ما يعطى من الخيل والبراذين، فإنه بلا حساب، يعطى جسارات جسارات، ويفرق مئينا مئينا [٢] .

وهو على كثرة الخيل ببلاد، وكثرة ما يجلب إليه يتطلبها من كل قطر، ويبذل فيها أكثر الأثمان، لكثرة ما يعطى ويطلق، وهي مع هذا غالية الثمن، مربحة المكاسب، لمن يتاجر فيها، لكثرة المكاسب والعساكر وجمهرة الخلق.

وحدثني علي بن منصور العقيلي «١» من أمراء عرب البحرين، وهم ممن يجلبون من البحرين، الخيل، إلى هذا السلطان؛ أن لأهل هذه البلاد علامة في الفريس، يعرفونها بينهم، متى ما رأوها «٢» في فرس اشتروه بما عسى يبلغ ثمنه.

ولهذا السلطان نائب من **الخانات** يسمى أميرت «٣» أقطاعه يكون قدر إقليم عظيم نحو العراق، ووزير؛ أقطاعه يكون قدر إقليم «٤» العراق وله أربعة (المخطوط

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٥٧

[١] الزركشي: مذهب، القائم بصناعة الملابس الموشاة بالذهب (الدخيل في لهجة أهل الخليج ٦٦) .

[٢] مئات مئات.." (١)

"من ذوي الذوق اللطيف، يجرى على هؤلاء كلهم ديوانه، وتدر عليهم مواهبه، ومتى بلغه أن أحدا من ملاهيه غنى لأحد، قتله، وساءلته عما لهؤلاء من الأرزاق، فقال: لا أعلم من أرزاق هؤلاء إلا ما للندماء، فإن لبعضهم قريتين، ولبعضهم قرية، ولكل واحد منهم من أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة إلى عشرين ألف تنكة، على مقاديرهم من الخلع والكساوى والافتقادات «١» .

(قال الشيخ أبو بكر بن الخلال البزي الصوفي: وله مائتا تبع تسافر بأمواله في البلاد تبتاع له ولكل واحد منهم في كل مدينة ألف تنكة) «٢» قال الشيخ مبارك:

ويمد لهذا السلطان السماط أوقات الحزم في طرفي النهار مرتين، في كل يوم، ويطعم منه عشرون ألف نفر مثل **الخانات** والملوك والأمراء والأصفهلارية وأعيان الجند، وأما طعامه الخاص، فيحضر معه عليه الفقهاء، مائتا فقيه في الغداء والعشاء، ليأكلوا معه ويجثوا بين يديه.

قال الشيخ أبو بكر بن الخلال البزي: سألت طباخ السلطان كم يذبح في مطابخة «٣» كل يوم؟ فقال: يذبح ألفين وخمسمائة رأس من البقر، وألفين رأس من الغنم غير الخيل (المخطوط ص ٢١) المسمنة، وأنواع الطير.

قال الشيخ مبارك: ولا يحضر مجلس هذا السلطان من الجند إلا الأعيان ومن دعته ضرورة الحضور لكثرة عددهم، وكذلك مجالسه الخاصة لا يحضر بها جميع أرباب الخدم من الندماء والمغاني إلا بالنوب، وكذلك أرباب الوظائف مثل الدبيران [١] والأطباء، ومن يجرى مجراهم لا يحضرون إلا بالنوب «٤» ، وأما الشعراء

---

[١] دبيران جمع مفرده دبير: وتعني الكاتب.." (٢)

"وقال لي الشيخ مبارك أن هذا السلطان يحمل على رأسه «١» سبعة جتورة [١] منها اثنان مرصعان ليس لهما قيمة [٢] ولدسته [٣] من الفخامة والعظمة والقوانين الشاهنشاهيه [٤] ، والأوضاع السلطانية، ما لم يكن فعله إلا للإسكندر ذي القرنين أو لملكشاه بن ألب أرسلان [٥] .

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٥٩/٣

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٦١/٣

وأما الخانات والملوك والأمراء، فإنه لا يركب أحد منهم في السفر والحضر إلا بأعلام، وأكثر ما يحمل الخان تسعة أعلام، وأقل ما يحمل الأمير ثلاثة، وأكثر ما يجرى الخان في الحضر عشرة جنايب، وأكثر ما يجرى الأمير في الحضر جنيبات.

فأما في الأسفار فمهما وصلت قدرة كل واحد منهم ووسعة صدره وكرمه «٢» مع أنهم إذا حضروا باب السلطان، تضاءلوا لطمس شمسه كواكبهم، ولطم بحره سحابيهم، وهذا السلطان مع هذا ذو بر وإحسان وتواضع لله تعالى «٣» .

حدثني أبو الصفاء عمر بن إسحاق السبكي [٦] أنه رآه وقد نزل إلى جنازة فقير [٧] صالح، ومات، وحمل نعشه على عنقه، وله فضيلة جمة يحفظ كتاب الله

---

[١] جتوره: جمع جتر.

[٢] أي لا يقدران بمال، غالية الثمن.

[٣] مجموعة من كلمة دستة الفارسية.

[٤] الشاهنشاهية: السلطانية من اللفظ الفارسي شاهنشاه أي ملك الملوك.

[٥] وردت بالمخطوط الملك شاه بن ألب أرسلان ويعني ملكشاه.

[٦] أبو الصفا عمر بن إسحاق السبكي المتوفى ٧٥٠ هـ (الدرر الكامنة ٤/١٥) .

[٧] الفقير هو المتصوف (فرهنج رازي ٦٤٣- عميد ٢/١٥٤٥) .." (١)

"أحد أن يتظاهر في بلاد بمحرم، وأشد ما ينكر على الخمر، ويقيم الحد فيه، ويبالغ في تأديب من يتعاطاه من المقربين إليه.

حدثني السيد الشريف تاج الدين ابن أبي المجاهد الحسن السمرقندي أن بعض الخانات [١] الأكابر بدهلى، كان يشرب الخمرة، ويدمنها، ويصر عليها، وكان ينهى فلا ينتهى، فغضب عليه هذا السلطان غضبا شديدا، وأمسكه، وأخذ أمواله، فكان بحمله ما وجد له أربعمائة ألف ألف مثقال، وسبعة وثلاثون ألف مثقال ذهبا أحمرا، وفي هذه الحكاية كفاية في مبالغته في إنكار المنكر، وفي سعة أموال هذه البلاد، فإن هذا المال إذا حسب «١» بالقناطير المصرية كان ثلاثة وأربعين ألف قنطار أو سبعمائة قنطار ذهبا، وهذا مما لا يكاد يدخل تحت حصر ولا إحصاء.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٦٦

وحكى لي هذا الشريف حسن السمرقندي، وهو ممن جال الأرض وجاب الآفاق، عن أموال هذه البلاد وما تحار العقول فيه من مثل هذا أو أشباهه، وله من وجوه البر، والصدقات ما تسطره الدنيا في صحائف حسناتها، وترقمه الأيام في غرر حياتها، سمعت منه أحاديث جملتها ما علمت تفصيلها حتى حدثني الشيخ المبارك «٢» مبارك أن هذا السلطان يتصدق في كل يوم بلكين [٢] لا أقل منهما، يكون عنهما من نقد مصر والشام ألف ألف وستمائة ألف درهم في كل يوم، وربما بلغت صدقته في بعض الأيام خمسين لكا، ويتصدق عند رؤية كل هلال من كل شهر بكلين، عادة دائمة لا يقطعها، وعليه راتب مستمر لأربعين ألف فقير () ، لكل واحد منهم في كل يوم درهم واحد وخمسة (المخطوط ص ٢٥) أرطال خبز قمح أو أرز، وقرر ألف فقيه في مكاتب أرزاقهم على ديوانه، تعلم الأيتام وأولاد الناس

---

[١] الأمراء الكبار.

[٢] بلكين مثنى لك، والك مائة ألف (انظر الدخيل في لهجة أهل الخليج ١٠١) .." (١)

"السلاح داريه [١] والجمداريه [٢] ، ومن حكمه بين أرباب الأشغال الخاصة حكمهم، وأرباب الوظائف على منازلهم ولا يجلس إلا على **الخانات** وصدر جهان والدبيران [٣] يعني كتاب السر، بين يديه، والحجاب وقوف، وينادى مناداة عامة أنه من كان له شكوى يحضر، فيحضر كل من له شكوى أو حاجة يسأل السلطان فيها، فإذا حضر أو وقف «١» بين يديه، لا يضرب، ولا يمنع حتى ينهى إليه شكواه، ويأمر السلطان فيه بأمره.

وأما بقية الأيام فإنه يجلس في طرقى كل نهار ويركب في **الخانات** والملوك والأمراء جميعهم إلى بابه ومن رسمه أن أحدا لا يدخل عليه بسلاح كبيرا «٢» ولا سكين صغيرة ومن جاء اعتبر قبل دخوله ودون المكان الذي يجلس فيه سبعة أبواب بعضها داخل بعض وعلى الباب الأول البراتي [٤] منها رجل منها معه بوق فإذا جاء أحد من **الخانات** أو الملوك أو اكابر الأمراء نفخ في البوق اعلاما للسطان بأنه قد جاء كبير ليكون دائما علی تيقظ واستعداد من أمره ومن جاء بابه كائنا من كان يترجل من الباب الأول البراني ويمشي إلى أن يدخل السبعة الأبواب إلى حضرة السلطان وثم من شرف بالإذن له بأن يعبر راكبا إلى الباب السادس ولا يزال البوق عمالا إلى أن يقارب الداخل الباب السابع ويجلس على ذلك الباب كل من دخل إلى أن يجتمعوا فإذا تكامل المجيء أذن لهم في الدخول إذا دخلوا جلس حوله من له أهلية الجلوس ووقف سائرهم

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٦٨

وقعد القضاة والوزراء والدبيران وكتاب السر.

---

[١] حملة السلاح.

[٢] حملة الملابس والأقمشة.

[٣] الكتاب- وهنا تعني كتاب السر.

[٤] وهي من كلمة برون أو بيرون الفارسية بمعنى خارج، ودخلت العامية العربية، وصار منهابره وبراني.." (١)

"خمسة أسيار بدرهم هشتكاني، والنبات كل أربعة أسيار بدرهم منه، ورأس من الغنم الجيدة السمينة الفائقة بتنكة واحدة عنها ثمانية دراهم هشتكانية، والرأس البقر الجيد بتنكتين، وربما كان بأقل، والجاموس كذلك، وأكثر مأكلهم لحوم البقر والمعز.

قلت للشيخ مبارك: أهذا لقلة الغنم؟ قال: لا؛ ولكن «١» عادة؛ وإلا فالأغنام لا تعد في كل قرية في الهند بالآلاف المؤلفة، والدجاج كل أربعة طيور فائقة بدرهم واحد بالمصري، وأما الحمام والعصافير وأنواع الطير فبأقل الأشياء ثمنا.

وأما أنواع الصيد من الوحش والطير بها فكثير، وبها الفنك [١] والكركند [٢] «٢» ، وإنما فيلة الزنج أجل، وأمارتهم «٣» في الملبوس، لبسهم البياض وثياب الجوخ وثياب الصوف، إذا جلب إليهم، يباع بأربع الأثمان، ولا يلبس الصوف إلا أهل العلم والفقر [٣] .

ويلبس السلطان **والخانات** والملوك وسائر أرباب السيوف تتريات [٤] وتكلاوات [٥] وأقبية إسلامية مخصرة «٤» الأوساط خوارزمية [٦] وعمائم صغار لا

---

[١] الفنك: حيوان شبيه بالثعلب ولكنه أصغر، له أذنان طويلتان (فرهنگ عميد ٢/١٥٥٢) .

[٢] الكركند: حجر أحمر شبيه بالياقوت، وربما يقصد هنا حيوان الكركدن.

[٣] التصوف.

[٤] تتريات جمع تتر، وهي نوع من الحراب الخاصة بالتتار (انظر: فرهنگ عميد ١/٥٣٨) .

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٧٩

[٥] تكلاوات: نوع من الرماح.

[٦] صنع خوارزم ببلاد ما وراء النهر.." [(١)]

"جنكيزخان [١] ، واستجارا به، فأحسن إليهما، وحنا عليهما، ووعدهما بإزالة كدر السلطان، وتلاقى ما كان، فأنطقهما لسان الإحسان بهذه:

«إذا التزم المقدار جبل سعادة ... أتاك جميع الكائنات مساعدا

«وإذا جري القضاء على صعب سهله ... وإذا أرادك الله لأمر هماك له»

وقالا له: إن السلطان أونك خان يتوقع لك الوقيعة، ويتربص لك الأجن الشنيعة، فخذ حذرك، وأصلح أمرك، فرحل من ليلته بأتباعه وجماعته، ودهمه أعداؤه سحرا، فلم يجدوا له أثرا، ولا عرفوا له خبرا، ونفر العسكر يتلوه، فلم يلقوه، وقيل بل لحقوه، فعطف بجماعته إليهم، وقاتلهم حتى أتى عليهم، وغنم مالهم، فلما جمع أتباعه وأقاربه، وأعز مقامه، وحمى جانبه، ورب رجاله وآله، وبذل لهم قوته وماله، وخص بإحسانه دنيك الصغيرين دون الناس، وأنزلهما منزلة العينين من الراس، ويسمى كلا منهما ترخانا [٢] ، وكتب له أمانا وفرمانا [٣] بفراغه من جميع المؤن وال كلف، وتفرغه لانتهاز الفرص، واقتطاف الطرف، وأن ينهب في الفتوح قبل كل ناهب، ويسلب قبل كل سالب، ويدخل على يده عامة البيوت فلا

---

[١] يذكر ابن بطوطة أنه لم يكن إلا حدادا بأرض الخطا، وجمع الناس حوله، وصارت له جماعة، فقدموه على أنفسهم، وغلب على بلده وقوي واشتدت شوكته، فغلب ملك الخطا ثم على ملك الصين (رحلته ٢٤٤) .

[٢] ترخان: لقبه يحمله أمراء وملوك تركستان، ويأتي أحيانا طرخان، طرخون (فرهنگ رازي ٢٧٤) ، وحامل لقب ترخان له مزايا عديدة ويمكنه مقابلة الملك في أي وقت- واللفظ تركي يعني في العربية رئيس ويجمع طراخنة (فرهنگ عميد ١/٥٦٠- جامع التواريخ حاشية ج ١٧/٢) . وقال عنه ابن بطوطة ترخان: الموضع المحرر من المغارم (رحلة ابن بطوطة ٢٢٨) **والطرخانات** هم الطبقة الأب خراطية (جهانكشاي لعاط الله جويني ٢٧/٢- ابن العبري ٣٩٥- تركستان لبارتولد ٥٥١- التاريخ السري للمغول طبقة كوزين ١٤١- ١٦٧) .

[٣] فرمان: أمر وحكم وهو هنا يعني أمر سلطاني واللفظ فارسي من البهلوية Faraman ودخل العربية

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٨٥/٣

وبجمع فرامين وفرمانات (انظر الدخيل في لهجة أهل الخليج للمحقق ص ٨٩- معجم الألفاظ الفارسية المعربة لآدي شير بيروت ١٩٨٠ ص ١١٩، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية لطوبيا العنيسي القاهرة ١٩٦٤ ص ١٩٦ ص ٥١- معجم الألفاظ العامية لأنيس فريحة بيروت ١٩٧٣ ص ١٢٩- فرهنج٣-." (١)

"سنة: لا يمنع من نزولها طارق، وربما نزل به ليلا على بغتة المائة والمائتان والأكثر من الناس بدوابهم وحشمهم، فيجدون من طعامهم ودثارهم وعلف دوابهم ما يكفيهم، من غير أن يتكلف صاحب المنزل أمرا بذلك، أو يتجشم عبئا، لدوامه مع البشاشة بأضيافه لعلم سروره بهم كل من شهده.

قال: وترى الغالب على أهل المال والثروة صرف أموالهم على خاصة أنفسهم في الملاهي، وما لا يرضى الله تعالى، والمنافسات فيما بينهم، والغالب على أهل الثروة والمال في ما وراء النهر صرف أموالهم في عمل المدارس وبناء الرباطات وعمارة الطرق والأوقاف على سبيل الجهاد ووجوه الخير وعقد القناطر إلا القليل من ذوي البطالة، وليس من بلد ولا سبيل مطروق ولا قرية آهلة إلا وفيها من الرباطات [١] ما يفضل عمن ينزل به.

قال: وبلغني أن بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط في كثير منها، إذا نزل النازل أطعم وعلق على دابته.

قال: وقل ما رأيت خانا [٢] أو طرف سكة أو محلة أو مجمع ناس بسمرقند في المدينة وظهرها إلا وبه ماء مسبل بجمد.

قال: وحدثني من له خبرة أن بسمرقند وظواهرها ما يزيد على ألفي مكان يسقى فيها ماء الجمد مسبل عليه الوقوف، من بين سقاية مبنية وجباب نحاس منصوبة وقلال خزف مثبتة في الحيطان [٣] .

وأما بأسهم فمشهور مستفيض، وفي بعض الأخبار أن المعتصم سأل عبد الله [٤]

---

[١] مفرده رباط وهو ملجأ الفقراء من المتصوفة (المعجم الوسيط ٣٣٥/١) .

[٢] الخان مكان فسيح خاص لنزول التجار، وهو مكون من طابقين، طابق لنزول الدواب والثاني لإقامة التجار (انظر: فرهنج رازي ٢٦٠) والخان: **الفندق** (المعجم الوسيط ٢٧٢/١) .

[٣] وردت بالمخطوط الحيطا.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٠٣/٣

[٤] عبد الله بن طاهر بن الحسين، تولى أمر خراسان لمدة سبع عشرة سنة كان كاتبا وأديبا وقائدا مشهورا، كان-." [١]

"فقال: كأنها السماء في الخضرة، وكأن قصورها النجوم الزاهرة، وكأن جداولها أنهار المجرة، فاستحسنوا هذا التشبيه.

وبسمرقند حصن ولها أربعة أبواب، باب مما يلي المشرق، ويعرف بباب الصين، مرتفع عن وجه الأرض ينزل إليه بدرج كثيرة، مطل على وادي السغد، وباب مما يلي المغرب يعرف بباب النوبهار، وهو على نشز من الأرض، وباب مما يلي الشمال، يعرف بباب بخاري، وباب مما يلي الجنوب، يعرف بباب كش [١]

.

وفي سمرقند ما في المدن العظام من الأسواق الحسان والحمامات **والخانات** [٢] والمساكن، ولها مياه جارية، تدخل إليها في نهر، وقد بني عليه مسناة عالية من الأرض (في بعض المواضع، بل) «١» في وسط المشرق من حجاره يجرى عليها الماء من موضع يعرف بالصفارين [٣] ، إلى أن مدخل باب «٢» (المدينة خندق عظيم مستقل فاحتيج إلى مسناه في هذا الخندق (المخطوط ص ٧٧) حتى يجرى الماء إلى المدينة، وهو نهر قديم جاهلي في وسط أسواقها بموضع يعرف برأس الطاق [٤] ، من أعظم موضع بسمرقند، ولهذا النهر على حاشيته مستغلات موقوفة على مرماته ومصالحه، وعليه الحفظة صيفا وشتاء، وليس [٥] لسور الربض بها أبواب تغلق،

---

[١] ذكر الإصطخري أن لها أربعة أبواب هي باب الصين، وباب النوبهار أو الحديد، وباب بخارى أو أشروسنة، وباب كش أو الباب الكبير (المسالك والممالك ٣١٦- ٣١٧- ابن حوقل ٣٦٥- ٣٦٦ المقدسي ٣٧٨- ٢٧٩) .

[٢] **الخانات** مفردها خان وهو بناء لإقامة التجار يدعونه أحيانا **الفندق** كما عند ابن بطوطة.

[٣] الصفارون جمع مفرده صفار بفتح الصاد وتشديد الفاء بمعنى صانع النحاس (فرهنج رازي ٥٦٢) .

[٤] انظر: ياقوت المعجم ١/ ٤٤٦ فقد وصف نفس الوصف وذكرها السمعاني دروانوه كش.

[٥] وردت بالمخطوط ليسوا.." [٢]

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/ ١٥١

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/ ١٦٤

"ولملوكهم زي جميل على قدر دخل بلادهم، فإنه ليس بالكثير لضيق بلادهم، ولأنها لا مكس بها ولا مؤذي فيها، لهم أمراء **الطبلخانات** [١] ويركب الملك بالرقبة «١» السلطانية، والحجاب والسلاح داريه [٢] والجمدارية [٣] ، والجنائب المجرورة، ويركب الأمير ووراءه صاحب أربعة وخمسة «٢» وأكثر، ولباسهم أقبية إسلامية ضيقة الأكمام وتخافيف صغار، ويشدون المناطق والبنود [٤] ، وخيلهم براذين جياد مشكورة، وسروج منها المحلى بالفضة، وزيهم كلهم قريب من الزي العسكري الخوارزمي، ويتخذ بظواهر قصور [٥] ملوكهم ميادين خضرا يعمل في أوساطها قصورا صغارا من الخشب، فيها جلوسهم للخدم والمظالم.

وجميع جنود هؤلاء الملوك الأربعة نحو عشرين ألف (فارس ما بين ميدونه [٦] ومطوعه [٧] ممن يضمهم الجموع والحشود من الفارس والراجل) «٣» ، وهؤلاء الملوك الأربعة لا يزال بينهم الخلق «٤» حتى إذا قصدهم عدو (خارجي

---

[١] **الطبلخانات** جمع مفرده طبل خانه، بيت الطبل والمقصود بها هنا الأمراء الذين يدقون لهم الطبل.

[٢] السلاح داريه جمع مفرده سلاح دار وتعني حملة السلاح.

[٣] الجمدارية جمع مفرده جمدار وهو من اللفظ الفارسي جامة دار أي حملة الملابس (فرهنج رازي ١٩١) .

[٤] البنود جمع مفرده بند وتعني العلم الكبير.

[٥] وردت بالمخطوط قصورهم.

[٦] ميدانه أي المسجلين في الديوانه، والديوان وهو الدفتر يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء المعجم الوسيط ٣١٦/١) .

[٧] مطوعة هم المتطوعة الذين يتطوعون للجهاد ونحوه، يقال: لهم مطوعة بتخفيف الطاء (المعجم الوسيط ٥٩١/٢) ويأتي اللفظ باسم غازيان واحدات (انظر: تركستان ١٣٤٧) .." [(١)]

"وبجميع الشام وجوه الخير كثيرة من المدارس والخوانق، والربط والزاويا، للرجال والنساء والمارستانات [١] وأوقاف البر والصدقات على اختلافها، وخصوصا دمشق، فإنه لا يطاول في ذلك باعها، ولا يحاول في هذه الغاية ارتفاعها.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٣٥/٣

فأما مسجدها الجامع [٢] فهو الفارق «١» بينها وبين ما سواها «٢» والفائق بحسنه على كل المباني، في هذه المملكة مصر والشام، من محاسن (الأشياء ولطائف الصنائع، ما تكفى شهرته، وبها من أنواع الصناع في الأسلحة «٣» والقماش والزركش [٣] والمصوغ والكفت وغير ذلك مما يكاد يعد تفردها به، والرماح التي لا يعمل في الدنيا أحسن منها.

وأما عساكر هذه المملكة فمنهم من هو بحضرة السلطان، ومنهم من فرق في أقطار هذه المملكة وبلادها، ومنهم سكان بادية كالعرب والتركمان.

وجندها مختلط من أتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان، وغالبهم من المماليك المبتاعين، وهم طبقات، أكابرهم من له إمرة مائة فارس، وتقدمة ألف فارس من هذا القبيل يكون أكابر النواب، وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين، ثم أمراء **الطبلخانات** [٤] ، ومعظم «٤» من تكون له إمرة «٥» أربعين

---

[١] دور الشفاء.

[٢] يقصد المسجد الأموي بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو من أعظم المساجد وأتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا، ولا يعلم له نظير ولا يوجد به شبيه (انظر: وصف ابن بطوطة رحلته ١٦٣)

.

[٣] المذهب.

[٤] الذين يدق لهم الطبل وهم عادة قواد أربعين فما فوق.." (١)

"فارسا، وقد يوجد فيهم من له أزيد من ذلك إلى السبعين.

ولا تكون **الطبلخانات** لأقل من أربعين، ثم أمراء العشرات ممن تكون له إمرة عشرة، وربما كان فيهم من له عشرون فارسا، ولا يعد إلا في أمراء العشرات، ثم جند الحلقة وهم لا تكون مناشيرهم من السلطان، كما أن مناشير الأمراء من السلطان، وأما أجناد الأمراء فمناشيرهم من أمرائهم وهؤلاء جند الحلقة لكل عدة أربعين نفرا مقدم منهم، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر، كانت مواقفهم معه، وترتيبهم في موقفهم إليه.

ويبلغ بمصر أقطاع بعض أكابر الأمراء المئين المقربين من السلطان مائتي ألف دينار حبشية وربما زادت على ذلك، وأما غيرهم فدون ذلك [١] ودون (المخطوط ص ٢٠٨) دونه، ودون دونه، ودون دونه إلى

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٤٢٩

ثمانين ألف دينار، وما حولها.

وأما **الطبلخانات** فتبلغ الثلاثين «١» ألف دينار وما يزيد وينقص عليها إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار.

وأما العشرات فنهايتها سبع آلاف دينار إلى ما دون ذلك.

وأما إقطاعات جند الحلقة فمنه ما يبلغ ألف وخمسمائة دينار.

ومن هذا المقدار وما حوله إقطاعات أعيان الحلقة المقدمين عليهم، ثم ما دون ذلك إلى مائتين «٢» وخمسين دينارا، وأما إقطاعات جند الأمراء فإلى ما يراه الأمير من زيادة بينهم ونقص.

وأما إقطاعات الشام فلا تقارب هذا المقدار، بل تكون على الثلثين منها خلا ما ذكرناه عن بعض أكابر أمراء المئين المقربين، فإن هذا نادر لا حكم له، ولا أعرف

---

[١] عبارة مكررة.." (١)

"في الشام ما يقارب هذا المقدار إلا ما هو لنائب الشام، وكل جند الحلقة والإمرة «١» تعرض بديوان جيش السلطان، ويثبت باسمه وهيئته وحليته «٢» ، ثم لا يستبدل به أميره إذا شاء إلا بتنزيل عوضه وعوض العوض.

وللأمراء على السلطان في كل سنة ملابس، فأما من بحضرته فحظهم في ذلك، وأقر لهم الخيول في كل سنة، ينعم بها عليهم، ولأمراء المئين مسرجة ملجمة، والبقية عرى، وتمتاز خاصتهم على «٣» عامتهم بذلك، ولجميع الأمراء بحضرته من المئين **والطبلخانات** والعشرات الرواتب الجارية في كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز والشعير والزيت، ولبعضهم الشمع والسكر والكسوة في السنة، وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوي الوظائف من الجند. وإذا نشأ لأحد الأمراء ولد، أطلق له دنانير ولحم وخبز وعليق إلى أن يتأهل «٤» الإقطاع في جملة الحلقة، ثم منهم من ينقل إلى العشرة أو إلى **الطبلخانات** على حسب الحظوظ والأرزاق، وإذا ركب هذا السلطان إلى الميدان يلعب الكرة [١] ، يفرق حوائص ذهب على المقدمين وركوبه إلى الميدان يكون دائما يوم السبت في قوة الحر نحو شهرين من السنة، يفرق كل ميدان على اثنين بالنوبة، فمنهم من تجيء نوبته بعد ثلاث سنين (المخطوط ٢٠٩) أو أربع سنين، ولكل ذي إمرة بمصر من خواص عليه السكر والحلوى [٢] من رمضان والأضحية في عيد الأضحى على مقادير رتبهم والبرسيم لتربيع [٣] دوابهم، ويكون في تلك المدة بدل العليق «٥»

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٣٠/٣

---

[١] لعبة الصولجان المسماة بالفارسية جوكان وهي عصاة معقوفة يلعب بها الفارس وهو فوق حصانه بضرب الكرة على الأرض.

[٢] وردت بالمخطوط الحلوا.

[٣] علف الدواب في فصل الربيع.." (١)

"المرتب لهم.

ومن مصطلح صاحب مصر أن تكون تفرقته الخيل «١» على أمرائه في وقتين، أحدهما عند ما يخرج إلى مرابط خيله في الربيع عند اكتمال «٢» تربيعها. وفي ذلك الوقت يعطي أمراء المئين مسرجة له ملجمة، بكنابيش [١] مذهبة، **والطبلخانات** عريا، وعند لعبه بالكرة في الميدان، وفي ذلك الوقت يعطى الجميع مسرجة ملجمة بلاكنابيش بفضة خفيفة، وليس للعشرات حظ في ذلك إلا ما يتفقدهم به على سبيل الأنعام، والخاصة المقربين من الأمراء المئين **والطبلخانات** زيادات كثيرة في ذلك بحيث يصل إلى بعضهم «٣» المائة فرس في السنة.

وله أوقات أخرى يفرق فيها الخيل على مماليكه، وربما أعطى بعض مقدمي الحلقة، وقاعدة عنده أنه إذا كل من نفق له من مماليكه فرس يحضر من لحمه والشهادة بأنه نفق، ويعطيه فرسا عوضه.

وأما أمراء الشام فلاحظ لأحد منهم في أكثر من قباء واحد يلبس في وقت الشتاء إلا من تعرض يقصد السلطان، فيحسن إليه، ولخاصة المقربين أنواع من الإنعامات كالعقار والأبنية الضخمة، التي ربما أنفق على بعضها أزيد من مائة ألف دينار، وكساوي القماش المنوع، وفي أسفارهم في أوقات خروجهم إلى الصيد، وغيرها العلوفات والإنزال.

ومن عادة هذا السلطان أن الخروج إلى الصيد مرات في السنة، فإذا خرج أنعم على أكابر أمراء المئين، ولا أعني المقربين، بل أكابرهم قدرا وسنا، كل واحد منهم بألف مثقال ذهبا، وبرذون خاص به مسرج ملجم وكنبوش مذهب، ومن

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٤٣١

[١] كنبوش: جمع كنابيش وهو البرذعة تجعل تحت السرج، فارسية، وهو برقع يغطى به الوجه، وهنا يعني برذعة (انظر كنبوش في المنجد في اللغة ط ٢٩ بيروت دار المشرق ١٩٦٠ ص ٦٩٩) .." (١)

"وأرباب الوظائف والسلاح كلهم خلفه وحوله وأمامه الطبردارية [١] وهم طائفة من الأكراد، ذوي الإقطاعات والإمرة يكونون مشاة وبأيديهم الأطبار [٢] مشهورة.

ومن رسم الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث يركب وخلفه جنيب، وأما أكابرهم فربما ركب بجنيبين، هذا في المدن والحاضرة، وهكذا في البر، ويكون لكل منهم طلب مشتمل على أكثر مماليكه قدامهم خزانة محمولة للطبلخانات على جمل واحد يجره راكب آخر على جمل، والمال على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك، وأمام الخزانة عدة جنائب تجر على أيدي مماليك ركاب خيل وهجن في ركابه من العرب على هجن، وأمامها الهجن بأكوارها مجنوبة للطبلخانات قطارا واحدا وهو أربعة (المخطوط ص ٢١١) ومركوب الهجان والمال قطاران، وربما زاد بعضهم وعدد الجنائب في كثرتها وقلتها إلى رأي الأمير وسعة نفسه.

والجنائب على ما تراه منها ما هو مسرج وملجم ومنها ما هو بعنانه لا غير، وأهل هذه المملكة يضاهي بعضهم بعضا في الملابس الفاخرة والسروج المحلاة والعدد الفاخرة.

وأما زيهم فالأقبية التترية والتكلاوات [٣] «١» فوقها، ثم القباء الإسلامي

---

[١] الطبردارية جمع مفرده طبردار وهو من اللفظ التركي تبر بمعنى بلطة وهي آلة حرب قديمة ودار بمعنى صاحب والطبردارية هم حملة البلط (فرهنگ عميد ١/٥٣٤) .

[٢] أطبار جمع طبر، والطبر هي تبر التركية بمعنى سلطة، وآلة حرب قديمة (فرهنگ رازي ١٢٨) .

[٣] التكلاوات جمع مفرده تكلاة وهي قبعة ذات قرن تلبس على الرأس وهي قلنسوة مغولية في الأصل حيث تشبه قرن الحيوان (فرهنگ عميد ١/٦٠٤) .." (٢)

"ولهذا السلطان عادات جميلة كلها من الخلع في أوقات لعبه بالكرة على أناس جرت لهم عنده عوائد بالخلع في ذلك الوقت كالجوكندار «١» [١] والولاه، ومن يجري مجراهم ممن له خدمة في ذلك عادة مما ينعم به ويطلقه (المخطوط ص ٢٣٣) وإذا حصل لواحد شيئا مما يصيده في صيوده، خلع عليه، وأما إذا خرج إلى صيد الوحش وصادوا الغزلان والنعام فكل من أحضر له صيدا، خلع عليه قباء مستحبا بما

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٤٣٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٤٣٤

يناسب خلعه مثله للكبير كبير وللصغير صغير كل واحد على قدره.

وكذلك البزداريه [٢] وحملة الجوارح ومن يجري مجراهم عند كل صيد انعامات ينعم بها عليهم، ولغلمانه في الطاشتخاناه [٣] **والشرابخانات** [٤] **والفراشخانات** [٥] ، ومن يجرى مجراهم، عوائد في كل سنة زمان الصيود، كل هذه العوائد «٢» جارية لا تنقطع، ولكل من يتصل بخدمة هذا السلطان بمن يرد عليه أو بها جر من مملكة أخرى أنواع الإدرارات والأرزاق والإنعام، وغايات لا يبلغها قرارته في بلاده، ولا يزين بظله.

وكذلك التجار الذين يصلون إليه ويبيعون عليه، لهم عليه الرواتب الدائمة من الخبز واللحم والتوابل والحلوى والعليق والمسامحات بنظير كل ما يباع عليه من الرقيق المماليك والجواري مع ما يسامحهم به أيضا من حقوق تطلق أخرى.

---

[١] جوكندار: جوڲان دار لفظ فارسي وهو المسئول عن لعبة الجوڲان المعروفة بالعربية بالصولجان وهي كرة تقذف بعصاه أثناء ركوب الخيل (انظر جوكندار، فرهنڲ عميد ١/٧٦٠) .

[٢] البزدارية جمع مفرده بزدار وهي من بازدار أي المسؤول عن الصقر البازي الخاص بالصيد.

[٣] الطاشتخاناه: هي اللفظ الفارسي طشت خانه أو تشت خانه وهو بيت الطست أو الطس أو الطشت، والطشت إناء مصنوع من معدن (فرهنڲ عميد ١/٥٧٨) .

[٤] الشرابخانه: بيت الشراب.

[٥] **الفراشخانات** جمع مفرده فراشخانه واللفظ فارسي بمعنى بيوت الفراش.." (١)

"القلعة للمالك السلطانية وخواص الأمراء بنسائهم وحرمهم ومماليكهم ودواوينهم وطشت **خاناتهم** وفراش **خاناتهم** وشراب **خاناتهم** ومطابخهم ووظائفهم.

والقلعة بها مساكن لأكابر الأمراء ومن كبر من **الطبلخانات** والعشرات، ومن خرج عن حكم الخاجكيه إلى طبقة البرانيين، ودار الوزارة ودار كاتب السر وديوان الإنشاء وديوان الجيوش وديوان الأموال والنقباء والزردخاناه والحبوس «١» والأسرى وما يجري في هذا المجرى، مقسمة المساكن، فيها المساجد والحوانيت والأسواق في جهاتها، هذه جملة العمارة.

ثم نذكر بقية ما يتعلق بالقصر السلطانية فنقول: أنه ينزل منه في جانب إيوان القصر إلى الإصطبلات

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٤٧٢

السلطانية ثم إلى ميدان ممرج بالنجيل الأخضر فاصل بين الاصطبلات وبين سوق الخيل، في غربيه، فسيح المدى يسافر النظر في أرجائه، يركب السلطان من درج يلي قصره الجواني (المخطوط ص ٢٣٩) وينزل إلى الاصطبل الخاص ثم إليه راكبا وخواص الأمراء في خدمته لعرض الخيول في أوقات طعم الطير، وربما وقف به راكبا، وربما نزل فيه، ولم ينصب عليه خيام وربما نصب عليه الخيام إذا طال مكثه، وكان زمان حر أو برد، وربما مد به السماط ثم يطلع راكبا إلى قصره.

وبهذا الميدان أنواع من الوحش المستحسن النظر، وتربى [١] به خواص الخيول للتفسح، وفي هذا الميدان يصلى السلطان وخواصه ومن لا يقدر يفارقه من ذوي الخدم، صلاة العيدين، ونزوله إليه وطلوعه، منه من باب خاص من دهليز القصر غير هذا المعتاد النزول منه لما قدمنا ذكره، وللسلطان عدة أبواب سر إلى القرافة وإلى غيرها، لا حاجة لنا إلى ذكرها.

---

[١] وردت بالمخطوط تربا.." [1]

"أضنهم الطلب، ولم يجدوا جهة الوفاء.

وأما بر الديار المصرية فإنه «١» ريف ممتد بين حاجزين «٢» ، وأعقبه رمل مفصل بالقرى، وهي مبنية بالطوب، سود الظواهر يحف بها نخل، وتقل في بعض وتكثر في الأخرى «٣» ، كلها على أنموذج واحد، من رأى واحدة [١] منها فكأنما رآها كلها.

وقوص [٢] مدينة على شرقي النيل في أعلى الصعيد، واقعة في الثاني ذات ديار جليلة **وفنادق** ورباع وحمامات ومدارس، يسكنها جلة من التجار والعلماء وذوي الأموال، وهي أول محط ركاب تجار الهند والحبشة واليمن والحجاز، الواصلون في البحر المالح «٤» من صحراء عيزاب [٣] ، وبها المكاسب ولها البساتين والحدائق ومنابت البقول والخضروات، لكنها شديدة الحر كثيرة العقارب والسام أبرص، وبها صنف من العقارب القتالات حتى أنه يقال فيها عن الملسوع أكلته العقرب، لأنه لا يرجى له إقامة.

قال لي عز الدين حسن بن أبي المجد الصفدي أحد العدول بالقاهرة: أنه عد في يوم صيف على حائط الجامع سبعين سام أبرص على صف واحد، والمستفاد

---

[١] وردت واحد أ ٢٤١.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٤٨٠

[٢] قوص ذكرها ابن بطوطة المعاصر لابن فضل الله إنها مدينة عظيمة، لها خيرات عميمة، بساتينها مورقة وأسواقها مونقة، وهي منزل ولاه الصعيد (رحلة ابن بطوطة ٤١- ٤٢) .

[٣] عيزاب بها مدينة عيزاب، وهي كبيرة كثيرة الحون واللبن وأهلها البجاة وهم سود الألوان (رحلة ابن بطوطة ٤٢) .

بليدة على ساحل بحر القلزم وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد (مراصد الاطلاع ٢/٩٧٤) .." (١)

"الاسكندرية

والاسكندرية [١] مدينة قديمة جليلة عظيمة وكانت في القديم أكبر مما هي الآن وأعظم في كثرة الأهل والبنيان، بناها الاسكندر ذو القرنين على شاطىء البحر الرومي، وكان بها على ما يقال سرير ملكه ومستقر أمة وجميع بنايتها بالحجر والكلس، مبيضة البيوت باطنا وظاهرا، كأنها الحمامة البيضاء، ذات شوارع مشرعة الأرجاء «١» ، كل خط بذاته كأنها رقعة الشطرنج، يستدير بها أسوار ممنعة، وبروج محصنة، عليها الستائر المسترة، والمجانيق المنصوبة، وبها عسكر مستخدم لحفظها، وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها مرسوم بنيابة السلطنة سوى الإسكندرية [٢] .

لا يزال أهلها على يقظة من أمور البحر، ومخالسة العدو، وبها الديار الجليلة، والجوامع والمساجد، والربط والخوانق، والمشاهد [٣] **والفنادق**، والرباع والأسواق الممتدة، ومعامل البز والقماش والطرز الفائق المثل، إليها تهوى ركاب التجار برا وبحرا من كل فج عميق ومكان سحيق، وليس في الدنيا نظير شربها، وطرازها المعمول بها والمحمول إلى أقطار الأرض شرقا وغربا، منها من الحفير المنسوج بالذهب والفضة (المخطوط ص ٢٤٣) . والمقصب بالقصب، وطرد الوحش المنوع، والجر والمنقوش، والمنزج والمدفون والديبقى والمساذج، والمفرح والمقاطع، والممرش والشرب الخام والمقصور وبدلات المقانع وأنواع المقصبات

---

[١] هناك أكثر من مدينة باسم الإسكندرية، والإسكندرية العظمى ببلاد مصر (مراصد الاطلاع ١/٧٦) .

[٢] حاكمها في ذلك الوقت هو زكريا أبو يحيى بن أحمد بن أبي حفص المعروف باللحياني.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٤٨٧

[٣] يقصد بها قبور الأولياء مثل أبي العباس المرسي، لأن المشاهد معروفة عند الشيعة وتعرف بها قبور أئمتهم.." (١)

"من المذاهب الأربعة، وقاضي عسكر، وخزانة يخرج منها الانفاقات والخلع وخزائن سلاح **وزردخانات** [١] وبيوت تشتمل على حاشية سلطانية مختصرة، حتى لو حضر السلطان إليها جريدة، وجد بها من كل الوظائف القائمة بدولته، وكل أمير أمر فيها أو في غيرها من الشام أو أولى رب وظيفة، من عادة متوليها أن يخلع عليه «١» خلعة أو إنفاقا، ولم يخلع عليه من مصر أو «٢» ينعم عليه من مصر، كان من دمشق خلعة وإنعامه.

ومنها يخرج أعلام الإمرة وطلائعهم وشعار **الطبلخانات**، وفي خزائن السلاح بها معمل المجانيق [٢] والسلاح، **والزردخانات**، وتحمل إلى جميع الشام، وتعمر به البلاد والقلاع، ومن قلعتها يجرد الرجال وأرباب الصنائع إلى جميع قلاع الشام، ويندب في التجاريد والمهمات.

وهي مدينة جليلة وقلعتهما مرحلة على الأرض يحيط بها وبالمدينة أسوار عليه، يحيط بها خندق، بطون الماء منه بالقلعة، وإذا دعت الحاجة، أطلق على جميع الخندق المحيط بالمدينة فيعمها، وهي في وطأة مستوية، بارزة عن الوادي المخط عن منتهى ذيل الجبل، مكشوفة الجوانب لممر الهواء إلا من الشمال؛ فإنه محجوب بجبل قاسيون [٣] ،

---

[١] **زردخانات** جمع مفرده زردخانه وهي بالفارسية زرادخانه وهي مصنع صناعة السلاح (فرهنگ عميد ٢/١١٠٠) .

[٢] المجانيق: جمع مفرده منجنيق، آلة قديمة من آلات الحصار، وكانت ترمي الحجارة الثقيلة على الأسوار فتهدمها منجنيق كلمة فارسية (انظر: الكلمات الفارسية في كتاب سيبويه د. أحمد الشاذلي، المنوفية ١٩٨٧ ص ٤٣، المعجم الوسيط ٢/٨٥٥، فقه اللغة للثعالبي ٣٢٣) .

[٣] قاسيون جبل في شمال دمشق، والصالحية في سفحه وهو شهير البركة لأنه مصعد الأنبياء عليهم السلام (رحلة ابن بطوطة ٧٢) .." (٢)

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٤٩٠

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٥١٧

"وعمل له معاجين ولخالخ «١» طبية، وأنواع دخن دافعة للوباء وركب سفوف الرجفان الحادث عن المرة السوداء المحترقة، وكان يذكر أنه نقله عن راهب كان بالقدس فاضلا في الحكمة والطب، وأدرك الدولة العلوية «٢» بمصر، وصحب يعقوب بن كلس «٣» ، وزير المعز والعزيز، ولقي الأطباء بمصر وناظرهم. وحكي عن أبيه أنه سكر مرة سكرا مفرطا غلب على عقله، فسقط في بعض **الخانات** من موضع عال إلى أسفل الخان وهو لا يعقل، فحمله صاحب الخان وخدمه حتى أدخله الحجرة التي كان ساكنها، فلما أصبح قام وهو يجد وجعا ووهنا في مواضع من جسده، ولا يعرف لذلك سببا، فركب وتصرف في بعض أموره، إلى أن تعالى النهار، ثم رجع فقال لصاحب الخان: إني وجدت في جسدي وجعا وتوهنا شديدا لست أدري ما سببه. فقال صاحب الخان: ينبغي أن تحمد الله على سلامتك. قال: فماذا؟. قال: أو ما علمت ما نالك البارحة؟. قال: لا.

قال: فإنك سقطت من أعلى الخان إلى أسفل، وأنت سكران. قال: ومن أي موضع؟. فأراه الموضع. فلما رآه حدث به للوقت من الوجع والضربان ما لم يجد معه سبيلا إلى الصبر، وأقبل يصيح ويتأوه، إلى أن جاؤوه بطبيب ففصده، وشد على مفاصله المتوهنة جبارا، وأقام أياما كثيرة إلى أن برأ وذهب عنه الوجع.

أقول: ومما يناسب هذه الحكاية أن بعض الناس كان في بعض أسفاره في مفازة، ومعه رفقة له، فنام في منزلة نزلها في الطريق ورفقته جلوس، فخرجت حية من بعض النواحي، فصادفت رجلا، فنهشته فيها، وذهبت، وانتبه مرعوبا من الألم وبقي يمسك رجله ويتأوه منها، فقال له بعضهم ما عليك مددت." (١)

"المغربي الذي أدخل الإسلام إلى تلك الجزر- أن بعض المشتغلين بابن بطوطة، وهو (بيرازيموس صطيفان) رأى أن ينتزع تلك" البطوطة" من" البربري" ويعطيها إلى التبريزي نسبة إلى مدينة تبريز بالرغم من أنه اعتمد في الترجمة أساسا على الناشرين الاثنين! لكنه أي صطيفان رأى في هذه المرة أن يعتمد ليس على الاثنين لكن على آخر اسمه فوربس Forbes الذي اعتمد بدوره على مخطوطة كان صاحبها يجهل كل ما كتبه ابن بطوطة قبله بأربعة قرون عن إسلام جزر مالديف «٢٨» ! وإذا كان بيرازيموس فضل أن يعطي البطولة للتبريزي، فإن العالم التشيكي هربك رأى أن القصد بالبربري إلى أحد المنتسبين لبلاد الصومال نظرا لأنها أقرب جغرافيا إلى مالديف! وكأن هربك لم يقرأ عن اجتماع محمد بن عمر التازي البغدادي بالخليفة العباسي المعتمد (ت ٢٨٩- ٩٠٢) على ما نجده عند التنوخي في كتابه (نشوار المحاضرة) ، ولم يقرأ عن المقدسي في كتابه" أحسن التقاسيم" وهو يجتمع بعدد من علماء الأندلس بمكة عام ٣٧٧-

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٥٩٤/٩

.٩٨٧

هذا إلى أنهما أي الناشرين السابقين أحيانا لم يتريثا قليلا لتقديم معلوماتهما عن بعض المواقع الجغرافية في المغرب. وفي هذا الصدد ينبغي أن نرجع إلى الجزء الأول من عملهما ص ٨٤، والجزء الرابع ص ٣١٢. حيث تكررت ترجمة (الزاوية) التي انشأها السلطان أبو عنان بفاس، بالمدرسة البوعنانية! مع أن القصد إلى منشأة أخرى غير المدرسة يقول ابن بطوطة إن العاهل بناها بخارج حضرته، ومعلوم أن أبا عنان أنشأ هذه المعلمة الكبرى **كفندق** لإيواء الضيوف على مقربة من وادي الجواهر وكانت آية في النقوش والرسوم المجسدة على ما سنرى في الملاحق هذا إلى أعلام جغرافية أخرى وقع فيها الخطأ عندهما فسرى إلى من قلدهما. ونذكر على سبيل المثال (ج، ٢، ١٩٦) ظفار الحبوضي التي نقل الاثنان أنها ظفار الحموض على ما سنرى عند التعليقات على صلب النص.

ونحن نتحدث عن الاسماء الجغرافية في الرحلة لاحظنا أن هناك عددا من الأعلام لم تنل حظها من البحث والتنقيب على نحو ما كان عليه الأمر في وادي قرة بالأندلس، وجناتة، ودار الطمع بالمغرب على ما سنرى في التعليقات.

وقد اعترضتنا بعد هذا انسياقات أخرى كان عليهما أن يتريثا فيها، مثلا حديثهما (ج ١ ص ١٥٥) عن الأديب أبي الفتيان جبوس عوضا عن ابى حيوس الذي هو الصواب.." [١]

"والورادة والمطيلب والعريش والخروبة «٢٠٠» وبكل منزل منها **فندق**، وهم يسمونه الخان ينزله المسافرون بدوابهم، وبخارج كل خان سانية للسبيل، وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته. ومن منازلها قطيا «٢٠١» المشهورة وهي بفتح القاف وسكون الطاء وياء آخر الحروف مفتوحة والف والناس يبدلون ألفها هاء تانيث، وبها توخذ الزكاة من التجار «٢٠٢» وتفتش أمتعتهم ويبحث عما لديهم أشد البحث، وفيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود، ومجباها في كل يوم الف دينار من الذهب ولا يجوز عليها أحد من «٢٠٣» الشام إلا ببراءة من مصر ولا إلى مصر الا ببراءة من الشام احتياطا على أموال الناس وتوقيا من الجواسيس العراقيين «٢٠٤» .

وطريقها في ضمان العرب قد وكلوا بحفظه، فإذا كان الليل مسحوا على الرمل لا يبقى به أثر ثم ياتي الامير

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١٠٦/١

صباحا فينظر إلى الرمل فإن وجد به أثرا طلب العرب بإحضار مؤثره فيذهبون في طلبه فلا يفوتهم فيأتون به الأمير فيعاقبه بما شاء، وكان بها في عهد." (١)

"مدينة الموصل

وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب، وقلعتها المعروفة بالحدباء عظيمة الشأن شهيرة الامتناع عليها سور محكم البناء مشيد البروج «٢٦٤» ، وتتصل بها دور السلطان وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع مستطيل من أعلى البلد إلى أسفله وعلى البلد سوران اثنان وثيقان «٢٦٥» أبراجهما كثيرة متقاربة، وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره قد تمكن فتحها فيه لسعته، ولم أر في اسوار البلاد مثله، إلا السور الذي على مدينة دهلى حضرة ملك الهند.

وللموصل ربض كبير فيه المساجد والحمامات والفنادق والاسواق، وبه مسجد جامع على شط الدجلة تدور به شبابيك حديد وتتصل به مصاطب تشرف على دجلة، في نهاية من الحسن والاتقان «٢٦٦» ، وأمامه مارستان وبداخل المدينة جامعان أحدهما قديم والآخر حديث «٢٦٧» ، وفي صحن الحديث منهما قبة داخلها خصة رخام مثمنة مرتفعة على سارية رخام يخرج منها الماء بقوة و انزعاج، فيرتفع مقدار القامة ثم ينعكس فيكون له مرأى حسن.

وقيسارية الموصل مليحة «٢٦٨» لها أبواب حديد ويدور بها دكاكين، وبيوت بعضها فوق بعض متقنة البناء.." (٢)

"يعودون إلى أهلي وأقاربي ويذكرون أني سافرت إلى أرض الهند برسم الكدية فيكون سبة، وعلي لا أفعل ذلك.

وسافر معهم إلى الصين فبلغني بعد وأنا بأرض الهند، أنه لما بلغ إلى مدينة المالق «٢٠» وهي آخر البلاد التي من عمالة ما وراء النهر، وأول بلاد الصين، أقام بها وبعث فتى له بما كان عنده من المتاع فأبطأ الفتى عليه وفي أثناء ذلك وصل من بلده بعض التجار ونزل معه في فندق واحد فطلب منه الشريف أن يسلفه شيئا بخلال ما يصل فتاه، فلم يفعل، ثم أكد قبح ما صنع في عدم التوسعة على الشريف بأن أراد الزيادة عليه في المسكن الذي كان له بالفندق، فبلغ ذلك الشريف فاغتم منه ودخل إلى بيته فذبح نفسه «٢١» فأدرك وبه رمق، واتهموا غلاما كان له بقتله، فقال لهم: لا تظلموه فإني أنا فعلت ذلك بنفسي ومات من

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٣٢/١

(٢) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٨١/٢

يومه غفر الله له! وكان قد حكى لي عن نفسه أنه أخذ مرة من بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم قراضا فلقيه ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام فطلبه بالمال، وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين فاستحيى من صاحب المال، ودخل إلى بيته وربط عمامته بسقف البيت وأراد أن يخنق نفسه، وكان في أجله تأخير فتذكر صاحبا له من الصيارفة فقصده وذكر له القضية فسلفه مالا دفعه للتاجر.

ولما أردت السفر من خوارزم اكتريت جمالا واشتريت محارة «٢٢» وكان عديلي بها عفيف الدين التوزري، وركب الخدام بعض الخيل، وجللنا باقيها لأجل البرد ودخلنا البرية التي بين خوارزم وبخاري، وهي مسيرة ثمانية عشر يوما في رمال لا عمارة بها إلا بلدة واحدة، فودعت الأمير قطلودمور وخلع علي خلعة، وخلع علي القاضي أخرى وخرج مع الفقهاء لوداعي، وسرنا أربعة أيام، ووصلنا إلى مدينة ألكات «٢٣» وليس بهذه الطريق عمارة." (١)

"هذه الصورة تخبرني أن كسرى معنا في هذا المجلس، فكان الأمر على ما قاله، وجرى فيه ما هو مسطور في الكتب «٥٠» .

ذكر عادتهم في تقييد ما في المراكب

وعادة أهل الصين إذا أراد جنك من جنوكهم السفر صعد اليه صاحب البحر وكتابه وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدام والبحرية، وحينئذ يباح لهم السفر فإذا عاد الجنك إلى الصين صعدوا إليه أيضا وقابلوا ما كتبوه بأشخاص الناس فإن فقدوا أحدا ممن قيدوه طلبوا صاحب الجنك به، فإما أن ياتي ببرهان على موته أو فراره أو غير ذلك مما يحدث عليه، وإلا أخذ فيه، فإذا فرغوا من ذلك أمروا صاحب المركب أن يملي عليهم تفسيرا بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه، ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ما عندهم، فإن عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عاد الجنك بجميع ما فيه مالا للمخزن «٥١» ، وذلك نوع من الظلم ما رأيته ببلاد من بلاد الكفار ولا المسلمين إلا بالصين اللهم إلا أنه كان بالهند ما يقرب منه، وهو أن من عثر على سلعة له قد غاب على مغرمها أغرم أحد عشر مغرما، ثم رفع السلطان ذلك لما رفع المغارم.

ذكر عادتهم في منع التجار عن الفساد.

وإذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين خير في النزول عند تاجر من المسلمين المتوطنين معين، أو في **الفندق**، فإن أحب النزول عند التاجر حصر ماله وضمنه التاجر المستوطن، وأنفق عليه منه بالمعروف، فإذا أراد السفر بحث عن ماله، فان وجد شيء منه قد ضاع أغرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه، وإن أراد

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٣/١٥

النزول **بالفندق** سلم ماله لصاحب **الفندق** وضمنه، وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه، فإن أراد التسري اشترى له جارية وأسكنه بدار يكون بابها في **الفندق**، وانفق عليهما.." [1]

"والجواري رخيصات الأثمان إلا أن أهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم وليس ذلك عيبا عندهم، غير أنهم لا يجبرون على السفر مع مشتريهم ولا يمنعون أيضا منه إن اختاروه، وكذلك إن أراد التزوج تزوج، وأما إنفاق ماله في الفساد فشيء لا سبيل له إليه! ويقولون: لا نريد أن يسمع في بلاد المسلمين أنهم يخسرون أموالهم في بلادنا فانها أرض فساد وحسن فائت!!

ذكر حفظهم للمسافرين في الطرق

وبلاد الصين آمن البلاد وأحسنها حالا للمسافر، فإن الانسان يسافر منفردا مسيرة تسعة اشهر وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها، وترتيب ذلك أن لهم في كل منزل ببلادهم **فندقا** عليه حاكم يسكن به في جماعة من الفرسان والرجال، فإذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة جاء الحاكم إلى **الفندق** ومعه كاتبه فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسلمين وختم عليها، وأقفل باب **الفندق** عليهم فإذا كان بعد الصبح، جاء ومعه كاتبه فدعا كل انسان باسمه، وكتب بها تفسيرا، وبعث معهم من يوصلهم إلى المنزل الثاني له وياتيه ببراءة من حاكمه أن الجميع قد وصلوا إليه، وإن لم يفعل طلبه بهم، وهكذا العمل في كل منزل ببلادهم من صين الصين إلى خان بالق.

وفي هذه **الفنادق** جميع ما يحتاج إليه المسافر من الأزواد وخصوصا الدجاج والإوز، وأما الغنم فهي قليلة عندهم.

ولنعد إلى ذكر سفرنا فنقول: لما قطعنا البحر كانت أول مدينة وصلنا اليها مدينة الزيتون «٥٢» ، وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند، ولكنه اسم وضع عليها، وهي مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب الكمخا، والأطلس «٥٣» ، وتعرف بالنسبة إليها، وتفضل على الثياب الخنساوية والخنبالقية، ومرساها من أعظم مراسي الدنيا." [2]

"تصبير الميت: تحنيطه،II /ص ٣١٣

تضمين الضرائب،II /ص ٦٥

تعداد نزلاء **الفندق** في الصين مساء وإقفال الأبواب عليهم،VI /ص ٢٦٠

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٤/١٣٣

(٢) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٤/١٣٤

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١٦٩/٥

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٣٣/٥

فردخانة دويرة للراحة بالنهار، VI /ص ٢٣٢

فنادق الموصل، II /ص ١٣٥." (١)

"كثيرة الحوت واللبن ويحمل إليها الزوع والثمر من صعيد مصر وأهلها البجاة١ وهم سود الألوان يلتحفون بملاحف صفراء ويشدون على رؤوسهم عصائب يكون عرض العصابة إصبعا وهم لا يورثون البنات طعامهم ألبان الإبل ويركبون المهاري ويسمونها الصهب وثلث المدينة للملك الناصر وثلثاه لملك البجاة وهو يعرف بالحدربي "بفتح الحاء المهمل وإسكان الدال وراء مفتوحة وباء موحدة وياء" وبمدينة عيذاب مسجد ينسب للقسطلاني شهير البركة رأيته وتبركت به وبها الشيخ الصالح موسى والشيخ المسن محمد المراكشي زعم أنه ابن المرتضى ملك مراكش وأن سنه خمسة وتسعون سنة ولما وصلنا إلى عيذاب وجدنا الحدربي سلطان البجاة يحارب الأتراك وقد خرق المراكب وهرب الترك أمامه فتعذر سفرنا في البحر فبعنا ما كنا أعددناه من الزاد وعدنا مع العرب الذين اكترينا الجمال منهم إلى صعيد مصر

فوصلنا إلى مدينة قوص التي تقدم ذكرها وانحدرنا منها في النيل وكان أوان مده فوصلنا بعد مسيرة ثمان من قوص إلى مصر فبت بمصر ليلة واحدة وقصدت بلاد الشام وذلك في منتصف شعبان سنة ست وعشرين فوصلت إلى مدينة بلبيس٢ "وضبط اسمها بفتح الموحدة الأولى وفتح الثانية ثم ياء آخر الحروف مسكنة وسين مهملة"، وهي مدينة كبيرة ذات بساتين كثيرة ولم ألق بها من يجب ذكره. ثم وصلت إلى الصالحية ومنها دخلنا الرمال٣ ونزلنا منازلها مثل السوادة والواردة والمطيلب والعريش والخروبة. بكل منزل منها **فندق**. وهم يسمونه الخان ينزله المسافرون بدوابهم وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منه المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته. من منازلها قطيا المشهورة وهي "بفتح القاف وسكون الطاء وياء آخر الحروف مفتوحة وألف. والناس يبدلون ألفها هاء تأنث". وبها تؤخذ الزكاة من التجار، وتفتش أمتعتهم ويبحث عما

---

١ ويقال لهم أيضا: البجة، وهم قبائل تعيش بين النيل والبحر الأحمر وبين القاهرة وحدود السودا، يعيش بعضهم في جمهورية مصر العربية، وبعضهم في جمهورية السودان، ومعظمهم لا يتكلمون العربية.

٢ المتداول بين الناس في نطقها الآن: بلبيس بكسر الباءين الأولى والثانية، وبينهما لام ساكنة، وهي مدينة

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٣٦/٥

تابعة لمحافظة الشرقية.

٣ يقصد بالرمال: شبه جزيرة سيناء.." (١)

"مدينة الموصل

وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب وقلعتها المعروفة بالحدباء عظيمة الشأن شهيرة الامتناع عليها سور محكم البناء مشيد البروج وتتصل بها دور السلطان وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع مستطيل من أعلى البلد إلى أسفله وعلى البلد سوران اثنان وثيقان أبراجهما كثيرة متقاربة وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره قد تمكن فتحها فيه لسعته ولم أر في أسوار البلاد مثله إلا السور الذي على مدينة دهلي حضرة ملك الهند. وللموصل ربض كبير فيه الجوامع والحمامات والفنادق والأسواق وبه جامع على شط الدجلة تدور به شبابيك حديد وتتصل به مساطب تشرف على دجلة في النهاية من الحسن والإتقان وأمامه مارستان وبداخل المدينة جامعان أحدهما قديم والآخر حديث وفي صحن الحديث منهما قبة في داخلها خصة رخام مثمنة مرتفعة على سارية رخام يخرج منها الماء بقوة وانزعاج فيرتفع مقدار القامة ثم ينعكس في كون له مرأى حسن. وقيسارية الموصل مليحة لها أبواب حديد ويدور بها دكاكين وبيوت بعضها فوق بعض متينة البناء. وبهذه المدينة مشهد جرجيس النبي عليه السلام وعليه مسجد والقبر في زاوية منه عن يمين الداخل إليه وهو فيما بين الجامع الجديد وباب الجسر وقد حصلت لنا زيارته والصلاة بمسجده والحمد لله تعالى وهنالك تل يونس عليه السلام وعلى نحو منه العين المنسوبة إليه يقال أنه أمر قومه بالتطهر فيها ثم صعدوا التل ودعا ودعوا فكشف الله عنهم العذاب وبمقربة منه قرية كبيرة يقرب منه خراب يقال أنه موضع المدينة المعروفة بنينوى مدينة يونس عليه السلام وأثر السور المحيط بها ظاهر ومواضعا الأبواب التي هي فيه متبينة وفي التل بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ومقاصر ومطاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد وفي وسط الرباط بيت عليه ستر حرير وله باب مرصع يقال أنه الموضع الذي به موقف يونس عليه السلام ومحراب المسجد الذي بهذا الرباط يقال أنه كان بيت متعبده عليه السلام. وأهل الموصل يخرجون في كل." (٢)

"غيرهم.

وكان سلطانها شاه بك، من متوسطي سلاطين هذه البلاد، حسن الصورة والسيرة، جميل الخلق، قليل

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٣٩/١

(٢) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ١٨٠/١

العطاء، صلينا بهذه المدينة صلاة الجمعة ونزلنا منها، ولقيت بها الخطيب الفقيه شمس الدين الدمشقي الحنبلي وهو من مستوطنيها من سنين وله بها أولاد وهو فقيه هذا السلطان وخطيبه ومسموع الكلام عنده ودخل علينا هذا الفقيه بالزاوية فأعلمنا أن السلطان قد جاء لزيارتنا فشكرته على فعله واستقبلت السلطان فسلمت عليه وجلس فسألني عن حالي وعن مقدمي وعمن لقيته من السلاطين فأخبرته بذلك كله وأقام ساعة ثم انصرف وبعث بدابة مسرجة وكسوة، وانصرفنا إلى مدينة برلو "وضبط اسمها بضم الباء الموحد وإسكان الراء وضم اللام"، وهي مدينة صغيرة على تل تحتها **فندق** ولها قلعة بأعلى شاهق نزلنا منها بمدرسة، وكان الحاج الذي سافر معنا يعرف مدرسها وطلبتها ويحضر معهم الدرس وهو على علاقة من الطلبة حنفي المذهب، ودعانا أمير هذه البلدة وهو علي بك بن السلطان المكرم سليمان باد شاه ملك قصطمونية، وسنذكره. فصعدنا إليه إلى القلعة فسلمنا عليه فرحب بنا وأكرمنا وسألني عن أسفاري وحالي فأجبته عن ذلك وأجلسني إلى جانبه وحضر قاضيه وكاتبه الحاج علاء الدين محمد وهو من كبار الكتاب وحضر الطعام فأكلنا ثم قرأ القراء بأصوات مبكية وألحان عجيبة، وانصرفنا. وسافرنا بالغد إلى مدينة قصطمونية "وضبط اسمها بقاف مفتوح، وصاد مهمل مسكن وطاء مهمل مفتوح وميم مضمومة وواو ونون مكسورة وياء آخر الحروف"، وهي أعظم المدن وأحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار نزلنا منها بزاوية شيخ يعرف بالأطروش لثقل سمعه ورأيت منه عجبا وهو أن أحد الطلبة كان يكتب له في الهواء وتارة ف الأرض بأصبعه فيفهم عنه ويجيبه ويحكي له بذلك الحكايات فيفهمها وأقمنا بهذه المدينة نحو أربعين يوما فكنا نشتري طابق اللحم الغنمي السمين بدرهمين ونشتري خبزا بدرهمين فيكفينا ليومنا ونحن عشرة ونشتري حلواء العسل بدرهمين فتكفينا أجمعين ونشتري جوزا بدرهم وقشطلا بمثله فنأكل منها أجمعون ويفضل باقيها ونشتري حمل الحطب بدرهم واحد وذلك أوان البرد الشديد ولم أر في البلاد مدينة أرخص أسعارا منها. ولقيت بها الشيخ الإمام العالم المفتي." (١)

"القواصر، كما يصنع عندنا بالشريحة وبالتين المالقي. ويحمل من خوارزم إلى أقصى بلاد الهند والصين. وليس في جميع الفواكه اليابسة أطيب منه. وكنت أيام إقامتي بدلهي من بلاد الهند متى قدم المسافرون بعثت من يشتري لي منهم قديد البطيخ وكان ملك الهند إذا أتي إليه بشيء منه بعث إلي به لما يعلم من محبتي فيه ومن عادته أنه يطرف الغرباء بفواكه بلادهم ويتفقدهم بذلك.

وكان قد صحبني من مدينة السرا إلى خوارزم شريف من أهل كربلاء يسمى علي بن منصور وكان من التجار

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٢٤٣/١

فكنت أكلفه أن يشتري لي الثياب وسواها فكان يشتري لي الثوب بعشرة دنانير ويقول اشتريتها بثمانية ويحاسبني بالثمانية ويدفع الدينارين من ماله وأنا لا علم لي بفعله إلا أن تعرفت على ذلك من ألسنة الناس وكان مع ذلك قد أسلفني دنانير فلما وصل إلى إحسان أمير خوارزم رددت إليه ما أسلفنيه وأردت أن أحسن بعده إليه مكافأة لأفعاله الحسنة فأبى ذلك وحلف أن لا أفعل وأردت أن أحسن إلى فتى كان اسمه كافور فحلف أن لا أفعل وكان أكرم من لقيته من العراقيين. وعزم على السفر معي إلى بلاد الهند ثم أن جماعة من أهل بلده وصلوا خوارزم برسم السفر إلى الصين فأخذ في السفر معهم فقلت له في ذلك فقال هؤلاء أهل بلدي يعودون إلى أهلي وأقاربي ويذكرون إني سافرت إلى الهند برسم الهدية فيكون سبة علي. لا أفعل ذلك. وسافر معهم إلى الصين فبلغني بعد وأنا بأرض الهند أنه لما بلغ إلى مدينة المالق وهي آخر البلاد من عمالة ما وراء النهر وأول بلاد الصين أقام بها وبعث فتى له بما كان عنده من المتاع فأبطأ الفتى عليه وفي أثناء ذلك وصل من بلده بعض التجار ونزل معه في فندق واحد فطلب منه الشريف أن يسلفه شيئا بخلال ما يصل فتاه فلم يفعل ثم أكد قبح ما صنع في عدم التوسعة على الشريف بأن أراد الزيادة عليه في المسكن الذي كان له في الفندق فبلغ ذلك الشريف فاغتم منه ودخل إلى بيته فذبح نفسه فأدرك وبه رمق واتهموا غلاما كان له بقتله فقال لا تظلموه فإني أنا فعلت ذلك ومات من يومه غفر الله له.
وكان قد حكى لي عن نفسه أنه أخذ مرة من بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم." (١)

"البحر وكتابه، وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدام والبحرية وحينئذ يباح لهم السفر. فإذا عاد الجنك إلى الصين صعدوا إليه أيضا وقابلوا ما كتبوه بأشخاص الناس فإن فقدوا أحدا مما قيدوه طلبوا صاحب الجنك به. فإما أن يأتي ببرهان على موته أو فراره أو غير ذلك مما يحدث عليه وإلا أخذ فيه. فإذا فرغوا من ذلك أمروا صاحب المركب أن يملي عليهم تفصيلا بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ما عندهم. فإن عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عاد الجنك بجميع ما فيه مالا للمخزن وذلك نوع من الظلم ما رأيته ببلاد من بلاد الكفار ولا المسلمين إلا بالصين، اللهم إلا أنه كان بالهند ما يقرب منه.

وإذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين خير في النزول عند تاجر من المسلمين المتوطنين معين أو في الفندق، فإن أحب النزول عند التاجر حصر ماله وضمنه التاجر المستوطن وأنفق عليه منه بالمعروف. فإذا أراد السفر بحث عن ماله فإن وجد شيء منه قد ضاع أغرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه، وإن أراد

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٢٨٢/١

النزول بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه فإن أراد التسري اشترى له جارية وأسكنه بدار يكون بابها في الفندق وأنفق عليهما. والجواري رخيصات الأثمان؛ لأن أهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم وليس ذلك عيبا عندهم غير أنهم لا يجبرون على السفر مع مشتريهم ولا يمنعون أيضا منه إن اختاروه. وكذلك أن أراد التزوج تزوج. وأما إنفاق ماله في الفساد فشيء لا سبيل له إليه. ويقولون: لا نريد أن يسمع في بلاد المسلمين أنهم يخسرون أموالهم في بلادنا، فإنها أرض ضلال. وبلاد الصين آمن البلاد وأحسنها حالا للمسافرين. فإن الإنسان يسافر منفردا مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها. وترتيب ذلك أن لهم في كل منزل ببلادهم فندقا عليه حاكم يسكن به في جماعة من الفرسان والرجال، فإذا كان بعد المغرب والعشاء جاء الحاكم إلى الفندق ومعه كاتبه فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسافرين وختم عيها وأقفل باب الفندق عليهم. فإذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه فدعا كل." (١)

"إنسان باسمه وكتب به تفصيلا وبعث معهم من يوصلهم إلى المنزل الثاني له ويأتيه ببراءة من حاكمه أن الجميع قد وصلوا إليه. وإن لم يفعل طلبه بهم. وهكذا العمل في كل منزل ببلادهم من صين الصين إلى خان بالق. وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج إلى المسافر من الأزواد وخصوصا الدجاج والأوز. وأما الغنم فهي قليلة عندهم. ولنعد إلى ذكر سفرنا فنقول: لما قطعنا البحر كانت أول مدينة وصلنا إليها مدينة الزيتون. وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند ولكنه اسم وضع عليها وهي مدينة عظيمة كبيرة، تصنع بها ثياب الكمخا والأطلس وتعرف بالنسبة إليها وتفضل على الثياب الخنساوية والخنبالقية. ومرساها من أعظم مراسي الدنيا أو هو أعظمها رأيت به نحو مائة جنك كبار وأما الصغار فلا تحصى كثرة. وهو خور كبير من البحر يدخل في البر حتى يختلط بالنهر الأعظم. وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون لإنسان بها البستان والأرض وداره في وسطها كمثل ما هي في بلدة سجلماسة ببلادنا. وبهذا عظمت بلادهم. والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة. وفي يوم وصولي إليها رأيت بها الأمير الذي توجه إلى الهند رسولا بالهدية ومضى في صحبتنا وغرق به الجنك فسلم علي وعرف صاحب الديوان بي فأنزلني في منزل حسن. وجاء إلي قاضي المسلمين تاج الدين الأردويلي وهو من الأفاضل الكرماء وشيخ الإسلام كمال الدين عبد الله الأصفهاني وهو من الصلحاء وجاء إلي كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي أحد التجار الذي استدنت منهم حين قدومي على الهند وأحسنهم معاملة حافظ للقرآن مكثر للتلاوة. وهؤلاء التجار لسكناهم في بلاد

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٢/٤٨٩

الكفار إذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح وقالوا جاء من أرض الإسلام وله يعطون زكوات أموالهم فيعود غنيا كواحد منهم. وكان بها من المشايخ الفضلاء برهان الدين الكازورني له زاوية خارج البلد وإليه يدفع التجار النذور التي ينذرونها للشيخ أبي إسحاق الكازروني. ولما عرف صاحب الديوان أخباري كتب إلى القان وهو ملكهم الأعظم يخبره بقدومي من جهة ملك الهند. فطلبت منه أن يبعث معي من يوصلني إلى بلاد الصين "صين الصين"، وهم يسمونها صين كلان لأشاهد تلك البلاد وهي في عمالته بخلال ما يعود جواب القان. فأجاب إلى ذلك وبعث معي من أصحابه من يوصلني. وركبت في النهر في مركب يشبه أجفان بلادنا الغزوية، إلا أن الجذافين يجذفون فيه قياما، وحميعهم في وسط المركب،." (١)

"الجزء الاول

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم ها نحن أيها القارئ العربي العزيز نضع بين يديك كتابا جليلا من كتب تراثنا العربي ليكون لك عونا في التعرف على ماضي من سبقوا ووضعوا لبنة في بناء الحضارة العالمية، وفي مهد الحضارات وأم الدنيا مصر العزيزة.

هذا الكتاب، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والمعروف بالخطط المقريزية، نسبة لمؤلفه العلامة الجليل تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ.

والذي يؤرخ فيه لأم الدنيا مصر العزيزة خلال الفترة الممتدة من سنة عشرين للهجرة النبوية الشريفة وحتى سنة ست وتسعمائة. مبينا فيه ما للنيل العظيم من أثر في حياة مصر، متعرضا لمناخها وطقسها، مؤرخا للكيفية التي تم بها إنشاء كل من مصر والقاهرة. القاهرة التي اختط أساسها القائد جوهر من الطوب النيء، مبتدئا بحارات القاهرة وظواهرها معددا سبعا وثلاثين حارة مبينا كيفية بناءها ومن قام على هذا البناء منطلقا إلى ما لا يطلق عليه اسم حارة أو درب بل يسمى خطا، وهي كثيرة وكل قليل تتغير أسماؤها وقد أورد ما تيسر له منها فكانت ثلاثون خطا، مبينا ما كان عليه كل خط وما آل إليه ومن أمر بإنشائه ومن قام على إنشائه وأسباب إنشائه. منتقلا إلى ذكر الدروب والأزقة مبينا أسماءها التي كانت وماذا أصبحت وإلى من تنسب من الأشخاص وما فيها من محال ودكاكين، وكان عددها خمس وستون دربا وثمان أزقة. ثم يعدد الخوخ، والخوخة نافذة في باب كبير وعددها أربع عشرة خوخة. ثم ينتقل إلى الرحاب، والرحبة تعني الموضع الواسع والرحاب كثيرة لا تتغير إلا بأن يبنى فيها وقد ذكر تسع وأربعون رحبة ثم ينتقل إلى ذكر الدور الهامة

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٢/٤٩٠

وعددها ست وخمسون دارا مسميا إياها بأسماء أصحابها. ثم ينتقل إلى ذكر الحمامات والقياسر **والفنادق والخانات** والأسواق والسويقات والحكر أو الأحكار، مترجما لها وللأمراء والسلاطين الذين عملوا على بنائها.

ثم ينتقل إلى الخلجان والقناطر والبرك والجسور التي تم بناءها لجر مياه النيل إلى الحارات والخطط.." (١)

"كل من الولاة والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من أقساط السنة إلى بيت المال عن ثمن حياصة ثلثمائة درهم، وعن ثمن بغل خمسمائة درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويفضل منها ما يحمل، وكان يصيب الناس من هذه الجهة ما لا يوصف ويحل بهم من عسف الرقاصين ما يهون معه الموت، ومن ذلك مقرر السجون، وهو عبارة عما يؤخذ من كل من يسجن فللسجان على حكم المقرر ستة دراهم سوى كلف أخرى، وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل منها فإنه كان لو تخاصم رجل مع امرأته أو ابنه رفعه الوالي إلى السجن فبمجرد ما يدخل السجن، ولو لم يقم به إلا لحظة واحدة أخذ منه المقرر، وكذلك كان على سجن القضاة أيضا.

ومن ذلك مقرر طرح الفراريج: ولها ضمان عدة في سائر نواحي أرض مصر يطرحون على الناس الفراريج فيمر بضعفاء الناس من ذلك بلاء عظيم، وتقاسي الأرامل من العسف والظلم شيئا كثيرا، وكان على هذه الجهة عدة مقطعين، ولا يمكن أحدا من الناس في جميع الأقاليم أن يشتري فروجا فما فوقه إلا من الضامن ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجا من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان، وما هو بميت.

ومن ذلك مقرر الفرسان: وهو عبارة عما يجبيه ولاة النواحي من سائر البلاد فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يغرم عليه صاحبه درهمين ويقاسي الناس فيه أهوالا صعبة.

ومن ذلك مقرر الأقصاب والمعاصر: وهو ما يجبى من مزارعي قصب السكر، ومن المعاصر ورجال المعاصر.

ومن ذلك مقرر رسوم الأفراح: ويجبي من سائر النواحي ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة أصل البتة، وإنما يجبي بضرائب ينال الناس فيها مع المقرر غرامات وروعات.

ومن ذلك حماية المراكب: وهي عبارة عما يؤخذ من كل مركب بتقرير معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه الجهة أشد ما ظلم به الناس فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من السؤال والمكدين.

ومن ذلك حقوق القينات: وهو عبارة عما يجمع من الفواحش والمنكرات فيجبيه مهتار الطشتخاناه

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/١

السلطانية من أوباش الناس.

ومن ذلك شد الزعماء: وهي جهة مفردة وحقوق السودان وكشف المراكب ومقرر ما على كل جارية، أو عبد حين نزولهم **بالخانات** لعمل الفاحشة فيؤخذ من كل ذكر وأنثى مقرر معين، ومتوفر الجراريف، وهو ما يجبي من سائر النواحي فيحمل ذلك مهندسوا البلاد إلى بيت المال بإعانة الولاة لهم في تحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند.." (١)

"لجميع الناس، وقرر على الكلأ الذي ترعاه البهائم مالا سماه المراعي، وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصايد إلى غير ذلك، فانقسم حينئذ مال مصر إلى خراجي وهلالي، وكان الهلالي يعرف في زمنه وما بعده: بالمرافق والمعاون، فلما ولي الأمير أبو العباس أحمد بن طولون إمارة مصر، وأضاف إليه أمير المؤمنين المعتمد على الله الخراج والثغور الشامية، رغب وتنزه عن أدناس المعاون والمرافق، وكتب بإسقاطها في جميع أعماله، وكانت تبلغ بمصر خاصة، مائة ألف دينار في كل سنة، وله في ذلك خبر فيه أكبر معتبر قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع الطولوني من هذا الكتاب، ثم أعيدت الأموال الهلالية في أثناء الدولة الفاطمية عند ما ضعفت، وصارت تعرف: بالمكوس.

فلما استبد السلطان الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب بملك مصر، أمر بإسقاط مكوس مصر والقاهرة. فكتب عنه القاضي الفاضل مرسوما بذلك، وكان جملة ذلك في كل سنة: مائة ألف دينار. تفصيلها: مكس البهار وعمالته: ثلاثة وثلاثون ألفا وثلثمائة وأربعة وستون دينارا؛ مكس البضائع والقوافل وعمالتها: تسعة آلاف وثلثمائة وخمسون دينارا؛ منفلت الصناعة عن مكس البز الوارد إليها والنحاس والقزدير والمرجان والفاضلات: خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون دينارا؛ الصادر عن الصناعة بمصر: ستة آلاف وستمائة وستة وستون دينارا؛ سمسرة التمر: ثلثمائة دينار؛ **الفندق** بالمنية عن مكس البضائع: ثمانمائة دينار وستة وخمسون دينارا؛ رسوم دار القند: ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنانير؛ رسوم الخشب الطويل والملح: ستمائة وستة وسبعون دينارا؛ رسوم العلب المنسوبة إلى بلبيس والبوري: مائة دينار؛ رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره: مائتان وسبعة عشر دينارا؛ خيمة أرمنت عن الوارد إليها: سبعة وستون دينارا؛ **فندق** القطن: ألفا دينار؛ سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة وعبور الأغنام بالجيزة: ثلاثة آلاف وثلثمائة وأحد عشر دينارا؛ عبور الأغنام والكتان والأبقار بباب القنطرة: ألف ومائتا دينارا؛ واجب ما ورد من الكتان الحطب إلى الصناعة: مائتا دينار؛ رسوم واجب الغلات كالحبوب الواردة إلى الصناعة، والمقس والمنية

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/١٦٨

والجسر والتباين، ومفالت جزيرة الذهب، وطموه ومنبر الدرج: ستة آلاف دينار.
مكس ما يرد إلى الصناعة من الأغنام: ستة وثلاثون دينارا؛ الأغنام البيتوتية؛ اثنا عشر دينارا؛ العرصة والسرسناوي بالجيزة، ومكس الأغنام: مائة وتسعون دينارا؛ منفلت الفيوم عما يرد من الكتان من القبلة، ومن البضائع الواردة من الفيوم وغيره: أربعة آلاف ومائة وستون دينارا؛ مكس الورق المجلوب إلى الصناعة، ورسم التفتيش: مائتا دينارا؛ الحصة بساحل الغلة والأقوات والرسائل: سبعمائة وثمانية وستون دينارا؛ دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة: ألف وسبعمائة دينار؛ رسم ابن ا لمليحي: مائتا دينار؛ دار الجبن: ألف." (١)

"وأمر بإراقة الخمور، وإبطال المنكرات، وتعفية بيوت المسكرات، ومنع الخانات والخواطيء بجميع أقطار مملكة مصر والشام، فطهرت من ذلك البقاع، ولما وردت المراسيم بذلك على القاضي ناصر الدين أحمد بن المنير قال:

ليس لإبليس عندنا أرب ... غير بلاد الأمير مأواه

حرفته الخمر والحشيش معا ... حرمتا ماؤه ومرعاه

وقال الأديب الفاضل أبو الحسين الجزار:

قد عطل الكوب من حبابه ... وأخلى الثغر من رضابه

وأصبح الشيخ وهو يبكي ... على الذي فات من شبابه

وفي تاسع جمادى الآخرة سنة ست وستين وستمائة، أمر الملك الظاهر بيبرس بإراقة الخمور وإبطال الفساد، ومنع النساء الخواطيء من التعرض للبغاء من جميع القاهرة ومصر، وسائر الأعمال المصرية، فتطهرت أرض مصر من هذا المنكر، ونهبت الخانات التي كانت معدة لذلك، وسلب أهلها جميع ما كان لها، ونفى بعضهم، وحبست النساء حتى يتزوجن.

وكتب إلى جميع البلاد بمثل ذلك، وحط المال المقرر على البغايا من الديوان، وعوض الحاشية من جهات حل بنظيره، وفي سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وستين وستمائة، أريقت الخمور، وأبطل ضمانها، وكان كل يوم ألف دينار، وكتب توقيع بذلك قرىء على المنابر، وافتتح سنة سبعين بإراقة الخمور، والتشدد في إزالة المنكرات، وكان يوما مشهودا بالقاهرة، وبلغه في سنة أربع وسبعين عن الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف: بصدر الباز، وكان قد تمكن منه تمكنا كثيرا أنه يشرب الخمر، فشنقه تحت قلعة الجبل.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٩٥/١

ولما ولي الملك المنصور سيف الدين قلاون الإلفي، مملكة مصر أبطل زكاة الدولة، وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله أبدا، ولو عدم منه، وإذا مات يؤخذ من ورثته، وأبطل ما كان يجبى من أهل إقليم مصر كله إذا حضر مبشر بفتح حصن، أو نحوه، فيؤخذ من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم، ويجتمع من ذلك مال كثير، وأبطل ما كان يجبى من أهل الذمة، وهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الأجناد في كل سنة، وأبطل مقرر جباية الدينار من التجار عند سفر العسكر والغزاة، وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر من كل تاجر دينار، وأبطل ما كان يجبى عند وفاء النيل مما يعمل به شوى وحلوى وفاكهة في المقياس، وجعل مصر ذلك من بيت المال، وأبطل أشياء كثيرة من هذا النمط.

وأبطل الملك الناصر، محمد بن قلاون عدة جهات قد ذكرت في الروك الناصري،." (١)

"تختلف لشدة ما كانوا يحررونها بالشواقيل وعضادة الخشب، وتردد إليها الأفضل مع كبر سنه، وهو يرتعش، والقائد يحمله إلى فوق، ويقعد زمانا من التعب لا يتكلم ويده ترتعش، فرصدوا قدامه، وفي خلال ذلك قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة، وقيل للأفضل عن ابن قرقة: إنه أسرف في كبر الحلقة، وعظم مقدارها، فقال له الأفضل:

لو اختصرت منها كان أهون، فقال: وحق نعمتك لو أمكنني أن أعمل حلقة تكون رجلها الواحدة على الأهرام، والأخرى على التنور فعلت، فكلما كبرت الآلة صح التحرير، وأين هذا في العالم العلوي، ثم أكثروا عليه، فعمل حلقة دونها في الموضع المهندم بالطوب الأحمر تحت المسجد الجيوشي، كان قطرها أقل من سبعة أذرع ودورها نحو أحد وعشرين ذراعا.

فلما كملت، قتل الأفضل، ولم ينفق من مال السلطان في الأجرة والمؤن، وما لا بد منه سوى نحو مائة وستين دينارا، فلما تمت الوزارة للمأمون البطائحي، أحب أن يكملها، ويقال له: الرصد المأموني المصحح، كما قيل للأول: الرصد المأموني الممتحن، فأخرج الأمر بنقل الرصد إلى باب النصر بالقاهرة، فنقل على الطريقة الأولى بالعتالين والأسطولية وطوائف الرجال، وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغداء جملة دراهم، فلما صار فوق العجل مضوا به على الخندق من وراء الفتح على المشاهد إلى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة، وتعبوا في دخوله من باب النصر تعبا عظيما لخوفهم أن يصدم فيتغير، فنصبوا الصواري على عقد باب النصر من داخل الباب، وتكاثر الرجال في جذب المياحين من أسفل، ومن فوق حتى وصل إلى السطح الكبير. ثم نقلوه من السطح الكبير إلى السطح الفوقاني، وأوقفوا له العمد كما تقدم ذكره، ورصدوا بالحلقة الكبرى

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/١٩٩

كما رصدوا بها على سطح الجرف، فصح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط، ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة أذرع، وسبكت في **فندق** بالعطوفية من القاهرة، وكان الأمر فيها سهلا عندما لحقهم من العناء العظيم في الحلقة الكبيرة، والحلقة الوسطى، وتجرد المأمون لعملها، والحث فيها، وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين، ويحضر أبو جعفر بن جسنداي وأبو البركات بن أبي الليث صاحب الديوان وبيده الحل، والعقد فقال له المأمون: اطلع إليهم كل يوم وأي شيء طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة، وكان قصده ما أطمعوه فيه من أن يقال: الرصد المأموني المصحح، فلو أراد الله أن يبقي المأمون قليلا كان كمل جميع رصد الكواكب، لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة، وكان من جملة ما عدد من ذنوبه عمل الرصد المذكور، والاجتهاد فيه، وقيل: أطمعته نفسه في الخلافة بكونه سماه الرصد المأموني، ونسبه إلى نفسه، ولم ينسبه إلى الخليفة الآمر بأحكام الله.." (١)

"حمامات وأسواق، وبها قوم فيهم يسار ووجوه من النار، وبينهما ستة عشر سقسا، ومن منوف إلى محلة صرد وفيها منبر وحمام **وفنادق**، وسوق صالح ستة عشر سقسا، ومن محلة صرد إلى سخا وهي مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق، وعمل واسع وإقليم جليل له عامل بعسكر وجند، وبه الكتان الكثير وزيت الفجل، وقموح عظيمة ستة عشر سقسا، ومن سخا إلى شبر كمية وهي مدينة كبيرة بها جامع وأسواق ستة عشر سقسا، ومن شبر كمية إلى مسير وهي مدينة بها جامع وأسواق ستة عشر سقسا، ومن مسير إلى سنهور وهي مدينة ذات إقليم كبير وبها حمامات وأسواق، وعمل كبير ستة عشر سقسا، ومن سنهور إلى التخوم وهي إقليم وبها حمامات **وفنادق** وأسواق ستة عشر سقسا، ومن التخوم إلى نسترو، وكانت مدينة عظيمة حسنة على بحيرة اليشمون عشرون سقسا، ومن نسترو إلى البرلس وهي مدينة كثيرة الصيد في البحيرة وبها حمامات عشر سقسات، ومن نسترو إلى البرلس إلى اخنا وهي حصن على شط بحر الملح عشر سقسات، ومن اخنا إلى رشيد وهي مدينة على النيل ومنها يصب النيل في البحر من فوهة تعرف بالأشتوم وهي المدخل ثلاثون سقسا، وكان بها أسواق صالحة وحمام، وبها نخيل وضريبة على ما يحمل من الإسكندرية.

وهذا الطريق الآخذ من شطنوف إلى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل، والثياب المنسوجة بالإسكندرية لا نظير لها، وتحمل إلى أقطار الأرض، وفي ثياب الإسكندرية ما يباع الكتان منه إذا عمل ثيابا يقال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة، وما يدخل في الطرز، فيباع بنظير وزنه مرات عديدة.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٣٩/١

ذكر فتح الإسكندرية

قال أبو عمرو الكندي: لما حاز المسلمون الحصن بما فيه، أجمع عمرو على المسير إلى الإسكندرية، فسار إليها في ربيع الأول سنة عشرين، وقال غيره: بل سار في جمادى الآخرة منها.

وذكر سيف بن عمر: أن عمرو بن العاص بعث إلى الإسكندرية، وهو على عين شمس، عوف بن مالك، فنزل عليها، وبعث يقول لأهلها: إن شئتم أن نزلوا فلكم الأمان، فقالوا: نعم، فراسلهم وتربصوا أهل عين شمس، وسار المسلمون من بين ذلك.

وقال ابن عبد الحكم: ويقال: إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص، لما فتح الإسكندرية حاصر أهلها ثلاثة أشهر، وألح عليهم فخافوه، وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأي الملك، فحدثنا يزيد بن أبي حبيب: أن المقوقس الرومي الذي كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص، على أن يسير من أراد من الروم المسير، ويقر من أراد من الروم على أمر قد سماه، فبلغ ذلك هرقل ملك الروم، فسخط أشد السخط، وأنكر أشد الإنكار، وبعث الجيوش، فأغلقوا أبواب الإسكندرية." [١]

"ذلك، ثلاثة جمال على هيئته، ففطن لها الفرنج، فأخذوها وامتلأت مساكنهم، وطرقات البلد من الموتى وعدمت الأقوات، وصار السكر، كعزة الياقوت، وفقدت اللحوم، فلم يقدر عليها بوجه وآلت بهم الحال، إلى أن لم يبق بها سوى قليل من القمح والشعير فقط.

فتسور الفرنج وأخذوا منه البلد في يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان، وكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما، ولما أخذوا البلد وضعوا السيف في الناس، فتجاوزوا الحد في القتل وأسرفوا في مقدار القتلى، وبلغ ذلك السلطان، فرحل بعد أخذ دمياط بيومين، ونزل قبالة طلخا على رأس بحر أشموم، ورأس بحر دمياط وحيز في المنزلة التي صار يقال لها المنصورة، وحصن الفرنج أسوار دمياط، وجعلوا الجامع كنيسة وبثوا سراياهم في القرى، فقتلوا ونهبوا، وسير السلطان الكتب إلى الآفاق ليستحث الناس على الحضور، لدفع الفرنج عن ملك مصر، وشرع العسكر في بناء الدور والفنادق والحمامات، والأسواق بمنزلة المنصورة، وجهز الفرنج من أسروه من المسلمين في البحر إلى عكا، وخرجوا من دمياط، ونازلوا السلطان تجاه المنصورة، وصار بينهم وبينه بحر أشموم، وبحر دمياط، وكان الفرنج في مائتي ألف راجل، وعشرة آلاف فارس، فقدم المسلمون شوانيهم أمام المنصورة، وعدتها مائة قطعة، واجتمع الناس من القاهرة ومصر، وسائر النواحي من أسوان إلى القاهرة، ووصل الأمير حسام الدين يونس، والفقيه تقي الدين، أبو

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٣٠٣

الطاهر محمد بن الحسن بن عبد الرحمن المحلي، فأخرجا الناس من القاهرة ومصر، ونودي بالنفير العام وخرج الأمير علاء الدين جلدك، وجمال الدين بن صيرم، لجمع الناس فيما بين القاهرة إلى آخر الحوف الشرقي، فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر، وأنزل السلطان على ناحية شار مساح ألف فارس في آلاف من العربان ليحولوا بين الفرنج ودمياط، وسارت الشواني، ومعها حراقة كبيرة على رأس بحر المحلة، وعليها الأمير بدر الدين بن حسون، فانقطعت الميرة عن الفرنج من البر والبحر.

وسارت عساكر المسلمين من الشرق والشام إلى الديار المصرية، وكان قد خرج الفرنج من داخل البحر لمدد الفرنج على دمياط، فقدم منهم أمم لا تحصى، يريدون التوغل في أرض مصر، فلما تكاملوا بدمياط، خرجوا منها في حدهم وحديدهم، ونزلوا تجاه الملك الكامل، كما تقدم، فقدمت النجدات يقدمها الملك الأشرف موسى بن العادل، وعلى ساقتها الملك المعظم عيسى، فتلقاهم الملك الكامل وأنزلهم عنده بالمنصورة في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة، وتتابع مجيء الملوك، حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو أربعين ألف فارس، فحاربوا الفرنج في البر والبحر، وأخذوا منهم ست شواني وجلاسة وبطسة وأسروا من الفرنج ألفين ومائتين، ثم ظفر المسلمون، بثلاث قطائع أخر، فتضعضع الفرنج لذلك، وضاق بهم المقام.

فبعثوا يطلبون الصلح، فقدم عند مجيء رسلهم أهل الإسكندرية في ثمانية آلاف." (١)

"بجوار ماء، فغسلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح، وقد اتسخت، وصبت غسالتها بتلك الأراضي، فأنبت الله هنالك البلسان، وكان إذ ذاك بالأردن، فانقطع من هناك، وبقي بهذه الأرض، وغمرت هذه البئر التي هي الآن موجودة هناك على ذلك الماء الذي غسلت منه مريم، وبلغني أنها إلى الآن إذا اعتبرت يوجد ماؤها عينا جارية في أسفلها، فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه البئر وللبلسان، فإنه إنما سقي منها، والله أعلم.

المنصورة «١»

هذه البلدة على رأس بحر أشموم تجاه ناحية طلخا «٢» بناها: السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، في سنة ست عشرة وستمائة عند ما ملك الفرنج، مدينة دمياط، فنزل في موضع هذه البلدة، وخيم به، وبنى قصرا لسكناه، وأمر من معه من الأمراء والعساكر بالبناء، فبنى هناك عدة دور ونصبت الأسواق وأدار عليها سورا مما يلي البحر، وستره بالآلات الحربية والستائر، وتسمى هذه

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤٠٢/١

المنزلة المنصورة، ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط، كما تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كتابنا هذا، فصارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والأسواق، ولما استنقذ الملك الكامل دمياط من الفرنج، ورحل الفرنج إلى بلادهم جلس بقصره في المنصورة وبين يديه إخوته الملك المعظم عيسى صاحب دمشق، والملك الأشرف موسى صاحب بلاد الشرق وغيرهما من أهله، وخواصه، فأمر الملك الأشرف جاريته، فغنت على عودها:

ولما طغى فرعون عكا وقومه ... وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض

أتى نحوهم موسى وفي يده العصا ... فأغرقهم في اليم بعضا على بعض

فطرب الأشرف، وقال لها: بالله كرري، فشق ذلك على الملك الكامل، وأسكتها، وقال لجاريته: غني أنت فأخذت العود، وغنت:

أيا أهل دين الكفرة قوموا لتنظروا ... لما قد جرى في وقتنا وتجددا

أعباد عيسى إن عيسى وحزبه ... وموسى جميعا ينصران محمدا

وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن حبارة أولها: (أبى الوجد إلا أن أبيت مسهدا) فأعجب ذلك الملك الكامل، وأمر لكل من الجاريتين، بخمسمائة دينار، فنهض القاضي الصدر الأجل الرئيس هبة الله بن محاسن قاضي غزة وكان من جملة الجلساء على قدميه وأنشد يقول:." (١)

"موضعها فيما بين النيل والخليج، وفيها من الحمراء القصوى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديما وعرف موضعها بالكوم الأحمر من أجل أنه كان يعمل فيها أقمنة الطوب، فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مقام الجامع الذي كان بمنشأة الفاضل أجابه إلى ذلك، وأنشأ الجامع بخط الكوم الأحمر كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع، فأنشأ هناك الأمير سيف الدين بلبان المهراني دارا وسكنها، وبنى مسجدا، فعرفت هذه الخطة به، وقيل لها: منشأة المهراني، فإن المهراني المذكور أول من ابتنى فيها بعد بناء الجامع، وتتابع الناس في البناء بمنشأة المهراني وأكثروا من العمائر حتى يقال: إنه كان بها فوق الأربعين من أمراء الدولة سوى من كان هناك من الوزراء، وأماثل الكتاب، وأعيان القضاة، ووجوه الناس، ولم تزل على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخربت، وبها الآن بقية يسيرة من الدور، ويتصل بخط الجامع الجديد خط دار النحاس، وهو مطل على النيل، ودار النحاس هذه من الدور القديمة، وقد دثرت، وصار الخط: يعرف بها.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٤٢٧

قال القضاعي:

دار النحاس اختطها: وردان مولى عمرو بن العاص، فكتب مسلمة بن مخلد، وهو أمير مصر إلى معاوية يسأله أن يجعلها ديوانا، فكتب معاوية إلى وردان يسأله فيها، وعوضه فيها دار وردان التي بسوقه الآن، وقال ربيعة: كانت هذه الدار من خطة الحجر من الأزد، فاشتراها عمر بن مروان، وبناها، فكانت في يد ولده، وقبضت عنهم وبيعت في الصوافي سنة ثمان وثلثمائة، ثم صارت إلى شمول الإخشيدي، فبناها قيسارية وحماما، فصارت دار النحاس قيسارية شمول.

وقال ابن المتوج: دار النحاس خط نسب لدار النحاس، وهو الآن **فندق** الأشراف ذو البابين أحدهما من رحبة أمامه، والثاني شارع بالساحل القديم، وبآخر هذه الشقة التي تطل على النيل (جسر الأفرم) ، وهو في طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية، وبين رباط الآثار كان مطلا على النيل دائما، والآن ينحسر الماء عنه عند هبوط النيل، وعرف بالأمير عز الدين أيدمر الأفرم الصالحي النجمي أمير جندار، وذلك أنه لما استأجر بركة الشعيبية، كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها فدانين من غربيها أذن للناس في تحكيرها، فحكرت وبنى عليها عدة دور بلغت الغاية في إتقان العمارة، وتنافس عظماء دولة الناصر محمد بن قلاون من الوزراء، وأعيان الكتاب في المساكن بهذا الجسر، وبنوا وتأنقوا، وتفننوا في بدع الزخرفة، وبالغوا في تحسين الرخام، وخرجوا عن الحد في كثرة إنفاق الأموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر خلاصة العامر من إقليم مصر، وسكانه أرق الناس عيشا، وأترف المتنعمين حياة، وأوفرهم نعمة، ثم خرب هذا الجسر بأسره، وذهبت دوره.." (١)

"طول حد مصر، وحدها في العرض من شاطىء النيل الذي يعرف قديما بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير، وقنطرة السد إلى أول القرافة الكبرى.

وأما حد القاهرة، فإن طولها من قناطر السباع إلى الريدانية، وعرضه من شاطىء النيل ببولاق إلى الجبل الأحمر، ويطلق على ذلك كله مصر والقاهرة، وفي الحقيقة قاهرة المعز التي أنشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد إلى مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة إنما هي ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذي أداره القائد جوهر تغير، وعمل منذ بنيت إلى زمننا هذا ثلاث مرات، ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهرة، فصار يقال لداخل السور: القاهرة، ولما خرج عن السور ظاهر القاهرة، وظاهر القاهرة أربع جهات: الجهة القبلية، وفيها الآن معظم العمارة، وحد

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٧٦/٢

هذه الجهة طولا من عتبة باب زويلة إلى الجامع الطولوني، وما بعد الجامع الطولوني، فإنه من حد مصر، وحدها عرضا من الجامع الطيبرسي بشاطئ النيل غربي المريس إلى قلعة الجبل، وفي الاصطلاح الآن أن القلعة من حكم مصر، والجهة البحرية، وكانت قبل السبعمائة من سني الهجرة، وبعدها إلى قبيل الوباء الكبير فيها أكثر العمائر والمساكن، ثم تلاشت من بعد ذلك، وطول هذه الجهة من باب الفتوح، وباب النصر إلى الريدانية، وعرضها من منية الأمراء المعروفة في زمننا الذي نحن فيه بمنية الشيرج «١» إلى الجبل الأحمر، ويدخل في هذا الحد مسجد تبر والريدانية، والجهة الشرقية فإنها حيث ترب أهل القاهرة، ولم تحدث بها العمر من التربة إلا بعد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وحد هذه الجهة طولا من باب القلعة المعروف بباب السلسلة إلى ما يحاذي مسجد تبر في سفح الجبل، وحدها عرضا فيما بين سور القاهرة، والجبل والجهة الغربية، فأكثر العمائر بها لم يحدث أيضا إلا بعد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وإنما كانت بساتين وبحرا، وحد هذه الجهة طولا من منية الشيرج إلى منشأة المهراني بحافة بحر النيل، وحدها عرضا من باب القنطرة، وباب الخوخة وباب سعادة إلى ساحل النيل، وهذه الأربع جهات من خارج السور يطلق عليها: ظاهر القاهرة.

وتحوي مصر والقاهرة من الجوامع، والمساجد، والربط والمدارس، والزوايا، والدور العظيمة، والمساكن الجليلة، والمناظر البهجة، والقصور الشامخة، والبساتين النضرة، والحمامات الفاخرة، والقياسر المعمورة بأصناف الأنواع، والأسواق المملوءة مما تشتهي الأنفس، **والخانات** المشحونة بالواردين، **والفنادق** الكاظة بالسكان والترب التي تحكي القصور ما لا يمكن حصره، ولا يعرف ما هو قدره إلا أن قدر ذلك بالتقريب الذي." (١)

"المدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري «١» ، وكان يعلو عقد باب الذهب منظرة يشرف الخليفة فيها من طاقات في أوقات معروفة، وكان باب الذهب هذا هو أعظم أبواب القصر، ويسلك من باب الذهب المذكور إلى باب البحر، وهو الباب الذي يعرف اليوم: بباب قصر بشتاك، مقابل المدرسة الكاملية، وهو من باب البحر إلى الركن المخلق، ومنه إلى باب الريح، وقد أدركنا منه عضادتيه، واسكفته، وعليها أسطر بالقلم الكوفي، وجميع ذلك مبني بالحجر إلى أن هدمه الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الإستادار، وفي موضعه الآن قيسارية أنشأها المذكور بجوار مدرسته من رحبة باب العيد، ويسلك من باب الريح المذكور إلى باب الزمرذ، وهو موضع المدرسة الحجازية الآن، ومن باب

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٠٣/٢

الزمرذ إلى باب العيد، وعقده باق، وفوقه قبة إلى الآن في درب السلامي بخط رحبة باب العيد، وكان قبالة باب العيد هذا رحبة عظيمة في غاية الاتساع تقف فيها العساكر الكثيرة من الفارس والراجل في يومي العيدين تعرف: برحبة العيد، وهي من باب الريح إلى خزانة البنود، وكان يلي باب العيد السفينة، وبجوار السفينة خزانة البنود، ويسلك من خزانة البنود إلى باب قصر الشوك، وأدركت منه قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه الحمام التي عرفت بحمام الأيدمري، ثم قيل لها في زمننا: حمام يونس بجوار المكان المعروف: بخزانة البنود، وقد عمل موضع هذا الباب زقاق يسلك منه إلى المارستان العتيق، وقصر الشوك، ودرب السلامي وغيره، ويسلك من باب قصر الشوك إلى باب الديلم، وموضعه الآن المشهد الحسيني، وكان فيما قصر الشوك، وباب الديلم رحبة عظيمة تعرف برحبة قصر الشوك، أولها من رحبة خزانة البنود، وآخرها حيث المشهد الحسيني الآن، وكان قصر الشوك يشرف على اصطبل الطارمة، ويسلك من باب الديلم إلى باب تربة الزعفران، وهي مقبرة أهل القصر من الخلفاء، وأولادهم ونسائهم، وموضع باب تربة الزعفران **فندق** الخليلي في هذا الوقت، ويعرف بخط الزراكشة العتيق، وكان فيما بين باب الديلم، وباب تربة الزعفران الخوخ السبع التي يتوصل منها الخليفة إلى الجامع الأزهر في ليالي الوقدات، فيجلس بمنظرة الجامع الأزهر، ومعه حرمه لمشاهدة الوقيد والجمع، وبجوار الخوخ السبع اصطبل الطارمة، وهو برسم الخيل الخاص المعدة لركاب الخليفة، وكان مقابل باب الديلم، ومن وراء اصطبل الطارمة الجامع المعد لصلاة الخليفة بالناس أيام الجمع، وهو الذي يعرف في وقتنا هذا بالجامع الأزهر، ويسمى في كتب التاريخ: بجامع القاهرة، وقدام هذا الجامع رحبة متسعة من حد اصطبل الطارمة إلى الموضع الذي يعرف اليوم:
بالأكفانيين، ويسلك من باب تربة الزعفران إلى باب الزهومة، وموضعه الآن باب سر قاعة." (١)

"وبجوار البستان الكافوري حارة زويلة، وهي تتصل بالخليج الكبير من غربيها، وتجاه حارة زويلة اصطبل الجميزة، وفيه خيول الخليفة أيضا، وفي هذا الاصطبل بئر زويلة، وموضعها الآن قيسارية معقودة على البئر المذكورة يعلوها ربع يعرف: بقيسارية يونس من خط البندقانيين، فكان اصطبل الجميزة المذكور فيما بين القصر الغربي من بحريه، وبين حارة زويلة، وموضعه الآن قبالة باب سر المارستان المنصوري إلى البندقانيين، وبحذاء القصر الغربي من قبيلة مطبخ القصر تجاه باب الزهومة المذكور، والمطبخ موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية، وبجوار المطبخ الحارة العدوية، وهي من الموضع الذي يعرف بحمام خشيبة إلى حيث **الفندق** الذي يقال له **فندق** الزمام، وبجوار العدوية، حارة الأمراء، ويقال لها اليوم: سوق

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٢٠٦

الزجاجين، وسوق الحريريين الشرابيين.

ويجاور الصاغة القديمة: حبس المعونة، وهو موضع قيسارية العنبر، وتجاه حبس المعونة، عقبة الصباغين، وسوق القشاشين، وهو يعرف اليوم: بالخراطين، ويجاور حبس المعونة دكة الحسبة، ودار العيار، ويعرف موضع دكة الحسبة الآن، بالإبزاريين، وفيما بين دكة الحسبة وحارتي الروم والديلم: سوق السراجين، ويقال له الآن: الشوايين، وبطرف سوق السراجين مسجد ابن البناء الذي تسميه العامة: سام بن نوح، ويجاور هذا المسجد:

باب زويلة، وكان من حذاء حارة زويلة من ناحية باب الخوخة: دار الوزير يعقوب بن كلس، وصارت بعده: دار الديباج، ودار الاستعمال وموضعها الآن المدرسة الصالحية، وما وراءها ويتصل دار الديباج بالحارة الوزيرية، وإلى جانب الوزيرية: الميدان الآخر إلى باب سعادة، وفيما بين باب سعادة وباب زويلة أهراء أيضا وسطاح. هذا ما كانت عليه صفة القاهرة في الدولة الفاطمية، وحدثت هذه الأماكن شيئا بعد شيء، ولم تزل القاهرة دار خلافة، ومنزل ملك، ومعقل قتال لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره، وخواصه الذين يشرفهم بقربه فقط.

وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الأربع: فإنه كان في الدولة الفاطمية على ما أذكر.

أما الجهة القبلية: وهي التي فيما بين باب زويلة ومصر طولا، وفيما بين الخليج الكبير والجبل عرضا، فإنها كانت قسمين: ما حاذى يمينك إذا خرجت من باب زويلة تريد مصر، وما حاذى شمالك إذا خرجت منه نحو الجبل، فأما: ما حاذى يمينك، وهي المواضع التي تعرف اليوم بدار التفاح، وتحت الربع والقشاشين، وقنطرة باب الخرق، وما على حافتي الخليج من جانبيه طولا إلى الحمراء التي يقال لها اليوم: خط قناطر السباع، ويدخل في ذلك سويقة عصفور، وحارة الحمزيين، وحارة بني سوس إلى الشارع، وبركة الفيل، والهلالية والمحمودية إلى الصليبة، ومشهد السيدة نفيسة، فإن هذه الأماكن كلها كانت بساتين تعرف بجنان الزهري، وبستان سيف الإسلام، وغير ذلك، ثم حدث في الدولة." (١)

"ببولاق، ومن بولاق إلى منية الشيرج، ومنه في القبلة إلى منشأة المهراني، وعمر ما خرج عن باب زويلة يمنة ويسرة من قنطرة الخرق إلى الخليج، ومن باب زويلة إلى المشهد النفيسي، وعمرت القرافة من باب القرافة إلى بركة الحبش طولا، ومن القرافة الكبرى إلى الجبل عرضا، حتى أنه استجد في أيام الناصر بن قلاون بضع وستون حكرا، ولم يبق مكان يحكر، واتصلت عمائر مصر والقاهرة، فصارا بلدا واحدا

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٢٠٨

يشتمل على البساتين والمناظر والقصور، والدور والرباع، والقياسر، والأسواق، **والفنادق**، **والخانات**، والحمامات، والشوارع، والأزقة، والدروب، والخطط والحارات، والأحكار والمساجد، والجوامع، والزوايا والربط، والمشاهد والمدارس، والترب والحوانيت، والمطابخ والشون، والبرك والخلجان والجزائر والرياض، والمنتزهات متصلا جميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبر إلى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش، ومن شاطىء النيل بالجيزة إلى الجبل المقطم، وما زالت هذه الأماكن في كثرة العمارة، وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتها، وتختال عجبا بهم لما بالغوا في تحسينها، وتأنقوا في جودتها، وتنميقها إلى أن حدث الفناء الكبير في سنة تسع وأربعين وسبعمائة، فخلا كثير من هذه المواضع، وبقي كثير أدركناه، فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة، وقصر جري النيل في مدة، وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمور لنك، وتحريقها، وقتل أهلها وارتفاع أسعار الديار المصرية، وكثرة الغلاء فيها، وطول مدته، وتلاف النقود المتعامل بها، وفسادها، وكثرة الحروب والفتن بين أهل الدولة، وخراب الصعيد، وجلاء أهله عنه، وتداعى أسفل أرض مصر من البلاد الشرقية والغربية إلى الخراب، واتضاع أمور ملوك مصر، وسوء حال الرعية، واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس، وكثرة تنوع المظالم الحادثة من أرباب الدولة بمصادرة الجمهور، وتتبع أرباب الأموال، واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة، وطرح البضائع مما يتجر فيه السلطان، وأصحابه على التجار والباعة بأغلى الأثمان إلى غير ذلك مما لا يتسع لأحد ضبطه، ولا تسع الأوراق حكايته، كثر الخراب بالأماكن التي تقدم ذكرها، وعم سائرها، وصارت كيمانا، وخرائب موحشة مقفرة يأويها البوم والرخم أو مستهدمة واقعة، أو آئلة إلى السقوط والدثور، سنة الله التي قد خلت في عباده، ولن تجد لسنة الله تبديلا.." (١)

"انظر إلى بركة الفيل التي نحرت ... لها الغزالة نحرا من مطالعها «١»

وخل طرفك مجنونا ببهجتها ... تهيم وجدا وحبا في بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقا، وأرخص أسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط، فالمراكب التي تصل بالخيرات تحط هناك، ويباع ما يصل فيها بالقرب منها، وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة، لأنه بعيد عن المدينة، والقاهرة هي أكثر عمارة، واحتراما وحشمة من الفسطاط، لأنها أجل مدارس، وأضخم **خانات**، وأعظم دثارا لسكنى الأمراء فيها لأنها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها، فأمور السلطنة كلها فيها أيسر، وأكثر، وبها الطراز وسائر الأشياء التي تتزين بها الرجال والنساء، إلا أن في هذا الوقت لما اعتنى السلطان

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/ ٢١١

الآن ببناء قلعة الجزيرة التي أمام الفسطاط، وصيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط، وانتقل إليها كثير من الأمراء، وضخمت أسواقها وبنى فيها للسلطان أمام الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة تنقل إليها من القاهرة سوق الأجناد التي يباع فيها الفراء والجوخ، وما أشبه ذلك.

ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدراهم المعروفة بالسوداء، كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصري، وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء، ومخاصمة مع الفريقين، وكان بها في القديم الفلوس، فقطعها الملك الكامل فبقيت إلى الآن مقطوعة منها، وهي في الإقليم الثالث، وهواءها رديء لا سيما إذا هب المريسي من جهة القبلة، وأيضا رمد العين فيها كثير، والمعايش فيها متعذرة نزرة، لا سيما أصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة، وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى في كتابة الخراج والطب، والنصارى بها يمتازون بالزنار في أوساطهم، واليهود بعلامة صفراء في عمائمهم، ويركبون البغال، ويلبسون الملابس الجليلة، ومآكل أهل القاهرة الدميس، والصير، والصحناة، والبطارخ، ولا تصنع النيدة، وهي حلاوة القمح إلا بها وبغيرها من الديار المصرية، وفيها جوار طباخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين لهن في الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة، ومطابخ السكر، والمطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة، ويصنع فيها من الأنطاع المستحسنة، ما يسفر إلى الشام وغيرها، ولها من الشروب الدمياطية وأنواعها، ما اختصت به، وفيها صناع للقسي كثيرون متقدمون، ولكن قسي دمشق بها يضرب المثل وإليها النهاية، ويسفر من القاهرة إلى الشام ما يكون من أنواع الكمرانات، وخرائط الجلد، والسيور، وما أشبه ذلك وهي الآن عظيمة آهلة يجبى إليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال، ولا ترسيما وعذابا، ولا يطلب برفيق له إذا مات فيقال له: ترك عندك مالا، فربما سجن في شأنه أو ضرب وعصر، والفقير." (١)

"وإلى غير ذلك، ثم يسلك أمامه إلى سوق الحلاويين الآن، فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه إلى سوق الكعكيين المعروف قديما بالقطانيين، وسكنى الأساكفة، وإلى بابي قيسارية جهاركس، وعن يسرته: قيسارية الشرب، ثم يسلك أمامه إلى سوق الشرابشيين المعروف قديما يسكن الحالقيين، وعن يمنته درب قيطون، ثم يسلك أمامه شاقا في سوق الشرابشيين، فيجد عن يمنته قيسارية أمير علي، ويجد عن يسرته سوق الجملون الكبير المسلوك فيه إلى قيسارية ابن قريش، وإلى سوق العطارين والوراقين، وإلى سوق الكفتيين، والصيارف، والأخفافيين، وإلى بئر زويلة والبندقانيين، وإلى غير ذلك، ثم يسلك أمامه، فيجد عن

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٢١٥

يمينه الزقاق المسلوك فيه إلى سوق الفرايين الآن، وكان يعرف أولا بدرب البيضاء، وإلى درب الأسواني، وإلى الجامع الأزهر، وغير ذلك، ويجد عن يسرته قيسارية بني أسامة، ثم يسلك أمامه شاقا في سوق الجوخيين واللجميين، فيجد عن يمينه قيسارية السروج، وعن يسرته قيسارية «١» ثم يسلك أمامه إلى سوق السقطيين والمهامزيين، فيجد عن يمينه درب الشمسي، ويقابله باب قيسارية الأمير علم الدين الخياط، وتعرف اليوم: بقيسارية العصفر، ثم يسلك أمامه شاقا في السوق المذكور، فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه إلى سوق القشاشين، وعقبة الصباغين المعروف اليوم بالخراطين، وإلى سوق الخيميين، وإلى الجامع الأزهر، وغير ذلك ويجد قبالة هذا الزقاق عن يسرته قيسارية العنبر المعروفة قديما بحبس المعونة، ثم يسلك أمامه، فيجد على يسرته الزقاق المسلوك فيه إلى سوق الوراقين، وسوق الحريريين الشرابيين المعروف قديما بسوق الصاغة القديمة، وإلى درب شمس الدولة، وإلى سوق الحريريين، وإلى بئر زويلة والبندقانيين، وإلى سويقة الصاحب، والحارة الوزيرية، وإلى باب سعادة وغير ذلك، ثم يسلك أمامه شاقا في بعض سوق الحريريين، وسوق المتعيشين، وكان قديما سكنى الدجاجين والكعكيين، وقبل ذلك أولا سكنى السيوفيين، فيجد عن يمينه قيسارية الصنادقيين، وكانت قديما تعرف **بفندق** الدبابليين، ويجد عن يسرته مقابلها، دار المأمون البطائحي المعروفة بمدرسة الحنفية، ثم عرفت اليوم بالمدرسة السيوفية، لأنها كانت في سوق السيوفيين، ثم يسلك أمامه في سوق السيوفيين الذي هو الآن سوق المتعيشين، فيجد عن يمينه خان مسرور، وحجرتي الرقيق، وكدة المماليك بينهما، ولم تزل موضعا لجلوس من يعرض من المماليك الترك والروم، ونحوهم للبيع إلى أوائل أيام الملك الظاهر برقوق، ثم بطل ذلك، ويجد عن يسرته قيسارية الرماحين، وخان الحجر، ويعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة، ثم يسلك أمامه، فيجد عن يسرته الزقاق والساباط «٢» المسلوك فيه إلى حمام خشيبة، ودرب شمس الدولة، وإلى حارة العدوية المعروفة اليوم **بفندق** الزمام، وإلى." (١)

"حارة زويلة وغير ذلك، ويجد بعد هذا الزقاق قريبا منه في صفة درب السلسلة، ومن هنا ابتداء خط بين القصرين، وكان قديما في أيام الدولة الفاطمية مراحا واسعا ليس فيه عمارة البتة، يقف فيه عشرة آلاف فارس، والقصران هما موضع سكنى الخليفة أحدهما شرقي، وهو القصر الكبير، وكان على يمنة السالك من موضع خان مسرور طالبا باب النصر وباب الفتوح، وموضعه الآن المدارس الصالحية النجمية، والمدرسة الصاهرية الركنية، وما في صفها من الحوانيت، والرباع إلى رحبة العيد، وما وراء ذلك إلى البرقية، ويقابل هذا

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٢٢٧

القصر الشرقي القصر الغربي، وهو القصر الصغير، ومكانه الآن المارستان المنصوري، وما في صفه من المدارس والحوانيت، إلى تجاه باب الجامع الأقمر، فإذا ابتدأ السالك بدخول بين القصرين من جهة خان مسرور، فإنه يجد على يسرته درب السلسلة، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمينه الزقاق المسلوك فيه إلى سوق الأمشاطيين المقابل لمدرسة الصالحية التي للحنفية والحنابلة، وإلى الزقاق الملاصق لسور المدرسة المذكورة المسلوك فيه إلى خط الزراكشة العتيق حيث خان الخليلي، وخان منج، وإلى الخوخ السبع حيث الآن سوق الأبارين، وإلى الجامع الأزهر، وإلى المشهد الحسيني وغير ذلك، ثم يسلك أمامه شاقا في سوق السيوفيين الآن، فيجد على يساره دكاكين السيوفيين، وعلى يمينه دكاكين النقليين ظاهر سوق الكتبيين الآن، وعلى يساره سوق الصيارف برأس باب الصاغة، وكان قديما مطبخ القصر قبالة باب الزهومة، ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب المدارس الصالحية تجاه باب الصاغة، ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه القبة الصالحية، وبجوارها المدرسة الطاهرية الركنية، ويجد على يساره باب المارستان المنصوري، وفي داخله القبة المنصورية التي فيها قبور الملوك، وتحت شبابيكها دكك القفصيات التي فيها الخواتيم ونحوها، فيما بين القبة المذكورة، والمدرسة الظاهرية المذكورة، وفي داخله أيضا المدرسة المنصورية، وتحت شبابيكها أيضا، دكك القفصيات فيما بين شبابيكها، وشبابيك المدرسة الصالحية التي للشافعية والمالكية، وتحتها خيمة الغلمان بجوار قبة الصالح، وفي داخله أيضا المارستان الكبير المنصوري المتوصل من باب سره إلى حارة زويلة، وإلى الخرنشف، وإلى الكافوري وإلى البندقانيين، وغير ذلك، ثم يسلك باب المارستان، فيجد على يمنته سوق السلاح والنشابين الآن تحت الربع المعروف: بوقف أمير سعيد، ويجد على يسرته المدرسة الناصرية الملاصقة لمئذنة القبة المنصورية، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمنته: خان بشتاك، وفوقه الربع وعرف الآن هذا الخان: بالمستخرج، ويجد على يسرته: المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية، وكانت قبل إنشائها مدرسة فندقا يعرف: بخان الزكاة، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمنته، باب قصر بشتاك، ويجد على يسرته المدرسة الكاملية المعروفة:

بدار الحديث، وهي ملاصقة للمدرسة الظاهرية الجديدة، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمنته الزقاق المسلوك فيه إلى بيت أمير سلاح المعروف بقصر أمير سلاح، وهو الأمير فخر الدين." [1]

"وبجانب الجامع الأقمر من شرقيه الزقاق الذي يعرف بالمحايريين ويسلك فيه إلى الركن المخلق وغيره، وقبالة هذا الزقاق بئر الدلاء، ثم يسلك المار أمامه، فيجد على يمنته زقاقا ضيقا، ينتهي إلى دور

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٢٢٨

ومدرسة تعرف بالشرابشية، يتوصل من باب سرها إلى الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس، ثم يسلك أمامه في سوق المتعيشين، فيجد على يسرته باب حارة برجوان، ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المتعيشين، وقد أدركته سوقا عظيما لا يكاد يعدم فيه شيء مما يحتاج إليه من المأكولات، وغيرها بحيث إذا طلب منه شيء من ذلك في ليل أو نهار وجد.

وقد خرب الآن، ولم يبق منه إلا اليسير، وكان هذا السوق قديما يعرف بسوق أمير الجيوش، وبآخره خان الرواسين، وهو زقاق على يمنة السالك غير نافذ، ويقابل هذا الزقاق على يسرة السالك إلى باب الفتوح شارع يسلك فيه إلى سوق يعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش، وكان قبل اليوم يعرف بسوق الخروقيين، ويسلك من هذا السوق إلى باب القنطرة في شارع معمور بالحوانيت من جانبيه، ويعلوها الرباع، وفيما بين الحوانيت دروب ذات مساكن كثيرة، ثم يسلك أمامه من رأس سويقة أمير الجيوش، فيجد على يمينه الجملون الصغير المعروف بجملون ابن صيرم، وكان مسكنا للبزازين فيه عدة حوانيت عامرة بأصناف الثياب أدركتها عامرة، وفيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة الصيرمية، وفي آخره باب زيادة الجامع الحاكمي، وكان على بابها عدة حوانيت تعمل فيها الضبب التي برسم الأبواب، ويخرج من هذا الجملون إلى طريقين: إحداهما يسلك فيها إلى درب الفرنجية، وإلى دار الوكالة وشارع باب النصر، والأخرى إلى درب الرشيدي النافذ إلى درب الجوانية، ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته شباك المدرسة الصيرمية، ويقابله باب قيسارية خواندار دكين الأشرفية، ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المرحلين، وكان صفين من حوانيت عامرة فيها جميع ما يحتاج إليه في ترحيل الجمال، وقد خرب وبقي منه قليل، وفي هذا السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحارة الوراقة، وفيه أحد أبواب قيسارية خوند المذكورة، وعدة مساكن وكان مكانه يعرف قديما باصطبل الحجرية، ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته أحد أبواب الجامع الحاكمي وميضأته، ويجد باب الفتوح القديم، ولم يبق منه سوى عقدته، وشيء من عضادته، وبجواره شارع على يسرة السالك يتوصل منه إلى حارة بهاء الدين، وباب القنطرة، ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المتعيشين، فيجد على يمينه بابا آخر من أبواب الجامع الحاكمي، ثم يسلك أمام، فيجد عن يسرته زقاقا بساباط ينفذ إلى حارة بهاء الدين فيه كثير من المساكن، ثم يسلك أمامه، فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكمي الكبير، ويجد عن يساره فندق العادل، ويشق في سوق عظيم إلى باب الفتوح، وهو آخر قصبة القاهرة، وأما ذات اليمين من شارع بين

القصرين، فإن المار إذا سلك من الدرب الذي يقابل حمام البيسري طالبا الركن المخلق، فإنه يشق في سوق القصاصين، وسوق الحصريين إلى." (١)

"وجدوا، فاعترفوا بأن خمسة منهم هم الرسل الواصلون بالمال فصلبوا.

وأما المال وهو ألفا دينار، فإن الخليفة أبى قبوله، وأمر أن ينفق في السودان عبيد الشراء، وأحضر من بيت المال نظير المبلغ، وتقدم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب، وقنديلان من فضة، وأن يحمل منها قنديل ذهب، وقنديل فضة إلى مشهد الحسين بثغر عسقلان، وقنديل إلى التربة المقدسة تربة الأئمة بالقصر، وأمر الوزير المأمون: بإطلاق ألفي دينار من ماله، وتقدم بأن يصاغ بها قنديل ذهب، وسلسلة فضة برسم المشهد العسقلاني، وأن يصاغ على المصحف الذي بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالجامع العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب، وأطلق حاصل الصناديق التي تشتمل على مال النجاوي برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرق في الجوامع الثلاثة: الأزهر بالقاهرة، والعتيق بمصر، وجامع القرافة، وعلى فقراء المؤمنين على أبواب القصور، وأطلق من الاهراء ألفي أردب قمحا، وتصدق على عدة من الجهات بجملة كثيرة، واشتريت عدة جوار من الحجر، وكتب عتقهن للوقت، وأطلق سراحهن، وقال في كتاب الذخائر: إن الأتراك طلبوا من المستنصر نفقة في أيام الشدة، فماطلهم وإنهم هجموا على التربة المدفون فيها أجداده، فأخذوا ما فيها من قناديل الذهب وكانت قيمة ذلك، مع ما اجتمع إليه من الآلات الموجودة هناك مثل المداخن، والمجامر وحلي المحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار.

القصر النافعي «١»

قال ابن عبد الظاهر: القصر النافعي قرب التربة يقرب من جهة السبع خوخ كان فيه عجائز من عجائز القصر وأقارب الأشراف انتهى.

وموضع هذا القصر اليوم فندق المهمندار الذي يدق فيه الذهب، وما في قبليه من خان منجك، ودار خواجا عبد العزيز المجاورة للمسجد الذي بحذاء خان منجك، وما بجوار دار خواجا من الزقاق المعروف: بدرب الحبشي، وكان حد هذا القصر الغربي ينتهي إلى الفندق الذي بالخيميين المعروف قديما: بخان منكورس، ويعرف اليوم: بخان القاضي، واشترى بعض هذا القصر لما بيع بعد زوال الدولة، الأمير ناصر الدين عثمان بن سنقر الكاملي المهمندار الذي يعرف: بفندق المهمندار بعد أن كان اصطبلا له، واشترى بعضه الأمير حسام الدين لاجين الإيدمري المعروف: بالدر قيل دوادار الملك الظاهر بيبرس، وعمره اصطبلا،

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٢٣٠

ودارا، وهي الدار التي تعرف اليوم: بخواجا عبد العزيز على باب درب الحبشي، ثم عمل الإصطبل الخان الذي يعرف اليوم: بخان منجك، وابتنى الناس في مكان درب." (١)

"كانت محاربة المسلمين لهم، فأنزل بها الملك الناصر محمد بن قلاون: الأسارى بعد حضوره من الكرك، وأبطل السجن بها، فلم يزالوا فيها بأهاليهم، وأولادهم في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون، فصار لهم فيها أفعال قبيحة، وأمور منكرة شنيعة من التجاهر: ببيع الخمر، والتظاهر بالزنا واللياطة، وحماية من يدخل إليها من أرباب الديون، وأصحاب الجرائم وغيرهم، فلا يقدر أحد، ولو جل على أخذ من صار إليهم واحتمى بهم.

والسلطان يغضي عنهم لما يرى في ذلك من مراعاة المصلحة، والسياسة التي اقتضاها الحال من مهادنة ملوك الفرنج، وكان يسكن بالقرب منها الأمير الحاج آل ملك الجوكندار، ويبلغه ما يفعله الفرنج من العظائم الشنيعة، فلا يقدر على منعهم، وفحش أمرهم، فرفع الخبر إلى السلطان، وأكثر من شكايتهم غير مرة والسلطان يتغافل عن ذلك إلى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان في أمرهم، فقال له السلطان: أتنقل أنت عنهم يا أمير؟

فلم يسعه إلا الإعراض عن ذلك، وعمر داره التي بالحسينية، والإصطبل، والجامع المعروف: بآل ملك والحمام **والفندق**، وانتقل من داره التي كان فيها بجوار خزانة البنود، وسكن بالحسينية إلى أن مات السلطان الملك الناصر في أخريات سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وتنقل الملك في أولاده إلى أن جلس الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاون، وضرب شورى على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة، كما كانت العادة في ذلك مدة الدلة التركية، فأشير بتولية الأمير: بدر الدين جنكل بن البابا، فتنصل من ذلك، وأبى قبوله، فعرضت النيابة على الأمير الحاج آل مالك فاستبشر وقال: لي شروط أشرطها على السلطان، فإن أجابني إليها فعلت ما يرسم به.

وهي أن لا يفعل شيء في المملكة إلا برأيي، وأن يمنع الناس من شرب الخمر، ويقام منار الشرع، ولا يعترض على أمر من الأمور، فأجيب إلى ما سأل، وأحضرت التشاريف، فأفيضت عليه بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة، وأصبح يوم السبت جالسا في دار النيابة من القلعة، وحكم بين الناس، وأول ما بدأ به: أن أمر والي القاهرة بالنزول إلى خزانة البنود، وأن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر والفواحش، ويخرج الأسرى منها، ويهدمها حتى يجعلها دكا، ويسوي

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٢٨٩

بها الأرض، فنزل إليها ومعه الحاجب في عدة وافرة، وهجموا على من فيها، وهم آمنون، وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه، وقد اجتمع من العامة والغوغاء، ما لا يقع عليه حصر، فأراقوا منها خمورا كثيرة تتجاوز الحد في الكثرة، وأخرج من كان فيها من النساء البغايا، وغيرهن من الشباب، وأرباب الفساد، وقبض على الفرنج والأرمن، وهدمها حتى." (١)

"اليوم، فيقدمون أبدا مائتي طيفور من العالي والوسط والدون، فيحملها الفراشون برقاع من كتاب الأدعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا، أو دنا، وينزل اسم الفراش بالدعو، أو عريفه حتى لا يضيع منها شيء، ولا يختلط، ولا يزال الفراشون يخرجون بالطيافير ملأى ويدخلون بها فارغة، فبمقدار ما تحمل المائة الأولى عبيت المائة الثانية، فلا يفتر ذلك طول التفرقة، فأجل الطيافير ما عدد خشكنانه مائة حبة، ثم إلى سبعين وخمسين، ويكون على صاحب المائة طرحة فوق قوارته، ثم إلى خمسين ثم إلى ثلاث وثلاثين، ثم إلى خمس وعشرين، ثم إلى عشرين، ونسبة منثور كل واحد على عدد خشكنانه، ثم العبيد السودان بغير طيافير، كل طائفة يتسلمه لها عرفاؤها في أفراد الخواص، لكل طائفة على مقدارها الثلاثة الأفراد والخمسة والسبعة إلى العشرة فلا يزالون كذلك إلى أن ينقضي شهر رمضان، ولا يفوت أحدا شيء من ذلك ويتهاداه الناس في جميع ا لإقليم.

قال: وما ينفق في دار الفطرة فيما يفرق على الناس منها: سبعة آلاف دينار. وقال ابن عبد الظاهر: دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الإمام الحسين عليه السلام، وهي **الفندق** الذي بناه الأمير سيف الدين بهادر الآن في سنة: ست وخمسين وستمائة، أول من رتبها الإمام العزيز بالله، وهو أول من سنها، وكانت الفطرة قبل أن ينتقل الأفضل إلى مصر تعمل بالإيوان، وتفرق منه، وعند ما تحول إلى مصر نقل الدواوين من القصر إليها، واستجد لها مكانا قبالة دار الملك بإيواني المكاتبات، والانشاء، فإنهما كانا بقرب الدار ويتوصل إليهما من القاعة الكبرى التي فيها جلوسه، ثم استجد للفطرة دارا عملت بعد ذلك وراقة، وهي الآن دار الأمير عز الدين الأفرم بمصر قبالة: دار الوكالة، وعملت بها الفطرة مدة، وفرق منها إلا ما يخص الخليفة والجهات والسيدات والمستخدمات، والأستاذين، فإنه كان يعمل بالإيوان على العادة.

ولما توفي الأفضل، وعادت الدواوين إلى مواضعها أنهى: خاصة الدولة ريحان، وكان يتولى بيت المال، إن المكان بالإيان يضيق بالفطرة، فأمره المأمون أن يجمع المهندسين، ويقطع قطعة من اصطبل الطارمة، يبنيه دار الفطرة، فأنشأ الدار المذكورة قبالة مشهد الحسين، والباب الذي بمشهد الحسين يعرف: بباب الديلم،

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٣١٩

وصار يعمل بها ما استجد من رسوم المواليد والوقودات، وعقد لها جملتان إحداهما: وجدت فسطرت، وهي عشرة آلاف دينار خارجا عن جواري المستخدمين، والجملة الثانية: فصلت فيها الأصناف، وشرحها: دقيق ألف حملة، سكر: سبعمائة قنطار، قلب فستق: ستة قناطير، قلب لوز:
ثمانية قناطير، قلب بندق: أربعة قناطير، تمر: أربعمائة إردب، زبيب: ثلثمائة أردب، خل: ثلاثة قناطير، عسل نحل: خمسة عشر قنطارا، شيرج: مائتا قنطار، حطب: ألف ومائتا حملة، سمسم أردبان، آنيسون أردبان، زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطارا، ماء ورد خمسون رطلا، مسك خمس نوافج، كافور قديم عشرة مثاقيل، زعفران مطحون مائة." (١)

"والفاطمي، والإمام الحاضر، وما يهتم به، وقدم العهد به حتى نسي ذكرها، فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله، ويرددون الحديث معه فيها، ويحسنون له معارضة الوزير بسببها، وإعادتها، وإقامة الجواري والرسوم فيها، فأجاب إلى ذلك، وعمل ما ذكر.
وقال ابن الطوير: ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة في تواريخ مختلفة، وما يطلق فيها، وهي مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد فاطمة عليها السلام، ومولد الحسن، ومولد الحسين عليهما السلام، ومولد الخليفة الحاضر، ويكون هذا الجلوس في المنظرة التي هي أنزل المناظر، وأقرب إلى الأرض قبالة دار فخر الدين جهاركس، والفندق المستجد، فإذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، تقدم بأن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها، وتعبى في ثلثمائة صينية من النحاس، وهو مولد النبي صلى الله عليه وسلم، فتفرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب، وكل صينية في قوارة من أول النهار إلى ظهره.
فأول أرباب الرسوم قاضي القضاة، ثم داعي الدعاة، ويدخل في ذلك القراء بالحضرة، والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة، وقومة المشاهد، ولا يخرج ذلك مما يتعلق بهذا الجانب بدعو يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه، فإذا صلى الظهر ركب قاضي القضاة، والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر، ومعهم أرباب تفرقة الصواني، فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة، ثم يستدعي قاضي القضاة، ومن معه فإن كانت الدعوة مضافة إليه، وإلا حضر الداعي معه بنقباء الرسائل، فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين، فيقفون هناك، وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق، ومن سويقة أمير الجيوش عند الحوض هناك، وكنست الطريق فيما بين ذلك، ورشت بالماء

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٣٢١

رشا خفيفا، وفرش تحت المنظرة المذكورة بالرمل الأصفر.

ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة، ووالي القاهرة ماض، وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة، فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضي ومن معه من مكان وقوفهم، فيقربون من المنظرة، يترجلون قبل الوصول إليها بخطوات، فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة، فتفتح إحدى الطاقات، فيظهر منها وجهه، وما عليه من المنديل، وعلى رأسه عدة من الأستاذين المحنكين، وغيرهم من الخواص منهم، ويفتح بعض الأستاذين طاقة، ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كمه، ويشير به قائلا: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام، فيسلم بقاضي القضاة أولا بنعوته وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملة جملة." (١)

"إلى المشهد تجاه الفندق الذي كان دار الفطرة، ولم يبق لهذا الباب أثر البتة.

باب تربة الزعفران «١» : مكانه الآن بجوار خان الخليلي من بحريه، مقابل فندق المهمندار الذي يدق فيه ورق الذهب، وقد بني بأعلاه طبقة، ورواق ولا يكاد يعرفه كثير من الناس، وعليه كتابة بالقلم الكوفي، وهذا الباب كان يتوصل منه إلى تربة القصر المذكورة فيما تقدم.

باب الزهومة «٢» : كان في آخر ركن القصر، مقابل خزانة الدرق التي هي اليوم: خان مسرور، وقيل له: باب الزهومة لأن اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل إلى مطبخ القصر الذي للحوم إنما يدخل بها من هذا الباب. فقيل له: باب الزهومة يعني باب الزفر، وكان تجاهه أيضا درب السلسلة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وموضعه الآن: باب قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية، تجاه فندق مسرور الصغير، ومن بعد باب الزهومة المذكور باب الذهب الذي تقدم ذكره، فهذه أبواب القصر الكبير التسعة.

ذكر المنحر «٣»

وكان بجوار هذا القصر الكبير: المنحر، وهو الموضع الذي اتخذه الخلفاء لنحر الأضاحي في عيد النحر، وعيد الغدير وكان تجاه رحبة باب العيد، وموضعه الآن يعرف:

بالدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس، وصار موضعه ما في داخل هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها، وظاهره تجاه رأس حارة برجوان يفصل بينه وبين حارة برجوان الحوانيت التي تقابل باب الحارة، ومن جملة المنحر الساحة العظيمة التي عملت لها خوند بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين، البوابة العظيمة بخط الركن المخلق بجوار قيسارية الجلود التي عمل فيها حوانيت الأساكفة، وكان الخليفة إذا

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٣٣/٢

صلى صلاة عيد النحر، وخطب ينحر بالمصلى، ثم يأتي المنحر المذكور، وخلفه المؤذنون يجهرون بالتكبير، ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيئا، وتكون الحربة في يد قاضي القضاة، وهو بجانب الخليفة ليناوله إياها إذا نحر، وأول من سن منهم إعطاء الضحايا، وتفرقتها في أولياء الدولة على قدر رتبهم: العزيز بالله نزار.." (١)

"فتحها في باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله إعادة دار العلم، فامتنع الوزير المأمون من إعادتها في موضعها، فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع، فعمل دار العلم في شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وخمسمائة، وولاها لأبي محمد حسن بن أدم، واستخدم فيها مقرئين ولم تزل دار العلم عامر حتى زالت الدولة الفاطمية.

قال ابن عبد الظاهر: رأيت في بعض كتب الأملاك القديمة ما يدل على أنها قريبة من القصر النافعي، وكذا ذكر لي السيد الشريف الحلبي، أنها دار ابن أزدمر المجاورة لدار سكنى الآن، خلف فندق مسرور الكبير، وكذلك قال لي والدي رحمه الله، وقد بناها جمال الدين الإستادار الحلبي: دارا عظيمة غرم عليها مائة ألف، وأكثر من ذلك على ما ذكره، انتهى. وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلاقة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبا من خان الخليلي، بخط الزراكشة العتيق.

موسم أول العام: قال ابن المأمون، وأسفرت غرة سنة سبع عشرة، وخمسمائة، وبادر المستخدمون في الخزائن، وصناديق الإنفاق بحمل ما يحضر بين يدي الخليفة من عين، وورق من ضرب السنة المستجدة، ورسم جميع من يختص به من إخوته، وجهاته، وقرابته، وأرباب الصنائع، والمستخدمات، وجميع الأستاذين العوالي والأدوان، وثنوا بحمل ما يختص بالأجل المأمون، وأولاده، وإخوته، واستأذنوا على تفرقة ما يختص بالأجل المأمون، وأولاده، والأصحاب والحواشي والأمراء، والضيوف، والأجناد، فأمروا بتفرقته، والذي اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة نظير ما كان قبلها، وجلس المأمون باكرا على السماط بداره، وفرقت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع أصنافه على ما تضمنته الأوراق، وحضرت التعاشير، والتشريفات، وزي الموكب إلى الدار المأمونية، وتسلم كل من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالحجبة، ومصفات العساكر، وترتيب الأسمطة، وأصمد كل منهم إلى شغله، وتوجه لخدمته، ثم ركب الخليفة، واستدعى الوزير المأمون، ثم خرج من باب الذهب، وقد نشرت مظلته، وخدمت الرهجية، ورتب الموكب والجنائب، ومصفات العساكر عن يمينه وشماله، وجميع تجار البلدين من الجوهريين والصيارف، والصاغة، والبزازين،

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٣٨/٢

وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم، ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة.

وخرج من باب الفتوح، والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزيها، وأبواب حارات العبيد معلقة بالستور، ودخل من باب النصر والصدقات تعم المساكين، والرسوم تفرق على المستقرين إلى أن دخل من باب الذهب، فلقيه المقرئون بالقرآن الكريم في طول الدهاليز إلى أن دخل خزانة الكسوة الخاص، وغير ثياب الموكب بغيرها، وتوجه إلى تربة آبائه للترحيم على عادته، وبعد ذلك إلى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة، وعبيت الأسمطة." (١)

"وإنما هي دار حل جوهرهم ... فيها وشف فأسناها الذي وصفا

فقال لؤلؤة عجبا ببهجتها ... وكونها حوت الأشراف والشرفا

فهم بسكناهم الآيات إذ سكنوا ... فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصحفا

والجوهر الفرد نور ليس يعرفه ... من البرية إلا كل من عرفا

لولا تجسمهم فيه لكان على ... ضعف البصائر للأبصار مختطفا

فالكلب يا كلب أسنى منك مكرمة ... لأن فيه حفاظا دائما ووفا

فلله در عمارة لقد قام بحق الوفاء، ووفى بحسن الحفاظ، كما هي عادته، لا جرم أنه قتل في واجب من يهوي كما هي سنة المحبين فالله يرحمه ويتجاوز عنه.

منظرة الغزالة «١» : وكان بجوار منظرة اللؤلؤة منظرة تعرف: بالغزالة على شاطىء الخليج تقابل حمام ابن قرقة وقد خربت هذه المنظرة أيضا، وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغربي الذي من ناحية الخليج، وقد خربت أيضا حمام ابن قرقة، وصار موضعها فندقا بجوار حمام السلطان التي هناك يعرف بفندق عماد، وموضع منظرة الغزالة اليوم ربع يعرف بربع غزالة إلى جانب قنطرة الموسكي في الحد الشرقي، وكان يسكن بهذه المنظرة الأمير أبو القاسم بن المستنصر والد الحافظ لدين الله، ثم سكنها أبو الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست، وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة في الطراز أيام الخلفاء.

قال ابن المأمون: لما ذكر تحول الخليفة الأمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة: وأسكن الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست الغزالة التي على شاطىء الخليج، ولم يسكن أحد فيها قبله ممن يجري مجراه ولا كانت إلا سكن الأمير أبي القاسم ولد المستنصر، ولد الإمام الحافظ.

قال: وأما ما يذكره الطراز، فالحكم فيه مثل الاستيمار والشائع فيها أنها كانت تشتمل في الأيام الأفضلية

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٥٦/٢

على أحد وثلاثين ألف دينار، فمن ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراقي، والمصري ستة عشر ألف دينار، ثم اشتملت في الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار، وتضاعفت في الأيام الآمرية.

وقال ابن الطوير: الخدمة في الطراز، وينعت بالطراز الشريف، ولا يتولاه إلا أعيان المستخدمين من أرباب العمائم والسيوف، وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين، ومقامه بدمياط، وتنيس وغيرهما وجارية أمير الجواري، وبين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى، وله عشاري دتماس مجرد معه، وثلاثة مراكب من الدكاسات." (١)

"حارة الأمراء: ويقال لها أيضا حارة الأمراء الأشراف الأقارب، وموضعها يعرف بدرب شمس «١» الدولة، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

حارة الطوارق: ويقال لها أيضا حارة صبيان الطوارق، وهم من جملة طوائف العسكر، كانوا معدين لحمل الطوارق. وموضع هذه الحارة في طريق من سلك من الرقيق سوق الخلعيين داخل باب زويلة طالبا الباطلية بالزقاق الطويل الضيق الذي يقال له اليوم حلق الجمل السالك إلى درب أرقطاي.

حارة الشرابية: عرفت بذلك لأنها كانت موضع سكن الغلمان الشرابية إحدى طوائف العسكر، وكانت فيما بين الباطلية وحارة الطوارق.

حارة الدميري وحارة الشاميين: هما من جملة العطوفية «٢» .

حارة المهاجرين: وموضعها الآن من جملة المكان الذي يعرف بالرقيق المعد لسوق الخلعيين بجوار باب زويلة، وكان بعد ذلك سوق الخشابين، ثم هو الآن سوق الخلعيين.

وموضع هذه الحارة بجوار الخوخة «٣» التي كانت تعرف بالشيخ السعيد بن فشيرة النصراني الكاتب. وهي الخوخة التي يسلك إليها من الزقاق المقابل لحمام الفاضل المعد لدخول النساء، ويتوصل منها إلى درب كوز الزير بحارة الروم، وقد صارت هذه الحارة تعرف بدرب ابن المجندار، وسيأتي ذكره إن شاء الله.

حارة العدوية: قال ابن عبد الظاهر: العدوية هي من باب الخشيبة إلى أول حارة زويلة عند حمام الحسام الجلدكي الآن منسوبة لجماعة عدويين نزلوا هناك، وهذا المكان اليوم هو عبارة عن الموضع الذي تلقاه عند خروجك من زقاق حمام خشيبة الذي يتوصل إليه من سوق باب الزهومة، فإذا انتهيت إلى آخر هذا الزقاق وأخذت على يمينك صرت في حارة العدوية. وموضعها الآن من فندق بلال المغيثي إلى باب سر

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٩٩/٢

المارستان، وتدخل في العدوية رحبة بيبرس التي فيها الآن فندق الرخام، عن يمينك إذا خرجت في الرحبة المذكورة التي صارت الآن دربا إلى باب سر المارستان وما عن يسارك إلى حمام الكريك وحمام الجويني الذي تقول له العامة الجهيني، وإلى سوق الزجاجيين. وكل هذه المواضع هي من حقوق العدوية وكانت العدوية قديما واقعة فيما بين الميدان الذي يعرف اليوم بالخرشتف «٤» وحارة." (١)

"كل صف يمر من صوب شماله كالسيل إذا اندفع، وعلل هذا الذي أفادني، أن القلب من يسار كل أحد، والناس تميل إلى جهة قلوبهم، فلذلك صار مشيهم من صوب شمائلهم، وكذا صح لي مع طول الاعتياد. ولما حدثت هذه المحن بعد سنة ست وثمانين وثمانمائة، تلاشى أمر بين القصرين، وذهب ما هناك، وما أخوفني أن يكون أمر القاهرة كما قيل:

هذه بلدة قضى الله يا صا ... ح عليها كما ترى بالخراب

فقف العيس وقفة وابك من كا ... ن بها من شيوخها والشباب

واعتبر إن دخلت يوما إليها ... فهي كانت منازل الأحباب

خط الخشيبة: هذا الخط يتوصل إليه من وسط سوق باب الزهومة، ويسلك فيه إلى الحارة العدوية «١» حيث فندق الرخام برحبة بيبرس، وإلى درب شمس الدولة، وقيل له خط الخشيبة، من أجل أن الخليفة الظافر لما قتله نصر بن عباس وبنى على مكانه الذي دفنه فيه المسجد الذي يعرف اليوم بمسجد الخلعيين، ويعرف أيضا بمسجد الخلفاء، نصبت هناك خشبة حتى لا يمر أحد من هذا الموضع راكبا، فعرف بخشيبة تصغير خشبة، وما زالت هناك حتى زالت الدولة الفاطمية، وقام السلطان صلاح الدين بسلطنة مصر، فأزال الخشيبة، وعرف هذا الخط بها إلى اليوم، ويقال له خط حمام خشيبة، من أجل الحمام التي هناك.

ولمقتل الظافر خبر يحسن ذكره هنا.

ذكر مقتل الخليفة الظافر

وكان من خبر الظافر أنه لما مات الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر، في ليلة الخميس، لخمس خلون من جمادى الآخرة، سنة أربع وأربعين وخمسمائة، بويع ابنه أبو المنصور إسماعيل، ولقب بالظافر بأمر الله، بوصية من أبيه له بالخلافة، وقام بتدبير الوزارة الأمير نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال، فلم يرض الأمير المظفر علي بن السلار والي الإسكندرية والبحيرة يومئذ بوزارة ابن مصال، وحشد وسار إلى القاهرة، ففر ابن مصال، واستقر ابن السلار في الوزارة،

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٣١

وتلقب بالعادل، فجهز العساكر لمحاربة ابن مصال، فحاربته وقتل، فقوي واستوحش منه الظافر، وخاف منه ابن السلار واحترز منه على نفسه، وجعل له رجالا يمشون في ركابه بالزرد والخود، وعددهم ستمائة رجل بالنوبة، ونقل جلوس الظافر من القاعة إلى الإيوان في البراح والسعة، حتى إذا دخل للخدمة يكون أصحاب الزرد معه، ثم تأكدت النفرة بينهما فقبض على صبيان الخاص وقتل أكثرهم، وفرق باقيهم، وكانوا خمسمائة رجل، وما زال الأمر على ذلك إلى أن قتله ربيبه عباس بن تميم، بيد ولده نصر،." (١)

"والأمير مغلطاي أمير أخور، وترجلوا عن خيولهم ومنعوا النهابة من التعرض إلى نهب البيوت التي احترقت، وعم الحريق دكاكين البندقانيين ودكاكين الرسامين وحوانيت الفقاعين والفندق المجاور لها، والربع علوه، وعملت إلى الجانب الذي يلي بيت بيبرس ركن الدين الملقب بالملك المظفر، والربع المجاور لعالي زقاق الكنيسة، فما زال الأمير شيخو واقفا بنفسه ومماليكه ومعه الأمراء إلى أن هدم ما هنالك، والنار تأكل ما تمر به إلى أن وصلت إلى بئر الدلاء التي كانت تعرف قديما ببئر زويلة «١» ، ومنها كان يستقى لأصطبل الجميزة، فأحرقت ما جاور البئر من الأماكن إلى حوانيت الفكاه والطباخ وما يجاورهما من الحوانيت. والربع المجاور لدار الجوكندار، وكادت أن تصل إلى دار القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر، المجاورة لحمام الشيخ نجم الدين ابن عبود، ولم يبق أحد في ذلك الخط حتى حول متاعه خوفا من الحريق، فكان أهل البيت بينما هم في نقل ثيابهم، وإذا بالنار قد أحاطت بهم فيتركون ما في الدار وينجون بأنفسهم، والأمر يعظم والهدم واقع في الدور المجاورة لأماكن الحريق، خشية من تعلق النار بها، فسرى إلى جميع البلد إلى أن أتى الهدم على سائر ما كان هنالك، فأقام الأمر كذلك يومين وليلتين والأمراء وقوف، فلما خف انصرف الأمراء ووقف والي القاهرة ومعه عدة من الأمراء لطفي ما بقي، فاستمروا في طفئه ثلاثة أيام أخر، وكان المصاب بهذا الحريق عظيما، تلف فيه للناس من المال والثياب والمصاغ وغيره بالحريق والنهب ما لا يعلم قدره إلا الله، هذا مع ما كان فيه الأمراء من منع النهابة وكفهم عن أموال الناس، إلا أن الأمر كان قد تجاوز الحد، وعطب بالنار جماعة كثيرة، ووصل حريق النار إلى قيسارية طشتمر وربع بكتمر الساقي، فلما كفى الله أمر هذا الحريق، وأعان على طفئه بعد أن هدمت عدة أماكن جليلة، ما بين رباع وحوانيت، وقع الحريق في أماكن من داخل القاهرة وخارج باب زويلة «٢» ، ووجد في بعض المواضع التي بها الحريق كعكات بزيت وقطران، فعلم أن هذا من فعل النصارى، كما وقع في الحريق الذي كان في أيام الملك الناصر، وقد ذكر في خبر السيرة الناصرية، فنودي في الناس أن يحترسوا

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٥٦/٣

على مساكنهم، فلم يبق أحد من الناس أعلاهم وأدناهم حتى أعد في داره أوعية ملانة بالماء، ما بين أحواض وأزيار، وصاروا يتناوبون السهر في الليل، ومع ذلك فلا يدري أهل البيت إلا والنار قد وقعت في بيتهم، فيتداركون طفئها لئلا تشتعل ويصعب أمرها. وترك جماعة من الناس الطبخ في الدور، وتمادى ذلك في الناس من نصف صفر إلى عاشر ربيع الأول، فأحضر الأمير سيف الدين تشتمرشاد الدواوين نشابة في وسطها نقط قد وجدها في سطح داره، فأراها للأمراء وهي محروقة النصل، فصدر أمر الوزير منجك للأمير علاء الدين." (١)

"وقبلا له الأرض وحلفا له، وتلقب بالملك المنصور، ثم إن بشتاكا طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق، فأمر له بذلك.

وكتب تقليده وبرز إلى ظاهر القاهرة وأقام يومين، ثم طلع في اليوم الثالث إلى السلطان ليودعه، فوثب عليه الأمير قطلوبغا الفخري وأمسك سيفه وتكاثروا عليه فأمسكوه وجهزوه إلى الإسكندرية، فاعتقل بها، ثم قتل في الخامس من ربيع الأول سنة اثنين وأربعين وسبعمائة، لأول سلطنة الملك الأشرف كجك، وكان شابا أبيض اللون ظريفا مديد القامة نحيفا، خفيف اللحية كأنها عذار، على حركاته رشاقة حسن العمة يتعمم الناس على مثالها، وكان يشبه بأبي سعيد ملك العراق إلا أنه كان غير عفيف الفرج زائد الهرج والمرج لم يعف عن مليحة ولا قبيحة، ولم يدع أحدا يفوته، حتى يمسك نساء الفلاحين وزوجات الملاحين.

واشتهر بذلك ورمي فيه بأوابد، وكان زائد البذخ منهمكا على ما يقتضيه عنفوان الشبيبة، كثير الصلف والتيه، لا يظهر الرأفة ولا الرحمة في تأنيه، ولما توجه بأولاد السلطان ليفرجهم في دمياط كان يذبح لسماطه في كل يوم خمسين رأسا من الغنم وفرسا لا بد منه، خارجا عن الأوز والدجاج، وكان راتبه دائما كل يوم من الفحم برسم المشوي مبلغ عشرين درهما، عنها مثقال ذهب، وذلك سوى الطوارىء، وأطلق له السلطان كل يوم بقجة قماش من اللفافة إلى الخف إلى القميص واللباس والملوطة والبغلطاق والقباء الفوقاني بوجه اسكندراني على سنجاب طريق مطرز مزركش رقيق، وكلوته وشاش، ولم يزل يأخذ ذلك كل يوم إلى أن مات السلطان، وأطلق له في يوم واحد عن ثمن قرية تبنى بساحل الرملة مبلغ ألف درهم فضة، عنها يومئذ خمسون ألف مثقال من الذهب، وهو أول من أمسك بعد موت الملك الناصر. وقال الأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ومن كتابه نقلت ترجمة بشتاك:

قال الزمان وما سمعنا قوله ... والناس فيه رهائن الأشراك

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٦٠

من ينصر المنصور من كيدي وقد ... صاد الردى بشتاك لي بشراك

خط باب الزهومة: هذا الخط عرف بباب الزهومة، أحد أبواب القصر الكبير الشرقي الذي تقدم ذكره، فإنه كان هناك، وقد صار الآن في هذا الخط سوق وفندق وعدة آدر، يأتي ذكر ذلك كله في موضعه إن شاء الله تعالى.

خط الزراكشة العتيق: هذا الخط فيما بين خط باب الزهومة وخط السبع خوخ، وبعضه من دار العلم الجديدة، وبعضه من جملة القصر النافعي، وبعضه من تربة الزعفران، وفيه اليوم فندق المهمندار الذي يدق فيه الذهب، وخان الخليلي، وخان منجك، ودار خواجا، ودرب الحبش، وغير ذلك، كما ستقف عليه إن شاء الله.." (١)

"درب الحسام: هذا الدرب على يمنة من سلك من آخر سويقة الباطلية إلى الجامع الأزهر، عرف بحسام الدين لاجين الصفدي استادار الأمير منجك.

درب المنصوري: هذا الدرب بأول الحارة الصالحية تجاه درب أمير حسين، عرف أولا بدرب الجوهري، وهو شهاب الدين أحمد بن منصور الجوهري، كان حيا في سنة ثمانين وستمائة، وعرف أخيرا بدرب المنصوري، وهو الأمير قطلو بغا المنصوري حاجب الحجاب في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين.

درب أمير حسين: هذا الدرب في طريق من سلك من خط خان الدميري طالبا إلى حارة الصالحية وحارة البرقية، استجده الأمير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاون، ومات في ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبعمائة، وكان آخر من بقي من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون، وهو والد الملك الأشرف شعبان بن حسين.

درب القماحين: هذا الدرب كان يعرف بخط قصر ابن عمار، من جملة حارة كتامة، قريبا من الحارة الصالحية، وفيه اليوم دار خوند شقرا وحمام كراي وراء مدرسة ابن الغنام.

درب العسل: هذا الدرب على يمنة من خرج من خط السبع خوخ يريد المشهد الحسيني، كان يعرف أولا بخوخة الأمير عقيل ابن الخليفة المعز لدين الله أبي تميم معد، أول خلفاء الفاطميين بالقاهرة، ومات في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، هو وأخوه الأمير تميم بن المعز بالقاهرة، ودفنا بتربة القصر.

درب الجباسة: هذا الدرب تجاه من يخرج من سوق الأبارين إلى المشهد الحسيني، وهو من جملة القصر الكبير، وبه دار خوخي التي تعرف اليوم بدار بهادر.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٦٦/٣

درب ابن عبد الظاهر: هذا الدرب بجوار فندق الذهب بخط الزراكشة العتيق، وفي صفه، وهو من حقوق دار العلم التي استجدت في خلافة الآمر ووزارة المأمون الباطيجي، فلما زالت الدولة اختط مساكن وسكن هناك القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر فعرف به.

درب الخازن: هذا الدرب ملاصق لسور المدرسة الصالحية التي للحنابلة، ومجاور لباب سر قاعة مدرسة الحنابلة، والسبيل الذي على باب فندق مسرور الصغير، استجده الأمير علم الدين سنجر الخازن الأشرفي والي القاهرة، المنسوب إليه حكر الخازن بخط الصليبة، وسنجر هذا كانت فيه حشمة وله ثروة زائدة، ويحب أهل العلم، تنقل في المباشرات إلى أن صار والي القاهرة، فاشتهر بدقة الفهم وصدق الحدس الذي لا يكاد يخطئ، مع عقل وسياسة وإحسان إلى الناس، وعزل بالأمير قديدار ومات عن تسعين سنة في ثامن جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة.." (١)

"رحبة بيبرس: هذه الرحبة يتوصل إليها من سويقة المسعودي، ومن حمام ابن عبود، عرفت بالملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، فإن بصدرها داره التي كانت سكنه قبل أن يتقلد سلطنة ديار مصر، وقد حل وقفها وبيعت.

رحبة بيبرس الحاجب: هذه الرحبة بخط حارة العدوية عند باب سر الصاغة، عرفت بالأمير بيبرس الحاجب، لأن داره بها، وبيبرس هذا هو الذي ينسب إليه غيط الحاجب بجوار قنطرة الحاجب، وبهذه الرحبة الآن فندق الأمير الطواشي زمام الدور السلطانية زين الدين مقبل، وبه صار الآن هذا الخط يعرف بخط فندق الزمام، بعد ما كنا نعرفه يعرف بخط رحبة بيبرس الحاجب.

رحبة الموفق: تعرف هذه الرحبة بحارة زويلة تجاه دار الصاحب الوزير موفق الدين أبي البقاء هبة الله بن إبراهيم، المعروف بالموفق الكبير، وهي بالقرب من خوخة الموفق، المتوصل منها إلى الكافوري من حارة زويلة.

رحبة أبي تراب: هذه الرحبة فيما بين الخرشنف وحارة برجوان، تشبه أن تكون من جملة الميدان، ادركتها رحبة بها كيمان تراب، وسبب نسبتها إلى أبي تراب أن هناك مسجدا من مساجد الخلفاء الفاطميين، تزعم العامة ومن لا خلاق له أن به قبر أبي تراب النخشبي، وهذا القول من أبطل الباطل، وأقبح شيء في الكذب، فإن أبا تراب النخشبي هو أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي، صحب حاتما الأصم وغيره، وهو من مشايخ الرسالة، ومات بالبادية نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين، قبل بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٧٥

سنين، وقد أخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومي، خال أبي رحمه الله، قبل أن يختلط قال: أخبرني مؤدبي الذي قرأت عليه القرآن، أن هذا المكان كان كوما، وأن شخصا حفر فيه ليبني عليه دارا فظهرت له شرافات، فمازال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد، فقال الناس: هذا أبو تراب، من حينئذ، ويؤيد ما قال: أني أدركت هذا المسجد محفوفا بالكيمان من جهاته وهو نازل في الأرض، ينزل إليه بنحو عشر درج، وما برح كذلك إلى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة، فنقلت الكيمات التراب التي كانت هناك حوله، وعمر مكانها ما هنالك من دور، وعمل عليها درب من بعد سنة تسعين وسبعمائة، وزالت الرحبة والمسجد على حاله، وأنا قرأت على بابه في رخامة قد نقش عليها بالقلم الكوفي عدة اسطر، تتضمن أن هذا قبر أبي تراب حيدرة ابن المستنصر بالله، أحد الخلفاء الفاطميين. وتاريخ ذلك فيما أظن بعد الأربعمائة، ثم لما كان في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة سولت نفس بعض السفهاء من العامة له أن يتقرب بزعمه إلى الله تعالى بهدم هذا المسجد ويعيد بناءه، فجبى من الناس مالا شحذه منهم وهدم المسجد، وكان بناء حسنا، وردمه بالتراب نحو سبعة أذرع حتى ساوى." (١)

"والأمير بشتاك، والأمير طقوزدمر أمير مجلس في آخرين، وحضر لبقية الأمراء خلع وأقبية على قدر مراتبهم، فلبس الجميع التشاريف والخلع والأقبية واركبوا الخيول المحضرة إليهم من الإصطبل السلطاني بسروج وكنابيش ما بين ذهب وفضة بحسب مراتبهم، وساروا إلى منازلهم، وذبح في هذا المهم ستمائة رأس غنم وأربعون بقرة وعشرون فرسا، وعمل فيه ثلثمائة قنطار سكر برسم المشروب، فإن القوم يومئذ لم يكونوا يتظاهرون بشرب الخمر ولا شيء من المسكرات البتة، ولا يجسر أحد على عمله في مهم البتة، وما زالت هذه الدار باقية إلى أن هدمها السلطان الملك الناصر حسن، وأنشأ موضعها مدرسته الموجودة الآن.

إصطبل قوصون: هذا الإصطبل بجوار مدرسة السلطان حسن وله بابان، باب من الشارع بجوار حدرة البقر، وبابه الآخر تجاه باب السلسلة الذي يتوصل منه إلى الإصطبل السلطاني وقلعة الجبل، أنشأه الأمير علم الدين سنجر الجمقدار، فأخذه منه الأمير سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال، فزاد فيه قوصون إصطبل الأمير سنقر الطويل، وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الإصطبل، فبنى فيه كثيرا وأدخل فيه عدة عمائر، ما بين دور وإصطبلات، فجاء قصرا عظيما إلى الغاية، وسكنه الأمير قوصون مدة حياة الملك الناصر.

فلما مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر، عمل عليه قوصون وخلعه وأقام بعده بدله

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٩٣/٣

الملك الأشرف كجك بن الملك الناصر محمد، فلما كان في سنة اثنين وأربعين وسبعمائة حدث في شهر رجب منها فتنة بين الأمير قوصون وبين الأمراء، وكبيرهم أيدغمش أميراخور، فنادى أيدغمش في العامة يا كسابه عليكم بإصطبل قوصون، إنهبوه، هذا وقوصون محصور بقلعة الجبل، فأقبلت العامة من السؤال والغلمان والجند إلى إصطبل قوصون، فمنعهم المماليك الذين كانوا فيه ورموهم بالنشاب وأتلفوا منهم عدة، فثارت مماليك الأمير يلبغا اليحياوي من أعلى قصر يلبغا، وكان بجوار قصر قوصون حيث مدرسة السلطان حسن، ورموا مماليك قوصون بالنشاب حتى انكفوا عن رمي النهابة، فاقتحم غوغاء الناس إصطبل وقوصون وانتهبوا ما كان بركاب **خاناته** وحواصله، وكسروا باب القصر بالفؤس، وصعدوا إليه بعد ما تسلقوا إلى القصر من خارجه، فخرجت مماليك قوصون من الإصطبل يدا واحدة بالسلاح وشقوا القاهرة وخرجوا إلى ظاهر باب النصر «١» يريدون الأمراء الواصلين من الشام، فأتت النهابة على جميع ما في إصطبل قوصون من الخيل والسروج وحواصل المال التي كانت بالقصر، وكانت تشتمل من أنواع المال والقماش." (١)

"الحمامات والطلاء بالنورة سليمان بن داود عليهما السلام، وأنه لما دخل ووجد حميمة قال: اواه من عذاب الله أواه.

وذكر المسبحي في تاريخه: أن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله، أول من بنى الحمامات بالقاهرة، وذكر الشريف أسعد الجواني عن القاضي القضاعي أنه كان في مصر الفسطاط ألف ومائة وسبعون حماما. وقال ابن المتوج أن عدة حمامات مصر في زمنه بضع وسبعون حماما. وذكر ابن عبد الظاهر أن عدة حمامات القاهرة إلى آخر سنة خمس وثمانين وستمائة، تقرب من ثمانين حماما، وأقل ما كانت الحمامات ببغداد في أيام الخليفة الناصر أحمد بن المستنصر نحو الألف حمام.

حمامي السيدة العمة: قال ابن عبد الظاهر: حمامي الكافي يعرفان بحمامي السيدة العمة، وانتقلتا إلى الكامل بن شاور، ثم إلى ورثة الشريف ابن ثعلب، وهما الآن بأيديهم، ولا تدور إلا الواحدة، وهاتان الحمامان كانتا على يمنة من يدخل من أول حارة الروم تجاه ربع الحاجب لؤلؤ، المعروف الآن بربع الزياتين، علو **الفندق** الذي بابه بسوق الشوايين، وكانت إحداهما برسم الرجال والأخرى برسم النساء، وقد خربتا ولم يبق لهما أثر البتة.

حمام الساباط: قال ابن عبد الظاهر: كان في القصر الصغير باب يعرف بباب الساباط، كان الخليفة في العيد يخرج منه إلى الميدان، وهو الخرشتف الآن، إلى المنحر لينحر فيه الضحايا. قلت حمام الساباط

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٣٢/٣

هذا يعرف في زمننا بحمام المارستان المنصوري وهو برسم دخول النساء عند باب سر المارستان المنصوري، وهذا الحمام هو حمام القصر الصغير الغربي، ويعرف أيضا بحمام الصنيمة، فلما زالت دولة الخلفاء الفاطميين من القاهرة، باعها القاضي مؤيد الدين أبو المنصور محمد بن المنذر بن محمد العدل الأنصاري الشافعي، وكيل بيت المال في أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، للأمير عز الدين أيبك العزيزي هي وساحات تحاذيها بألف ومائتي دينار، في ذي الحجة سنة تسعين وخمسمائة، ثم باعها الأمير عز الدين أيبك للشيخ أمين الدين قيمار بن عبد الله الحموي التاجر، بألف وستمائة دينار، فورثها من بعده من استحق إرثه، ثم اشترى من الورثة نصفها الأمير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملي العادلي، في سنة سبع وثلاثين وستمائة، وانتقلت أيضا منها حصة إلى ملك الأمير علاء الدين ايدكين البندقداري الصالحي النجمي استادار الملك الظاهر بيبرس، في سنة ثمان وسبعين وستمائة، فلما تملك الملك المنصور قلاوون الألفي وانشأ المارستان الكبير المنصوري، صارت فيما هو موقوف عليه، وهي الآن في أوقافه ولها شهرة في حمامات القاهرة.

حمام لؤلؤ: هذه الحمام برأس رحبة الأيد مرى ملاصقة لدار السناني، أنشأها الأمير." (١)

"الذي يعرف اليوم بدرب ابن عرب وقد خربت.

حمام الذهب: هذه الحمام كانت بدار الذهب، أحد مناظر الخلفاء الفاطميين التي ذكرت في المناظر من هذا الكتاب، وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها أثر.

حمام ابن قرقة: هذه الحمام كانت بخط سويقة المسعودي من حارة زويلة، أنشأها أبو سعيد بن قرقة الحكيم، متولي الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح في الدولة الفاطمية، بجوار داره التي تقدمت في الدور من هذا الكتاب، ثم عرفت هذه الحمام في الدولة الأيوبية بالأمير صارم الدين المسعودي وإلى القاهرة، المنسوب إليه سويقة المسعودي المذكورة في الأسواق من هذا الكتاب، ثم خربت هذه الحمام وعمل في موضعها فندق عرف أخيرا بفندق عمار الحمامي، بجوار جامع ابن المغربي من جانبه الغربي، وأخذت بئر هذه الحمام، فعملت للحمام التي تعرف اليوم بحمام السلطان.

حمام السلطان: هذه الحمام يتوصل إليها الآن من سويقة المسعودي، ومن قنطرة الموسكي، وهي من الحمامات القديمة عرفت في الدولة الفاطمية بحمام الأوحد، ثم عرفت في الدولة الأيوبية بحمام ابن يحيى، وهو القاضي المفضل هبة الله بن يحيى العدل، ثم عرفت بحمام الطيبرسي، ثم هي الآن تعرف بحمام

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٤٦/٣

السلطان.

حمام خوند: هذه الحمام بجوار رحبة خوند، المذكورة في الرحاب من هذا الكتاب، وكانت برسم الدار التي تعرف الآن بدار خوندارد تكين، ثم أفردت وصارت إلى الآن حماما يدخله عامة الرجال في أوائل النهاء، ثم تعقبهم النساء من بعد، إلى أن هدمها الأمير صلاح الدين محمد استادار السلطان ابن الأمير الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وعمل موضعها من جملة داره التي هناك.

حمام ابن عبود: هذه الحمام موضعها فيما بين اصطبل الجميزة المذكورة في اصطبلات الخلفاء من هذا الكتاب، وبين رأس حارة زويلة، وهي من الحمامات القديمة، عرفت بحمام الفلك، وهو القاضي فلك الملك العادل، ثم عرفت بالأمير علي بن أبي الفوارس، ثم عرفت بابن عبود، وهو الشيخ نجم الدين أبو علي الحسين بن محمد بن إسماعيل بن عبود القرشي الصوفي، مات في يوم الجمعة ثالث عشرى شوال سنة اثنين وعشرين وسبعمائة بعد ما عظم قدره ونفذ في أرباب الدولة نهيه وأمره، وهو صاحب الزاوية المعروفة بزاوية ابن عبود بلحف الحبل، قريبا من الدينوري من القرافة، فانظرها في الزوايا من هذا الكتاب، ولم تزل هذه الحمام جارية في أوقاف التربة المذكورة إلى أن تسلط الأمير جمال الدين على أموال أهل مصر، فاغتصب ابن أخته الأمير شهاب الدين أحمد المعروف بسيدي أحمد ابن أخت جمال الدين هذه الحمام، واغتصب دار ابن فضل الله التي تجاه هذه الحمام، واغتصب آدرا أخر بجوارها، وعمر هناك دارا عظيمة كما قد ذكر في الدور من هذا الكتاب.." (١)

"حمام الصاحب: هذه الحمام بسويقة الصاحب، عرفت بالصاحب الوزير صفي الدين عبد الله بن شكر الدمري صاحب المدرسة الصاحبية التي بسويقة الصاحب، ثم تعطلت مدة سنين، فلما ولي الأمير تاج الدين الشوبكي ولاية القاهرة في أيام الملك المؤيد شيخ، جددها وأدار بها الماء في سنة سبع عشرة وثمانمائة.

حمام السلطان: هذه الحمام كان موضعها قديما من جملة دار الديباج، وهي الآن بخط بين العواميد من البندقانيين بجوار خوخة سوق الجوار، ومدرسة سيف الإسلام، أنشأها الأمير فخر الدين عثمان ابن قزل استادار السلطان الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وتنقلت إلى أن صارت في أوقاف الملك الناصر محمد بن قلاوون.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٤٨/٣

حماما طغريك: هاتان الحمامان بجوار فندق فخر الدين بالقرب من سويقة حارة الوزيرية، أنشأهما الأمير حسام الدين طغريك المهراني، أحد الأمراء الأيوبية.

حمام السوباشي: هذه الحمام كانت بدرب طلائع بخط الخروقيين الذي يعرف اليوم بسوق الفرايين، عرفت بالأمير الفارس همام الدين أبو سعيد برغش السوباشي، واسمه عمرو بن كحت بن شيرك العزيزي والي القاهرة.

حمام عجينة: هذه الحمام كانت بخط الأكفانيين، انشأها الأمير فخر الدين أخو الأمير عز الدين موسك في الدولة الأيوبية، وتنقلت حتى صارت بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري، مما أوقف عليهم، وعرفت أخيرا بحمام عجينة، ثم خربت بعد سنة أربعين وسبعمائة، وموضعها الآن خربة بجوار الفندق الكبير المعد لديوان المواريث.

حمام دري: هذه الحمام كانت بخط الأكفانيين الآن، عرفت بشهاب الدولة دري الصغير غلام المظفر ابن أمير الجيوش. قال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب النقط لمعجم ما أشكل من الخطط. شهاب الدولة دري المعروف بالصغير المظفري غلام المظفر أمير الجيوش، كان أرمنيا وأسلم، وكان من المشددين في مذهب الإمامية، وقرأ الجمل في النحو للزجاجي، وكتاب اللمع لابن جني، وكانت له خرائط من القطن الأبيض في يديه ورجليه، وكان يتولى خزائن الكسوة، ولا يدخل على بسط السلطان ولا بسط الخليفة الحافظ لدين الله، ولا يدخل مجلسه إلا بتلك الخرائط في رجليه، ولا يأخذ من أحد شيئا إلا وفي يديه خريطة، يظن أن كل من لمسه نجسه، وسوسة منه، فإذا اتفق أنه صافح أحد المومس رقعة بيده من غير خريطة، لا يمس ثوبه بها أبدا حتى يغسلها، فإن لمس ثوبه بها غسل الثوب، وكان الاستاذون المحنكون يرمون له في بساط الخليفة الحافظ العنب، فإذا مشى عليه وانفجر ووصل ماؤه إلى رجليه سبهم وحرد، فيعجب الخليفة من ذلك ويضحك ولا يؤاخذه بما صدر منه، ومات بعد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وقد خربت." (١)

"عثمان بن علكان، صهر الأمير الكبير فخر الدين عثمان بن قزل، ثم انتقلت إلى الأمير علم الدين سنجر الصيرفي الصالحي النجمي، وما زالت إلى أن خربت بعد سنة أربعين وسبعمائة، فعمر مكانها الأمير ازدمر الكاشف إسطبلا بعد سنة خمسين وسبعمائة.

حمام الصاحب: هذه الحمام بخط طواحين الملحيين.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٤٩/٣

حمام كتبغا الأسدي: هذه الحمام موضعها الآن المدرسة الناصرية بخط بين القصرين.

حمام ألتطمش خان: هذه الحمام كانت بجوار ميضاة الملك ركن الدين الظاهر بيبرس، المجاورة للمدرسة الظاهرية بخط بين القصرين، أنشأتها الخاتون التطمش خان زوجة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، ثم خربت وصار موضعها زقاقا، فلما ولي كمال الدين عمر بن العديم قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية، في سلطنة الملك الناصر فرج، شرع في عمارة هذا الزقاق، فمات ولم يكمله، فوضع الأمير جمال الدين يده في العمارة وأنشأها **فندقا** جعله وقفا فيما وقف عى مدرسته التي أنشأها برحبة باب العيد، فلما قتله الملك الناصر فرج واستولى على جميع ما تركه، جعل هذا **الفندق** من جملة ما أرصده للتربة التي أنشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر.

حمام القاضي: هذه الحمام من جملة خط درب الأسواني، وهي من الحمامات القديمة، كانت تعرف بإنشاء شهاب الدولة بدر الخاص، أحد رجال الدولة الفاطمية، ثم انتقلت إلى ملك القاضي السعيد أبي المعالي هبة الله بن فارس، وصارت بعده إلى ملك القاضي كمال الدين أبي حامد محمد ابن قاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني، فعرفت بحمام القاضي إلى اليوم، ثم باع ورثة أبي حامد منها حصة للأمير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، وصارت منها حصة إلى الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري، فجعلها وقفا على مدرسته المجاورة للجامع الأزهر.

حمام الخراطين: هذه الحمام أنشأها الأمير نور الدين أبو الحسن علي بن نجا بن راجح بن طلائع، فعرفت بحمام ابن طلائع وكان بجوارها، ثم حمام أخرى تعرف بحمام السوباشي فخربت، ومستوقد حمام ابن طلائع هذه إلى الآن من درب ابن طلائع، الشارع بسوق الفرايين الآن، ولها منه أيضا باب، وصارت أخيرا في وقف الأمير علم الدين سنجر السروري المعروف بالخياط والي القاهرة، وتوفي في سنة ثمان وتسعين وستمائة، فاغتصبها الأمير جمال الدين يوسف الأستادار في جملة ما اغتصب من الأوقاف والأملاك وغيرها، وجعلها وقفا على مدرسته برحبة باب العيد وهي الآن موقوفة عليها.." (١)

"وهو القاضي المرتضى صفي الدين أبو المجد عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش المخزومي، أحد كتاب الإنشاء في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، قتل شهيدا على عكا في يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة، ودفن بالقدس، ومولده في سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وسمع السلفي وغيره.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٥٢/٣

قيسارية الشرب: هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه قيسارية جهاركس. قال ابن عبد الظاهر: وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على الجماعة الصوفية، يعني بخانقاه سعيد السعداء، وكانت إسطبلا. انتهى. وما برحت هذه القيسارية مرعية الجانب إكراما للصوفية إلى أن كانت أيام الملك الناصر فرج، وحدثت الفتن وكثرت مصادرات التجار، انخرق ذاك السياج وعومل سكانها بأنواع من العسف، وهي اليوم من أعمر أسواق القاهرة.

قيسارية ابن أبي أسامة: هذه القيسارية بجوار الجملون الكبير على يسرة من سلك إلى بين القصرين، يسكنها الآن الخرد فوشية، وقفها الشيخ الأجل أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن أبي أسامة، لصاحب ديوان الإنشاء في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله، وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة، وينعت بالشيخ الأجل كاتب الدست الشريف، ولم يكن أحد شاركه في هذا النعت بديار مصر في زمانه، وكان وقف هذه القيسارية في سنة ثمان عشرة وخمسمائة، وتوفي في شوال سنة اثنين وعشرين وخمسمائة.

قيسارية سنقر الأشقر: هذه القيسارية على يسرة من يدخل من باب زويلة، فيما بين خزانة شمائل ودرب الصغيرة، تجاه قيسارية الفاضل. أنشأها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الصالحي النحمي، أحد المماليك البحرية، ولم تزل إلى أن هدمت وأدخلت في الجامع المؤيدي، لأيام من جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة.

قيسارية أمير علي: هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه الجملون الكبير، بجوار قيسارية جهاركس، يفصل بينهما درب قيطون، عرفت بالأمير علي بن الملك المنصور قلاون الذي عهد له بالملك، ولقبه بالملك الصالح، ومات في حياة أبيه، كما قد ذكر في فندق الملك الصالح.

قيسارية رسلان: هذه القيسارية فيما بين درب الصغيرة والحجارين، أنشأها الأمير بهاء الدين رسلان الدوادار، وجعلها وقفا على خانقاه له بمنشأة المهراني، وكانت من أحسن القياسر، فلما عزم الملك المؤيد شيخ على بناء مدرسته هدمها في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وعوض أهل الخانقاه عنها خمسمائة دينار.." (١)

"قيسارية جهاركس: قال ابن عبد الظاهر: بناها الأمير فخر الدين جهاركس في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكانت قبل ذلك يعرف مكانها بفندق الفراخ، ولم تزل في يد ورثته، وانتقل إلى الأمير علم الدين أيتمش منها جزء بالميراث عن زوجته، وإلى بنت شومان من أهل دمشق، ثم اشتريت لوالدة خليل

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٥٨/٣

المسماة بشجر الدر الصالحية، في سنة خمس وخمسين وستمائة، وهي مع حسنها واتقان بنائها كلها، تجرد من الغضب جميع ما فيها، وذكر بعض المؤرخين أن صاحبها جهاركس نادى عليها حين فرغت، فبلغت خمسة وتسعين ألف دينار على الشريف فخر الدين إسماعيل بن ثعلب، وقال لصاحبها: أنا انقدك ثمنها، أي نقد شئت، إن شئت ذهبا وإن شئت فضة، وإن شئت عروض تجارة، وقيسارية جهاركس تجرى الآن في وقف الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بعد سلار على ورثته.

وقال القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان:

جهاركس: بن عبد الله فخر الدين أبو المنصور الناصري الصلاحي، كان من أكبر أمراء الدولة الصلاحية، وكان كريما نبيل القدر علي الهمة، بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه، رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون: لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها وعظمها وأحكام بنائها، وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا وربعا معلقا، وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق، ودفن في جبل الصالحية وتربته مشهورة هناك، رحمه الله، وجهاركس بفتح الجيم والهاء وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة.

ومعناه بالعربي أربعة أنفس، وهو لفظ عجمي.

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود اليغوري: سمعت الأمير الكبير الفاضل شرف الدين أبا الفتح عيسى بن الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد الهكاري البحتري الطائي المقدسي بالقاهرة، ومولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالبيت المقدس شرفه الله تعالى، وتوفي بدمشق في ليلة الأحد تاسع عشري ربيع الآخر سنة تسع وستمائة، ودفن بسفح جبل قاسيون، رحمه الله. قال: حدثني الأمير صارم الدين خطلبا التبنيني صاحب الأمير فخر الدين أبي المنصور جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي رحمه الله. قال: بلغ الأمير فخر الدين، أن بعض الأجناد عنده فرس قد دفع له فيه ألف دينار ولم يسمح ببيعه، وهو في غاية الحسن، فقال لي الأمير باخطلبا: إذا ركبنا ورأيت في الموكب هذا الفرس نبهني عليه حتى أبصره. فقلت: السمع والطاعة.

فلما ركبنا في الموكب مع الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر رحمه الله، رأيت الجندي على فرسه، فتقدمت إلى الأمير فخر الدين وقلت له: هذا الجندي، وهذا الفرس راكبه، فنظر إليه وقال: إذا خرجنا من

سماط السلطان فانظر أين الفرس وعرفني به. فلما دخلنا إلى سماط الملك العزيز، عجل الأمير فخر الدين وخرج قبل الناس، فلما بلغ إلى." (١)

"جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وستمائة، ولف في نخ ودفن بالقرافة.

واستقر من بعده في الوزارة قاضي القضاة بدر الدين السنجاري مع ما بيده من قضاء القضاة، ولم تزل هذه القيسارية باقية، وكانت تعرف بقيسارية النشاب إلى أن أخذها الأمير جمال الدين يوسف الاستادار، هي والحوانيت على يمنة من سلك من الخراطين يريد الجامع الأزهر، وفيما بينهما كان باب هذه القيسارية، وكانت هذه الحوانيت تعرف بوقف تمرتاش، وهدم الجميع وشرع في بنائه، فقتل قبل أن يكمل، وأخذه الملك الناصر فرج، فبنيت الحوانيت التي هي على الشارع بسوق المهامزيين، وصار ما بقي ساحة عمرها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي ناظر الجيش قيسارية يعلوها ربع، وبنى أيضا على حوانيت جمال الدين ربعا، وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة. وقال الإمام عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان يمدح الأسعد الفائزي رحمه الله ابن صاعد، وابنه المرتضى:

مذ تولى أمورنا ... لم أزل منه ذاهبه

وهو إن دام أمره ... شدة العيش ذاهبه

قيسارية بكتمر: هذه القيسارية بسوق الحريريين بالقرب من سوق الوراقين، كانت تعرف قديما بالصاغة، ثم صارت فندقا يقال له فندق حكم، وأصلها من جملة الدار العظمى التي تعرف بدار المأمون بن البطائحي، وبعضها المدرسة السيوفية. أنشأ هذه القيسارية الأمير بكتمر الساقي في أيام الناصر محمد بن قلاوون.

قيسارية ابن يحيى: هذه القيسارية كانت تجاه باب قيسارية جهاركس، حيث سوق الطيور، وقاعات الحلوى، أنشأها القاضي المفضل هبة الله بن يحيى التميمي المعدل، كان موثقا كاتبا في الشروط الحكمية في حدود سنة أربعين وخمسمائة في الدولة الفاطمية، ثم صار من جملة العدول، وبقي إلى سنة ثمانين، وله ابن يقال له كمال الدين عبد المجيد القاضي المفضل، ولكمال الدين ابن يقال له جلال الدين محمد بن كمال الدين عبد المجيد بن القاضي المفضل هبة الله بن يحيى، مات في آخر سنة ستين وسبعمائة، وقد خربت هذه القيسارية ولم يبق لها أثر.

قيسارية طاشتمر: هذه القيسارية بجوار الوراقين، لها باب كبير من سوق الحريريين، على يسرة من سلك إلى الزجاجين وباب من الوراقين. أنشأها الأمير طاشتمر في أعوام بضع وثلاثين وسبعمائة، وسكنها عقادوا

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٥٩/٣

الأزرار حتى غصت بهم مع كبرها وكثرة حوانيتها، وكان لهم منظر بهيج، فإن أكثرهم من بياض الناس، وتحت يد كل معلم منهم عدة صبيان من أولاد الأتراك وغيرهم فطالما مررت منها إلى سوق الوراقين، وداخلني حياء من كثرة من أمر به هناك، ثم لما حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وخرب الربع الذي كان." (١)

"خمسة أبواب، وأنها وقف، ثم وقعت الحوطة عليها فجرت في الديوان السلطاني، وقصدوا بيعها مرارا فلم يقدر أحد على شرائها، وكان بها عمد رخام، فأخذها الديوان وعوضت بعمد كدان، وأنه شاهدها مسكونة جميعها، عامرة. انتهى. وقد خرب ما حولها بعد سنة ستين وسبعمائة، وتزايد الخراب حتى لم يبق حولها سوى كيمان، فعمل لها باب واحد، وتردد الناس إليها في اليومين المذكورين لا غير، فلما كانت الحوادث منذ سنة ست وثمانمائة واستولى الخراب على أقليم مصر تعطلت هذه القيسارية ثم هدمت في سنة ست عشرة وثمانمائة.

قيسارية عبد الباسط: هذه القيسارية برأس الخراطين من القاهرة، كان موضعها يعرف قديما بعقبة الصباغين، ثم عرف بالقشاشين، ثم عرف بالخراطين، وكان هناك مارستان ووكالة في الدولة الفاطمية، وأدركنا بها حوانيت تعرف بوقف تمرتاش المعظمي، فأخذها الأمير جمال الدين الأستادار فيما أخذ من الأوقاف، فلما قتل أخذ الناصر فرج جانبا منها وجدد عمارتها ووقفها على تربة أبيه الظاهر برقوق، ثم أخذها زين الدين عبد الباسط بن خليل في أيام المؤيد شيخ، وعمل في بعضها هذه القيسارية وعلوها، ووقفها على مدرسته وجامعه، ثم أخذ السلطان الملك الأشرف برسباي بقية الحوانيت من وقف جمال الدين وجدد عمارتها في سنة سبع وعشرين وثمانمائة.

ذكر الخانات والفنادق

خان مسرور: خان مسرور مكانان، أحدهما كبير والآخر صغير، فالكبير على يسرة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الحريريين، كان موضعه خزانة الدرق التي تقدم ذكرها في خزائن القصر، والصغير على يمنة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الجامع الأزهر، كان ساحة يباع فيها الرقيق، بعد ما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق.

قال ابن الطوير: خزانة الدرق كانت في المكان الذي هو خان مسرور، وهي برسم استعمالات الأساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٦٥/٣

وقال ابن عبد الظاهر **فندق** مسرور؛ مسرور هذا من خدام القصر، خدم الدولة المصرية واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله، وقدمه على حلقته، ولم يزل مقدما في كل وقت، وله بر وإحسان ومعروف، ويقصد في كل حسنة وأجر وبر، وبطل الخدمة في الأيام الكاملية، وانقطع إلى الله تعالى ولزم داره، ثم بنى **الفندق** الصغير إلى جانبه، وكان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق، اشترى ثلثها من والدي رحمه الله، والثلثين من ورثة ابن عنتر، وكان قد ملك **الفندق** الكبير لغلامه ريحان وحبسه عليه، ثم من بعده على الأسرى والفقراء بالحرمين، وهو مائة بيت إلا بيتا، وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع، ولمسرور." (١)

"المذكور بر كثير بالشام وبمصر، وكان قد وصى أن تعمل داره وهي بخط حارة الأمراء مدرسة، ويوقف **الفندق** الصغير عليها، وكانت له ضعية بالشام بيعت للأمير سيف الدين أبي الحسن القيمري بجملة كبيرة، وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته. انتهى.

وقد أدركت **فندق** مسرور الكبير في غاية العمارة، تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم، وكان فيه أيضا مودع الحكم الذي فيه أموال اليتامى والغياب، وكان من أجل **الخانات** وأعظمها، فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمورلنك، وتلاشت أحوال إقليم مصر، قل التجار وبطل مودع الحكم، فقلت مهابة هذا الخان وزالت حرمته وتهدمت عدة أماكن منه، وهو الآن بيد القضاة.

فندق بلال المغيثي: هذا **الفندق** فيما بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية، أنشأه الأمير الطواشي أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثي، أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك، كان حبشي الجنس، حالك السواد، خدم عدة من الملوك، واستقر لالا الملك الصالح علي بن الملك المنصور قلاوون، وكان معظما إلى الغاية، يجلس فوق جميع أمراء الدولة، وكان الملك المنصور قلاوون إذا رآه يقول: رحم الله أستاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب، أنا كنت أحمل شاروزة هذا الطواشي حسام الدين كلما دخل إلى السلطان الملك الصالح حتى يخرج من عنده، فأقدمها له، وكان كثير البر والصدقات وله أموال جزيلة، ومدحه عدة من الشعراء، وأجاز على المديح، وتجاوز عمره ثمانين سنة، فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاون لقتال التتر في سنة تسع وتسعين وستمائة سافر معه، فمات بالسوادة ودفن بها، ثم نقل منها بعد وقعة شقحب إلى تربته بالقرافة فدفن هناك، وما برح هذا **الفندق** يودع فيه التجار وأرباب الأموال صناديق المال، ولقد كنت أدخل فيه فإذا بدائرة صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير، لا يفضل عنها من **الفندق** غير ساحة صغيرة بوسطه، وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجل وصفه، فلما أنشأ الأمير الطواشي

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٦٧/٣

زين الدين مقبل الزمام **الفندق** بالقرب منه، وأنشأ الأمير قلمطاي **الفندق** بالزجاجين، وأخذ الأمير يلبغا السالمي أموال الناس في واقعة تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة، تلاشى أمر هذا **الفندق** وفيه إلى الآن بقية.

فندق الصالح: هذا **الفندق** بجوار باب القوس الذي كان أحد بابي زويلة، فمن سلك اليوم من المسجد المعروف بسام بن نوح يريد باب زويلة، صار هذا **الفندق** على يساره، وأنشأه هو وما يعلوه من الربع، الملك الصالح علاء الدين علي بن السلطان الملك المنصور قلاون، وكان أبوه لما عزم على المسير إلى محاربة التتر ببلاد الشام، سلطنه وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل في شهر رجب سنة تسع وسبعين وستمائة، وشق به شارع القاهرة من باب النصر إلى أن عاد إلى قلعة الجبل، وأجلسه على مرتبته، وجلس إلى جانبه." (١)

"**فندق** ابن قريش: هذا **الفندق**، قال ابن عبد الظاهر: **فندق** ابن قريش استجده القاضي شرف الدين إبراهيم بن قريش، كاتب الإنشاء، وانتقل إلى ورثته. انتهى.

إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش: أبو إسحاق القرشي المخزومي المصري الكاتب شرف الدين، أحد الكتاب المجيدين خطا وإنشاء، خدم في دولة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وفي دولة ابنه الملك الكامل محمد بديوان الإنشاء، وسمع الحديث بمكة ومصر، وحدث، وكانت ولادته بالقاهرة في أول يوم من ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وقرأ القرآن وحفظ كثيرا من كتاب المهذب في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، وبرع في الأدب، وكتب بخطه ما يزيد على أربعمائة مجلد، ومات في الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وكالة قوصون: هذه الوكالة في معنى **الفنادق** **والخانات**، ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب والرب ونحو ذلك، وموضعها فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء، كانت أخيرا دارا تعرف بدار تعويل البوعاني، فأخربها وما جاورها الأمير قوصون، وجعلها **فندقا** كبيرا إلى الغاية، وبدائره عدة مخازن، وشرط أن لا يؤجر كل مخزن إلا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك، ولا يخرج أحد من مخزنه، فصارت هذه المخازن تتوارث لقلة أجرتها وكثرة فوائدها، وقد أدركنا هذه الوكالة، وأن رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها، ثم تلاشى أمرها منذ خربت الشام في

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٦٨/٣

سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمورلنك، وفيها إلى الآن بقية، ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلثمائة وستين بيتا، أدركناها عامرة كلها، ويحزر أنها تحوي نحو أربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير، فلما كانت هذه المحن في سنة ست وثمانمائة، خرب كثير من هذه البيوت وكثير منها عامر آهل.

فندق دار التفاح: هذه الدار هي فندق تجاه باب زويلة، يرد إليه الفواكه على اختلاف أصنافها مما ينبت في بساتين ضواحي القاهرة، ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية، إنما يباع في وكالة قوصون إذا قدم، ومنها ينقل إلى سائر أسواق القاهرة ومصر ونواحيهما، وكان موضع دار التفاح هذه في القديم من جملة حارة السودان التي عملت بستانا في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. وأنشأ هذه الدار الأمير طقوزدمر بعد سنة أربعين وسبعمائة، ووقفها على خانقاه بالقرافة، وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة تذكر رؤيتها وشم عرفها الجنة لطيبها وحسن منظرها، وتأنق الباعة في تنضيدها، واحتفافها بالرياحين والأزهار، وما بين الحوانيت مسقوف حتى لا يصل إلى الفواكه حر الشمس، ولا يزال ذلك الموضع غضا طريا إلا أنه قد اختل منذ سنة ست." (١)

"وثمانمائة، وفيه بقية ليست بذاك، ولم تزل إلى أن هدم علو الفندق وما بظاهره من الحوانيت في يوم السبت سادس عشر شعبان، سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وذلك أن الجامع المؤيدي جاءت شبابيكه الغربية من جهة دار التفاح، فعمل فيها كما صار يعمل في الأوقاف، وحكم باستبدالها ودفع في ثمن نقضها ألف دينار إفريقية، عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدي فضة، ويتحصل من أجرتها إلى أن ابتدئ بهدمها في كل شهر سبعة آلاف درهم فلوسا، عنها ألف مؤيدي، فاستشنع هذا الفعل ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفندق.

وكالة باب الجوانية: هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة، فيما بين درب الرشيدي ووكالة قوصون، كان موضعها عدة مساكن، فابتدأ الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار بهدمها في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة، وبناها فندقا وربعا بأعلاه، فلما كملت رسم الملك الظاهر برقوق أن تكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام في البحر، كالزيت والرب والدبس، ويصير ما يرد في البر يدخل به على عادته إلى وكالة قوصون، وجعلها وقفا على المدرسة الخانقاه التي أنشأها بخط بين القصرين، فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم.

خان الخليلي: هذا الخان بخط الزراكشة العتيق، كان موضعه تربة القصر التي فيها قبور الخلفاء الفاطميين

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/١٧٠

المعروفة بتربة الزعفران، وقد تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب. أنشأه الأمير جهاركس الخليلي أميراخور الملك الظاهر برقوق، وأخرج منها عظام الأموات في المزابل على الحمير وألقاها بكيمان البرقية، هوانا بها، فإنه كان يلوذ به شمس الدين محمد بن أحمد القليجي الذي تقدم ذكره في ذكر الدور من هذا الكتاب وقال له: إن هذه عظام الفاطميين، وكانوا كفارا رفضة، فاتفق للخليلي في موته أمر فيه عبرة لأولي الألباب، وهو أنه لما ورد الخبر بخروج الأمير بلبغا الناصري نائب حلب، ومجيء الأمير منطاش نائب ملطية إليه، ومسيرهما بالعساكر إلى دمشق، أخرج الملك الظاهر برقوق خمسمائة من المماليك، وتقدم لعدة من الأمراء بالمسير بهم، فخرج الأمير الكبير ايتمش الناصري والأمير جهاركس الخليل هذا، والأمير يونس الدوادار، والأمير أحمد بن بلبغا الخاصكي، والأمير ندكار الحاجب، وساروا إلى دمشق، فلقيهم الناصري ظاهر دمشق، فانكسر عسكر السلطان لمخامرة ابن بلبغا وندكار، وفر أيتمش إلى قلعة دمشق، وقتل الخليلي في يوم الاثنين حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وترك على الأرض عاريا وسوءته مكشوفة، وقد انتفخ وكان طويلا عريضا إلى أن تمزق وبلي عقوبة من الله تعالى بما هتك من رمم الأئمة وأبنائهم، ولقد كان عفا الله عنه عارفا خبيرا بأمر دنياه، كثير الصدقة، ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير، منه في اليوم رغيفان، فعمل ذلك مدة سنين، ثم لما عظمت الأسعار بمصر وتغيرت نقودها، من سنة ست وثمانمائة، صار يحمل إلى مكة مال ويفرق بها على الفقراء.." (١)

"فندق طرنطاي: هذا الفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المقس، وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام، وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام طول، كل عمود ستة أذرع بذراع العمل، في دور ذراعين، ويعلوه ربع كبير، فلما كان في واقعة هدم الكنائس وحريق القاهرة ومصر في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، قدم تاجر بعد العصر بزيت، وزن في مكسه عشرين ألف درهم نقرة، سوى أصناف أخر قيمتها مبلغ تسعين ألف درهم نقرة، فلم يتهيأ له الفراغ من نقل الزيت إلى داخل هذا الفندق إلا بعد العشاء الآخرة، فلما كان نصف الليل، وقع الحريق بهذا الفندق في ليلة من شهر ربيع الآخر منها، كما كان يقع في غير موضع من فعل النصارى، فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التي كان مبنيا بها، وحتى الأعمدة المذكورة، وصارت كلها جيرا واحترق علوه، وأصبح التاجر يستعطي الناس وموضع هذا الفندق.

ذكر الأسواق

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٧١/٣

قال ابن سيدة: والسوق التي يتعامل فيها تذكر وتؤنث، والجمع أسواق، وفي التنزيل:
إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق
والسوقة لغة فيها، والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان، الذكر والأنثى في ذلك سواء.
وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الأسواق شيء كثير جدا، قد باد أكثرها، وكفاك دليلا على كثرة عددها أن الذي خرب من الأسواق فيما بين أراضي اللوق إلى باب البحر بالمقص، اثنان وخمسون سوقا، أدركناها عامرة، فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتا، وهذه الخطة من جملة ظاهر القاهرة الغربي، فكيف ببقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر، وسأذكر من أخبار الأسواق ما أجد سبيلا إلى ذكره إن شاء الله تعالى.
القصبة: قال ابن سيدة: قصبة البلد، مدينته، وقيل معظمه. والقصبة هي أعظم أسواق مصر، وسمعت غير واحد ممن أدركته من المعمرين يقول: أن القصبة تحتوي على اثني عشر ألف حانوت، كأنهم يعنون ما بين أول الحسينية مما يلي الرمل إلى المشهد النفيسي، ومن اعتبر هذه المسافة اعتبارا جيدا لا يكاد أن ينكر هذا الخبر. وقد أدركت هذه المسافة بأسرها عامرة الحوانيت غاصة بأنواع المآكل والمشارب والأمتعة، تبهج رؤيتها ويعجب الناظر هيئتها، ويعجز العاد عن إحصاء ما فيها من الأنواع، فضلا عن إحصاء ما فيها من الأشخاص، وسمعت الكافة ممن أدركت يفاخرون بمصر سائر البلاد ويقولون: يرمى بمصر في كل يوم ألف دينار ذهبا على الكيمان والمزابل، يعنون بذلك ما يستعمله اللبانون والجبانون والطباخون من الشقاف الحمر التي يوضع فيها اللبن، والتي يوضع فيها الجبن، والتي تأكل فيها الفقراء الطغام بحوانيت الطباخين، وما يستعمله بياعوا الجبن من الخيط والحصر التي تعمل تحت الجبن في الشقاف، وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق." (١)

"الأتراك ألبسه الشربوش، وهو شيء يشبه التاج، كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة، ويلبس معه على قدر رتبته، إما ثوب بخ، أو طرد وحش، أو غيره، فعرف هذا السوق بالشرابشيين نسبة إلى الشرابيش المذكورة، وقد بطل الشربوش في الدولة الجركسية.
وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء التشاريف والخلع وبيعها على السلطان في ديوان الخاص وعلى الأمراء، وينال الناس من ذلك فوائد جليلة، ويقتنون بالمتجر في هذا الصنف سعادات طائلة، فلما كانت هذه الحوادث منع الناس من بيع هذا الصنف إلا للسلطان، وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٧٢/٣

سائر ما يحتاج إليه، ومن اشترى من ذلك شيئا سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه، والأمر على هذا إلى يومنا الذي نحن فيه.

وأول من عملته خلع عليه من أهل الدول جعفر بن يحيى البرمكي، وذلك أن أمير المؤمنين هارون الرشيد قال في اليوم الذي انعقد له فيه الملك: يا أخي يا جعفر، قد أمرت لك بمقصورة في داري، وما يصلح لها من الفراش، وعشر جوارتكن فيها ليلة مبيتك عندنا.

فقال: يا أمير المؤمنين ما من نعمة متواترة، ولا فضل متظاهر إلا ورأي أمير المؤمنين أجمل وأتم، ثم انصرف وقد خلع عليه الرشيد، وحمل بين يديه مائة بدرة دراهم ودنانير، وأمر الناس فركبوا إليه حتى سلموا عليه، وأعطاه خاتم الملك ليختم به على ما يريد، فبلغ بذلك صيته أقطار الأرض، ووصل إلى ما لم يصل إليه كاتب بعده، فاقتدي بالرشيد من بعده، وخلعوا على أولياء دولتهم وولاة أعمالهم، واستمر ذلك إلى اليوم.

وأول ما عرف شد السيوف في أوساط الجند: أن سيف الدين غازي بن عماد الدين أتابك زنكي بن أق سنقر صاحب الموصل، أمر الأجناد أن لا يركبوا إلا بالسيوف في أوساطهم، والدبابيس تحت ركبهم، فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الأطراف، وهو أيضا أول من حمل على رأسه الصنجق في ركوبه، وغازي هذا هو أخو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، ومات في آخر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وولي الموصل بعده أخوه قطب الدين مودود.

سوق الحوائصيين: هذا السوق يتصل بوسق الشرابشيين، وتباع فيه الحوائص، وهي التي كانت تعرف بالمنطقة في القديم، فكانت حوائص الأجناد أولا أربعمائة درهم فضة ونحوها، ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الأمراء الكبار ثلثمائة دينار، وأمراء **الطبلخانات** مائتي دينار، ومقدمي الحلقة من مائة وسبعين إلى مائة وخمسين دينارا، ثم صار الأمراء والخاصكية في الأيام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب، ومنها ما هو مرصع بالجوهر، ويفرق السلطان في كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيئا كثيرا، وما زال الأمر على ذلك إلى أن ولي الناصر فرج، فلما كان في أيام الملك المؤيد." (١)

"ووقف القاضي الرئيس المختار العدل زكي الدين أبو العباس أحمد بن مرتضى بن سيد الأهل بن يوسف، حصة من البستان الكبير المعروف يومئذ بالمخاريق الكبرى، الكائن فيما بين القاهرة ومصر بعدوة الخليج على الفربات، وشرط أن الناظر يشتري في كل فصل من فصول الشتاء من قماش الكتان الخام أو القطن ما يراه، ويعمل ذلك جبابا وبغالطيقا محشوة قطنا، وتفرق على الأيتام الذكور والإناث الفقراء غير

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/١٨٠

البالغين بالشارع الأعظم، خارج باب زويلة، فيدفع لكل واحد جبة واحدة أو بغلطاقا، فإن تعذر ذلك كان على الأيتام المتصفين بالصفات المذكورة بالقاهرة ومصر وقرافتيهما، وكان هذا الوقف في سنة ستين وستمائة. فلما كثرت العمائر خارج باب زويلة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد سنة سبعمائة، صار هذا الشارع أوله تجاه باب زويلة وآخره في الطول الصليبة التي تنتهي إلى جامع ابن طولون وغيره، لكنهم لا يريدون بالشارع سوى إلى باب القوس الذي بسوق الطيوريين، وهو الباب الجديد، وبعد باب القوس سوق الطيوريين، ثم سوق جامع قوصون وسوق حوض ابن هنس وسوق ربع طفجي، وهذه أسواق بها عدة حوانيت، لكنها لا تنتهي إلى عظم أسواق القاهرة، بل تكون أبدا دونها بكثير، فهذا حال القصبة والشارع خارج باب زويلة، وقد بقيت عدة أسواق في جانبي القصبة، ولها أبواب شارعة وفيها أسواق أخر في نواحي القاهرة، ومسالكها سيأتي ذكرها بحسب القدرة إن شاء الله تعالى.

سويقة أمير الجيوش: هذه السويقة الآن فيما بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين، كانت تعرف بسوق الخروقيين فيما بعد زوال الدولة الفاطمية، وفي هذا السوق عمر الأمير مازكوج الأسدي مدرسته المعروفة الآن بالأكجية، وأدركت الناس إلى هذا الزمن الذي نحن فيه لا يعرفون هذا السوق إلا بسوق أمير الجيوش، ويعبرون عنه بصيغة التصغير، ولا أعرف لهم مستندا في ذلك، والذي تشهد به الأخبار أن سوق أمير الجيوش هو السوق الذي برأس حارة برجوان، ويمتد إلى رأس سويقة أمير الجيوش الآن، وهذه السويقة من أكبر أسواق القاهرة، بها عدة حوانيت، فيها الرفاءون والحباكون، وعدة حوانيت للرسامين، وعدة حوانيت للفراءين، وعدة حوانيت للخياطين، ومعظمها لسكن البزازين والخلعيين، وفيها عدة من بياعي الأقباع، ويباع في هذا السوق سائر الثياب المخيطة والأمتعة من الفرش ونحوها. وهو شارع من شوارع القاهرة، يسلك فيه من باب الفتوح وبين القصرين وباب النصر إلى باب القنطرة وشاطيء النيل وغيره، وكان ما بعد هذا السوق إلى باب القنطرة معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الطرائف والمغازل والكتان والأنواع من المأكل والعطر وغيره، وقد خرب أكثر هذه الحوانيت في سني المحنة وما بعدها، ولسويقة أمير الجيوش عدة قياسر **وفنادق** والله أعلم.

سوق الجملون الصغير: هذا السوق يسلك فيه من رأس سويقة أمير الجيوش إلى باب." (١)

"الظاهر: الصاغة بالقاهرة كانت مطبخا للقصر، يخرج إليه من باب الزهومة، وهو الباب الذي هدم وبني مكانه قاعة شيخ الحنابلة من المدارس الصالحية، وكان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٨٣/٣

ألف ومائتا قدر من جميع الألوان في كل يوم، تفرق على أرباب الرسوم والضعفاء، وسمي باب الزهومة، أي باب الزفر، لأنه لا يدخل باللحم وغيره إلا منه، فاختص بذلك. انتهى.

والصاغة الآن وقف على المدارس الصالحية، وقفها الملك السعيد بركة خان المسمى بناصر الدين محمد ولد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري على الفقهاء المقررين بالمدارس الصالحية.

سوق الكتبيين: هذا السوق فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية، أحدث فيما أظن بعد سنة سبعمائة، وهو جار في أوقاف المارستان المنصوري، وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر تجاه الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص في أول زقاق القناديل، بجوار دار عمرو، وأدركته وفيه بقية بعد سنة ثمانين وسبعمائة، وقد دثر الآن فلا يعرف موضعه، وكان قد نقل سوق الكتبيين من موضعه الآن بالقاهرة إلى قيسارية كانت فيما بين سوق الدجاجين المجاور للجامع الأقمر، وبين سوق الحصريين المجاور للركن المخلق، وكان يعلو هذه القيسارية ربع فيه عدة مساكن، فتضررت الكتب من نداوة أقبية البيوت وفسد بعضها، فعادوا إلى سوق الكتب الأول حيث هو الآن، وما برح هذا السوق مجمعا لأهل العلم يترددون إليه. وقد أنشدت قديما لبعضهم:

مجالسة السوق مذمومة ... ومنها مجالس قد تحتسب

فلا تقربن غير سوق الجياد ... وسوق السلاح وسوق الكتب

فهاتيك آلة أهل الوغى ... وهاتيك آلة أهل الأدب

سوق الصنادقيين: هذا السوق تجاه المدرسة السيوفية، كان موضعه في القديم من جملة المارستان، ثم عرف **بفندق** الدبابليين، وقيل له الآن سوق الصنادقيين، وفيه تباع الصناديق والخزائن والأسرة مما يعمل من الخشب، وكان ما بظاهرها قديما يعرف بسكن الدجاجين، وأدركناه يعرف بسوق السيوفيين، وكان فيه عدة طباخين لا يزال دخان كوانينهم منعقدا لكثرته. حتى قال لي شيخنا قاضي القضاة مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم الحنفي:

أن قاضي القضاة جلال الدين جاد الله قال له: هذا السوق قطب دائرة الدخان، وفي سوق الصنادقيين إلى الآن بقية.

سوق الحريريين: هذا السوق من باب قيسارية العنبر إلى خط البندقانيين، كان يعرف قديما بسقيفة العداس، ثم عمل صاغة القاهرة، ثم سكن هناك الأساكفة.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٨٥/٣

"وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر. وكان الإصطبل للأزد فاشتراه منهم الحكم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فبناه وكان يجرى على الذي يقرأ في المصحف الذي وضعوه في المسجد الذي يقال له مصحف أسماء، من كراه في كل شهر ثلاثة دنانير، فلما حيزت أموالهم، يعني أموال بني أمية، وضمت إلى مال الله، حيز الإصطبل فيما حيز وكتب بأمر المصحف إلى أمير المؤمنين أبي العباس السفاح، فكتب أن أقروا مصحفهم في مسجدهم على حاله، وأجروا على الذي يقرأ فيه ثلاثة دنانير في كل شهر من مال الله تعالى.

وقال القضاعي: بركة الحبش كانت تعرف ببركة المغافر وحمير، وتعرف باصطبل قامش، وكانت في ملك أبي بكر محمد بن علي المارداني، بجميع ما تشتمل عليه من المزارع والجنان خلا الجنان التي في شرقيها، وأظنها الجنان المنسوبة إلى وهب بن صدقة، وتعرف بالحبش، فإني رأيت في شرط هذه البركة أن الحد الشرقي ينتهي إلى الفضاء الفاصل بينها وبين الجنان المعروفة بالحبش، فدل على أن الجنان خارجة عنها. وذكر ابن يونس في تاريخه: أن في قبلي بركة الحبش جنانا تعرف بقتادة بن قيس بن حبشي الصدفي شهد فتح مصر، والجنان تعرف بالحبش، وبه تعرف بركة الحبش، وذكر بعض هذا الشرط أن الحد البحري ينتهي إلى البئر الطولونية وإلى البئر المعروفة بموسى بن أبي خليد، وهذه البئر هي البير المعروفة بالنعش. ورأيت في كتاب شرط هذه البركة أنها محبسة على البئرين اللتين استنبطهما أبو بكر المارداني في بني وائل بحضرة الخليج والقنطرة المعروفة، أحدهما **بالفندق** والأخرى بالعتيق، وعلى السرب الذي يدخل منه الماء إلى البئر الحجارة المعروفة بالروا، التي في بني وائل، ذات القناطر التي يجرى فيها الماء إلى المصنعة التي بحضرة العقبة التي يصار منها إلى يحصب، وهي المصنعة المعروفة بدليله، وعلى القنوات المتصلة بها التي تصب إلى المصنعة ذات العمد الرخام القائمة فيها، المعروفة بسمينة، وهي التي في وسط يحصب. ويقال أن هناك كانت سوق ليحصب، وذكر في هذا الشرط دارا له في موضع السقاية المعروفة بسقاية زوف، وشرط أن تنشأ هذه الدار مصنعة على مثل هذه المصنعة المقدم ذكرها، المعروفة بسمينة، وهي سقاية زوف اليوم، وعلى القناة التي يجري فيها الماء إلى مصنعة ذكر أنه كان أنشأها عند البئر المعروفة اليوم ببئر القبة، والحوض الذي هناك بحضرة المسجد المعروف بمسجد القبة، وكانت هذه المصنعة تسمى ريا، وجعل هذا الحبس أيضا على البئر التي له بالحبانية بحضرة الخندق، وذكر أنها تعرف بالقبانية، وأن ماءها يجري إلى المصنعة المقابلة للميدان من دار الإمارة في طريق المصلى القديم، ثم إلى المصنعة التي تحت مسجده

المقابل لدار عبد العزيز، ثم إلى المصنعة المقابلة لمسجد التربة المجاورة لمسجد الأخضر، وتاريخ هذا الشرط شهر رمضان." (١)

"درهم، فشكا الناس ذلك إلى الأمير أرغون العلائي والي السلطان الملك الكامل شعبان بن الملك الناصر محمد بن قلاون، فطلب المهندسين ورئيس البحر، وركب السلطان بأمرائه من القلعة إلى شاطيء النيل، فلم يتهيأ عمل لما كان من ابتداء زيادة النيل، إلا أن الرأي اقتضى نقل التراب والشقاف من مطابخ السكر التي كانت بمصر وإلقاء ذلك بالروضة. لعمل الجسر، فنقل شيء عظيم من التراب في المراكب إلى الروضة، وعمل جسر من الجزيرة إلى نحو المقياس، في طول نحو ثلثي ما بينهما من المسافة، فعاد الماء إلى جهة مصر عودا يسيرا وعجزوا عن إيصال الجسر إلى المقياس لقلة التراب، وقويت الزيادة حتى علا الماء الجسر بأسره، واتفق قتل الملك الكامل بعد ذلك، وسلطنة أخيه الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاون أول جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة.

فلما دخلت سنة ثمان وأربعين، وقف جماعة من الناس للسلطان في أمر البحر واستغاثوا من بعد الماء وانكشاف الأراضي من تحت البيوت، وغلاء الماء في المدينة، فأمر بالكشف عن ذلك، فنزل المهندسون واتفقوا على إقامة جسر ليرجع الماء عن بر الجيزة إلى بر مصر والقاهرة، وكتبوا تقدير ما يصرف فيه مائة وعشرين ألف درهم فضة، فأمر بجبايتها من أرباب الأملاك التي على شط النيل، وأن يتولى القاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر المحتسب جبايتها واستخراجها، فقيست الدور وأخذ عن كل ذراع من أراضيها خمسة عشر درهما، وتولى قياسها أيضا المحتسب ووالي الصناعة، فبلغ قياسها سبعة آلاف وستمائة ذراع، وجبي نحو السبعين ألف درهم، فاتفق عزل الضياء عن الحسبة، ونظر المارستان المنصوري، ونظر الجوالي، وولاية ابن الأطروش مكانه، ثم قتل الملك المظفر وولاية أخيه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون سلطنة مصر بعده، في شهر رمضان منها، فلما كانت في سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقع الاهتمام بعمل الجسر، فنزل الأمير بلبغا أروس نائب السلطنة، والأمير منجك الاستادار، وكان قد عزل من الوزارة، والأمير قيلاي الحاجب، وجماعة من الأمراء ومعهم عدة من المهندسين إلى البحر في الحراريق، والمراكب إلى بر الجيزة، وقاسوا ما بين بر الجيزة والمقياس، وكتب تقدير المصروف نحو المائة والخمسين ألف درهم، وألف خشبة من الخشب، وخمسمائة صار، وألف حجر في طول ذراعين وعرض ذراعين، وخمسة آلاف شنفة، وغير ذلك من أشياء كثيرة.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٢٧٠

فركب النائب والوزير والأمير شيخو والأمراء إلى الجيزة، وأعادوا النظر في أمر الجسر ومعهم أرباب الخبرة، فالتزم الأمير منجك بعمل الجسر، وأن يتولى جباية المصروف عليه من سائر الأمراء والأجناد والكتاب وأرباب الأملاك، بحيث أنه لا يبقى أحد حتى يؤخذ منه، فرسم لكتاب الجيش بكتابة أسماء الجند، وقرر على كل مائة دينار من الإقطاعات درهم واحد، وعلى كل أمير من خمسة آلاف درهم إلى أربعة آلاف درهم، وعلى كل كاتب أمير ألف، مائتا درهم، وكاتب أمير **الطبلخانات** مائة درهم، وعلى كل حانوت من حوانيت." (١)

"التجار درهم، وعلى كل دار در همان، وعلى كل بستان الفدان من عشرين درهما إلى عشرة دراهم، وعلى كل طاحون خمسة دراهم. عن الحجر، وعلى كل صهريج في تربة بالقرافة أو في ظاهر القاهرة أو في مدرسة من عشرة دراهم إلى خمسة دراهم، وعلى كل تربة من ثلاثة دراهم إلى در همين، وعلى أصحاب المقاعد والمتعيشين في الطرقات شيء، وكشفت البساتين والدور التي استجدت من بولاق إلى منية الشيرج، والتي استجدت في الحكورة، والتي استجدت على الخليج الناصري، وعلى بركة الحاجب، وفي حكر أخي صاروجا، وقيست أراضيها كلها، وأخذ عن كل ذراع منها خمسة عشر درهما، وأخذ عن كل قمين من أقمنة الطوب شيء، وعن كل فاخورة من الفواخير شيء، وفرض على كل وقف بالقاهرة ومصر والقرافتين من الجوامع والمساجد والخوانك والزوايا والربط شيء، وكتب إلى ولاة الأعمال بالجباية من ديورة النصارى وكنائسهم من مائتي درهم إلى مائة درهم، وقرر على **الفنادق** **والخانات** التي بالقاهرة ومصر شيء، وقرر على ضامنة الأغاني مبلغ خمسين ألف درهم، وأقيم لكل جهة شاد وصيرفي وكتاب وغير ذلك من المستخثين من الأعوان، فنزل من ذلك بالناس بلاء كبير وشدة عظيمة، فإنه أخذ حتى من الشيخ والعجوز والأرملة، وجبى المال منهم بالعسف، وأبطل كثير منهم سببه لسعيه في الغرامة ودهي الناس مع الغرامة، يتسلط الظلمة من العرفاء والضمان والرسل، فكان يغرم كل أحد للقابض والشاد والصيرفي والشهود سوى ما قرر عليه جملة دراهم، فكثر كلام الناس في الوزير حتى صاروا يلهجون بقولهم هذه سخطة مرصص نزلت من السماء على أهل مصر، وقاسوا شدة أخرى في تحصيل الأصناف التي يحتاج إليها، ونزل الوزير منجك وضرب له خيمة على جانب الروضة، ونادى في الحرافيش والفعلة، من أراد العمل يحضر ويأخذ أجرته درهما ونصفا وثلاثة أرغفة، فاجتمع إليه عالم كثير، وجعل لهم شيئا يستظلون به من حر الشمس، وأحسن إليهم، ورتب عدة مراكب لنقل الحجر، وأقام عدة من الحجارين في لجبل لقطع الحجر، وجمالا وحميرا تنقلها من الجبل

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٢٩٦

إلى البحر، ثم تحمل من البر في المراكب إلى بر الجيزة، وابتدأ بعمل الجسر من الروضة إلى ساقية علم الدين بن زنبور، وعارضه بجسر آخر من بستان التاج إسحاق إلى ساقية ابن زنبور، وأقام أخشابا من الجهتين، وردم بينهما بالتراب والحجر والحلفاء، ورتب الجمال السلطانية لقطع الطين من بر الروضة وحمله إلى وسط الجسر، وأمر أن لا يبقى بالقاهرة ومصر صانع إلا حضر العمل، وألزم من كان بالقرب من داره كوم تراب أن ينقله إلى الجسر، فغرم كل واحد من الناس في نقل التراب من ألف درهم درهم إلى خمسمائة درهم، وكان كل ما ينقل في المراكب من الحجر وغيره يرمى في وسط جسر المقياس، وتحمله الجمال إلى الجسر، ثم اقتضى الرأي حفر خليج يجري الماء فيه عند زيادة النيل لتضعف قوة التيار عن الجسر، فأحضرت الأبقار والجراريف والرجال لأجل ذلك، وابتدؤوا حفره من رأس موردة الحلفاء تحت الدور إلى بولاق، وكانت الزيادة." (١)

"قد قرب أوانها فما انتهى الحفر حتى زاد ماء النيل وجرى فيه، فسر الناس به سرورا كبيرا، وانتهى عمل الجسر في أربعة أشهر.

إلا أن الشناعة قويت على الوزير، وبلغ الأمراء النائب ما يقال عن منجك من كثرة جباية الأموال، فحدثه في ذلك ومنعه، فاعتذر بأنه لم يسخر أحدا ولا استعمل الناس إلا بالأجرة، وأن في هذا العمل للناس عدة منافع، وما علي من قول أصحاب الأغراض الفاسدة، ونحو ذلك، وتمادى على ما هو عليه، فلما جرى الماء في الخليج الذي حفر تحت البيوت من موردة الحلفاء إلى بولاق، مرت فيه المراكب بالناس للفرجة، واحتاج منجك إلى نقل خيمته من بر الروضة إلى بر الجيزة، وأحضر المراكب الكبار وملأها بالحجارة، وغرق منها عشرة مراكب في البحر، وردم التراب عليها إلى أن كمل نحو ثلثي العمل، فقويت زيادة الماء وبطل العمل.

فلما كثرت الزيادة جمع منجك الحرافيش والأسرى، وردم على الجسر التراب وقواه، فتحامل الماء عن البر الغربي إلى البر الشرقي ومر من تحت الميدان السلطاني وزريبة قوصون إلى بولاق، فصار معظمه من هذه المواضع، وحصل الغرض بكون الماء بالقرب من القاهرة، وانتهى طول جسر منجك إلى مائتين وتسعين قصبة في عرض ثمان قصبات، وارتفاع أربع قصبات، والجسر الذي من الروضة إلى المقياس طوله مائتان وثلاثون قصبة، وعدة ما رمي في هذا العمل من المراكب المشحونة بالحجر اثنا عشر ألف مركب سوى التراب. وغير ذلك، وكان ابتداء العمل في مستهل المحرم وانتهاؤه في سلخ ربيع الآخر، ولم تنحصر الأموال

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٩٧/٣

التي جبيت بسببه، فإنه لم يبق بالقاهرة ومصر دار ولا **فندق** ولا حمام ولا طاحون ولا وقف جامع أو مدرسة أو مسجد أو زاوية ولا رزقة ولا كنيسة إلا وجبي منه، فكان الرجل الواحد يغرم العشرة دراهم، ومن خصه درهمان يحتاج إلى غرامة أمثالهما وأضعافهما، وناهيك بمال يجبى من الديار المصرية على هذا الحكم كثرة، وقد بقيت من جسر منجك هذا بقية هي معروفة اليوم في طرف الجزيرة الوسطى.

جسر الخليلي: هذا الجسر فيما بين الروضة من طرفها البحري وبين جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى، تجاه الخور، وكان سبب عمله أن النيل لما قوي رمى تياره على بر القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون، وقام في عمل الجسر ليصير رمي التيار من جهة البر الغربي كما تقدم ذكره، انطرد الماء عن بر القاهرة وانكشف ما تحت الدور من منشأة المهراني إلى منية الشيرج، وعمل منجك الجسر الذي مر ذكره ليعود الماء في طول السنة إلى بر القاهرة، فلم يتهيأ كما كان أولا، وجرى في الخليج الذي احتفره تحت الدور من موردة الحلفاء بمصر إلى بولاق، وصار تجاه هذا الخليج جزيرة، والماء لا يزال ينطرد في كل سنة عن بر القاهرة إلى أن استبد بتدبير مصر الأمير الكبير برقوق.." (١)

"مارستان، وفي بلادها من الخوانك والربط نحو ألفين، وبها جامع ارتفاع مئذنته ستمائة ذراع في الهواء، وللسلطان خدمة مرتين في كل يوم بكرة وبعد العصر، ورتب الأمراء على هذه الأنواع، أعلاهم قدرا **الخانات** ثم الملوك ثم الأمراء ثم الأسفهسلارية ثم اجلند، وفي خدمته ثمانون خانا، وعسكره تسعمائة ألف فارس، وله ثلاثة آلاف فيل تلبس في الحروب البرك اصطونات الحديد المذهب، وتلبس في أيام السلم جلال الديباج وأنواع الحرير وتزين بالقصور والأسرة المصفحة ويشد عليها بروج الخشب يركب فيها الرجال للحرب، فيكون على الفيل من عشرة رجال إلى ستة، وله عشرون ألف مملوك أتراك، وعشرة آلاف خادم خصي، وألف خازندار، وألف مشبقدار، ومائتا ألف عبد ركابية تلبس السلاح وتمشي بركابه وتقاتل رجالة بين يديه، والاسفهسلارية لا يؤهل منهم أحد لقرب السلطان، وإنما يكون منهم نوع الولاة، والخان يكون له عشرة آلاف فارس، وللملك ألف، وللأمير مائة فارس، وللاسفسلار دون ذلك، ولكل خان عبرة لكين كل لك مائة ألف تنكة، كل تنكة ثمانية دراهم، ولكل ملك من ستين ألف تنكة إلى خمسين ألف تنكة، ولكل أمير من أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة، ولكل اسفهسلار من عشرين ألف تنكة إلى ما حولها، ولكل جندي من عشرة آلاف تنكة إلى ألف تنكة، ولكل مملوك من خمسة آلاف تنكة إلى ألف تنكة، سوى طعامهم وكساويهم وعليقهم، ولكل عبد في الشهر منان من الحنطة والأرز، في كل يوم ثلاثة

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٩٨/٣

أستار لحم وما يحتاج إليه، وفي كل شهر عشر تنكات بيضاء، وفي كل سنة أربع كساو. وللسلطان دار طراز فيها أربعة آلاف قزاز لعمل أنواع القماش، سوى ما يحمل له من الصين والعراق والإسكندرية، ويفرق كل سنة مائتي ألف كسوة كاملة، في فصل الربيع مائة ألف، وفي فصل الخريف مائة ألف، ففي الربيع غالب الكسوة من عمل الإسكندرية، وفي الخريف كلها حرير من عمل دار الطراز بدهلي وقماش الصين والعراق، ويفرق على الخوانك والربط الكساوي، وله أربعة آلاف زركشي تعمل الزركش، ويفرق كل سنة عشرة آلاف فرس مسرجة وغير مسرجة سوى ما يعطي الأجناد من البراذين، فإنه بلا حساب يعطي جشارات، ومع هذا فالخيل عنده غالية مطلوبة، وللسلطان نائب من الخانات يسمى ابريت، اقطاعه قدر إقليم بحر العراق، ووزير إقطاعه كذلك، وله أربعة نواب مسمى كل واحد منهم من أربعين ألف تنكة إلى عشرين ألف تنكة، وله أربعة ربيسان أي كتاب سر، لكل واحد منهم ثلاثمائة كاتب، ولكل كاتب إقليم عشرة آلاف تنكة، ولصدر جهان وهو قاضي القضاة قرى يتحصل منها نحو ستين ألف تنكة، ولصدر الإسلام وهو أكبر نواب القاضي، ولشيخ الإسلام وهو شيخ الشيوخ مثل ذلك، وللمحتسب ثمانية آلاف تنكة، وله ألف طبيب ومائتا طبيب، وعشرة آلاف بزدار تركب الخيل وتحمل طيور الصيد، وله ثلاثة آلاف سواق لتحصيل الصيد، وخمسمائة نديم، وألفان ومائتان للملاهي سوى مماليكه، وهم ألف مملوك، وألف شاعر باللغات العربية والفارسية والهندية، يجري عليهم ديوانه." (١)

"ومتى غنى أحد منهم لغيره قتله، ولكل نديم قريتان أو قرية، ومن أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة إلى عشرين ألف تنكة، سوى الخلع والكساوي والافتقادات، ويمد في وقت كل خدمة في المرتين من كل يوم سماط يأكل منه عشرون ألفا مثل الخانات والملوك والأمراء والاسفهسلارية وأعيان الأجناد، وله طعام خاص، يأكل معه الفقهاء وعدتهم مائتا فقيه في الغداء والعشاء، فيأكلون ويتباحثون بين يديه، ويذبح في مطابخه كل يوم ألفان وخمسمائة رأس من البقر، وألفا رأس من الغنم، سوى الخيل وأنواع الطير، ولا يحضر مجلسه من الجند إلا الأعيان، ومن دعته ضرورة إلى الحضور، والندماء وأرباب الأغاني يحضرون بالنوبة، وكذلك الربيسان والأطباء ونحوهم لكل طائفة نوبة تحضر فيها للخدمة، والشعراء تحضر في العيدين والمواسم وأول شهر رمضان، وإذا تجدد نصر على عدو أو فتوح ونحو ذلك مما يهنى به السلطان.

وأمور الجند والعامة مرجعها إلى ابريت، وأمر القضاة كلهم مرجعه إلى صدر جهان، وأمر الفقهاء إلى شيخ الإسلام، وأمر الواردين والوافدين والأدباء والشعراء إلى الربيسان، وهم كتاب السر. وجهز هذا السلطان مرة

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٣٠٧

أحد كتاب سره إلى السلطان أبي سعيد رسولا، وبعث معه ألف ألف تنكة ليتصدق بها في مشاهد العراق، وخمسمائة فرس، فقدم بغداد وقد مات أبو سعيد، وكان هذا السلطان ترعد الفرائض لمهابته وتزلزل الأرض لموكبه، يجلس بنفسه لإنصاف رعيته ولقراءة القصص عليه جلوسا عاما، ولا يدخل أحد عليه ومعه سلاح ولو السكين ويجلس، وعنده سلاح كامل لا يفارقه أبدا، وإذا ركب في الحرب فلا يمكن وصف هيبته، وله أعلام سود في أوساطها تبابين من ذهب تسير عن يمينه، وأعلام حمر فيها تبابين من ذهب تسير عن يساره، ومعه مائتا جمل نقارات، وأربعون جملا كوسات كبارا، وعشرون بوقا، وعشرة صنوج، ويدق له خمس نوب كل يوم، وإذا خرج إلى الصيد كان في جف وعدة من معه زيادة على مائة ألف فارس ومائتي فيل وأربعة قصور خشب على ثمانمائة جمل، كل قصر منها على مائتي جمل كلها ملبسة حريرا مذهبا، كل قصر طبقتان، سوى الخيم والجركاوات، وإذا انتقل من مكان إلى مكان للنزهة يكون معه نحو ثلاثين ألف فارس وألف جنيب مسرجة ملجمة بالذهب المرصع بالجوهر والياقوت، وإذا خرج في قصره من موضع إلى آخر يمر راكبا وعلى رأسه الحبر، والسلاح دارية وراءه بأيديهم السلاح، وحوله نحو اثنا عشر ألف مملوك مشاة، لا يركب منهم إلا حامل الحبر والسلاح دارية والجمدارية حملة القماش، وإذا خرج للحرب أو سفر طويل حمل على رأسه سبع حبورة، منها اثنان مرصعان ليس لهما قيمة، وله فخامة عظيمة وقوانين وأوضاع جليلة، والخانات والملوك والأمراء لا يركب أحد منهم في السفر والحضر إلا بالأعلام، وأكثر ما يحمل الخان سبعة أعلام، وأكثر ما يحمل الأمير ثلاثة، وأكثر ما يجره الخان في الحضر عشرة ﺟﻨائب، وأكثر ما يجر الأمير في الحضر جنيبان، وأما في السفر فحسبما يختار.." (١)

"وكان للسلطان بر وإحسان، وفيه تواضع، ولقد مات عنده رجل فقير فشهد جنازته وحمل نعشه على عنقه، وكان يحفظ القرآن العزيز العظيم والهداية في فقه الحنفية، ويجيد علم المعقول، ويكتب خطا حسنا، ولذته في الرياضة وتأديب النفس، ويقول الشعر ويباحث العلماء ويؤاخذ الشعراء ويأخذ بأطراف الكلام على كل من حضر على كثرة العلماء عنده، والعلماء تحضر عنده وتفطر في رمضان معه بتعيين صدر جهان لهم في كل ليلة، وكان لا يترخص في محذور ولا يقر على منكر ولا يتجاسر أحد في بلاده أن يتظاهر بمحرم، وكان يشدد في الخمر ويبالغ في العقوبة على من يتعاطاه من المقربين منه، وعاقب بعض أكابر الخانات على شرب الخمر وقبض عليه وأخذ أمواله وجملتها أربعمائة ألف ألف مثقال وسبعة وثلاثون ألف ألف مثقال ذهبا أحمر، زنتها ألف وسبعمائة قنطار بالمصري، وله وجوه بر كثيرة منها: أنه يتصدق في كل يوم

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٠٨/٣

بلكين، عنهما من نقد مصر ألف وستمائة ألف درهم، وربما بلغت صدقته في يوم واحد خمسين لكا، ويتصدق عند كل رؤية هلال شهر بلكين دائما، وعليه راتب لأربعين ألف فقير، كل واحد منهم درهم في كل يوم، وخمسة أرطال بر وأرز، وقرر ألف فقيه في مكاتب لتعليم الأطفال القرآن، وأجرى عليهم الأرزاق، وكان لا يدعي بدهلي سائلا بل يجري على الجميع الأرزاق، ويبالغ في الإحسان إلى الغرباء، وقدم عليه رسول من أبي سعيد مرة بالسلام والتودد، فخلع عليه وأعطاه حملا من المال، فلما أراد الانصراف أمره أن يدخل الخزانة ويأخذ ما يختار، فلم يأخذ غير مصحف، فسأله عن ذلك فقال: قد أغناني السلطان بفضله، ولم أجد أشرف من كتاب الله، فزاد إعجابه به وأعطاه مالا جملته ثمانمائة تومان، والتومان عشرة آلاف دينار، وكل دينار ستة دراهم، تكون جملة ذلك ثمانية آلاف ألف دينار، عنها ثمانية وأربعون ألف ألف درهم.

وقصده شخص من بلاد فارس وقدم له كتبا في الحكمة منها كتاب الشفاء لابن سينا، فأعطاه جوهرا بعشرين ألف مثقال من الذهب، وقصده آخر من بخارى بحملي بطيخ أصفر فتلف غالبه حتى لم يبق منه إلا اثنتان وعشرون بطيخة، فأعطاه ثلاثة آلاف مثقال ذهبا، وكان قد التزم أن لا ينطق في إطلاقاته بأقل من ثلاثة آلاف مثقال ذهبا، وبعث ثلاث لكوك ذهبا إلى بلاد ما وراء النهر ليفرق على العلماء لك، وعلى الفقراء لك، ويبتاع له حوائج بلك، وبعث للبرهان الضياء عزه جي شيخ سمرقند بأربعين ألف تنكة، وكان لا يفارق العلماء سفرا وحضرا، ومنار الشرع في أيامه قائم، والجهاد مستمر، فبلغ مبلغا عظيما في إعلاء كلمة الإيمان، فنشر الإسلام في تلك الأقطار وهدم بيوت النيران وكسر النددود والأصنام واتصل به الإسلام إلى أقصى الشرق، وعمر الجوامع والمساجد، وأبطل التثويب في الآذان ولم يخل له يوم من الأيام من بيع آلاف من الرقيق لكثرة السبي، حتى أن الجارية لا يتعدى ثمنها بمدينة دهلي ثمان تنكات، والسرية خمس عشرة تنكة، والعبد المراهق أربعة دراهم، ومع رخص قيمة الرقيق فإنه تبلغ قيمة الجارية الهندية عشرين ألف تنكة، لحسنها ولطف خلقها،." (١)

"فيه الكرم والسفرجل وسائر الفواكه، فلما كمل في سنة خمس وعشرين خرج ومعه الأمراء والأعيان ونزل القصور التي هناك، ونزل الأمراء والأعيان على منازلهم في الأماكن التي بنيت لهم، واستمر يتوجه إليه في كل سنة ويقيم به الأيام ويلعب فيه بالكرة إلى أن مات، فعملل ذلك أولاده الذين ملكوا من بعده.

فكان السلطان يخرج في كل سنة من قلعة الجبل بعد ما تنقضي أيام الركوب إلى الميدان الكبير الناصري

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٣٠٩

وعلى النيل، ومعه جميع أهل الدولة من الأمراء والكتاب وقاضي العسكر وسائر أرباب الرتب، ويسير إلى السرحة بناحية سرياقوس وينزل بالقصور ويركب إلى الميدان هناك للعب الكرة، ويخلع الأمراء وسائر أهل الدولة، ويقيم في هذه السرحة أياما، فيمر للناس في إقامتهم بهذه السرحة أوقات لا يمكن وصف ما فيها من المسرات، ولا حصر ما ينفق فيها من المآكل والهبات من الأموال، ولم يزل هذا الرسم مستمر إلى سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وهي آخر سرحة سار إليها السلطان بسرياقوس، ومن هذه السنة انقطع السلطان الملك الظاهر برقوق عن الحركة لسرياقوس، فإنه اشتغل في سنة ثمانمائة بتحرك المماليك عليه من وقت قيام الأمير علي باي إلى أن مات.

وقام من بعده ابنه الملك الناصر فرج، فما صفا الوقت في أيامه من كثرة الفتن وتواتر الغلوات والمحن، إلى أن نسي ذلك وأهمل أمر الميدان والقصور وخرب، وفيه إلى اليوم بقية قائمة. ثم بيعت هذه القصور في صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة بمائة دينار، لينقض خشبها وشبابيكها وغيرها، فنقضت كلها، وكان من عادة السلطان إذا خرج إلى الصيد لسرياقوس أو شبرا أو البحيرة أنه ينعم على أكابر أمراء الدولة قدرا وسنا، كل واحد بألف مثقال ذهبيا، وبرذون خاص مسرج ولمجم، وكنبوش مذهب، وكان من عادته إذا مر في متصيدانه بإقطاع أمير كبير قدم له من الغنم والإوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو همة مثله إليه، فيقبله السلطان منه وينعم بخلعة كاملة، وربما أمر لبعضهم بمبلغ مال.

وكانت عادة الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث يركب في المدينة وخلفه جنيب، وأما أكابرهم فيركب بجنيبين، هذا في المدينة والحاضرة، وهكذا يكون إذا خرج إلى سرياقوس وغيرها من نواحي الصعيد، ويكون في الخروج إلى سرياقوس وغيرها من الأسفار لكل أمير طلب يشتمل على أكثر مماليكه، وقدامهم خزانة محمولة على جمل واحد يجره راكب آخر على جمل، والمال على جملين، وربما زاد بعضهم على ذلك. وأمام الخزانة عدة جنائب تجر على أيدي مماليك ركاب خيل وهجن، وركاب من العرب على هجن، وأمامها الهجن بأكوارها مجنوبة، وللطبلخانات قطار واحد، وهو أربعة، ومركوب الهجان والمال قطاران، وربما زاد بعضهم، وعدد الجنائب في كثرتها وقلتها إلى رأي الأمير وسعة نفسه، والجنائب منها ما هو مسرج ملجم، ومنها ما هو بعباءة لا غير، وكان يضاهي بعضهم بعضا في." (١)

"إلى هذا الميدان للعب الأكرة يفرق حوائص ذهب على الأمراء المقدمين، وركوبه إلى هذا الميدان دائما يوم السبت في قوة الحر بعد وفاء النيل مدة شهرين من السنة، فيفرق في كل ميدان على اثنين بالنوبة،

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٤٩/٣

فمنهم من تجيء نوبته بعد ثلاث سنين أو أربع سنين، وكان من مصطلح الملوك أن تكون تفرقة السلطان الخيول على الأمراء في وقتين، أحدهما عند ما يخرج إلى مرابط خيله في الربيع عند اكتمال تربيعها، وفي هذا الوقت يعطي أمراء المئين الخيول مسرجة ملجمة بكنابيش مذهبة، ويعطي أمراء الطبلخانات خيلا عريا. والوقت الثاني يعطي الجميع خيولا مسرجة ملجمة بلا كنابيش، بفضة خفيفة، وليس لأمراء العشروات خظ في ذلك إلا ما يتفقدهم به على سبيل الأنعام، ولخاصكية السلطان المقربين من أمراء المئين وأمراء الطبلخانات زيادة كثيرة من ذلك، بحيث يصل إلى بعضهم المائة فرس في السنة.

وكان من شعار السلطان أن يركب إلى اليميدان وفي عنق الفرس رقبة حرير أطلس أصفر بزركش ذهب، فتستر من تحت أذني الفرس إلى حيث السرج، ويكون قدامه اثنان من الأوشاقية راكبين على حصانين اشهبين برقبتين نظير ما هو راكب به، كأنهما معدان لأن يركبهما، وعلى الأوشاقيين المذكورين قبا آن اصفران من حرير بطراز مزركش بالذهب، وعلى رأسهما قبعان مزركشان، وغاشية السرج محمولة أمام السلطان، وهي أديم مزركش مذهب يحملها بعض الركابدارية قدامة وهو ماش في وسط الموكب، ويكون قدامة فارس يشبب بشبابة لا يقصد بنغمها إلا طراب، بل ما يقرع بالمهابة سامعة، ومن خلف السلطان الجنائب، وعلى رأسه العصائب السلطانية، وهي صفر مطرزة بذهب بألقابه واسمه، وهذا لا يختص بالركوب إلى الميدان، بل يعمل هذا الشعار أيضا إذا ركب يوم العيد أو دخل إلى القاهرة أو إلى مدينة من مدن الشام، ويزداد هذا الشعار في يوم العيدين ودخول المدينة برفع المظلة على رأسه، ويقال لها الحبر، وهو أطلس أصفر مزركش من أعلاه قبة وطائر من فضة مذهبة، يحملها يومئذ بعض أمراء المئين الأكابر، وهو راكب فرسه إلى جانب السلطان، ويكون أرباب الوظائف والسلاحدارية كلهم خلف السلطان، ويكون حوله وأمامه الطبردارية، وهم طائفة من الاكراد ذوي الإقطاعات والأمرة، ويكونون مشاة وبأيديهم الأطباء المشهورة.

ذكر قلعة الجبل

قال ابن سيده في كتاب المحكم: القلعة بتحريك القاف واللام والعين وفتحها، الحصن الممتنع في جبل، وجمعها قلاع وقلع، وأقلعوا بهذه البلاد بنوها فجعلوها كالقلعة.

وقيل: القلعة بسكون اللام، حصن مشرف، وجمعه قلوع، وهذه القلعة على قطعة من الجبل وهي تتصل بجبل المقطم، وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة، فتصير." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٥١/٣

"أيضا إلى قصور ثلاثة، ثم إلى دور الحرم السلطانية، وإلى البستان والحمام والحوش، وباقي القلعة فيه دور ومساكن للماليك السلطانية وخواص الأمراء بنسائهم وأولادهم ومماليكهم ودواوينهم **وطشتخاناتهم** «١» **وفرشخاناتهم** «٢» **وشربخاناتهم** «٣» ومطابخهم وسائر وظائفهم، وكانت أكابر أمراء الألوف وأعيان أمراء الطبلخاناه والعشراوات تسكن بالقلعة إلى آخر أيام الناصر محمد بن قلاون، وكان بها أيضا طباق المماليك السلطانية ودار الوزارة، وتعرف بقاعة الصاحب، وبها قاعة الإنشاء وديوان الجيش وبيت المال وخزانة الخاص، وبها الدور السلطانية من الطشتخاناه والركابخاناه والحوائجخاناه والزردخاناه، وكان بها الجب الشنيع لسجن الأمراء، وبها دار النيابة، وبها عدة أبراج يحبس بها الأمراء والمماليك، وبها المساجد والحوانيت والأسواق، وبها مساكن تعرف بخرائب التتر، كانت قدر حارة خربها الملك الأشرف برسباي في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، ومن حقوق القلعة الإصطبل السلطاني، وكان ينزل إليه السلطان من جانب إيوان القصر، ومن حقوقها أيضا الميدان، وهو فاصل بين الإصطبلات وسوق الخيل من غربيه، وهو فسيح المدى وفيه يصلي السلطان صلاة العيدين، وفيه يلعب بالأكرة مع خواصه، وفيه تعمل المدات أوقات المهمات أحيانا، ومن رأى القصور والإيوان الكبير والميدان الأخضر والجامع يقر لملوك مصر بعلو الهمم وسعة الإنفاق والكرم.

باب الدرفيل: هذا الباب بجانب خندق القلعة، ويعرف أيضا بباب المدرج، وكان يعرف قديما بباب سارية، ويتوصل إليه من تحت دار الضيافة وينتهي منه إلى القرافة، وهو فيما بين سور القلعة والجبل.

والدرفيل هو الأمير حسام الدين لاجين الأيدمري، المعروف بالدرفيل، دوادار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، مات في سنة اثنتين وسبعين وستمائة.

دار العدل القديمة: هذه الدار موضعها الآن تحت القلعة، يعرف بالطبلخاناه، والذي بنى دار العدل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، في سنة إحدى وستين وستمائة، وصار يجلس بها لعرض العساكر في كل اثنين وخميس، وابتدأ بالحضور في أول سنة اثنتين وستين وستمائة، وصار يجلس بها لعرض العساكر في كل اثنين وخميس، وابتدأ بالحضور في أول سنة اثنتين وستين وستمائة، فوقف إليه ناصر الدين محمد بن أبي نصر وشكا أنه أخذ له بستان في أيام المعز أيبك، وهو بأيدي المقطعين، وأخرج كتابا مثبتا وأخرج من." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٣٥٨

"ست، ويقال سنة ثمان وثلاثمائة. فصلى فيه رجل يعرف بعلي بن أحمد بن عبد الملك الفهمي، يعرف بابن أبي شيخة صلاة الفطر، ويقال أنه خطب من دفتر نظرا، وحفظ عنه اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مشركون. فقال بعض الشعراء:

وقام في العيد لنا خاطب ... فحرض الناس على الكفر

وتوفي سنة تسع وثلاثمائة.

وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه: منها زاوية الإمام الشافعي رضي الله عنه، يقال أنه درس بها الشافعي فعرفت به، وعليها أرض بناحية سندبيس وقفها السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء. ومنها الزاوية المجدية بصدر الجامع، فيما بين المحراب الكبير ومحراب الخمس، داخل المقصورة الوسطى بجوار المحراب الكبير، رتبها مجد الدين أبو الأشبال الحارث بن مهذب الدين أبي المحاسن مهلب بن حسن بن بركات بن علي بن غياث المهلبي الأزدي البهنسي الشافعي، وزير الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب بحران، وقرر في تدريسها قريبه قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي، وعمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة، ويعد تدريسها من المناصب الجليلة، وتوفي المجد في صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة بدمشق، عن ثلاث وستين سنة. ومنها الزاوية الصاحبية، حول عرفة رتبها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد بن بهاء الدين بن حنا، وجعل لها مدرسين أحدهما مالكي والآخر شافعي، وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة بخط البراذعيين. ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع الذي يدخل إليه من سوق الغزل، رتبها كمال الدين السمنودي، وعليها فندق بمصر موقوف عليها. ومنا الزاوية التاجية، أمام المحراب الخشب، رتبها تاج الدين السطحي، وجعل عليها دورا بمصر موقوفة عليها. ومنها الزاوية المعينية في الجانب الشرقي من الجامع، رتبها معين الدين الدهر وطي، وعليها وقف بمصر. ومنها الزاوية العلائية، تنسب لعلاء الدين الضرير، وهي في صحن الجامع، وهي لقراءة ميعاد. ومنها الزاوية الزينية، رتبها الصاحب زين الدين بقراءة ميعاد أيضا، ذكر ذلك ابن المتوج. وأخبرني المقرئ الأديب المؤرخ الضابط شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي رحمه الله قال:

أخبرني المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، قال: أخبرني العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي، أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء، الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة، بضعا وأربعين حلقة لإقراء العلم، لا تكاد تبرح منه. قال ابن المأمون: حدثني القاضي

المكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود بمصر، أن من جملة الخدم التي كانت بيد والده مشارقة الجامع العتيق، وأن القومة." [١]

"دينار درهما، ومن التجار والمتعيشين في مصر والقاهرة من كل واحد عشرة دراهم إلى خمسة دراهم إلى درهم، ومن أصحاب الأملاك والدور في مصر والقاهرة على كل قاعة ثلاثة دراهم، وعلى كل طبقة درهمين، وعلى كل مخزن أو اصطبل درهما، وجعل المستخرج في خان مسرور بالقاهرة، والمشد على المستخرج الأمير بيلك، فجبى مال كبير، وأما استدمر فإن أحوال الدولة توقفت في أيامه، فسأل في الإعفاء فأعفي وأعيد منجك إلى الوزارة بعد أربعين يوما، وقد تمنع تمنعا كبيرا، ولما عاد إلى الوزارة فتح باب الولايات بالمال، فقصده الناس وسعوا عنده، فولى وعزل وأخذ في ذلك مالا كثيرا. فيقال أنه أخذ من الأمير مازان لما نقله من المنوفية إلى الغربية، ومن ابن الغساني لما نقله من الأشمونين إلى البهنساوية، ومن ابن سلمان لما ولاه منوف ستة آلاف دينار، ووفر إقطاع شاد الدواوين وجعله باسم المماليك السلطانية، ووفر جوامكهم ورواتبهم، وشرع أوباش الناس في السعي عنده في الوظائف والمباشرات بمال، وأتوه من البلاد فقضى أشغالهم ولم يرد أحدا طلب شيئا، ووقع في أيامه الفناء العظيم، فانحلت إقطاعات كثيرة، فاقتضى رأي الوزير أن يوفر الجوامك والرواتب التي للحاشية، وكتب لسائر أرباب الوظائف وأصحاب الأشغال والمماليك السلطانية مثالات بقدر جوامك كل منهم، وكذلك لأرباب الصدقات، فأخذ جماعة من الأقباط ومن الكتاب ومن الموقعين إقطاعات في نظير جوامكهم، وتوفر في الدولة مال كبير عن الجوامك والرواتب. ولما دخلت سنة خمسين رسم الأمير منجك الوزير لمتولي القاهرة بطلب أصحاب الأرباع، وكتابة جميع أملاك الحارات والأزقة، وسائر أخطاط مصر والقاهرة، ومعرفة أسماء سكانها، والفحص عن أربابها ليعرف من توفر عنه ملك بموته في الفناء، فطلبوا الجميع وأمعنوا في النظر، فكان يوجد في الحارة الواحدة والزقاق الواحد ما يزيد على عشرين دارا خالية لا يعرف أربابها، فختموا على ما وجدوه من ذلك ومن **الفنادق والخانات** والمخازن حتى يحضر أربابها. وفي شعبان عزل ولاة الأعمال وأحضرهم إلى القاهرة، وولى غيرهم وأضاف إلى كل وال كشف الجسور التي في عمله، وضمن الناس سائر جهات القاهرة ومصر، بحيث أنه لا يتحدث أحد معه من المقدمين والدواوين والشادين، وزاد في المعاملات ثلاثمائة ألف درهم، وخلع عليه ونودي له بمصر والقاهرة، فاشتد ظلمه وعسفه وكثرت حوادثه. فلما كانت ليالي عيد الفطر، عرف الوزير الأمراء أن سماط العيد ينصرف عليه جملة ولا ينتفع به أحد، فأبطله ولم يعمل تلك السنة. وفي ذي القعدة

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٢/٤

توقف حال الدولة ووقف مماليك السلطان وسائر المعاملين والحوائجكاشية، وانزعج السلطان والأمراء بسبب ذلك على الوزير، فاحتج بكثرة الكلف، وطلب الموفق ناظر الدولة فقال: إن الإنعامات قد كثرت والكلف تزايدت، وقد كانت الحوائجخاناه في أيام الملك الناصر مح‍مد بن قلاون في اليوم ينصرف فيها مبلغ ثلاثة عشر ألف درهم، واليوم ينصرف فيها اثنان." (١)

"اثنتين وستين، خامر الأمير بيدمر نائب الشام على الأمير يلبغا العمري القائم بتدبير دولة الملك المنصور، ووافقه جماعة من الأمراء منهم الأمير منجك، فخرج الأمير يلبغا بالمنصور والعساكر من قلعة الجبل إلى البلاد الشامية، فوافى دمشق ومشى الناس بينه وبين الأمير بيدمر حتى تم الصلح، وحلف الأمير يلبغا أنه لا يؤذي بيدمر ولا منجك، فنزلا من قلعة دمشق وقيدهما وبعث بهما إلى الإسكندرية فسجنا بها إلى أن خلع الأمير يلبغا المنصور وأقام بدله الملك الأشرف شعبان بن حسين وقتل الأمير يلبغا، فأفرج الملك الأشرف عن منجك وولاه نيابة السلطنة بدمشق عوضا عن الأمير علي المارداني في جمادى الأولى سنة تسع وستين، فلم يزل في نيابة دمشق إلى أن حضر إلى السلطان زائرا في سنة سبعين بتقادم كثيرة جليلة، وعاد إلى دمشق وأقام بها إلى أن استدعاه السلطان في سنة خمس وسبعين إلى مصر وفوض إليه نيابه السلطنة بديار مصر، وعمله أتابك العساكر وجعل تدبير المملكة إليه، وأن يخرج الأمهات للبلاد الشامية، وأن يولي ولاة أقاليم مصر والكشاف ويخرج الإقطاعات بمصر من عبرة ستمائة دينار إلى ما دونها، وكانت عادة النواب قبله أن لا يخرج من الإقطاعات إلا ما عبرته أربعمائة دينار فما دونها، فعمل النيابة على قالب جائر وحرمة وافرة إلى أن مات حتف أنفه في يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة، وله من العمر نيف وستون سنة، وشهد جنازته سائر الأعيان، ودفن بتربته المجاورة لجامعه هذا، وله سوى الجامع المذكور من الآثار بديار مصر خان منجك في القاهرة، ودار منجك برأس سويقة العزي بالقرب من مدرسة السلطان حسن، وله بالبلاد الشامية عدة آثار من خانات وغيرها رحمه الله.

الجامع الأخضر

هذا الجامع خارج القاهرة بخط فم الخور، عرف بذلك لأن بابه وقبته فيهما نقوش وكتابات خضر، والذي أنشأه خازندار الأمير شيخو واسمه ... «١» .

جامع البكجري

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٣١/٤

هذا الجامع بحكر البكجري قريبا من الدكة، تعطلت الصلاة فيه منذ خربت تلك الجهات.

جامع السروجي

هذا الجامع بحكر ... «٢» .." [١]

"السلف ويعرض بالناس، فقريء سجل في القصر بالترحم على السلف من الصحابة، والنهي عن الخوض في ذلك، وركب مرة فرأى لوحا على قيسارية فيه سب السلف فأنكره، وما زال واقفا حتى قلع وضرب بالحرس في سائر طرقات مصر والقاهرة، وقريء سجل بتتبع الألواح المنصوبة على سائر أبواب القياسر والحوانيت والدور **والخانات** والأرباع المشتملة على ذكر الصحابة والسلف الصالح، رحمهم الله، بالسب واللعن، وقلع ذلك وكسره وتعفية أثره، ومحو ما على الحيطان من هذه الكتابة، وإزالة جميعها من سائر الجهات حتى لا يرى لها أثر في جدار ولا نقش في لوح، وحذر فيه من المخالفة، وهدد بالعقوبة، ثم انتقض ذلك كله وعاد الأمر إلى ما كان عليه إلى أن قتل الخليفة الآمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد.

وثار أبو علي أحمد الملقب كتيفات ابن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش، و ا ستولى على الوزارة في شنة أربع وعشرين وخمسمائة، وسجن الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن الخليفة المستنصر بالله، وأعلن بمذهب الإمامية والدعوة للإمام المنتظر، وضرب دراهم نقشها: الله الصمد الإمام محمد. ورتب في سنة خمس وعشرين أربعة قضاة، اثنان أحدهما إمامي والآخر إسماعيلي، واثنان أحدهما مالكي والآخر شافعي، فحكم كل منهما بمذهبه وورث على مقتضاه، وأسقط ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق وأبطل من الأذان حي على خير العمل، وقولهم محمد وعلي خير البشر، فلما قتل في المحرم سنة ست وعشرين عاد الأمر إلى ما كان عليه من مذهب الإسماعيلية.

وما برح حتى قدمت عساكر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي من دمشق، عليها أسد الدين شيركوه، وولى وزارة مصر للخليفة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله، ومات، فقام في الوزارة بعده ابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة، وشرع في تغيير الدولة وإزالتها، وحجر على العاضد وأوقع بأمراء الدولة وعساكرها، وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية، ومدرسة للفقهاء المالكية، وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم، وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني الشافعي، فلم يستنب عنه

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٣٤/٤

في إقليم مصر إلا من كان شافعي المذهب، فتظاهر الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعي، واختفى مذهب الشيعة والإسماعيلية والإمامية حتى فقد من أرض مصر كلها، وكذلك كان السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر حنيفا فيه تعصب، فنشر مذهب أبي حنيفة رحمه الله ببلاد الشام، ومنه كثرت الحنفية بمصر، وقدم إليها أيضا عدة من بلاد الشرق، وبنى لهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة السيوفية بالقاهرة، وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ.

وأما العقائد فإن السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي بن." (١)

"مدرسة منازل العز

هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين، بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز، وعرفت بمنازل العز، وكانت تشرف على النيل، وصارت معدة لنزهة الخلفاء، وممن سكنها ناصر الدولة حسين بن حمدان إلى أن قتل، وكان بجانبها حمام يعرف بحمام الذهب من جملة حقوقها، وهي باقية. فلما زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف، أنزل في منازل العز الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فسكنها مدة، ثم إنه اشتراها والحمام والإصطبل المجاور لها من بيت المال في شهر شعبان سنة ست وستين وخمسمائة، وأنشأ فندقين بمصر بخط الملاحين، وأنشأ ربعا بجوار أحد الفندقين، واشترى جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة، فلما أراد أن يخرج من مصر إلى الشام وقف منازل العز على فقهاء الشافعية، ووقف عليها الحمام وما حولها، وعمر الاصطبل فندقا عرف بفندق النخلة ووقفه عليها، ووقف عليها الروضة، ودرس بها شهاب الدين الطوسي وقاضي القضاة عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلي السكري، وعدة من الأعيان. وهي الآن عامرة بعمارة ما حولها.

الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان، وهو ابن أخي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، قدم إلى القاهرة في ... «١» واستنابه السلطان على دمشق في المحرم سنة إحدى وسبعين، ثم نقله إلى نيابة حماه، وسلم إليه سنجار لما أخذها في ثاني رمضان سنة ثمان وسبعين، فأقام بها ولحق السلطان على حلب فقدم عليه في سابع صفر سنة تسع وسبعين، فأقام إلى أن بعثه إلى القاهرة نائبا عنه بديار مصر عوضا عن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فقدمها في شهر رمضان سنة تسع وسبعين، وأنعم عليه بالفيوم وأعمالها مع القايات وبوش، وأبقى عليه

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٦٦/٤

مدينة حماه. ثم خرج بعساكر مصر إلى السلطان وهو بدمشق في سنة ثماني ن لاجل أخذ الكرك من الفرنج، فسار إليها وحصرها مدة ثم رجع مع السلطان إلى دمشق، وعاد إلى القاهرة في شعبان وقد أقام السلطان على مملكة مصر ابنه الملك العزيز عثمان، وجعل الملك المظفر كافلا له وقائما بتدبير دولته، فلم يزل على ذلك إلى جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين، فصرف السلطان أخاه الملك العادل عن حلب وأعطاه نيابة مصر، فغضب الملك المظفر وعبر بأصحابه إلى الجيزة يريد المسير إلى بلاد المغرب واللحاق بغلامه بهاء الدين قراقوش التقوي، فبلغ السلطان ذلك فكتب إليه ولم يزل به حتى زال ما به، وسار إلى السلطان فقدم عليه دمشق في ثالث عشري شعبان، فأقره على حماه والمعرة ومنبج، وأضاف إليه ميافارقين، فلحق به أصحابه ما خلا مملوكه زين الدين بوزيا، فإنه سار إلى." (١)

"كيف نوم السلطان في ليلته فأنشد:

يا خليلي خبراني بصدق ... كيف طعم الكرى فإني نسيت

ودفن أولا بقلعة دمشق، ثم نقل إلى جوار جامع بني أمية وقبره هناك رحمه الله تعالى.

المدرسة الصيرمية

هذه المدرسة من داخل باب الجملون الصغير بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش، فيما بينها وبين الجامع الحاكمي، بجوار الزيادة، بناها الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم، أحد أمراء الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب، وتوفي في تاسع عشر صفر سنة ست وثلاثين وستمائة.

المدرسة المسرورية

هذه المدرسة بالقاهرة داخل درب شمس الدولة، كانت دار شمس الخواص مسرور، أحد خدام القصر، فجعلت مدرسة بعد وفاته بوصيته، وأن يوقف **الفندق** الصغير عليها، وكان بناؤها من ثمن ضيعة بالشام كانت بيده بيعت بعد موته، وتولى ذلك القاضي كمال الدين خضر، ودرس فيها، وكان مسرور ممن اختص بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فقدمه على حلقته ولم ي زل مقدما إلى الأيام الكاملية، فانقطع إلى الله تعالى ولزم داره إلى أن مات، ودفن بالقرافة إلى جانب مسجده، وكان له بر وإحسان ومعروف، ومن آثاره بالقاهرة **فندق** يعرف اليوم بخان مسرور الصفدي وله ربع بالشارع.

المدرسة القوصية

هذه المدرسة بالقاهرة في درب سيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا، أنشأها الأمير الكردي والي قوص.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٠٢/٤

مدرسة بحارة الديلم «١» المدرسة الظاهرية

هذه المدرسة بالقاهرة من جملة خط بين القصرين، كان موضعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخيم، وقد تقدم ذكرها في أخبار القصر. ومما دخل في هذه المدرسة باب الذهب المذكور في أبواب القصر، فلما أوقع الملك الظاهر بيبرس البندقداري الحوطة على." (١)

"فالله يرحمها ويعظم أجره ... ويكون في عاشور موت اليوسفي

فكان كما قال؛ وغرق الجاي اليوسفي كما تقدم ذكره في يوم عاشوراء.

المدرسة الأيتمشية

هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة، أنشأها الأمير الكبير سيف الدين ايتمش البجاسي، ثم الظاهري في سنة خمس وثمانين وسبعمائة، وجعل بها درس فقه للحنفية، وبنى بجانبها **فندقا** كبيرا يعلوه ربع، ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربعا، وهي مدرسة ظريفة.

ايتمش بن عبد الله الأمير الكبير سيف الدين البجاسي ثم الظاهري، كان أحد المماليك اليلبغاوية.

المدرسة المجدية الخليلية

هذه المدرسة بمصر، يعرف موضعها بدرب البلاد، عمرها الشيخ الإمام مجد الدين أبو محمد عبد العزيز بن الشيخ الإمام أمين الدين أبي علي الحسين بن الحسن بن إبراهيم الخليلي الداري، فتمت في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة، وقرر فيها مدرسا شافعيا ومعيدين وعشرين نفرا طلبة، وإماما راتبا، ومؤذنا، وقيما لكنسها وفرشها ووقود مصابيحها. وإدارة ساقيتها، وأجرى الماء إلى فسقيتها، ووقف عليها غيطا بناحية بارنبار من أعمال المزاحميتين، وبستانا بمحلة الأمير من المزاحميتين بالغربية، وغيطا بناحية نطوبس، وربع غيط بظاهر ثغر رشيد، وبستانا ونصف بستان بناحية بلقس، ورباعا بمدينة مصر.

ومجد الدين هذا هو والد الصاحب الوزير فخر الدين عمر بن الخليلي، ودرس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين إلى حين وفاته، وتوفي مجد الدين بدمشق في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمانين وستمائة، وكان مشهورا بالصلاح.

المدرسة الناصرية بالقرافة

هذه المدرسة بجوار قبة الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه من قرافة مصر، أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ورتب بها مدرسا يدرس الفقه على مذهب الشافعي، وجعل

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٢٢٤

له في كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين دينارا، معاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم، وعن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنانير، ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلا بالمصري، وراويتين من ماء النيل، وجعل فيها معيدين وعدة من الطلبة، ووقف عليها حماما بجوارها، وفرنا تجاهها، وحوانيت بظاهرها، والجزيرة التي يقال لها جزيرة الفيل ببحر النيل خارج القاهرة." (١)

"بسماسم سرياقوس، أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون، وذلك أنه لما بنى الميدان والأحواش في بركة الجب، كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر بركة الجب، اتفق أنه ركب على عادته للصيد هناك، فأخذه ألم عظيم في جوفه كاد يأتي عليه وهو يتجلد ويكتم ما به حتى عجز، فنزل عن الفرس والألم يتزايد به، فنذر لله إن عافاه الله ليبنين في هذا الموضع موضعا يعبد الله تعالى فيه، فخف عنه ما يجده، وركب فقضى نهمته من الصيد وعاد إلى قلعة الجبل، فلزم الفراش مدة أيام ثم عوفي، فركب بنفسه ومعه عدة من المهندسين، واختط على قدر ميل من ناحية سرياقوس هذه الخانقاه، وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي، وبنى بجانبها مسجدا تقام به الجمعة، وبنى بها حماما ومطبخا، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة. فلما كانت سنة خمس وعشرين وسبعمائة، كمل ما أراد من بنائها، وخرج إليها بنفسه ومعه الأمراء والقضاة ومشايخ الخوانك، ومدت هناك أسمطة عظيمة بداخل الخانقاه في يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة، وتصدر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي لإسماع الحديث النبوي، وقرأ عليه ابنه عز الدين عبد العزيز عشرين حديثا تساعيا، وسمع السلطان ذلك، وكان جمعا موفورا، وأجاز قاضي القضاة الملك الناصر ومن حضر برواية ذلك. وجميع ما يجوز له روايته، وعند ما انقضى مجلس السماع قرر السلطان في مشيخة هذه الخانكاه الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائي، ولقبه بشيخ الشيوخ، فصار يقال له ذلك ولكل من ولي بعده، وكان قبل ذلك لا يلقب بشيخ الشيوخ إلا شيخ خانقاه سعيد السعداء، وأحضرت التشاريف السلطانية فخلع على قاضي القضاة بدر الدين، وعلى ولده عز الدين، وعلى قاضي القضاة المالكية، وعلى الشيخ مجد الدين أبي حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائي شيخ الشيوخ، وعلى الشيخ علاء الدين القونوي شيخ خاقناه سعيد السعداء، وعلى الشيخ قوام الدين أبي محمد عبد المجيد بن أسعد بن محمد الشيرازي، شيخ الصوفية بالجامع الجديد الناصري، خارج مدينة مصر، وعلى جماعة كثيرة. وخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف، وفرق بها ستين ألف درهم فضة وعاد إلى قلعة الجبل، فرغب الناس في السكنى حول هذه الخانقاه وبنو الدور والحوانيت

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٥٩/٤

والخانات، حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس، وتزايد الناس بها حتى أنشئ فيها سوى حمام الخانقاه عدة حمامات، وهي إلى اليوم بلدة عامرة، ولا يؤخذ بها مكس البتة مما يباع من سائر الأصناف احتراما لمكان الخانقاه، ويعمل هناك في يوم الجمعة سوق عظيم ترد الناس إليه من الأماكن البعيدة، يباع فيه الخيل والجمال والحمير والبقر والغنم والدجاج والأوز وأصناف الغلات وأنواع الثياب وغير ذلك، وكانت معاليم هذه الخانكاه من أسنى معلوم بديار مصر، يصرف لكل صوفي في اليوم من لحم الضأن السليج رطل قد طبخ في طعم شهي، ومن الخبز النقي أربعة أرطال ويصرف له في كل شهر مبلغ أربعين درهما فضة عنها." (١)

"جمادى الأولى، وكانت ليلة شديدة الريح، فسرت النار من كل ناحية حتى وصلت إلى بيت كريم الدين، وبلغ ذلك السلطان فانزعج انزعاجا عظيما لما كان هناك من الحواصل السلطانية، وسير طائفة من الأمراء لإطفائه، فجمعوا الناس لإطفائه وتكاثروا عليه وقد عظم الخطب من ليلة الاثنين إلى ليلة الثلاثاء، فتزايد الحال في اشتعال النار وعجز الأمراء والناس عن إطفائها لكثرة انتشارها في الأماكن وقوة الريح التي ألقت باسقات النخل، وغرقت المراكب، فلم يشك الناس في حريق القاهرة كلها، وصعدوا المآذن، وبرز الفقراء وأهل الخير والصلاح وضجوا بالتكبير والدعاء، وجأروا وكثر صراخ الناس وبكاؤهم، وصعد السلطان إلى أعلى القصر فلم يتمالك الوقوف من شدة الريح، واستمر الحريق والاستحثاث يرد على الأمراء من السلطان في إطفائه إلى يوم الثلاثاء، فنزل نائب السلطان ومعه جميع الأمراء وسائر السقائين، ونزل الأمير بكتمر الساقي، فكان يوما عظيما لم ير الناس أعظم منه ولا أشد هولا، ووكل بأبواب القاهرة من يرد السقائين إذا خرجوا من القاهرة لأجل إطفاء النار، فلم يبق أحد من سقائي الأمراء وسقائي البلد إلا وعمل، وصاروا ينقلون الماء من المدارس والحمامات، وأخذ جميع النجارين وسائر البنائين لهدم الدور، فهدم في هذه النوبة ما شاء الله من الدور العظيمة والرباع الكبيرة، وعمل في هذا الحريق أربعة وعشرون أميرا من الأمراء المقدمين، سوى من عداهم من أمراء الطبلخانات والعشراوات والمماليك، وعمل الأمراء بأنفسهم فيه، وصار الماء من باب زويلة إلى حارة الديلم في الشارع بحرا من كثرة الرجال والجمال التي تحمل الماء، ووقف الأمير بكتمر الساقي والأمير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده بدرب الرصاصي، وخربوا ستة عشر دارا من جوار الدار وقبالتها، حتى تمكنوا من نقل الحواصل، فما هو إلا أن كمل إطفاء الحريق ونقل الحواصل، وإذا بالحريق قد وقع في ربع الظاهر خارج باب زويلة،

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٢٩٤

وكان يشتمل على مائة وعشرين بيتا، وتحته قيسارية تعرف بقيسارية الفقراء، وهب مع الحريق ريح قوية، فركب الحاجب والوالي لإطفائه وهدموا عدة دور من حوله حتى انطفأ، فوقع في ثاني يوم حريق بدار الأمير سلار في خط بين القصرين، ابتدأ من الباذهنج، وكان ارتفاعه عن الأرض مائة ذراع بالعمل، فوقع الاجتهاد فيه حتى أطفيء، فأمر السلطان الأمير علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة، والأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، بالاحتراز واليقظة، ونودي بأن يعمل عند كل حانوت دن فيه ماء، أو زير مملوء بالماء، وأن يقام مثل ذلك في جميع الحارات والأزقة والدروب، فبلغ ثمن كل دن خمس دراهم بعد درهم، وثمن الزير ثمانية دراهم، ووقع حريق بحارة الروم وعدة مواضع، حتى أنه لم يخل يوم من وقوع الحريق في موضع، فتنبه الناس لما نزل بهم، وظنوا أنه من أفعال النصارى، وذلك أن النار كانت ترى في منابر الجوامع وحيطان المساجد والمدارس، فاستعدوا للحريق وتتبعوا الأحوال حتى وجدوا هذا الحريق من نفط قد لف عليه خرق مبلولة بزيت وقطران. فلما كان." (١)

"حضر من الأمراء رحمة لهم، وما زالوا بالسلطان إلى أن قال للوالي: اعزل منهم جماعة، وانصب الخشب من باب زويلة إلى تحت القلعة بسوق الخيل، وعلق هؤلاء بأيديهم. فلما أصبح يوم الأحد علق الجميع من باب زويلة إلى سوق الخيل، وكان فيهم من له بزة وهيئة، ومر الأمراء بهم فتوجعوا لهم وبكوا عليهم، ولم يفتح أحد من أرباب الحوانيت بالقاهرة ومصر في هذا اليوم حانوتا، وخرج كريم الدين من داره يريد القلعة على العادة فلم يستطع المرور على المصولبين، وعدل عن طريق باب زويلة، وجلس السلطان في الشباك وقد أحضر بين يديه جماعة ممن قبض عليهم الوالي فقطع أيدي وأرجل ثلاثة منهم والأمراء لا يقدرون على الكلام معه في أمرهم لشدة حنقه، فتقدم كريم الدين وكشف رأسه وقبل الأرض وهو يسأل العفو، فقبل سؤاله وأمر بهم أن يعملوا في حفير الجيزة، فأخرجوا وقد مات ممن قطع أيديهم اثنان، وأنزل المعلقون من على الخشب.

وعند ما قام السلطان من الشباك وقع الصوت بالحريق في جهة جامع ابن طولون، وفي قلعة الجبل، وفي بيت الأمير ركن الدين الأحمدي بحارة بهاء الدين، **وبالفندق** خارج باب البحر من المقس وما فوقه من الربع، وفي صبيحة يوم هذا الحريق قبض على ثلاثة من النصارى وجد معهم فتائل النفط، فأحضروا إلى السلطان واعترفوا بأن الحريق كان منهم، واستمر الحريق في الأماكن إلى يوم السبت، فلما ركب السلطان إلى الميدان على عادته، وجد نحو عشرين ألف نفس من العامة قد صبغوا خرقا بلون أزرق وعلموا فيها

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٤٤٣

صلبانا بيضا، وعند ما رأوا السلطان صاحوا بصوت عال واحد لا دين إلا دين الإسلام، نصر الله دين محمد بن عبد الله، يا ملك الناصر، يا سلطان الإسلام انصرنا على أهل الكفر، ولا تنصر النصارى. فارتجت الدنيا من هول أصواتهم، وأوقع الله الرعب في قلب السلطان وقلوب الأمراء، وسار وهو في فكر زائد حتى نزل بالميدان وصراخ العامة ل ا يبطل، فرأى أن الرأي في استعمال المداراة، وأمر الحاجب أن يخرج وينادي بين يديه: من وجد نصرانيا فله ماله ودمه. فخرج ونادى بذلك، فصاحت العامة وصرخت: نصرك الله. وضجوا بالدعاء، وكان النصارى يلبسون العمائم البيض، فنودي في القاهرة ومصر من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حل له دمه وماله، ومن وجد نصرانيا راكبا حل له دمه وماله، وخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء، وأن لا يركب أحد منهم فرسا ولا بغلا، ومن ركب حمارا فليركبه مقلوبا، ولا يدخل نصراني الحمام إلا وفي عنقه جرس، ولا يتزيا أحد منهم بزي المسلمين، ومنع الأمراء من استخدام النصارى، وأخرجوا من ديوان السلطان. وكتب لسائر الأعمال بصرف جميع المباشرين من النصارى، وكثر إيقاع المسلمين بالنصارى حتى تركوا السعي في الطرقات، وأسلم منهم جماعة كثيرة، وكان اليهود قد سكت عنهم في هذه المدة، فكان النصراني إذا أراد أن يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من أحد من اليهود ويلبسها، حتى يسلم من العامة، واتفق أن بعض دواوين النصارى كان له عند يهودي مبلغ أربعة آلاف درهم." (١)

"ومن مدنه إشبيلية وهي مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة، وعليه جسر مربوطة به السفن، وبها أسواق قائمة وتجارات رابحة وأهلها ذوو أموال عظيمة وأكثر متاجرهم في الزيت، وهي تشتمل على كثير من أقاليم الشرق، واقليم الشرق على تل عال من تراب أحمر مسافته أربعون ميلا في مثلها، يمشي فيها المسافر في ظل الزيتون والتين، ولها على ما ذكر التجار ثمانية آلاف قرية عامرة بالأسواق العامرة والديار الحسنة والفنادق والحمامات.

ومن أقاليم الأندلس اقليم الكنانية ومن مدنه المشهورة قرطبة وهي قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة الإسلامية، وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد،." (٢)

"وسراة الناس في حسن المآكل والملابس والمراكب وعلو الهمة، وبها أعلام العلماء وسادات الفضلاء وأجلاء الغزاة وأمجاد الحروب؛ وهي في نفسها خمس مدن يتلو بعضها بعضا، وبين المدينة والمدينة سور حصين حاجز، وبكل مدينة منها ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات والصناعات، وطولها ثلاثة

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٤٤٦

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٦١

أميال في عرض ميل واحد، وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل القروش.

ومدينتها الثالثة وهي الوسطى، فيها باب القنطرة وبها الجامع الذي ليس في معمور الأرض مثله، طوله ذراع في عرض ثمانين ذراعا وفيه من السواري الكبار ألف سارية، وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقود، أكبرها يحمل ألف مصباح، وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه، وبقبلته صناعات تدهش العقول، وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة، تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها. وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة، اثنان أخضران واثنان لازورديان، ليس لها قيمة. وبه منبر ليس على معمور الأرض مثله في حسن صنعته، وخشبه ساج وأبنوس وبقس وعود قاقلي. ويذكر في كتب تواريخ بني أمية أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين، وكان يعمل فيه ثمانية صناع، لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي، وكان جملة ما صرف على المنبر أجرة لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسي مثقال. وفي الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لأجل وقوده. وبهذا الجامع مصحف فيه أربع ورقات من مصحف عثمان." (١)

"ومن أقاليم جزيرة الأندلس إقليم أشبونة. ومن مدنه أشبونة وهي مدينة حسنة شمالي النهر المسمى باجة، الذي هو نهر طليطلة. والمدينة ممتدة مع هذا النهر، وهي على بحر مظلم وبها أسواق قائمة **وفنادق** عامرة وحمامات كثيرة، ولها سور منيع ويقابله على ضفة النهر حصن المعدن وسمي بذلك لأن البحر يمتد عند سيحانه فيقذف بالذهب التبر إلى نحو ذلك الحصن وما حوله، فإذا رجع الماء قصد أهل تلك البلاد نحو هذا الحصن فيجدون به الذهب إلى أوان سيحانه أيضا. ومن أشبونة هذه كان خروج المغرورين في ركوب البحر المظلم الذي في أقصى بلاد الغرب وهو بحر عظيم هائل غليظ المياه كدر اللون شامخ الموج صعب الظهر، لا." (٢)

"والمكللة بالشرج، وكان يصنع بها صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج مما لا يوصف. وكان بها أنواع الفاكهة العجيبة التي تأتيها من وادي بجاية ما يعجز عنه الواصف حسنا وطيبا وكثرة، وتباع بأرخص ثمن، وهذا الوادي طوله أربعون ميلا في مثلها، كلها بساتين مثمرة وجنات نضرة وأنهار مطردة وطيور مغردة. ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهلها ولا أكثر متاجر ولا أعظم ذخائر، وكان بها من **الفنادق** والحمامات ألف مغلق إلا ثلاثين، وهي بين جبلين بينهما خندق معمور، على الجبل الواحد قصبتها

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٦٢

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٦٤

المشهورة بالحصانة، وعلى الجبل الآخر ربضها. والسور محيط بالمدينة والربض، وغربيهن ربض لها آخر يسمى ربض الحوض، ذو أسواق وحمامات وفنادق وصناعات، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة وأحجار أزلية وكأنما غربلت أرضها من التراب، ولها مدن وضياع متصلة الأنهار.

قرطاجنة: مدينة أزلية كثيرة الخصب، ولها اقليم يسمى القندوق، قليل مثله في طيب الأرض ونمو الزرع. ويقال إن الزرع فيه يكتفي بمطرة واحدة. وكانت هذه المدينة في قديم الزمان من عجائب الدنيا لارتفاع بنائها واظهار القدرة فيه، وبها أقواس من الحجارة المقرنصة، وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة. ومن عجيب بنائها الدواميس، وهي أربعة وعشرون داموسا على صف واحد من حجارة مقرنصة طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة في عرض ستين خطوة، وارتفاع كل واحد طول مائتي ذراع، بين كل داموسين أثقاب محكمة تصل فيها المياه من بعضها إلى بعض في العلو الشاهق، بهندسة عجيبة وإحكام بليغ، وكان الماء يجري إليها من شوتار وهي عين بقرب القيروان تخرج من جانب جبل، وإلى الآن يحفر في هدمها من سنة ثلثمائة فيخرج منها." (١)

"هذا الجبل، ولملوك مصر القديمة أيضا من الذهب والفضة والأواني والآلات النفسية والتماثيل الهائلة والتبر والإكسير وتراب الصنعة ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

ومن مدنه المشهورة الفسطاط وهو فسطاط عمرو بن العاص، وهي مدينة عظيمة وبها جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكان مكانه كنيسة للروم فهدمها عمرو بن العاص وبناها مسجدا جامعا، وحضر بناءه جماعة من الصحابة. وشرقي الفسطاط خراب، وذكر أنها كانت مدينة عظيمة قديمة ذات أسواق وشوارع واسعة وقصور ودور وفنادق وحمامات، يقال إنها كان بها أربعمائة حمام." (٢)

"مشهورة مثل جزيرة صقلية وقبرص وجزيرة أقريطش وجزيرة كشميلي وجزيرة الخضراء وعدة جزائر، وغيرها.

فأما صقلية: فهي فريدة الزمان وأجمع المسافرون على تفضيلها وحسنها وعظم ملوكها وضخامة دولها. وفي هذه الجزيرة مائة وثلاثون مدينة أمهات قواعد خارجة عن القرى والضياع والرساتيق. فمن مدنها المشهورة يلزم وهي مدينتها العظمى وكرسي السلاطين وموطن الجيوش، وهي على ساحل البحر من الجانب الغربي وهي مدينة حسنة المباني بديعة الإتقان، وهي على قسمين قصور وربض، وهي على ثلاث قصبات: فالقصبة

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٧٠

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٨٦

الوسطى تشتمل على قصور رفيعة ومنازل شامخة ومعابد وفنادق وحمامات، والقصبتان الأخريان قصور سامية وأبنية عالية وأسواق، وبها الجامع الأعظم الذي فيه من بدائع الصنعة المتقنة ومن أصناف التصاوير وأنواع التزاويق ما يعجز عن وصفه كل لسان، وليس بعد جامع قرطبة أحسن منه.

وأما الربض: فهو مدينة أخرى محدقة بالمدينة من جميع جهاتها. وبه المدينة القديمة المسماة بالخاصة التي كانت سكنى السلطان. والمياه بجميع جهات صقلية مخترقة والعيون بها متدفقة، وبها بساتين وجنات وفرج ومتنزهات وخارج الربض نهر عباس، وهو نهر عظيم وعليه أرحية كثيرة. ومن مدنها مدينة مسينا وهي مدينة عظيمة وبجبلها معدن عظيم للحديد يحمل منه إلى سائر البلاد.

ومنها أرض." (١)

"وجبال شاهقة وقلاع منيعة وأرضهم في غاية الخصب والبركة؛ وبيت الملك عندهم محفوظ يرثه الرجال والنساء.

أرض الروم: وهو إقليم واسع الأقطار فسيح الديار، وبه مدن عامرة وضياع ورساتيق وأشجار وفواكه وثمار؛ وبه الخير الغامر والخصب الوافر؛ وكلها على جانبي البحر القسطنطيني ومن جهة بلاد الأرمن، له أحد عشر عملا، منها عمل حربية وفيه خمسة حصون، وعمل العصاة وفيه ثلاثة حصون، وعمل الأرسيق وفيه خمسة عشر حصنا، وعمل الأفشين وفيه أربعة حصون وعمل حرسنون وفيه أربعون حصنا، وعمل البلقان وفيه ستة عشر حصنا. وهذه الأرض كانت في القديم بلاد اليونان فغلبت الروم عليها؛ ومن جملة أعمالها عمل كرميان وفيه عشرة حصون، وعمل الفنادق وفيه ثمانية عشر حصنا.

وببلاد الروم أيضا مائة جزيرة كلها في البحر، وكلها عامرة آهلة. ومن مدن الروم المشهورة قسطنطينية وهي مثلثة الشكل، منها جانبان في البحر وجانب في البر وفيه باب الذهب. وطول هذه المدينة تسعة أميال وعليها سور حصين ارتفاعه واحد وعشرون ذراعا، ويحيط به سور آخر يسمى الفصيل، ارتفاعه عشرة أذرع، لها مائة باب أكبرها الباب المصمت وهو مموه بالذهب، وبها القصر وهو من عجائب الدنيا وذلك أن فيه بديرون وهو كالدهليز إلى القصر، وهو زقاق يمشى فيه بين صفين من صور مفرغة من نحاس بديع الصنعة على صور الآدميين والخيل والفيلة والسباع وغير ذلك، وهي أكبر من الأشكال الموضوعة على أمثالها. وبالقصر وما دار به ضروب من العجائب.." (٢)

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٦٨

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٧١

"رومية الكبرى: مدينة عظيمة، دورها أيضا تسعة أميال كالقسطنطينية، ولها أسوار محكمة. لها سوران منيعان من حجر، عرض كل سور منهما وسمكه مقدار معين، فأحدهما وهو الداخلي المحيط بالمدينة عرضه أحد عشر ذراعا وارتفاعه اثنان وسبعون ذراعا. وهناك أسطوانات من نحاس أصفر وقواعدها ورؤوسها مفرغ منها. وبها نهر يشقها، وهذا النهر كله مفروش ببلاط من نحاس كهيئة اللبن الكبار. وداخل المدينة كنيسة عظيمة طولها ثلاثمائة ذراع وارتفاعها ثلاثمائة ذراع وأركانها من نحاس مفرغ مغطى كلها بالنحاس الأصفر؛ وبرومية ألف ومائة كنيسة وجميع شوارعها وأسواقها مفروشة بالرخام الأبيض والأزرق، وبها ألف حمام وألف فندق، وبها كنيسة هائلة بنيت على هيئة بيت المقدس وبها مذبح، ظهره كله مرصع بالزمرد الأخضر؛ وعلى هذا المذبح تمثال من الذهب الإبريز طوله ذراع بالرشاشي يكون سبعة أذرع ونصف ذراع بذراعنا المعهود، وعيناه من ياقوت أحمر. ولهذه الكنيسة مائة باب، منها أبواب عشرة مصفحة بالذهب وباقيها مصفحة بالنحاس المحكم. وبها قصر الملك المسمى البابا، وهو قصر عظيم أجمع المسافرون على أنه لم يبن مثله على وجه الأرض؛ ورومية أكبر من أن يحاط بوصفها ومحاسنها ولها مدن قواعد مشهورة منها قشمير: وهي مدينة كبيرة تشبه رومية في الحسن والبنيان، ويقال إنها مدينة أهل الكهف.." (١)

"القرم: مدينة عظيمة بها أسواق ومساجد وفنادق وحمامات، وهي فرضة مملكة الترك وما حولها، وبها اللحم والسمك والعسل واللبن كثير جدا، وبيوتها غالبا خشب.

وأما ما على البحر النيطشي من بلاد الروم فمدن عظيمة مثل أطرابدية وخزية، وقابية وقمانية السوداء، وسميت بذلك لأن لها نهرا يدخل في شعب جبل وماؤه أبيض كالزلال ويخرج منه أسود كالدخان، وقمانية البيضاء وتسمى مطلوقة وماطر خاروسية وأرديبس وفلبسين، وكلها مدن عظام قواعد بلاد الروم، وبين أرديبس وحصن زيادة شجرة عظيمة لا يعرف أحد ما هي وما اسمها؟ ولها حمل يشبه اللوز ويؤكل بقشره وهو أحلى من العسل.

أرض الصقالبة: وهي أرض كبيرة واسعة من ناحية الشمال وبها مدن وقرى ومزارع، ولهم بحر حلو يجري من ناحية المغرب إلى المشرق، ونهر آخر يجري من." (٢)

"منه الآن إلا قصران في الصحراء، والبحر منها على أربعة أميال ولا شيء حولها من النبات، وفيها يهود ومسلمون ويطيف بها خلق من البربر، وليس بها ماء جار إنما مياههم في المواجل والسواني التي

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٧٣

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٧٥

يزرعون عليها الشعير وقليل الحنطة وضروبا من القطاني.

وممن ينتسب إليها علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الأجدابي أحد فقهاء القيروان الجلة، روى عن أبي الفضل محمد بن يحيى بن عباس قال: كان حي من الجن يقال لهم بنو أسد يزجرون الطير فأرادوا أن يختبروا علم بني أسد من الأنس في زجر الطير فتمثلوا ثلاثة أشخاص وأتوا إلى بني أسد من الأنس فسلموا عليهم وقالوا: إنا قوم ذهبت لنا لقاح فابعثوا معنا من يزجر الطير لعلنا نجدها، فبعثوا صبيا صغيرا منهم فما مشى إلا يسيرا إذ نظر إلى عقاب قد ضمت جناحا وفتحت جناحا، فرجع الصبي إلى قومه وهو يبكي ويقول للأشخاص الثلاثة: ضمت جناحا وفتحت جناحا، فأحلف بالله صراحا، ما أنتم بانس ولا تبغون لقاحا.

ومن المنسوبين إلى أجدابية أيضا أبو إسحاق الأجدابي الأديب (١) صاحب " الكفاية " و " شحذ القريحة " و " العروض ".

وأجدابية (٢) مدينة كبيرة في الصحراء وأرضها صفا وآبارها منقورة في ذلك الصفا، طيبة الماء والهواء وبها عين ثرة غدقة وبساتين ونخل يسير، وبها جامع حسن بناه الشيعي وله صومعة مثمنة بديعة العمل، وبها حمامات وفنادق كثيرة وأسواقها حافلة مقصودة، وأهلها ذوو يسار وأكثرهم أنباط وبها نبذ من صرحاء لواتة، وليس لمبانيها سقوف خشب إنما هي أقباء من طوب لكثرة الرياح بها، كذا كانت أول الأمر ثم أتى عليها من الأمر ما قدمناه.

أجرسيف (٣)

مدينة في أحواز تلمسان من أرض المغرب كبيرة لها بساتين كثيرة وهي على نهر ملوية وهو نهر كبير من الأنهار المشهورة، وكانت أجرسيف قرية كبيرة على النهر المذكور حتى خرج الملثمون من الصحراء فنزلوها ومدنوها وبنوا عليها سورا من طوب.

أجنادين

بفتح الهمزة والنون والدال، بعدها ياء ونون على لفظ التثنية، موضع بالشام من بلاد الأردن، قال كثير (٤) :

فإلا تكن بالشام داري مقيمة ... فإن بأجنادين مني ومسكن

مشاهد لم يعف التنائي قديمها ... وأخرى بميافارقين فموزن مسكن بالعراق وهو موضع معسكر مصعب وبه قتل، يخبر كثير أنه كان مع عبد الملك في حروبه تلك، وبأجنادين كانت الوقعة بين المسلمين والنصارى

في آخر خلافة الصديق رضي الله عنه، وهي أول وقعة عظيمة كانت بالشام، وكانت (٥) سنة ثلاث عشرة قبل وفاة أبي بكر رضي الله عنه بأربع وعشرين ليلة، قتل المسلمون منهم في المعركة ثلاثة آلاف واتبعوهم يقتلونهم ويأسرونهم، وخرج كل الروم إلى ايليا وقيسارية ودمشق وحمص فتحصنوا في المدائن العظام، وكتب خالد بن الوليد رضي الله عنه بالفتح إلى أبي بكر رضي الله عنه: أخبرك أيها الصديق أنا لقينا المشركون وقد جمعوا لنا جموعا جمة بأجنادين وقد رفعوا صلبهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يفنونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين عليه، فطاعناهم بالرماح شيئا ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم بها قدر جزر جزور، ثم إن الله أنزل نصره وأنجز وعده وهزم الكافرين فقاتلناهم في كل فج وشعب وغائط، فالحمد لله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنع لأوليائه والسلام. وفتوح الشام متضمنة لبسط هذا الخبر المجمل.

أجياد

بفتح أوله وإسكان ثانيه وبالياء أخت الواو والدال المهملة كأنه جمع جيد، أحد جبال مكة وهو الجبل الأخضر العالي بغربي المسجد الحرام، وفي رأسه منار يذكر أن أبا بكر رضي الله عنه أمر ببنائه ينادي عليه المؤذنون في رمضان، يقابل من الكعبة الركن اليماني يخرج إليه من باب إبراهيم عليه السلام ويقابل قعيقعان من ناحية الغرب، وقال عمر بن أبي ربيعة (٦) :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا ... إذا حللنا بسيف البحر من عدن

---

(١) انظر رحلة التجاني: ٢٦٢ وتاريخ ليبيا: ٢١٣.

(٢) البكري: ٥.

(٣) الاستبصار: ١٧٧ وعند الإدريسي (د) : ١٧٢: آقر سيف.

(٤) ديوانه: ٢٥٠ - ٢٥١.

(٥) فتوح الأزدي: ٧٩.

(٦) ديوانه: ٤١٣.." [1]

"خيرها، والذهب بها كثير جدا حتى أن أهلها يتخذون سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب وفي جزائر الواق واق مثل ذلك، والتجار يرحلون إليها ويسبكون الذهب فيها ويخرجونه من هناك مسبوكا.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٢

أندراب (١)

مدينة من عمل بلخ ينسب إليها الحسن بن أحمد الأندرابي، من حديثه عن الزهري أنه قال: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فم يرض فهو شيطان.

انطاكية (٢)

بتخفيف الياء، مدينة عظيمة بالشام على ساحل البحر، قالوا: وكل شيء عند العرب من قبل الشام فهو انطاكية، ويقال ليس في أرض الإسلام ولا أرض الروم مثلها. وهي مدينة حسنة الموضع كريمة البقعة ليس بعد دمشق أنزه منها داخلا وخارجا بناها بطليموس بن هيفلوس الثاني من ملوك اليونانيين، وقيل نسبت إلى الذي بناها انطيخين ولما عربت غيرت صورتها (٣) ، وهي إحدى عجائب العالم مسافة سورها اثنا عشر ميلا وعدد شرفاتها أربعة وعشرون ألفا وأبراجها مائة وستة وثلاثون، أسكن كل برج منها بطريقا برجاله وخيله، فمرابط الخيل في أسفله وأعلاه طبقات وطاقات للرجال، كل برج منها كالحصن عليه أبواب الحديد، وأنبط فيها عيونا وأجرى الماء في شوارعها، وماؤها يستحجر فيه الثفن في مجاريه فلا يؤثر فيه الحديد ولا يكسره، وهذا الماء يحدث في الأجواف الريح القولنجية.

وقد أراد الرشيد (٤) سكنى انطاكية فقيل له ما فيها من ترادف الصدإ على سلاحها وزوال (٥) ريح الطيب منها، فامتنع من سكناها والنصارى يدعونها مدينة الله ومدينة الملك وأم المدائن لأنها أول بلد أظهر فيه دين النصرانية، وبها كرسي بطرس ويسمى شمعون وشمعان وهو خليفة إيشوع الناصري المرأس على تلامذته الاثني عشر والسبعين وغيرهم.

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة تغلب العدو على أهل انطاكية، وخيروا أهلها بين المقام على أداء الجزية أو الخروج إلى أرض الشام فرضي بالجزية خلق كثير ولما جاء البشير بذلك نقفور عاقبه وغمه ذلك لأنه كان عنده في علم الحدثان أن الذي تفتح انطاكية في أيامه يهلك سريعا فقتله الله تعالى سنة تسع وخمسين قتل في قصره وعلى سريره عملت على قتله امرأته التي كانت قبله لرومانس على يد ابن الشمشكي فقتلوه ليلا وكان سبب ذلك أن ابنها من رومانس واسمه باسيلي لما أدرك أراد نقفور أن يخصيه ويلزمه الكنيسة العظمى لينفرد هو بالأمر فلما علمت أمه بعزمه على ذلك سعت في قتله فتم لها ذلك وولي ابن الشمشكي ودانت له النصرانية ثم ولي بعده باسيلي المذكور وهو الملقب بالملك الرحيم.

وانطاكية كثيرة المياه متسعة الأسواق والطرقات وبساتينها اثنا عشر ميلا وفي داخل سورها أرحاء وبساتين وخانات وبها أسواق ومبان ويعمل بها من الثياب المصمتة الجياد العتابي والتستري والأصبهاني شيء كثير

وبينها وبين أذنة شمالا ثلاث مراحل وعليها سور حجارة وفي داخلها البساتين والمزارع ويقال لها مدينة حبيب النجار وبها الكف التي يقال أنها كف يحيى بن زكريا عليهما السلام في كنيسة هناك وهي قاعدة القياصرة وكان بانطاكية فرعون من الفراعنة فبعث الله تعالى إليهم رسلا وفيهم نزل " واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون " وأسماؤهم صادق وصدوق والثالث شلوم ويقال إنهم من الحواريين ولم يكونوا من الأنبياء والذي جاء يسعى رجل اسمه حبيب بن مري وكان يعمل الحرير فلما قال لهم " يا قوم اتبعوا المرسلين " وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه على دبره فأدخله الله تعالى الجنة حيا يرزق فيها فذلك قوله " يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي " وصلب الكافر لعنه الله المرسلين منكوسين فأهلكهم الله تعالى جميعا فذلك قوله " إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ".

ويستحجر الماء في مجاري انطاكية ويتراكم طبقات حتى يمنع الماء من الجريان فلا يعمل الحديد في كسره. ويقال إنها بنيت في اثنتي عشرة سنة وإن النفقة في سورها انتهت مائة وخمسين وقرا من دنانير الذهب ويقال إن يحيى عليه السلام دفن في كنيسة بانطاكية، وإنه قتل في شهر آب.

---

(١) سقط الاسم من ع وكتب في ص: اندراق، وأنظر الباب (الأندرابي) .

(٢) نزهة المشتاق: ١٩٥، والمروج ٢: ٢٨٢، والبكري (مخ) : ٥٨، وصبح الأعشى ٤: ١٢٩.

(٣) ص ع: ولما عرب غير سورها؛ وأنظر التنبيه والإشراف: ١١٦.

(٤) ياقوت: ((أنطاكية)) ، وابن الفقيه: ١١٦.

(٥) وزوال: قراءة غير مؤكدة، ويقابلها في المروج: وعدم بقاء ... الخ.." [١]

"فقالت: أتمنى أن أغني هذه النوبة ببغداد، قال: فامتقع لون تميم وتغير وجهه وتكدر المجلس، وقام وقمنا، قال ابن الاسكري: فلحقني بعض خدمه وقال: ارجع فالأمير يدعوك، فرجعت فوجدته جالسا ينتظرني، فسلمت وقمت بين يديه، فقال: ويحك أرأيت ما امتحنا به! فقلت: نعم أيها الأمير، قال: لا بد لنا من الوفاء وما أثق في هذا بغيرك فتأهب لتجلبها إلى بغداد فإذا غنت هناك فاصرفها، قلت: سمعا وطاعة، قال: ثم قمت وتأهبت، وأمرها بالتأهب وأصحبها جارية لها سوداء تخدمها وأمر بناقة ومحمل فأدخلت فيه وحملتها معي وسرت إلى مكة مع القافلة فقضينا حجنا ثم دخلنا قافلة العراق وسرنا، فلما وردنا القادسية أتتني السوداء فقالت: تقول لك سيدتي أين نحن؟ فقلت لها: نحن نزول بالقادسية، فانصرفت إليها

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٨

فأخبرتها، فلم أنشب أن سمعت صوتها قد ارتفع بالغناء تقول:

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق ... وشممت من أرض الحجاز نسيم أنفاس العراق ... أيقنت لي ولمن أحب بجمع شمل واتفاق ... وضحكت من فرح اللقاء كما بكيت من الفراق ... ما بيننا إلا تصرم هذه السبع البواقي ... حتى يطول حديثنا بصنوف ما كنا نلاقي ... فتصايح الناس من أقطار القافلة: بالله أعيدي، قال: فما سمع لها كلمة، قال: ثم نزلنا الياسرية وبينها وبين بغداد خمسة أميال في بساتين متصلة ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ثم يبكرون لدخول بغداد، فلما كان قرب الصباح إذا بالسوداء قد أتتني مذعورة فقلت: ما لك. قالت: إن سيدتي ليست بحاضرة، فقلت: ويلك وأين هي؟ قالت: والله ما أدري، قال: فلم أحس لها أثرا بعد ذلك. ودخلت بغداد وقضيت حوائجي بها وانصرفت إلى تميم فأخبرته خبرها، فعظم ذلك عليه واغتم له ثم ما زال بعد ذلك واجما عليها.

استجة (١)

بين القبلة والمغرب من قرطبة، بينهما مرحلة كاملة، وهي مدينة قديمة لم يزل أهلها في جاهلية وإسلام على انحراف وخروج عن الطاعة، ومعنى هذا الاسم عندهم جمعت الفوائد، وفي أخبار الحدثان انه كان يقال: استجة البغي مذكورة باللعنة والخزي، يذهب خيارها ويبقى شرارها.

وكانت هيئتها التي ألفاها عليها طارق بن زياد أن سورها كان قد عقد بسورين أحدهما صخر أبيض والثاني صخر أحمر بأجمل صنعة وأحكم بناء، وردم بينهما وسوي ووضع في موضع الشرفات من المرمر صور بني آدم من كل الجهات تواجه القاصد نحوها فلا يشك الناظر أنها رجال وقوف.

وكان لها من الأبواب: باب القنطرة شرقي، باب اشبونة قبلي، باب رزق غربي، باب السويقة جوفي، وغير ذلك من الأبواب، والمدينة مبنية على الرصيف الأعظم المسلوك عليه من البحر إلى البحر، وكانت استجة واسعة الأرباض ذات أسواق عامرة وفنادق جمة وجامعها في ربضها مبني بالصخر له خمس بلاطات على أعمدة رخام وتجاوره كنيسة للنصارى. وباستجة آثار كثيرة ورسوم تحت الأرض موجودة، وهي منفسحة الخطة عذبة الأرض زكية الريع كثيرة الثمار والبساتين نضيرة الفواكه والزروع، ولها أقاليم خمسة.

وكان أهل استجة ممن خلع وخالف فافتتحها عبد الرحمن بن محمد على يد بدر الحاجب سنة ثلاثمائة فهدم سورها ووضع بالأرض قواعدها وألحق أعاليها بأسافلها وهدم قنطرة نهرها وفي ذلك يقول أحمد بن محمد بن عبد ربه:

ألا انه فتح يقر له الفتح ... فأوله سعد وآخره نجح

سرى القائد الميمون خير سرية ... تقدمها نصر وتابعها فتح

ألم تره أردى باستجة العدى ... فلاقوا عذابا كان موعده الصبح

فلا عهد للمراق من بعد هذه ... يتم لهم عند الإمام ولا صلح

تولوا عباديدا بكل ثنية ... وقد مسهم قرح وما مسنا قرح وبين استجة ومرشانة عشرون ميلا وكذلك بينها وبين قرمونة.

---

(١) بروفنسال: ١٤ والترجمة: ٢٠ (Ecija) .." [١]

"الترك نفوسا وأنفذهم عزما وأنجحهم طلبا، ولهم عند ملوكهم حظوة وإعزاز ولهم أموال واسعة. ومدينة ملكهم خاقان مدينة عظيمة لها أسوار حصينة وأبواب حديد، وللملك بها أجناد وعساكر والملوك بها تهاب سلطانه وتخاف سطوته، وهو ملك عظيم لا يتولى الملك فيهم إلا وهو من أهل الملك. وملك الكيماكية يلبس عليه (١) الذهب وقلنسوة الذهب ويظهر لأهل مملكته في أربعة أوقات من السنة، وله حاجب ووزراء ودولة عادلة، وأهل دولته يحبونه لإحسانه إليهم ونظره في أمورهم، وله قصور ومبان شامخة ومنتزهات وهمم عالية وكرم طبع، وأهل مدينة أسطور، لا يقولون بالهموم ولا تجدها قلوبهم ولا يكترثون بالمصائب، وهم أخصب أهل البلاد وأطيبهم معايش وأكثرهم انفاقا وأعلاهم همما ولباسهم الحرير الأحمر والأبيض، ولا يلبس هذا النوع منهم إلا الخاصة، والمياه تخترق أزقتهم وأسواقهم، ومنهم من يدين بدين الصابئة.

اسفرايين

هي مهرجان (٢ (في آخر عمل نيسابور من خراسان وبينهما خمس مراحل وقيل اثنان وثلاثون فرسخا، وهي مدينة كبيرة فيها أسواق ومياه جارية **وخانات.**

اسفي

مرسى اسفي في أقصى المغرب، وفي بعض الأخبار أن الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام أو ساسان، فوقعت بينهم مناوشات وحروب كانت الدائرة فيها لسام وبنيه، وكان آخر أمر حام أن هرب إلى ناحية مصر وتفرق بنوه، ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى انتهى إلى السوس الأقصى إلى موضع يعرف اليوم باسفي، وهو آخر مرسى تبلغه المراكب من عند الأندلس إلى ناحية القبلة وليس بعده للمراكب مذهب، وخرج بنوه

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٣

في أثره يطلبونه فكل طائفة من ولده بلغ موضعا وانقطع عنهم خبره أقامت بتلك الناحية وتناسلوا فيه، ولما مات دفنوه بنوه في حجر منقور في جبل أصيلا.

ووقوف المراكب عند اسفي (٣) لأنه آخر مرسى تصل إليه المراكب كان فيما سلف، وأما الآن فهي تجوزه بأربعة مجار. واسفي عليها عمارات وبشر كثير من البربر، والمراكب تحمل منها أوساقها في وقت السفر وسكون حركة البحر المظلم، ومن مرسى اسفي إلى مرسى ماست مائة وخمسون ميلا وقد أوردنا في ذكر اشبونة خبر القوم المغررين الذين ركبوا البحر المظلم ليقفوا على نهايته انهم صيروا إلى موضع اسفي، وأن جماعة من البربر رأوهم فتعرفوا أمرهم فقال زعيمهم وا أسفي تحسرا عليهم لما قاسوه، فسمي المكان إلى اليوم اسفي بتلك الكلمة.

اسنخوا (٤)

مدينة بالصين، وهي على بطحاء أرض ممتدة لا ينبت بها شيء إلا الزعفران غرسا ومن ذات نفسه بريا، ومنها يتجهز بالزعفران إلى سائر أمصار الصين ويباع بها منه ما يعم الكل كثرة وطيبا، وقد يعمل بهذه المدينة الحديد (٥) والغضار، وليس في بلاد الصين صنعة أجمل من الفخار والرسم، لا يقدمون على الرسم والتصوير صنعة، وإنما تلحق بها في الفضل عندهم صنعة الفخار حتى إنهم يسمون الفخار خالقا صغيرا والمصور خالقا كبيرا، ولا يفوق الرسم عندهم صنعة، وملوك الهند والصين لا يتركون الرسم بل يقولون به ويتعلمونه، لا يدني الملك من أولاده إلا أرسمهم وأمهرهم في صنعة الرسم.

أسوان (٦)

في الصعيد آخر بلاد مصر، وفي بلادهم من الجبال والأوعار التي تحول بينهم وبين النوبة ولولا هي لأفسدت النوبة بلاد مصر، والنيل إنما يهبط من بلاد النوبة على صخور وأوعار لا يدخل ذلك الموضع مركب، وأسوان من ثغور النوبة إلا انهم في أكثر الأوقات مهادنون، وكذلك مراكب مصر لا تصعد في النيل إلا إلى مدينة أسوان فقط وهي في آخر الصعيد الأعلى. وإلى أسوان تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال منها جبال وأحجار يجري النيل في وسطها وهذا الموضع فارق بين سفن الحبشة في النيل وسفن المسلمين.

وأسوان مدينة صغيرة كثيرة الحنطة وسائر أنواع الحبوب والفواكه والبطيخ الأخضر وسائر البقول، وبها اللحوم الكثيرة من البقر والغزلان والمعز وغيرها من صنوف اللحم العجيبة البالغة في الطيب والسمن وأسعارها أبدا رخيصة، وبها تجارات وبضائع تحمل منها إلى بلاد النوبة، وليس يتصل بأسوان من جهة المشرق

---

(١) النزهة: حلة.

(٢) مهرجان اسمها القديم، كما ذكره ياقوت.

(٣) قارن الإدريسي (د/ ب) : ٧٤/ ٤٩.

(٤) نزهة المشتاق: ١٤٨.

(٥) نزهة: الحرير.

(٦) الإدريسي (د) : ٢١، ونزهة المشتاق: ٢٧، والمروج ٣: ٤٠.." (١)

"بزليانة (١)

قرية على ساحل البحر قريبة من مالقة وهي قرية أشبه بالمدينة في مستو من الأرض، وأرضها رمل وبها الحمام والفنادق ويصاد بها الحوت الكثير ويحمل منها إلى الجهات المجاورة لها، وبينها وبين مالقة ثمانية أميال.

بزاخة (٢)

موضع كانت فيه الوقيعة بين خالد بن الوليد رضي الله عنه وبين طليحة، وكان قد ارتد عن الإسلام وادعى النبوة، ولما انتهى خالد رضي الله عنه بالمسلمين إلى عسكر طليحة وقد ضربت له قبة من أدم وأصحابه حوله معسكرون، وانتهى خالد رضي الله عنه ممسيا فضرب عسكره على ميل أو نحوه من عسكر طليحة وتدانيا فاختلطت الصفوف واختلفت السيوف وضرس خالد رضي الله عنه في القتال فجعل يقحم فرسه ويقولون له: الله الله فانك أمير القوم ولا ينبغي لك أن تقدم، فيقول: والله إني لأعرف ما تقولون ولكني والله ما رأيتني أصبر، وأخاف هزيمة المسلمين، وأخرج طليحة أربعين غلاما جلدا من جنده جردا مردا فأقامهم في الميمنة فقال: اضربوا حتى تأتوا الميسرة وإذا وصلتم الميسرة فافعلوا مثل ذلك، وانهزم المسلمون، فقال خالد رضي الله عنه لما كان ذلك: يا معشر الأنصار، الله الله، واقتحم وسط القوم وكر عليه أصحابه وحينئذ اختلفت الصفوف، ونادى رجل من طيء: يا خالد عليك بسلمى وأجا، فقال: بل إلى الله الملجأ، ثم حمل، فوالله ما رجع حتى لم يبق من أولئك الأربعين رجل واحد، فخرج طليحة منهزما وحمل امرأته وراءه فنجا بها، وعمل خالد رضي الله عنه اخدودا أضرم فيه النار ثم أحرقهم أحياء، فقيل لبعض أهل العلم: لم حرق هؤلاء من بين أهل الردة؟ قال: بلغه عنهم مقالة سيئة شتموا النبي صلى الله عليه وسلم.

بزقطة

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٧

من سقي الفرات منها أبو الفضل محمد بن أحمد البزقطي كان يعلم علي بن الخليفة الناصر، حكى ابن سعيد (٣) أنه لما استخلف المستنصر صيره في ديوان الإنشاء وتوفي معه في سنة واحدة (٤) وأنشد له:

(٥) و أهيف مثل خوط البان قدا ... تجول على معاطفه الرياح

أبيت ولي بلثمي عارضيه ... ورشفي راح ريقته ارتياح

ولي من ليل طرته اغتباق ... ولي من صبح غرته اصطباح (٦)

بزوان (٧)

مدينة من أرض التبت وهي تلول وعلى ضفة بحيرة هناك طولها أربعون فرسخا وعرضها اثنان وسبعون ميلا وماؤها حلو وبها سمك كثير يصيده أهل بزوان وأهل أوج، وبين بزوان وأوج خمسة أميال وقدرهما في الكبر سواء وهما بلدان قائمان بأنفسهما وبهما أسواق وصناعات تكفيهما، وبضفة بحيرة (٨) بزوان أنهار كثيرة كبار في كل جهة منها وعلى مقربة من بزوان جبل معطوف على هيئة الدال لا يصل أحد إلى أعلاه إلا عن جهد وطرفاه يتصلان ببلاد الهند وفي بحبوحته أرض وطية فيها قصر مبني مربع لا باب له فمن قصده أو مشى نحوه وجد في نفسه فرحا وطربا مثل ما يجد شارب الخمر، ويقال إن من تعلق بهذا القصر وصعد إلى أعلاه لم يزل ضاحكا، وهذا خبر عظيم مستفيض في الناس.

البطائح

تقع في الفرات بين الخابور الذي في أرض الجزيرة حيث قرقيسيا (٩) ، وفي البطائح مجمع هذه المياه وهي ثلاثون فرسخا في ثلاثين فرسخا وهي خزانة أهل البصرة تجتمع فيها مياههم وتنبت القصب لحطبهم ومنافعهم ومنها سمكهم وفي نواحيها مزارعهم وأشجارهم، وقد اجتمعت من هذه البطائح أنهار منها نهر المرأة ونهر ابن عمر، وهو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، في أسفل البطائح مما يلي قصر أنس بن مالك رضي الله عنه وطوله أربعة فراسخ من أسفل البطائح إلى فيض البصرة، ونهر مرة وهو مرة بن أبي عثمان مولى عبد الرحمن بن أبي بكر كتبت عائشة رضي الله عنها إلى زياد بالوصاة عليه وأقطعه ذلك النهر، وفيض البصرة

---

(١) الإدريسي (د) : ٢٠٠، وبروفنسال: ٤٤، والترجمة، ٥٦، وهي تقابل (ventas de Bezmiliana) .

(٢) الاكتفاء (تاريخ الردة) : ٣٢، ٣٤.

(٣) في الأصلين: ابن سعد.

(٤) توفي المستنصر سنة ٤٦٥هـ.

(٥) في الأصلين: بدا.

(٦) في الأصلين: صباح.

(٧) نزهة المشتاق: ١٥٢.

(٨) نزهة المشتاق: ويصب في بحيرة.

(٩) هذه الجملة الموضوعة بين معقفين تجعل التعريف بالبطائح مضطربا، إذ البطائح بين الكوفة وواسط، ولا علاقة لها بالخابور وقرقيسيا.." [(١)]

"وعظم الله معنى ذكرها قسما (١) قلد إذا شئت أهل العلم أو فقس

وبلرم هذه دار الملك بصقلية في مدة الإسلام ومدة الروم، ومنها كانت تخرج الأساطيل للغزو، وهي على ساحل البحر والجبال محدقة بها ولها ساحل حسن، وفيها من المباني الحسنة ما هو مشهور، وفيها المساجد والفنادق والحمامات وحوانيت التجارة، وبها الجامع الأعظم الذي كان في الزمن القديم وفيه من البنايات وغرائب الصنعة وأجناس التزويق والكتابات (٢) كل شيء حسن، ولها ربض هو مدينة أخرى تحدق بالمدينة من جميع جهاتها، وبها المدينة القديمة المسماة بالخالصة التي كان بها سكنى السلطان والخاصة في أيام المسلمين وباب البحر ودار الصناعة.

والمياه بجميع جهات مدينة صقلية مخترقة جارية متدفقة وفواكهها كثيرة ومبانيها ومتنزهاتها حسنة رائقة.

وكان إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أمير إفريقية نزل على بلرم هذه حين توجه إلى صقلية غازيا ففتح بلرم هذه ودخلها سنة سبع وثمانين ومائتين وقتل من أهلها بشرا عظيما ثم عفا عنهم، وكان المتولي لحربها ابنه أبو العباس الذي كان ولي عهده وتخلى له عن التدبير عندما أظهر التوبة وأنه يريد الحج ثم أظهر أنه يخاف ابن طولون صاحب مصر ولا يمكنه الجواز عليه بمصر، فصرف وجهه وجده إلى الجهاد وأزال المظالم ونادى مناديه بردها وحضور المتظلم إلى مجلسه، ومات وهو محاصر كشنته (٣) من صقلية وكان منع من النوم وبه زلق الأمعاء فوصف له دواء عمله وعرض له الفواق، فقيل: الانطلاق والفواق علتان مفنيتان، ولم يشرب ذلك الدواء، واشتغل إبراهيم بنفسه وزادت به العلة فمات في ذي القعدة من سنة تسع وثمانين ومائتين، وأدى أهل كشنته الجزية وهم لا يعلمون بموته، وحمل إلى المدينة بلرم بعد أن صبر فدفن بها،

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٩٢

وقبره في بلرم مشهور.

بلكين (٤) :

جبل بلكين في جزيرة صقلية وفيه المغارة العظيمة التي فيها الدفين المكنوز الذي وضعه هناك صاحب قطانية، وقد أعجزت الناس الحيلة في الوصول إليه. قال محمد بن سعيد الأنصاري الأرجواني إنه أتى هذا الغار في نفر أرادوا الوقوف عليه ومعاينة ما فيه، قال: وكان ديرا للرهبان يسكنونه وله باب واسع يكون طوله مائتي ذراع في مثله، وله مما يلي القبلة باب آخر صغير، قال: فنزلت أنا وصاحب لي فيه فإذا بين أعلاه وقعره نحو ستين قامة وأنزلنا مع أنفسنا سرج الشمع وبقي سائر أولئك النفر في أعلى الغار ينتظرون تحريكنا للحبال التي أرسلونا بها فيجذبونها، قال: ثم سرنا في الغار منحدرين في طريق يسلك تجاه الجنوب حتى أفضينا إلى بئر عمقها نحو ست قيام فنزلنا إليها فإذا بطريق يشرع فيها فسرنا مدة منحنين نحو نصف ميل أيضا ثم لم تزل تقصر علينا حتى سلكناه حبوا حتى وصلنا إلى مجلس كبير مملوء بحجارة قدر كل حجر نصف القنطار، فنظرنا في إخراج تلك الحجارة فعلمنا إن أخرجنا منها حجرا واحدا فما زاد سد المسلك الذي دخلنا منه، قال: ورأيت للمجلس المذكور من خلل الحجارة بابا آخر من جهة القبلة مرتفعا عن أسفله بنحو القامتين ومنه أدخلت إليه تلك الحجارة والله أعلم. قال: وقد صنع أمام ذلك المجلس طاق محفور في ناحية المغارة وله فتح قصير يكون شبرين في مثلهما لا يدخل فيه الداخل إلا بتعب شديد ومشقة مجهدة، يذكرون أنه ينزل منه إلى مكان صعب ينزل فيه بحيلة ولطف يوصل منه إلى سماط عظيم يكون طوله نحو مائة ذراع في عرض سبعين ذراعا وعلوه كثير وفيه عجائب عظيمة من حياض مملوءة بضروب من مياه الحكمة وصور قد وضعت لفنون من المنفعة، قال: فأردنا الدخول إليه والوقوف على عجائبه فخشينا أن ينفد الشمع الذي كان معنا فنهلك، قال: فانصرفنا من حيث دخلنا وكان دخولنا إثر صلاة الصبح، فما وصلنا إلى موضع الحبال التي توازي باب المغارة إلا بعد هزيع من الليل فتعلقنا بالحبال وخرجنا، وقد كان أصحابنا أيسوا منا. ويقال إن صاحب قطانية أدخل هذا الدفين هناك من أسفل غربي الجبل من مغارة أخرى كانت تنفذ إلى هذه ثم سد بابها بطين الحكمة فالله أعلم، ويذكر أن محمد بن سعيد هذا وجد هناك مالا عريضا وأصاب فيه خيرا كثيرا.

---

(١) يشير غلى أن معنى صقلية ((التين والزيتونة)) وبهما أقسم عز وجل، وسيأتي ذكر ذلك في مادة صقلية.

(٢) ع: والحنايات، ولعله يريد ((الحنيات)) أو ((الحنايا)) .

(٣) في الأصلين: لشنته، والمقصود مدينة (Cosenza) في قلورية بإيطاليا لا بصقلية، وقد جرى المؤلف على تصحيفها ولذلك أدرجها في حرف اللام ((لشنته)) .
(٤) المعلومات التي يوردها المؤلف ليس لها ما يماثلها في المصادر المتيسرة لدينا، ويذكر الأستاذ رتزتانو أن أقرب الأسماء إلى هذا الاسم (Monte Pellegrion) وهو الذي يرد عند الإدريسي (م) : ٨ باسم بلقرين.." (١)

"ما بقي لكم طمع فيها فهلموا إلى بلاد المغرب ففيه ما يجبركم، فوصل في هذه السنة بحشوده إثر الوقيعة التي كانت عليه بوادي الدبوسي من سفح جبل نفوسة مع الشيخ المجاهد أبي محمد عبد الواحد قاصدا إلى صاحب تلمسان موسى بن يوسف بن عبد المؤمن، وخرج إليه موسى بجموعه ومن صحبه من فرسان زناتة فالتقوا بتاهرت في شوال سنة خمس المذكورة، فانهزم أصحاب موسى وأخذهم السيف وأثخن فيهم وقتل موسى وأسر أحد أولاده، وأحاط يحيى بن إسحاق بعسكره ولم تبق له باقية، وكان هذا اليوم من غرر أيام يحيى شفى فيه غيظه وأخذ بثأره وانصرف ظافرا غانما، وبقي ولد موسى أسيرا في يد الأعراب حتى فداه صاحب إفريقية، وفقد من محلة موسى نحو من ألف وسبعمائة إنسان، وانبسطت جموع يحيى في تلك الجهات وعاثوا فيها وارتاع أهل تلمسان وأغلقوا بابهم وأذهلتهم فجأة هذا الأمر، ودام عيث أصحاب يحيى في أقطارها وجهاتها حتى امتلأت أيديهم بالأسباب والأمتعة والأموال، فكانت هذه الوقيعة شبيهة بوقيعة عمرة الكائنة في مدة المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن. ولما بلغ الملك الناصر بمراكش خبر هذه الوقيعة ومقتل موسى وجه أبا زيد بن يوجان (١) وزير أبيه في عسكر في طلب هذا العدو وقد انكمش لائذا بصحراء طرابلس.
وكان (٢) صاحب تلمسان يغمراسن بن زيان من بني عبد الوادي قد تمادى في غيه ونبذ طاعة ملك إفريقية الأمير أبي زكريا وأعلن بالخلاف فتحرك إليه من تونس في عساكره وحشوده، فخرج من تونس في السادس والعشرين من شوال سنة تسع وثلاثين وستمائة، وجعل يتلوم عليه ويأمر من يندبه إلى مراجعة الطاعة إلى أن انتهى إلى تلمسان فنزل عليها، فكان بنو عبد الوادي يخرجون كل يوم فيطاردون العسكر ثم يرجعون إلى مدينتهم، وصابروهم إلى أن ضاق مجالهم وانحجزوا في مدينتهم ورجعوا إلى النشاب وأغلقوا الأبواب فأحرق بعضها ودخلت عليهم البلدة عنوة وخرج يغمراسن من أحد أبوابها فارا لا يلوي على شيء، وملك الأمير أبو زكريا البلد وأنهبها ثم أمنها بعد ذلك، وعفا عن الناس، ثم عفا عن يغمراسن وأمنه وأذن له في الرجوع

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٠٢

إلى بلده، وكان فتحها في العاشر من صفر سنة أربعين وستمائة، وخافه صاحب مراكش يومئذ عبد الواحد بن أبي العلا ادريس بن المنصور يعقوب الملقب بالرشيد، وكان بمراكش يوم تحقق دخوله في طريق إفريقية أفراح عظيمة، وقالت الشعراء في ذلك وأكثرت، من ذلك قول الأديب الكاتب أبي عبد الله محمد بن الأبار من قصيدة:

دنت غمرات الموت من يغمراسن ... فأجفل كالخرقاء يعتسف الخرقا

فأين الذي كان ادعى من زعامة ... لمعشره يا شد ما اجتنب الصدقا

وفروا وكان المكر فيهم سجية ... ومن ذا يطيق الطعن والضرب والرشقا

سلا عن سلا هل طلها العارض الذي ... أطل على مراكش يحمل الصعقا

وهل سكنت فاس وسبتة بعده ... أم اصطكتا كالخافقين له خفقا

وهل أخذت روم الجزيرة حذرها ... من الفتكة النكراء تمحقهم محقا

لفتح تلمسان على الشرك عنوة ... أشق بحكم القسر منه على الأشقى

رمت للإمام المرتضى بقيادها ... فأحرزها علقا وأوسعها عتقا

وأسرف أهلوها معاصي أوبقت ... فما زاد أن أغضى حنانا وأن أبقى

تماجر (٣) :

بين القيروان والمهدية من القيروان إليها مرحلة، وتماجر كبيرة آهلة بها جامع وأسواق وفنادق وحمام وماؤها زعاق، وفي وسطها غدير ماء وحولها غابة زيتون وأعناب، وبين تماجر والمهدية الوادي المالح الذي كانت فيه الوقيعة المشهورة بين أبي يزيد وأبي القاسم (٤) قتل فيها من أصحاب أبي القاسم عدد لا يحصى، وهي مدينة كبيرة قديمة.

---

(١) ص ع: أبا زيد بن موسى وجان.

(٢) انظر تاريخ الدولتين: ٢١، والفارسية: ١٠٩.

(٣) البكري: ٢٩.

(٤) يعني بين مخلد بن كيداد وأبي القاسم العبيدي.." [١]

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٣٦

"وقال عبد الله بن قرط: عسكر أبو عبيدة ونحن معه حول حمص نحوا من ثمان عشرة ليلة وبث عماله في نواحي أرضها واطمأن في عسكره. وبحمص مات خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين، وقيل بل مات في المدينة وصلى عليه عمر رضي الله عنه.

وبين حمص وسلمية ستة فراسخ، ويقال إن أهل حمص أول من ابتدع الحساب في سالف الزمن، لأنهم كانوا تجارا يحتاجون إلى الحساب في أرباحهم ورؤوس أموالهم ونفقاتهم، ويقال إنه لا يدخل حمص حية ولا عقرب، وليس لها سور، وفي وسطها حصن مستدير، وأكثر مدينة حمص اليوم خراب، وشرقي مدينتها البرية، ويقال: إن أبقراط الفاضل كان مسكنه مدينة حمص.

وقال قتادة: أخبرت أنه نزل حمص خمسمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل نزلها من بني سليم ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم أربعمائة.

وأهل هذه (١) البلدة موصوفون بالنجدة والتمرس بالعدو لمجاورتهم له، وبعدهم في ذلك أهل حلب. وقبليها قلعة حصينة منيعة، وشرقيها جبانة فيها قبر خالد بن الوليد سيف الله المسلول ومعه قبر ابنه عبد الرحمن وقبر عبد الله بن عمر رضي الله عنهم. وأسوار هذه المدينة غاية في العتاقة والوثاقة مبنية بالحجارة السود وأبوابها حديد سامية الأشراف هائلة المنظر تكتنفها الأبراج الحصينة، وفي داخلها ما شئت من بادية شعثاء، وما ظنك ببلد حصن الأكراد منه على أميال يسيرة وهو معقل العدو، وبها مدرسة واحدة.

واشبيلية بالأندلس تسمى حمص أيضا، ولبعض المتأخرين ينسب عثمان بن عتيق إلى انتحال أشعار الناس:

يا أهل ترشيش ألا حاكم ... يحكم في السارق بالنص

قد جاءكم من جمة شاعر ... وشعره يأتيه من حمص يعني اشبيلية.

حماة (٢) :

من كور حمص بالشام، وهي مدينة طيبة في وسطها نهر يسمى العاصي، وفيه قيل:

ولما جرى العاصي وطيع أدمعي ... لدى الناس قال الناس أيهما النهر وهذا النهر عظيم عليه جسور يعبر عليها، وعليه نواعير كثيرة تخرج الماء إلى ما على جانبيه من غيطان المدينة، وبينها وبين كفر طاب أربعون ميلا، ومن حمص إلى حماة مثلها، وهي قديمة البناء، وربضها (٣) كبير وفيه الحمامات (٤) والديار، وبها جامعان وثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بازاء الجامع الصغير، وبخارج البلد بسيط فسيح عريض فيه شجر الأعناب والمزارع والمحارث والبساتين على شطي النهر، وهو العاصي لأن ظاهر انحداره من أسفل إلى علو ومجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلي حمص وبمقربة منها.

الحميمة:

بلفظ التصغير، قرية من كور دمشق من أعمال البلقاء، أقطعها عبد الملك بن مروان لعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم فكان يسكنها، وفيها كان إبراهيم بن محمد الإمام مستترا في مدة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

فإنه لما (٥) قوي أمر أبي مسلم داعي بني العباس وغلب على أكثر خراسان وضعف أمر نصر بن سيار وعدم النجدة خرج عن خراسان حتى أتى الري ثم خرج عنها فنزل ساوة بين بلاد همذان والري فمات بها كمدا، وكان لما صار بين الري وخراسان كتب كتابا إلى مروان يذكر فيه خروجه عن خراسان وإن هذا الأمر الذي أزعجه سيزيد حتى يملأ البلاد، وضمن ذلك هذا الشعر:

إنا وما نكتم من أمرنا ... كالثور إذ قرب للباخع

---

(١) من هنا منابع لابن جبير: ٢٥٨.

(٢) صبح الأعشى ٤: ١٤٠.

(٣) من هنا متابع لابن جبير: ٢٥٧.

(٤) ابن جبير: **الخانات**.

(٥) النقل عن مروج الذهب ٦: ٦٨.." [1]

"وللخضراء (١) هذه سور حجارة مفرغ بالجير (٢) ولها ثلاثة أبواب وبها دار صناعة داخل المدينة، وعلى نهرها المسمى نهر العسل بساتين وجنات بضفتيه معا، وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإقلاع وحط، وأمام المدينة الجزيرة المعروفة بأم حكيم المتقدمة الذكر، والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الإسلام سنة تسعين من الهجرة على يد موسى بن نصير من قبل المروانيين ومعه طارق بن عبد الله بن ونموا الزناتي في قبائل البربر. وعلى باب البحر مسجد يسمى مسجد الرايات يقال إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأي، وكان وصولهم أيضا من جبل طارق، وسمي بذلك لأن طارق بن عبد الله لما جاز بالبربر الذين معه تحصن بهذا الجبل وقدر أن العرب لا تثق به، وأراد أن ينفي عن نفسه التهمة فأمر بإحراق المراكب التي جاز بها فبرئ بذلك مما اتهم به. وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال، وهو جمل منقطع مستدير في أسفله كهوف فيها ماء.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٩٩

ولها من الأبواب الباب الكبير ويعرف بباب حمزة غربي وباب الخوخة قبلي وباب طرفة جوفي، ولها ثلاثة حمامات. وتغلب المجوس (٣) عليها في سنة خمس وأربعين ومائتين وأحرقت المسجد الجامع بها، وفي الشرق من مدينة الجزيرة مسجد يقال إنه من بناء صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقال إنه أول مسجد بني بالأندلس، ويعرف الموضع الذي فيه بقرطاجنة فإذا أقحط أهل الجزيرة استسقوا فيه فسقوا بفضل الله ورحمته. والجزيرة في شرقي شذونة وقبلي قرطبة، ولها أقاليم عدة.

خشك (٤) :

من مدن كابل من ثغور طخارستان.

ذو خشب (٥) :

موضع متصل بالكلاب على مرحلة من المدينة على طريق الشام. وفيه قال مروان بن الحكم حين طرده ابن الزبير إلى الشام فمر به متأسفا على أمواله بالمدينة وعقاره: لا مال إلا ما أحرزته العياب.

الخشبات (٦) :

بالعراق، من عبادان إلى الخشبات ستة أميال، وهذه الخشبات على متصل بحر فارس بمصب دجلة، وهي خشبات مغروزة في قعر البحر عليها مناصب من ألواح مهندمة يجلس عليها حراس البحر ومعهم زورق يركبون فيه إلى هذه الخشبات وبه ينزلون إلى الساحل، وهذا البحر الفارسي شطه الأيمن للعرب والآخر الأيسر لفارس، وعرضه من سبعين باعا إلى ثمانين باعا.

خوي (٧) :

من أذربيجان، وقيل: خوي والنسار موضع واحد، وبخوي كانت وقعة لبني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة على بني أسد وبني يربوع، وهناك فتك عمرو بن حسان الضبعي بيزيد بن القمارية وهي أمه، وفي ذلك يقول وائل بن شرحبيل:

وغادرنا يزيد لدى خوي ... فليس بآيب أخرى الليالي

خوار (٨) :

موضع يجاور مكة تلقاء أجلى أنشد ابن الأعرابي:

خرجن من الخوار وعدن فيه ... وقد وازن من أجلى برعن

خولان (٩) :

قرية باليمن قريبة من ذمار، وهي باردة الهواء حسنة البناء فيها حمامات وخانات وفواكه كثيرة، وتدخل منها

بين جبال وأنهار وأرض حصباء فتفضي إلى ذمار.

خوارزم:

من بلاد خراسان، وخوارزم اسم للكورة، وتسمى مدينتها الكبرى قيلا بالقاف (١٠) فقيل مدينة خوارزم، وأنشدوا لكعب الأشقري:

---

(١) الإدريسي (د) : ١٧٦.

(٢) الإدريسي: بالجيار.

(٣) انظر العذري: ١١٨ - ١١٩.

(٤) انظر ياقوت: (خشك) .

(٥) معجم ما استعجم ٢: ٥٠١.

(٦) نزهة المشتاق: ١٢١ وبعضه عن أبي خرداذبه: ٦٠، وانظر البكري (مخ) : ٣٤.

(٧) معجم ما استعجم ٢: ٥٢٠.

(٨) معجم ما استعجم ٢: ٥١٤.

(٩) المؤلف ينقل عن البكري (مخ) : ٦٧.

(١٠) قال ياقوت (فيل) : قيل بلفظ الفيل من الدواب الهندية كانت مدينة خوارزم، وكذلك أوردها في مادة خوارزم نفسها؛ وجانب من المادة هنا عند ابن حوقل: ٣٩٧ - ٣٩٨، والكرخي: ١٧٠، وانظر مادة ((الجرجانية)) ، نزهة المشتاق: ٢١٣.." [١]

"رأيت على ركن من أركانها مكتوبا بحمرة: حضر فلان بن فلان وهو يقول: من إقبال ذي الفطنة إذا ركبته المحنة انقطاع الحياة وحضور الوفاة، وأشد العذاب تطاول الأعمار في حال الإدبار وأنا القائل:

ولي همة أدنى منازلها السهى ... ونفس تعالى في المكارم والبها

وقد كنت ذا حال بمرو قوية ... فبلغت الآمال في بيعة الرها

ولو كنت معروفا بها لم أقم حيا ... ولكنني أصبحت ذا غربة بها

ومن عادة الأيام إبعاد مصطفى ... وتفريق مجموع وتبغيض مشتهى

رهاط (١) :

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٢٢٤

بضم أوله، قرية جامعة على ثلاثة أميال من مكة بها كان سواع، صنم لهذيل، وقال أبو صخر:
فماذا ترجي بعد آل محرق ... عفا منهم وادي رهاط إلى رحب
روذبار (٢) :
هو اسم لساحل جيحون كله.
روذان (٣) :
بلدة حسنة من كور الجبل، وهي إقليم حسن وناحية شريفة، ومنها إلى نهاوند عشرون ميلا، وبينها وبين همذان ثلاثة فراسخ، ويعمل بها الزعفران، فهي تعرف ببلد الزعفران.
روذة (٤) :
بضم أوله وبالذال المعجمة، موضع من قرى نهاوند، قالوا: خرج عمرو بن معدي كرب الزبيدي في جماعة من بني مذحج زمان عثمان رضي الله عنه يريد الري ودستبى، فنزلوا خانا من تلك **الخانات**، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يستعجل عنها، فأمعن عمرو في حاجته وأبطأ، وأرادوا الرحيل، وكره كل منهم أن يدعوه وذلك من إعظامهم إياه حتى طال عليهم، فجعلوا يقولون: أي أبا ثور، أي أبا ثور، وجعلوا يسمعون علزا ونفسا شديدا، قال: فخرج عليهم محمرة عيناه مائل الشق والوجه مفلوجا، وإذا الشيطان قد ساوره، فسار معهم محمولا مرحلة أو دونها فمات فدفن بروذة، وقالت امرأته ترثيه:
لقد غادر الركب الذين تحملوا ... بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا وروي أيضا أنه شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن وقاتل يومئذ فأثبتته الجراحات، فحمل فمات بروذة من قرى نهاوند، وقال ابن دريد: مات عمرو بن معدي كرب على فراشه من حية لسعته.
رومة (٥) :
بضم أوله، بئر رومة بالمدينة، وكانت ليهودي يبيع المسلمين ماءها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين وله بها مشرب في الجنة "؟ فاشتراها عثمان رضي الله عنه بعشرين ألفا.
ومن بئر رومة كانت تحمل المرأة الزريقية الماء إلى تبع في القرب فأثابها، فلذلك صار ولدها أكثر بني زريق مالا.
ورومة أيضا مدينة عظيمة للنصارى هي ركن من أركانهم وكرسي من كراسيهم (٦) ، وبأنطاكية كرسي، وبالإسكندرية أيضا كرسي، وببيت المقدس كرسي لكنه محدث لم يكن في أيام الحواريين واتخذ بعدهم

ليعظم بيت المقدس. ويذكر أن محيطها تسعة أميال ولها سوران من الحجر، وعرض السور الداخل اثنا عشر شبرا وسمكه اثنان وسبعون ذراعا.
وكانت (٧) رومة دار مملكة الروم، ونزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكا ثم نزل بعمورية (٨) منهم ملكان، ثم انتقلت مملكتهم إلى رومة فنزلها ملكان ثم ملك ب٥١ قسطنطين الأكبر فانتقل إلى القسطنطينية.

---

(١) معجم ما استعجم ٢: ٦٧٨.
(٢) معجم ما استعجم ٢: ٦٨٤، وعند ياقوت عدو مواضع بهذا الاسم.
(٣) قارن بياقوت (روذان) .
(٤) معجم ما استعجم ٢: ٦٨٤.
(٥) معجم ما استعجم ٢: ٦٨٥.
(٦) أول المادة عن الادريسي (م) : ٧٣، وانظر مروج الذهب ٣: ٤٠٧، وصبح الأعشى ٥: ٤٠٧، وابن الوردي: ٥٠.
(٧) البكري (ح) : ١٩٢، وبضعه عند ابن خرداذبه: ١٠٤، ومروج الذهب ٢: ٣١١.
(٨) ابن خرداذبه: نقمودية.." (١)

"ومنها يدخل إلى بلاك السودان، وشرب أهلها من آبار عذبة، وبها نخل كثير وتمرها حسن، والعرب تجول بنواحيها وتضر بأهلها، وكان بناها عبد الله بن خطاب الهواري وسكنها هو وبنو عمه سنة ست وثلثمائة، وهي منسوبة إلى هذا الرجل، وهي الآن عامرة، وهي مجمع الرفاق، وإليها يجلب الرقيق ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية وغيرها من البلاد.

ولما فتح (١) عمرو بن العاصي برقة وجبل نفوسة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وافتتحها، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين. وبقرب زويلة قصر واجان، وهو قصر عظيم على رأس جبل في طرف المفازة، وهو مثل المدينة، فسار إليهم خمسة عشر يوما، فنزل عليهم وحاصرهم نحو شهر فلم يقدر عليهم، فمضى أمامه على قصور كوار ففتحها وأخذ ملكها فقطع إصبعه، فقال له: لم فعلت هذا. فقال له عقبة: إذا نظرت إلى إصبعك لم تقاتل العرب، وفرض عليهم ثلثمائة وستين رأسا، ثم سألهم هل وراءهم أحد، فلم يعلموا أن وراءهم أحدا، فكر راجعا على قصر واجان فلم يعرض له ولا نزل عليه، وسار ثلاثة أيام، فلما رأوا أنه لم

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٢٧٤

يعرض لهم أمنوا وانبسطوا، فأقام عقبة بموضع يسمى اليوم ماء الفرس، فنفد ماؤهم وأصابهم العطش حتى كاد يهلكهم، قال: فصلى عقبة بأصحابه ركعتين ودعوا الله تعالى، فجعل فرس عقبة يبحث بيده في الأرض حتى انكشف له صفاة فنبع ماء، فنادى عقبة الناس أن احفروا فاحتفروا، فوجدوا ماء معينا زلالا فسمي ماء الفرس، وكان يقال له عقبة المستجاب، ثم كر راجعا إلى قصر واجان من غير طريقه الذي أقبل منه، فلم يشعروا حتى طرقهم ليلا فوجدهم مطمئنين فاستباح ما في مدينتهم من ذراري وأموال ونساء، وقتل مقاتلتهم، ثم انصرف راجعا إلى زويلة، ومن زويلة كر إلى غدامس بعد خمسة أشهر، وسار متوجها إلى المغرب وجانب طريق الجادة وأخذ أرض مزاتة، فافتتح قصورهم حتى انتهى إلى قفصة ففتحها وافتتح بلاد قصطيلية ثم انصرف إلى القيروان، فتوفي شهيدا بتهودة، من بلاد الزاب، حسبما يأتي ذكر ذلك في موضعه.

وزويلة (٢) أيضا إحدى المهديتين، كانت متصلة بالمهدية، وكان السلطان وخاصته وجنوده يسكنون المهدية، والأسواق والناس في زويلة، وكانت حسنة المباني والشوارع، وأهلها مياسير نبلاء ذوو أفهام ثاقبة وطريقة في المعاملات جيدة، وأسوارها عالية حصينة وهي مبنية بالحجر، وبها فنادق وحمامات جمة (٣) ، ولها من جهة البر خندق كبير تستقر فيه مياه السماء، وبخارجها حمى كان قبل دخول العرب إفريقية وإفسادهم لها جنات وبساتين بسائر الثمار العجيبة والفواكه الطيبة، ولم يبق بها الآن من ذلك كله شيء بل خربت زويلة فلم يكد يبقى لها أثر، وحولها قرى كثيرة ومنازل وقصور يسكنها البداة، ولهم زروع ومواش وأغنام وأبقار وإصابات في القمح والشعير، وبها زيتون كثير يخرج منه زيت طيب عجيب يعم سائر البلاد الإفريقية، وكان يتجهز به إلى المشرق، وبين المدينتين (٤) رملة قدر رمية قوس.

الزبداني (٥) :

بلدة كثيرة المياه والأشجار بين دمشق وبعلبك، منها محمد بن هبة الله الأنصاري الزبداني قاضي الزبداني، كان إذا حل ملك كبير ببلده أظهر في ضيافته ما يتعجب منه كثرة واتقانا، وهو القائل وقد مرض محبوب له:

قد قلت للدهر على أنني ... أنهاه كي يرجع عن حكمه

أمرضت من أهوى وعافيتني ... فقال موت المرء من فهمه

قد نلت من قلبك لما اشتكى ... أكثر مما نلت من جسمه وهو القائل وقد خدم أميرا جميل الصورة:

أحمد الله على ما تم لي ... أنجح السعي وصح الأمل

الذي أخدمه أعشقه ... فمديحي في علاه غزل

(١) من هنا يستمر النقل عن البكري والاستبصار فقط.

(٢) الادريسي (د/ ب) : ١٠٩/ ٧٩.

(٣) ص ع: خمسة.

(٤) يعني المهدية وزويلة.

(٥) ص ع: الزيدان؛ وهو وهم جعل المؤلف يؤخر هذه المادة إلى هذا الموضع، وانظر ابن خلكان ٤: ٢٦ في ضبط الاسم وتحديد موقعه؛ وهي معروفة إلى اليوم.." [1]

"أبصرت من بلد الجزيرة مكنسا ... والبحر يمنع أن يصاد غزاله

كالشكل في المرآة تبصره وقد ... قربت مسافته وعز مناله

السبخة

١

:-

موضع بالمدينة، بين موضع الخندق وبين سلع، وبها جالت خيل المشركين وقد اقتحمت من مكان ضيق في الخندق منهم عمرو بن عبد ود، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والسبخة (٢) أيضا موضع بالعراق فيه كانت وقيعة السبخة التي أوقع فيها المختار بن أبي عبيد الثقفي بقتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما وكان بعثه الله تعالى نقمة عليهم فقتل منهم بشرا كثيرا، ولما أظفره الله عز وجل بقتلة الحسين رضي الله عنه أظهر العتو وادعى النبوة، وكانت هذه الوقيعة التي أوقع بهم فيها تعرف بوقيعة السبخة، وقتل فيها ربيعة بن شداد بن عوسجة وهرب الشمر بن ذي الجوشن ثم عثر عليه ليلا فقتل، وقتل الذي جاء برأس الحسين وحرق بالنار، ووجه المختار أبا عمرة صاحب حرسه إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص فقتله وجاء برأسه إلى المختار، وابنه حفص جالس عنده فقال له: أتعرف هذا؟ قال: نعم ولا خير في الحياة بعده، قال: صدقت، فأمر به فقتل، ثم قال المختار: هذا بحسين بن علي وهذا بعلي بن حسين ولا سواء، والله لو قتلت منهم كذا لما وفوا بأنملة من أنامله. ثم بعث المختار برأس عمر بن سعد إلى المدينة حتى ألقي بين يدي علي بن الحسين فخر ساجدا، وفي الخبر طول.

سبيبة (٣) :

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٢٩٦

من القيروان إلى وادي الرمل أربعون ميلا، ومنها إلى سبيبة، وهي مدينة أولية ذات أنهار وثمار، ومياهها سائحة تطحن عليها الأرحاء، وكانت على نظر كبير ومزدرعات كثيرة وقرى عامرة.

ولها (٤) سور حجارة وربض فيه الخانات والأسواق.

وتسكنها (٥) اليوم قبائل من البربر والعرب ويسمى ذلك النظر القرى، ولم يكن بإفريقية أخصب أرضا منها ولا أكثر بساتين ومياها وعيونا جارية.

وبمدينة سبيبة عين عظيمة كبيرة من بنيان قديم من عمل الأول، ويقال إن فيها خبئا، ومن أطرف ما يهتف به أهلها أنهم يقولون إنه يوجد فيها في رأس كل شهر دينار كبير وزنه عشرة مثاقيل، ولا يصل إليه ويأخذه إلا من يعرف رقية العين، ويقولون إن رجلا كان يعرف رقية العين وكان يبخرها ببخور ويرقي بكلام غير مفهوم، فكان يجد فيها كل يوم دينارا من تلك الدنانير حتى كسب من ذلك مالا كثيرا.

وبسبيبة كان التقاء جند زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب صاحب القيروان وجند منصور الطنبذي (٦) ، وكانت إفريقية قد انتقضت عليه وحكم كل رئيس على جهته، فتقاتل زيادة الله ومنصور الطنبذي قتالا عظيما وانهزم أصحاب زيادة الله واستفحل أمر القواد واستولوا على إفريقية، وفي هذه الوقيعة خاف زيادة الله على ملكه وتوقع انقطاع دولته وبلغ، ذلك منه كل مبلغ فدخلت عليه أمه فصبرته وسهلت عليه الأمر، ففكر ساعة ثم رفع رأسه فأنشدها أبياتا فيها (٧) :

أفنت سبيبة كل قرم باسل ... ومن العبيد جحاجحا أبطالا

فإذا ذكرت مصابنا بسبيبة ... فابكي جلاجل واندبي إعوالا (٨)

سجستان:

بلد جليل له من الكور مثل ما بخراسان وأكثر، غير أنها منقطعة متصلة ببلاد السند والهند، وكان يضاهي خراسان.

وهم ينتفعون (٩) بالقنافذ كانتفاع أهل اليمامة بالحفات، وفي عهد سجستان ألا يقتل قنقذ في بلادهم لأن بلدهم كثير الرمل بناه

---

(٢) انظر الطبري ٢: ٦٢٨.

(٣) بدأ النص بالنقل عن البكري: ٤٩، وبعد قليل يتفق مع ما في الاستبصار: ١٦١.

(٤) عن الإدريسي (د) : ٩ -

(٥) عاد إلى النقل عن الاستبصار.

(٦) كان ذلك سنة ٢١٠هـ؟، (انظر البين المغرب ١: ١٠٠ - ١٠١) ؟

(٧) الحلة السيراء ١: ١٦٦، وجلاجل المخاطبة في البيت الثاني هي أم زيادة الله.

(٨) ص: أطلالا؛ ع: اطالا، وآثرنا رواية الحلة السيراء.

(٩) البكري (مخ) : ٤٨.." (١)

"وهي كبيرة عليها ثلاثة أسوار، وهي من مشاهير المدن وأعيان البلاد، يقصدها كل حاضر وباد من جميع الأقطار، والبحر محدق بها من جميع جهاتها، والدخول إليها والخروج منها على باب واحد شمالها، ولها مرسيان وليس مثلهما في جميع البلدان، أحدهما أكبر من الآخر، وبها فوارة اليهودي (١) تنبع من جرف على حاشية البحر، وهي عجيبة الأمر، وبها ما بأكثر المدن من الأسواق ذوات السماطات **والخانات** والديار والحمامات والمباني الرائعة والأفنية الواسعة، ولها إقليم كبير وضياع ومنازل خصيبة زكية المزارع، توسق فيها السفن بالطعام.

وفي سرقوسة مات أسد بن الفرات الفقيه، كان وجهه زيادة الله الأغلبي أمير القيروان، غازيا إلى صقلية، فسار إليها مقلعا من سوسة، ودخلها في عشرة آلاف فارس وكان أميرا قاضيا، فقاتل أهلها وفتح فيها بلادا، وتوفي بها.

وافتتحت سرقوسة (٢) ، سنة أربع وستين ومائتين، وكان جعفر بن محمد التميمي أخرج أبا العباس أحمد بن عبد الله بن يعقوب بالصائفة، فهزم أهل سرقوسة وقتل منهم مقتلة عظيمة، وحاصرها برا وبحرا، وفتحها بعد تسعة أشهر من نزوله عليها في شهر رمضان من العام المؤرخ، وأصاب فيها من المغانم ما لم يكن يصاب مثله في مدينة من مدن الشرك ولم يستحي من علوجها أحدا ولا أفلت منهم نافخ ضرمة.

وسرقوسة مدينة كبيرة عليها ثلاثة أسوار، ولها مرسى يعرف بالمينا الصغيرة وبينه وبين مرسى المينا الكبيرة حفير، وعلى الحفير قنطرة إلى المدينة، والمينا الكبيرة مرسى مشتى للسفن، والفوارة على المرسى وعليها مسجد.

سطيف (٣) :

مدينة أو حصن، بينها وبين ميلة مرحلة، وهي قديمة أزلية كثيرة الخلق كالمدينة، كثيرة المياه والشجر المثمر بضروب الفواكه، ومنها يحمل الجوز المتناهي طيبا إلى الأقطار، وكان عليها سور صخر عظيم قديم خربته

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٠٤

كتامة مع أبي عبد الله الشيعي، وهي رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه والثمار، غزيرة المياه والأنهار والبساتين والأشجار.

سطفسيف (٤) :

نهر تلمسان ينبعث من أسفل جبل البغل هناك ويصب في بركة عظيمة من عمل الأول، ويسمع لوقوعه فيها خرير شديد على مسافة، ثم ينشق منه بحكمة مدبرة إلى موضع يسمى المهراز (٥) ، ثم ينصب في أنهار كثيرة، وبعد ذلك ينحدر إلى البحر.

سطح العيران:

موضع على قسنطينة فيه تنزل المحلات.

سطفورة (٦) :

اسم إقليم جليل فيه قرى وقواعد، وهو على بنزرت، كان يقال له سطفورة، ومدنه: بنزرت وتينجة وغيرهما.

سلقطة (٧) :

مدينة بينها وبين المهدية ثمانية أميال، ويقال إن الكاهنة حصرها عدو في قصر الأجم، فحفرت سربا في صخرة صماء منه إلى مدينة سلقطة يمشي فيه العدد الكثير، وبينهما ثمانية عشر ميلا، ويقال إن الكاهنة كانت في سلقطة، فكان الطعام يجلب إليها في ذلك السرب على ظهور الدواب.

سلمى (٨) :

أحد جبلي طيء.

سلمان (٩) :

ماء لبني شيبان، على طريق مكة إلى العراق، فيه مات نوفل بن عبد مناف.

سلع (١٠) :

جبل متصل بالمدينة، وفي حديث الاستسقاء: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، قال أنس رضي الله عنه: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت انتشرت ثم أمطرت، وقال الشاعر (١١) :

إن بالشعب الذي دون سلع ... لقتيلا دمه ما يطل

---

(١) الإدريسي: النبودي.

(٢) ص ع: صقلية.

(٣) الاستبصار: ١٦٦، والبكري: ٧٦، والإدريسي (د/ ب) : ٩٨/ ٧٠.

(٤) الاستبصار: ١٧٦ - ١٧٧، والبكري.

(٥) البكري والاستبصار: المهماز.

(٦) الإدريسي (د/ ب) : ١١٤/ ٨٣.

(٧) البكري: ٣١.

(٨) معجم ما استعجم ٣: ٧٥٠، وقارن بياقوت (سلمى) .

(٩) ص ع: سلامان والتصويب عن معجم البكري: ٧٥٠، وقارن بياقوت (سلمان) .

(١٠) معجم ما استعجم ٣: ٧٤٧.

(١١) ينسب إلى ابن أخت تأبط شرا في رثاء خاله، والقصيدة حماسية.." [١]

"سلا:

بلاد المغرب، بينها وبين مراكش على ساحل البحر تسع مراحل، وهي مدينة (١) قديمة أزلية، فيها آثار للأول معروفة بضفة الوادي، متصلة بالعمارة التي أحدثها هناك أحد ملوك بني عبد المؤمن، وكان قد اتخذ أرباب البلد مدينة بالعدوة الشرقية، وهي المعروفة الآن بسلا الحديثة، وهي على ضفة البحر، وسلا القديمة (٢) خراب الآن. وأما سلا الحديثة فهي منيعة من جهة البحر. لا يقدر أحد من أهل المراكب على الوصول إليها من جهته، وهي حسنة في أرض رمل، ولها أسواق نافقة وتجارات ودخل وخرج، ولأهلها سعة أموال، والطعام بها كثير رخيص جدا، وبها كروم وغلات وبساتين، ومراكب أهل اشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عنها ويحطون بها بضروب من البضائع، ويقصدها أهل اشبيلية بالزيت الكثير، ويتجهز منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية، ومرساها مكشوف، إنما ترسي المراكب الواردة عليها في الوادي وتجوزه بدليل لأن في فم الوادي حجارة وتروشا تنكسر عليها المراكب، فلا يدخلها إلا من يعرفها، وهذا الوادي يدخله المد والجزر مرتين في كل يوم، فإذا كان المد دخلت المراكب به إلى داخل الوادي وكذلك تخرج في وقت خروجها، وفي هذا الوادي أنواع من السمك وضروب من الحيتان، ولا يباع بها ولا يشترى لكثرته وجودته، وكل شيء من المأكولات في مدينة سلا بأيسر القيمة. وكان يوسف بن عبد المؤمن أمر ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي كان أحدثها بها أمير المؤمنين وفيها جامع وقصور وصهاريج الماء،

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣١٨

أمام الجامع وهو مجلوب من نحو عشرين ميلا، وفي هذه المدينة المحدثة قيسارية عظيمة وحمام وفنادق وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع أعدت لورود المحلات عليها، إذ وضعها على المجاز والمعبر إلى مراكش، وعلى هذا المعبر قنطرة مركبة على ثلاث وعشرين معدية، مدت عليها أوصال الخشب وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر، تجوز عليه العساكر والمسافرون، ويتصيد حوله أنواع السمك الشابل وغيره، ويمد البحر فترتفع القنطرة ويغطي الجسر فتقوم عليه المراكب وترسي دونه الأجفان الكبار، وقلما تسلم عند دخولها أو خروجها لصعوبة المدخل، وهو مشهور عند أهل البحر، ويقابله من مراسي بلاد الأندلس وادي شلب، وبينهما في البحر يوم وليلة. وهذه البلدة وقت مرور المحلات عليها متفرج عظيم، ولا سيما في الأعوام الخصبة والفصول المعتدلة، وناهيك من ساحل طوله ميلان وعرضه نحو ميل، والزوارق هناك بركابها والمنارة مطلة عليها. وعلقات الثمار وعقد الزيتون وقباب الجلوس للسادة هناك فهي إحدى متنزهات الدنيا.

ومن صور رسالة كتب بها أبو العباس بن أمية وهو بسبتة إلى الفقيه أبي المطرف بن عميرة وكان إذ ذاك بسلا:

حلوا سلا فسلي فؤادي هل سلا ... النفس أنزع والصبابة أطوع

بعدوا فهل لهم اضطلاع بالذي ... حملته من كلف الغرام الأضلع

شطر أول ... شطر ثاني

شطر أول ... شطر ثاني وقال الفقيه أبو المطرف في فصل جواب هذه الرسالة:

قد كان صفو العيش يدنو لو دنا ... ثاو بسبتة من مقيم في سلا

من بعدهم لم أرض ظلا سجسجا ... كلا ولا استعذبت ماء سلسلا ولا أدري هل سلا هذه هي التي ذكر أنها على ضفة النيل وشماله ببلاد السودان أو هي غيرها، فقالوا (٣) : سلى التي بضفة النيل مدينة حاضرة، بها مجتمع السودان، ومتاجرها صالحة وأهلها أهل بأس وعدة، وهي من عمالة التكروري، وهو سلطان له عبيد وأجناد، وله حزم وجلادة وعدل مشهور وبلاد آمنة، وموضع مستقره مدينة تكرور، وهي في جنوبي النيل، وبينها وبين سلى مقدار يومين في البحر وفي البر.

سلاهط (٢) :

جزيرة من جزر الهند بها صندل كثير وسنبل وقرنفل، وصفة شجر القرنفل يشبه نبات شجر الحناء ونباته في دقة أغصانه وحمرته، وله زهر يتفتح في كمام شبه شجر النارجيل سواء، فإذا سقط الزهر جففوا تلك الكمام

إلى أن تصلح فيخرجونه ويبيعونه للتجار الواردين عليهم فيتجهزون به إلى أقطار الأرض، وفي آخر هذه الجزيرة بركان نار يتقد مقدار ارتفاعه مائة ذراع

---

(١) الاستبصار: ١٤٠، والإدريسي (د/ ب) ٧٢/ ٤٧.

(٢) هي التي تسمى شالة أو شلة.

(٣) الإدريسي (د/ ب) : ٣/ ٤ (OG: 18) وقارن بالبكري: ١٧٢: ١٧٢، والاستبصار: ٢١٧.

(٢) هي التي تسمى شالة أو شلة.." [١]

"السماوة (١) :

مفازة بين الكوفة والشام، وقيل بين الموصل والشام، وهي من أرض كلب، وكانت باسم ابن عمليق بن لاوذ بن إرم من العماليق صارت إلى أرض السماوة وهي بين العراق والشام، فأهلكها الله تعالى بالريح السوداء لإفسادها فلم يبق به منهم باقية.

سمقندة (٢) :

في بلاد السودان بينها وبين كوغة في جهة المغرب عشرة أيام.

سمرقند (٣) :

مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن إفريقش (٤) غزا أرض الصغد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال إنها بنيت أيام الإسكندر وتولى ذلك شمر فقيل شمرقند، وعربت فقيل سمرقند، وإلى ذلك أشار دعبل في قوله من قصيدته التي افتخر فيها على الكميت:

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو ... وباب الصين كانوا الكاتبينا

وهم وسموا بشمر سمرقندا ... وهم غرسوا هناك الثبتينا وهي مدينة حسنة (٥) كبيرة على جنوب وادي الصغد، وقصبة الصغد سمرقند، ولها شوارع ومبان وقصور سامية وفنادق وحمامات، وعليها سور تراب متسع (٦) يطيف به خندق، وهي كثيرة الخصب والنعم والفواكه، ولها أربعة أبواب، ويدخل المدينة ماء يجلب إليها، يدخل على باب كبير ويعم أكثر قصورها، ولهذا النهر حفظة وحراس لئلا يصل إليه شيء من الفساد، ولها قهندز حصين، والمسجد الجامع بأسفل المدينة وبينهما عرض المحجة، وفي المدينة ديار شامخة وقصور عظيمة، وقلما يكون فيها قصر ولا دار كبيرة إلا وفيها بستان ومياه متدفقة، وكانت الولاة قبل هذا

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣١٩

بسمرقند إلى أن تحولت إلى بخارى، وأكثر سمرقند اليوم خراب لعود الرياسة إلى بخارى. وابتدأ بنيان سمرقند تبع الأكبر وأتم ذلك ذو القرنين.

وهي في الإقليم الخامس، وكان طولها في قديم الدهر اثني عشر فرسخا، وقد تهدم وخرب منها كثير، والعمران منها اليوم أربعة فراسخ، ويضم سورها اثني عشر ألف بستان، ومسجد جامعها أسفل القهندز وبينهما عرض الطريق، وهو منها في ناحية المشرق، وإذا كان يوم الجمعة غدا أهل الناحية الغربية إليه ثم ينصرفون بعد الصلاة فلا يصلون إلى محالهم إلا بعد صلاة العصر.

ويشتمل (٧) على سمرقند سور له أربعة أبواب: باب من ناحية المشرق يقال له باب الصين مرتفع عن الأرض ينزل منه في عدد درج مطل على وادي الصغد، وبابها مما يلي المغرب يسمى النوبهار وهو على شرف من الأرض أيضا، ومما يلي الشمال باب بخارى، ومما يلي الجنوب باب كش، وهي كثيرة الحمامات والخانات، وفي المدينة مياه ظاهرة وبساتين، ودار الإمارة بالمدينة، والربض ممتد من وراء نهر الصغد بموضع يعرف بأفشينة، وقطر السور المحيط بالربض نحو فرسخين في فرسخين، وليس على هذا السور غلق، ومجتمع الأسواق رأس الطاق، ثم يتصل بصغار الأسواق وشوارع السكك، فليس من سكة ولا دار إلا وفيها ماء جار، وقل دار تخلو من بستان. والبلد كله، طرقه وسككه، مفروش بالحجارة.

وذكر من يرجع إلى خبرة، أن سمرقند تشتمل على أزيد من ألفي مكان يستقى منه ماء الجمد مسبلة للأجر من بين سقاية مبنية وحباب نحاس منصوبة وقلال خزف في الحيطان مثبتة.

وفي الشمال من سمرقند جبل كبير يخرج من تحته عين خرارة قد صنع لها في أصل الجبل طيقان وجلب عليها الماء في قنوات رصاص حتى يصب في سمرقند بمجرى اسمه بارمس (٨) يصب في البحيرة التي في أصل بنكث من سمرقند على نحو ثلاثين فرسخا، ويخرج في شرقي سمرقند فيصير إلى ماء الصغد وهو موضع درغش (٩)

---

(١) معجم ما استعجم ٣: ٧٥٤، وانظر ياقوت (السماوة) .

(٢) ع: سمعيدة؛ ص: سمعدة؛ والتصويب عن الإدريسي (د) : ١٠ (OG: 27) .

(٣) قارن بياقوت (سمرقند) ، وابن الوردي: ٣١.

(٤) ص ع: فلان.

(٥) نزهة المشتاق: ٢١٤.

(٦) نزهة المشتاق: منيع.
(٧) ابن حوقل: ٤٠٦، وقارن بالكرخي: ١٧٧، والمقدسي: ٢٧٨.
(٨) ص ع: نامس؛ وهو بارمش عند ابن حوقل والكرخي، وبالسين المهملة عند الإدريسي.
(٩) لم أوفق ﻟﻀبط هذا الأسم؛ وأصله في ص ع: درجش، في هذا الموضع فقط، ولعله: درغم.." [1]

"ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

شانس:

مدينة في بلاد الإفرنج بالقرب من مدينة بلدينة، وهي مبنية بالصخر الجليل حصينة لها نهر، وكانت لها قنطرة مبنية بالصخر العظيم، فتغلب عليها المجوس وهدموا بعض المدينة والقنطرة فلم يبق منها إلا رجلها وبرجان اتخذا على جنبتي القنطرة للمنع منها، ونهرها كثير السمك ويخرج منه حوت مفرط الكبر يسمونه لوح وهو لطيف الغذاء مريه لا يضر بالمرضى، وأحواز مدينة شانس تنتهي في الجوف إلى البحر المحيط.

شابه:

بالباء، جبل معروف.

وشابه أيضا من مدن زغاوة بأرض السودان، وهي صغيرة شبيهة بالقرية الجامعة، وأهلها قليلون، وقد انضوى أكثر أهلها إلى مدينة كوكو، وبينهما نحو ست عشرة مرحلة. وأهل شابة يشربون الألبان، ومياههم زعاق وعيشهم من اللحوم الطرية والمقددة، ويتصيدون الأحناش كثيرا ويطبخون بها بعد سلخها وقطع رؤوسها وأذنابها، والجرب لا يفارق أعناق هؤلاء الزغاويين وهم مشهورون به، وبه يعرف الزغاوي في جميع الأرض، ولولا أنهم يأكلون الأحناش لتقطعوا جذاما، وهم عراة، يسترون عوراتهم فقط بالجلود المدبوغة من الإبل والمعز، ولهم في هذه الجلود التي يستترون بها ضروب من القطع معلومة وأنواع محكمة.

شاطبة:

بالأندلس، مدينة جليلة متقنة حصينة لها قصبتان ممتنعتان، وهي كريمة البقعة كثيرة الثمرة عظيمة الفائدة طيبة الهواء، وهي قريبة من جزيرة شقر، ويعمل بها كاغد لا نظير له بمعمور الأرض يعم المشرق والمغرب.

وفي شاطبة يقول الشاعر يذمها:

شاطبة الشرق شر دار ليس لسكانها فلاح

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٢٢

الكسب من شأنهم ولكن أكثر مكسوبهم سلاح

وفيها بنيان قديم من عمل الأول يقولون له الصنم، وفيه يقول شاعرهم:

بقية من بقايا الروم معجبة أبدى البناة لنا من أمرها حكما

لم ندر ما أضمروا فيها سوى أمم من الأوائل سموه لنا صنما

كالمبرد الفذ ما أخطا مشبهه حقا لقد برد الأيام والأمما

وهي حاضرة آهلة بها جامع ومساجد **وفنادق** وأسواق، وقد أحاط بها الوادي.

الشاهجان:

من كور سابور، ويقال: مرو الشاهجان.

شالوس:

مدينة بين جرجان وطبرستان، فيها منبر وأسواق، وعلى فرسخ منها حد الديلم.

شبام:

بكسر أوله وقد يفتح، جبل لهمدان باليمن، قال ابن الكلبي: شبام قبيلة، منسوبون إلى جبل وليس بأب ولا أم.

ومن مأرب إلى مدينة شبام من بلاد حضرموت أربع مراحل.." (١)

"وأخذ البربري فقتله، فغضب لذلك أهل البربري ودخلوا تلك الكنيسة فكسروا تلك المرآة ونزعوها.

وهذا الجبل حيث مدينة شقبنارية فيه مدينة خربة فيها آثار عظيمة، وهو كثير العمائر والقرى، وهو بلد الزرع والضرع.

وكان الكاتب أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي ولى قضاء مدينة الأربس وشقبنارية إلى نظر قاضي الأربس، فمن قوله في شقبنارية:

إن الشقاء برى بشقبنارية ... جسدي وأسلمني لأكبر داهيه

من بلدة عنا نأت خيراتها ... لكن قطوف الشر منها دانية

ملك العقارب والرتيلا أرضها ... والجو صاعقة وريح عاتيه

قال الذين تخيروها منزلا ... فيها لنا عنب وعين جاريه

فأجبت بالشهوات حفت مثلما ... حفت بها نار الجحيم الحاميه

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٣٧

شقندة (١) :

قرية بعدوة نهر قرطبة قبالة قصرها، فيها اجتمع وجوه العجم يتشاورون في حرب العرب ويحذرونهم من القعود عنهم، ويحضون بعضهم بعضا على أن يكونوا يدا واحدة، وقدموا علىٰ لذريق بقرطبة بسبب ذلك، فنزلوا أكناف شقندة هذه ولم يطمئنوا إلى الدخول على لذريق أخذا بالحزم.

شقورة (٢) :

مدينة من أعمال جيان بالأندلس، قالوا: وجبل شقورة ينبت الورد الذكي العطر والسنبل الرومي الطيب وفي غيران شنت مرتين من جبل شقورة اشقاقل كبير قوي الفعل يفوق غيره؟ وإذا نزل بتلك الغيران أحد كثر منه الاحتلام، وربما نزل المني منه بغير إرادة ولا تذكر، ويقال: إن في قرية هناك عين ماء تفعل مثل ذلك.

وفي جبل شقورة شجر الطخش الذي تتخذ منه القسي وعصير ورقه سم قتال وحي، وفي تلك الناحية عين ماء صغيرة في حجر قدر ما تدخل الدابة رأسها فيه فتشرب، ويتتابع على ذلك العدد الكثير من الدواب فتصدر رواء، فإذا استقي في إناء لم يكد يروي الرجل.

ولعلي بن أبي جعفر بن همشك وكتب على قبره بشقورة:

لعمرك ما أردت بقاء قبري ... وجسمي فيه ليس له بقاء

ولكني رجوت وقوف بر ... على قبري فينفعني الدعاء

" سبيل الموت غاية كل حي " (٣) ... فكل سوف يلحقه الفناء ومن شقورة أبو بكر بن مجبر الشاعر المفلق المجيد شاعر دولة بني عبد المؤمن.

شقر (٤) :

جزيرة بالأندلس، قريبة من شاطبة وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلا.

وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار وبها ناس وجلة، وبها جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادي، والمدخل إليها في الشتاء على المراكب، وفي الصيف على مخاضة. وفي إحاطة الوادي بها يقول ابن خفاجة في شعر يتشوق فيه إلى معاهده ويندب ماضي زمانه (٥) :

بين شقر وملتقى نهريها ... حيث ألقت بنا الأماني عصاها

وتغنى المكاء في شاطئيها ... يستخف النهى فحلت حباها

---

(١) بروفنسال: ١٠٤؛ والترجمة: ١٢٧ (Secunda) .

(٢) بروفنسال: ١٠٥، والترجمة: ١٢٨ (Segura de la Sierra) ، وقارن بياقوت (شقورة) .

(٣) مضمن من قول قطري:

سبيل الموت غاية كل حي ... فداعيه لأهل الرض داعي (٤) بروفنسال: ١٠٢، والترجمة: ١٢٦ (Jucar)

ومنه بعض يسير عن الإدريسي (د) : ١٩٣.

(٥) هي في الديوان: ٣٦٤ نقلا عن الروض المعطار، حسب قراءة بروفنسال، وقد خالفنا هذه القراءة في مواضع تقيدا بالقراءة الصحيحة في الأصلين المعتمد عليهما.." (١)

"كثيرة ومساجد ومسجد جامع، وسورها صخر وطوب، وبها حمامات وفنادق وبواد عظيمة وقصور جمة وحصون ورباطات على البحر، منها محرس فيه منار مفرط الارتفاع يرقى إليه في مائة وست وستين درجة.

وصفاقس في وسط غابة زيتون، ومن زيتها يمتار أهل مصر والمغرب وصقلية والروم، وربما بيع الزيت بها أربعين ربعا بمثقال واحد، وهي محط لسفن الآفاق، وإذا جزر الماء بقيت السفن في الحمأة فإذا مد رجعت السفن وعامت، ولا بد من المد والجزر كل يوم.

وكان الأديب أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي تميم ولي في المدة المستنصرية اشرافها فلم توافقه فقال (١) :

صفاقس لا صفا عيش لساكنها ... ولا سقى أرضها غيث إذا انسكبا

ناهيك من بلدة من حل ساحتها ... عانى بها العاديين الروم والعربا

وليتها فتولتني الهموم وقد ... لقيت من سفري في أرضها نصبا

كم ظل في البر مسلوبا بضاعته ... وبات في البحر يشكو الأسر والعطبا

قد عاين البحر قبحا في جوانبها ... فكلما هم أن يدنو لها هربا ويقصدونها (٢) التجار من الآفاق بالأموال الجزيلة لابتياع المتاع والزيت وعمل أهلها في القصارة والكمد كعمل أهل الإسكندرية وأحسن، وتقابل صفاقس في البحر جزيرة قرقنة، وهذه الجزيرة في وسط القصير، بينها وبين مدينة صفاقس في ذلك البحر الميت القصير القعر نحو عشرة أميال، وليس للبحر هناك حركة، وحذاء هذا الموضع في البحر على رأس القصير بيت مشرف مبني بينه وبين البر الكبير نحو الأربعين ميلا، فإذا رأى ذلك البيت ركاب السفن الواردة من الإسكندرية والشام وبرقة أداروها إلى مواضع معلومة.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٤٩

صقلية:

جزيرة صقلية في قطعة من البحر الشامي بينها وبين أقرب بر من مالطة ثمانون ميلا؟ افتتحها المسلمون في صدر الإسلام وغزاها أسد بن الفرات الفقيه أميرا وقاضيا سنة اثنتي عشرة ومائتين، ففزع فيمه (٣) البطريق النصراني قائد صاحب صقلية إلى زيادة الله فعرض عليه أمر صقلية، والظفر بها، فولى زيادة الله أسد بن الفرات القاضي الفقيه على جيش إفريقية من قريش والعرب والبربر وغيرهم وأقره على القضاء مع القيادة، فخرج أسد في جيش عظيم وجمع كثير وعدة كاملة في شهر ربيع الأول من العام المذكور، وكان فصوله من مدينة سوسة في سبعين مركبا يوم السبت للنصف من ربيع الآخر ووصل إلى مرسى مازر يوم الثلاثاء بعده، وكانت طريقه من المرسى على قلعة بلوط ثم على قرى الريش ثم صار إلى قلعة الدب، وسميت بذلك لأنهم أصابوا فيها دبا أنيسا، ثم إلى قرية الطواويس، وسميت بذلك لأنهم أصابوا فيها طاووسا، ثم إلى معركة بلاطة (٤) ، وهناك ظهر لهم جمع الروم فنازلهم فانهزم المشركون وأصيب لهم كراع وسلاح ولذلك سميت معركة بلاطة، وهو اسم ملك النصارى، ثم رحل إلى حصون الروم وقراهم يغير ويسبي، وبث السرايا في جميع الجزيرة وكثرت المغانم عند المسلمين وصاروا في رغد من العيش، وسارع الناس إلى إمدادهم من إفريقية والأندلس، وحاصر أسد مدينة سرقوسة وقاتلهم (٥) برا وبحرا وأحرق مراكبهم وقتل جماعة من أهلها، ومات أسد سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو محاصر لسرقوسة، ووقع الموتان في عسكر المسلمين.

واختلفت عليهم بعده الولاة، ثم كان فيها من العلماء والعباد والفقهاء والشعراء وأعيان الناس ما لا يأخذه عد ولا يأتي عليه إحصاء، إلى أن طال الأمد وقست القلوب واختلفت الأهواء ووقعت الفتن بين أهلها، وخلفت فيهم خلوف، ومضت الأعصار الطويلة فتغلب عليها النصارى في سنة أربعمائة وثلاث وخمسين، ومازال

---

(١) رحلة التجاني: ٦٩، وفيها معلومات هامة عن صفاقس، وانظر كذلك الاستبصار: ١١٦.

(٢) عادة إلى النقل عن البكري: ٢٠ - ٢١.

(٣) ص ع: قيمه؛ وفيه أو فيمي (Euphemius) هو الذي تذكر المصادر العربية أنه حث الأغالبة على فتح الجزير لنزاع بينه وبين صاحب القسطنطينية (نهاية الأرب ٢٢: ٢٣٨) ؛ وهذا النص يشبه ما عند البكري (ح) : ٢١٩ مع اختلاف في بعض التفصيلات.

(٤) كذا ولعله ((منزلة)) ؛ وبلاطة: موضع المعركة، ولكن المصادر العربية تجعله أيضا أسما لحاكم صقلية.

(٥) ص ع: وقابلهم.." [١]

"فيشربها أولهم، ويجتاز آخرهم فيقول: قد كان هاهنا مرة ماء، أو هذا معناه.

وفي طبرية مياه تنبع حارة تفور في الصيف والشتاء لا تنقطع فتدخل المياه الحارة إلى حماماتهم فلا يحتاجون إلى وقود.

وإليها ينسب الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (١) صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة، نزل بغداد ومات سنة عشر وثلثمائة.

وطولها نحو فرسخ مع طول الجبل، وعرضها أقل من نصف ميل، ولها بابان، وهي في المشرق من البحيرة، وطول البحيرة اثنا عشر فرسخا في مثلها. وقال علي بن محمد الحلبي: يخرج من بحيرة طبرية قار من أعمق وسط البحيرة، ثم تقذفه الريح في حافتها فيجتمع هناك ويستعمله أهل انطاكية وطرسوس وما إلى تلك البلاد، يطلون به أصول الكروم والشجر فلا يصعد إليها دود ولا نمل ولا حيوان مؤذ. ومن غريب ما حكي أن لأهل طبرية قرية فيها شجر أترج، تخرج الأترجة على مثال النساء، الأترجة لها ثديان وما يشبه اليدين والرجلين، وموضع الفرج مفتوح، وأمر هذه القرية في الأترج مستفيض عندهم لا يدفع، وهي قرية ناصرة حيث ولد المسيح عليه السلام ويزعم أهل طبرية أنه لا يولد لأهل ناصرة بكر إلى هذه الغاية لأنهم عيروا مريم بنت عمران، وأهل بيت المقدس يدفعون ما يقول أهل طبرية من ولادة المسيح عندهم، ويزعمون أنها ببيت المقدس وأن آثار ذلك ظاهرة.

الطبران:

مدينة من مدن طوس بخراسان ومنها الطبراني المؤلف المشهور (٢) .

طميسة (٣) :

من عمل طبرستان، متاخمة لجرجان وعليها سوران وثيقان من آجر، وفي ربضها خانات وأسواق وبها ضرب من الخبز يسكر من أكله، وليس لأحد من أهل طبرستان أن يخرج

إلى جرجان ولا أن يدخل من طبرستان إلى جرجان إلا عليها لأنها درب الحائط الممدود من حرف البحر إلى الجبل، وهو الذي كان كسرى أنوشروان بناه ليحول بين الترك وبين الإغارة على طبرستان. وطميسة هذه في سفوح جباله.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٦٦

وهي مدينة (٤) على ساحل البحر نزل عليها سعيد بن العاصي أيام عثمان فقاتله أهلها حتى صلى يومئذ صلاة الخوف، وهم يقتتلون، وكان معه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فسأله كيف صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضرب يومئذ سعيد بن العاص رضي الله عنه رجلا من المشركين على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه، وحاصرهم فطلبوا الأمان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا، ففتحوا الحصن فقتلهم جميعا إلا رجلا واحدا وحوى ما كان في الحصن.

الطبسان:

من كرمان، فتحها (٥) عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي في خلافة عمر رضي الله عنه بعد فتحه لكرمان، كذا ذكر المدائني، ثم قدم على عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إني افتتحت الطبسين فأقطعنيها فأراد أن يفعل، فقيل لعمر رضي الله عنه: إنها رستاقان عظيمان فلم يعطهما إياه، وهما بابا خراسان.

طبرقة (٦) :

بين درنة وباجة من البلاد الإفريقية، وبينها وبين بنزرت سبعون ميلا، وهي قديمة فيها آثار كثيرة للأول، وهي على نهر كبير بقرب البحر تدخله السفن، وبالقرب منها مدينة مرسى الخزر، والبحر محيط بها من كل جهة إلا مسلكا لطيفا ربما قطعه البحر في زمن الشتاء، وعليها سور قديم، وبها كانت تنشأ السفن لغزو بلاد الروم، وفيها يخرج المرجان ومنها يحمل إلى جميع بلاد الدنيا، وهناك قوم لهم مراكب وزوارق ليس لهم حرفة إلا إخراج المرجان من قعر البحر، وهو نبات شجر له أغصان. ويقال إنه في قعر البحر لين رطب، فإذا مسه الهواء اشتد ويخرج منه في ذلك البحر مئون من قناطير في كل سنة، وهو أنفس مرجان في الدنيا، وأنفق شيء بالهند والصين، ويكون في الزقاق بساحل بليونش

---

(١) الطبري: نسبة إلى طبرستان، ومنها ابن جرير، لا كما قال المؤلف (انظر اللباب: الطبري) .

(٢) قارن بياقوت (الطبران) حيث ذكر أن الطبراني الحافظ ينسب إلى طبرية الشام بإجماع من المحدثين.

(٣) ص ع: طبيسة؛ وقارن بياقوت (طميس - طميسة) .

(٤) الطبري ١: ٢٨٣٦.

(٥) الطبري: ٢٧٠٤.

(٦) الاستبصار: ١٢٦، وصبح الأعشى ٣: ٣٩١، وقارن بالإدريسي (د) : ١١٦.." [1]

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٨٦

"" الحوادث والبدع " وغير ذلك، سكن بغداد وتفقه على أبي بكر الشاشي، وسمع بها الحديث، وهو مالكي المذهب، قالوا: وزهده أكثر من علمه، وانتفع به جماعة، وأنجب أكثر من مائتي فقيه مفت، ومن كبار أصحابه أبو الطاهر بن عوف وسند بن عنان الأزدي، وعاصر الغزالي، وله في إحيائه كلام، وكان منحرفا عنه سيء الاعتقاد فيه، وكانت وفاته بعد العشر والخمسمائة.

طركونة (١) :

بالأندلس، بينها وبين لاردة خمسون ميلا، وطركونة مدينة أزلية، قاعدة من قواعد العمالقة، وجعلها قسطنطين في القسم الثالث من الأندلس، وأضاف إليها مدن ذلك القسم.

وهي مبنية (٢) على ساحل البحر الشامي ومعالمها باقية لم تتغير، وأكثر سورها باق لم يتهدم، وهي أكثر البلاد رخاما محكما، وسورها من رخام أسود وأبيض، وقليلا ما يوجد مثله.

ومن الغرائب بطركونة أرحاء نصبها الأول تطحن عند هبوب الريح وتسكن بسكونها.

وذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن معنى طركونة الأرض المشبهة بالمعجنة (٣) ، وكانت في قديم الزمان خالية لأنها كانت فيما بين حد المسلمين والروم، والأحناش بها مؤذية كثيرة، ومياهها كثيرة، وبها أساطين رفيعة مما تضل الأوهام في حكمته، ويعجز المتكلفون اليوم عن صنعته. وذكر شيخ ثقة من أهل شبرانة يقال له ابن زيدان أنه كان يخرج في السرايا إلى تلك الناحية، فنزل في بعض خرجاته مع جماعة من أصحابه في البنيان الذي تحت مدينة طركونة، فأرادوا التحول منه فضلوا ولم يهتدوا منه لمخرج، وترددوا كذلك ثلاثة أيام حتى اهتدوا في آخر اليوم الثالث لما أراد الله تعالى من إبقائهم، وزعم قوم أنهم وجدوا هناك بيوتا مملوة قمحا وشعيرا من الأزمان السالفة قد اسود حبه وتغير لونه، وفي هذه المدينة يكمن المسلمون عند طلب الفرصة في الغزو، وفيها يكمن العدو أيضا للمسلمين.

طراقية (٤) :

مدينة تلي من ناحية الشرق مدينة القسطنطينية، ومن ناحية الجوف إلى الأشبان، ومن ناحية الغرب بلاد مجدونية (٥) ، سميت بطراقي بن يافث، وزعموا أن أهلها أول من عمل اللجم للخيل وأنهم الذين ابتدعوا رياضة الخيل والبيطرة.

طريف (٦) :

جزيرة طريف على البحر الشامي في أول المجاز المسمى بالزقاق، ويتصل غربيها ببحر الظلمة، وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب، ويشقها نهر صغير، وبها أسواق وفنادق وحمامات، ومن جزيرة طريف إلى الخضراء

ثمانية عشر ميلا.

وكتب موسى بن نصير إلى الوليد يستأذنه في اقتحام الأندلس فراجعه: خضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال، فراجعه: ليس ببحر زخار، إنما هو خليج يبين للناظر ما خلفه، فجاوبه: وإن كان، فلا تدعن (٧) اختباره بالسرايا قبل اقتحامه، فبعث موسى رجلا من مواليه من البربر اسمه طريف يكنى أبا زرعة في أربعمائة رجل معهم مائة فرس في أربعة مراكب، فنزل بالخضراء التي هي معبر سفائنهم، وهي التي يقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها فأغار عليها، فأصاب سبيا لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسنا، ومالا جسيما وأمتعة وذلك سنة إحدى وتسعين.

الطران:

مدينة للمسلمين تلي بلاد الأتراك، وبينهم حصون منسوبة إليهم، ويليها من شمالها الترك الخرلخية، وبينهم في أكثر الأوقات حروب وغارات، وإذا كانت الهدنة كانت بينهم تجارات ومعاملات (٨) بالأمتعة والسائمة والأبقار.

طريانة (٩) :

من كور اشبيلية بالأندلس، بها كان ألفنش بن فرذلند الطاغية، واعد قواد جيوشه للاجتماع فيها عام الزلاقة لمحاصرة

---

(١) بروفنسال: ١٢٥، والترجمة: ١٥٣ (Tarragone) .

(٢) الإدريسي (د) : ٦٩.

(٣) بروفنسال: بالمجنة.

(٤) البكري (ح) : ٢٣٠ (Thrace Thracia) .

(٥) (Macedonia) (مقدونية) .

(٦) بروفنسال: ١٣٧، والترجمة: ١٥٤.

(٧) بروفنسال: فلابد من.

(٨) إلى هنا تنتهي المادة في ص.

(٩) بروفنسال: ١٢٦، والترجمة: ١٥٤ (Triana) .." [1]

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٩٢

"وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان عباد وجيفر ابنا الجلندى.
وبلاد عمان (١) متصلة بأرض مهرة، وهي مجاورة لها من جهة الشمال، وبلاد عمان مستقلة في ذاتها عامرة بأهلها وهي كثيرة النخل والفواكه والموز والرمان والتين والعنب، وهي بلاد حارة وببلاد عمان حية تسمى العربد وإليها ينسب السكران المعربد وهي حية تنفخ ولا تؤذي. ويحكى أنها أخذت ووضعت في آنية زجاج وتوثق من رأسها وأخرجت من بلاد عمان فتفقدت الآنية ولم توجد الحية فيها والأخبار بهذا شائعة. وبعمان أيضا دويبة تسمى القراد إذا ظفرت بجارحة من الإنسان عضته، فلا تزال عضدتها تربو وتتزايد إلى أن تتقيح وتتدود ولا يزال ذلك الدود يسعى في جوف الإنسان حتى يموت. وبجبال عمان قردة كثيرة تضر بأهلها اضرارا كليا، وربما اجتمع منها العدد حتى لا يطاق دفاعها إلا بالخروج إليها بالسهام والسلاح العام وحينئذ يقدر على دفاعها. ويتصل بأرض عمان من جهة المغرب ومع الشمال أرض اليمامة.
وبلاد عمان (٢) ثمانون فرسخا، فما والى (٣) البحر منها سهول ورمال وما تباعد منه حزون وجبال ولها عدة مدن ومدينة عمان حصينة على ساحل البحر، ومن الجانب الآخر جبل فيه مياه سائحة قد أجريت إلى المدينة، وهي كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه كما قلناه وطعامهم الحنطة والشعير والأرز والجاورس وكان الذي أجرى الماء من الجبل إلى المدينة رجل مجوسي يقال له أبو الفرج كان له من الصامت ثمانمائة كنجلة (٤) دنانير (٥) كل كنجلة تسعة أمناء (٦) ، وهو الذي اتخذ بعمان خانات للتجار مفروشة مكان الآجر باللبن المتخذة من نحاس في كل لبنة من مائة إلى مائة وخمسين منا (٧) .
وخراج أهل (٨) عمان على المقاطعة ثمانون ألف دينار. وفي الأمثال: من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان.
وأهدى صاحب عمان إلى الكعبة بعد العشرين والأربعمائة محاريب، زنة المحراب أزيد من قنطار فضة، وقناديل فضة في نهاية الإحكام، وسمرت المحاريب في جوف الكعبة مما يقابل بابها وذلك إثر أخذ أمير مكة أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسيني لحلي الكعبة من المحاريب وغيرها.
وعمان بها أبواب حديد وبها مياه وأسواق وموز كثير ونهر جار ونخيل وسائر الفواكه، وهي فرضة الصين، وبها مرفأ الصين وتحمل من سيراف الأمتعة إليها والحمولة في قوارب ثم توقر السفينة العظيمة حتى تلجج في البحر العظيم فتسير بالريح الطيبة مقدار أربعين يوما إلى خمسين يوما حتى تنتهي إلى مدينة تسمى الشحر.
وحكي أن رجلا عمانيا ورد مكة بلؤلؤتين لم ير مثلهما فباعهما بألفي دينار ذهبا من رجل سمرقندي وخرج من مكة في يومه، فلما كان بعد عدة أيام قدم من قبل صاحب عمان رسول يطلب الذي باع اللؤلؤتين

ويذكر أنهما سرقتا من قصره، فطلب المشتري فعمي أثره وخفي خبره ووصل بهما إلى مدينة دمشق فأهدى إحداهما إلى صاحبها فأعطاه بها عشرة آلاف دينار ثم سار إلى سمرقند فأهدى الثانية إلى صاحبها فكافأه عليها بخمسة عشر ألف دينار فهاتان اللؤلؤتان من مغاص عمان وما والاها من هذه المواضع.

عمورية:

في بلاد الروم من ناحية بلاد باطوس (٩) وتفسيره المشرق، وهي مدينة (١٠) كبيرة مشهورة في بلاد الروم وبلاد المسلمين أزلية، غير أن الفتوح تتوالى عليها من عهد المسلمين والروم، ولها سور حصين وهي على نهر كبير يصب في الفرات وعمورية رصيف إلى سائر البلاد المجاورة لها والمتباعدة عنها، ومنها الطريق إلى طرسوس، وبين عمورية والخليج مائة وخمسة وسبعون ميلا وكانت منزلا لبعض ملوك الروم.

وقال سعيد بن عبد العزيز: إن عثمان ائتم بأبي بكر وعمر رضي الله عنهم في إيثاره (١١) المجاهدين وتقويتهم بالأموال ولقد زاد عثمان رضى الله عنه أهل العطاء مائة دينار وتابع إغزاءهم أرض الروم

---

(١) نزهة المشتاق: ٥٥ (OG: 155) ، وقارن بابن حوقل: ٤٤، وابن الوردي: ٤٦.

(٢) البكري (مخ) : ٦٨.

(٣) ص ع والبكري: والاها.

(٤) كذا في ص ع والبكري، وبهامش البكري: لعله ((كيجلة)) .

(٥) دنانيرهما: كذا هو أيضا في الأصول.

(٦) البكري: تسعة ومائة من.

(٧) وهو الذي اتخذ ... منا: لم يرد هذا في البكري.

(٨) البكري: عمل.

(٩) نزهة المشتاق: ٢٥٨ ماطوس.

(١٠) عن نزهة المشتاق: ٢٦٠.

(١١) ع: أثره؛ ص: أثر.." [١]

"فعمرت وتمدنت وعظمت، وهي في سفح جبل وانشوبش (١) ، وهو بجوفيها، وعلى فكان سور طوب، وبها جامع وحمام **وفنادق**.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤١٣

فلسطين:

في أول أحواز الشام، سميت بفلسطان بن فلان (٢) ، من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وماؤها من الأمطار والسيول، وأشجارها قليلة وديارها حسنة، وهي أزكى بلاد الشام.

قال ابن عطية في تفسيره: يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى خص فلسطين بالتقديس، وقال الطبري: إن من فلسطين ظهر عيسى عليه السلام.

وفتحها معاوية سنة تسع عشرة، وفتح قيسارية، وقتل فيها ثمانون ألفا.

وفلسطين عمل مشتمل على مدن كثيرة مثل ايليا وغزة ونابلس واللد وغيرها، ويقال إنها سميت باسم فلسطين بن فلان بن يونان بن يافث عليه السلام لنزوله بها.

وفلسطين (٣) كانت ديار البربر في سالف الأزمان، وكان ملكهم جالوت، وهو سمة لسائر ملوكهم، إلى أن قتل داود جالوت، فساروا إلى ديار المغرب، فنزلت مزاتة ومغيلة وضريسة الجبال من تلك الديار، ونزلت لواتة أرض برقة، ونزلت هوارة بلاد طرابلس ونزلت نفوسة مدينة صبرة، وكانت هذه الديار للإفرنجة فأجلتها البرابر عنها، وتفرقت البرابر في بلاد إفريقية وطنجة إلى أقصى بلاد المغرب وانتهوا إلى موضع يعرف بقمونية على أكثر من ألفي ميل من بلد القيروان، ثم تراجعت الأفرنج إلى مدنهم وعمائرهم على موادعة وصلح من البربر، واختارت البربر سكنى الجبال والأودية والرمال في أطراف البراري والقفار، وصارت المدائن رومية، حتى فتحها المسلمون. والبربر قبائل كثيرة وشعوب جمة: هوارة وزناتة وضريسة ونفزة وكتامة ولواتة وغمارة ومصمودة ومزاتة وصدينة وصنهاجة، وللناس في البربر اختلاف كثير مشهور فلا نطول به.

فلج (٤) :

حصن بينه وبين هجر ستة أيام، وبين هذا الحصن وبين مكة تسعة أيام. وقال قتادة: إن أصحاب الرس الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه كانوا أهل فلج، وقال الشاعر:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

فنيانة (٥) :

قرية بقرب وادي آش من الأندلس، جامعة خطيرة كثيرة الكروم والتوت والبساتين وضروب الثمار، وكان بها طرز للديباج، والمياه تطرد في جميع جنباتها، وأهلها عجم ذوو يسار.

فندرينة (٦) :

مدينة على الساحل من بلاد الهند، على جون تحط به مراكب التجار من جزائر الهند ومراكب السند أيضا،

ولأهلها أموال ياسرة ومتاجر ومكاسب، وعليها جبل كبير سامي العلو كثير الشجر عامر بالقرى والمواشي، وتنبت في حوافيه القاقلة، ومنها تحمل إلى سائر أقطار الأرض.

الفسطاط (٧) :

اسم لمصر التي بناها مصرام بن حام بن نوح عليه السلام، سميت بفسطاط عمرو بن العاصي رضي الله عنه، وكان تركه هناك حين توجه للإسكندرية. قال اليعقوبي: لما فتح عمرو بن العاصي رضي الله عنه مصر اختط منازل العرب حول الفسطاط، فسمي الفسطاط لهذا، فمدينة مصر اليوم هي الفسطاط.

قالوا (٨) : وسميت بذلك لأن عمرو بن العاصي رضي الله عنه حين دخل بلاد مصر ضرب فسطاطه بذلك الموضع، فلما أراد

---

(١) البكري: أو شيلاس؛ ص: وانشريش.

(٢) عند ياقوت: بفليشين بن كسلوخيم من بني يافث ... الخ.

(٣) البكري (مخ) : ٦٠، وقارن بالإدريسي (د) : ٥٧، والاستبصار: ١٥٥، ورحلة التجاني: ١٦٠، ومروج الذهب ٣: ٢٤١.

(٤) يختلف تحديد فلج هنا عما ورد عند كل من ياقوت والبكري.

(٥) بروفنسال: ١٤٣، والترجمة: ١٧٢ (Finana) تقع على بعد حوالي ثلاثين كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من وادي آش؛ وعند الإدريسي (د) : ٢٠١ حصن فنيانة.

(٦) الإدريسي (ق) : ٦٤ - ٦٥، وفي نخبة الدهر: ١٧٣ فنداربنه، ويقول: وغالب أهلها يهود وهنود ومسلمون، ونصاراها قليل؛ وانظر حسين نينار (AGK) : 34 - 35) ، وهو يرى أنها تقابل (Pantalayini Kollam) إحدى مدن مليار؛ وقارن بما ذكره ابن بطوطة في رحلته: ٥٦٣، ٢٧٥، وفي صفحات متفرقة من كتاب ((تحققة المجاهدين)) معلومات عن فندرينة.

(٧) انظر ياقوت (الفسطاط) ، وخطط المقريزي ١: ٢٨٨ والمقدسي: ١٩٧، وابن الفقيه: ٥٩، والمغرب (القسم الخاص بمصر) ١: ١ - ١٢، وابن عبد الحكم (صفحات مختلفة) وابن الوردي: ٢١.

(٨) الاستبصار: ٨١.." (١)

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٤١

"وقد ذكره البحتري في قصيدته التي يرثي بها المتوكل فقال:

محل على القاطول أخلق داثره ... وكان المعتصم (١) لما ارتاد موضعا مر بالقاطول فقال: هذا أصلح المواضع فصير الدير المعروف بالقاطول وسط المدينة، وجعل البناء على دجلة وعلى القاطول، وابتدأ البناء وأقطع القواد والكتاب والناس، فبنوا حتى ارتفع البناء، واختطت الأسواق على القاطول وعلى دجلة وسكن هو في بعض ما بني له، ثم قال: أرض القاطول غير طائلة والبناء بها صعب، ثم ركب يتصيد فمر في سيره إلى سر من رأى، وهي صحراء لا عمارة بها ولا أنيس إلا ديرا للنصارى فبنى فيه مدينة سر من رأى على ما مر في موضعه، والقاطول على خمسة فراسخ من سامرا.

القاهرة (٢) :

هي قاعدة الملوك المصريين ودار ملكهم في البلاد المصرية، وهي مدينة محدثة من بناء العبيديين الشيعة الذين كانوا بها وبينها وبين مصر ثلاثة أيام وهي مدينة كبيرة فيها من القصور والمباني ما يعجز الوصف عنه.

وكان الحاكم بأمر الله منهم بنى بين الفسطاط والقاهرة مسجدا عظيما على ثلاثة مشاهد كانت هناك، وجعل فيه سدنة وخدمة يوقدون فيه السرج الليل كله وذكر أنه كان أراد أن ينقل إليه جسد النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان توجهت له الحيلة في ذلك، غير أن الله سبحانه دفع، وأظهر الله عز وجل أهل المدينة على ذلك وقاية لرسوله صلى الله عليه وسلم وكان بذل الأموال لرجال من شيعته فمشوا إلى المدينة فاشتروا بها دارا وأخذوا ذرع ما بين الدار والقبر واحتفروا سربا عظيما حتى كادوا يصلون إلى القبر المكرم فأطلع الله تعالى أهل المدينة على ذلك فقتلوا أولئك الفعلة ومثلوا بهم وردموا ذلك الحفير بالحجار وأفرغوا عليه الرصاص فلا يطمع أحد في الوصول إلى مثل ذلك.

قاشا (٣) :

مدينة بالصين أهلها خوارج عن مذهب أهل الصين. وهم يحرقون موتاهم بالنار كما يفعله أهل الهند.

قاشان (٤) :

من مدن هراة، وهي مدينة كبيرة كثيرة الأسواق والصنائع وأهلها مياسير ولهم همم في ملابسهم وزيهم، وهي قليلة الأشجار والمياه.

قابس (٥) :

مدينة من بلاد إفريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل، وتعد من البلاد الجريدية، وبينها وبين طرابلس ثمانية

أيام وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور صخر جليل من بناء الأول، ولها حصن حصين وأرباض واسعة، وفيها فنادق وحمامات، وقد أحاط جميعها خندق كبير يجري إليه الماء إذا خافوا من نزول عدو عليهم، فيكون أمنع شيء، ولها واد يسقي بساتينها وأرضها ومزارعها، وأصل هذا الوادي من عين خرارة في جبل بين القبلة والغرب، وهو يصب في البحر. وبين مدينة قابس وبين البحر نحو ثلاثة أميال وأكثر جناتها فيما بينها وبين البحر، وهي كثيرة الثمار والتمر والموز بها كثير وليس بإفريقية موز إلا فيها وفيها شجر التوت كثير، ويربى بها الحرير وحريرها أطيب الحرير وأرقه وليس يعمل بإفريقية حرير إلا بها.

وهي مدينة بحرية صحراوية لأن الصحراء منها قريبة، فيقال إنه ما اجتمع في مائدة رجل ثلاثة أشياء متضادة المواضع إلا في مائدة من سكن قابس: يجتمع فيها الحوت الطري، ولحم الغزال الطري والرطب الجني، فهي حاضرة هذا الإقليم وقطبه.

ومن كلام الناس: قابس دمشق المغرب.

وماء قابس (٦) شروب يستسيغه أهلها، وبغابتها (٧) أشجار وجنات وكروم وزيتون كثير، ويتجهز بزيته إلى النواحي وبها نخل ملتف ورطب لا يعدله شيء في طيبه، وأهلها يجنونه طريا ثم

---

(١) عن اليعقوبي: ٢٥٦ – ٢٥٧.

(٢) في صبح الأعشى ٣: ٣٤٤ نقل عن الروض.

(٣) نزهة المشتاق: ٧١ (OG: 213) ويحددها بأن بينها وبين باجه عشر مراحل، وبينها وبين أبشيهار (أو: بشهيار) ثمان مراحل.

(٤) كذلك هي في نزهة المشتاق: ١٤٢ وعنه ينقل مؤلف (وفي ع: قاسان) ، وليس لدى الجغرافيين الآخرين مثل هذه التسمية، ويقول الإدريسي أن هذه المدينة ((قدرها أصغر من مالين)) وذلك يقابل ((باشان)) – بالباء – عند ابن حوقل: ٣٦٨ الذي يصف باشان أيضا بأنها ((قليلة البساتين)) وهذا يماثل قول الإدريسي ((وهي قليلة الأشجار)) أما الإدريسي فيقول أيضا إنها كانت قليل المياه، وابن حوقل يصفها بكثرة المياه؛ وما دام الحديث عن مدينة من مدن هراة فالأرجح أنها هي ((باشان)) ، وانظر ياقوت: (باشان) .

(٥) الاستبصار: ١١٢، وقارن بالبكري: ١٧، والإدريسي (د) : ١٠٦.

(٦) الإدريسي (د/ ب) : ١٠٦ - ١٠٧/ ٧٧.

(٧) انظر وصف هذه الغابة في رحلة التجاني: ٨٦.." (١)

"فإنا مقتولان فولى راكضا، وقتل الرجلان، وفي ذلك يقول زفر من أبيات:

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط ... لمروان صدعا بيننا متنائيا

أريني سلاحي لا أبا لك إنني ... أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أتذهب كلب لم تنلها رماحنا ... وتترك قتلى راهط هي ما هي

فلم تر مني نبوة قبل هذه ... فراري وتركي صاحبي ورائيا

عشية أعدو في الفريقين لا أرى ... من القوم إلا من علي ولا ليا

أيذهب يوم واحد إن أسأته ... بصالح أيامي وحسن بلائيا وانتهى زفر بن الحارث من هزيمته إلى قرقيسيا فغلب عليها، واستقام الشام لمروان.

قرميسين:

بلد جليل من كور الجبل بينه وبين آمد ثلاث مراحل، وإليها ينسب عبد السلام بن الحسين القرميسني البصري اللغوي (١) صاحب التأليف في الحماسة وغيرها، أصلها بالفارسية كرمان شاهان فعرب.

القراصة (٢) :

بكسر أوله وبالصاد المهملة. بالمدينة، بها كان حائط جابر بن عبد الله الذي عرض أصله وثمره على يهود فيما كان لهم عليه، فأبوا أن يقبلوها منه فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " إذا حان جدادها فجدها، ثم ائتني "، ففعل، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرك ودعا له أن يؤدي عن جابر ثم قال صلى الله عليه وسلم: " يا جابر اذهب إلى غرمائك فشاطرهم على سعر وائت بهم "، ففعل، فقال بعضهم لبعض: ألا تعجبون لهذا؟ عرض أصله وثمره فأبينا، ويزعم أنه يوفينا من ثمره؟ فجاء بهم حتى وفاهم حقوقهم، وفضل منها مثل ما كانوا يجدون في كل سنة.

قرة (٣) :

في بلاد الروم، كان الرشيد أغزى ابنه القاسم بلاد الروم فأتى قرة فأقام على حصنها، فافتداها نقفور طاغية الروم بثلثمائة أسير من المسلمين، فأجابه إلى ذلك.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٥٠

وفي سنة تسع وستمائة نزل عليها العدو في نيف على عشرين قطعة، وأهلها غافلون فاستولى عليها وأخذ الأبكار في الحمامات والديار وسبى جميع نسائها، وكانت قضية من الكوائن الشنيعة.

قرطبة (٤) :

قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس، اشتهروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي وعلو الهمة وجميل الأخلاق، وكان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء، وتجارها مياسير وأحوالهم واسعة، وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضا، وبين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات، وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال، وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس، ومدينتها الوسطى هي (٥) التي فيها باب القنطرة.

وبها الجامع المشهور أمره الشائع ذكره من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة وإحكام صنعة وجمال هيئة وإتقان بنية تهمم به الخلفاء المروانيون فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميما إثر تتميم، حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف وليس في مساجد المسلمين مثله تنميقا

---

(١) هو خازن دار العلم ببغداد، الذي نشأت بينه وبين المعري صداقة أثناء إقامة المعري ببغداد، توفي سنة ٤٠٥هـ؟ (انظر انباه الرواة ٢: ١٧٥، وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) .

(٢) معجم ما استعجم ٣: ١٠٥٦، وخلاصة الوفا: ٤٠٠.

(٣) الطبري ٣: ٦٩٤.

(٤) بروفنسال: ١٥٣، والترجمة: ١٨٢ (Cordaba) ، والنص من أول المادة حتى قوله: ((فهذا ما حكاه محمد بن محمد بن إدريس)) منقول في مجمله عن الإدريسي (د) : ٢٠٨ - ٢١٢.

(٥) ص ع: في مدينتها ... وهي.." [1]

"منها وباقيها طويل مثل الحية في طول عشرين ذراعا، ولها أرجل كثيرة كأمثال المنشار، وصدرها إلى آخر ذنبها لا يمر بشيء إلا أهلكه.

ومن هذا البحر يخرج العنبر الكثير الطيب الرائحة وقد توجد فيه العنبرة نحو قنطار، وأكثر وأقل، وهو شيء

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٥٦

تقذف به عيون في قعر البحر مثل ما تقذف عيون هيت بالنفط، فإذا اشتد هيجان البحر بالريح رمى به إلى الساحل، وقد وهم من قال إنه رجيع دابة وإنما هو ما ذكرناه، وقد بعث الرشيد إلى البحر قوما يبحثون عن العنبر ما هو، فأخبر أهل عدن وغيرها أنه شيء تقذف به عيون في البحر.

القطيعة:

في الشام، بينها وبين دمشق أربعة وعشرون ميلا، وعابث علي بن عبيدة صديقا له من أهل القطيعة فقال: واعجبا، أعانتك علي القطيعة، وأنت من أهل القطيعة. وفي بغداد قطائع كثيرة (١) .

قلشانة (٢) :

في إفريقية وهي موضع المعرس لمن خرج من القيروان إلى قابس، وبينها وبين القيروان اثنا عشر ميلا وهي كبيرة آهلة بها جامع وحمام ونحو عشرين فندقا، وهي كثيرة البساتين وشجر التين، وأكثر تين القيروان الأخضر منها. وأسوارها قصار، وفعلوا ذلك خوفا من نزول العمال والجباة.

وقلشانة (٣) أيضا بالسين والشين في الأندلس من كورة شذونة، وهي مدينة سهلية على وادي لكه وهو بقبليها ويصب فيه على مقربة منها نهر بوطة، وموقعه في نهر لكه، ولها قصبة مشرفة بغربيها، ويفتح بابها إلى القبلة، وفي المدينة جامع حسن البناء فيه ست بلاطات، بناه الإمام عبد الرحمن بن محمد. وقلشانة متوسطة لمدن كور شذونة، وبها كان قرار العمال والقواد على شذونة، ومدينتها الأولية المذكورة في كتب القياصرة مدينة شذونة التي تعرف في عصرنا بمدينة ابن السليم (٤) وبنو السليم قد انضووا إليها عند خراب مدينة قلشانة، وصاروا فيها، وبين قلشانة ومدينة ابن السليم خمسة وعشرون ميلا، وهي بين الغرب والقبلة من قلشانة. وتعمل في قلشانة ثياب تعرف بالقلشانية مخترعة الصنعة غريبة العمل.

القل (٥) :

بينها وبين جيجل سبعون ميلا، ومنها إلى قسنطينة مرحلتان، والقل مدينة عامرة صغيرة، وهي الآن مرسى وعليه عمارات، والجبال تكنفه من جهة البر.

القلزم (٦) :

مدينة من أعمال مصر على ساحل البحر، وبها يعرف البحر فيقال بحر القلزم، وبها المراكب للتجار، وسمي القلزم لأنه في مضايق بين جبال، والقلازم: الدواهي والمضايق، وهي مدينة صغيرة متقنة البناء ليس فيها زرع ولا شجر، وإنما تمار من أرض مصر، ويضيق عندها البحر حتى يأتي كالنهر، ويمر كذلك دون مدينة القلزم إلى الشمال عشرة أميال وينقطع، وشرب أهل مدينة القلزم من جزيرة هناك ومن السويس يجلب

على الظهر، وهي بئر بطريق مصر على ثلاثة أميال من مدينة القلزم ومن أمثالهم: أكل لحم التيس وشرب ماء السويس، مع العقل ليس. ومن أعاجيبها أن معزها مرسلة في السكك لا مراعي لها ولا أكل إلا التراب، وهي سمان فائقة السمن، ومن أعاجيبها أن في ربض النصارى منها مسجدا في وسطه اسطوانة يأخذ الرقاصون منها زنة الحبة ونحوها ويحرز في جلد فلا تؤذيه دابة من دواب البحر، والرقاصون يراعون ذلك مراعاة شديدة ولا يشكون فيه ولا يخلون منه ويزعمون أن القرش إذا قابل في البحر تلك الاسطوانة انقلب على ظهره، وربما هلك فرماه البحر ميتا، وطول هذا البحر من القلزم إلى الواقواق أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ (٧) ، وقد رام بعضهم فيما سلف أن يوصل بين بحر القلزم وبحر الروم حرصا على عمارة الأرض وخصب البلاد ومنافع العباد فمنع من ذلك خشية تنوصل الروم بسبب ذلك إلى غزو الحجاز.

وفي بحر القلزم (٨) جبال عالية فوق الماء وتروش طافية ومخفية

---

(١) عد ياقوت عدة قطائع، مضافة، ولكنه لم يذكر قطيعة بالشام؛ وقد ذكر اليعقوبي: ٣٢٥، والمسعودي في التنبيه: ٣٠٦ القطيفة وقال الأول: وبها منازل هشام بن عبد الملك ومنها إلى دمشق؛ وقال الثاني: وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق مما يلي قارا والقطيفة (وكانت في أصول التنبيه القطيعة، وفغيرها المحقق) ؛ وأما علي بن عبيدة فلعله المشهور بالريحاني، ولا أدري له علاقة بدمشق.

(٢) البكري: ٢٩.

(٣) بروفنسال: ١٦٢، والترجمة: ١٩٥ (Calsena) .

(٤) مدينة ابن السليم Medinaceli.

(٥) قارن بالإدريسي (د) ١٠٢ – ١٠٣، والاستبصار: ١٢٧.

(٦) انظر خطط المقريزي ١: ٢١٣، وابن حوقل: ٥٣، وابن الوردي: ٢٤.

(٧) انظر في طول بحر القلزم، ابن خرداذبه: ٧١.

(٨) نزهة المشتاق: ١١١، وقارن باليعقوبي: ٣٤٠، وياقوت (قلزم) .." [١]

"ثم قدموا واحدا منهم ليقتلوه فقال لهم: لا تقتلوني فإن لأميركم عندي نصيحة، فأرادوه على أن يعلمهم بها فلم يفعل، فأتوا به العباس فقال له: تعطيني الأمان على نفسي وأهلي وأدلك على موضع تفتح منه قصريانة، فأدخله العباس في بيت وأغلق عليه ثم نادى في أصحابه بالركوب ومضى وجعل العلج بين يديه

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٦٦

في يوم مطير وثلج، والناس لا يعلمون أين يريد، فمضى حتى قرب من قصريانة فنزل، فلما غشيهم الليل نزل حتى صار إلى قرب المدينة، فوجه نائبه في رجل كثير ووجه معه العلج، وأقام هو في خيله ورجله على باب المدينة، فمضى نائبه مع العلج حتى أتى به إلى قناة يخرج منها ماء المدينة فأدخل منها الرجال ودخل معهم، حتى أتى بهم العلج إلى باب الحصن، وأهله في غفلة، فوضعوا السيف على الحرس فقتلوهم، وسمع أهل المدينة الصياح فأتوا من كل ناحية إلى باب الحصن، فلم يزل المسلمون يضاربونهم على الباب حتى فتحوه وكبر المسلمون خارج الباب ودخلوا المدينة، وهرب الروم، ودخل الناس فافترقوا في المدينة يقتلون ويغنمون حتى أخذوا كل ما فيها وأحرقوها، ولم يكن للروم في تلك النواحي أكبر منها ولا أوسع ولا أكثر قمحا، وكان فتحها في شوال سنة أربع وأربعين ومائتين، وبعث أبو إبراهيم بالفتح رسولا إلى المتوكل معه هدايا شريفة، وخيار ما سبى من وصيف ووصيفة.

قصر مصمودة (١) :

حصن كبير بينه وبين سبتة اثنا عشر ميلا، وهو على ضفة البحر تنشأ به المراكب والحرارق التي يسافر بها إلى بلاد الأندلس وهو على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس، وبين قصر مصمودة وطنجة عشرون ميلا.

قصر ابن عبد الكريم (٢) :

مدينة صغيرة بينها وبين مكناسة في جهة المغرب ثلاث مراحل، ويسكنه قوم من البربر وهو على نهر لكس (٣) ، وبينه وبين البحر نحو أربعين ميلا في أرض كلها رمل، ولها مزارع وخصب وصيود بر وبحر وبه سوق عامرة وجمل صناعات، والرخاء شامل وبينه وبين طنجة يومان.

قصر الفلوس (٤) :

مدينة كبيرة في المغرب الأوسط، هي مرسى للمراكب، فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة، وهي اليوم خراب، وفيها ماء مجلوب على قناطر بأغرب ما يكون من البناء القديم.

القصر القديم (٥) :

عند القيروان أسسه إبراهيم بن الأغلب سنة أربع وثمانين ومائتين، وصار دار أمراء بني الأغلب، وهو في قبلة القيروان وعلى ثلاثة أميال منها، وبه جامع له صومعة مستديرة مبنية بالآجر والعمد سبع طبقات، لم يبن أحكم منها ولا أحسن منظرا وبه حمامات كثيرة وفنادق وأسواق جمة ومواجل الماء وإذا قحطت القيروان وفقد الماء في مواجلها انتقلوا الماء (٦) من مدينة القصر. وكان لها من الأبواب: باب الرحبة قبلي، وباب

الحديد قبلي، وباب غلبون شرقي، وباب الريح شرقي، وباب السعادة غربي يقابل المقبرة الكبيرة، وداخل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف بالمدائن، وتجاور مدينة القصر بنية (٧) تعرف بالرصافة، ولما بنى إبراهيم بن الأغلب مدينة القصر وانتقل إليها، خربت (٨) دار الإمارة التي كانت بالقيروان بقبلي الجامع منه.

قصر سعد (٩) :

بجزيرة صقلية على فرسخ من المدينة، وهو على ساحل البحر وحوله قبور كثيرة للمسلمين، وهو موصوف بالفضل والبركة مقصود من كل مكان، وبإزائه عين وداخله مساكن وبيوت منتظمة، وهو كامل مرافق السكنى وفي أعلاه مسجد من أحسن مساجد الدنيا مفروش بحصر نظيفة (١٠) ، وقد علق فيه نحو الأربعين قنديلا من أنواع الزجاج والصفر، وفي أسفل القصر بئر عذبة وله إمام يصلي بهم الفريضة والتراويح في رمضان، وبمقربة من هذا القصر بنحو ميل إلى جهة المدينة قصر آخر على صفته يعرف بقصر جعفر، وداخله ساقية تفور بماء عذب.

القصر (١١) :

مدينة بالأندلس بينها وبين شلب أربع مراحل،

---

(١) عن الإدريسي (د/ ب) : ١٦٨/ ١٠٦، وقارن بالاستبصار: ١٣٨.

(٢) عن الإدريسي (د/ ب) : ٧٨/ ٥٣ ويسميه عبد الكريم؛ وقارن بالاستبصار: ١٨٩. حيث يسميه مدينة قصر صنهاجة، وعند البكري: ١١٠ قصر دنهاجة.

(٣) البكري والإدريسي: أولكس.

(٤) الاستبصار: ١٣٣، وقارن بالبكري: ٨١.

(٥) البكري: ٢٨.

(٦) ص ع: انتقلوا لى الماء.

(٧) ع: منية.

(٨) البكري: خرب.

(٩) رحلة ابن جبير: ٣٢٩.

(١٠) ص ع: قطيفة.

(١١) هو قصر أبي دانس الذي تقدم ذكره؛ بروفنسال: ١٦١ ومعظم هذه المادة عن الإدريسي (د) : ١٨١.." [(١)]

"قيجاطة (١) :

مدينة بالأندلس من عمل جيان، كان عبد الله المعروف بالبياسي من بني عبد المؤمن لما نازعه العادل ونزل عليه في بياسة فلم يقدر عليه ورجع عنه خائبا، استدعى البياسي النصارى فسلم لهم بياسة وأخرج منها المسلمين، وسار مع الفنش ليأخذ معاقل الإسلام باسمه، فدخل قيجاطة هذه بالسيف وقتل العدو فيها خلقا وأسر آخرين، وكان حديثها شنيعا تنفر منه الأسماع والقلوب، ثم سار إلى لوشة من عمل غرناطة، فقاتل أهلها وقاتلوه وأسمعوه ما غاظه، فسلط عليهم النصارى ففتكوا فيهم أشد الفتك، ثم سار إلى بيغو من عمل غرناطة فدخلها بعد شدة، وذلك مذكور في حرف الباء، وكان ذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

القيارة (٢) :

موضع على مقربة من دجلة وبالجانب الشرقي منها وعن يمين الطريق إلى الموصل، فيه وهدة من الأرض سوداء كأنها السبخة، قد أنبط الله تعالى فيها عيونا صغارا وكبارا تنبع بالقار، وربما يقذف بعضها بحباب منه كأنه الغليان، وتصنع له أحواض يجتمع فيها، فتراه شبه الصلصال منبسطا على الأرض أسود أملس صقيلا رطبا عطر الرائحة شديد التعلك، يلتصق بالإصبع لأول مباشرة من اللمس، وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق تقذفه إلى جوانبها فيرسب قارا، وبمقربة من هذه العيون على شط دجلة عين أخرى كبيرة تبصر على البعد منها دخانا قيل إن النار تشعل فيه فتنشف النار رطوبته المائية وتعقده، فيقطعونه قطرانا ويحملونه وهم يعم جميع هذه البلاد إلى الشام، إلى عكا، إلى جميع البلاد البحرية.

قيشاطة (٣) :

حصن بالأندلس كالمدينة، بينه وبين شوذر اثنا عشر ميلا وفي قيشاطة أسواق وربض عامر **وفنادق**، وعليه جبل يقطع به من الخشب الذي تخرط منه القصاع والأطباق وغير ذلك مما يعم بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب، وهذا الجبل يتصل ببسطة، وبين جيان وهذا الحصن مرحلتان.

القيس (٤) :

مدينة بصعيد مصر تعمل بها الثياب القيسية وأكسية الصوف الجياد، وهي على ضفة النيل وبغربيه، وهي

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٧٦

مدينة قديمة حسنة البناء جميلة الجهات فيها قصب السكر وأنواع التمور والخيرات الكثيرة، وبينها وبين منية ابن الخصيب مقدار نصف يوم.

قمنورية (٥) :

أرض قمنورية متصلة بالبحر المظلم، ويتصل بشرقيها صحراء عليها طريق تجار أهل أغمات وسجلماسة ودرعة والنول الأقصى إلى بلاد غانة وما اتصل بها، وكانت بأرض قمنورية مدن للسودان مشهورة وقواعد مذكورة، فطلبها لمتونة الصحراء الساكنون من جهتي هذه الأرض حتى أفنوا أكثر أهلها وقطعوا دابرهم وبددوا شملهم على البلاد، وأهل بلاد قمنورية يذكر التجار أنهم يهود، وفي معتقدهم تشويش وليسوا بشيء ولا على شيء، ولا ملك لهم ولا ملك عليهم، بل هم ممحونون من جميع الطوائف المجاورة لهم، ولم يبق من أهل قمنورية إلا قوم قلائل معروفون (٦) في تلك الصحارى وبمقربة من الساحل، عيشهم ال ألبان والحوت، وهم في نكد من نكد العيش وضيق الحال، فهم ينتقلون في تلك الأرض مع مهادنة من جاورهم، وبين قمنورية وسلى وتكرور مسيرة خمسة أيام.

قيطون بياضة (٧)

على ثلاثة مراحل من قفصة، وبينها وبين نفطة مرحلة، وإلى توزر مرحلة، وإلى نفزاوة مرحلة.

---

(١) بروفنسال: ١٦٥، والترجمة: ١٩٨ (Quesada) تقع على ثلاثين كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من أبدة.

(٢) عن رحلة ابن جبير: ٢٢٣، وقارن بابن بطاوطة: ٢٣٤.

(٣) هي قيجاطة السابقة؛ والنص عن الإدريسي (د) : ٢٠٣، وقارن بياقوت.

(٤) اليعقوبي: ٣٣١، والإدريسي (د) : ٤٥ (OG: 124) وراجع مادة ((القس)) .

(٥) ص ع: قيمورة؛ والنص عن الإدريسي (د/ ب) : ٢٩/ ١٦ (OG: 105) ، وانظر ابن الوردي: ٣٦.

(٦) الإدريسي: متفرقون.

(٧) عن البكري: ٤٧، وقارن بالبكري: ٧٤، والاستبصار: ١٧٥، قال: وقيطون بياضة قرية كبيرة كثيرة النخل فيها تجتمع الرفاق ومنها تخرج إلى جميع البلاد، وهي آخر بلاد الزاب.." [١]

"مارتلة (١) :

على نهر بطليوس بجزيرة الأندلس، منها الزاهد موسى بن عمران المارتلي، اشتهر في اشبيلية بالصلاح، وله

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٨٨

شعر مدون منقول منه قوله:

أوصيك لا ترد الشها ... دة والإمامة والأمانه

تسلم من التجريح وال ... حسد المبرح والخيانه ولما جاز منصور الموحدين البحر إلى الجهاد عام الأرك زاره، ثم وجه إليه بالأموال فقال للرسول: هو أحوج في مالي مني في ماله، قل له: هذه مائة دينار من حلال، خذها لنفقتك في هذه الغزوة فإني أرجو إذا لم تطعم إلا الحلال أن تنصر، فيقال إن المنصور قبل منها ما قاته في خاصته في تلك الحركة، فلم يزل يعرف بركتها حتى نصر الله تعالى، وتوفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة.

مازر (٢) :

مدينة بجزيرة صقلية تلي قوصرة، بينهما مجرى؟ ومازر مدينة مشهورة على الساحل الموازي لافريقية، وهي من مدينة بلرم في الجنوب، وبها واد ترسي السفين فيه، وهي مدينة فاضلة شامخة لا شبه لها ولا مثال في شرف المحل، إليها الانتهاء في جمال الهيئة والبناء، وما اجتمع فيها من المحاسن لم يجتمع في غيرها، وأسوارها حصينة شاهقة، وديارها حسنة، وبها أزقة واسعة وشوارع وأسواق عامرة بالتجارات، وحمامات وخانات وبساتين وجنات طيبة المزدرعات؟ يسافر إليها من جميع الآفاق، وإقليمها كثير الاتساع، يشتمل على منازل كثيرة جليلة وضياع، وبأصل سورها الوادي المعروف بوادي المجنون، وبينها وبين مرسى علي ثمانية عشر ميلا.

ومن مفاخرها أن منها الفقيه الإمام أبا عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم التميمي المازري (٣) صاحب " المعلم بفوائد مسلم " و " شرح التلقين " وغير ذلك، نزيل المهدية، لقي اللخمي (٤) وعبد الحميد بن الصايغ، وبرع في العلم، وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، ولا يسمى بالإمام أحد بإفريقية سواه، وسارت مقالاته وفتاويه في الأقطار وقصد الناس إليه، وتوفي بالمهدية سنة ست وثلاثين وخمسمائة. وكان، رحمه الله، على متانة علمه حسن الخلق مليح الدعابة، اجتاز عليه وهو مع أحد أصحابه نصراني في يده زجاجة خمر، فوضع صاحبه يده على أنفه، فاستهجن فعله ونسبه إلى الرياء وقال له: اشتهر في الناس أن ريحها طيب أو غير كريه، ولولا أن الشرع حرم شربها لم يكن بها عيب. واجتاز عليه وهو مع أصحابه بائع تفاح، فأخرج من جيبه خرقة حلها ودفع لصاحب التفاح جملة الذي كان فيها ثم نفض الخرقة وأنشد:

ما زلت أشربها خمرا مشعشعة ... حتى نفضت على مكيالها كيسي وصعد هو وصاحب له سطحا لارتقاب هلال فإذا امرأة على سطح آخر تلتمس الهلال أيضا، فقال الإمام أبو عبد الله:

طلعت للبدر تنظره ... فأرتنا البدر قد طلعا فقال صاحبه:

أنزلوا عنا فتاتكم ... لم تدع دينا ولا ورعا فقال له: هذا من الرياء. وقبره في المنستير؛ وحكي عن من قال: كنت أرى ليلة كل جمعة نورا هابطا من السماء متصلا بقبر الإمام أبي عبد الله المازري.

وبمازر توفي الأديب أبو علي حسن بن رشيق القيرواني مؤلف " العمدة " وغيرها سنة ست وخمسين وأربعمائة.

مازونة (٥) :

بالمغرب بالقرب من مستغانم، وهي على ستة أميال من البحر، وهي مدينة بين أجبل، ولها مزارع وبساتين وأسواق عامرة، ولها يوم يجتمع فيه لسوقها أصناف البربر بضروب من

---

(١) بروفنسال: ١٧٥، والترجمة: ٢١٠ (Mertola) ، وهي مدينة صغيرة في جنوب البرتغال وترجمته المارتلي في المغرب ١: ٤٠٦، والغصون الينعة: ١٣٥، والتكملة: ٦٨٧، وقد ذكر ابن الأبار أنه توفي سنة ٦٠٤.

(٢) (Mazara) الإدريسي (م) : ٣٢، وانظر تقويم البلدان: ١٨٩، وياقوت (مازر) .

(٣) كتب عنه الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتابا (نشر بتونس) ؛ وانظر الديباج: ٢٧٩.

(٤) هو علي بن محمد الربعي القيرواني، توفي سنة ٤٧٨.

(٥) الإدريسي (د/ ب) : ١٠٠/ ٧٢ وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته: ٦٥٧ إذ وصلها بعد ارتحاله من تنس.." [١]

"عبد الرحمن، وعلى ربضها المعروف بالمصلى سور تراب بناه خيران العامري، وكان قد أوصل إلى هذا الربض ماء العين التي هناك، وأجراه في سقاية، ثم أوصله محمد بن صمادح إلى سقاية عند جامعها داخل المدينة، واستطرد منه جدولا يصب في أسفل القصبة ويرفع بالدواليب إلى أعلاه. ووادي بجانة يعم بالسقي بساتين المرية، والبحر بقبلي مدينة المرية، وقصبتها بجوفيها، وهو حصن منيع لا يرام، مديد من المشرق إلى المغرب، ولها باب قبلي يفضي إلى المدينة مسافة ما بين أول المصعد في الجبل وبينه مائتا ذراع وثمانون ذراعا، ولها باب شرقي خارج عن أسوار المدينة، والربض متصل بجبالها، وهي أسهل مرتقى من الباب القبلي، وعرض ممشى السور الدائر بالقصبة خمسة أشبار، ومرسى المرية صيفي يكن شرقيه

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٢١

وغربيه.

وكانت المرية (١) في أيام الملثمين مدينة الإسلام، وبها من كل الصناعات كل غريبة، وكان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز. وتعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور المكللة والثياب المعينة والعتابي والمعاجر وصنوف أنواع الحرير، وكانت فيما تقدم تصنع بها من صنوف آلات النحاس والحديد ما لا يحد، وكان بها من فواكه واديها الكثير الرخيص. وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام، ولم يكن بالأندلس أكثر من أهلها مالا؛ والمرية في ذاتها جبلان بينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، وفي الجبل الثاني ربضها، والسور يحيط بالمدينة والربض، ولها أبواب عدة، والمدينة كبيرة كثيرة الخيرات، وفيها ألف فندق إلا ثلاثين فندقا، وكان الروم ملكوها فغيروا محاسنها وسبوا أهلها وخربوا ديارها.

المريس:

قالوا (٢) البلد الذي يتصل من بلاد النوبة بأسوان يعرف بمريس، وإليها تضاف الريح المريسية.

ومن كلام ابن دأب (٣) حين ذكر عيوب مصر عند الهادي قال: ومن عيوبها يا أمير المؤمنين الريح الجنوب التي يسمونها المريسية، فإذا هبت عليهم ودامت (٤) اشترى أهل مصر الأكفان.

مراسيا:

مدينة بأرض الروم بالقرب من القسطنطينية، بها عينان إحداهما من شرب مائها أوتي عقله واستكمل أمره، والأخرى من شرب من مائها ركبه النسيان ورجف فؤاده.

مرسى الخرز (٥) :

مدينة بشرقي مدينة بونة، وبينها وبين باجة مرحلة، وفي مدينة الخرز المرجان، وهو أجل مرجان يوجد بسائر الأقطار، ويقصدها التجار فيستخرجون منه الكثير، وهو ينبت كالشجر في البحر، يدار عليه القنب، فتلتف الخيوط على ما قاربها ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالأموال الطائلة وعمدة أهلها على ذلك. وشرب أهلها من الآبار، وهي قليلة الزرع، إنما يجلب إليها قوتها من بوادي العرب المجاورة لها، وكذلك الفواكه ربما جلبت إليها من بونة وغيرها، وبين بونة ومرسى الخرز مرحلة خفيفة، وفي البحر أربعة وعشرون ميلا.

ومدينة (٦) مرسى الخرز قد أحاط بها البحر، إلا مسلك لطيف ربما قطعه البحر في الشتاء وعليها سور وبها سوق وعمارة، وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب البحرية، وإليها يقصد الغزاة من كل أفق، وبينها

وبين سردانية مجريان في البحر. وبازاء مرسى الخرز بئر وبية الماء تعرف ببئر ابن راق (٧) ، ويقول أهلها: طعنة مزراق خير من شربة من بئر ابن راق. وهذه المدينة (٨) كثيرة الحيات، ويمتاز أهلها منهم بصفرة ألوانهم، ولا يكاد يخلو عنق الواحد منهم من تميمة، وجباية هذه المدينة عشرة آلاف.

مرسى علي (٩) :

من جزيرة صقلية، وفيها أيضا مرسى البوالص (١٠) ، ومرسى علي هذه كانت مدينة قديمة من أشرف بلاد صقلية، وكانت قد خربت ودثرت فعمرها القومس رجار الأول (١١) وسور

---

(١) عن الإدريسي (د) : ١٩٧.

(٢) مروج الذهب ٣: ٣٢؛وقارن بآثار البلاد: ٢٦٢ حيث ورد أن ((مريسة)) قرية بمصر من ناحية الصعيد.

(٣) مروج الذهب ٦: ٣٧٢.

(٤) مروج الذهب: ثلاثة عشر يوما تباعا.

(٥) الإدريسي (د/ ب) : ١١٦/ ٨٥.

(٦) البكري: ٥٥، والاستبصار: ١٢٦.

(٧) البكري أرزاق.

(٨) ص ع: البئر.

(٩) الإدريسي (م) : ٣٣.

(١٠) لاحظ الأستاذ رتزيتانو أن مؤلف الروض ذكر هذا أيضا عند الحديث عن ((شكلة)) وعن ((قرشقة)) .

(١١) لقد عودنا المؤلف فيما سبق أن يتجاوز عن ذكر اسمه ويدعوه ((طاغية صقلية)) .." [1]

"عليها سورا فصارت ذات عمارة وأسواق وجبايات، ولها إقليم واسع وسفر أهل بلاد إفريقية إليها كثير، وشرب أهلها من آبار عذبة في ديارها مع مياه العيون التي حولها، وبها فنادق وحمامات وبساتين ومزارع، وبينها وبين طرابنش ثلاثة وعشرون ميلا.

مرسى الدجاج (١) :

بالقرب من آشير، وهي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح، وعليها السور من الضفة الغربية إلى الضفة

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٣٨

الشرقية، ومن هناك يدخل إليها، وأسواقها ومسجد جامعها داخل ذلك السور، له باب واحد، ولها مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره، وبها عيون طيبة، يسكنها الأندلسيون وقبائل من كتامة.

وهي مدينة (٢) كبيرة القطر، ولها حصن دائر بها، وبشرها كثير (٣) وربما فر عنها أكثر أهلها زمن الصيف خوفا من قصد الأساطيل إليها، وأرضها ممتدة وزراعاتها متصلة وإصاباتهم واسعة وحنطتهم مباركه، وسائر الفواكه واللحوم بها كثير رخيص، وتينها يحمل منها شرائح طريا ومنثورا (٤) إلى سائر الأقطار وأقاصي البلاد، وهي بذلك مشهورة، وبينها وبين تدلس أربعة وعشرون ميلا.

مرسية (٥) :

بالأندلس، وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت دار العمال وقرار القواد، وكان الذي تولى بنيانها وخرج العهد إليه في اتخاذها جابر بن مالك بن لبيد، وكان تاريخ الكتاب يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة ست عشرة (٦) ومائتين، فلما بناها ورد كتاب الأمير عبد الرحمن على عامر بن مالك بخراب مدينة أله (٧) من المضرية واليمانية وكان السبب في ذلك أن رجلا من اليمانية استقى من وادي لورقة قلة وأخذ ورقة من كرم لرجل من المضرية فغطى بها القلة، فأنكر ذلك المضري وقال: إنما فعلت ذلك استخفافا بي إذ قطعت ورق كرمي، وتفاقم الأمر بينهما حنى تحارب الحيان، وعسكر بعضهم إلى بعض واقتتلا أشد قتال.

ومرسية (٨) على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر، ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، وهي راخية أكثر الدهر رخيصة الفواكه كثيرة الشجر والأعناب وأصناف الثمر، وبها معادن فضة غزيرة متصلة المادة، وكانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريفة ولأهلها حذق بصنعتها وتجويدها لا يبلغه عيرهم.

ومن مرسية أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني اللغوي المرسي (٩) صاحب " الموعب " وكان أبو الجيش مجاهد بن عبد الله صاحب دانية قد غلب على مرسية، وأبو غالب إذ ذاك بها، فأرسل إليه ألف دينار على أن يزيد في ترجمة الكتاب على أنه ألفه لأبي الجيش مجاهد، فرد الدنانير وأبى من ذلك وقال: والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب، فإني لم أجمعه لك خاصة، وإنما جمعته لكل طالب علم.

وعلى أربعين ميلا من مرسية عين ماء عذب يقصدها من علق العلق بحلقه فيفتح فاه فيسقط العلق لحينه، وذلك بإقليم إيلش. وقال بعضهم: هذا طب تمام يوجد في كل ماء عذب بارد، إذا فتح فمه عليه من علق العلق به أسقطه في الأغلب، وذلك لأن العلق إنما ينشأ في الماء العذب، فيطرأ عليه من خلاف ذلك

المزاج ما يستروح منه إلى الماء، وكثيرا ما يطب به الأطباء فيستغنون عن شجر أناغاليس الذي من شأنه قتل العلق (١٠) ، وعن العكوب (١١) وعن الخل وأمثال هذه الأشياء.

ومرسية (١٢) في مستو من الأرض على النهر الأبيض، ولها ربض عامر آهل، وعليها وعلى ربضها أسوار وحظائر متقنة، والماء يشق ربضها، وهي على ضفة النهر، ويجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب تنتقل من موضع إلى موضع (١٣) ، وبها شجر التين كثير،

---

(١) البكري: ٦٥.

(٢) الإدريسي (د/ ب) : ٨٩.

(٣) الإدريسي: قليل.

(٤) لعل المقصود: مطويا ومنشورا.

(٥) بروفنسال: ١٨١، والترجمة: ٢١٨ (Murcia) ، والنص ناظر إلى العذري: ٦.

(٦) العذري: سنة عشر.

(٧) العذري: أيه.

(٨) قارن بالزهري: ١٠٠.

(٩) ترجمته والقصة في الجذوة: ١٧٢.

(١٠) سقط من ع.

(١١) ص ع: العكوف.

(١٢) الإدريسي (د) : ١٩٤.

(١٣) بروفنسال: ويجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب ولها أرحاء طاحنة في مراكب تنتقل ... الخ؛ والنص عند الإدريسي: ولها أرحاء طاحنة في الماكب مثل طواحن سرقسطة التي هي تركب في مراكب تنتقل من موضع ... الخ، وأغلب الظن أن النص مضطرب في الأصل.." [1]

"فيها **الفنادق** والحمامات، وفيها قيسارية عظيمة البنيان، وهي أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعنابا وفواكه، وأكثر شجرها الزيتون، فيها منه ما تستغني به عن غيرها من البلاد، وتمير بلادا كثيرة، وبها شجر أرقان (١) ، ودهنه عندهم مستعمل نافع، وزيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة، وزيتها أرخص

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٣٩

وأطيب. وأجرى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في وسطها ساقية ظاهرة، يخرج ماؤها من قصره فيشق المدينة من القبلة إلى الجوف، فكانت أشرف مدن المغرب وأعدلها هواء، وجعل فيها مارستان للمرضى يدخله العليل فيعاين ما أعد فيه من المنازه والمياه والرياحين والأطعمة الشهية والأشربة المفوهة، فتنعشه من حينه، وكان ذلك سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ثم استدعى العلماء ورواة الحديث وأهل الفنون المختلفة، فجلبوا إليه من الأقطار، فكثر فيها العلماء وامتلأت بوجوه أهل البلاد من كل صقع، وقصدها التجار من كل جهة، وصارت حاضرة المغرب وقاعدة البلاد، وتناهت ضخامتها وانقادت إلى طاعتها أقاليم المغرب وبلاد الأندلس وغيرها، إلى أن اختلت الأحوال ووقعت الفتن وفشا فيها الظلم والفجور وشرب الخمور والتحامل على الناس، وفي ذلك يقول قائلهم:

يطوف التجار بمراكش ... طواف الحجيج ببيت الحرام

تروم النزول فلا تستطيع ... لشرب الخمور وهتك الحرم وكان من ملوك بني عبد المؤمن ما كان، وانقرضت دولتهم بقتل يعقوب بن عبد الحق المشتهر بابن تامطوت المريني صاحب فاس آخر ملوكهم ادريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن الملقب بأبي دبوس في سنة ست وستين وستمائة، وكان ناجزه مرارا في كلها يظهر عليه إلى أن ناجزه مرة بظاهر مراكش، فخامرت عليه عربه وأسلمته فقتل، وصارت الدولة مرينية، فسبحان من لا يزول ملكه.

ومع هذا كله ففي مراكش يقول أبو القاسم بن أبي عبد الله محمد بن أيوب بن نوح الغافقي من أهل بلنسية:

مراكش إن سألت عنها ... فإنها في البلاد عار

هواؤها في الشتاء ثلج ... وحرها في المصيف نار

وكل ما ثم وهو خير ... من أهلها عقرب وفار

فإن أكن قد مكثت فيها ... فإن مكثي بها اضطرار وأهل مراكش يأكلون الجراد، ويباع فيها كل يوم منه أحمال، وعليه قبالة، وكان أكثر الصنائع بمراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون وغيرهما، وكانت القبالة على كل شيء يباع، فلما صار الأمر للموحدين قطعوا تلك القبالات وأراحوا منها، واستحلوا قتل المتقبلين لها، فلا ذكر لها في بلادهم.

مرعش:

من ثغور أرمينية، وبينها وبين زبطرة تسعة فراسخ، وهي مدينة حصينة عليها سور حجارة.

فتحها خالد بن الوليد رضي الله عنه، وجهه إليها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وهو بمنبج، ففتح

حصنها وجلا أهلها فأخربه فبناه معاوية وأسكنه جندا. ثم سار إليها العباس بن الوليد بن عبد الملك فعمرها وحصنها ونقل إليها الناس، وبنى بها مسجدا جامعا، ثم حصرها الروم أيام محاربة مروان لأهل حمص، حتى صالحهم (٢) أهلها على الجلاء فخرجوا منها وأخربت، فلما فرغ مروان من حرب أهل حمص أعاد بناء مرعش ومدنها، ثم أخربها الروم في فتنة بني أمية فأعادها صالح بن علي في خلافة المنصور وشحنت بالرجال، ثم قصدها طاغية الروم فحصر أهلها، وبلغ الخبر ثمامة بن الوليد العبسي، وهو بدابق على الصائفة فوجه إليه خيلا كثيفة فأصيبوا فأحفظ ذلك المهدي فاحتفل لإغزاء الجسور قحطبة في العام المقبل سنة اثنتين وستين ومائة.

قالوا: وجيحان مخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على

---

(١) الاستبصار: الهرجان.

(٢) ص ع: صالحه.." (١)

"ويصب في نهر مهران السند، والغالب على أهل الملتان أنهم مسلمون، والحكم فيهم لأهل الإسلام، ورئيسهم مسلم.

مليانة (١) :

مدينة في أحواز أشير من أرض المغرب بين تنس والمسيلة وبقرب نهر شلف، وهي مدينة رومية فيها آثار، وهي ذات أشجار وأنهار تطحن عليها الأرحاء، جددها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلكين، وهي عامرة ومشرفة على جميع ذلك الفحص الذي فيه بنو واريفن وغيرهم، وهي عامرة آهلة، ولها آبار عذبة وسوق جامعة.

وبقعتها كريمة (٢) ومزارعها خصيبة، ونهرها يسقي أكثر مزارعها وجناتها، ولها أرحاء على نهرها، ولأقاليمها حظ من سقي شلف، وعلى ثلاثة أميال (٣) منها جبل وانشريس (٤) .

وعلى مليانة لقي أبو بكر ابن الصابوني الشاعر (٥) السلطان أبا زكريا ملك إفريقية، كان هاجر إليه من الأندلس وركب البحر، وخرج في ساحل الغرب الأوسط، ولقي عسكر السلطان على مليانة فنظم قصيدة وتعرض بها في جهة خيام خدام السلطنة، فمن العجائب أن لحظه السلطان بعينه فقال للحاجب: إن صدق ظني فذاك الشخص الذي من صفته كذا الناظر إلى جهتنا هو ابن الصابوني الشاعر، فسر إليه برفق

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٤١

واسأله، فإن كان هو ومعه قصيدة فيحضر بها وينشدها، فكان الأمر على ما قدر السلطان، وحضر وأنشد قصيدة أولها:

الله جارك في حل ومرتحل ... يا معليا ملة الإسلام في الملل

فسرت والسعد يدعوني وينشدني ... إن السعادة في مليانة فمل فلما أتمها أمر بإنزاله، وأنعم عليه بخمسمائة دينار، وصحب العسكر إلى حضرة تونس.

ملل (٦) :

بينها وبين المدينة النبوية ثمانية عشر ميلا، وهي بطريق مكة وفيها آثار، وهي قليلة الأهل، ماؤها من الآبار، وكان كثير عزة يقول: إنما سميت ملل لتملل الناس بها، وكان الناس لا يبلغونها حتى يملوا، وقال جعفر بن الزبير يرثي ابنا له مات بملل:

أهاجك بين من حبيب قد ارتحل ... نعم ففؤادي هائم القلب مختبل

أحزني على ماء العشيرة والهوى ... على ملل يا لهف نفسي على ملل

فتى السن كهل الحلم يهتز للندى ... أمر من الدفلى وأحلى من العسل

ممطور (٧) :

جبل على مرحلة من القيروان نزله بعض الأمراء الداخلين لإفريقية فأصابه المطر فقال إن جبلنا هذا لممطور، فغلب عليه هذا الاسم.

منبج (٨) :

بناحية قنسرين ومن كورها، وهي مدينة كبيرة، وبينها وبين الفرات مرحلة، وعليها سوران، وهي من بناء الروم الأول وفيها أسواق عامرة وتجارات دائرة وغلات وأرزاق.

ويحف (٩) بغربيها وشرقيها بساتين ملتفة الأشجار مختلفة الثمار، والماء يطرد بها ويتخلل جميع نواحيها، وأرضها كريمة وأسواقها فسيحة، ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن اتساعا وكبرا، وكانت من مدن الروم العتيقة، ولهم بها من البناء آثار تدل على عظيم اعتنائهم بها، ولها قلعة حصينة، وأهلها أهل خير وفضل، ومعاملاتهم صحيحة وأحوالهم مستقيمة.

ومنبج أيضا بناحية عمان.

---

(١) البكري: ٦٩، وقارن بالاستبصار: ١٧١، وياقوت (مليانة) ، وآثار البلاد: ٢٧٣، ورحلة العبدري: ٢٤.

(٢) الإدريسي (د/ ب) : ٨٤/ ٨٥.

(٣) الإدريسي: أيام.

(٤) ص ع: وانشراس.

(٥) اختصار القدح: ٦٩، والمغرب ١: ٢٣، والوافي ٢: ٩، والفوات ٢: ٢٠٩، وقد أورد ابن سعيد هذه القصة ملخصة.

(٦) انظر معجم ما استعجم ٤: ١٢٥٦، وياقوت (ملل) ، والمغانم المطابة: ٣٩١.

(٧) رحلة التجاني: ٣٢، والقائل هو معاوية بن حديج.

(٨) نزهة المشتاق: ١٩٧، وانظر ياقوت (منبج) ، وآثار البلاد: ٢٧٤، والكرخي: ٤٦، وابن حوقل: ١٦٦.

(٩) رحلة ابن جبير: ٢٤٨.." [١]

"والحكاية المشهورة في الاحتيال على هدمه ونبذ من أخباره قد تقدم في رسم الإسكندرية من باب الألف.

رأس منف (١) :

مدينة في البلاد المصرية قديمة، كانت دار مملكة ملوك درجوا مما يلي جبل المقطم، وأكثرها الآن خراب، وبها كان فرعون موسى، وكان اتخذ لها سبعين بابا، وفصل حيطان المدينة بالحديد والصفر، وبها كانت الأنهار تجري من تحت سريره، وهي أربعة. قال رجل: رأيت بمنف دار فرعون، وكنت أمشي في مجالسه وغرفه وجميع سقائفه وحجره، فإذا ذلك كله حجر واحد منقور، فإن كان بناء قد أحكم حتى صار في الاستواء كحجر واحد لا يستبين فيه جمع بين حجرين فذلك عجب، وإن كان جبلا واحدا فنقرت الرجال فيه بالمناقر حتى تخرقت فيه تلك المخارق فهو أعجب وأعجب.

وقد تنازع الناس في أمر فرعون موسى، فمنهم من رأى أنه من العماليق، ومنهم من قال: هو من لخم من الشام، ومنهم من رأى أنه من الفرس من مدينة اصطخر، ومنهم من ر أى أنه من القبط من ولد مصرام، والقبط تثبت ذلك، وزعم قوم أنه من الأعاجم من الأندلس من قرمونة، وذكروا أن اسمه الوليد بن مصعب، وكان سبب ملكه أنه دخل مدينة منف من البادية يحمل خمرا على أتان له، وكان أهل منف قد اختلفوا في تولية ملك، فأجمعوا أن يكون أول من يدخل ذلك اليوم على باب المدينة، فكان أول داخل فرعون، فولوه الملك. وكانت مدينة منف في ذلك الزمان قاعدة مصر ومدنها ودار مملكتها، فلما تمكن فرعون ببلاد

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٤٧

مصر بذل الأموال وجمع الجيوش، وقتل من خالفه وناوأه، ومدن المدن، وخندق الخنادق، واستقر له الأمر، وكان جبارا معجبا يدعو الناس إلى عبادته ويقول: أنا ربكم الأعلى، واستعبد بني إسرائيل، فكان من أمره مع موسى عليه السلام ما نصه الله تعالى في كتابه، فلما هلك رجعت بلاد مصر لبني إسرائيل يتوارثونها ملكا عن ملك (٢) ، ومنهم كان داود وسليمان عليهما السلام، إلى أن بعث الله عيسى عليه السلام وظهر دين النصرانية، وملك النصارى أرض مصر يتوارثونها إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام.

المنستير (٣) :

محرس من محارس سوسة بإفريقية، مشهور الفضيلة، قيل إن الذي بنى القصر الكبير بالمنستير هرثمة بن أعين سنة ثمانين ومائة، وله في يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير، وبالمنستير البيوت والحجر ومواجل الماء، وهو حصن عالي البناء متقن العمل، وفي الطبقة الثانية مسجد لا يخلو من شيخ فاضل يكون مدار القوم عليه، وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا أنفسهم منفردين دون الأهل والعشائر، وداخل قصر المنستير ربض واسع، في وسطه حصن ثان كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية، طبقات بعضها فوق بعض، وفي القبلة منه صحن فيه قباب عالية متقنة حولها النساء المرابطات، ولها حمامات كثيرة. وكان أهل القيروان يخرجون له من الأموال والصدقات كثيرا. وبقرب المنستير ملاحة عظيمة تشحن منها السفن الملح إلى البلاد، وبقربه محارس خمسة متقنة البناء معمورة بالصالحين، والأعراب لا تضرهم في شيء من أسبابهم، وبه مدفن أهل المهدية، يحملون موتاهم في الزوارق إليها ثم يعودون إلى بلدهم.

وبقرب القيروان: منستير عثمان (٤) بينهما ست مراحل، وهي قرية كبيرة آهلة بها جامع وفنادق كثيرة وأسواق وحمام وبئر لا تنزف، وقصر للأول مبني بالصخر، وأرباب المنستير قوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان، وهو اختطها عند دخوله إفريقية، وهذا خلاف ما تقدم، إلا أن يكون هرثمة مجددا له فيصح، أو يراد منستير عثمان (٥) ، وبها عرب وبرابر وأفارق، ومنها إلى باجة ثلاث مراحل.

منى:

جبل بمكة شهير، يذكر ويؤنث، وفيه يقول الشاعر:

ولم أر ليلى قبل موقف ساعة ... بخيف منى ترمي جمار المحصب ومنى (٦) شبه القرية، بنيت على ضفتي الوادي النازل من عرفات، وفي وسط ذلك الوادي الجمرتان: الأولى جمرة العقبة،

---

(١) الاستبصار: ٨٣، وصبح الأعشى ٣: ٣١٦، وانظر ابن خرداذبه: ١٦١، والإدريسي (د) : ١٤٥،

وياقوت (منف) ، وآثار البلاد: ٢٧٤، وخطط المقريزي ١: ١٣٤.

(٢) هذا غير صحيح تاريخيا ولا أدري من أين نقله المؤلف.

(٣) البكري: ٣٦، ثم الإدريسي (د) : ١٠٨، وانظر الاستبصار: ١٢٠، ورحلة التجاني: ٣٠، وفي صبح الأعشى ٤: ٢٤٤ نقل عن الروض.

(٤) البكري: ٥٥ - ٥٦.

(٥) المقصود ((منستير عثمان)) لا المنستير الذي هو محرس من محارس سوسة، والبكري واضح في التمييز بينهما.

(٦) الاستبصار: ٣٠.." [١]

"ولم تزل (١) ذات إقلاع وحط، وهي مدينة حسنة، مقصد للسفن الواردة من المشرق والمغرب والأندلس وبلاد الروم وغيرها، وإليها تجلب البضائع الكثيرة بقناطير الأموال، وهي من القيروان على نحو مرحلتين، وهي نظيفة المنازل، وديارها حسنة وحماماتها جليلة، وبها **خانات**، وهي بهية المنظر داخلا وخارجا، وأهلها حسان الوجوه نظاف الثياب، وتعمل بها الثياب الرفيعة الجيدة ويتجهز بها إلى الآفاق، وشرب أهلها من المواجل، وآبارها غير عذبة، ويحيط بالمدينة سور مبني بالحجارة عليه بابا حديد لفق بعضه على بعض من غير خشب لا يدرى مثلهما في الصنعة والوثاقة، ولم يكن بها قبل جنات ولا بساتين ولا نخل ولا فاكهة إلا ما جلب إليها.

وبها قيل:

بنيت بأرجاء المغارب دار ... دانت لها الأقطار والأمصار

لاذت ببرد الماء لما أيقنت ... أن القلوب على الحسين حرار وكانت المهدية (٢) مدينتين، المهدية يسكنها السلطان وجنوده، وزويلة يسكنها الناس. والمهدية كانت قاعدة البلاد الإفريقية وقطب مملكتها، وتغلب عليها طاغية صقلية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وصاحبها يومئذ الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي، وانفصل عنها ومضى إلى بجاية ثم إلى قلعة بني حماد، فلم يجد عند صاحبها ابن عمه نصرة، فاستمر سيره حتى انتهى إلى صاحب المغرب حينئذ، عبد المؤمن بن علي، فحرضه على الطلوع إلى إفريقية، وحضه على استنقاذ المهدية من يد العدو، فهو كان سبب تحركه إلى إفريقية، فوصل إليها ونزل على المهدية بجموعه، وحصر العدو الذي بها إلى أن صالحه على الخروج عنها إلى

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٥١

صقلية فكان ذلك، وصارت المهدية للمسلمين من حينئذ وفي الخبر طول.

وقال أبو عبد الله الحنفي يعرض بأهل المهدية:

إذا حل بالمهدية الضيف نازلا ... وسام القرى زفت إليه الكوامل

صحاف حكت من أم موسى فؤادها ... يغالط فيها حسه ويشاغل

إذا حسروا عنها المناديل أنشدت ... " وما السيف إلا غمده والحمائل "

مهران (٣) :

هو نهر السند الأعظم يخرج من جبال شقنان، ويقال إنه يخرج من جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، وتمده أنهار كثيرة وعيون غزيرة فيقطع أرض الهند والسند، ويظهر على توافره بناحية المولتان، ثم يمر على المنصورة حتى يقع في البحر الشرقي. وقال الكندي: مهران تنشق منه أنهار الهند كلها.

وهو يأتي (٤) من منبعه حتى إذا وصل إلى مدينة قالري (٥) التي هي في غربي النهر وبينه وبين المنصورة مرحلة، انقسم قسمين، وصار معظمه إلى المنصورة، ومد الذراع الثاني منه آخذا مع الشمال إلى ناحية شروشان (٦) ، ثم يأخذ راجعا في جهة المغرب إلى أن يتصل بصاحبه وهو القسم الثاني من النهر، وذلك أسفل مدينة المنصورة، وعلى نحو اثني عشر ميلا منها، فيصيران واحدا، ويمر إلى البحر.

ومن الناس (٧) من قال إن مخرج هذا النهر ومخرج النيل واحد.

وذكر لغسان بن عباد أن في هذا النهر سمكة تصاد ويطين رأسها وجميع بدنها إلى المواضع التي يخرج منها الثفل ثم يجعل ما لم يطين منها على الجمر، ويمسكها ممسك حتى ينشوي منها

---

(١) الإدريسي (د/ ب) : ١٠٧/ ٧٨.

(٢) عاد إلى النقل عن الإدريسي؛ ولكنه استكمل المعلومات التاريخية من مصدر آخر.

(٣) انظر ابن رسته: ٨٩، وابن خرداذبه: ١٧٣، والتنبيه والإشراف: ٥٤ - ٥٦، والكرخي: ١٠٧، وابن حوقل: ٢٨٢، وياقوت (مهران) ، وآثار البلاد: ٩٥.

(٤) عن الإدريسي (ق) : ٣٠ (OG: 168) .

(٥) ص ع: ماكري.

(٦) ق: شروسان؛ OG: سدوسان.

(٧) هذا القول ينسب غلى الجاحظ؛ وقد غمزه البيروني في ((تحقيق ما للهند)) فقال: ((حتى ظن الجاحظ بسلامة قلبه وبعده عن معرفة مجاري الأنهار وصور البحر أن نهر ((مهران)) شعبة من النيل.." (١)

"ما كان موضوعا على الجمر وينضج، ثم يؤكل ما نضج أو يرمى به عنها، وتلقى السمكة في الماء ما لم ينكسر العظم الذي هو فقار السمكة، فتعيش السمكة وينبت على ظهرها اللحم، فأمر غسان بحفر بركة في داره وملأها ماء وأمر بامتحان ما بلغه، قال: فكنا نؤتى في كل يوم بعدة من لحم هذا السمك، فنشويه على الحكاية التي ذكرت لنا، ونكسر من بعضه عظم الصلب ونترك بعضه لا نكسره، فكان ما كسرنا عظمه يموت وما لم نكسرعظمه يسلم وينبت عليه اللحم ويسوى (١) الجلد، إلا أن جلد تلك السمكة يشبه جلد الجدي الأسود، وكان ما كسرناه من لحوم السمك التي شويناها ورددناها إلى الماء يكون على غير لون لجلد الأول لأنه يصير إلى البياض. ويعضد هذا ما حكي أن بقرب بلاد كشك نهرا عظيما كالفرات يصب في بحر الروم، تأتيهم في كل سنة من هذا النهر سمكة عظيمة فيتناولون منها، ثم تعود في العام الثاني ذلك الوقت وقد عاد اللحم الذي أخذ منها، يعرفون ذلك لا يشكون فيه.

الموريان (٢) :

قرية بالأهواز منها أبو أيوب سليمان بن مخلد، وقيل سليمان بن داود المورياني وزير أبي جعفر المنصور، وقيل إنه مولاه اشتراه بالجزيرة إذ كان يليها لأخيه أبي العباس، ولأبي جعفر المنصور والمورياني قصة عجيبة بسببها قتل المنصور المورياني (٣) .

الموصل (٤) :

في الجانب الغربي من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، وشرب أهلها من ماء الدجلة، وبساتينها قليلة، وضياعها ومزدرعاتها ممتدة، وأبنيتها بالجص والحجارة، ولها رساتيق عظيمة وكور كثيرة.

وهي مدينة (٥) عتيقة ضخمة عليها سوران وثيقان، وباطن الداخل منهما بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله، قد أمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه، فللمقاتلة في هذه البيوت حرز ووقاية، وهي من المرافق الحربية، وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصا، عليها سور وثيق البنية مشيد البروج، وتتصل بها دور السلطان، ويفصل بينها وبين البلد شارع متصل ممتد من أعلى البلد إلى أسفله، ودجلة شرقي البلد متصلة بالسور وأبراجه في مائها، وللبلد ربض كبير فيه المساجد والحمامات

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٦٢

والخانات والأسواق، وأحدث فيها أحد أمراء البلد، كان يعرف بمجاهد الدين (٦) ، جامعا على شط دجلة ما رؤي أحفل منه، وأمامه مارستان حفيل، وبنى بداخل البلد قيسارية للتجار عليها أبواب حديد، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض بأبدع بناء، وللمدينة جامعان: أحدهما جديد والآخر من عهد بني أمية، وفي وسط صحن هذا الجامع الجديد سارية رخام قائمة قد خلخل جيدها بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها، وفي أعلاها جامة رخام مثمنة يخرج عليها أنبوب من الماء خروج انزعاج وشدة، فيرتفع في الهواء أزيد من القامة كأنه (٧) قضيب بلور معتدل، ثم ينعكس إلى أسفل القبة. ويجمع في هذين الجامعين القديم والحديث، ويجمع أيضا في جامع الربض.

وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد قد بنيت على دجلة فتلوح كأنها القصور ولها مارستان. وبهذه المدينة مشهد جرجيس.

وإذا عبرت دجلة نحو الميل ظهر لك تل التوبة، وهو التل الذي وقف عليه يونس عليه السلام بقومه، ودعا ودعوا حتى كشف الله عنهم العذاب، وبمقربة منه (٨) ، على قدر الميل أيضا، العين المباركة المنسوبة إليه عليه السلام ويقال إنه أمر قومه بالتطهر منها وإظهار التوبة ثم صعدوا إلى التل داعين، وفي هذا التل بناء عظيم هو رباط يشتمل على بيوت كثيرة ومقاصير، يضم الجميع باب واحد، وفي وسط ذلك البناء بيت ينسدل عليه ستر ويغلق عليه باب مرصع كله يقال إنه كان الموضع الذي وقف فيه يونس عليه السلام، ومحراب هذا البيت يقال إنه كان بيته الذي

---

(١) ص ع: ويشوى؛ ولعل الصواب ((ويثوب)) .

(٢) انظر ياقوت (موريان) .

(٣) أورد ابن خلكان هذه القصة ٢: ١١٤ - ٤١٤ وهي من زيادات بعض النسخ التي اعتمدت عليها في هذه الطبعة المشار إليها، ولا توجد في الطبعات السابقة، ومصدر القصة كتاب ((الجليس والأنيس)) للمعافي بن زكريا.

(٤) نزهة المشتاق: ١٩٩.

(٥) رحلة ابن جبير: ٢٣٤، والنص هنالك ينقصه قوله ((وعليها سوران وثيقان)) مما أخل بالسياق.

(٦) هو مجاهد الدين قايماز الزيني كان يتولى أمور اربل نيابة عن زين الدين ابن بكتكين ثم تحول إلى الموصل سنة ٥٧١ وسكن قلعتها وتولى أمور تدبيرها، وبني بظاهرها جامعا كبيرا ومدرسة وخانقاه، وتوفي

سنة ٥٩٥ (ابن خلكان ٤: ٨٢ - ٨٤) .
(٧) ص ع: كأنها.
(٨) ربما قرئت في ص ع: وبقرية.." [(١)]

"آمن إن كنت صادقا، قال: فانهض معي، فنهض معه فانتهى إلى قلعة، فرفع صخرة ودخل غارا فاستخرج سفطين، فإذا قلائد منظومة بالدر والياقوت وقرطة وخواتيم وتيجان مكللة بالجوهر، فأمنه ثم أتى به حذيفة رضي الله عنه فأخبره، فقال: اكتمه فكتمه حتى قسم الغنائم بين الناس، وعزل الخمس.
ثم خرج السائب مسرعا فقدم على عمر رضي الله عنه، فقال له ما وراءك؟ فوالله ما نمت هذه الليلة إلا تغريرا، إذ ما أتت علي ليلة بعد الليلة التي أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ميتا أعظم من هذه الليلة قال: أبشر بفتح الله ونصره وحسن قضائه لك في جنودك، ثم اقتص الخبر حتى انتهى إلى قتل النعمان فقال: إنا لله، يرحم الله النعمان، ثم مه؟ قال: ثم والله ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه، فقال: لا أم لك ولا أب، قتل الضعفاء الذين لا يعرفهم عمر ابن أم عمر، وأكب طويلا يبكي ثم قال: أصيبوا لضيعة؟ قال: لا ولكن أكرمهم الله بالشهادة وساقها إليهم، قال: ويحك، أغلبتم على أجساد إخوانكم أم دفنتموهم. قال: دفناهم، قال: فأعطيت الناس حقوقهم؟ قال: نعم، فنهض عمر رضي الله عنه، فأخذ السائب بثوبه وقال: حاجة، قال: ما حاجتك إذا أعطيت الناس حقوقهم؟ قال: حاجة لك وإليك، فجلس، وأخذ السائب الغرارة فأخرج السفطين ففتحهما فنظر إلى ما فيهما كأنه النيران يشب بعضه بعضا، فقال عمر رضي الله عنه: ما هذا؟ فأخبره، فدعا عليا وعبد الله بن أرقم وغيرهما فختموا على السفطين وقال له: اختم معهم، فختمه، وقال لعبد الله بن أرقم: ارفعه، ورجع السائب.
فرأى عمر رضي الله عنه ليالي كالحيات يردن نهشه، فسرح رجلا وكتب إلى السائب: إن صادفك رسولي في الطريق فلا تصلن إلى أهلك حتى تأتيني، وإن وصلت إلى أهلك فعزمة مني إليك، إذا قرأت كتابي هذا أن تشد على راحلتك وتقبل إلي. وكتب إلى عمار رضي الله عنهما: لا تضعن كتابي هذا حتى يرحل السائب إلي، وأمر الرسول أن يعجله، فقدم الرسول فقال له السائب: أبلغه عني شيء أم به علي سخطة؟ قال: ما رأيت ذلك، ولا أعلمه بلغه عنك خير ولا شر، وركب فقدم على عمر رضي الله عنه فقال له: يا ابن أبي مليكة، يا ابن الحميرية، ما لي ولك، أم ما لك ولي، ثكلتك أمك، ما الذي جئتني به؟ فلقد بت مما جئتني به مروعا أظن الحيات تنهشني، أخبرني عن السفطين، قال: والله لئن أعدت عليك الحديث،

---
(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٦٣

فزدت حرفا أو نقصت، لأكذبن، قال: إنك لما انصرفت فأخذت مضجعي لمنامي أتتني ملائكة فأوقدوا علي سفطيك جمرا ودفعوهما في نحري، وأنا أنكص وأعاهدهم أن أردهما فأقسمهما على من أفاءهما الله عليه، فكاد ابن الخطاب يحترق، ثم لم أزل مروعا أظن الحيات ينهشنني، فاردد هذين السفطين فبعهما بعطاء الذرية والمقاتلة أو نصف ذلك، واقسم منهما على من أفاءهما الله عز وجل عليه، وقيل، قال له: بعهما واجعل ثمنهما في أعطية المسلمين بالبصرة والكوفة، فإن خرج كفافا فذلك، فإن فضل فاجعله في بيت مال المسلمين (١) ، فقدم السائب بهما فاشتراهما عمرو بن حريث بعطاء الذرية والمقاتلة، وقيل اشتراهما بأعطية أهل المصرين، فباع أحدهما من أهل الحيرة بما أخذهما به واستفضل الآخر. وقال بعضهم: استفضل مائة ألف دينار، فكان أول مال اعتقده.

ولما انهزم أهل نهاوند جعلوا يسقطون في ذلك الخندق الذي هالوا فيه التراب المنخول فيغرقون في ذلك، وكان يقال لفتح نهاوند فتح الفتوح، قال موسى بن عقبة عن أخيه: قدمت البصرة فرأيت بها شيخا أصم، فقلت: ما أصابك. قال: أنا من أهل نهاوند، لما نزل المسلمون عندما نزلوا عليها كبروا تكبيرة ذهب سمعي منها. وفي الروايات عن فتح نهاوند اختلاف كثير، فلنقتصر منه على هذا.

النهروان (٢) :

بالعراق، مدينة صغيرة من بغداد إليها مشرقا أربعة فراسخ، ويقال بضم الراء وفتحها وكسرها مع النون، ويقال بضم النون والراء معا أربع لغات، ولها نهر جليل تجري فيه المراكب العظام ينبعث من جبال أرمينية ويستمد من القواطل، فإذا صار بباب كسرى سمي النهروان، وفي الجانب الغربي منها أسواق ومسجد جامع ونواعر تسقي أرضها، وفي الجانب الشرقي مسجد جامع أيضا وأسواق، وحول المسجد **خانات** ينزلها الحاج والميارة.

وعليها كانت الوقيعة بين علي رضي الله عنه وبين الخوارج

---

(١) سقط من ع.

(٢) انظر ابن رسته: ٩٠، ١٦٣، ومعجم البكري ٤: ١٣٣٦، ونزهة المشتاق: ٢٠٢، والمقسي: ١٢١، وياقوت (النهروان) .." [١]

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٨٢

"رفعتها وتنتفخ إذا وضعتها، وله ذنب طويل، وفيه السقنقور وهو صنف من التمساح يشاكل السمك من جهة يديه ورجليه ولا يشاكل التمساح وشحمه يتعالج به للجماع وكذلك ملحه الذي يملح به، والسقنقور لا يكون في النيل إلا بمكان من حد أسوان، والتمساح لا يكون إلا في نيل مصر، وهو مستطيل الرأس وطول رأسه نحو طول نصف جسده، وهو بري وبحري لأنه يخرج إلى البر ويقيم به اليوم والليلة يدب على يديه ورجليه ويضر في البر وأكثر ضرره في الماء ثم إن الله سبحانه وتعالى سلط عليه دابة من دواب النيل يقال لها اللشك ترتقبه وترصده حتى يفتح فاه فإذا فتحه وثبت فيه فتمر في حلقه ولا تزال تأكل كبده وأمعاءه حتى تفنيه فيموت، وفي النيل أيضا البوري والشابل.

نيق العقاب (١) :

بين مكة والمدينة، فيه لقي أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية بن المغيرة أخو أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام فتح مكة فحجبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى من لقائهما، فقالت أم سلمه: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك، فقال صلى الله عليه وسلم: " أما ابن عمي فقد هتك عرضي وأما ابن عمتي فهو الذي قال بمكة ما قال " ثم أذن لهما فأسلما، والقصة أطول من هذا.

نيسابور (٢) :

سميت بذلك لأن سابور مر بها فلما نظر إليها قال: هذه تصلح لأن تكون مدينة فأمر بها فقطع قصبها ثم كبس ثم بنيت فقيل لها نيسابور وهي من بلاد خراسان، وهو بلد واسع افتتحه عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ثلاثين وهي أرض سهلة ليس بها ماء جار إلا نهر يخرج إليهم فضله في السنة ولا يدوم ماؤه وهو فضل ماء هراة، وهي مدينة يكون قدرها قدر نصف مرو.

ومن نيسابور جماعة من أكابر الفضلاء، ولو لم يكن إلا الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب " المسند الصحيح " ويقال أيضا: ما أخرجت خراسان بعد ابن المبارك مثل يحيى بن يحيى النيسابوري (٣) .

ونيسابور (٤) مدينة جميلة في مستو من الأرض وأبنيتها من طين، وهي قديمة البناء، وقدر مساحتها ثلاثة أميال في مثلها ولها ربض كبير آهل دائر بها، ومسجد جامعها في ربضها، ولها قصبة منيعة، ولها أربعة أبواب: باب القنطرة، وباب سكة معقل، وباب القصبة، وباب قنطرة دومكين، ولها نهر يشربون منه ويسقون رساتيقهم، وبينها وبين سرخس ست مراحل، ورساتيقها عامرة وفيها مدن كثيرة، ونيسابور قلب لما حولها

من البلاد والأقطار.

وهي في أرض (٥) سهلة مقدارها فرسخ في مثله، وقهندزها متصل بمدينتها خارج عنها ويحف بهما جميعا ربض، وجامعها بموضع يعرف بالعسكر، ودار الإمارة بمكان يعرف بميدان الحسين، وبين المسجد الجامع ودار الإمارة ربع فرسخ، ودار الإمارة من بناء عمرو بن الليث، وأسواقها خارجة عن المدينة في الربض، ومعظمها سوقان: المربعة الكبيرة والمربعة الصغيرة، فإذا أخذت من المربعة نحو المغرب فالسوق ممتدة إلى مقابر الحسن، وفي خلال هذه الأسواق **خانات** يسكنها التجار للبيع فيها، يضاهي كل **فندق** منها سوقا من أسواق بعض البلدان. وليس بخراسان مدينة أصح هواء ولا أرحب فناء ولا أشد عمارة ولا أمكن تجارة ولا أكثر سابلة ولا أغزر فائدة من نيسابور، ويرتفع منها من أصناف البز وفاخر الثياب القطن والقز ما يعم البلاد وتؤثره الملوك ويتنافس فيه الرؤساء، ولها حدود واسعة ورساتيق عامرة ومدن معروفة. وكانت دار الإمارة في القديم بخراسان مرو وبلخ إلى أيام الطاهرية فإنهم نقلوها إلى نيسابور فعمرت وعظمت أحوالها وشهر بالعلم رجالها.

وفي سنة (٦) ثمان عشرة وستمائة نزل الططر على نيسابور وهي حينئذ عروس خراسان، ومحط التجار من سائر البلدان، وبها الطراز الأعظم، وفيها من الأئمة والعلماء والسادة والكبراء خلق لم يجتمع في سواها وقد طابت غلاتها فراموا فيها مكرا بتأمين أو خديعة، فقال أهلها: الكلب خير من صاحب أمرهم فإنه يحفظ العهد وهو ما له عهد ولا يفي بقول قد غدر بأهل بخارى وأهل سمرقند وغيرهما، فكيف ننخدع بعدما سمعنا، وفينا من يرغب في

---

(١) معجم ما استعجم ٤: ١٣٤١، وانظر ياقوت.

(٢) قارن بياقوت (نيسابور) .

(٣) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ: ٤١٥، وكانت وفاته سنة ٢٢٦.

(٤) عن نزهة المشتاق: ٢٠٨.

(٥) انظر ابن حوقل: ٣٦٢، والكرخي: ١٤٥، والمقدسي: ٣١٤، وآثار البلاد: ٤٧٣.

(٦) قارن بياقوت (نيسابور) .." [1]

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٨٨

"ووضع في مواضع الشرفات من المرمر صور بني آدم من كل الجهات تواجه القاصد نحوها فلا يشك الناظر أنها رجال وقوف، وكان لها من الأبواب باب القنطرة شرقي، باب أشونة قبلي، باب رزق غربي، باب السويقة جوفي، وغير ذلك من الأبواب، والمدينة مبنية على الرصيف الأعظم المسلوك عليه من البحر إلى البحر.

وكانت إستجة واسعة الأرباض ذات أسواق عامرة وفنادق جمة، وجامعها في ربضها مبنى بالصخر له خمس بلاطات على أعمدة رخام، وتجاوره كنيسة للنصارى؛ وبإستجة آثار كثيرة ورسوم تحت الأرض موجودة وهي منفسحة الخطة، عذبة الأرض، زكية الريع، كثيرة الثمار والبساتين، نضيرة الفواكه والزرع، ولها أقاليم خمسة. وكان أهل إستجة ممن خلع وخالف، فافتتحها عبد الرحمن بن محمد على يد بدر الحاجب سنة ٣٠٠، فهدم سورها ووضع بالأرض قواعدها، وألحق أعاليها بأسافلها، وهدم قنطرة نهرها، وفي ذلك يقول أحمد بن محمد بن عبد ربه " طويل ".

أرا إنه فتح يقر له الفتح ... فأوله سعد وآخره نجح

سرى القاعد الميمون خير سرية ... تقدمها نصر وتابعها فتح

ألم تره أردى بإستجة العدا ... فلقوا عذابا كان موعده الصبح

فلا عهد للمراء من بعد هذه ... يتم له عند الإمام ولا صلح

فولوا عباديد بكل ثنية ... وقد مسهم قدح وما مسنا قدح

وبين إستجة ومرشانة عشرون ميلا، وكذلك بينها وبين قرمونة.." (١)

"برغش

في بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون، وهي مدينة كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور، والأغلب على الجزء الواحد منها اليهود، وهي حصينة منيعة، ذات أسواق وتجار، وعدد وأموال، وهي رصيف للقاصد والمتحول، وهي كثيرة الكروم، ولها رساتيق وأقاليم معمورة.

بريانة

بالأندلس بقرب عقبة أنيشة.

وهي مدينة جليلة عامرة، كثيرة الخصب والأشجار والكروم، وهي في مستو من الأرض، وبينها وبين البحر

---

(١) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٥

ثلاثة أميال، وهي قريبة من بلنسية.

بزليانة

قرية على ساحل البحر، قريبة من مالقة، وهي قرية تشبه بالمدينة في مستو من الأرض، وأرضها رمل، وبها الحمام والفنادق، ويصاد بها الحوت الكثير، ويحمل منها إلى الجهات المجاورة لها، وبينها وبين مالقة ثمانية أميال.

بسطة

مدينة بالأندلس بالقرب من وادي آش، وهي متوسطة المقدار، حسنة الموضع،." [١]

"جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادي. والمدخل إليها في الشتاء على المراكب، وفي الصيف على مخاضة.

وفي إحاطة الوادي بها يقول ابن خفاجة في شعر يتشوق فيه إلى معاهده، ويندب ماضي زمانه " خفيف ":

بين شقر وملتقى نهريها ... حيث ألقت بنا الأماني عصاها

ويغنى المكاء في شاطئيها ... يستخف النهى فحلت حباها

عيشة أقبلت يشهى جناها ... وارف ظلها لذيذ كراها

لعبت بالعقول إلا قليلا ... بين تأويبها وبين سراها

فانثنينا مع الغصون غصونا ... مرحا في بطاحها ورباها

ثم ولت كأنها لم تكن تل؟ ... بث إلا عشية أو ضحاها

فاندب المرج فالكنيسة فالش؟ ... ط وقل آه يا معيد هواها

آه من غربة ترقرق بثا ... آه من رحلة تطول نواها

آه من فرقة لغير تلاق ... آه من دار لا يجيب صداها

لست أدري ومدمع المزن رطب ... أبكاها صبابة أم سفاها

فتعالى يا عين نبك عليها ... من حياة إن كان يغنى بكاها

---

(١) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٤

وشباب قد فات إلا تناس؟ ... يه ونفس لم يب إلا شجاها

ما لعيني تبكي عليها وقلبي ... شمنى سواده لو فداها

وفي جزيرة شقر يقول الكاتب أبو المطرف بن عميرة طويل:." (١)

"جيوشه للاجتماع فيها عام الزلاقة لمحاصرة ابن عباد بإشبيلية في سنة ٤٧٩، فأخلف الله ظنه، وعكس عليه أمله؛ وكان ما كان في الزلاقة من نصر الله تعالى للمسلمين والفتح لهم، فله الحمد؛ وقد مر ذلك في

رسم الزلاقة. ومن كلام عامة إشبيلية لفتك وطريانة تؤدى الجعل! طريف اسم بلد جزيرة طريف، على البحر الشأمي، في أول المجاز المسمى بالزقاق، ويتصل غربها ببحر الظلمة؛ وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب؛ ويشقها نهر صغير، وبها أسواق وفنادق وحمامات؛ ومن جزيرة طريف إلى الخضراء ثمانية عشر ميلا.

وكتب موسى بن نصير إلى الوليد يستأذنه في اقتحام الأندلس؛ فراجعه: خضها بالسرايا، ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال! فراجعه: ليس ببحر زخار إنما هو خليج يتبين للناظر ما خلفه! فجاوبه: وإن كان فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه! فبعث موسى رجلا من وإليه من البربر اسمه طريف، كينى أبا زرعة، في أربعمائة رجل، معهم مائة فرس، في أربعة مراكب؛ فنزل بالخضراء التي هي معبر سفائهم؛ وهي التي يقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها؛ فأغار عليها، فأصاب سبيا، لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسنا، ومالا جسيما، وأمتعة؛ وذلك سنة٩١.

طلبيرة

بالأندلس أيضا، بينها وبين وادي الرمل خمسة وثلاثون ميلا؛ وهي أقصى ثغور." (٢)

"قرطبة

قاعدة الأندلس، أم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر؛ وهم أعلام البلاد، وأعيان الناس؛ اشتهروا بصحة المذهب، وطيب المكسب، وحسن الزى، وعلو الهمة، وجميل الأخلاق؛ وكان فيها أعلام العلماء، وسادة الفضلاء؛ وتجارها مياسير، وأحوالهم واسعة؛ وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضا، وبين المدينة والمدينة سور حاجز؛ وفي كل مدينة ما

---

(١) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٠٣

(٢) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٢٧

يكفيها من الأسواق **والفنادق** والحمامات وسائر الصناعات؛ وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال، وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد. وهي في سفح جبل مطل عليها، يسمى جبل العروس، ومدينتها الوسطى هي التي فيها باب القنطرة.

وفيها المسجد الجامع المشهور أمره، الشائع ذكره؛ من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة، وأحكام صنعة، وجمال هيئة، وإتقان بنية؛ تهمم به الخلفاء المروانيون، فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميما إثر تتميم، حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف، ويعجز عن حسنه الوصف؛ فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقا وطولا وعرضا؛ طوله مائة باع، وعرضه ثمانون باعا، ونصفه مسقف، ونصفه صحن بلا سقف؛ وعدد قسى مسقفه تسع عشرة قوسا، وسوارى مسقفه بين أعمدته وسوارى قببه صغارا وكبارا مع سوارى القبلة الكبرى وما يليها ألف سارية؛ وفيه مائة وثلاث." (١)

"قيجاطة

مدينة بالأندلس من عمل جيان؛ كان عبد الله المعروف بالبياسى من بني عبد المؤمن، لما نازعه العادل ونزل عليه في بياسة، فلم يقدر عليه، ورجع عنه خائبا، استدعى البياسى النصارى، فسلم لها بياسة، وأخرج منها المسلمين، وسار مع الفنش ليدخل معاقل الإسلام باسمه، فدخل قيجاطة هذه بالسيف، وقتل العدو فيها خلقا، وأسر آخرين، وكان حديثها شنيعا تنفر منه الأسماع والقلوب. ثم سار إلى لوشة من عمل غرناطة، فقاتل أهلها وقاتلوه، وأسمعوه ما غاظه، فسلط عليهم النصارى، ففتكوا فيهم أشد الفتك، ثم سار إلى بيغو من عمل غرناطة فدخلها بعد شدة، وذلك مذكور في حرف الباء، وكان ذلك سنة٦٢٢.

قيشاطة

حصن بالأندلس كالمدينة، بينه وبين شوذر اثنا عشر ميلا؛ وفي قيساطة أسواق وربض عامر وحمام **وفنادق**، وعليها جبل، يقطع به من الخشب الذي تخرط القصاع والأطباق وغير ذلك مما يعم بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب، وهذا الجبل يتصل ببسطة، وبين جيان وهذا الحصن مرحلتان.." (٢)

"بناه خيران العامري، وكان قد وصل إلى هذا الربض ماء العين التي هناك، وأجراه في ساقية، ثم وصله محمد بن صمادح إلى ساقية عند جامعها داهل المدينة، واستطرد منه، ولا يصب في أسفل القصبة ويرفع

---

(١) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٥٣

(٢) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٦٥

بالدواليب إلى أعلاه؛ ووادي بجانة يعم بالسقى بساتين المرية، والبحر بقبلى مدينة المرية، وقصبتها بجوفيها، وهو حصن منيع لا يرام، مديد من المشرق إلى المغرب، ولها باب قبلي يفضى إلى المدينة، مسافة ما بين أول المصعد في الجبل وبينه مائتا ذراع وثمانون ذراعا، ولها باب شرقي خارج عن أسوار المدينة، والربض متصل بجبالها، وهي أسهل مرتقى من الباب القبلى؛ وعرض ممشى السور الدائر بالقصبة خمسة أشبار، ومرسى المرية صيفي يكن بشرقيه وغربيه.

وكانت المرية في أيام الملثمين مدينة الإسلام، وكان بها من كل الصناعات كل غريبة، وكان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز، يعمل بها الحلل والديباج السقلاطون والإصبهاني والـجرجاني والستور المكللة، والثياب المعينة، والعتابى، والفاخر وصنوف أنواع الحرير؛ وكانت فيما تقدم يصنع بها صنوف آلات النحاس والحديد وما لا يحاد؛ وكان بها من فواكه واديها الكثير الرخيص؛ وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشأم، ولم يكن بالأندلس أكثر من أهلها مالا.

والمرية في ذاتها جبلان بينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، وفي الجبل الثاني ربضها، والسور يحيط بالمدينة وبالربض؛ ولها أبواب عدة؛ والمدينة كبيرة كثيرة الخيرات، وفيها ألف فندق إلا ثلاثين فندقا؛ وكان الروم ملكوها فغيروا محاسنها وسبوا أهلها وخربوا ديارها.." (١)

"بأنه «نهر صاف عذب لأهل تلك الديار» وأنه «يمد قناة حلب» وأن منبعه من عين إبراهيم عليه السلام «وهي من جيلان قرية شمالي حلب» وأنه «نهر ذو فوائد كثيرة ومنافع غزيرة» .

ونوه بما يسقيه من بساتين، وقد أثارت دهشته سعة ما يرويه منها مع صغر مجراه «بحيث لو أراد أدنى الناس قطعه لقطعه، وهو يزيد على كفاية حلب مع [ما] فيها من كثرة البساتين والقساطل والحمامات والخانات والبرك والأحواض، بحيث لو شاهد أحد ذلك لاعتقد أن دجلة تعجز عنه» . واسترعت انتباهه تسمية نهر العاصي، وبعد أن عرض أقوال بعض متقدميه حول هذا الأمر، أعلن أنه لا يرى سببا لتلك التسمية إلا لأن «منبعه نحو الغرب إنما يرى في بعض الأماكن جريانه من الشرق إلى الغرب لتعرج مجاريه في بعض الأراضي فيظن الرائي أنه كذلك من منبعه يجري على خلاف جريان الأنهار» .

كما اهتم أيضا بالمياه الجوفية، من عيون وآبار، وذكرها في مناسبات كثيرة، ونوه بمذاق بعضها، بل عمد إلى المقارنة أحيانا بين عين وأخرى، فقال عن عين زال (عين زالة) مثلا إنها «عيون كثيرة على وجه الأرض، وماؤها عذب إلا أنه دون عين موسى عذوبة وصفاء» ، وقال واصفا عين صفية بعدها» هي عين ماؤها في

---

(١) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٨٤

غاية الصفاء، يجري أولا على أحجار كالصفا.. وماؤها عذب يشبه ماء دجلة» ووصف ماء عين الرميلة بأنه «عذب خفيف، قيل إنه أخف المياه» ، وماء عين حسية بأنه عذب صاف، ولكن ماء عين النبك «أعذب من الأولى» .

وبالمقابل فإنه وصف ماء نصيبين بالرداءة، ومثله ماء قرية العلى. ولاحظ وفرة المياه تحت الكثبان الرملية في جنوب الأردن، فقال «وهذه الأرض إذا حفر فيها نحو ذراع خرج الماء لأنه كامن تحت الرمل، إلا أنه رديء مسهل لما فيه من ملوحة» ، وحين أخبر بأن ثمة موضعا يعرف بالغرابي نسبة إلى لون مائه الأسود، لاحظ أن هذا الماء يأخذ لونه من لون مجراه، وإلا فلا لون له.

وتطرق إلي الآبار الارتوازية، ونوه بالمشاق التي كان يكابدها بعض أهل تلك النواحي في الوصول إلى مياه الشرب، بسبب انخفاضها عن مستوى سطح الأرض. قال مثلا واصفا مورد." (١)

"ب- وصفه لطرق المواصلات:

تعد طرق المواصلات من مقومات الجغرافية الاقتصادية، وقد أولاها السويدي جانبا من عنايته، فسمى، على نحو دقيق، جميع مراحل الطريق المؤدي من بغداد إلى الموصل فحلب ثم دمشق فالحرمين الشريفين، وضبط المسافة، بالفراسخ، بين كل مرحلة وأخرى، وقد ظل هذا الطريق مسلوكا، ومفضلا بوجه عام، عند الحجاج العراقيين على الطريق القصير المباشر الذي يجتاز بوادي نجد وقفارها.

وطريق الحج هذا، كما وصفه السويدي، يتألف من ٧٥ مرحلة ويمر بأكثر من ثمانين مدينة وقرية ومحطة، ويتراوح طول المرحلة الواحدة بين ثلاثة فراسخ وعشرين فرسخا، أي بين تسعة كيلومترات وستين كيلومترا تقريبا (الفرسخ- ٦ كم) ويستغرق قطع الفرسخ الواحد نحو ساعة أو أكثر بحسب استواء الطريق أو وعورته. وعلى الرغم من استخدام السويدي الفرسخ وحدة رئيسة لقياس المسافات، فإنه استخدم أيضا الميل، ويبلغ ثلث الفرسخ، أي زهاء الكيلومترين، والبريد، ويساوي أربعة فراسخ، أي نحو ٢٤ كيلو مترا.

أشار السويدي إلى أهم ما يعنى به المسافر في طرق ذلك العهد، فقد ثبت مواضع الخانات ووصفها تفصيلا، وحدد أماكن برك المياه وسعتها ونوع مياهها، كما لم يغفل عن الإشارة إلى الآبار الارتوازية والعيون المتدفقة، ومن ناحية أخرى فإنه سجل ملاحظاته حول الحالة الأمنية للطرق يومذاك، وأشار إلى النواحي التي يكثر فيها خروج قطاع الطرق ومداهمتهم قوافل التجار والمسافرين، كما أشار أيضا إلى القلاع المنشأة لغرض حماية الطرق، ومن يقيم فيها من الجند، والمدد التي يقضونها في تلك القلاع قبل إبدالهم بغيرهم،

(١) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/٤٥

وما يتصل بذلك من شؤون تهم المسافر في ذلك العهد، لأغراض عملية مباشرة، وتهم الباحث في يومنا هذا، بوصفها تلقي ضوءا على مرفق مهم من المرافق الاقتصادية يومذاك.." [1]

"٥- عنايته بجغرافية المدن:

ا- معاييره في تصنيف المدن:

قدم السويدي، من خلال رحلته، معلومات قيمة عن أحوال المدن والقرى العربية في عصره، وقد كان دقيقا في تصنيفه المستوطنات البشرية التي مر بها، إذ نراه يفرق بين المدينة والبلدة الكبيرة، والبلدة الكبيرة والقرية والقلعة ومحطة الطريق، أو المرحلة، ففي حين عد الموصل وحلب وحمص وحماة ودمشق والمدينة المنورة مدنا، وصف كلا من تكريت وأسكي موصل بأنها بلدة كبيرة، وعد كلا من الخانوقة ودنيسر والرها ومعرة النعمان والبلقاء بأنها بلد أو بلدة، والبيرة بأنها بليدة، هذا بينما وصف الباب والنبك وسرمين بأنها قرى كبيرة، في حين وصف قرى أخرى مثل تل موس وعين زال ونصيبين وقره دره وخان شيخون وقاره والعلى بأنها مجرد قرى، وعد نواحي أخرى مثل: بريج، الزرقاء، المزيريب، القطران، عنزة، المدورة، ذات حج، تبوك، الأخيضر، المعظم، آبار غنم، هدية، قلاعا، وإن وجد حول بعضها عدد من البيوت. وليس من العسير تحديد معاييره في هذا التصنيف، إذا ما حللنا طبيعة المعلومات التي أوردها عن كل صنف من أصناف المستوطنات هذه، فالمدينة هي التي تتميز بوجود دار للحكم (سلطة سياسية وإدارية) وأسواق متنوعة، وخانات للتجار والمسافرين (نشاطات اقتصادية) وجوامع كبيرة، ومدارس، ووفرة في العلماء (نشاطات ثقافية وروحية) فضلا عن الأسوار والحصون وبعض المظاهر الأخرى. أما البلدة، فالأوصاف التي أوردها عن بلدة كمعرة النعمان، تشير إلى أنها تلك التي تتميز بوجود أسواق، وجامع كبير، وحمام، وليست البلدان الكبيرة- على ما نفهم من وصفه لتكريت وأسكى موصل- إلا مدنا قديمة، أدى خرابها إلى فقدانها صفتها (كمدن) ولكنها لم تبلغ حد أن تتساوى مع (بلدات) ناشئة ليس لها تراثها أو شهرتها. وعلى هذا الأساس نفسه عد مدنا لها مكانتها السالفة كنصيبين مجرد قرى لأنها «مشرفة على الخراب لا جمعة فيها ولا جماعة» .

وتتميز القرى، بحسب وصف السويدي، بوجود بساتين قريبة، مما يدل على غلبة النشاط الزراعي على أهلها، ومع ذلك فإنه وصف قرية حسية الصغيرة بأنها «لها خان كبير." [2]

(١) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/٤٨

(٢) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/٤٩

"لأبناء السبيل فيه جامع يخطب فيه، وفيه بركة ماء كبيرة، وخارج القرية بركة أكثر من عشر في عشر» ، ووصف قرية النبك بأن في «ظاهرها خانا لأبناء السبيل، وفي داخله خانات للشتاء وفيه جامع خطبة» ، وذكر أن لقرية قارة «جامع خطبة» وأن لقرية قطيفة خانا كبيرا واسعا» مما دل على النمو الذي أصابته بعض القرى في ذلك العصر، بسبب موقعها من الطرق التجارية، بل إن كثيرا من القلاع التي رآها، ووصفها، كانت مهمتها حماية تلك الطرق والإشراف على حركة النقل، فيها، وقد بدأت بالتحول إلى قرى يسكنها المعنيون بتقديم الخدمات إلى القوافل في عهده نفسه، فقد لاحظ هو أن بعض القلاع قد نمت بقربها بيوت.

ب- وصفه للمدن القديمة:

اهتم السويدي، فيما اهتم به في رحلته، بوصف الآثار الشاخصة أو الدارسة من العصور التالدة، من تلال أثرية، وبقايا قصور وقلاع ومدن دائرة. وفي الواقع فإن مجرد أن تسترعي هذه الآثار اهتمامه يدل على تحسسه البارع لتاريخية المواضع التي كان يجوس خلالها في أثناء رحلته تلك، وهو ما يجعله يقف ضمن أوائل المثقفين العراقيين الذين نالت آثار بلادهم المادية جانبا من اهتماماتهم العلمية، في عصر انحصرت فيه معظم تلك الاهتمامات، لدى علماء آخرين، بالترجمة للأحياء وتسجيل ما أخذوه عنهم من إجازات، وما رووه عنهم من روايات وأخبار. قال واصفا تل كوش الأثري، إلى الشمال من بغداد بأنه «تل صغير مستطيل أحمر على كتف دجلة الغربي» وحاول، في أثناء مروره ببقايا قصر العاشق الأثري، في ضواحي سامراء القديمة، أن يقدم تفسيرا لوجود تسميتين مختلفتين لهذا القصر في عهده، إحداهما العاشق والأخرى المعشوق، وكان الناس، في أيامه، قد نسجوا قصصا متنوعة حول هاتين التسميتين، فقال هو ناقلا من القاموس المحيط: إن المعشوق قصر بسر من رأى، ولكنه استدرك بقوله: فلعله غيره، لأن العاشق في الجانب الغربي من دجلة، وسر من رأى في الجانب الشرقي، فلعل هذا البناء يسمى بالعاشق، والقصر الذي يسمى بالمعشوق.. والعاشق هذا بناء قديم لم يبق منه إلا أثر الجدران مبني." (١)

"بالآجر والجص.

ولاحظ، وهو يمر بالخانوقة، في طريقه إلى الموصل، أن هذا الموضع يتألف من «تلال عظام من تراب مستديرة، بعضها إلى جانب بعض كهيئة القلعة والسور» .

ووصف آثار مدينة ثمود الأثرية، في طريقه إلى وادي القرى، ولاحظ عدم صحة ما كان يتداوله الناس حول

---

(١)<النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/٥٠

كونها قد قلبت بسبب غضب الله عليها، فقال «ديار ثمود وتسميها العامة ديار صالح.. وهي أرض موحشة.. وفيها بيوت ذوات أبواب، على سطح كل باب هيئة الدرجين المعكوسين، تظن العامة أنها مقلوبة وليس كذلك كما هو ظاهر لمن تأمل البناء وعقد الأبواب والأواوين، وأكثر البيوت علا عليها الرمل» . وإشارته إلى «تأمل البناء وعقد الأبواب والأواوين» لافتة للنظر حقا، لأنها تدل على أن مروره بتلك الآثار الشاخصة، لم يكن مرور عابر سبيل اعتيادي، وإنما كان مشاهدة، ودرسا، واهتماما.

ج- وصفه المدن القائمة:

شغف السويدي بوصف عمارة المنشآت المهمة في المدن التي أقام بها أو زارها، ولم يكن وصفه لها مجرد إشارات عابر سبيل، أو تنويه بوجودها فحسب، وإنما وصف تأمل وتدبر، فيه من دقة الملاحظة وحسن التصوير ما هو جدير بالالتفات، ولذا فقد حفلت رحلته بفقرات مسهبة عن عدد من تلك المنشآت، كالمساجد والمدارس والخانات والقلاع. ونحن نراه حين يعمد إلى وصف عمارة منشأة ما، يحيط بالعناصر الرئيسية المكونة لها، على نحو متوازن لا خلل فيه؛ ففي حديثه عن المساجد لا يغفل عن وصف عناصر المسجد الرئيسية:

القبة والمحراب والمصلى والصحن والمئذنة، وربما قارن بعض هذه العناصر بغيره مما سبق أن شاهده في مساجد أخرى، واستفاد من النصوص والكتابات الأثرية على المسجد نفسه في التعرف على تاريخ إنشائه أو تجديده. قال في وصفه لجامع دنيسر «لها جامع كبير واسع قديم من محاسن الدنيا بناء وعمارة، إلا أن نصف قبته ساقطة والباقي متداع.. وله محراب في غاية الجودة عليه كتابة عربية وكوفية مكتوب عليها بعض آيات قرآنية، وعليه اسم من." [(١)]

"عظيمة تفتح شبابيكها على البساتين من الجوانب الأربع، وجميع قباب الحجر وسطوحها مصفحة بصفائح الرصاص» .

واستأثرت الخانات (فنادق المسافرين) بجانب من عناية السويدي، فخص عددا منها بوصف شامل لمرافقها في ذلك العصر، ويظهر مما ذكره أن هذه المنشآت كانت تمر بمرحلة من الازدهار نتيجة لتطور أحوال التجارة ونموها وبخاصة تجارة النقل في المشرق العربي في أواسط القرن الثامن عشر، وازدياد اهتمام السلطات المحلية بها بوصفها مراكز لحماية التجار، مصدر تمويل تلك السلطات آنذاك. قال واصفا أحد الخانات عند مدخل مدينة حمص «هو خان كبير مشتمل على خانات، فإذا دخلت بابه رأيت صحنا كبيرا

---

(١) النفحة المسكية في الرحلة المكية السويدي ص/٥١

واسعا في أطرافه حجر لأبناء السبيل وعن يمين الصحن باب كبير فيه خان فيه أواوين وحجر واصطبل، ومقابل الوجه باب كبير أيضا فيه أواوين وحجر أيضا وجدول ماء صغير متشعب من العاصي، وعن يساره صحن طويل يشقه جدول من العاصي وعليه ناعورة صغيرة» .

كما أشار إلى **خانات** أخرى في المدن والطرق التي مر بها، منها قزل خان وخان الأغوات (في الموصل) ، وخان تومان، وخان حماة وخان القطيفة وخان الزبيب، وغيرها.

ومن ناحية أخرى فإن رحلته حافلة بإشارات مهمة إلى عدد من قلاع المدن، والقلاع التي على الطريق، مثل قلاع شمسين، وبريج، والقطيفة، والمزيريب، والزرقاء، والقطران، وعنزة، والمدورة، وذات حج، وتبوك، والأخيضر، والمعظم وغيرها. ولم يغفل أن ينوه أحيانا بالقرى الكبيرة التي ليس لها سور يحميها.

ونظرا لاهتماماته الدينية والتاريخية فقد سجل لنا ما كانت تحفل به مدن تلك العهود من قبور الصحابة، والأولياء، فضلا عن المقامات المنسوبة للأنبياء، وما هو مشيد عليها- أحيانا- من قباب ومبان.

٦- عنايته بالجغرافية البشرية:

عني السويدي بتقديم ملاحظات علمية ذكية عن المجتمعات البشرية التي مر بها، مما يدخل ضمن نطاق ما يعرف بالجغرافية البشرية، فقد تكلم عن الصفات الموروثة لبعض." [(١)]

"عظيم من حجر، والمسافة عشرة أميال تقريبا.

[مرج ريحان]

وتليها مرحلة مرج ريحان بفتح الميم وسكون الراء فجيم. وريحان هو النبت المعروف، وفيه عين ماؤها في غاية العذوبة. والمسافة اثنا عشر فرسخا ونصف وأقمنا في هذه المرحلة يوما لتستريح الدواب.

[الرها]

ويليها مرحلة الرها، بضم الراء. وهي بلدة «١» طيبة التربة معتدلة الهواء عذبة الماء، ذات بساتين وأشجار كثيرة الفواكه والثمار. أهلها ذوو أخلاق رضية، ومكارم سمية، بها (٥٢ ب) الدين ظاهر، والعلم زاهر، والصلاح ذائع، والخير شائع، عمر ها الله بالخيرات، وحفظها بأنواع المسرات.

دخلناها يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأولى «٢» ، وخيمنا في ميدان الجريد «٣» في ظاهرها، وكان

---

(١) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/٥٣

فيها بقية طاعون فانقطعت ونحن هناك والحمد لله تعالى. دخلنا يوم الخميس داخل البلد، وتفرجنا على أسواقها وخاناتها وحماماتها وبيوتها، فإذا هي أحسن." (١)

"الشيخ السيد (محمد) «١» الطرابلسي «٢» في بستان طه زاده، والمسافة ثمانية فراسخ.

[حلب]

(وتليها مرحلة حلب وهي جنة) «٣» الدنيا وخزائن الإسلام، (٥٥ أ) رفيعة البناء، حسنة الأسواق والخانات والحمامات، فيها العلم ظاهر نبراسه «٤» ، ومحكم أساسه، رفيعة أعلامه، منيعة حصونه وآكامه، فيها العمل الصالح مشهور، والخير عنها مأثور، أهلها «٥» في غاية الرقة واللطف، (ونهاية الشفقة والعطف) «٦» ، لهم جد في تحصيل العلوم، وكثرة اشتغال في معرفة المنطوق والمفهوم، ومواظبة على الجمعة والجماعات، ومداومة على تعاطي المبرات، ما دخل حلب (غريب) «٧» من العلماء إلا ونال من إحسانهم، وتمنى أن يكون وطنه «٨» من جملة أوطانهم، فلله درهم فلهم أخلاق مسكية، وشمائل ذكية، ولين الجانب، وخفض الجناح للأجانب، لهم حسن ظن واعتقاد، مزايلون الإنكار «٩» والانتقاد فو الله إن أولادها الذين هم أطفال أينما رأوني يقبلون يدي، ويقولون: يا سيدي أدع لنا! فو الله إن عمر أحدهم ما يصل ست سنين وهذه حالتهم، فما بالك بشبانها وكهولها ومشايخها.." (٢)

"الحوارة «١» ، وفي ثمارها ومائها وسائر أقواتها من البركة مما لا يخفى على الفطن. قلت: فو الله إني رأيت نهرها وهو صغير جدا بحيث لو أراد أدنى الناس قطعة لقطعه، وهو يزيد على كفاية حلب مع ما فيها من كثرة البساتين والقساطل والخانات والبرك والأحواض، بحيث لو شاهد أحد ذلك لاعتقد أن دجلة تعجز عنه. ورأيت كرومها وأشجار التين والزيتون والفستق واللوز تعيش بلا ماء، كذلك البطيخ الأخضر والأصفر. ورأيتهم يبذرون في ترابها وهو جاف غاية الجفاف فينبت، وما ذلك إلا لطيب تربتها، الناشيء جميع ذلك من دعوة سيدنا إبراهيم الخليل- عليه الصلاة والسلام- قال ابن العديم «٢» في تاريخ حلب:

كان فيها مقام إبراهيم الخليل واستوطنها، وكانت له، ثم أمر بالمهاجرة إلى الأرض المقدسة، فخرج عنها، فلما بعد عنها ميلا نزل وصلى هناك، وهو إلى الآن يعرف ذلك المكان بمقام (١٠٨ ب) إبراهيم الخليل، قبل حلب، فلما أراد الرحيل التفت إلى مكان استيطانه كالحزين الباكي لفراقها، ثم رفع يديه وقال: اللهم

---

(١) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/١١٧

(٢) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/١٢٢

طيب ثراها وهواءها وحبها لأبنائها، فاستجاب الله دعاءه فيها، فصار كل من أقام في بقعة حلب ولو مدة يسيرة أحبها، وإذا فارقها التفت وبكى، انتهى. قلت: ومن نعم الله تعالي أني أحببتها حبا يوازي حب وطني، ولما فارقتها تأسفت عليها وحزنت، ولما بعدت عنها نحو ميل التفت إليها متباكيا اقتداء بالسيد إبراهيم الخليل. أما قلعتها فهي على تل عال، وهو الذي (كان) «٣» يسكن فيه إبراهيم الخليل، وله فيها مقامان، أعلى بالمسجد الجامع، وهو الموضع الذي كان يحلب فيه الغنم، وموضع أسفل. وفي الجامع أيضا رأس يحيى بن زكريا موضوع في جرن. وقد زرت جميع ذلك." (١)

"الفجر، ولم نزل نمشي بين أشجار الزيتون نتفيأ ظلاله، ونحن ذاهبون خلاله مقدار خمس ساعات. ثم مشينا بين أشجار السنديان والبطم أربع ساعات فكأننا في بستان إلا أنا منذ فارقنا شجر الزيتون وقعنا في طريق وعر ضيق كثير الجنادل، لكنا لم نجد نصبا لاشتغالنا برؤية الأشجار والتفرج فيها.

[معرة النعمان]

فدخلنا يوم الخامس عشر من الشهر معرة النعمان «١» ، وهي بلدة غير مسورة، فيها أسواق، وحمام، وجامع كبير في أحسن ما يكون من العمارة، وله منارة رفيعة عجيبة حسنة البناء مربعة، أضيفت إلى النعمان بن بشير الأنصاري «٢» - رضي الله تعالى عنه «٣» - فإنه تديرها فنسبت إليه صليت «٤» فيه العصر، واعتكفت «١١٣ أ» فيه نحو ساعة.

ويتصل بالبلد المذكور خان من أحسن **الخانات** «٥» رفيع البناء، محكمة سطوحه، مغشية بصفائح الرصاص، وفي وسطه قسطل ماء لأبناء السبيل، وفي وسطه مسجد ذو قبة شاهقة مطلية أيضا بالرصاص، وبه طاقات ورواقات في جميع دوره لأبناء السبيل، وله باب رفيعة «٦» ملبسة بالحديد، مكتوب على طاقها في الحجر:." (٢)

"عليه وسلم، فقرأنا ما تيسر من القرآن، ودعونا لنا ولمحبينا.

ثم دخلنا حمص ضحى يوم الجمعة، الثامن عشر من الشهر المذكور، ونزلنا في الخان الذي عند بابها «١» ، وهو خان كبير مشتمل على **خانات**، فاذا دخلت بابه رأيت صحنا كبيرا واسعا في أطرافه حجر لأبناء السبيل، وعن يمين الصحن باب كبير فيه خان فيه أواوين وحجر واصطبل، ومقابل الوجه باب كبير أيضا فيه أواوين وحجر أيضا، وجدول ماء صغير متشعب من العاصي، وعن يساره صحن طويل يشقه جدول

---

(١) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/٢٠٢

(٢) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/٢١١

من العاصي (١٢٤ أ) ، وعليه ناعورة صغيرة، وفيه مزار يقال إنه قبر مبارك بن عوف، وقيل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما «٢» .
وصلينا الجمعة في جامعها الكبير، وهو جامع كبير في صحنه بركة، وعواميد سماقية «٣» ملقاة مطروحة على الأرض، وأعلى المصلى مسقف بالخشب، وظاهر البناء يدل على أنه كان عقدا، فأخبرت أن تيمور الخبيث هدمه «٤» . وعلى باب الجامع المذكور، من خارج كتابة فيها اسم الباني، وهو السلطان المالك الملك، المجاهد، المرابط، المؤيد، المنصور، أسد الدنيا والدين، ملك المسلمين أبو الفتح شير كوه بن محمد بن شير كوه «٥» ناصر أمير المؤمنين، في." (١)

"ثم يمتد إلى الشمال والشرق حتى ينتهي إلى قرية يقال لها) كاغد خانة (وهي من المتنزهات المشهورة والخليج بعد أن يتجاوز قبر أبي أيوب رضي الله تعالى عنه يدق جدا وفي جهة غلطة الطوبخانة والترسخانة وربما يقال لها الترسانة وعندها مرسى السفن واللفظان أخذهما سكان هاتيك الأرجاء. من لفظ المرسى لكن غرقوا في لجة الغلط كما لا يخفى ومقابل القسطنطينية من البر الآخر الشرقي) أسكدار (وهي فرضتها من البر الشرقي وهي أيضا عامرة آهلة أهلها نحو ثلاثين ألفا أو يزيدون. وسور القسطنطينية مرتفع في الجملة وقد أحدثت بيوت بينه وبين البحر وله اليوم وله اليوم على ما في التقريبات ثمانية وعشرون بابا أربعة عشر منها من جهة خليج غلتا وسبعة من جهة البر ومثلها من جهة بحر مرمرا وأنا لم أحقق ذلك لكن أعلم يقينا أن أبوابه بضع عشر بابا والمدينة عبارة عن ستة أو سبعة تلول وفي طرقها كثير ارتفاع وانخفاض ويقولون للطريق المرتفع) يوقش (واليوقشات المشهورة نحو أربعين والطرق المشهورة تزيد على مائة وثلاثين. والجوامع والمساجد التي فيها وفي ساحلها نحو أربعمائة وخمسة وعشرين وقال الشيخ رفاعة في التقريبات هي نحو ستمائة وقال فيها أيضا فيها خمسمائة وثماني عشرة مدرسة وخمس وثلاثون مكتبة ومائة وثلاثون حماما واثنتان وعشرون كنيسة. وأهلها قيل أربعمائة ألف وقيل مائتا ألف وثلاثون ألفا وبعضهم أدخل أهل غلتا وغيرها وجعلهم ستمائة ألف وقيل هم خمسمائة ألف وسبعة وتسعون ألفا وقيل سبعمائة ألف وقيل خمسمائة ألف وتسعون ألفا وصحح بعضهم أن أهلها ستمائة ألف وسمعت هناك أن مجموع أهلها وأهل غلتا وأهل أسكدار ومن في الساحل ألف ألف وفيهم كل صنف من الناس. وقد عد أهل إيران الذين يتجرون فيها فبلغوا ثلاثين ألفا فما ظنك بالنصارى والإفرنج على اختلاف أصنافهم. ومعظم بيوت البلد من أخشاب وما كان منها من حجر قليل جدا وقلما تجد فيها بيتا ليس له كوى على البحر أو على الطريق وأنا لم أر ذلك

---

(١) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/٢٢٧

وفي طرقاتها مواضع كثيرة معدة لمياه عذبة يشرب منها أبناء السبيل والماء يأتيها من خارجها ويقل بقلة المطر ويكثر بكثرته. وفي كثير من بيوتها أماكن معدة يدخرون فيها ما يسيل من سطوحها أيام المطر من المياه وقد يجتمع في ذلك المعد ما يكفي أهل سنة من مياه الأمطار. وفي الساحل مما يقرب منها عيون قليلة جدا ماؤها في غاية اللطافة والعذوبة يشبه ماء دجلة المصفى أو أحسن منه لكن لا يبل غليله منه بعض الفقراء. وإذا جمع جميع مياه القسطنطينية الداخل والخارج لا يبلغ قدر ماء نهر الخالص من أنهر بغداد وفيها مكاتب للفنون نفيسة. ومشاهد للسلاطين أنيسة. وإذا رأيت مدفن المرحوم السلطان الغازي محمود خان الثاني حسبته بيضة نعامة كبيرة حيث أنه بني من المرمر الأبيض ويصرف فيها لا سيما في رمضان من الزيت للقناديل ونحوها ما لو جمع لكان كنهر الدجيل وقد حققت أن الزيت الذي يشعل في جوامع السلاطين في رمضان ثمانون ألف حقة كل حقة أربعمائة درهم. وأكثر جوامعها مما لا نظير له في بلدة من بلاد الإسلام على التحقيق وكذا أسواقها. وفي حماماتها **وخاناتها** قولان الثاني أن حمامات دمشق الشام مثل حماماتها أو ألطف. **وخانات** حلب مثل **خاناتها** أو أظرف. وأنا لا أظن ذلك وإن اشتهر ويكثر فيها الحريق وذلك لأمر ما يريده الله تعالى ولا يبعد أن يكون ذلك من إصابة عين. ولولا ذلك لكان لبيوتها سقف من فضة أو لجين. وليس ذلك لكون بيوتها من خشب. إذ كثير من البلاد بيوتها كذلك ولا يكثر ككثرته فيها الحريق واللهب. وفيها عمد قديمة أعجبها عمود قريب من باب جامع السلطان أحمد منحوت من حجارة واحدة صنوبري الشكل مخروطية قائم على أربعة أثافي من نحاس مكعبة ارتفاع الأثفية نحو شبر وقد وضعت على بنية مكعبة ارتفاعها أقل من قامة وفيها صور شتى وفي العمود نقوش يظن أنها كتابة بقلم قديم غريب وكان قبل الفتح فيها عمود أعجب من ذلك على ما يقال وهو مذكور في كتب التواريخ) وطولها (على ما في الرسم والقانون والأطوال وكتاب ابن سعيد) نط (وعرضها) مه (وفي المقاصد العوالي طولها) نطن (وعرضها) ن ها (وصحح بعضهم أن طولها) نوم (وعرضها)ماية (والصحيح عندي أن طولها) مول (وعرضها) ماها (وانحراف قبلتها إلى شرقي الجنوب كثير جدا وتكاد تكون قبلتها نصف القوس التي بين القطب الجنوبي." (١)

"ثم جعل مقر تلك الكتب كلها في تربة الملك الظاهر في المدرسة المذكورة لمتانتها ولياقتها لتلك الغاية وطبع دفتر بأسماء الكتب وعين الوالي لها محافظين لكل واحد منهما مائتي قرش في الشهر وبوابا بخمسين قرشا ولما أنتهى المرحوم مدحت باشا تنظيمها وترتيب قانونها عزل عن ولاية سورية وجاء بعده

---

(١) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/٥٥

حمدي باشا في أوائل سنة ست وتسعين ومائتين وألف فكتب الحجر الذي على باب المكتبة باسمه فكم ساع لقاعد سنة الله في خلقه والمكتبة المذكورة مفتوحة الباب للمطالعين وزاد أهل الخير في كتبها ما هو قريب من الأصل وكان بهذه المدرسة دار حديث بين إيوان الحنفية القبلي وإيوان الشافعية الشرقي وقد صارت بيتا منذ التسعمائة والى الآن ودرس بها كثير من المدرسين منهم اليونيني المحدث المشهور وعمر الربعي الفارقي وابن بنت الأعز والصفي الهندي وابن الزملكاني والقلانسي وابن قاضي الزبداني وابن الشهيد وإبراهيم اللوري واحمد بن غنيمة الواسطي وغيرهم من المشاهير ومن وقف هذه المدرسة الحصص بالقنيطرة ثم كفر عاقب والصرمان بكمالها والاشرفية قبلي دمشق ونصف قرية الإسطبل بالبقاع ونصف الطرة والبستان بالصالحية

ترجمة واقفها المنسوبة إليه

هو السلطان ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي صاحب الفتوحات وهو الرابع من ملوك الترك قال في تحفة الناظرين اصله تركي اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب واعتقه ولا زالت الأقدار تساعده حتى وصل إلى ما وصل وكان ملكا شجاعا مقداما يباشر الحروب بنفسه له مع التتار الوقائع الهائلة ثم الإفرنج وقد بنى مدرسة بالقاهرة تجاه المارستان عام اثنتين وستين وستمائة وتم البناء في سنة سبع وقد تقلب الزمان على مدرسته بالقاهرة إلى أن جعلها الإفرنج قلعة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف حينما استولوا على مصر وذلك لمتانتها وصلابتها وإتقان بنائها وقطعوا ما حولها من الأشجار وهدموا الأبنية التي كانت بينها وبنى أيضا قناطر أبي المنجى بالقليوبية وقناطر السباع بطريق مصر وغير ذلك من قلاع وحصون وقناطر وخانات بالشام وغيرها واكمل عمارة المسجد النبوي من الحريق وله فتوحات كثيرة فتح النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها." (١)

"ودرس بها نجم الدين فخر الدين الغازي ثم تغلب عليها أولاد الواقف فتعطل الدرس مدة ثم بعد ذلك درس بها الصفي البصروي ثم بعده أربعة آخرهم فخر الدين بن الوليد ثم سارت سيرا كان آخره ما علمت من انطماس آثارها وانمحاق هلال النفع بها

ولنا مقدمية ثالثة وهي تربة بمرج الدحداح تعرف بتربة ابن المقدم أنشأها ولد المترجم سابقا إبراهيم بن محمد بن عبد الملك ودفن بها سنة سبع وتسعين وخمسمائة قال الأسدي كان إبراهيم شجاعا عاقلا ولي

---

(١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ابن بدران ص/١٢١

القلعة بماردين وعدة حصون وله بها نواب فمد عينه إليها الملك الظاهر غازي فأخذها وبقيت له ماردين انتهى

المدرسة المنجكية

هي المنجكية الحنفية بالخلخال قبلي الصوفية إلى الغرب كذا في التنبيه ومختصره والوقف عليها حمام منجك المشهور والفرن إلى جانبه والربع فوقهما

ودرس بها جمال الدين ابن القطب ثم شرف الدين الانطاكي ثم ولده ثم قوام الدين العجمي

أقول لم يبق لهذه المدرسة أثر يتعين

وقد رأيت في آخر مختصر العلموي ما لفظه أن هذه المدرسة اندرست وانخربت تلك البنايات المؤسسة وصار مكانها بستانا كأن الذي خربها وحرثها أخذ من الله ثم من الدهر أمانا وصار وقفها الحمام والفرن والطباق على بلاعة البرش موقوفا ومنفقا عليهم كالراتب لهم مصروفا

(فالله تعالى غيور ... وبيده مقاليد الأمور)

وأما الخلخال فهو متنزه غربي مرجة دمشق وكان به سويقة وحوانيت وفرن وحمام وكان في الأزمان السالفة هو والمنيبع مسكن الأتراك وبه تدق طبلخاناتهم وبالخلخال كانت زاوية الأدهمية والهنود تحف بهما الناس والأعيان

وفيه يقول جمال الدين ابن نباتة." (١)

"(يا حبذا يومي بوادي جلق ... وفرجتي مع الغزال الحالي)

(من أول الجبهة قد قبلته ... مرتشفا لآخر الخلخالي)

فارتشف حلاوة تلك التورية فان الجبهة والخلخال متنزهان بين نهر بردى ونهري القنوات وبانياس واسمان لجبهة المحبوب وخلخاله على قاعدة الزمن الماضي من أن الغلمان كانوا يلبسون الخلخال أو أنه أطلق الحال وهو الخلخال وأراد المحل على طريقة المجاز المرسل بعلاقة الحالية والمحلية وقد تأتى له مع حسن التورية الانسجام

ترجمة واقفها

---

(١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ابن بدران ص/٢٠٩

أنشأها الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري اصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون نشأ مملوكا ثم تنقلت به الأحوال إلى أن صار أميرا بمصر ثم ولي حجوبة الحجاب بدمشق سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فظل بها مدة يسيرة ثم توجه إلى مصر وصار مقدما وولي الوزارة ثم قبض عليه وسجن ثم أطلق عند زوال دولة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ثم ولي نيابة طرابلس سنة خمس وخمسين ثم صار نائبا على حلب سنة سبع وخمسين ثم بصفد ثم طلب إلى مصر فأكرم هناك إكراما عظيما وأطلق وأقام بالقدس فعمر بها خانقاه ومدرسة ولما أظهرنائب الشام بيدمر العصيان كان المترجم متوليا قتاله فقبض عليه سجنه ثم أطلقه ثم صار نائبا في طرسوس سنة ست وستين ثم نقل إلى طرابلس ومنها إلى نيابة دمشق عوضا عن بيدمر بعد قتل يلبغا فاستمر بها سبع سنين ثم طلب إلى مصر سنة خمس وسبعين فولى نيابتها واستمر بها إلى أن توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة ودفن بتربته التي أنشأها بالقرب من الجبل

وقال ابن حجي عمر الأمير منجك المدارس والخوانق والخانات وأصلح القناطر ومهد السبل والطرقات وأقام بالأماكن المخوفة الخفراء

وقال العلموي كان من الأكابر المعتبرين المعتمدين له ذكر قديم وفضل جسيم ومآثر وصدقات وكان حسن الملتقى خصوصا لأهل العلم وقال النعيمي جمعت في ترجمته كراسة قلت ولم أرها." (١)

"ذلك من المظالم وأمر بترك ما كان يؤخذ على الخمر من المكس ونهى عن شربها وعاقب عليه بإقامة الحد والحبس واستنقذ من العدو ثغر بانياس وغيره من المعاقل المنيعة كالمنيطرة وغيرها بعد الاياس وبلغني أنه في الحرب رابط الجأش ثابت القدم شديد الانكماش حسن الرمي بالسهام صليب الضرب عند ضيق المقام يقدم أصحابه عند الكرة ويحمي منهزمهم عند الفرة ويتعرض بجهده للشهادة لما يرجو بها من كمال السعادة ولقد حكى عنه من خدمه مدة ووازرة على فعل الخيرات انه سمعه يسأل الله تعالى أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير

ولقد أحسن إلى العلماء وأكرمهم وقرب المتدينين واحترمهم وتوخى العدل في الأحكام والقضايا وألان كتفه واظهر رأفته بالرعية وبنى في أكثر مملكته دور العدل وأحضر لها القضاة والفقهاء للفصل وحضرها بنفسه في أكثر الأوقات واستمع من المتظلمين الدعاوى والبينات طلبا للإنصاف والفصل وحرصا على إقامة العدل وأدر على الضعفاء والأيتام الصدقات وتعهد ذوي الحاجة من أولي التعفف بالصلات حتى وقف وقوفا على المرضى والمجانين وأقام لهم الأطباء والمعالجين وكذلك على جماعة العميان ومعلمي الخط والقرآن وعلى

---

(١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ابن بدران ص/٢١٠

ساكني الحرمين ومجاوري المسجدين
وأكرم أمير المدينة الحسين وأحسن إليه وأجرى عليه الضيافة لما قدم عليه وجهز معه عسكرا لحفظ المدينة وقام لهم بما يحتاجون إليه من المؤونة واقطع أمير مكة إقطاعا سنيا وأعطى كلا منهما ما يأكله هنيا مريا ورفع عن الحجاج ما كان يؤخذ منهم من المكس وأقطع أمراء العرب الإقطاعات لئلا يتعرضوا للحجاج بالنخس وأمر بإكمال سور المدينة واستخراج العين التي بأحد وكانت قد دفنتها السيول ودعي له بالحرمين واشتهر صيته في الخافقين وعمر الربط والخانقاهات والبيمارستانات وبنى الجسور في الطرق **والخانات** ونصب جماعة من المعلمين لتعليم يتامى المسلمين وأجرى الأرزاق على معلميهم بقدر ما يكفيهم وكذلك صنع لما ملك سنجار وحران والرها والرقة ومنبج وشيزر وحماة وحمص وبعلبك وصرخد وتدمر فما من بلد إلا وله فيه حسن أثر وما من أهلها أحد إلا نظر له أحسن نظر." (١)
"حرف الميم

التربة المؤدية الشيخية
كانت على الشرف الشمالي فوق المدرسة العزية دفنت بها مستولدة السلطان المؤيد شيخ سنة عشرين وثمانمائة ووقف عليها ابراهيم ابن الملك المؤيد وقفا ورتب لها اربعة من القراء
التربة المؤيدية الصوفية

لم نعلم من شأنها ألا أن النعيمي وغيره قالا دفن بها مؤيد الدولة ابن الصوفي وزير آبق صاحب دمشق قال الذهبي وكان ظالما غشوما فسر الناس بموته توفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة ودفن بتربته هذه
التربة المحمدية

هي التربة المحمدية الامينية الانصارية العيشية شمالي الجامع المظفري بسفح قاسيون أنشاها الشيخ الامين محمد بن احمد بن ابراهيم بن ابي العيش الانصاري الدمشقي توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة ودفن بها وكان تاجرا فيه خير ودفن ودين واسمع صحيح البخاري وعمر تحت الربوة مسجدا وبيوتا للطهارة وانتفع الناس بذلك وتكلم على جامع النيرب ووقف فيه ميعادا لاسماع الحديث

---

(١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ابن بدران ص/٢١٦

التربة المختارية الطواشية

أنشاها الطواشي ظهير الدين مختار الخاندار أحد الامراء الكبار كان خيرا دينا يحفظ القرآن ويؤدية بصوت حسن وعليه وقار حسن الشكل والهيبة أوقف هذه التربة وهي خارج باب الجابية قبلي الصابوينة الآن وقد آلت الآن الى الخراب وهو اول من عمر من الترب بذلك الخط ووقف عليها القريتين وبنى بها مسجدا حسنا ورتب اماما له ووقف مكتبا للأيتام على باب قلعة دمشق ورتب لهم الكسوة والنفقة وكان يمتحنهم بنفسه ويفرح بهم ولما مات دفن بتربته ولم يؤرخ النعيمي وفاته ولا العلموي التربة المراغية

داخل دمشق بالصاغة العتيقة في داخل زاوية الشيخ سراج الدين من بها الشيخ بهاء الدين بن عبد الرحمن بن عبد الولي الأخميمي المراغي المصري ثم الدمشقي وكان بارعا في المعقولات وأخذ عن القونوي وألف كتاب المنقذ من الزلل في القول والعمل توفي سنة أربع وستين وسبعمائة
التربة المزلقية

بطرف مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية عند باب مسجد الذبان أنشأها رأس الخواجكية محمد بن علي بن أبي بكر المعروف بابن المزلق وكان من أهل الثروة أنشأ بطريق مصر الى الشام **خانات** عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار وانفق على عمارتها ما يزيد عن مائة الف دينار وبهذه **الخانات** مياه وهي في غاية الحسن ولم يسبقه أحد من الملوك الذين قبله والخلفاء الى مثل هذا العمل وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الأوقاف الكثيرة الحسنة وعين للحجرة الشريفة النبوية الشمع والزيت في كل عام وكان يكاتب الملوك فيقضون له حوائجه وكلمته نافذة عندهم وكانت الاعراب تراعية وتحفظ متاجره توفي سنة ثمان واربعين وثمانمائة ودفن بتربته هذه وكان قد وقف جميع أملاكه قال العلموي وكان أبوه لبانا ملبنته عند جامع يلبغا والى الآن يعني الى زمنه ذريته يطالبون بحكر بقعتها بجنينة كانت هناك ثم ان ابن المترجم سافر الى الهند مرارا فربح في مرة منها مائة ألف دينار وثمانمائة ألف درهم والمزلق بضم الميم وفتح الزاي وتشديد اللام مكسورة." (١)
"جامع السنانية

(١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ابن بدران ص/٣٥١

هو مشهور معروف عند باب الجابية وكان موضعه أولا مسجدا يقال له مسجد البصل فجدده سنان باشا وجعله جامعا عظيما وتمت عمارته سنة تسع وتسعين وتسعمائة فجاء جامعا لجميع المحاسن جامع وأوقف عليه أوقافا عظيمة والذي بناه هو يوسف بن عبد الله سنان باشا الوزير الأعظم قاله نجم الدين الغزي في تاريخه لطف السحر وقال هو صاحب الخيرات الكثيرة والمبرات الغزيرة حتى قيل انه أنشاأربعين مسجدا جامعا يخطب على منابرها في أقطار المملكة العثمانية غير الجسور **والخانات** وكان كل ما مات مملوك له أو مولى حفظ ما يرثه منه أو يتناوله من بعده فيعمر به مسجدا أو غيره وعمر بدمشق جامع السنانية خارج باب الجابية وعمر خارج دمشق جامعا بسعسع وجامعا وخانا بالقطيفة وجامعا بعيون التجار وعيد كل جامع تكية مضمومة النه ولي الوزارة للسلطان مراد خان أبن السلطان سليم خان ثم عزل عنها ثم اعيد وهو وزير أعظم وولي دمشق في أثناء ذلك في أوائل سنة خمس وتسعين وتسعمائة وفيه أبتدا خارج باب الجابية بعمارة السنانية وحضر تأسيسها وأحضر جمعا من العلماء والمؤذنين وولي على عمارتها وعمارة السوق الأمير محمد بن منجك وضم اليه أثنين ثم خرج من دمشق معزولا وولى بعده خسر وباشا الطواشي ثم اعيد سنان باشا الى الوزارة وبقي بها حتى مات سنة أربع بعد الألف

مسجد السويقة المحروقة

قال في سلك الدرر في ترجمة محمد بن أبي بكر المعروف باليتيم الدمشقي العاتكي الصوفي المتوفى سنة خمس بعد الالف كان في أول أمره يتكسب ببيع القهوة بالسويقة المحروقة وكانت قهوبه مجمع الصالحين وكان الى جانبه حوش يجمع بنات الخطأ فاستأجره وأخرجهن منه وأتخذ فيه مسجدا قال وهذا هو المكان الذي بنيت فيه المرادية ويقال ان داخل حرمها بناه مراد باشا نائب الشام في سنة ست وسبعين وسبعمائة ترجمة مراد باشا

هو مراد باشا كان وزيرا أيام السلطان أحمد ترجمه المحبي بترجمة طويلة اقتصرنا." (١)

"ثم إن محيط سور هذه المدينة يبلغ نحو ثمانية أميال «١» ، وأما محيطها خارج السور فربما زاد على خمسة عشر ميلا. ونهرها المعروف بنهر قويق وافد عليها من جهة شمالها آخذ إلى جنوبها وغربيها ساقيا ما على حافتيه من البساتين التي تستوعب مسافة أربع ساعات طولا من قرية حيلان إلى منتهى أراضي

---

(١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ابن بدران ص/٣٧٩

قرية الوضيحي. وإذا نظرت إلى المدينة وأنت مقبل عليها من أي جهة كانت، تراءت لك عروسا من عرائس البلدان، قد حفتها البساتين من غربيها وبعض شماليها. وكروم العنب وبساتين التين والفستق والزيتون من بقية جهاتها. وقام في وسطها قلعتها المشهورة كملك عظيم، حفت به الجواري الحسان التي هي منارات المدينة البديعة المنظر، خصوصا في ليالي المواسم الدينية، فإنها تكون فيها منورة بالمصابيح التي تحاكي النجوم الزواهر. وربما تتراءى القلعة المذكورة وبعض المنارات من بعد ثلاث ساعات من أكثر الجهات التي تقبل منها على حلب. وقد تشاهد منارة القلعة وقت الغروب من جبل الزاوية الواقع على سفحه قصبة ريحا.

ساحات حلب وخراباتها

يوجد في مدينة حلب عدة ساحات، أعظمها «ساحة برية المسلخ» خارج باب النيرب، شرقي الخندق الرومي الذي كان محيطا بسور البلدة. وقد عمر الآن في بعض جوانبها بيوت ودكاكين وفرن ومسجد وميدان. وهذه الساحة هي سوق تجار الغنم والجمال.

ومن الساحات المشهورة: «ساحة الملح» وكانت تسمى الميدان الأسود. وهي داخل باب النيرب تجاه جامع ألتون بغا. «وساحة بزي» داخل باب المقام وقد عمر أكثرها دورا وحوانيت متنوعة. «وساحة التنانير» خارج باب النصر في قرب حارة الجديدة إلى شرقيها وغربي قسط المشط. وهذه أيضا عمر أكثرها ولم يبق منها إلا القليل. ويوجد بمدينة حلب عدة خرابات فسيحة خربت من مرور الحوادث كالزلازل والحرائق، وأعظمها خرابة تحت القلعة تبلغ مساحتها زهاء خمسين ألف ذراع شطرنجي. وكانت مزدحمة بالأبنية العظيمة كالحمامات **والخانات** والمدارس والمساجد. كما ستقف عليه في باب الآثار إن شاء." (1)

"إلى حلب زرع حاسين وفافين وملعون من يزرع على ماء الساجور زرعا.

قلت: قرية حاسين وفافين في شمالي حلب على بعد نصف مرحلة منها، ونهر قويق يجري من فافين، وقسم منه يجري إلى حاسين بواسطة قود طاحون فيها.

ومكتوبا على عضادة أخرى في الجامع الكبير ما صورته: لما كان بتاريخ سبعة وعشرين جمادى الآخرة سنة ٩٠٢ ورد المرسوم العالي المولوي المخدومي كافل المملكة الحلبية المحروسة الملك الناصر بإبطال ما كان يؤخذ من وقف نهر الساجور الواصل إلى حلب، وملعون ابن ملعون من يأخذ على جباية الوقف المذكور بارة الفرد، ويجدد هذه المظلمة أو يعين على إعادتها أو يأمر بإعادتها. انتهى.

قلت: ولم يزل الساجور منقطعا عن حلب إلى سنة ١٠٤٠ فاجتهد هذه السنة بجره مرة ثانية رجل من

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣١/١

أغنياء الحلبيين يقال له نعسان آغا ووقفت عليه وقفا جيدا من خانات ودكاكين وأفران ودور وغير ذلك مما يقوم بوظيفة عمله إذا توهن، فقال بعضهم يمدحه:

لما أتى حلب الساجور قلت له: ... كيف اهتديت وما ساقتك أعوان؟

فقال: كانوا نياما عن مساعدتي ... حتى تيقظ طرفا وهو نعسان

ولم يزل يجري الساجور إلى حلب حتى امتدت إلى أوقافه أيدي المتغلبين وأخذت جسوره بالخراب شيئا فشيئا حتى تعطلت عن آخرها، وذلك في حدود سنة ١١٣٥ وبقي مقطوعا إلى سنة ١١٥٠ وفيها اهتمت الحكومة بإعادته فجمعت مالا عظيما من الحلبيين وصرفته على تصليح مجراه القديم فعاد يجري إلى نهر قويق مقدار ربعه في الزمن السابق ولم يلبث غير سنيات حتى تعطلت مجاريه وانقطع بالكلية كأن لم يكن. وفي سنة ١٢٨٧ قل الماء في حلب. وييست المشاجر فاهتمت الحكومة بجر الساجور إلى حلب وجمعت من الناس نحو مائتي ألف وأحد عشر ألف قرش، وعملت له مجرى غير مجراه القديم حتى استقام العمل على زعم بعض المهندسين. وفي يوم جره إلى قويق خرج الناس إلى الملتقى بالطبول والزمور ووقفوا هناك ينتظرون مجيء الماء إلى أن حان المساء فجاءهم مخبر يقول لهم إن العمل لم يكمل بعد فرجعوا بالخيبة. ثم شاع أن نهر الساجور." (١)

"النزهة والنشاط، وهي في دارها الحصينة التي لا تصل إليها عين أجنبي منتفعة منها بأرضها وأسطحتها التي تستعملها حين الحاجة لنشر الحبوب والثياب المغسولة.

وأحسن جهات الدار عندنا هي الجهة الشمالية المفتوحة نوافذها إلى جهة الجنوب، فإن مساكن هذه الجهة تامة المنفعة، تستعمل في جميع فصول السنة، بخلاف الجهة الجنوبية المفتوحة نوافذها للشمال، فإنها غالبا لا تستعمل إلا في فصل الصيف. على أننا لا ننكر محاسن الدور التي تعمر الآن عندنا في ظاهر المدينة على النسق الجديد، إذ تكون كل دار منها قصرا مستقلا ذا طبقات ليس لها سماوي سوى ربض «١» صغير يعرف بالجنينة. يحيط به حائط قصير أو مشبك من الحديد، كل قصر منها مشرف على جادة عريضة طويلة مستقيمة، قد روعي في بناء كل قصر منها مشاكلة القصر الذي يليه من جهة هندسته ونقوش حجارته، حتى كأن جميع هذه القصور مفرغة في قالب واحد. والمحلات التي بيوته ا على هذا النسق، هي مخلة العزيزية ومحلة الجميلية، ومحلة التلل وغيرها من المحلات التي كلها خارج سور البلدة من شماليها وغربيها.

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ١/ ٦٠

اعتاد الحلبيون قديما أن يجعلوا البيت من الدار مستطيلا يبلغ طوله إلى بضعة عشر ذراعا. وعرضه إلى بضعة أذرع. وبقدر عرضه يكون ارتفاع سقفه. وفي جداره الذي يلي صحن الدار عدة نوافذ تعرف بالشبابيك، فوق كل شباك منها نافذة أصغر منه تعرف بالطاقة. ومن محاسن مباني حلب **خاناتها** الشهيرة الكثيرة التي ترى كل خان منها يضاهي محلة كبيرة بسعته، وعدد مخادعه ومرافقه ومسجده وحوضه. وهو بحصانته ومنعته يضاهي حصنا منيعا. وكل مخدع من علوه وسفله كأنه دار مستقلة قد اشتمل داخله على مخازن معدة لاحتكار البضائع، وخارجه على حجر معدة لوضع نموذج البضائع وجلوس التاجر وكتابته ونومه وسكنى خادمه وطبخه واستقبال زبونه وأحبابه. فهو فيه على غاية الراحة والأمن والاطمئنان على ماله ونفسه ودوابه.

ومن محاسن حلب أزقتها وشوارعها فهي وإن لم تكن كلها عريضة مستوية إلا أن جميعها مفروش بالبلاط فرشا مسطحا لطيفا. فتراها في كل فصل من فصول السنة نظيفة بيضاء لا ينغض المارة فيها غبار الصيف ولا وحل الشتاء. على أنها منذ سنة ١٣٠٠ بدأ." (١)

"فيها افتتاح جواد «١» عظيمة، حتى انفردت الآن بجادة الخندق التي رأسها من باب حديد بانقوسا وآخرها محطة الشام، وهي جادة مستقيمة تبلغ مسافتها أربعة أميال، قد ازدحم طرفاها بالمباني العظيمة كالدور **والفنادق** والقهاوي والحوانيت **والخانات** والمنتزهات مما لا يضاهيها في عمرانها وحسن مناظرها جادة غيرها في بقية الممالك العثمانية.

ومن محاسنها أيضا كثرة أسواقها وإتقان عمارتها وحسن ترتيبها فترى سوقها الكبير المشتمل على زهاء خمسة عشر ألف دكان قد سقف معظمه بالأقبية الحجرية التي لكل مسافة بضعة أذرع منها نافذة للنور والهواء، فهو بارد في الصيف دافيء في الشتاء، ليس للشمس والمطر والعواصف إليه من سبيل، قد اشتمل هذا السوق العظيم على ثنايا ومنعطفات كل ثنية ومنعطف منها تباع فيه بضاعة معلومة. فترى لباعة الجوخ مثلا سوقا، ولباعة الحرير سوقا، ولباعة مال القبان سوقا، ولباعة مال الشام سوقا ولباعة مال استانبول سوقا، وهكذا بقية البضائع المأكولة كاللحم، والخضر، والبقول، لكل نوع منها سوق أو خان يخصه.

يوجد في مدينة حلب عدد عظيم من الشوارع والأسواق الضيقة التي تغص بأدنى ازدحام. وسبب ذلك ضيق البلد داخل السور عن سكانه في الأيام القديمة. إذ لا يسعهم أن يعمروا خارج السور لاستيلاء الخوف والجزع عليهم إلا أنه مع هذا كان يوجد عدد عظيم من الساحات والفسحات في أكثر أنحاء البلدة وأرجائها،

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٨٢/١

فالظاهر أنهم كانوا يتركونها عمدا لتكون لهم ملجأ ومعتصما إذا دهمهم حادث أرضي أو سماوي كالزلزال والحريق، أو كانوا يتخذونها معتركا في ثوراتهم، أو يجتمعون فيها لسماع أوامر الحكومة وتنبيهاتها، أو ليباع فيها بضاعة معلومة، كالملح، والحطب، أو ليقام فيها أسواق يومية، كسوق يوم الجمعة، وسوق يوم الأحد أو لغير ذلك من الأغراض والشؤون. والله أعلم بحقيقة الحال.

وأما تربتها فحسبك في مدحها ما سبق لنا بيانه في الكلام عليها فلا نعيده هنا. ولمهارة البساتنة عندنا ترى في البستان الواحد عدة طوائف من الغروس والنباتات، لكل طائفة منها محل خاص به. فترى أطراف البستان محفوفة بالأشجار التي يعظم حجمها، كالجوز." (١)

"صنعة القز وتعرف بالعقادة وهي عبارة عن تنويع السلوك الحريرية والغزلية إلى أنواع شتى كالسفائف والبنود والقيطان والأزرار والعرى، وأكثر من يشتغل في هذه الصنعة النساء.

ومنها صنعة صبغ المناديل التي تستعملها العرب تحت العقال ويعتم بها كثير من القرويين والأكراد. وهذه الصنعة كانت في نجاح عظيم ذات أرباح وافرة وكان يخرج منها إلى جزيرة العرب وأرمينية وجبال الأكراد ما لا يدخل تحت إحصاء. ثم في السنين الأخيرة أدركها الانحطاط بسبب تقليد الافرنج لها بما هو أحسن منها زخرفة وأرخص ثمنا. وكان يوجد في حلب نحو خمسين محلا تشغل فيه، ويعرف محلها بالكرخانة وهي صنعة مركبة ينتفع منها خلق كثير ما بين تاجر بالقماش وأنواع الأصبغة، وطابع وصباغ وشطاف، ولم يبق الآن لتشغيلها سوى بضع كرخانات. ومنها صنعة الصياغة وتركيب الماس والياقوت وبقية الأحجار الكريمة ويوجد لها نحو خمسين دكانا. وأكثر من يشتغل بها النصارى.

ومنها صناعة الحدادة وهي على نوعين: قديمة وجديدة، فالقديمة مختصة يعمل المسامير وأزرار الأبواب وشبكات النوافذ. والجديدة منها مختصة بعمل الطرابزونات والموازين والقبان وتصليح الأقفال وإصلاح بعض أدوات المعامل المتحركة بالبخار والبترول وغيرها.

ومنها نوع يشتغل أهلها بتصليح الأسلحة كالبنادق والسيوف والخناجر.

ومنها صنعة النجارة وهي على أنواع: فمنها ما هو مختص بعمل الدواليب والغرافات المائية. ومنها ما هو مختص بعمل آلة الحراثة ومحل ذويها سوق قبو المسلاتية في القرب من باب بانقوسا، وفي سوق باب النيرب وسوق باب الجنان. ومنها ما هو مختص بتنجير تدفيف البيوت وخزنها وأبوابها وما شاكل ذلك. ومنها ما هو مختص بعمل الأشياء الدقيقة كالصناديق الافرنجية. ومنها ما هو مختص بعمل الأعواد المطربة.

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٨٣/١

وهذا النوع حادث في مدينتنا منذ أربعين سنة.
ومنها صنعة الدباغة ومحلها على نهر قويق في ظاهر باب أنطاكية، ويدبغ فيها الجلد الأبيض المعروف عندنا بالحور والجلد الأحمر والقرمزي والأصفر. وكان أحد التجار النصارى أحضر من أوروبة مدبغة تدور بالبخار يدبغ فيها الجلد الافرنجي المستعمل للقندرات، والجلد الذي كان يدبغ فيها لا يربح كثيرا ولا يرغبه الصناع، فأفلس صاحبها وعطلت مدبغته.." (١)

"تجارة حلب

لا يخفى أن موقع حلب من أهم المواقع التجارية كما عرفت ذلك من الكلام على جغرافيتها. ولهذا كانت حلب بعد خراب قنسرين هي المركز التجاري المتوسط بين الشرق والغرب ومنه تخرج القوافل إلى العراق المتصلة ببلاد فارس ثم بالهند ثم بالصين ثم باليابان وإلى الشام والحجاز واليمن وعمان والبحرين وإلى مصر وما وليها من أفريقية وغيرها من الممالك الغربية. ولعظم تجارتها في الزمن السابق كان يلقبها الفرنج بتدمر الجديدة وكنت تجد فيها أنفس بضائع هذه البلاد والممالك. ولم تزل حلب على هذه الثروة التجارية والدرجة المهمة إلى أن اكتشف البرتقاليون سنة ١٤٩٧ م/ ٩٠٣ هـ طريقا للهند من جهة رأس الرجاء وبسببه انصرفت الموارد التجارية عن حلب وتقهقر حالها ولكنها لم تفقد ثروتها بالكلية إنما بقي فيها من التجارة جانب عظيم لا يوجد مثله في كثير من الممالك غيرها.
قال ابن الشحنة: ومن خصائص حلب نفاق ما يجلب إليها من البضائع كالحرير والصوف والبردي والقماش وأنواع الفرو من السمور والوشق والفنك والسنجاب والثعلب وسائر الوبر والبضائع الهندية وأجناس الرقيق فإنه قد يباع فيها في يوم واحد ويقبض ثمنه ما لو حضر إلى القاهرة التي هي أم البلاد لما بيع بعشرة أيام.
وقال جاك سواري دي تروسلون في الصحيفة ال ١٠١٨ من الجزء الأول من قاموسه التجاري العام المطبوع سنة ١٧٢٣ م/ ١١٣٦ هـ إن حلب لا تضاهيها بلدة بتجارها الذين يقصدونها من أقطار الدنيا فإن **خاناتها** التي لا تقل عن أربعين خانا لا تزال غاصة بالهنود والفرس والترك والفرنج وغيرهم بحيث لا تقوم بكفايتهم.
قال: ومن خصائصها التجارية وجود الحمام الذي يأتي تجارها بالأخبار من إسكندرونة بثلاث ساعات بسبب تربيته بحلب وحمله إلى اسكندرونة بأقفاص فإذا طرأ خبر علقت البطاقة في رقبة الطير وسرح فيطير إلى حلب طلبا لفراخه شأن كل حيوان يطلب أولاده، على الأخص نوع الحمام الذي يمتاز بعض أجناسها بشفقته على بقيتها. قال: ولحلب خاصة ثانية في تجارتها وهي أن القادمين عليها من اسكندرونة لا يجوز

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ١/ ٩٤

لهم أن يحضروا إليها إلا ركوبا مع القافلة وسبب ذلك أن المركب حينما كان يصل إلى اسكندرونة كان يتوجه بعض من فيه إلى حلب مشيا." (١)

"ثم في كل يوم اثنين وخميس يركب بالكلفته والقبا «١» ويركب معه المقدمون وأرباب المناصب من الترك والجند ويسير إلى قبة المارداني ومعه الجاويشية يزعقون بين يديه ثم يعود فيقف تحت القلعة راكبا وتعرض عليه الخيول والأملاك ويجهر النداء بالأمان للرعية وإظهار العدل. ثم يتقدم كتبة الأمراء من هناك إلى باب دار العدل وهو مدى طويل والأمراء المتقدمون ثمانية، لكل واحد منهم مماليك عبرتهم «٢» أن يكونوا مئة فإن موضوع هؤلاء الأمراء أن يكون كل منهم أمير مئة فارس ومقدم ألف وقد صار مدة طويلة دوادار «٣» من قبل السلطان يكون قائما في خدمة النائب لكنه عينا «٤» عليه وكان في الغالب من أمراء **الطبلخانات** وقد يكون من المقدمين.

وأما نائب القلعة فكان قديما من أصاغر الأمراء. ثم من فتنة الناصري قرر أمير مئة مقدم ألف واستمر كذلك إلى يومنا هذا وليس في نواب قلاع القاهرة ودمشق وغيرهما مقدم ألف إلا نائب قلعة حلب خاصة ولم يكن له عادة بحضور الموكب ثم صار بعضهم يحضر أحيانا فيجلس دون أمير الميسرة وأمير الميسرة يجلس إلى جانب حاجب الحجاب (عود إلى إتمام كيفية الحال في يوم الموكب) فإذا وصل النائب إلى تجاه القلعة اصطفت البحرية وقوفا له حتى يسلم عليهم ثم يدخل عليهم فيقوم حاجب الحجاب وعصاه في يده ويمشي في خدمته إلى قرب الإيوان الذي يجلس عليه وهو تجاه الباب الكبير وليس بين الباب وبين الإيوان حجاب ولا سترة ويكون قد سبقه إليه قاضي القضاة فيجلسون سطرا واحدا عن يساره وتبقى يمينه خلا، ثم يجلس إلى جانب قاضي القضاة قاضيا العسكر ومفتيا دار العدل وتجاههم كاتب السر وناظر الجيش ثم إلى جانب ناظر الجيش الموقعون فتدور الحلقة ويقف الدوادار الكبير وراء كاتب السر وناظر الجيش خارج الحلقة فإن كان الوزير متعمما جلس معهم وإن كان تركيا جلس بين يدي الترك فيسلم عن يساره على القضاة ثم عن يمينه على الأمراء ثم تجاهه على بقية الجماعة ثم يجلس على مكان مرتفع نحو نصف ذراع معد لجلوسه ويجلس حاجب الحجاب على درجة أسفل من ذلك المكان بحيث يكون رأسه." (٢)

"جبل آخور المعروف هناك بجبل بيوقلي ممتدة إلى الوادي الذي في جنوبه.

ولها للمقبل عليها من ناحية عزاز منظر بهيج فيراها مدينة منبسطة في الجبل والسهل قد حفتها من جهاتها

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ١/١٢٣

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ١/٢٤٤

الأربع البساتين والزيتون والكروم وارتفعت مناراتها في العلاء وقامت مبانيها بين الأشجار الباسقة والحياض المتدفقة. وأهل كلز متعصبون بالدين وفيهم أولو أدب وظرف وأخلاق كريمة وجود وسخاء. وفي سنة ٩٥٠ بنى فيها علي آغا متسلم البلدية تكية للطريقة المولوية. ثم في سنة ٩٦١ عمر فيها علي باشا جانبولاد بك جامعه الشهير الشبيه بجامع العدلية في حلب.

هذا القضاء مشهور في جهاتنا بكثرة الزيت وجودته وكثير من الناس من يفضله على زيت جزيرة كريد. ويخرج منه مقادير عظيمة من الرز. ويطبخ في كلز الصابون الجيد ويباع في البلاد الشمالية ويعمل فيها الجلد المعروف باسم كوسله وتنسج فيها الأقمشة القطنية والصوفية. ويجلب من العزية التي كانت إحدى نواحيها إلى حلب وغيرها من الفحم الجيد ما يكل عنه قلم الواصف.

وقبل وجود إدارة انحصار الدخان المعروفة باسم (ريجي) كان يخرج من ناحية الجوم تبغ هو على غاية ما يكون من اللذة والجودة. وفي مدينة كلز (٢٧) جامعا و (١٢) مسجدا و (٤) مدارس و (٤) زوايا و (٣) كنائس و (٥) حمامات و (٧٤٠) دكانا و (٣) أسواق لبيع البز. منها سوق كبير من آثار جانبولاد بك و (١٠) حياض و (٧) **خانات** للتجار ونزول القوافل و (١١) فرنا و (١٢٠) منوالا و (١٥) بيت قهوة و (٣) حانات و (٥٥) معصرة للزيت وصيدلية ومستودع لإعتاد الجند، ونحو ألفي بستان للزيتون والكروم ونحو مئة بستان للثمار المتنوعة. وهي رخيصة أسعار المأكولات كثيرة الخيرات صحيحة التربة جيدة الهواء غزيرة المياه تنصب إليها من عيون في جبل آخور المتقدم ذكره. غير أنها شديدة البرد صعبة الشتاء يكثر فيها الثلج وكان يحمل منه إلى حلب قبل وجود معامل الچليد فيها قناطير مقنطرة في فصل الصيف. وفي سنة ١٣٢٨ عمرت فيها الحكومة في شرقيها بين البساتين مكتبا ابتدائيا إعداديا جميلا له بستان عظيم فيه حوض يفيض ماؤه ليلا ونهارا.

أهل كلز يتكلمون بالتركية. وفيهم العربي والكردي والأرمني. وكنائس الملل المسيحية فيها مغلقة الآن إذ لا يوجد في المدينة أحد من المسيحيين سوى قليل من الأغراب.." (١)

"بأجرة سنوية معلومة وقد اشتملت اسكندرونة الآن على عدد وافر من المقاهي **والخانات** والدكاكين **والفنادق** المعروفة بالأوتيلات وزهاء ثلاثمائة دكان ومكان واسع للكمرك ودار حكومة جميلة وعدة كنائس وعدد وافر من الحانات. ومعظم محاصيل قضائها في هذه الأيام البرتقال والليمون والحرير. ويزرع فيه القمح والشعير ويخرج من بحرها سمك لذيذ يعرف بالمرجاني. وكانت في أيام الدولة العباسية تشتمل على مقدار

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢٨٧/١

عظيم من النخيل. وأكثر سكان اسكندرونة أغراب من الفرنج. والمتوطنون أكثرهم نصيرية ثم أروام ثم إسلام وكلهم يتكلمون بالعربي والتركي والرومي.

لم تزل هذه المدينة وخيمة الهواء رديئة المناخ قلما يخلو سكانها من الحميات، وسبب ذلك هو الأجمات الموجودة في قربها ومنشؤها عارض لا أصلي وهو أن البحر كان ممتدا إلى القلعة السابق ذكرها ثم لما جزر عنها شيئا فشيئا أخذت تنسحب وراءه الرمال بكثرة تموجه ثم تراكمت ب القرب من ضفته فانسدت المجاري النافذة إليه وترقرقت المياه وراء ضفته في الأرض التي بقيت مسامتة له فإذا هطلت الأمطار في فصل الشتاء اجتمعت تلك المياه إلى ذلك الرقراق وصارت مستنقعا عظيما تتصاعد منه الأبخرة الفاسدة وتخل بمناخ البلدة.

وقد فتحت عدة منافذ وخنادق لجريان ماء هذا المستنقع إلى البحر فلم يحصل منها فائدة بسبب مسامتة أرضه سطح البحر كما ذكرنا. وكثيرا ما ينعكس البحر إلى تلك المجاري في أوقات هيجانه فيرجع ماؤه القهقرى ويضاف إلى تلك المياه ويزيد الضرر ويعظم الخطر.

ولما رأت الحكومة التركية أن لا سبيل إلى استئصال تلك الأجمات وإزالتها بالكلية إلا بتعبئتها وردمها بالتراب أصدرت بذلك أمرها سنة (١٣٠٥) رومية فأخذت حكومة إسكندرونة منذ تلك السنة تهتم بهذه المسألة وشرعت تستحضر من أوروبا الأوائل «١» اللازمة لحفر التراب ونقله، كالمساحي والعجلات. وباشرت ردم هاتيك الأجمات فأزالت منها مساحة عظيمة ولم تزل دائبة في العمل كما تمكنت منه حسب مساعدة الفصل. وقد اطلعت على دفتر مرسوم في بيان النفقات التي تصرف على ردم هذه الأجمات مقدرة تلك النفقات على سبيل الظن والتخمين فآثرت إيراده لعدم خلوه عن فائدة. وهذه صورته:." (١)

"يعمل منه كالزبدة والجبن فهما مما لا نظير له في غير أنطاكية. وانفردت أيضا بالتبغ المعروف بالتتون والفلافل الحمراء التي يكثر الأنطاكيون من أكلها وينقل منها إلى حلب وغيرها قناطير مقنطرة طرية ومسحوقة. وانفردت أيضا بكثرة ما يعمل في مصابنها من الصابون وربما كان معادلا صابون حلب بالجودة والكثرة.

مساوىء أنطاكية

من مساوىء مدينة أنطاكية في الشتاء كثرة الأمطار والرعود والصواعق والزلازل.

وهي بالحقيقة في موقع جبلي بركاني يدلك عليه موقع بيت المال ونبع المياه فيه من قمم الجبال، الأمر

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢٩٧/١

الذي يبرهن لك على أن هذه المياه الغزيرة لم يدفعها إلى تلك القمم صعدا سوى حركة بركانية أعقبت انفجار بركان عظيم.

ومن مساوئها أيضا انحباس النسيم عنها في بعض ليالي الصيف وكثرة الرطوبة وقد تقدم الكلام عليهما. وأحسن ما تكون أنطاكية في أيام الخريف. إذ يكون هواؤها في هذا الفصل لطيفا منعشا يحمل إليها من الجبال الكائنة في جوارها أريج الآس والمرسين «١» . وتطيب فيها الأثمار ويلذ السهر والسمر في المنتزهات المشادة على أطراف نهر العاصي **كالفنادق** والمطاعم.

الأسر الشهيرة في هذه المدينة

من الأسر الشهيرة في مدينة أنطاكية أسرة آل بركة وهي تعرف في أنطاكية باسم بركة زاده. جدها الأعلى من مدينة حمص من عشيرة بني خالد بن الوليد وهو أول من قدم إلى أنطاكية واتخذها وطنا.

وجيه هذه الأسرة فقيد الوطن المرحوم الحاج رفعت آغا أحد رجال عصره المعروفين بالوجاهة والذكاء والجاه والقبول لدى الحكام والعلوم والمعارف وكرم السجايا وطلاقة." (١)

"طولها ثلاث ساعات وعرضها ساعة ويتصل بها جبل آخر طوله ثمان ساعات وعرضه ثلاث ساعات وكل من الجبلين مكسوان بشجر الأرز والبلوط وغيرهما من الأشجار الجبلية.

وفواكه هذا القضاء كثيرة لذيذة ومياهه غزيرة عذبة وهواؤه جيد جدا ويخرج منه مبلغ من الحرير يباع في حلب وبعد سنة ١٣٠٠ اتسعت بيلان اتساعا ظاهرا وانتظمت فيها المباني العمومية انتظاما لا مزيد عليه، وحسن حال أهلها وتوفرت ثروتهم بالنسبة إلى ما كانوا عليه.

مدينة بيلان واقعة على سفحي جبلين شامخين بينهما واد سحيق قد اشتملت على دار حكومة وجامع وخمسة مساجد ومدرسة واحدة وكنيسة واحدة وسبع عشرة عين ماء تنحدر إلى البلد من رؤوس الجبال ومائة وثلاثين دكانا وبضعة مخازن وخانين وأربعة طواحين وخمسة أفران وخمس دباغات وخمس مقاهي وخمس حانات وثلاث كازينات **وفندق** واحد وصيدلية ومستودع للرديف وحمامين ومكتب رشدي وخمسة مكاتب لتربية الأطفال.

وكان تدوير «١» هذه المدينة عام ٩٥٩ وذلك أن محلها كان مضيقا يعرف بمضيق بغراس، وباب الاسكندرونة كان يلجأ إليه اللصوص وقطاع الطريق الذين يتعرضون لأبناء السبيل ويسلبون راحتهم وينهبون أموالهم. فلما اتصل خبرهم بمسامع السلطان سليمان خان العثماني أمر أن يعمر في هذا المضيق بليدة

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣١٩/١

يسكنها مائتان وخمسون شخصا من حراس الجبال وأن يعمر في جملة مبانيها جامع وحمام وتكية وخان ينزله المسافرون مجانا وأن تقطع الغابات من حولها على بعد ساعة من جهاتها الأربع لتستعمل أرضها حقولا زراعية تسامح غلاتها من العشر وأن يعمر فيها عمارة يطبخ بها للحرس المذكورين طعام الحساء (الشوربة) في كل صباح ومساء وفي ليلتي الجمعة والاثنين يطبخ لهم رز بلحم ورز بعسل (زردة) فأنفذ جميع ما أمر به وسمى جميع تلك المباني دربند جبل بغراس واستمرت على هذا الاسم طويلا ومعنى دربند مخفر. ثم سميت باسمها الحالي وهو بيلان وهو لفظ تركي معناه وهدة بين جبلين. وقال بعضهم بيلان مثنى «بل» معناه بالتركية الهضبة بين خفضين. وذلك أن هذه المدينة مبنية على جبل بين خفضين وهي سهل إسكندرونة وسهل الريحانية أو لأنها على هضبة بين مضيق بغراس وبين عين التل.." (١)

"الروس ٩٩ جب حسن آغا ٧٣ أم جرن ٤٧ أوج قنا ١١٨ الغرس الكبير ١٣٤ الغرس الصغير ١١٧ تل عرش ٧٩ حما الكبير ١٣٣ حما الصغير ٥٧ صنداليه ٨١ خفيه ٥٨ أكروالي ٧٦ الجب الطويل ١٩ أوشار بجاغى ٧.

فجملة سكان قضاء الباب (٢٤١٢٢) نسمة ما بين ذكر وأنثى.

هذا القضاء شرقي حلب ويبعد مركزه عنها وهو قصبة الباب مرحلة وفي هذه القصبة دار حكومة وعشرة جوامع ومساجد وحمامان ومائتا دكان وستة خانات وعشرة «١» مدارس وخمسة أفران وبيتا قهوة وثلاث مسابغ «٢» وأربع معاصر وقد تضاف الباب إلى بزاعا فيقال باب بزاعا.

وكانت الباب وبزاعا قريتين عظيمتين بل مدينتين صغيرتين في كل واحدة منهما منبر ولهما بساتين نزهة جميلة ولكل منهما وال وقاض وبينهما وادي بطنان ومروجه وهو من أصح البقاع ماء وأرقها هواء وفيه نزل بعض الشعراء وقد تفيأ ظلاله من الحر فترنم فيه بأبيات راقيات وهي:

وقانا نفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الوبل العميم

نزلنا دوحه فحنا «٣» علينا ... حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفنا على ظمأ زلالا ... ألذ من المدامة للنديم

يصد الشمس أنى قابلتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم

يروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم «٤»

هذه الأبيات لحمدونة من بنات الأندلس الشواعر قالتها في وادي واش من إيالة غرناطة «٥» . وقال أبو

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣٥٣/١

الفداء: هي لأحمد بن يوسف المنازي المتوفى سنة ٤٣٧ وزير أبي نصر بن مروان الكردي صاحب ديار بكر مر في بعض أسفاره بوادي بزاعة فأعجبه حسنه فقال فيه الأبيات المذكورة.." [١]

"ريحا بلدة نزهة كثيرة الخيرات شرب أهلها من صهاريج يحرز فيها ماء المطر وينحدر إليها قناة صغيرة من جبل الزاوية.

جبل الزاوية

هذا الجبل قد يطلق عليه جبل الأربعين لمقام فيه يعرف بمقام الأربعين ويعرف قديما بجبل بني عليم. وأما اشتهاره بجبل الزاوية فهو إما لأنه على هيئة الزاوية أو لوجود زاوية في قرية منه تدعى مرعيان أنشأها أحد أولاد الجبلي.

هذا الجبل معمور بالأشجار المثمرة كالكرز والكمثرى والتفاح والتين والزيتون والجوز واللوز والعنب وهو صحيح الهواء طيب الماء بديع المناظر حقيق أن يكون في مقدمة الأماكن التي تصلح للاصطياف لو كان الارتقاء إليه سهلا. وقد خطر لجماعة من أهل اليسار في ريحا أن يختاروا بقعة منه ويعمروا عليها فندقا عظيما يصلح لسكنى المصطافين على أن تكون نفقات تعمير هذا الفندق أسهما معلومة العدد يشترك فيها من أحب وأراد من أهل ريحا وغيرهم.

خربة البارة

في هذا الجبل آثار قديمة رومانية منها موضع يعرف بخربة البارة قد اشتملت على عدة هياكل وكنائس تدل أطلالها على أنها كانت مصرا عظيما ولها ذكر في تاريخ الحروب الصليبية. ومما لم يزل باقيا في هذه الخربة بهو واسع في طول (١٥) مترا وعرض (٧) أمتار تقريبا كله منحوت في صخرة واحدة له سقف بسيط محمول على عوارض بارزة من الحجر كأنها خشب الحديد وقد طلي بدهان لطيف لم تغير الأيام والليالي لونه وقد نقش في بعض جدران هذا البهو صورة صليب وعلى باب منها كتابة رومانية.

في قرب خربة البارة في شرقي شماليها موضع يقال له الحمام حضر إليه في حدود سنة (١٣٢٥) جماعة من الألمان وحفروا موضعا منه فانفرج لهم عن رقعة كبيرة من الرخام المعروف بالفصوص أو الفسيفسيا وهي غاية بالبداعة وحسن المنظر وقد اقتلع منها الألمان قطعة كبيرة ثم شعر بهم سكان تلك الأطراف وعارضوهم

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ١/٣٨٨

فانصرفوا.

ومن الآثار القديمة في هذا الجبل (كفر لاث١) قرية كلدانية فيها آثار رومانية وهي عامرة." [١]

"آهلة تشتمل على مسجد وفيها عين ماء عذب يسقي فائضها بساتين القرية. وهي من المواضع المعدودة التي تصلح للاصطياف وكان أهل هذه القرية إسماعيلية كبقية سكان هذا الجبل.

أما الآن فهم مسلمون سنيون وفيهم جماعة من ذوي اليسار المستعدين لقرى الضيوف.

سرمين

ومن الأماكن القديمة التي لها شهرة في التاريخ من هذا القضاء (سرمين) هي الآن قرية يعرف قدرها من عدد أهلها وهم مسلمون سنيون وكانت مركز قضاء تلك الناحية وقبل ذلك كانت بلدة عظيمة ذات أسواق ومصابن وخانات وحمامات وقد قرأت على حجرة استخرجت من بئر جامع الكيزواني- الكائن في ذيل العتبة بحلب- كتابة معناها أن سوق الحرير في سرمين وقف على الجامع المذكور.

قيل إن سرمين سميت بابن اليفز بن سام بن نوح. وذكر الميداني في كتابه مجمع أمثال في حرف الجيم وقد ضرب المثل المشهور وهو قولهم (أجور من قاضي سدوم) أن سدوم مدينة من مدائن قوم لوط. قال بعضهم هي سذوم بالذال المعجمة وقال الطبري هو ملك من بقايا اليونانية غشوم كان بمدينة سرمين.

وذكر ابن بطوطة في رحلته الشهيرة أن سرمين ذات بساتين كثيرة وأكثر شجرها الزيتون وبها يصنع الصابون الأجري ويجلب إلى مصر والشام ويصنع بها الصابون المطيب الذي تغسل به الأيدي ويصبغونه بالحمرة والصفرة وينسج بها ثياب قطن حسان تنسب إليها قال وأهلها سبابون يبغضون العشرة ومن العجب أنهم لا يذكرون لفظة العشرة وإذا بلغ السمسمار لفظة العشرة قال واحدة وتسعة. قال ومسجدها تسع قباب ولم يجعلوها عشرة قياما بمذهبهم.

وقال ابن الشحنة سرمين مدينة بطرف جبال السماق كثيرة العمل واسعة الرستاق وبها مسجد وأسواق وكان لها سور من الحجارة خرب في زماننا (في زمان ابن الشحنة) ودثر. وبها مساجد كثيرة داثرة كانت معمورة بالحجر النحيت عمارة فاخرة قيل إن عددها كان ينوف عن ثلاثمائة مسجد وليس بها الآن مسجد يصلى فيه غير الجامع وأكثر أهلها إسماعيلية ولهم بها دار دعوة ولم يزل بهذا الدار نائب عن الإسماعيلية بعد

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤٠٤/١

استيلاء التتار على حلب وبلادها إلى أن رفع أيديهم عنها السلطان الملك الظاهر سنة (٧٦٥) . وذكر بعض." (١)

"كنائس وأربعة عشر حماما وألف وثمانمائة دكان وأربعة مخازن كبار وسوق للحراج وأحد عشر خانا وأربعة عشر فرنا ومائتين وثلاثين نولا لنسج القماش ودباغتين وخمسة وخمسين مقهى وخمس خمارات واثنتي عشرة مصبغة ومصبنتين وعشر معاصر وثلاثة فنادق وستة مكاتب. ومباني أورفه جميلة المنظر بعضها مبني بالحوار الصلب الشبيه بالنحيت وبعضها الآخر مبني بالحجر الصلد.

مسجد مولد الخليل

وفي مدينة الرها موضع معروف بمسجد مولد الخليل يقال إن فيه كان مولده عليه السلام وهو موضع نزه تمر منه قناة عذبة صافية. وفي جنوبي قبليته شبه مغار مملوء من الماء العذب الصافي قد علق في سقفه شيء من الخشب شبيه بالمهد يقال إنه على صورة مهد إبراهيم عليه السلام وكان يعرف هذا الموضع قديما باسم كوثا.

النار الموقدة للخليل

ويقال إن موضع النار التي أوقدت للخليل عليه السلام بنى المسلمون في محلها جامعا عظيما ومدرسة يقال له جامع الخليل على الضفة اليسرى من عين زليخا عند رأسها. قيل:

وإذا حفر من أرض هذا الجامع عمق رمح ظهر الفحم الذي هو من آثار تلك النار.

قلت إذا صح هذا فلا يصلح دليلا على أنه كان موضع نار الخليل عليه السلام إذ يحتمل أن يكون ذلك الفحم من آثار النار التي كان يعبدها المجوس حين استيلائهم على أورفه فقد صح عنهم أنهم كان لهم فيها موقد تجاه مولد الخليل يفصل بينهما العين المذكورة.

أسماء أورفه

ولهذه المدينة عدة أسماء منها الرها وهو المعروف عند العرب ومنها أورفه قيل والرها تصحيفه وقيل بالعكس وسميت أولا إيذسا أو ادسا أو اذاسا وكاليرهوى وكانت مملكة أسروانة ما بين النهرين وكانت سميت أولا أنطاكية وسماها السلوقيون بإيذسا باسم ايذسا التي في مملكة مكدونية وأما تسمية اليونان لها بكاليرهوى

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ١/٤٠٥

فقيل سببه عين جيدة تسقيها زاعمين أنها حوض مؤلف من مياه نهر إبراهيم الخليل وهو ديصان بالسرياني وسكي رتوس باليوناني ومعناه القافز لأنه كثيرا ما كان يخرج عن مجراه.." (١)

"افشاري ٦٦ أوكسك هيوري ٣٦٣ أورجان ١٠٤٦ عربلر ١٢٠ أوزه جاغي ١٩ تيبللي جفتلكي ٥ تيبلى جفتلكي ر ٨ يوزلى ر ٣ فندقلي ر ٣٥٦ و ١٢٧ أوزون قشله ٥١ جونلو ١٦١ حسن آغا ٩٢ فرخوش ٢٢٨ أهيورلى مع شرف أوغلي ١٤٣ ست دره ده لى ٢٢ آت إبزي ٢ آت إبزي ر ٤ حاجي مصطفى أوغلي ٢٠ كوبري آغازي ٣٩.

ناحية ينيجه قلعه

ينيجه قلعه ٧٧ ينيجه قلعه ر ١٣٤ دوك ٧٨ يني بيان ١٣٣ سوس كورتلي ٣٤١ كشوركه ٢٢٨ صاري منلالى ١١١ أوقاجر ٢٦٨ أوقاجر ر ٩٢ ك ٤٤ دونكله ١٢٥ فنك ١٦٩ شغور ٢٨٩ أنايطه ٢٥٢ ينى كوي ٢٥٧ ينى كوي ر ٢٢ منجكى وواريانلي ر ٦١ عربلر ر ١٣٧ ك ١٧٤ نصارى ر ٥٣ جورك قوزك ٤٧ كوي أوكي ر ٢٦ كوي أوكي ك ٣٢ كونكلي ك ٥٤.

ناحية شكراوبه

صاريلر ٦٨ صاريلر ر ٢٥ اغجه قيونلي ١٩٧ كوللو ويارلوجه ١٨ حجبه لى ١٦٣ إيل أوغلي ٢٥٧ قبللي أوغلي ١٩٥ ر ٨ جوبان تبه ٨٢ كوللوهيوك ٣٩ إيمالى ١٣٥ مراد أوغلي جفتلكي ١٣٥ ر ٨٩ بينمازلى ١٦٤ ده ده لر ٣٦ اقره لر ٩٠ كولجه كزر ٢٠.

فجملة سكان قضاء مرعش (٢٦٦٩٢) نسمة ما بين ذكر وأنثى.

الكلام على هذا اللواء وما فيه من الأماكن الشهيرة

قال ياقوت في مرعش: هي مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق في وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني بناه مروان بن محمد الشهير بمروان الحمار.

ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة. وبها ربض يعرف بالهارونية وهو ما يلي باب الحدث.

وقد ذكرها شاعر الحماسة فقال «١» :." (٢)

"فلو شعرت «١» أم القديد طعاننا ... بمرعش خيل الأرمني أرنت

عشية أرمي جمعه بلبانه ... ونفس «٢» وقد وطنتها فاطمأنت

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤١٦/١

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤٤٤/١

وموضعها في شمالي حلب وتبعد عنها ٤٤ ساعة وتشتمل على دار للحكومة ومستودع للرديف وقلعة و ٧ مخافر ومستشفى واحد و ٤٩ جامعا و ١٥ مسجدا ومكتب رشدي ومكتب ابتدائي ومكتبة وخمس تكايا وزوايا و ١٧ كنيسة و ١٤٤٧ دكانا وسوق حراج وست **خانات** و ٤١ فرنا و ١٥٠ حوضا و ١٢ حماما ومصبنتين و ٩٦ طاحونا و ٢٨١ نولا لنسج الأقمشة وأربع أجزائيات و ١٧٦٠٦ كرما و ١٢١١ بستانا.
وهي جيدة المناخ طيبة الماء وتنسج فيها الأقمشة المعروفة بالغزلية والعباءات اللطيفة وتعمل فيها الجلود وسروج الدواب والخيول النفيسة والكراسي الجملية التي تضاهي كراسي أوروبا وتعمل من خشب الجوز والدلب. وأكثر ما تباع هذه البضائع في قيصرية وقوزان وأذنه وجبل بركات وملطيه وينتقل منها إلى أذنه الدبس والزبيب. وإسكلتها «٣» إسكندرونة ومبانيها من الحوار وبعضها من الحجر والخشب وفيها من الآثار القديمة العظيمة قلعة وجامع كبير، كلاهما من آثار دولة القدرية. ولغة سكانها التركية الحوشية فالأرمنية فالكردية.
ولواء مرعش في شمالي حلب قبلة لواء حلب وشرقا ولاية معمورة العزيز وتعرف بخربوت وفي كتب التاريخ بخرت برت وشمالا ولاية سيواس وغربا ولاية أذنه. وهذا اللواء عبارة عن قضاء مرعش والزيتون وأندرين وبازرجق وآلب ستان وفيه السهول الواسعة الكثيرة المياه والجبال الشامخة المزدحمة بالغابات.
وفي ضواحي مرعش جميع أنواع الفواكه والبقول والحبوب: كالعنب والرز والقمح والشعير والذرة والعدس والقطن والسمسم والجهرة والفوة والعفص وأهالي مرعش أخذوا منذ سنوات قليلة يعانون تربية شجر الزيتون والفستق بتلقيح شجر البطم وابتدؤوا الآن يستفيدون منه وفي قضاء مرعش بضع غابات عظيمة فيها الأرز والعفص والسرو وغيرهما." (١)
"ناحية كوكسون
كوكسون ١٣٨ ر ١١٥ يني بيان ١٩٦ فانلي قواق ٣٧٠ مرسل ٤٢ بوز هيوك ٢٥٧ كمور ١٣٩ قاوشيد ١٨١ كوجك قزينلجق ١٥٣ قره عمرلى ١٢٢ أرستل ٣٥ آجي ألما ٢٣ قوزجاغوز ٣٧ كلك أولوق ٧٦ الجبلي بوجاق ٤١ محمود بك ١٠٩ طاهر بك ١٣٩ كراج ر ١٨٤ **فندق** ١٦٥ كجوك صو ١٤١ سطلطان ٧٨ قلعه كوى ٣٦ تيمور آغا ٣٦٨ حاجي عمر أفندي ١٨٩ يوسف أفندي ١٢٢ أورطه تبه ٣٠ دوكون يوردى ١٤.
فجملة سكان قضاء أندرين (١٦٠٠٩) نسمة ما بين ذكر وأنثى.

---

(١) نهر الذه ب في تاريخ حلب كامل الغزي ١/٤٤٥

الكلام على هذا القضاء

هذا قضاء في لواء مرعش مركزه قرية كبان في غربي مرعش وتبعد عنها ١٨ ساعة وعن حلب ٦٠ ساعة وفي هذا القضاء دار للحكومة ومخفرة و ١٥ جامعا و ٥ مساجد و ٤ مكاتب و ٥ كنائس للأرمن وواحدة للبروتستان و ٢٥ دكانا و ٥ حياض وفرنان.

وأراضي هذا القضاء تحصل فيها جميع أنواع الحبوب وتنسج فيه البسط والسجادات والأقمشة الغزلية والعدول والعباءات وبعض أدوات فضية يصنعه، الجركس ولغة سكانه التركية والكردية والأرمنية والجركسية كالقضاء الذي قبله.

وفي هذا القضاء واد يقال له وادي كوكسون فيه كانت الواقعة سنة (٩٢١) بين سنان باشا العثماني وبين علاء الدولة بك أحد أمراء الدولة ذي القدرية ودارت الدائرة على علاء الدولة بك فقتل وكسر جيشه. وفي هذا القضاء يمر نهر كشيش ونهر أندرين كلاهما يصبان في نهر جيحان وفيه عدة غابات وسبع قلاع خربة من آثار الرومانيين.

انتهى الكلام على ولاية حلب التي كانت في أيام الحكومة العثمانية عبارة عن حلب ومضافاتها التي هي ثلاثة عشر قضاء ولواءان: أورفه ومرعش المضاف إلى أولاهما ثلاثة أقضية وإلى الآخر أربعة.." (١)

"تأثير لذع الحيات ثم يمشي السور شرقا مستقيما حتى يصل إلى باب النصر وهو باب قديم مشتمل على ثلاثة أبواب كل باب منها له دركاه أولها مما يلي البلد وآخرها مما يلي ظاهرها وثالثها داخل البابين وقرب عضادة الباب الداخلي يوجد قطعة من الحجر كبيرة مبنية بالجدار على علو قامة فيها ثقوب يدخل الناس فيها أصابعهم لزوال ما فيها من عروق الملح على زعمهم، ويقولون إن تحت هذه الحجرة قبر نبي مع أن الكتابة التي كتبت عليها تدل على أن هذه الحجرة كانت موضوعة على قبر دفن فيه عروسان اسم الرجل أرتميس واسم المرأة كاليكتي والظاهر أنها مأخوذة من مقبرة ومبنية في محلها. وهذا الحجر ذكره الهروي في إشاراته وقال: إن الملل الثلاث يعتقدونه ويصبون عليه ماء الورد والطيب. وفي سنة ١٣٠٣ هـ هدمت الحكومة الباب الأول ووسعت به الجادة فبقي فيه الباب المتوسط والذي يلي ظاهر البلد مكتوب على نجفته ما يفهم منه أنه من بناء الملك الظاهر غازي.

ثم يمشي السور من هناك منعطفا قليلا. ثم يستقيم ويسير حتى يصل إلى باب القناة المعروف بباب الحديد وعرف بباب بانقوسا أيضا غربي الجامع الكبير ببانقوسا على مرمى حجر منه وهو مؤلف من بابين بينهما

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤٥٧/١

دركاه وفوقهما حصن منيع مكتوب على يسرة الداخل إلى الباب ما صورته (أمر بعمارة هذا الحصن المنيع الباب مولانا السلطان الملك قانصوه الغوري عز نصره بولاية مملوكه أبرك مقدم الألوف بالديار المصرية وشاد الشرابات والخانات الشريفة ونائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة أعز الله أنصاره سنة ٩١٥ هـ) .

ثم يمشي السور من هناك منعطفا جنوبا ويسير حتى يصل إلى باب بالوج، وبالوج معمار رومي عمل فيه، ويعرف أيضا بباب الأحمر تحريف الحمر قرية في صحراء حلب من شرقيها. وهذا الباب لم يبق له أثر بل انهدم إلى الأرض وأخذت حجارته إلى الرباط العسكري سنة ١٣٠٣ هـ وكان مكتوبا عليه (أمر بعمارته مولانا السلطان الملك أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره بتولي المقر السيفي أبرك وشاد الشرابات والخانات الشريفة الحلبية عز نصره سنة ٩٢٠ هـ) ، ثم يمشي السور إلى أن يكون وراء جامع ألتون بغا المعروف بجامع ساحة الملح فيكون فيه حجر مكتوب فيها (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا السور مولانا السلطان الملك الناصر أبو السعادات محمد بن الملك." (١)

"خندق البلدة

أما الخندق فقد ارتدم «١» أكثره بالأتربة وبني في عدة بقاع منه عمائر ومبان وكان يوجد في بقاع أخرى منه بساتين تشرب من سرابات البلدة المنصبة إليه وذلك فيما بين برج الثعابين إلى باب النصر. وكان الخندق ينقطع عند هذا الباب بجدار ثم يعود بستانا إلى قرب بانقوسا، فينقطع بخان يملكه بعض الناس، ثم يكون جادة قليلا، ويعود بستانا إلى وراء باب بالوج، وهناك ينقطع بالجادة، وبعدها يعود بورا مملوءا من الأتربة والأقذار المنصبة إليه من البلد، يمر هكذا على باب المقام وباب قنسرين ثم يكون فيه بستان صغير.

ثم يصير بورا ويمر من تجاه حارة الكلاسة ويصير جادة مارة على باب انطاكية وباب الجنان وباب الفرج وبعده يكون فيه عدة خانات وبيوت حتى يصل إلى برج الثعابين.

وفي سنة ١٣١١ هـ عزمت الحكومة على أن تجعل الخندق جادة عامة فقطعت منه جميع الأشجار وأزالت الموانع وطمت «٢» المنخفضات من أرضه ومن ذلك الوقت بدأ الناس يبنون فيه العمائر الضخمة من بيوت وخانات وفنادق وغير ذلك حتى أصبحت المسافة الممتدة منه من عند السهروردي إلى باب القناة من أعمر جادات حلب.

ما قاله المتقدمون في قلعة حلب

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٢١

قالوا كانت قلعة حلب عديمة النظير بالحصانة والمنعة. وأول من بناها ميخائيل وقيل سليكس نيكادور «٣» أحد الملوك الرومانيين «٤» سنة ٢١ من جلوسه قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة واثنتي عشرة سنة، وهذا الرجل يسمى في التواريخ الحلبية سلوقوس وهو الذي جدد بناء المدينة بعد خرابها بزلزال دهمها. وموضع القلعة على جبل مشرف على المدينة وعليها سور ويقال إن في أساسها ثمانية آلاف عمود. قلت: وهذا من قبيل الخرافة إلا أن." (١)

"وفيها اهتمت الحكومة بإزالتها فردمتها بالتراب وصرفت القاذورات إلى سراب عظيم عملته في الخندق المذكور وأنفذته من جانب باب الأربعين مارا من تجاه قسطل العوينة «١» إلى خندق البلدة. ويوجد على سفح هذا الجبل برجان عظيمان على نقطة متقابلة بهما سميت قلعة حلب ذات الجناحين، أحدهما في الجهة الشمالية تجاه باب الأربعين مكتوب عليه: جدد هذا السور المبارك مولانا السلطان قانصوه الغوري عز نصره في أيام المقر الأشرفي الأمير السيفي عين مقدم الألوف بالديار المصرية سيباي الأشرفي نائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة عز نصره سنة ٩١٥. وثانيهما في الجهة الجنوبية تجاه سوق الخيل وحمام الناصري مكتوب عليه: أمر بعمارته مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري في أيام المقر السيفي سيباي الأشرفي نائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة سنة ٩١٤ وأظن أنهما مبنيان على أثر البرجين اللذين جددهما الأمير جكم مساحة كل منهما تقريبا عشرون ذراعا عرضا ومثلها طولا وخمسة وعشرون ذراعا ارتفاعا. وله مدخل من جهته العليا مما يلي سور القلعة قد اشتمل على أربع طبقات، كل طبقة لها قبو معقود بالحجارة العظيمة له عدة كوات إلى جهة الخندق. والطبقة السفلى من الجنوبي يهبط منها في سرداب ينتهي إلى حفير منقور بالحوار فيه ماء راكد يميل طعمه إلى الملوحة ثم يكون في طرفه سرداب ينتهي إلى فوهة في الجبل غربي باب القلعة بقليل. وهذا البرج وإن كان متهدما إلا أنه أجد عمرانا من البرج الشمالي. والغالب على ظني أن مدخل كل واحد منهما كان متصلا بالقلعة بواسطة قبو خفي.

أما مدخل القلعة الآن فهو مؤلف من أربعة أبواب. أولها مما يلي البلد متوجه إلى الجنوب مرتفع عن سطح أرض البلد نحو عشرة أذرع يرقى إليه بدرج مسطح على قبو معقود بالحجارة على الخندق وحافته، وفي انتهاء هذه المسافة ينقطع القبو المذكور فيكون فوقه جسر من خشب يؤدي إلى هذا الباب الذي هو الباب الأول. وله غلق من الحديد كبقية الأبواب بعده مكتوب على مصراعيه بالحديد النافر: (أمر بعمله

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢٣/٢

مولانا الملك الظاهر غازي ابن يوسف سنة ٦٠٨ وهذا الباب من آثار قانصوه الغوري بني بتولي مقدم الألوف بالديار المصرية وشاد الشرابخانات «٢» الشريفة ونائب القلعة) ، وعلى هذا الباب برج عظيم لكنه." (١)

"وجدده صاحب الخان المذكور. وقسطل في زقاق خان التوتن وحنفية في جدار جامع محرم لصيق المدار في الجادة الكبرى من جهتها الجنوبية وقسطل خان الكمرك في حضرته وسبيل في رأس سوق النشابين المعروف الآن بسوق العبي لصيق مدرسة (يشبك بن عبد الله) وهو من آثاره وقد جددته امرأة يقال لها رقية سنة ١٢٤٠ كما يفهم من الكتابة المحررة في أعلاه. وسبيل في آخر هذا السوق عند المفارق الأربعة، مكتوب في صدره أبيات تركية بيت تاريخها، مهلقا عائشة خانم روحيجون تاريخيله بيلانللي مصطفى باشا إيلدي بوسبيله دلكشاي سنة ١٢٣٦.

خاناتها وقياصرها

أعظم خاناتها بل خانات حلب وأعمرها خان الكمرك القديم المعروف بخان باشا الشهيد الصدر الأسبق إبراهيم خان زاده وهو من جملة أوقافه مدخله فيما بين سوق العفص وسوق الهواء. طوله من ظاهره مائة ذراع في عرض مثلها. وفي وسط رحبته جامع عظيم تقام فيه الأوقات السرية وفي جهاته ال أربع حجرات واسعة ذات مخادع ومرافق على أسطحتها بيوت للأجانب الأوربيين وغيرهم يتصرفون بها بطريق الأجارتين، باب هذا الخان عظيم مرتفع كأنه حصن مشيد مبني بالحجر الأصفر والأسود صفا صفا.

وخان الشيباني تجاه حمام عتاب جار في أوقاف بني الحسبي وخان الطاف لصيق الكنيسة الفرنسيسكانية جار في أوقاف موتياب أحمد باشا المتقدم ذكره وهو الذي قبله يتصرف الناس في بعض علوهما على طريق المرصد وخان المركوبلي المعروف بالبايكه لصيق البيمارستان النوري جار في أملاك بني المركوبلي، وخان بني صولا في الصف المتجه إلى الجنوب على الجادة الكبرى النازلة من تجاه الكنيسة وكان هذا الخان دارا لبني الجلبي ثم اشتراها منهم بنو صولا وعملوها خانا وذلك في حدود سنة ١٣١٠ وخان الشيخ إبراهيم في زقاق المخازن وهو بايكه وخان الجورة في سوق الهواء ويعرف الآن بسوق باب انطاكية وخان الجورة وراء سوق الدهيشة قرب خان خيري بك.

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/ ٣٠

حماماتها

حمام عتاب، كان ثلثاه جاريا في أوقاف المدرسة البزازية وعتاب المذكور كان شرابيا." (١)

"فباع لشخص شرابا وأمره أن يضع فيه ماء باردا ويشربه فلما فعل ذلك مات في الحال فرفع أمره إلى كافل حلب فأمر بإحضاره وإحضار البرنية «١» التي أخذ منها الشراب فارتاع لذلك وسقاه الوالي من الشراب الذي في البرنية فلم يعمل فيه شيئا، فعند ذلك سألهم عتاب: من أي موضع أخذتم الماء؟ فقالوا: من جب في دارنا. فحضر رجال الدولة إلى هذه الدار ونظروا إلى الجب فإذا فيه حية عظيمة. وحينئذ عمد عتاب إلى إبطال صنعته وعمر هذا الحمام وصار يأكل من ريعه.

مدرها وهي الأرحي التي تدار بالدواب

مدار «٢» الصليبة في زقاق الدرويش إسماعيل جار في أوقاف الزاوية الهلالية. ومدار محرم على الجادة الكبرى لصيق جامع محرم جار في أوقاف الحاج محرم. ومدار الماركوبلي في الجادة الكبرى لصيق خانه من غربيها. ومدار السودان في زقاق السودان. ومدار أبي شالة في زقاق خان التوتن. ومدار في ساحة الحبالين في الجلوم الجواني. وهناك مدار آخر.

أفرانها

فرن جادة البرقة وفرن المعصرة في الجادة الكبرى قرب مدار المار كوبلي وفرن الأصفر قرب جامع الأصفر وفرن الصليبة.

كرخاناتها «٣»

وهي المحلات التي تطبع فيها المناديل الحلبية

وتعرف أيضا بالبصمه خانه وهي كرخانة واحدة في زقاق السودان في الجلوم البراني.." (٢)

"محلة العقبة (د) عدد بيوتها ١١٠

الذكور/ الإناث/ المجموع/ الأقوام ١٩٦/١٨٧/١٨٣/المسلمون ٩/١٦/٢٥/الروم الكاثوليك ٢/٠/٢/الأرمن الكاثوليك ٨/١١/١٩/الروم ١٣٣/١١٦/٢٤٩/الأرمن ٢/٠/٢/الكلدان ٥/٦/١١/السريان ٦/٧/١٣/الموارنة ٥٣/٦٧/١٢٠/اليهود ١٠٠/٤٥/١٤٥/الأجانب ٥١٤/٤٥٥/٩٦٩/الجمع وهذه المحلة يقال لها عقبة بني المنذر، وسميت عقبة لنشوزها عن بقية أرض حلب ولا أدري وجه إضافتها لبني

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٦٥

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٦٦

المنذر. ولعلهم أول من نزلها بعد الفتح. قال بعض مؤرخي حلب:

إن الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس، سكن حلب واختار هذه المحلة فبنى دوره فيها. وهي من أشرف نواحي حلب وأفضلها. حدها جنوبا سوق الهواء الممتد من باب انطاكية إلى تجاه جامع البهرامية وشرقا زقاق **الميخانات** «١» وشمالا بوابة قيس وتمامه." [1]

"زقاق الهواء قرب باب الجنان وغربا جادة **الخانات** الكائنة وراء السور الممتدة من باب انطاكية إلى باب الجنان. وهي محلة طيبة المناخ لارتفاعها وخلوها من الماء الجاري وآبارها مالحة سحيقة وفيها آبار يجمع ماؤها من المطر ويكثر فيها البعوض في فصل الصيف والخريف وهي أسرع محلات حلب تأثرا بالزلازل وقل أن يوجد فيها غرفة عالية يسلم بناؤها من الخلل وسبب ذلك ارتفاع المحلة وعمق أسس البناء فيها بحيث يستغرق إتقانها نفقة طائلة قل من يستطيعها.

آثارها

جامع التوتة

داخل باب أنطاكية وهو أول مسجد اختطه المسلمون بحلب، ولما فتحوها ودخلوا إليها من الباب المذكور وقفوا في موضع هذا المسجد وحفوا حوله بالتراس ثم بنوه مسجدا.

وكان يعرف بالعمري لحدوثه في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه، ثم بالغضايري نسبة إلى عبد الحميد الغضائري نسبة إلى الغضائر وهي الأواني التي يؤكل فيها تعمل من خزف وغيره. وهذا الرجل أحد الأولياء من أصحاب السري السقطي وحج من حلب ماشيا أربعين حجة، ثم عرف بمسجد شعيب نسبة إلى شعيب بن أبي الحسين بن أحمد الأندلسي الفقيه الزاهد وكان نور الدين يعتقده فعمر له المسجد مدرسة حين وروده إلى حلب ووقف عليها وقفا ورتبه فيها مدرسا على المذهب الشافعي ولم يزل مدرسا فيها حتى توفي سنة ٥٩٦ في طريق الحجاز. قلت: هذا المسجد الآن سماوي صغير مشتمل على حوض في غربيه ينفذ منه الماء إلى القسطل الذي على بابه أحدثه أهل المحلة وله منارة قصيرة فوق بابه وفيه قبلية صغيرة في شرقيها شبه حجرة فيها قبر لأحد الصالحين وبعض جدرانه باقية من آثار نور الدين رحمه الله والقدم ظاهر عليها، وهو عامر تقام فيه الصلوات والجمعة وأوقافه جزئية قائمة بضرورياته.

وفي هذه المحلة أيضا مسجد في رأس زقاق الخواجه موجه شرقا تقام فيه الصلاة السرية ويوجد بعد بضع

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٧٠

خطوات سبيل تجاه جنينة كان محلها حمام الخواجه ثم يكون جامع الخواجه وله منارة وتقام فيه الصلوات والجمعة مكتوب على حجر مرصوف بظاهر جدار قبليته." (١)

"مسجد إزدمر المعروف في زماننا بمسجد الحاج صديق أفندي الجابري بمحلة الفرافرة حفر البئر المذكورة في هذا المكان المرأة الحاجة كلفدان حظية محمد أفندي الجابري ووقفت له نصف دكان في سوق الباطية ونصفا آخر في سويقة علي وهي التي وقفت الدكان الموجود فيها البئر السبيل على المسجد المتقدم ذكره: سبيل جامع التوبة وسبيل جامع زقاق الخواجه وتقدم الكلام عليهما.

خاناتها وقاسارياتها

خان التوتن القديم وخان التتن الجديد في سوق الهواء ومجدد الثاني أحد الأغنياء اليهود وقاسارية في زقاق الأربعين.

حماماتها

لا يوجد في هذه المحلة سوى حمام واحد وهو حمام بزدار بذيل العقبة من جهة القبلة وكان بها حمام يقال له حمام الخواجه في زقاقه قد انهدم وصار في محله جنينة لبعض الناس.

مدرها

مدار واحد في زقاق الأربعين وفرن في هذا الزقاق أيضا. وفيها أيضا كرخانة واحدة ونحو سبع عشرة مصبغة نيل لكن نحو نصفها تابع الجلوم الكبرى وفي زقاق الهواء من العقبة الكائن قرب باب الجنان مزار لأحد الصالحين يعرف بالشيخ إسماعيل أبي السباع ويقال إنه أخو الشيخ معروف المدفون في المدرسة الكائنة في سوق الضرب وابن الدفين بالحوشنيه.

(الآثار المندرسة في هذه المحلة) كان في ذيل العقبة في الدرب المتوجه إلى جب أسد الله خانقاه تعرف بالتنبيه أنشأها الأمير جمال الدين أبو الثناء عبد القاهر بن عيسى المعروف بابن المتنبي كان يسكنها فوقفها عند وفاته في رابع عشر المحرم سنة ٦٣٩ وكان في هذه الخانقاه قبر لعله قبره. قلت: لا أثر للخانقاه الآن.." (٢)

"في السنة لترميم الجامع وأوقافه. وشرط إن وجد من ذريته عجزة عن قوت يومهم يعطى لهم بالتوزيع من زوائد وقفه كل يوم عشرون درهما وإن وجد منهم واحدة أو اثنتان يدفع لهما قدر الكفاية من العشرين

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٧١/٢

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٧٤/٢

المذكورة وشرط إن ما فضل عن مصالح جامعه وتعمير أوقافه يقتسمه أولاده الذكور بالسوية فإذا انقرضوا، فلأولاده الإناث وهكذا على ترتيب التولية حتى يؤول إلى رجل دين فيصرف الفضلة على الخيرات تحريرا في مستهل ذي الحجة ختام سنة ٩٦٣.

تنبيه: كان محل أكثر مباني هذا الوقف العظيم ميدانا يعرف بفندق عائشة، قال الصاحب ابن العديم (ويغلب على ظني أنه منسوب إلى عائشة بنت صالح بن علي بن عبد الله بن العباس. اه.) ، وكانت عائشة هذه بارعة في الجمال تزوج بها موسى الهادي.

المدرسة الأتابكية

هذه المدرسة غير معروفة الآن لأنها ساحة خالية من البناء ومحلها تجاه باب جامع العدلية وباب قاسارية العلبية الذي فتح حديث، في جانب الجامع المذكور وكلا البابين يوجهان شرقا.

وفي شماليها خان الفرايين بينهما زقاق ضيق أنشأها شهاب الدين طغريل بك الأتابك عتيق الملك الظاهر غياث الدين غازي نائب السلطنة بالقلعة الحلبية ومدبر الدولة بعد وفاة معتقه انتهت عمارتها في سنة ٦١٨ وأول من درس بها العلامة جمال الدين خليفة بن سليمان ابن خليفة القرشي الحوراني الأصل وبعده مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين بن العديم ولم يزل بها إلى أن خرج من حلب فرارا من أيدي التتار أسوة بمن خرج من بلدته مع من كتب عليهم الجلاء من أهل حلب. واحترقت في زمن التتار ودرست ثم رممت بعد ذلك وكملت عمارتها واستقر في تدريسها العلامة شهاب الدين أحمد بن البرهان وكان مجتهدا في مذهب أبي حنيفة ثم تنازل عنها لكمال الدين أبي الفضل محمد بن الشحنة وقرية كمنون وقف عليها. وهي الآن ساحة خالية عن البناء.

مدفن كوهر ملك شاه

هذه عمارة تتصل بالأتابكية المتقدم ذكرها من جهتها الجنوبية وهي تشتمل على مدفن فيه (كوهر ملك شاه بنت عائشة السلطانة) وعلى مسجد لصيق مدفنها وكانت عمارته." (١)

"جهاتها الأربع بحيث كانت ممتدة من قرب البستان المعروف في زماننا بجنينة الفريق الكائن قبلي الجامع إلى قرب المدرسة السلطانية دائرة على دار السعادة وحمام الشيباني (محلها الآن مستشفى الغرباء) إلى سوق الضرب وهي ما بين دكاكين وقاساريات وخانات وكلها دثرت ولم يبق منها سوى المحل المعروف بالشونة الكائن شمالي الجامع المذكور.

---

(١)<نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/ ٩٢

ومن جملة أوقاف هذه العمارة خان قورد بك في محلة الفرافرة وهو من **الخانات** العظيمة في حلب وكأنه منسوب إلى ولد الواقف وحدده في الوقفية جنوبا بمسجد المدرسة الأزدمرية وشرقا الطريق وشمالا بيت ابن السفاح وغربا الطريق. ومن جملة أوقافها أيضا حمام الست ولم تزل جارية فيها وعدة دكاكين ودور في الفرافرة وغيرها ومزارع بناحية الجبول وجبل سمعان وطاحون بأرض قرية هيلانة وأرض في قضاء أنطاكية وقضاء حارم وناحية الجوم وعزاز ودكاكين بمدينة عينتاب وثلاثة طواحين وجنينة على نهر الصاروج في قضاء عينتاب ولها في ذلك القضاء عدة مزارع وكان لها على العاصي عدد عظيم من الطواحين والبساتين والمزارع والقرى وغير ذلك من الأوقاف التي يطول الكلام عليها وكان لهذه العمارة أربعة أبواب من كل جهة باب وكان الشمالي منها مسدودا داخلا في الشونة إلى أن كانت سنة ١٣٢٣ سعى جماعة من أهل الخير بفتحه بعد أن أخذ له من الشونة طريق خاص به.

شروطه

شرط أن يكون الإمام حنفيا وأن يقرأ بعد فراغه من صلاة الجمعة صيغة الختم المعروفة وأن يكون المدرس في مدرسته حنفيا والتولية بعده على الأرشد فالأرشد من ذريته وبانقراضهم فللأرشد فالأصلح من عتقائه وذريتهم وبانقراضهم فلمن يختاره الحاكم الشرعي بحلب وشرط أنه إذا لم يوجد من ذريته أهل للتولية فيولى واحد من عتقائه الموقوف عليهم وأنه متى وجد من ذريته وعتقائه أهل لأي وظيفة كانت من وظائف الوقف وشعائره فإنه يقدم على غيره ويعين بها وتؤول بعده إلى ولده إن كان أهلا وأن يصرف في كل يوم من القطع الفضية خمسون لأولاده تقسم بينهم على الفريضة الشرعية ثم من بعدهم فإلى أولادهم فإذا انقرض أولاد الذكور وذريتهم فلمن يوجد من أولاد البطون ومن العتقاء وذرياتهم وبانقراضهم يصرف ذلك في مصالح الوقف وأن يصرف كل يوم اثنتا عشرة ونصف قطعة لمتولي الوقف و ٤ لمباشر النظر على الوقف و ٢٥ لمدرس حنفي و ٨ لثمانية رجال من." (١)

"جنوبي الدرب الذي يدخل منه إلى سوق الضرب فردم به جانب من الخندق تجاهه وبوشر في محله بعمارة مستشفى للغرباء وجمع للإنفاق عليه إعانة من ولاية حلب ما ينوف على ألف وخمسمائة ذهب ونزلت حجارته من خراب القلعة وبلغ العمل نحو نصفه ثم تعطل وبقي ملجأ للصوص ثم أكملت عمارته أيام الوزير رائف باشا والي حلب وفتح لمرضى الغرباء والفقراء وخصص لنفقاته مقدار كاف من رسوم زوارق بيرجك «١» .

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٩٥

سبلانها

سبيل سماقية في وسط ساحة بزه بحضرة الحمام وهو بئر عليه شبه قبة مكتوب على قنطرته أن الذي أنشأه السيد محمد بشير سنة ١١٧٣ وله دار موقوفة عليه في الساحة المذكورة.

(قسطل) في جنوبي هذا السبيل في الساحة المذكورة له دكان ملاصقة له (قسطل الكبيسي) : الفاصل بين المحتلين ينزل إليه بدركات ولم أقف له على خبر وليس له شيء من الأوقاف: (قسطل) ملاصق جامع الرومي من شرقيه (قسطل تجاه جامع السفاحية) لصيق حمام ميخان في جهتها الجنوبية (سبيل) في زقاق النبي في الصف الموجه شمالا (قسطل) في زقاق الخريزاتي تجاه مزاره بميلة إلى الشمال (سبيل) ملاصق زاوية الشيخ الأخضر تجاه جامع الموازيني وسبيل في سوق النحاسين تجاه أقميم الحمام وسبيل في السوق المذكور بين خان العبسي وخان البرغل وسبيل تجاه خان العلبية وسبيل في أوائل سوق الضرب شرقي الشادبختية له شيء من وقف الحاج عبد الرحمن بن صالح المعروف بابن الحداد الأبرادي الذي وقفه سنة ١١٨٧.

خاناتها وقيسرياتها

خان العلبية وهو يضاهي خان الكمرك القديم وخان الفرايين وقاسارية الفرايين وخان النحاسين وكلها مملوك علوها بطريق المرصد وقاسارية العلبية وقد فتح لها باب جديد في جانب باب العدلية العالي من شماليه وكلها جارية في أوقاف محمد باشا دوقه كين المعروف." [1]

"بالعادلي وخان العبسي وهو من أوقاف الأحمدية وخان البرغل وهو من أوقاف الكواكبي وجميع هذه الخانات تجارية وثلاثة خانات متلاصقات في جنوبي سراي منقار عمرها ابن الوكيل أحد التجار المسيحيين وقد احتكر أرضها من متولي أوقاف الحرمين وذلك في سنة ١٢٩٠ تقريبا وهي معدة لوضع الغلات والصوف ونحوهما من البضائع العظيمة الجرم ثم آلت بطريق الشراء إلى أحد ذوي الأملاك من المسلمين.

حماماتها

حمام الساحة بزة في جنوبيها ويقال إن الذي بناه هو سيف الدولة علي بن حمدان.

وحمام ميخان تجاه جامع السفاحية. وحمام النحاسين المعروف قديما بحمام الست جار في أوقاف الخسروية كما سلف ذكره.

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/١٠٥

مدرها

مدار في شرقي ساحة بزة، ومدار في جادة زقاق ساحة بزة لصيق الزقاق التابع محلة داخل باب النيرب، ومدار في زقاق الفستقة.

أفرانها

فرن في زقاق ساحة بزة، وفرن السراي لصيق موضع جامع الخيمي، وفرن جامع العجي لصيق زقاق الفستقة، وفرن في زقاق السفاحية.

بيوت القهاوي

قهوة الحرمي في الساحة المذكورة وقهوة أخرى باتصالها من أوقاف جامع العجي وقهوة المحمص لصيق جامع العدلية من غربيه أحدثت جديدا وألحقت بأوقاف الجامع المذكور وهي من القهاوي المشهورة.

تنبيه: كان يوجد تحت القلعة من هذه المحلة دار النيابة ومكتب السلطان حسن وخانقاه القصر ودار لبني الشحنة ومدرستهم ودار الحديث وزاوية الطواشي ودرب الملك الحافظ." (١)

"الوقفية الثامنة: أولها كأول سابقها وقف فيها قاسارية تحت القلعة تجاه سراي الحكومة قرب القرقلار (كانت تعرف بجنينة ويس باشا لأنها كانت جارية بتصرفه بطريق الحكر ثم احتكرها البلدية من ورثته وباشرت بناءها فندقا ومكانا للبلدية وذلك في سنة ١٣٢٥) :

وقف الواقف رحمه الله في شرقي هذه القاسارية أنبارا وآخر في شرقيه يعرفان بعنبر الملح ودارا بمحلة داخل باب النصر قبلة البوابة وشرقا دار ابن الجلبي وسراية الواقف وشمالا كذلك وغربا الطريق الفاصل بينهما وبين الجامع (دخلت في عمارة المطبخ) وشرط فيها أن يزاد في يومية المتولي تسعمائة عثماني فتكون جملتها ١٢٠٠ وعين يوميا عشرة عثمانيات للمدرس المعين من قبله لقراءة التفسير والأحاديث بالمحل المخصوص من السراي أو في الجامع تاريخها غرة رجب سنة ١١٥١.

الوقفية التاسعة: أولها كأول سابقها وقف فيها داره المعروفة بالسراي وكانت تعرف قديما بسراي شعبان آغا بمحلة داخل باب النصر مع جميع الدور التي أضافها إليها الواقف حد ذلك قبلة جامعه وفيه الباب الذي ينزل إلى الجامع وشرقا دار ابن الجلبي والخندق وشمالا الخندق وغربا دار وطريق وإليه الباب الثالث وجعلها وقفا لسكنى أولادهم وأنسالهم وأعقابهم ذكورا وإناثا ولزوجته ثم لأخته لأبويه ثم لأخته لأبيه ثم لعتقائه وأنسالهم واشترط على سكانها أن يقرءوا كل يوم عشرة أجزاء يهدون ثوابها كما تقدم وأن يقوموا

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/١٠٦

بتعميرها وترميمها وإصلاح طريق مائها فإذا انقرضوا تعود وقفا على الجامع الكبير الأموي بحلب ويدفع من أجرتها في كل شهر ١٢٠٠ عثمانيا لعشرة قراء يقرءون بحضرة نبي الله زكريا كل يوم عشرة أجزاء ويعطى منها في كل سنة لحاكم الشرع بحلب ١٤٤٠ عثمانيا ليكون ناظرا على الوقف المذكور وما فضل من أجرة السراي المرقومة تصرف في مصالح الجامع المذكور وإذا تعذر الصرف عليه تصرف على فقراء المسلمين بحلب بمعرفة الحاكم الشرعي وشرط تولية السراي بعده على الأرشد فالأرشد من الموقوف عليهم وإذا آلت إلى الجامع فلمن يكون متوليا على وقفه ثم أن الواقف بدأ له أن يرجع عن شروطه في السراي المذكورة وألحقها بوقف جامعه وشرط أن يعطى من غلتها كل شهر ١٢٠٠ عثمانيا لعشرة قراء يقرءون فيها كل يوم عشرة أجزاء تاريخها غرة رجب سنة ١١٥١.

قلت في حدود سنة ١٣٠٣ أعيدت السراي المذكور وقفا على سكنى ذرية الواقف." (١)

"الوقفية الثامنة عشرة: مفتتحة بعد البسملة بقوله: الحمد لله الذي وفق من وقف عند حدود الشرع المبين إلخ. وقف فيها على المدرسة وتوابعها الوجيه الماجد محمد أمين آغا بن المرحوم علي آغا بن طاهر آغا اليكن إحدى وعشرين دارا أنشأها من غلة الوقف التي اجتمع له معظمها من بدل الأحكار المعجل والمؤجل عن عرصات بساتين الواقف السالفة الذكر التي حكرها في أيام توليته. أنشأ هذه الدور على عرصات تجاور جادة الجسر الجديد التي أشرنا إليها في حوادث سنة ١٣١٧ شرقي الجسر في الصف المتجه إلى الجنوب ثماني دور وفي الصف المتجه إلى الشمال اثنتا عشرة دارا والدار الحادية والعشرون في محلة الجميلية مطلة على المكتب الأعدادي المعروف الآن بالمكتب السلطاني يفصل بينهما الطريق.

غلة هذه الدور تبلغ في السنة ألفا وسبعمائة ذهب عثماني على أن الفضل في إنشائها خصيص بمتولي هذا الوقف أمين آغا المومى إليه فجزاه الله خيرا وأجزل أجره.

كانت أوقاف هذه المدرسة وملحقاتها منذ خمس وعشرين سنة آخذة بالانحطاط وكانت غلاتها في تناقص مستمر حتى نزلت إلى درجة كادت تعجز عن القيام بالنفقات التي وقف هذا الوقف من أجلها ولا سيما حينما ظهرت المطاحن النارية فإن الطواحين الموقوفة لهذه المدرسة أصبحت في رادة العدم إلى أن كانت سنة ١٣١٧ وفتحت الجادة المذكورة أقبل الناس على بناء الدور والمنازل إقبالا زائدا خصوصا بعد ما صار الشروع بتأسيس محطة الشام سنة ١٣٢٣ أو أصبحت هذه الجادة هي المهيع الأعظم إليها فقد تهافت الناس على إقامة المباني العظيمة على طرفيها وأرتفع بدل الحكر على الذراع من خمس الليرة العثمانية إلى

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ١٢٩/٢

ثلاث ليرات وما زال في ارتفاع حتى بلغ سعر كل ذراع من أطراف هذه الجادة خمس ليرات وهو لم يبرح بارتفاع مستمر. وقد حكر من أطراف هذه الجادة وفروعها وبساتين هذا الوقف التي في جوارها عشرات الألوف من ال أذرع مع بقاء البساتين على ما كانت عليه بحيث لا تقل مساحة الفاضل منها عن مليون ذراع مربع. فهذه العناية الإلهية هي التي أحيت المدرسة وملحقاتها وأعادت إليها رونق الشباب بعد إشرافها على الهرم هذه الجادة تعتبر الآن أشرف جادات حلب وأنزهها وقد ازدحمت فيها المباني العظيمة من الدور والمطاعم **والفنادق** وبيوت القهاوي والملاهي والملاعب ومسارح التمثيل وغير ذلك من المباني التي لا يضاهيها غيرها من بقية المباني في مدينة حلب.

تنبيه في ماء الجامع والسراي المذكورين: اطلعت على حجة شرعية باللغة التركية متوجه." [١]

"مسجد: ملاصق خان الكتان من شرقيه متهدم مائل للخراب يسكنه بعض الفقراء لا أعرف له ترجمة.

بقية آثارها

مكتب الصاحبية: في السوق تجاه الجادة النازلة من أمام باب خان الوزير أنشأه (أحمد ابن يعقوب) المتقدم ذكره وهو مكتب واسع جميل يصعد إليه بدرجات لكنه الآن معطل مائل للخراب يستعمله بعض الباعة لخزن البضائع بأجرة يدفعها لمن يكون متوليا عليه.

سبيل النارنجية: على بابها وقد ذكرناه في الكلام عليها وسبيل الصاحبية تحت المكتب المذكور وسبيل خان الصابون على بابه من إنشاء (أزتيمور بن مزيد) وجدده المرحوم رجب باشا والي حلب سنة ١١٣٢، وسبيل ملاصق باب خان الحاج موسى من شماليه من إنشاء الواقف الحاج موسى أميري وقد وقف عليه دارا تجاه الخان الأعوج في كتاب وقفه الكبير تاريخ ١١٧٧، وسبيل تجاه جامع الحاج موسى له دكان بقربه، وسبيل تجاه المسجد المعلق قرب خان الحاج موسى داخل في وقف المسجد المذكور، وسبيل في أواسط سوق التوكل من إنشاء المرحوم عبد القادر أفندي الجابري، وسبيل آخر في سوق الطيبية تجاه باب الجامع الكبير وفيها من **الخانات**: الخان الأعوج وخان الحاج موسى الأميري وتقدم الكلام عليهما في كتاب وقفه وخان الدوه لك «١» في سوق التوكل، جدده في زماننا أحد أغنياء اليهود.

وخان الوزير أنشأه أحد ولاة حلب سنة ١٠٩٣ وهو خان عظيم شهير يعد من أعظم **خانات** حلب وجهة بابه مشتمل على صنعة من البناء والعمارة تستدعي السواح إلى الإقبال عليها لأخذ رسمها والإعجاب بشأنها وخان قورد بك بن خسرو باشا المتقدم ذكره في خلاصة كتاب وقف الخسروية وهو أيضا من

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ١٣٣/٢

الخانات العظيمة بحلب وخان الكتان تجاه المدرسة الصلاحية وهو قديم كان يعرف بخان السيدة وهي السيدة بنت وثاب النميري أخت شبيب زوجة نصر بن محمود بن مرداس يقال إنها جهزت جيش غزاة من مالها وكان هذا الخان مشرفا على الخراب ينزله قوافل الكروان «٢» .." (١)

"ثم في سنة ١٣٣٠ شرع بإعماره مدير أوقاف حلب ولما حدث النفير العام وقفت العمارة ثم في هذه الأيام شرع مدير الأوقاف الحالي يحيى أفندي بإتمام عمارته وجعله خانا يصلح للتجار نظير باقي الخانات التجارية. وخان الصابون في رأس سوق الطبيبة أنشأه (أزتيمور بن مزيد) وهو من الخانات العامرة العظيمة وخان الجورة قرب الصلاحية من غربيها وخان (خير بك) وهو من مشاهير الخانات أيضا وقاسارية خان الوزير تجاهه وقاسارية خان الكتان وكل هذه الخانات معدة لبيع سلع التجار وفيها فرنان ومصبغتان وثلاث قهاوي وحمام واحد يعرف بالواساني ويقال الواساني قديم جدا. قال صاحب كنوز الذهب في هذا الحمام جرن أسود يذكر أن الخليل عليه السلام اغتسل منه ولم يزل هذا الأمر مشهورا حتى الآن (في زمنه) وهو حمام مبارك يدخله الناس للتبرك بآثار الخليل عليه السلام ويحصل لهم الشفاء من أمراضهم خصوصا النساء. اه..

قلت: ولم يزل يزعم من يستأجر الحمام المذكور أن الجرن موجود فيه حتى الآن وهذا الحمام جار في أوقاف الحاج موسى وقد ذكرناه في خلاصة كتاب وقفه. في هذه المحلة بسوق التوكل فندق يعرف بالأوتل يدخل إليه من خان الدوه لك ورأيت في السجل كتاب وقف وقفه عبد القادر بن عمر بن ناصر العثماني سنة ١١٧٢ شرط فيه لسبيل بمحلة سويقة علي وسط السوق تعميره وترميمه وبقية نفقاته وشرط أيضا ثلاثين قارئا وتالي دلائل الخيرات في حجازية «١» الجامع الكبير وأن يشتري في كل يوم خميس خبزة بثلاثة قروش تفرق على الفقراء وقد نبهت على هذا وإن لم أقدر على تعيين السبيل المذكور. ومن الأسر الشهيرة في هذه المحلة أسرة الحاج موسى الأميري وأسرة آل الكاتب وبعض فروع أسرة الجابري ومعظم الدور العظام في هذه المحلة دور الحاج موسى.." (٢)

"باشا النيشانجي وخان البنادقة الجاري في أوقاف جامع العدلية ودكاكين في سوق الأروام وجنينة في الكلاسة ظاهر حلب جارية في وقف بني الكوراني وجنينة ابن الزائغ الحاج حجازي في المحلة المذكورة وجنينة بنت السحار في هذه المحلة وقهوة ابن علوان مع دكاكين في قربها في سوق السقطية ودكان قرب

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ١٥٠/٢

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ١٥١/٢

باب سوق الطرابيشية بالصف القبلي وثلاث دكاكين بالصف القبلي من السوق المذكور وجميع الدور والدكاكين والقيصريات والمصابغ والمساجد الجوامع والكنائس والأبنية كلية كانت أو جزئية الكائنة في المحلة الجديدة وما اتصل بها أو قاربها من المحلات والأزقة والشوارع كالصليبة والشمالي وبوابة أم بطرس وزقاق البالي والنازوك وزنده والزقاق التحتاني والمبلط والعطوي الكبير والصغير وزقاق الأربعين والغوري والغطاس والكعكه وعبد الحي وعبد الرحيم وتدريبة عبد الحي ومحلة الأكراد والهزازه والتومايات وساحة التنانير والزقاق الصغير وزقاق مردجان وزقاق المملكات وزقاق بانقوس وزقاق عريان والشابورة والقير والشوربجي وغير ذلك من الأزقة والبوابات.

وجميع قطع الأراضي الثلاث المتلاصقات الشهيرات بتلال باب الفرج المحدودات قبلة بالطريق العام وشرقا كذلك ويليه **الخانات** الجاريات بوقف الحاج عبد القادر أفندين الجابري وشريكه السنيور موسى وتمامه ببوابة القصب وتمامه الآخر بمحلة الصليبة ومحلة التومايات وشمالا بقبور النصارى وغربا ببعض قبور النصارى وتمامه بأرض جارية بأرض المشنقة الجارية بوقف المدرسة التي نحن في صددها وتمامه الآخر بتربة المسلمين المعروفة بالعبارة والفاصل بينهما الطريق وتمامه الآخر ببستان الكلاب الجاري بوقف بويني إكرى محمد باشا والفاصل بينهما الطريق وقلت إن هذه التلال هي التي كانت تعرف بمناشر الزبل لأنها كان ينشر عليها زبل حمام الواساني والأبرية والبيلوني والجديدة والتل والقواس وبهرام والقاضي وغيرها من الحمامات وهذه التلال الثلاث كان استولى عليها جماعة فاستخلصها منهم المتولي الشيخ مصطفى بعد محاكمة يطول شرحها استمرت نحو عشرة أعوام ثم حكرها بأجرة معجلة ومؤجلة فكان يصرف المعجلة على شراء عقارات يقفها على المدرسة كما سنبينه قريبا وقد عمر منها فيها اثنتي عشرة حجرة ورواقا عظيما في جنوبي المدرسة كان قبله رواق اندثر منذ مائة سنة وأعلى أرض المدرسة وجدد بلاطها وأجرى غير ذلك من الإصلاح في هذا الوقف رحمه الله وأما النفقات المشروطة حسبما اطلعت عليه من الدفتر الطغرائي المؤرخ في شعبان سنة ١١٨٩ فهي أربعة عثمانيات للمدرس وثلاثة للجابي وثمانية لثمانية." (١)

"فضل من عرصته حوانيت عظيمة تؤجر بأضعاف ما كان يؤجر به الحمام المذكور.

ومن جملة أوقاف بني البيلوني أيضا دكان على باب الجامع الكبير من جهة النحاسين وعدة دور في هذه المحلة وشرط هذا الوقف لزاويته بعد انقراض ذريته وقد وقف على هذه الزاوية جميع كتبه والمفهوم من كتاب وقفه أن جده لأمه هو الشيخ (موسى ابن الشيخ الريحاوي) قلت قد ضاعت الكتب وصارت أكثر

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ١٧٤/٢

الدور ملكا ويوجد في دهليز الزاوية المذكورة الداخل حجرة فيها قبر الشيخ فتح الله المذكور، مسجد شريف في زقاق البيلوني في الصف الموجه غربا خراب معطل، ومسجد اليتامى المحول عن أصل قديم ملاصق أقميم حمام البيلوني وهو مسجد صغير كان خربا فعمر سنة ١٣١٠ واستخرج منه ثلاث دكاكين وقفت عليه وصارت تجبى عن يد محاسبة الأوقاف بحلب.

ثم في سنة ١٣٤٠ هدمت مديرية الأوقاف هذا المسجد وأنشأت على أرضه حوانيت عظيمة بنت فوقها مسجدا عوض المسجد المذكور، ومسجد (الشيخ شريف) الأعرج نسب إليه لأنه كان يربي فيه الأطفال وهو مسجد قديم عامر مشتمل على قبلية عامرة إلا أنه معطل من الصلوات لخلو جواره من السكان المسلمين وهو في شمالي خان أبرك المعروف بخان القصابية وبابه في الصف الغربي على جادة المخازن والخانات، وجامع بش قبه قرب جب أسد الله وسمي بهذا الاسم لأن سقف قبليته مشتمل على خمس قباب وهو جامع عامر حافل له بابان أحدهما جنوبي والآخر شمالي وكان يعرف قديما بجامع الحوارنه والظاهر أنه من مباني القرن العاشر وقد وقف عليه السيد إبراهيم ابن السيد جمال الدين الهاشمي أحد أعيان المملكة الحلبية سنة ٩٩٩ دارا بزقاق هذا الجامع وأخرى في زقاق الحكيم وأخرى في زقاق ابن الموصل ودارا ومربعا على قبة إيوان الواقف ودارا في زقاق قيس وكلها في المحلة وهذا الجامع الآن عامر تقام فيه الجهرية، وجامع القصر في رأس سوق باب الجنان على يسرة السالك إلى الباب عامر تقام فيه الصلوات والجمعة وهو صغير قديم رأيت له ذكرا في كتاب وقف الشهابي أحمد بن الزيني عمر المرداسي الشافعي الموقوف سنة ٨٦٦ وزاوية محي الدين بقربه من جهة الغرب، والجامع العمري في باب الجنان وأظنه كان داخل السور بدليل الحجر الموجود في جداره من غربيه وهو جدار السور والحجر مكتوب فيه (جدد هذا البرج المبارك السلطان المالك الملك قانصوه الغوري عز نصره بتولي المقر السيفي برسباي الأشرفي نائب القلعة بحلب المحروسة سنة ٩٢٠) وكل هذه المساجد لها من الأوقاف." (١)

"ما يقوم بكفايتها، ومسجد في بوابة قيس له دكان في سوق الصيلة، والجاولية في جانب عقيبة الياسمين بناها محمود بن عفيف الدين سنة ٥٦٦ وأول من درس بها أبو بكر بن أحمد الكاساني صاحب كتاب البدائع وهي مدرسة واسعة لكنها معطلة وكانت أشرفت على الخراب وكادت تكون تل تراب.

ثم في سنة ١٣٠٠ عمر فيها بضع حجرات وتركت وهي مشروطة على الحنفية وشرط واقفها لمدرسها كفايته وكفاية عياله والآن يسكنها بعض الفقراء وأوقافها مزرعة تل عنب من عزاز وفدانان ونصف من أطعانا

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/١٧٧

من عزاز ونصف مزرعة (لفحار) من عمل معرة مصرين وبستان بأصفرا ظاهر حلب شماليها وحصة من قرية المحطبه من عزاز وثلث طاحون الحارثي خارج باب أنطاكية وغير ذلك من الأراضي وقد ضاعت كلها ولم يبق لها سوى قليل من أراض تجبى من قبل المالية وفيها من الزيارات، زيارة الشيخ محمد التنبي على الجادة شرقي بوابة قيس، وزيارة الشيخ علي الجاولي تجاه مدرستھ.

ومن السبلان، قسطل أبي خشبة قرب سوق باب الجنان من شرقيه وهو آخر ما ينتهي إليه ماء فرض برد بك وأظنه من آثار المرحوم رجب باشا صاحب السراي المشهورة، وقسطل تجاه جب أسد الله، وسبيل في جدار جامع بش قبه شرقي بابه الشمالي مشروط له في كل يوم ٢٤ عثمانيا في وقفية شريفة بنت عبد القادر أفندي حجازي المؤرخة سنة ١١٢٠ وهو وقف عظيم شرطته بعد انقراض ذريتها لأموي حلب، وقسطل القهوة المعلقة في جانب بيت قنصلية فرانسه جنوبي بابه، وسبيل البيلوني في حائط حمامه الشمالي، وسبيل (لويس فيلكروز) على باب خانه.

وفيها من الخانات، خان القصابية وكان يعرف بخان أبرك مكتوب على بابه ... (أنشأ هذا الخان المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري عز نصره المقر الأشرفي عين مقدمي الألوف بالديار المصرية وشاد الشراب خانات الشريفة بها ونائب القلعة الحلبية المنصورة المحروسة أعز الله أنصاره ابتغاء لوجه الله تعالى ومن تعرض إليه كان الله ورسوله خصمه وذلك في شعبان المكرم سنة ٩١٦) والظاهر أن هذا الخان عمر على أن يكون وقفا على أبناء السبيل فلم يتم للواقف ما أراد فإن غرفه وخلواته الآن يملكها الناس ويبتاعونها من بعضهم بصكوك فيما بينهم دون اطلاع الحكومة ولا أخذ وثيقة منها وهو خان عظيم يضاهي محلة وتجاه هذا الخان، أوتيل جبل لبنان ومنها، خان." (١)

"الحبالين في سوق القطن وهو من إنشاء محمد باشا الذي جدد الميضأة الكائنة في جنوبي الحلاوية وكانت عمارته سنة ١٠٠٣ كما هو مسطور على بابه، وخان الحرير الموجه شرقا وخان الجاكي تجاهه، وخان (لويس بن فيلروس) ، وخان السيد قرب وخان السيد قرب باب الجنان وخان ميسر أنشأه الحاج محمد والحاج أحمد ابنا (عبد القادر بن عمر ميسر) في حدود سنة ١٣٣٠ وهو خان جميل عظيم ويعرف أيضا بخان البنك لأن المصرف العثماني فيه وخان باقي جاويش واقفه الحاج عبيد الله ابن الحاج أحمد ابن الحاج إبراهيم غنام سنة ١١٦٠ شرط أن تقسم غلة وقفه ثلاثة أقسام قسم لنفسه ولعقبه من بعده وقسمان لمؤذن الجامع الكبير وعشرة قراء تجاه حضرة زكريا عليه السلام، وخان دار كوره كان مما وقفه

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ١٧٨/٢

الحاج زين الدين ابن الحاج رجب ابن الخواجه الكبير الحاج جمال الدين عبد الله الخواجكي ووقف معه قاسارية تحت القلعة قبلي أقميم حمام الناصري (حمام اللبابيدية) وشرط فيه أن يفرق عشرة دراهم فضية على مؤذن في جامع الخواجكي خاصبك بانقوسا كل شهر وذلك في سنة ٨٧٧ وخان الصوفي تجاه خان دار كوره وكان مما وقفه أحمد ابن الزيني عمر المرداسي سنة ٨٦٦ وكل هذه **الخانات** عامرة بالتجار والتجارة كل خان منها يضاهي محلة وفي هذه المحلة قاسارية قرب خان أبرك كانت مما وقفته فاطمة بنت قاضي القضاة عفيف الدين محمد ابن القاضي علاء الدين سنة ٩٦٦ وفيها مداران، وفرن، وقهوتان.

تنبيه: في هذه المحلة كان قصر مرتضى الدولة وهو أبو نصر بن لؤلؤ أحد موالي بني حمدان وقد تداعى هذا القصر للخراب وبني مكانه دور خربت ثم آلت لعلم الدين قيصر الظاهري فهدمها وبنى فيها قيسارية وصهاريج للزيت وحوانيت انتقلت إلى ورثته ثم انتقل بعضها إلى ملك بدر الدين الخازندار الظاهري سنة ٦٧٢ ولم يبق من آثار هذا القصر سوى بستان صغير يعرف في زماننا بجنينة شمس لؤلؤ جارية في وقف بني السفاح. والأسر الشهيرة في هذه المحلة هي أسرة بني غنام ووجيهها السيد عبد الرحمن وأسرة آل طلس والدور العظام فيها دور بني البيلوني ودور بني غنام.." (١)

"تنبيه: لفقراء هذه المحلة وقف وقفه كور وزير المتوفى سنة ١١٥٥ وهو فرن جقجوقة ودار في شماليه ودار في بوابة النقلى ودكان في أواخر سوق الصابون ودكان تجاه الواساني شرقي **فندق** خان الصابون المعروف بالأوتيل وأخرى في شرقيها على جادة السوق وفي المحلة غير ذلك من الآثار الدينية والعلمية المعطلة التي استولى الناس عليها ودخلت في دورهم.

مكتب للأيتام من إنشاء الشيخ شرف الدين (عبد الرحمن العجمي) صاحب المدرسة الشرفية المتقدم ذكرها وكان محل هذا المكتب تجاه باب المدرسة والآن صار في محله دار مملوكة، وفيها بيمارستان على باب الجامع الكبير الشمالي وينسب لابن خرخاز ولما تعطل صار يجلس فيه الكحالون فعرف بدار الكحالة وهو من آثار دولة الأتراك وهو الآن محل يسكنه إمام الأحناف في الأموي ولم يبق فيه سوى ثلاث مخادع صغيرة لا يعبأ بها ومنها المدرسة الرواحية كانت مدرسة مشهورة شافعية أنشأها زكي الدين أبو القاسم هبة الله ابن عبد الواحد بن رواحة الحموي سنة ٦٢٢ وشرط أن لا يتولاها حاكم ولا متصرف وأن يكون مدرسها عالما بالخلاف العالي والنازل وقد تولاها فحول العلماء والأفاضل إلى أن انهدمت في حادثة تمرلنك ثم رممت ثم استولى عليها الناس وأدخلوها في دورهم وهي قرب المدرسة الشرفية من شماليها بينهما الطريق

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ١٧٩/٢

وكان وقفها حصة من تل عرن من عمل الجبول قدرها ١٤ فدانا وأخرى من قرية تفيحين وأخرى من قرية مشقانين وكان في قرب المدرسة الرواحية خانقاه تعرف بالشمسية جهل الآن محلها: والأسر الشهيرة في هذه المحلة أسرة آل الجمالي وأسرة الخانجي وكانتا من الأسر العلمية التجارية وأسرة آل الميسر وأسرة آل السباعي وأسرة آل الجزماتي من التجار وأسرة آل الكيالي وفيها العلماء والأدباء وأولو الوجاهة وسنتكلم على بعض هذه الأسر في مقدمة باب التراجم. اه. الكلام على هذه المحلة.." (١)

"محلة جسر السلاحف وتعرف بالوراقة (خ) عدد بيوتها ٧٠

يحدها قبلة حارة الكلاسة وشرقا حارة العقبة وشمالا حارة العينين وغربا نهر قويق عدد سكانها ٥٤٥ منهم ٢٨١ ذكرا و ٢٦٤ أنثى كلهم مسلمون وهي حارة معرضة للغرق حين طغيان نهر قويق وتمتد من باب الجنان إلى باب أنطاكية فالجهة الشرقية من هذه الجادة على ضفة النهر كلها **خانات** معدة لبيع الغلات وفيها يكون طاحون عربية والغربية الكائنة على حافة النهر أيضا تشتمل على دور وحوانيت ولا آثار في هذه المحلة سوى مسجد واحد ويلحق بها مسجد في أواسط الجادة الممتدة من باب أنطاكية إلى جسر الدباغة على يسرة المتوجه إلى الجسر وهو من آثار المرحوم محمد باشا المعروف وقفه بإبراهيم خان وسنتكلم على هذا الوقف ويعرف الآن بمسجد الدباغة له منارة مربعة الشكل مبنية بالحجارة الهرقلية معطل عن الشعائر يسكنه بعض الفقراء ومسجد في قرب جسر الدباغة على طرفه الشرقي يءرف بمسجد أولاد أبي بكر له من الأوقاف كفايته وتصلى فيه السرية وكان يعرف بمسجد الفوعي فاضل غلة وقفه مشروطة للإشراف وسبيل في سوق باب أنطاكية تجاه حمام الويوضي وحمام الويوضي هذا جار نصفه في وقف جامع الزينبية الكائن في محلة الفرافرة وتقدم الكلام عليه قيل إن هذه المحلة كان فيها عدد كبير من المعامل التي تصنع الورق الذي كان لا يضاهيه في جودته ما يعمل منه في غير حلب كما يدل على ذلك وجود كتب مخطوطة قديمة اطلعنا عليها في بعض المكتبات الحلبية القديمة ولأجل هذا سميت هذه المحلة باسمها الحالي.." (٢)

"محلة العينين (خ) عدد بيوتها٢ G 05

يحدها قبلة بستان الكشيفي وشرقا نهر قويق وتمامه البساتين وشمالا نهر قويق وغربا حارة القوانصه ويقال أن العينين محرفة عن العنين وقيل عن عينين من الماء كانتا في هذه المحلة، عدد سكانها:

الذكور/ الإناث/ المجموع/ الأقوام ٧٥٦/٨٠٨/١٥٦٤/المسلمون ٨/٢/٦/الروم الكاثوليك

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٢٠٧

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٢٣٠

٤٩/٥٠/٩٩/الروم ٤/١/٥/الموازنة ٨١٢/٧٦٤/١٦٧٦/المجموع

آثارها

جامع الشيخ طوغان على الجادة ومسجد الشيخ إسكندر والمسجد الجديد قربه ومسجد على رأس باب الجنان على يسرة الداخل إلى البلدة وهو زاوية للقادرية تنسب إلى الأمير جلبان أنشأها في حدود ٧٧٠ وقسطل زعيبان في سوق هذه المحلة ولكل أثر منها من الأوقاف ما يقوم بضرورياته وحمام طوغان قرب جسر باب الجنان وكان وقفا على جامع المهمندار وعدة **خانات** معدة لربط الدواب وبيع الخضر والبقول ومال القبان ويلحق بهذه المحلة تكية الطريقة المولوية المعروفة باسم مولى خان نسبة إلى عظيم أساتذتها مولانا جلال الدين الرومي صاحب كتاب المثنوي ابن بهاء الدين البلخي الصديقي النسب وهو ابن أخت السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه الذي ورد ذكره في كلامنا على أسباب قيام جنكز خان على الإسلام.." (١)

"محلة ابن يعقوب (خ) عدد بيوتها ١٦٧

ويقال لها حارة الصغار تسمية لها باسم أحد أزقتها. حدها قبلة سوق بانقوسا وشرقا القوزلية وشمالا برية إعرابي وغربا الشميصاتية: عدد نفوسها ذكورا ٥٤١ وإناثا ٥٦٣ جملتهم ١١٠٤ كلهم مسلمون.

آثارها

مسجد الحمداوي في سوق بانقوسا في الصف الموجه شمالا، ومسجد الطبقة في سوق بانقوسا تجاه زقاق الصغار، وجامع المصلى في ورشة الفعول في السوق المذكور، ومسجد في طليعة اعرابي وآخر في زقاق الصغار، وقسطل الجاويش في بانقوسا ينزل إليه بخمس وثلاثين درجة مكتوب عليه (أنشأ هذا السبيل المبارك العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى حمزة الجعفري في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق ناصر أمير المؤمنين سنة ٧٩٢) وفي غربي جامع المصلى إلى شماليه سبيل رقبان ومكتب فوقه وقفهما الحاج حسن بن الحاج حسن بن رقبان سنة ٩٨١ ووقف لهما جميع الحمام المعروف به الكائن قرب سبيله وجميع الدكاكين الثمان المتلاصقات في المحلة وثمانية مخازن راكبة على الدكاكين كل يوم ستة أجزاء بعد صلاة الفجر ستة قراء يدفع لهم في الشهر مائة وثمانون قطعة فضية ولعشرين من أيتام الفقراء مائتا قطعة ولمربي الأيتام في مكتبه ستون ولبوابه ثلاثون وللمتولي وللجابي ستون ولأحكار الوقف عشرون وما فضل بعد ذلك يشتري بنصفه خبز جيد يفرق على الأيتام والنصف الآخر يدفع للفقراء من ذريته وعتقائه

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٢٣٤

وشرط التولية بعده لأعقابه وبانقراضهم فلقاضي حلب. اه. وفي هذه المحلة الحمام المذكور وثلاث **خانات** لبيع الغلات ومدار واحد وثلاثة أفران.." [1]

"فيهما شطرة التاريخ (أنشأ المسجد في شهر رجب) وهو مسجد متسع مشتمل على قبلية وحجرة تقام فيه الصلوات الخمس وبقية الكلام عليه في ترجمة صاحبه.

بقية آثار هذه المحلة

يوجد قبلي هذه المحلة قبة على قارعة الطريق فيها دفين يسمونه الشيخ محمد الضوضو يعتقد به أهل المحلة ويروون فيه كرامات وينذرون له الزيت، وفي شمالي برية المسلخ قبر يسمونه قبر الترمذي يزعم بعضهم أنه الترمذي المحدث الشهير وبعضهم يقول إنه الترمذي الحكيم. والصحيح أنه لا هذا ولا هذا لأن تاريخ وفاته المفهوم من قبره متأخر عن وفاة الاثنين.

وأهل المحبة يعتقدون به وينذرون له الزيت. والمشهور عندهم أن الخيول وغيرها من الدواب إذا اعتراها مرض المغص المعروف بالمغلة وطيف بها حول هذا القبر سبعة أشواط برأت من مرضها. وفي سنة ١٢٩٩ عمر حوله دائر له باب على القبلة وفي هذه المحلة مدار واحد، وفرن واحد، وثلاث **خانات** أحدها لبيع الفوا كه والسمن والصوف ومال القبان والآخران لنزل القوافل والمسافرين، وفيها ستة بيوت قهاوي واحد في سوق المحلة والخمسة في برية المسلخ ومما يلحق بهذه المحلة مشهد في شرقي صحرائها في بساتين الفستق بين حلب والنيرب يقال له قرنبيا قال بعضهم كان يعرف قديما بمقر الأنبياء فحرفته العامة وسبب بناء هذا المشهد أن شيخا من أهل منبج رأى في حلمه عدة مرار كان علي ابن أبي طالب مر يصلي فيه وأنه قال له قل لقسيم الدولة يبني على هذه الربوة مشهدا فقال الشيخ لعلي ما علامة ذلك قال أن تكشف الأرض فتظهر أنها مفروشة بالرخام المفصص وفيها محراب وقبر على جانبه فيه بعض ولدى فقص الشيخ ذلك على قسيم الدولة فكشف الأرض ورأى الأمارات فبنى على تلك الربوة مشهدا ووقف عليه وقفا وحكى غير أن النبي صلى الله عليه وسلم رؤي يصلي فيه مع جماعة من الأنبياء. أقول لا أدري ما وجه تسمية هذه الربوة بمقر الأنبياء إذ لم نعلم أن نبيين أو أكثر استقروا به إلا أن يكون ذلك أخذا من الرؤيا في الرواية الأخيرة.

ولعل كلمة قرنبيا محرفة عن قرنبى بوزن فعنلى وهي دويبة قدر الجعل إذا لمست انكمشت على نفسها

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٢٥٦

وصارت شبه حمصة وعلى كل حال فإن موضع هذا المشهد مفرح نزه له مناظر جميلة يقصده الناس في فصل الربيع لحسن مناظره وكثرة أزهاره وتغريد أطياره.." (١)

"غربي الزقاق المنسوب إليه، سبيل العطار صهريج عليه بناء في رأس بوابة القرباط تجاه حمام برسين أنشأه أحمد بن حسن العطار وشرط له الكفاية وجزءا من القرآن في كل يوم في وقف محمد بن محمد ابن الحاج مصطفى والحاج يوسف آغا ابن الحاج مصطفى آغا ابن يوسف أفندي عربي كاتبي وهو خمس دكاكين متلاصقات في الصف الشرقي في سوق سويقة علي وقفاه بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٠٤ وشرطا فيه قراء ولإمام العثمانية قروش معلومة في وقف المرأة الحاجة فاطمة بنت شريف آغا القرنة الموقوف سنة ١٣٠٦ وفي هذه المحلة مداران وثلاثة أفران وأربعة **خانات** اثنان معاطن للإبل واثنان للغلات والخان الكائن في زقاق القرباط أنشأه المرحوم محمد أسعد باشا ابن (علي بن سعيد الجابري) وأوصى أن يكون بعضه وقفا على مدرسته التي أنشأها في مسجد الدليواتي في محلة الفرافرة المتقدم ذكرها وحمام برسين وقهوة شعبان في سوق باب النيرب.

تنبيه: الأسر الشهيرة في هذه المحلة هي بيت أبي الكنج ووجيهها حماده بن كنجو وهو صاحب منزل وكان جده الصعب مقوم الحاج ومن هذه الأسر بيت الصعب ووجيهها خيرو بن محمد الصعب وفيها بيت الحواضرة وأصلهم من قرية الحاضر ووجيهها الآن فارس ابن الحاج ناجي معروف بالسخاء وقرى الضيوف وفيها بيت التلاليني ووجيهها الحاج يوسف ابن الحاج حمدو سخي شهير في محله. ومن وجهاء المحلة عبد الفتاح البيطار وبيت بري ووجيهه فارس بن حمود بري.

يلحق بهذه المحلة مقبرة الشيخ جاكير وهي أعظم مقبرة في حلب تتصل بمقبرة السفيري لا تقل مساحتها عن ثلاثة كيلومتر مربع.

حارة كتان (خ)

قبلة بساتين الفستق وغربا حارة السخانة وشمالا بادنجك ومحمد بك وشرقا البرية عدد دورها ٤٦ ونفوسها ذكورا ١٧٣ وإناثا ١٩٥ فالمجموع ٣٦٨ نسمة كلهم مسلمون.

فيها مسجد واحد يبلغ صحنه خمسة عشر ع في مثلها تقريبا في وسطه حوض يجري إليه ماء القناة من فائض حوض جامع بادنجك وفي جنوبيه قبلية بنسبة صحنه.." (٢)

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٢٧٢

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٢٧٨

"حافل عظيم يبلغ طول قبليته سبعين ذراعا في عرض بضعة وعشرين ذراعا قد انفرد بعدة محاسن لم أرها في غيره منها الأعمدة التي بنى سقف قبليته عليها إذ لا نظير لها في الغلظ والطول ومنها محرابه الذي يستغرق المحاسن ببداعة حجره وصناعته ومنها رقاع من الفسيفساء في أعلى جبهة محرابه تراها لإتقانها وحسن صناعتها كأنما بنيت من عهد قريب ومنها منبره الذي بني كله من الحجر المرمر على أجمل طرز وأبدع شكل ومنها جهة جداره الغربي مما يلي الجادة فأنه قد اشتمل على بابه الأول وعدة شبابيك قد حف بها من صنعة البناء والنقوش ما يدهش النظر وفي شمالي هذه الجهة تكون منارته العظيمة ذات الموقفين غير أن أعلاهما لا يستعمل للتأذين لإنهدام مكبسه وخلوه عن الدربزين. ويوجد لهذا الجامع باب آخر في جهته الشمالية موجه شمالا.

وفي غربي هذا الباب داخل الصحن تربة الواقف آق بغا وفيها قبره وقبر آخر توفى صاحبه في السنة التي توفى بها آق بغا وهي سنة ٨٠٦ وهذا الجامع الآن قد انهدمت قبليته وسرقت حجارته وتداعى كله للخراب وله من الأوقاف ما يبلغ ريعه سنويا عشرين ذهبا عثمانيا وكان شرط له محب الدين بن محمد الشحنة في كتاب وقفه المؤرخ سنة ٨٥٤ مؤذنا وشرط في هذا الكتاب عدة خيرات لتربته التي شرع بعمارتها قرب الأنصاري وللمدرسة التي سينشئها قرب داره وللسبيل الذي سينشئه برأس الدرب تجاه القلعة وكانت داره في شمالي المدرسة السلطانية وأكثر وقف هذا الجامع في هذا الخراب حوالي السلطانية وهو دور وحمام وخانات ومن جملة ما كان قرب جامع الأطروشي سوق البادستان وكان هناك معظم أوقاف الحاج أمير يونس ابن الأمير أحمد الناصري ابن الأمير محمد الحطب. وله في غير هذا الموضع أوقاف منها قاسارية في محلة المرعشي في جنوبي الخندق وشرط أن يفرق ثلث ربع هذا الوقف على جامع المهمندار وتاريخ كتاب وقفه هذا سنة ١١٠٥ وكان يوجد قرب جامع الأطروشي زاوية تغري ويرمش كافل حلب تمت سنة ٨٤١. مكتوب على باب جامع الأطروش الموجه شمالا (عمر هذا الجامع المبرور ابتغاء لوجه الله تعالى المقر الأشرف العالي المولوي العالمي العادلي المخدومي الكافلي السيفي دمرداش الناصري مولانا ملك الأمراء كافل المملكتين الشريفيتين الحلبية والطرابلسية أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره بمحمد وآله بتولي العبد الفقير إلى الله تعالى يوسف الأشرفي وكان الفراغ منه بشهر شعبان المكرم سنة ٨١٢) وفي أسفل المئذنة (أنشأه العبد الفقير إلى الله تعالى آق بغا الظاهري غفر له) ومن الحكايات." (١)

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٢٨٤

"بقية آثارها

يوجد في هذه المحلة في سوق القصيلة في غربي الصف الموجه إلى الجنوب جامع تقام فيه الجمعة والسرية له من الأوقاف كفايته، وفي أواسط حارة الأعجام مسجد ينسب إلى محلة الأعجام، وفي رأس سوق القصيلة من غربيه سبيل أبي زيد، وعلى الجادة النازلة من باب النيرب في الصف القبلي منها تجاه باب حارة البستان بميلة إلى الغرب سبيل عليه بناء في جانبه مدفن ينسب للشيخ بلال وفي قرب جامع الأطروش سبيل عليه بناء أنشأته فاطمة بنت شريف آغا القرنة سنة ١٣١٥ وقفت عليه دارا في محلة البياضة وفي جدار أشق تمر قسطل معطل من آثار صاحب الجامع وفيها حمام عاشق تحريف أشق تمر المتقدم ذكره، ومداران، وثلاثة أفران، وقهوتان، وثلاث خانات لبيع الغلات.." (١)

"الكبرى الممتدة من ساحة بزة إلى باب المقام على الصف الموجه إلى الجنوب وهو واسع الصحن في وسطه حوض كبير مساحته فوق عشر بعشر وفي شرقيه مكتب تعلم فيه الأطفال وله قبلية عظيمة ومنارة فوق بابه تقام فيه الصلوات والجمعة وأوقافه قائمة بكفايته.

سبلانها

قسطل قديم في زقاق المحبك المتقدم ذكره يهبط إليه ببضع دركات وفي جانب حوضه من غربيه صهريج كبير ينسب إلى السجان وله خيرات مشروطة في وقفه، وسبيل الحاج خليل الشربجي في زقاق بيت المعصراني قرب جامع بز في جنوبيه وسبيل ملاصق باب الجامع المذكور من غربيه مكتوب على نجفة شباكه أنه من إنشاء أهل الخير سنة ١١١٦ وتاريخه بالجمل (وماء شرابه تسنيم) وسبيل محمد آغا الجاويش الصباهي في جادة المغازلة غربي جامع بز تجاهه دكان وقف عليه ومحمد آغا المذكور من مماليك المرحوم السلطان محمد خان العثماني وكانت وفاته في حدود سنة ١٢٩٥ وعمر سبيله المذكور سنة ١٢٧٢.

يوجد في هذه المحلة ثلاث كرخانات لطبع المناديل وأربع قاساريات لحياكة الأقمشة الأولى قبالة جامع بز فيها نحو عشرين نولا وتعرف بقاسارية بيت الألجاتي والثانية ملاصقة لها من جنوبيها فيها خمسة أنوال والثالثة على الجادة في سوق المحلة وتنسب لأمين أفندي العطار وفيها أربعة أنوال والرابعة في زقاق المداراتي وفيها ثلاثة أنوال وفي المحلة فرن واحد جنوبي جامعها جار في أوقافه (غريبة) يوجد في زقاق الركبي من هذه المحلة غربي جامعها الكبير بضع عشرة دارا متلاصقة ببعضها يقال إنها كانت تنفذ إلى بعضها بأبواب

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٢٨٦

باقية آثارها إلى الآن والمشهور عند ذويها أن سبب هذا هو استيلاء الخوف في الأجيال القديمة وعدم الأمن فكان أهلها يسهرون عند بعضهم ليلا دون أن يخرجوا إلى الأزقة حذرا من أن يتعرض إليهم أحد.

تنبيه: كان يوجد في هذه المحلة غربي جنينة الفريق مسجد ينسب إلى ناصر الدين محمد بك ابن بره‌ان وتربة مطلة على المسجد من انشائه أيضا، ومن جملة أوقافه حمام بمحلة الجرن الأسود يعرف بالواقف وكان قديما يعرف بحمام الذهب وفرن بالمحلة المذكورة ودار قرب المدرسة الصاحبية والمفهوم من كتاب هذا الوقف أنه كان يوجد عند جامع الطواشي محكمة تعرف بمحكمة جبل سمعان وهذا الوقف كبير أكثره مسقفات موقوفة على المسجد." (١)

"محلة ابن نصير (خ) عدد بيوتها ٥٩

يحدها قبلة برية المسلخ التابعة حارة الضوضو وشرقا جادة جب قرمان وشمالا حارة خان السبيل وغربا خندق بالوج عدد سكانها ٢٣٧ ذكرا و ٢٨٠ أنثى جملتهم ٥١٧ نسمة كلهم مسلمون، ليس فيها من الآثار سوى مسجد ابن نصير، وسبيل جب القبة وهو بئر عليه قبة جميلة الصنعة، وفيها خمسة **خانات** للغلات وربط الدواب، ومدار واحد.

محلة الأبراج (خ) عدد بيوتها ٩٤

يحدها قبلة جب قرمان وشرقا صاجليخان الفوقاني المعروف بهارون دده وغربا خان السبيل وشمالا شاكر آغا عدد سكانها ٣٩٥ ذكرا و ٤٣٢ أنثى جملتهم ٨٢٧ نسمة كلهم مسلمون. ليس فيها من الآثار سوى مسجد الأبراج.." (٢)

"وهو في غربي المحلة ويقال أن بانيه هو خالد ابن أبي بكر ابن محمد ابن العالم المشهور بالولاية الشيخ عبس الريحاوي السرجي الصوفي الخرقة نزيل حلب وبيت الطباخ الآن ينتسبون إليه وإن قدوم خالد من سرجه إلى حلب كان في أواخر القرن التاسع وقد توطن هذه المحلة وهو أول من عمر بها وكانت قبل ذلك برية. ومن آثارها أيضا القسطل الأسود لحجرة سوداء مبنية فيه وهو قسطل قديم جدا كان موجودا قبل عمران المحلة حتى قيل أنه كان يسمى قسطل المرجه لما كان يوجد حوله من المرج المنبسط أيام كان موضع هذه المحلة برية وكان مجرى هذا القسطل مختصا به ثم حوله ألاجه بك إلى قسطله كما تقدمت الإشارة إليه.

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٢٩١

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٣١٤

وفي جانب هذا القسطل مسجد كان قبلا مصلى مكشوفا ثم عمره أهل الخير. وفي السوق الجنوبي من هذه المحلة زاوية يفتح بابها إلى الغرب تعرف بزاوية المصريين لها قبلية تعلم فيها الأطفال ولا يعلم لها وقف. وفي هذا السوق أيضا سبيل ينسب لبيت الوتار له من الأوقاف كفايته. ومما يلحق بهذه المحلة مسجد البختي وهو خارج بابها في البرية شرقي تكية بابا بيرم إلى الشمال بينهما قدر غلوة والمشهور أنه من آثار المرحوم السلطان الملك الظاهر البندقداري وكان أشرف على الخراب وكادت تنطمس معالمه إلى أن أمر بعمارته السلطان عبد الحميد خان الثاني وعمل له منبرا ومنارة وصارت تقام فيه الجمعة إلا أنه ليس له من الريع شيء معلوم وقد كتب على بابه بعد انتهاء عمارته تاريخ من نظم أخي الشيخ بشير رحمه الله:

انظر إلى آثار رحمة ربنا ... أحيا الموات وعاد بالإحسان

وإلى صنيع مليكنا الغازي الذي ... سعد الزمان به وكل مكان

فلأمة المختار جدد جامعا ... حتى تقام عبادة الرحمن

فلتغتبط إذ أرخوه بعيدها ... قد شاده الملك الحميد الثاني

والجهة التي يوجد فيها مسجد البختي كانت تسمى الرمادة وكانت محلة كبيرة كالمدينة متصلة بها وقد ذكر فيها عن ابن شداد أنها كانت تشتمل على ٣٤ مسجدا ومن آثار هذه المحلة مسجد قديم داثر في جنوبي جامع ألاجه بك يعرف بمسجد بلنكو وقيل هو مسجد بكتوت سعى بتعميره أهل الخير. وفي هذه المحلة أربعة بيوت قهاوي ومداران وثلاثة أفران وخمسة **خانات** وحمام جار بأوقاف ابن عيد. وذكر ابن الحنبلي في تاريخه در الحبب في ترجمة (عز الدين بن يوسف الكردي) أن داخل محلة آق يول حوض كبير من آثار عز الدين المذكور ومحله هو القسطل الأسود الذي تكلمنا عليه.." (١)

"الخمس وكان مشرفا على الخراب فرمه جماعة من أهل الخير وعمر فيه سنة ١٣٠١ منبر للجمعة والعيدين ورفع له منارة فوق بابه وظهر له بعض أحكار من عرصات في قربه إلا أن المنبر بقي غير مستعمل لعدم صدور إرادة سنية تأذن باستعماله. في هذا المسجد حوض ماء جار دائما يهبط إليه بأربع دركات طول المسجد ١٣ ع وعرضه ١٠ وفيه حجرة كبيرة فوق الحوض وطول قبليته ٢٥ ع وعرضها ٦ ع وفي غربي القبلية قبر الشيخ عمر المرعشي مكتوب عليه ما يفيد أن وفاة صاحبه كانت في أواخر ذي القعدة سنة ١٠٨٤ ويذكر أن هذا الحوض لما عمر سنة ١٣٠٢ خرج في حفرته حجرة مكتوب عليها ما معناه إن الذي أنشأ هذا المسجد هو الشيخ ناصر الدين المرعشلي سنة ٦٤٤ وإنه عاش ٩٥ سنة. ولما رمم

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٣٢٧

المسجد سنة ١٣٠١ استخرج من سماويه بحكم فتوى شريفه ثلاث دكاكين جعلت وقفا عليه.

بقية آثارها

سبيل قبالة باب المسجد المذكور وآخر في جانب خان أوج خان من غربيه وماء كلا السبيلين من قناة يجري ماؤها دائما يتناول باليد وفيها ثلاثة خانات للغلات منها خان أوج خان عرف بهذا الاسم لاشتماله على ثلاثة خانات تتصل ببعضها وهو خان قديم على بابه نقوش حجرية بديعة. وفيها حمام جار بناؤه في ملك بني زبيدة يعرف بحمام أوج خان ومصبنة منقوش على بابها (باسم الله تيمنا بذكره الكريم وهو حسبنا ونعم الوكيل سنة ١٢٥٠) وفيها قاسارية تجاه أوج خان تشتمل على ٥٥ نولا وبيت قهوة يعرف بقهوة البلور لها بابان أحدهما على جادة المحلة والآخر على جادة الخندق الكبرى جارية بملك ورثة السيد مصطفى غنام. وفي حضرة باب النصر من هذه المحلة سبيل كان يعرف بسبيل محرم عمارة فوقها مكتب لتعليم الأطفال هدمته البلدية سنة ١٣٣٨ توسعة للطريق. وفيها سوق لعمل النحاس يشتمل على نحو مائة دكان وهو سوق النحاسين الجديد وكان سوق النحاسين قبلا في سوق حمام النحاسين المعروف قديما بحمام الست الجاري بأوقاف جامع خسرو باشا وقد اعتاد صناع النحاس في السوق الجديد من مسلمين ونصارى حينما يشرع مؤذن مسجد المرعشلي بأذان الظهر والعصر على أن يقفوا عن العمل ويضعوا مطارقهم حتى يفرغ المؤذن احتراما لذكر الله تعالى وهي عادة حسنة.." (١)

"تنبيه: الظاهر أن الذي أنشأ هذا الجامع هو أحد هذه الأسرة بدليل ما هو مكتوب في صدر ميضأته الأصلية الخارجة عنه على بابه من شرقيه إلى الجنوب وهي ميضأة «١» عميقة يهبط إليها ببضع وعشرين درجة مكتوب في صدرها (أنشأ هذا السبيل المبارك الأجل الحاج محمد المقري المتوفي إلى رحمة الله تعالى ابن الحاج رجب والد المتوفي محمد وله من العمر تسع عشرة سنة جده أمير حاج الحريري السيواسي وذلك في تاريخ شهور سنة ٧٦٥ والحمد لله.

بقية آثار المحلة

مدفن الشيخ خليل الرام حمداني في زقاق تجاه باب مسجد الشيخ قاسم يعتقده أهل المحلة ويزورونه وينذرون له قناديل تسرج عند ضريحه ويقولون أنه من ذرية الجيلي وأن وفاته كانت في القرن التاسع وقد رم مكانه أحد المنسوبين إلى الطريق سنة ١٣٠٤ واتخذه مكانا للذكر والرقية ويقال إن الشيخ كان في حال حياته أنشأ في السوق الصغير سبيلا تهدم بعد وفاته ثم في سنة ١٣٠٢ أخرج منه أهل المحلة دكانا

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٣٤٥

يصرفون ريعها على السبيل والمزار المذكورين. في هذه المحلة ثلاثة مدر وثلاثة **خانات** لبيع الفحم والحطب أحدها جار في أملاك بني الدلال باشي والثاني جار في وقف قسطل الجيش المعروف أيضا بقسطل الجحاش وثالثها في وقف بني البيرقدار. وفيها أربعة بيوت قهاوي وقاساريتان في إحداهما ٣١ نولا وفي الثانية ٩ أنوال وفيها مصبغتان إحداهما لصبغ الحرير والأخرى كبيرة تصبغ فيها أنواع البز.." (١)

"من الأراضي حتى أصبحت الآن محلة عظيمة ذات شوارع واسعة وأبنية ضخمة قد اشتملت على عدة **خانات** وحوانيت وبيوت قهاوي وصارت تعد في الدرجة الثالثة من العمران وحسن المباني. وهي واقعة في شمالي ضاحية البلدة إلى الشرق يحدها قبلة حارة الهزازة وشرقا حارة الحميدية الآتية الذكر وشمالا الجادة الآخذة إلى جسر الصيرفي.." (٢)

"القبلية مما يلي صحن الزاوية. قد أنشأ وعمر هذه الزاوية والمسجد في داخلها أحد علماء القرن التاسع قطب العارفين الحسيب النسيب الشيخ عمر الوفائي الحسيني الشهير بالبعاج المدفون هو وابنه العالم الفاضل الشيخ محمد شمس الدين في حرمهما كما أن مرقد حفيديه الشيخ أبي الوفا والشيخ أحمد في سماويهما وتعلم ترجمة الجميع من كتاب در الحبب لابن الحنبلي وكتاب معادن الذهب للشيخ وفا العرضي وقد جددها أحد أعقاب منشئهما محمد هاشم ابن الحاج عبد الوهاب الوفائي مصادفا لذنبه تاريخ (غفرانه) سنة ١٣٣٦ أقول السيد محمد هاشم هذا هو المتولي على هذه الزاوية وعلى جامع الزكي المتقدم ذكره وهو من خيرة الرجال يحفظ القرآن الكريم بإتقان ويعتني بإعمار الجامع والزاوية المذكورين ويلازم الصلاة في أوقاتها ولا ينفك عن التمسك بذيل الأمانة والاستقامة. ومن آثار هذه المحلة. مسجد الشيخ صالح الكيلاني مكتوب على قنطرة بابه (الله عوني جابري ميسر عبد القادر) وهو معطل عن الشعائر والغالب على الظن أنه تربة. في هذه المحلة حمام القواس من وقف حسين باشا البابي وعدة مصانع لنسج الأقمشة وعدة **خانات** لنزل المسافرين وربط الدواب وبيع الأخشاب والدفوف.." (٣)

"حارة العطوي الكبير (خ) عدد بيوتها ٧٧٥٩ وعدد سكانها

الذكور/ الإناث/ المجموع/ الأقوام ١٢/٦/٦/مسلمون ٢٧٦/١٤٧/١٣٩/روم كاثوليك ١٠٥/٤٩/٥٦/أرمن كاثوليك ٣٤/١٧/١٧/روم ٧٦/٣٥/٤١/أرمن ١٢/٦/٦/لاتين

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣٥٠/٢

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣٥٨/٢

(٣) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣٦٥/٢

٧٦/٦٠/١٣٦/سريان ٣٤/٣٤/٦٨/موازنة ٣٧٥/٢٥٤/٧٢٩/المجموع حدها قبلة خندق العطوي الذي أصبح الآن من أعمر جادات حلب وأكثرها حوانيت ومخازن **وخانات** وشرقا محلة داخل باب النصر والمرعشلي وشمالا المغربلية وبيت محب وغربا الصليبة. لا آثار فيها سوى مسجد في جانبه قسطل مائلان إلى الخراب وقد رممت إدارة الأوقاف المسجد ورتبت له إماما.." (١)

"أنظار الناس إلى البناء في موضعها قربه إلى المحلة العزيزية حتى كأنهما بعد أن اتصلا ببعضها محلة واحدة. حد هذه المحلة جادة الناعورة الأخذ إلى جسر الناعورة الكائن في جنوبي بستان الشاهبندر وغربا زقاق الصفي المار في شرقي البستان المذكور والفاصل بينه وبني بستان كل آب وشمالا حارة العزيزية وجادة الجسر الجديد الآخذة إلى محطة الشام وشرقا الجادة الفاصلة بينها وبين الصليبية الآخذة إلى برج الساعة في حضرة باب الفرج. والأراضي التي قامت فيها هذه المحلة هي أراضي بستان كل آب المعروف ببستان الكلاب وأراضي التلال المتقدم ذكرها وبعض أراض تجاور هذا البستان.

أهم المباني في هذه المحلة دار (جرجي بن سمعان خياط «١») السالف الذكر وهي دار عظيمة غرف ومقاصير عليا وسفلى جميلة المناظر فخمة المباني اتخذت في إبان الحرب العامة مركزا للضباط العثمانيين ثم منزلا للضباط الإنكليز ثم ميتما للفرنسيين ثم محلا لإقامة بعض رجالهم ولها مدخلان قبلي نافذ إلى جادة الناعورة المتقدم ذكره وشمالي نافذ إلى جادة آخذة إلى أوتيل بارون «٢» الشهير. ومن الأبنية العظيمة في هذه المحلة أيضا عمارة نصري البلدي وهي عبارة عن قصر ذي خمس طبقات ومنها أوتيل عبد الله صلاحية وشريكه صائم الدهر ويعرف بأوتيل روض الفرج وأوتيل السيد حسني السباعي ويعرف بأوتيل إمريكا ويوجد في جهة بستان كل آب منها غير ذلك من **الفنادق** والمطاعم **والخانات** المستعملة لربط الدواب وحفظ العربات والسيارات وبيوت القهاوي والحانات والملاهي ومراسح التمثيل والخيالات المتحركة والمراقص وحوانيت الحدادين والنجارين الذين يعنون بصنع العربات ويصلحون السيارات وغير ذلك من الأماكن العامة التي لا توجد في غير هذه المحلة.

تنبيه: من الأسر المسيحية القديمة الشهيرة القاطنة في هذه المحلة أسرة بني سالم وهو الجد الأعلى لهذه الأسرة يقال إنه عرف في زمانه بهذه الاسم لأنه وحده سلم من فتك التتار الذين استأصلوا المسيحيين في

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣٦٩/٢

حلب. ومن الأسر المسيحية في هذه المحلة أيضا أسرة يوسف وحنا أندريا وأسرة بني المراش وبني الحجاز وبني الكداني وبني الحكيم وإليهم ينسب الخان الكائن في هذه المحلة. اه.." (١)

"يعرف منها معظم ما اشتملت عليه هذه المحلة من الأبنية الخيرية وغيرها والكتاب المذكور محرر باللغة التركية وهو مفتتح بقوله بعد البسملة: أما بعد ذكر جميلي سبق إذن وزير عاليشان إلخ: وقف مسجده المعروف في محلة الجديدة بعد أن بناه على عرصة احتكرها من أوقاف الحلوية بالوجه الشرعي ووقف في هذا المسجد على سطحه مكتبا لتربية الأطفال وعمر مجرى الماء الممتد من قسطل الحرامي الواصل إليه الماء من طريق برد بك إلى قسطل السلطان في حضرة باب الفرج (هو الآن تحت برج الساعة) وقد حول الطريق المذكور عن مجراه القديم دفعا لضرر كان يحصل منه للناس وأخذ منه الماء لعمارته وشرط له من غلة وقفه القدر اللازم لتعميره وترميمه ووقف أيضا قسطلا تحت درج المكتب المذكور وأجرى كثيرا من التعمير والترميم على خان طومان قرب حلب الذي هو من خانات السبل وأجرى إليه الماء من العين المباركة على مسافة ثلاثمائة ذراع ,وجدد فيه عدة حجرات وعمر مسجده وفرشه وجدد على بابه دكاكين وشرط لمسجده ما يلزمه من الزيت والحصر ولحوضه ما يلزمه من التعمير والترميم ووقف باتصال جامعه من جهة الشرق في محلة الجديدة بحلب سوقا يعرف بسوق النوال ودكاكين ودكان طبيب أخرى باتصاله وقاسرية تشتمل على ١٣ حجرة فوقانية وعلى ١٤ حجرة تحتانية وعلى رحبة وبئر ماء معين ووقف باتصالها محلا لبيع السمن والعسل يشتمل على أربعة مخازن عليا وسفلى وعلى جب ماء معين ودكانا مضافة إلى المحل المذكور وثلاثة عشر دكانا وجميع الخان المعروف بخان العرصة المعد لبيع الحبوب ووقف في الجهة الموجهة إلى الغرب قاسريتين مشتملتين على ٢٨ حجرة عليا وسفلى وعلى حوض سماوي وحب ماء معين ووقف مصبغة وفي جانبها دكانا وفرنا ووقف في الجهة الموجهة إلى الجنوب بيت قهوة مرفوعا سقفه على سبعة أعمدة من الرخام ولها ساحة سماوية فيها حوضان كبير وصغير لها ١٤ شباكا وقاسرية أخرى تنتهي بمسجده تشتمل على ٢٧ حجرة عليا وسفلى يشتغل فيها دولاب الحرير (دواره) وتنسج فيها الأقمشة كالمخمل والأطلس وأجرى إليها الماء من فائض مسجده ووقف ١٦ دكانا على باب القهوة والقاسرية.

هذه العمارة يحدها قبلة عمارة المرحوم بهرام باشا يفصل بينهما الطريق وشرقا الطريق النافذ المعروف بالشمالي وشمالا الساحة وغربا طريق نافذ وزقاق الكنيسة تجاه قسطل الماء والفرن ووقف في مدينة توقات

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣٩٤/٢

خانا لأبناء السبيل معروفا به وعمر حوضا معروفا به في قرية توقات من ملحقات القضاء المذكور ووقف هناك طاحونا على فقراء الحرمين.." (١)

"فيها **الخانات** والمدارس لكثرة التجار والطلاب المترددين إليها وتوفر فيها عدد المساجد والمباني الدينية وعظمت ثروة أهلها لما اتصفوا به من العلم ومعرفة التجارة والمهارة في الصنائع فأخذت تكثر فيها الأوقاف المتنوعة بين أهلي وخيري حتى كادت تكون نصف عقارات حلب وأراضيها وقفا على أنه قد فقد من أوقافها في السنين الأخيرة شيء كثير بسبب الدثور أو استيلاء الناس عليه وجعلهم إياه ملكا وأخذه بالإجارتين وتلاعب المتولين بالعقارات وجعلها في يد الأغيار كالملك المطلق بدعوى أنها في أيديهم بطريق المرصد المعروف عندنا بالرقبية «١» وكتلاعبهم أيضا بما في أيديهم من الأوقاف باستبدال عقار بآخر لمنافعهم الذاتية فيستبدلون النفيس بالخسيس والغالي بالرخيص واعلم أن الوقف المشروط للذرية من أحسن الذرائع لطول بقاء شهرة الأسرة واحترام ذراريها وطيب معاشها على شرط أن يكون ريعه منحصرا بأرشد أولاد الواقف أو بطبقة من أولاده الذكور الصلبيين الذين لم تتشعب فروعهم فإن عظماء الإنكليز لا يحصرون ثروتهم بالابن البكر إلا ابتغاء بقاء شهرة الأسرة وحفظ شرفها ولذا ترى في هذه الأمة أسرا مضى على جدها الأعلى مئات من السنين وشهرتها باقية وثروتها متوفرة ومجدها مؤثل كما أنه يوجد عندنا بعض أسر من مرتزقة الأوقاف ساعدتهم الصدف فنالوا هذه المزية وبقي شرفهم متوفرا منذ عدة قرون. فأحسن بالوقف الجاري على هذا الشرط من خير جار ومقصد معقول لولا ما ينشأ عنه في بعض الذريات شيء من الجهل والبطالة والانهماك بالملذات وما يحدث بسببه بين الأقارب من النزاع والشقاق وتفرق الكلمة واستحكام عرى النفور والبغضاء. والأمر الغريب أن كثيرا من الوقوف عندنا اشترط واقفوها أن تكون غلتها مطلقة يتناولها كل من يوجد من ذرية الواقف ذكرا كان أم أنثى سواء كان من أبناء الذكور أم من أبناء الإناث. وبعد أن مضى على ابتداء هكذا أوقاف نحو مائتي سنة مثلا كثرت ذرية الواقف وتشعبت وبلغ عددها على المنوال المذكور زهاء ثلاثة آلاف نسمة فصار يلحق كل واحد من هؤلاء المستحقين من ريع الوقف بضعة قروش في السنة ولصعوبة جمعهم وتوزيع كل حق على مستحقه أو لعدم سؤال المستحق عن حقه إما لجهله به أو لعلمه بأن حقه لا يجديه نفعا ولا يسد له عوزا يستأثر المتولي بجميع الريع ويدلي ببعضه إلى المرتشين ويصرف باقيه في شهواته وهوى نفسه وشيطانه." (٢)

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤٠٢/٢

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤١٣/٢

"الموضوع الصفحة

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٥٠٤

"الموضوع الصفحة

"الموضوع الصفحة

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٥٠٥

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٥٠٦

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٥٠٧

المسجد العمري، المحكمة الشرعية ١٥٥

مسجد غنام وسبيله، وبقية سبلان هذه المحلة وغيرها من الآثار، دار الجانبلاط ١٥٦

محلة المصابن ١٥٨

الزاوية الصالحية ١٥٨

مسجد الشربجي، مسجد قسطل الحجارين، مسجد النحويين، مسجد بوابة المصابن، المدرسة الشاذلية، مسجد الشيخ بدران، مكتب الأيتام وغيره ١٥٩

قسطل الحجارين، سبيل العداس، سبيل الأميري، سبيل يلبغا وقسطل أبي الدرجين والحمام الجديد، جادتان في هذه المحلة، أسر هذه المحلة ١٦٠

محلة بحسيتا ١٦١

مسجد سيتا ١٦١

الجامع العمري ١٦٢

المدرسة القرموطية، مسجد القرمانية، مسجد القطان، مسجد الشماع قسطل رجب باشا، قسطل السلطان ١٦٣

جنينة التوينة، برج الساعة، كنيس اليهود ١٦٤

أسر هذه المحلة ١٦٦

محلة جب أسد الله ١٦٧

المدرسة الحلاوية ١٦٧

الكلام على تشخيصها في الحالة الحاضرة ١٧٠

أوقافها ١٧٣

بقية آثار هذه المحلة ١٧٦

حمام البيلوني المعروف بحمام موغان ١٧٦

جامع بش قبة، الجامع العمري ١٧٧

الجاولية، بقية آثار هذه المحلة **وخاناتها** ١٧٨." [١]

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢/٥٠٨

"مؤرخو الأتراك أن الملوك من الأغوزيين والسلاجقة والعثمانيين منسوبون إلى **خانات** الميمنة: الأغوزيون من أعقاب طاغ خان، والسلاجقة من أعقاب دكز خان، والعثمانيون من أولاد كوك خان. وكان الأغوزيون قبل الإسلام يحاربون الأكاسرة، وبعده صاروا يحاربون خلفاء المسلمين إلى أن دانوا بدين الإسلام.

السلاجقة

الدولة السلجوقية تنسب إلى سلجوق بن تقاق، أي القوس الجديد. وكان تقاق شهما عاقلا، وكان مقدم الأتراك الأوغوز عند ملك الترك بيغو، وقد أراد الملك أن يسير إلى بلاد الإسلام ليوقع بها فنهاه تقاق ووبخه وشج رأسه ثم اصطلح معه. وولد له سلجوق، ولما كبر قدمه ملك الترك لنجابته، ثم سعت به امرأة الملك إلى زوجها فخافه سلجوق وسار بجماعته ومن أطاعه من الجند من ديار الحرب إلى دار الإسلام فأسلموا جميعا واستمروا على غزو كفار الترك. وتوفي سلجوق عن ١٠٧ سنين من عمره وترك من الأولاد: أرسلان وميكائيل وموسى. ومن هؤلاء الأولاد وأعقابهم نشأت الدولة السلجوقية التي عم حكمها المملكة العباسية سوى قليل منها وامتد حكمها في العالم الإسلامي من حدود الصين إلى آخر حدود الشام مدة ٢٧٠ سنة وذلك من سنة ٤١٩ إلى سنة ٦٩٩ وقد تفرع منها فروع، بعضها من أصل آل سلجوق: وهي الفروع التي حكمت في كرمان وحلب ودمشق وبقية بلاد الشام والعراق وكردستان وآسيا الصغرى المعروفة بالأناضول وهي أطول الفروع عمرا. وبعضها متفرع عنها من مماليكها ووزرائها وهي عشرون فرعا أشهرها: الفرع الزنكي الذي منه نور الدين محمود زنكي، والأرتقية حكام ماردين وديار بكر، والخوارزمية حكام خوارزم. وقد امتد حكم هذا الفرع من سنة ٤٩٨ إلى ٧٠٣ ثم دخلت في حوزة العثمانيين وغيرهم.

جنكز خان

قال في كتاب تلفيق الأخبار وغيره ما خلاصته: لما مات كون خان بن أغوز خان خلفه أخوه آي خان. ثم خلف هذا يلدز خان أحد أحفاد أوغوز خان، ثم ولده نيكز خان، ثم ولده منكلي خان. ولما أسن هذا فوض أمر السلطنة إلى ولده إيل خان. جميع." (١)

"أن بزغت في ذلك الوقت شمس الدولة العثمانية على العالم الإسلامي فوقفت تيار غلبة الروس عليه من جهة القفقاس، واستولت على كثير من بلاد **خانات** القريم المسلمين الذين هم من بقايا أعقاب جنكز خان.

ومن الملوك الجنكزية أو كداي خاقان بن جنكز خان جلس على سرير السلطنة في القريم سنة ٦٢٦ وكان

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/١١٠

ملكا عادلا محبا للمسلمين، ولكنه كان كآبائه غير متدين. وفي أيام سلطنته وسلطنة من بعده من أولاد جنكز خان- مثل منكو خان وقبلاي خاقان- انتشر الإسلام في ممالك الصين قاطبة، ودامت قطعة الصين في تصرفهم إلى سنة ٧٦٩ والجوامع الموجودة الآن في بيكين وغيرها من دواخل الصين بنيت في عصر أولئك الخواقين «١» وطائفة «دونكان» المسلمين من أهل الصين هم من الذين أسلموا في تلك المدة على أن معظم أهل الأصقاع التركية في القريم وغيرها ما زالوا من ذرية جنكز خان وأتباع أولاده وأعقابه وهم القزاق والتتار وبقية أصناف الترك الذين لم يزالوا على جانب عظيم من التمسك بالدين رغما عما تنصبه لهم روسيا من الغوائل والعراقل.

وخلاصة الكلام أن الإسلام بواسطة الخواقين الجنكزية قد امتد من الصين إلى بلاد الغرب وأنهم قد خدموا الإسلام خدمات يحق لها كل مدح وثناء ويجدر بها أن تكون كفارة عما صدر من جدهم الأعلى جنكز خان وهلاكو ابن ابنه في حق المسلمين مما هو محتم مقدور، وفي الكتاب محرر مسطور.

شجاعة الأتراك

اتفقت كلمة الباحثين في طبقات الأمم- وما يخص كل أمة من النعوت والطباع- على أن الأتراك موصوفون من قديم الزمان بالشجاعة والبطولة والفروسية ومعاناة الحروب ومعالجة آلاتها والصبر على ركوب الخيل والحذق بالرمي، وغير ذلك من الأمور التي يرافقها الظفر والغلبة على العدو مما لا يوجد إلا في الجندي التركي.

ونحن نأتي هنا بخلاصة في ذلك من رسالة للجاحظ، وكتاب تلفيق الأخبار، وغيرهما فنقول:." [1]

"قراسنقر ومهنا يطيب خاطرهما، فلم يرجعا عن إصرارهما. فجرد إليهما عسكرا فخاما عن لقائه إلى جهة الفرات، وبقي العسكر بحلب والحاكم عليها المشدون والنظار «١» وليس لها نائب.

وفي سنة ٧١٢ في العشر الأول من ربيع الأول وصل نائب السلطان إلى حلب وهو سيف الدين سودي الجمداري الأشرفي الناصري عوضا عن قراسنقر المذكور، وفيها قويت أخبار التتر وجفل أهل حلب وبلادها. وكان وصل إلى حلب- لمدافعتهم- الملك المؤيد أبو الفداء مع عساكره وعسكر دمشق، ثم وصل التتر إلى بلاد سيس والفرات.

فعندها رحل الأمير سيف الدين سودي مع العساكر إلى حماة ودخلها يوم السبت سابع رمضان وأقام بظاهر حماة ونزل بعض العسكر في **الخانات**. وكان البرد شديدا والجفال قد ملؤوا البلد، وكان التتر نازلين على

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ١١٨/٣

الرحبة مجدين في حصارها. فلما طال حصارهم لها وقع بهم الغلاء ورحلوا عنها في السادس والعشرين رمضان، واستولى أهل الرحبة على آلات حصارهم، وعاد سودي نائب حلب بمن معه من العساكر الحلبية. وفي هذه السنة سعى سيف الدين سودي بجر ماء من نهر الساجور إلى نهر حلب، ففتح له مجرى أنفق عليه نحو ثمانمائة ألف درهم، نصفها من ماله والنصف الآخر من بيت المال. وقبل أن يتم العمل قيل له إن من يسعى بجر ماء من الساجور إلى قويق يموت بغتة، فترك العمل وذهب ما صرفه سدى.

وفي سنة ٧١٣ خرجت معرة النعمان من معاملات حماة وأضيفت إلى معاملات حلب.

وفي رجب سنة ٧١٤ توفي الأمير سيف الدين سودي نائب حلب، وكان مشكور السيرة وولي السلطان مكانه الأمير علاء الدين ألطونبغا الحاجب، فوصل إلى حلب في أوائل شعبان. وقد انتفعت حلب بهذا النائب وعمر جامعه بالميدان الأسود ونقل إليه أعمدة عظيمة من قورس. وعمرت بسبب هذا الجامع أماكن كثيرة وقد سبق الكلام عليه في محلة ألطونبغا في الجزء الثاني. وفي سنة ٧١٥ في شعبان سار شطر جيش حلب لحصار قلعة عرقينة- من أعمال آمد- فتسلموها بالأمان بلا كلفة وقتلوا بها طائفة وسلخ أخو مندوه وعلق على القلعة. وأغار العسكر على قرى الأرمن والأكراد ورجعوا سالمين.." (١)

"أيام صار يقبل عليه أعيان البلاد الحلبية ويدخلون في طاعته. ثم شرع بتنظيم أمور حلب وبلادها، وعين لها متسلما أحمد أفندي ابن عبد القادر أفندي حسبي زاده، ثم غضب عليه وضربه بالسياط فمات بعد يومين. وكان متسلما حلب- قبل دخول إبراهيم باشا- إبراهيم آغا سياف زاده، وعين في مكان حسبي زاده عبد الله بك البابنسي. وفي سنة ١٢٤٩ رأى الحلبيون صرامته في أحكامه وشدته في انتقامه وعقوبته وشاهدوا ما يعامل به العسكري من الإهانة والشتم واللعن، فعزموا على مناضلته. واجتمع من زعمائهم جم غفير، منهم عيسى آغا وبكور آغا كعدان وأحمد بن هاشم ومحمد آغا حطب- وهم من بقايا زعماء اليكجرية- وعقدوا بينهم اتفاقا وكتبوا به ميثاقا ختموه، سوى قليل منهم. فاتصل الخبر بإبراهيم باشا بواسطة محمد آغا حطب، فقتل بعضهم ونفى الباقين وأمر بجمع السلاح من البلد، فجمع منه ما لا يحصى، وارتفع سعره حتى بيعت نصلة بندقية بثلاثمائة قرش. وفي هذه السنة أمر أيضا بجمع العسكر فثقل هذا الأمر على الناس لعدم اعتيادهم عليه وهرب منهم خلق كثير وتشتتوا في البراري، ومنهم من مات تحت المطر والجليد وأكلتهم الوحوش، وكانت تكبس البيوت ويؤخذ منها العسكر دون مراعاة شريف أو وضيع، حتى إن الأولاد الصغار كانوا يؤخذون ويدخلون المكتب ويكسون بملابس الجندية.

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ١٤٣/٣

وفي سنة ١٢٥٠ صار الشروع بتعمير الرباط الكبير المعروف بالشيخ يبرق، الذي أسلفنا الكلام عليه في محلة الشميصاتية من الجزء الثاني، ورباط آخر في نواحي الكلاسة شرقي مشهد الشيخ محسن، وغير ذلك من المباني. وكانت الفعلة والنجارون والمجصصون يقادون للعمل في هذه المحلات بالسلاسل ويساقون بالضرب والشتم، ويدفع لهم قليل من الأجرة، ومنهم من لا يعطى شيئا. وكان أكثر أنقاض هذه الأبنية وحجارتها من المساجد القديمة والجوامع المهجورة **والخانات** المهملة. وفي ابتداء رمضان سنة ١٢٥٣ تجدد طلب العسكر واشتد التفتيش عليهم، حتى صارت النساء يحبسن في بيوت القهوة ويضربن الضرب المبرح ليقررن عن رجالهن. فجمع مقدار وافر وبقي بعض أفراد لم يشددوا في طلبهم رعاية لرمضان. ثم في أول يوم من عيد الفطر صدرت الأوامر بإتمام جمع من بقي من العسكر، فذاقت الناس أمر من الصاب، وانقلب عيدهم مأتما. ثم في ثالث يوم من شوال ورد العفو عن بقية الأشخاص المرتبة على البلد. وفي اليوم الثامن عشر من شوال." (١)

"هاتين البدعتين. فأجابهم بأن هذا مما أمرت به الدولة ولا قدرة لي على رده. فقالوا:
إذا نحن نحارب الدولة ونجبرها على إبطالهما. فقال لهم: أنتم قوم فجار، اذهبوا عني حيث شئتم. وكان قد انضم إليهم أتباعه وأحزابه فقالوا له: نريد أن نقصد النصارى ونطلب منهم مالا نشتري به ذخيرة لأن النصارى يشاركوننا بالاستفادة من نتيجة قيامنا، فتسقط عنهم أيضا ضريبة الأملاك وغيرها من الضرائب التي تصمم الدولة على طرحها. فقال لهم: أنتم قوم أشرار اذهبوا عني حيث شئتم. فتوجهوا إلى جهة محلات النصارى وقد كثر جمعهم وانضم إليهم البدوي والقروي وعلت ضوضاؤهم وهم يضربون طبولهم وينشدون زجلاتهم ويرفعون أصواتهم بقولهم: (عسكر ما نعطي فردي ما نعطي) .
ولما وصلوا إلى محلة الألماجي والماوردي قصدوا بطريرك طائفة الروم مكسيموس مظلوم وأرادوا القبض عليه لأنه كان منذ أيام إبراهيم باشا المصري وما بعدها يدور أحيانا بشوارع حلب وهو راكب بأبهة زائدة وموكب حافل، يتلقى المسلمون منه ذلك كإرغام لهم وتعال عليهم، فكانوا ينقمون عليه هذا الصنيع ويحملونه منه على قصد إهانتهم. ولما أحس بقدوم الثائرين على محلته هرب منها إلى خان العلبية واختبأ عند بيت الركوبلي، ثم سافر من غده.
أما الثوار فقد أخذوا بإطلاق الرصاص وتكسير الأبواب والنهب في محلة الألماجي والماوردي إلى قرب طلوع الشمس ثم توجهوا إلى محلة الصليبية، وكان عبد الله بك قد أرسل إلى أكابرها يطلب منهم ألف

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٢٧٨

ذهب عثماني بشرط ألا يتعرض لهم أحد بسوء. فلم يجيبوه على طلبه وقالوا: إن أصابنا ضرر طلبنا تعويضه من الحكومة فعلام ندفع للثوار ألف ذهب؟

وحينئذ دخل الثوار إلى محلة الصليبة وشرعوا بتحطيم الأبواب والنهب، وكان أكثر أغنيائها قد تركوا بيوتهم وتحصنوا **بالخانات** مع عيالهم، ومنهم من أخذه لبيته بعض معارفه من المسلمين وحماه عنده، ومنهم من دعا إلى بيته بعض أصحابه من المسلمين ليحامي عنه، فسلمت بذلك بيوت كثيرة وسلم من كيد الثوار عدة جهات كحارة المحبي والشرعسوس، لأن بعض سكانها كانوا من وجهاء المسلمين فدافعوا عن جيرانهم النصارى فلم يصب أحد منهم بسوء.

لم يزل النهب مستمرا ومتعاطوه في كثرة وازدياد حتى انضم إليهم الفلاح والبدوي ورعاع الناس من أهل حلب، وكان يتقدم الثائرين طبل لتجميع الناس إليهم فكانوا كلما مروا على رجل ولم يتبعهم أوسعوه ضربا وسبا. وأخبرني بعض تلامذة والدي أن والدي." (١)

"زلزلة أنطاكية:

في آذار الرومي هذه السنة (١٢٨٧) في ضحوة يوم من أيامه زلزلت حلب زلزلة قوية بحيث أيقظت من كان نائما وسقط بها بعض شرفات من سور القلعة وعدة جدران متوهنة.

ولم يمض غير بضع ساعات حتى ورد من أنطاكية للوالي تلغراف يفيد أنه في الوقت المذكور حدث هناك زلزال قوي أتى على جميع أبنية أنطاكية، بحيث لم يبق منها إلا القليل النادر، فانهدمت البيوت والجوامع **والخانات** وبعض الحمامات، ومات تحت الردم خلق كثير، والأحياء كلهم خرجوا على وجوههم إلى الصحراء ليس عندهم قوت ولا خيمة يأوون إليها مسلمين أنفسهم لحر الشمس وبرد الليل. ثم أخذ يتوارد من التجار وغيرهم المقيمين في أنطاكية تلغرافات، مثالها ما ذكر. فشاع الخبر عند الحلبيين فضجوا واضطربوا، وخرج كثير منهم إلى البساتين والبرية، فمنهم من ضرب خياما وأقام تحتها هو وأهله وولده، ومنهم من باشر عمل بيوت من الخشب ليقيم بها كذلك. ثم بعد ليلة أو ليلتين في أواسط الليل اهتزت الأرض مرة ثانية هزة خفيفة لم يحدث منها ضرر.

وهكذا استمر الحال في كل بضع ليال تهتز هزة خفيفة دون أن يحصل منها ضرر.

وكانت في أنطاكية كلما اهتزت أضرت، حتى بقي أهلها في أسوأ حالة. وأخذت الحكومة تتدارك لهم الإعانة من القوت والخيم وأرسلت ذلك إليهم، إلى أن فرج الله عن عباده، ودخل شهر نيسان وانقطع الزلزال

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٢٨٧/٣

واطمأن الناس ورجع أكثرهم إلى منازلهم وباشر أهل أنطاكية تعمير بيوتهم. وفي سنة ١٢٨٨ ولي حلب ثريى باشا ثانية. ثم في سنة ١٢٨٩ وليها الحاج علي باشا، ثم سامح باشا. وفي سنة ١٢٩٠ وليها كورد أحمد باشا. وفي سنة ١٢٩١ وليها رشدي باشا الشرواني، الصدر الأسبق، فلم يلبث غير تسعة أيام واليا وصرف عنها إلى ولاية الحجاز، وصحبني معه إماما. وولي حلب مكانه محمد رشيد باشا ثانية وكان وليها سنة ١٢٧٥ وفي سنة ١٢٩٢ وليها سامح باشا ثانية، ثم أسعد مخلص باشا.

انقضاض صاعقة:

وفي نيسان الرومي من هذه السنة انقضت صاعقة في محلة البياضة فقطت «١» نحو." (١)

"وصواعق وبرد كبار في شمالي حلب، حتى حملت السيول وساقت عدة مواش من بساتين حلب وأراضيها وأغرقت محلة الوراقة، واختنق بها بضعة أوادم.

وفي أوائل ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ المصادف شهر تشرين الثاني سنة ١٣٠٥ ورد الأمر من النظارة الصحية بإقامة منطقة الحجر الصحي في حدود الولاية، مما يلي الموصل، لما شاع من ظهور الهيضة «١» في الموصل، فأقيمت المنطقة المذكورة في جهة الرها وحران والبيرة والرقة خمسة عشر يوما على كل مار من هناك إذا لم يكن معه تذكرة مشعرة بنظافته.

وفي هذا الشهر قدم من استانبول إلى حلب الشيخ وفا ابن الشيخ بهاء الدين ابن الشيخ «محمد وفا الرفاعي» ومعه من حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرة أعطته إياها امرأة من أكابر نساء استانبول. فتلقاه الناس بالتكريم، ووضعت الشعرة في زاوية الشيخ تراب المتصلة بجامع خسرو باشا. وفي الساعة الثامنة بعد ظهيرة يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان المعظم من هذه السنة المصادف لليوم ٢٧ آذار سنة ١٣٠٦ بدأ المطر ينهل كأفواه القرب، واستمر بهذه القوة العظيمة إلى الساعة الأولى ليلا، حتى طافت الشوارع وبعض جوامع وحمامات ودكاكين، وأغرق نحو ثلاثين حملا من الأرز والملح وغيرهما في **خانات** باب الجنان، وخسفت الأزقة، وسقط صاعقة في محلة ساحة بزة فصدعت أربعة جدران.

وفي يوم الخميس ١٢ رمضان سنة ١٣٠٧ وصل إلى حلب واليا عليها عارف باشا.

وفي صيف هذه السنة ظهر في حلب ونواحيها مرض وافد سماه الناس باسم «أبي الركب» وكان وفوده من الممالك الإفرنجية، وكانت أعراضه في حلب أن يبتدئ مع الإنسان بقشعريرة خفيفة تارة وسخونة أخرى، ثم تطبق السخونة ويلزم المريض الفراش، ويشتد معه وجع الرأس والصداع والغثيان بضعة أيام، ثم يشعر بوجع

---

(١)<نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٣٠٧

في مفاصله وفي ركبه إلى أن يمضي عليه نحو خمسة عشر يوما تقريبا، فينقه من مرضه. وفي شتاء هذه السنة أيضا انقلب هذا المرض إلى علة سماها الناس «الفولانزا» وفدت من البلاد الإفرنجية، وهي نزلة صدرية شديدة يصحبها سخونة في الجسم، تستمر نحو عشرين يوما وتنتهي بالشفاء غالبا.." (١)

"سنة ١٣١٩ هـ

وفي صفر منها فتح في حلب مكتب للصنائع، وهي النجارة والخياطة وعمل الأحذية- المعروفة بالقندرات- ونسج الأقمشة الغزلية ونسج الجوارب. والنفقات الأولية لهذا المكتب جمعت من دخل مسارح التياترو والنفقات الدائمة من إعانة وضعت على اللحم قبل بضع سنوات باسم إعانة مهاجري كريد، وقد وليت إدارته فأسست صنائعه ورتبت أموره وبقيت مديرا فيه مدة أربع سنوات. وفيها حضر إلى حلب آلة لحفر آبار شبيهة بالأرتوازية، وحضر مع الآلة أستاذان فباشرا مهنتهما في جهة من جادة الخندق- بين باب النصر والسهروردي- وعملا هناك بئرين فما مضى عليهما غير قليل من الزمن حتى تعطلا، وانصرف الأستاذان من حلب بما معهما من الآلات. على أن هذه الآبار يستخرج منها الماء بواسطة طلنبة «١» مركبة على فوهة الأنبوب الذي يخترق الأرض ويصل إلى منبع الماء.

وفي فصل الربيع من هذه السنة الموافقة سنة ١٣١٧ رومية تساقط على ولاية حلب برد كثير- لا سيما في جهات مرعش والبستان- وكان كبير الحجم، بعضه في حجم البيضة، وقد قتل عدة أوادم ومواشي «٢» ، وأفسد كثيرا من الزروع. وفيها ورد من البستان أن سبعة أشخاص أكلوا نوعا من الفطر فماتوا كلهم، واتصل الخبر بحكومة ذلك القضاء فأصدرت أمرا يقضي بمنع بيع الفطر. وفيها- في التاسع والعشرين أيار- سقط في إسكندرونة صاعقة على زاوية غرفة في الطابق العلوي من شرقي فندق فهدمت جانبا من الزاوية ودخلت الغرفة فصدمت قائمة سرير حديدي كان نائما عليه رجل فاحترقت حاشية السرير ولم يتضرر النائم بشيء من جسمه، ثم خرجت من الغرفة وصدمت قنطرة." (٢)

"وفيها- في أواخر فصل الربيع- قدم على حلب والجهات الشرقية من ولايتها جراد كثير أتى على ما في البساتين من الخضر والبقول، وأكل ما في القرى من الزروع الصيفية كالبطيخ والقطن والسمسم، ثم غرز في الجهات المذكورة، فخاف الناس ضرره في العام التالي وضن أهل الثراء من المزارعين والمحتكرين بما عندهم من الحبوب فحبسوها عن البيع، فارتفعت أسعارها ارتفاعا فاحشا، وبيع شنبل الحنطة بمائة وعشرة

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٣١٧

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٣٥٢

قروش بدل ثمانين قرشا.

وكان شمندوفر «١» حلب وحماة ينقل من حلب كل يوم إلى ثغر بيروت نحو خمسمائة شنبل، فقام فقراء الناس وغوغاؤهم واجتمعوا، وأقبلوا جماهير على دار الحكومة يطلبون منها منع تسفير الحبوب بالشمندوفر. فلم تلتفت الحكومة إلى طلبهم مستندة على قاعدة (التجارة حرة) وحينئذ اجتمع من عامة الناس جمهور عظيم.

وفي ضحوة يوم الخميس ٢٤ رجب والسابع من آب هاجوا وماجوا وتراكضوا في الأسواق والشوارع، ينهبون ما يجدونه في الدكاكين والخانات من الأموال والأقوات ويصيحون ويضجون، فأجفل الناس من أمامهم وأسرعوا لقفل حوانيتهم، ووقع الفزع في قلوبهم فتراكضوا إلى منازلهم. ونمي الخبر إلى الوالي ناظم باشا والقائد العسكري باكير باشا فأسرعا الكرة نحو باب الجنان لردع هؤلاء الغوغاء وصدهم عن خانات الحبوب الموجودة هناك، وصحبا معهما عددا كافيا من العساكر فلم يبال الدعار بذلك ظنا منهم أن الحرية تبيح لهم هذا العمل، فظلوا منهمكين بنهب الحبوب والتطاول على الناس. وحينئذ أمر القائد بعض الجنود بإطلاق الرصاص عليهم تهديدا وتخويفا، فأطلقوا عياراتهم فخافت تلك العصابة من هجوم العساكر عليهم فوقفت عن حركتها، ثم هرب بعضها وألقي القبض على آخرين وزجوا في السجن. ثم تتبعت الحكومة المنهزمين وقبضت عليهم وزجتهم في السجون، وبعد الفحص والتحقيق عنهم أطلقت البريء منهم ونفت المتعدي إلى البستان وغيرها. حتى إذا كانت أوائل شوال هذه السنة أطلقت سراحهم من المنفى.

على أن الحكومة بعد انقضاء هذه الحادثة رأت طلب الناس منع إخراج الحبوب إلى خارج الولاية صوابا، فأصدرت أمرها إلى البلدية بمنع تسفير الحبوب بالسكة الحديد، وأقامت الخفراء لمنع التسفير على محطة حلب والوضيحي، وبو الظهور، وأم ارجيم." [1]

"المسائل التي أمرت بها الشرعية «١» المحمدية بلسان القرآن العظيم، وأن مجلس المبعوثان هو عبارة عن مجلس الشورى وأن الواجب على الأمة ألا تنتخب لهذا المجلس إلا من عرف بالعلم والاستعداد والصلاح والتقوى إلخ ما قال.

افتتاح نادي جمعية الاتحاد:

وفي أواخر شعبان أيضا فتح في فندق خان قورت بك مكان سمي منتدى جمعية الاتحاد والترقي العثماني ويعرف عند الأتراك باسم (كلوب) ، يجتمع فيه أعضاء الجمعية المذكورة للمذاكرة والمفاوضة. وقد أقبل

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٣٧٠

الناس عليه يسجلون أسماءهم بدفتر الجمعية، وبعد أن يحلفوا للجمعية يمين الإخلاص تعتبرهم من حزبها. وفي يوم افتتاح هذا المنتدى حضر الوالي والقائد العسكري وجمهور من العلماء والأعيان ولفيف من كهنة الطوائف المسيحية وتليت فيه الخطب باللغة التركية والعربية، وكلها ترمي إلى غرض واحد وهو مدح المشروطية والحرية والاتحاد والعدل والمساواة.

انتهاء مرمات الجامع الكبير:

وفي رمضان من هذه السنة انتهت مرمات الجامع الكبير التي كان الشروع فيها منذ سنة، وهي تجصيص أكثر جدران الجامع داخلا وخارجا وترميم الرواق الشرقي من جهة الحجازية، وتوسيع باب الحجازية المذكورة وتوسيع شباكها وفرشها بالرخام، وتجديد رخام الرواق الشرقي والرواق القبلي، وتوسيع باب قبلية الأحناف من جهة الغرب وتوسيع باب القوافين وغير ذلك، ورفع طرابزون كان يتوسط القبليتين ويقطعهما شطرين طولا من الشرق إلى الغرب، ونقل سدة قبلية الأحناف إلى محلها الحالي، وفرش هذه القبلية بالسجاد الجديد وتنويرها بمصابيح لوكس وغير ذلك.

وقد بلغت النفقات على هذه الإصلاحات زهاء ثلاثمائة ألف قرش هي بدل أحكار معجلة عن أراض ظهرت جديدا في جهات التلل قرب محلة العزيزية وكانت قبلا غير معروفة أنها من جملة أوقاف الجامع. وكان العمدة في هذا الترميم مفتي حلب الشيخ محمد العبيسي." (١)

"الحموي. وللوالي ناظم باشا في هذا الترميم واستحصال الأرض سعي يستحق أن يذكر فيشكر.

وفي هذا الشهر أيضا ورد على حلب وفد من جمعية الاتحاد والترقي العثماني، فاحتفلت الحكومة باستقبالهم وأنزلتهم في فندق دوبارك في بستان الشاهبندر، على نفقة البلدية التي عملت لهم ضيافة حافلة حضرها الوالي والقائد العسكري وغيرهما من كبار الموظفين، وتليت الخطب وعزفت الموسيقى العسكرية، وكانت ليلة حافلة.

إبراهيم باشا ابن معمو التمو:

وفي هذا الشهر أيضا مات إبراهيم باشا ابن معمو التمو الكردي، في الموضع المعروف بتل شرابة، بين قضاء نصيبين ولواء الزور، وهو من عشيرة كردية يقال لها عشيرة الملية تبلغ زهاء أربعمائة بيت، تقيم تحت خيام الشعر في جهات «ويران شهر» من أعمال قضاء رأس العين التابعة لواء الزور. والرجل المذكور شيخها ورئيسها، وكان والده توفي في حلب في حدود سنة ١٢٩٥ ودفن في زاوية الشيخ جاكير خارج باب النيرب

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٣٧٢

فخلفه ابنه هذا في المشيخة على عشيرته، وكان يعرف إذ ذاك بإبراهيم آغا. وبعد أن صار شيخ العشيرة المذكورة اقتفى أثر آبائه وأجداده في شن الغارة على العشائر الكردية والعربية وأسرف بالنهب والسلب، خصوصا في عشيرة قره كج فإنه لم يبق لها سبدا ولا لبدا «١» .

ولما كثر تشكي هذه العشائر منه أمسكته حكومة ولاية ديار بكر ونفته إلى سوارك، فبقي فيها إلى حدود سنة ١٢٩٧ وفيها استغاث بوالي حلب جميل باشا وقدم له تقدمة جزيلة، فسعى باستقدامه إلى حلب فحضر إليها ومعه الخيول المطهمة «٢» العربية هدية خص بها الوالي المشار إليه، فشفع به عند السلطان عبد الحميد وصدر العفو عنه وعاد إلى وطنه «ويران شهر» . ولما تألفت الكتائب الحميدية من سكان البوادي مضاهاة لكتائب القوزاق في دولة روسية، جعل إبراهيم آغا مقدم مائة ثم مقدم ألف ثم أمير لواء، ومن ذلك الوقت صار يدعى إبراهيم باشا. وقد كثرت أتباعه وشيعته واستقدم إلى الآستانة لعرض كتيبته فشخص إليها مع عدد وافر من عشيرته الجند «الحميدي» البالغ حد النهاية بحسن البزة." (١)

"به وحده علاوة على رزقه من بيت المال الذي كان لا يقل عن تسعين ألف ذهب عثماني في الشهر.

ما هي الأملاك السنية والجفاتلك الهمايونية؟

لما استولت الدولة العثمانية على هذه البلاد كان العمار غالبا على برها، والزراعة سائدة في أكثر أنحائها، ثم لم تلبث غير قليل بسبب سوء إدارة حكامها إلا وأخذ العمار ينزح عنها ويحل محله الخراب حتى كاد يعم جهتي الجنوب والشرق من ولاية حلب. وكانت جهة الجزيرة في منتهى درجات العمار بحيث كانت ولاية عظيمة عاصمتها الرقة، ولما دخلت تحت استيلاء الدولة العثمانية اعتبرتها أيضا ولاية واستمرت ترسل إليها واليا يحكمها على انفرادها، إلى أن أخذ عمرانها بالانحطاط صارت تعهد بالولاية عليها إلى والي حلب وتسميه والي حلب والرقة. وما زال الخراب يشن عليها غاراته حتى ألقى فيها جرانه «١» وخلت من السكان الحضر، ولم يبق من أرضها معمورا سوى واحد في المئة وخلت مدينة الرقة من الحكومة وأصبحت عاصمة الرشيد قرية يسكن أهلها تحت مضارب الشعر مستمرة على هذه الحالة نحوا من قرن ونصف.

ولما جلس السلطان عبد المجيد خان على العرش العثماني ألفت نظره إلى جميع ما في المملكة العثمانية من القفار الواسعة والمفاوز الشاسعة، خصوصا ما كان من ذلك في الشام والجزيرة والعراق، فاعتبر السلطان هذه البراري، مواتا وعزم على إحيائها لتكون ملكا له بحكم:

«من أحيا مواتا فهي له» «٢» . فعمل لأجل هذه الغاية ديوانا خاصا جعل وظيفته السعي والاهتمام بإحياء

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣٧٣/٣

هذه الأراضي، وأمده بشيء من ماله لينفقه في هذا السبيل ودعا هذا الديوان (جفتلك همايون إداره سى) إدارة المزارع السلطانية، وفوضه أن يشتري له مسقفات وأملاكا في البلاد العثمانية. فباشر هذا الديوان وظيفته واشترى له عدة أملاك وعقارات في حلب وغيرها كالخانات والحمامات والبساتين. ومن جهة أخرى بذل الديوان اهتمامه بإحياء الأراضي واستعان على إعمارها بالولاة والأمراء العسكريين، وبعد العناء الطويل." (١)

"عليه سريرته من الخير والشر فكان لا يهمه من مكروه أوصافهم شيء ما دام أحدهم صادقا في خدمته مخلصا بولائه.

استكثاره من الجواسيس:

أكثر هذا السلطان من استخدام الجواسيس المعروفين بالخفية وجاد عليهم بالعطايا والمرتبات الوافرة، وبثهم في جميع دوائر الحكومة وأزقة استانبول وخاناتها وفنادقها وجوامعها ومدارسها. وهم على هيئات مختلفة وأزياء شتى: ما بين كاتب وخادم ومتسول ودرويش وكسيح وسائح وأبكم وأعمى. ولم يكتف ببثهم في دوائر الحكومة بل أقام منهم العدد الكبير في نفس بيوت المستخدمين مصطبغين بصبغة الخدم والحشم. بل بعض منازل المستخدمين كان لا يخلو من متجسس على المستخدم من أهله وذوي قرابته حتى صار الإنسان يحترز من زوجته وابنه وأخيه وهو في بيته فلا يجسر أن يفوه بأقل كلمة تمس حضرة السلطان لا سرا ولا علنا.

لم يرخص قط بدخول التلفون (الهاتف) إلى استانبول، ولا أن تستخدم فيها الكهرباء بجميع وظائفها منعا لسهولة التخابر بين مناوئيه ومعارضيه.

كراهيته الجمعيات، ومنعه استعمال بعض الألفاظ، وتضييقه على المؤلفات وصحف الأخبار:

ومن غرائب الأمور التي تذرع بها للحيطة على نفسه وسلطنته: كراهيته الجمعيات حتى اجتماع الأصحاب مع بعضهم للمسامرة والمؤانسة. وكان المجتمعون يحذر بعضهم بعضا خشية أن يكون بينهم من يتجسس للسلطان والأغراب من هذا أنه منع استعمال الكلمات الآتية الذكر تلفظا وكتابة وهي: (كلمة جمعية، وخان، وخونة، وعزل، وخلع) ، وما تصرف من هذه الكلمات، (ومراد، ورشاد، ويلديز) ، وغير ذلك من الألفاظ التي مفهومها التحزب والاجتماع والعزل والخلع، حتى إن هذه الكلمات هجرت «١» استعمالها

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٣٧٧

في أيامه الصحف الإخبارية، والصكوك الشرعية، والنظامية، والمؤلفات العلمية، فلا يجوز لكاتب أن يأتي بكلمة: «جمعية» ، ولا لقاض، أن يقول." [١]

"الآن فقد كاد يستحيل أن تسير القوافل إلى حلب ولو من أقرب محل إليها ولهذا عز وجود الفحم على الغني والفقير وصار من أحب الهدايا بين المتحابين وأفضل الصدقات عن المتصدقين، وكان الناس يستعملون بكثرة مواقد الكاز البترول بالطبخ ويحتالون باستعمالها للدفء بأن يرتكز عليها صفحة الحديد المعروفة بالصاج، ويضعون فيها رملا ويدفؤون عليه.

وفي هذه المدة هلك مئات من الكلاب في حلب وغيرها مما أبقته آفة التسميم التي سلطتها الحكومة عليها في الصيف الماضي، وقد هامت الوحوش والضواري على وجوهها في ضواحي حلب ومفاوزها وهجم بعضها على القصبات، وهلك وصيد ما لا يحصى من الغزلان والذئاب والضباع والنمور والثعالب والأرانب وأنواع الطيور الدواجن وغيرها، وتلف مقدار نصف مليون من غنم القنية «١» وغنم التجار المرسلة من جهات الموصل وأرضروم، ولحق تجار حلب من ذلك نحو سبعين ألف رأس، فانكشف حال كثيرين منهم و ا رتفعت أسعار اللحم والسمن خمسة وعشرين في المائة ووقفت حركة التجارة، وأقفلت أكثر حوانيت الباعة في الأسواق والخانات، وتعطل كثير من الأفران لفقد مادة الوقود وتهدم مقدار عظيم من سقائف الأسواق، بطبعه، أو هدمته الحكومة خوفا من خطره. وخرب في أنطاكية عدد غير قليل من البيوت لأن بناءها غير مستعد لتحمل أثقال الثلوج التي لا تقع هناك إلا نادرا. وجمد نهر العاصي على مقدار أربعة أذرع من جانبيه، وجمد نهر الفرات كله من بعض جهاته وتفطر في بعض مساجد حلب أعمدة صخرية مر على ركزها في محلها ستمائة سنة فلم يحصل بها خلل سوى هذه السنة.

وبهذا يستدل على أن برد هذه السنة مما لم يسبق له نظير في حلب منذ ستمائة سنة، وتكسر كثير من الحجارة المرصوفة في سفل الأبواب المعروفة باسم البرطاش وعدد غير قليل من الأدراج الحربية، وتفرقع أكثر الرخام المفروش في المنازل والمساجد، وتحطم مالا يحصى من الأواني ا لزجاجية التي يحفظ فيها بعض المائعات كالخل والأشربة الحلوة، وتخرق الكثير من الظروف النحاسية واختلت طلنبات رفع الماء وتكسر أكثرها، وصقعت." [٢]

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٣٨٨

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٤١٠

"اضطرت حكومة النمسا إلى عمل مناورة حربية إرهابا لسربيا لتكرهها على قبول مضمون الإنذار، وأطلقت جنود الحكومة النمسوية بعض كرات مدافعها على حدود سربيا تهديدا لها. وكانت حكومة سربيا قد علا صراخها استنجادا بالدول العظمى، فقامت عساكر روسيه على حكومتها وأكرهتها على تعبئة جيوشها وإشهار الحرب على ألمانيا توصلا إلى محاربة حليفتها النمسا. ثم شبت نيران تلك الحروب على الوجه الذي سنبينه.

بيان أن هذه الحرب كانت مقررة قبل هذه الحادثة:

سميت هذه الحادثة سببا ثانويا للحرب لأن العقل يستبعد أن تكون هذه الحرب- التي قامت من أجلها الدنيا وقعدت- مسببة عن تلك الحادثة الاعتيادية التي يكثر وقوع نظائرها في أوربا فلا تأبه بها. غاية ما يمكن أن يقال في هذه الجريمة أنها كانت سببا لتعجيل إعلان الحرب لا سببا لوجودها. ودليلنا على ذلك ما كنا نراه في حلب من الحركات العسكرية الدالة على الاهتمام بالتأهب والاستعداد إلى مباغتة المستقبل بأمر عظيم، فإن الضباط العسكريين كانوا قبل إعلان الحرب بأشهر يحضرون بين حين وآخر إلى **خانات** التجار ويسجلون مقادير ما عند كل تاجر من البضائع والغلات وأحيانا يأمرون التجار بالإمساك عن بيع بعض البضائع الموجودة عندهم. ثم قبل إعلان الحرب بنحو شهر أو أكثر دعت جهة العسكرية عرفاء المحلات المعروفين بالمخاترة وأعطت كل واحد منهم مغلفا مختوما على صحيفة مكتوبة، وأمرته بحفظه عنده مع بقائه مختوما، وحذرته من فتحه ووعدته بالقتل إن هو فتحه قبل أن تأمر بفتحه. فكان المختار يأخذ المغلف ويحفظه في أحرز مكان عنده.

ومن الأدلة الساطعة على أن هذه الحرب كانت مدبرة مقررة- قبل حدوث نكبة الاغتيال- قول جمال باشا في مذكراته أثناء كلامه على التحالف التركي الألماني: إن عرض ألمانيا على تركيا التحالف معها لم يكن إلا لانزعاجها لتأهبات خصومها. وقال السير روجر كيسمنت الإرلندي في كتابه الذي ألفه تحت عنوان «الجريمة التي ارتكبت ضد أوربا» : إن الخلاف الذي وقع بين السرب والنمسا لم يكن سوى شطر يسير جدا من المسألة الكبرى التي قسمت أوربا على ما نراه فيها من الأقسام المسلحة. وأكبر دليل على ذلك تقرير أرسله السير «ج بوشنان» بمناسبة الطلب الذي قدمته حكومة روسيا إلى سفير." (١)

"جديدة محدثة، وإنما هي من تتمة حرب السبعين. ولذا كنت ترى حينا بعد حين في الصحف الإخبارية والمجلات العلمية أقوال المنجمين والمتكهنين المنذرة بهذه الحرب قبل ظهورها بعدة أعوام.

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٤٢٤

هذا، وفي أوائل هذه السنة وهي سنة ١٣٣٢ بدأ بعض الناس في حلب يتحدثون سرا بأنه عما قريب تشتعل نار حرب حامية بين عامة الدول، مع أنه كان لا يوجد في صحف الأخبار ما يدل على ذلك. وكان هذا التحدث السري يتفشى بين الناس يوما فيوما حتى شاع بين جميع الطبقات غير أن من الناس من كان يستبعد الحرب، ومنهم من يرى أنها قريبة الوقوع. وكان أمراء العسكرية وضباطها يحضرون في بعض الأيام إلى **خانات** الغلات، ويسجلون مقادير ما يجدونه فيها من الحبوب والذخائر، ويأمرون الخاني «١» بعدم بيعها أحيانا، ويرخصون له به أخرى. وربما طافوا في **خانات** التجار وأحصوا ما عند كل واحد منهم من الأقمشة والبضائع المأكولة وغيرها. فكان الناس يرتابون من هذه الأعمال لأنها مما لم يسبق لها نظير، وبسببها كانت تقوى عندهم صحة الشائعات المنتشرة فيما بينهم بخصوص الحرب العالمية.

تتمة حوادث سنة ١٣٣٢ هـ

سباق الخيل:

وفي شهر جمادى الثانية من هذه السنة جرى في أرض الحلبة- ظاهر حلب- سباق خيل حافل، حضره كبار الموظفين من ملكيين وعسكريين وألوف من الأهليين «٢» . وأجازت الحكومة الحائزين قصب السبق بجوائز نقدية.

دعوة العرفاء إلى الثكنة العسكرية:

وفي هذه الأيام دعت جهة العسكرية إلى ثكنتها جميع عرفاء المحلات المعروفين بالمخاترة وأعطتهم المغلفات السالفة الذكر.." (١)

"إعلان تركيا النفير العام في ممالكها:

يوم السبت عاشر رمضان هذه السنة (١٣٣٢) الموافق اليوم الحادي والعشرين من تموز سنة ١٣٣٠ رومية واليوم الثالث من آب سنة ١٩١٤ م- أصبح الناس فرأوا في منعطفات الشوارع وأبواب الأماكن الشهيرة- كالجوامع **والخانات-** أوراقا ملصقة بالجدران مطبوعة ملونة فيها صورة الشعار العثماني، وتحته سطر واحد فيه كلمة (سفر برلك) أي النفير العام. فعلم الناس أن هذه الأوراق هي التي كانت في المغلفات التي سلمتها الجهة العسكرية إلى المخاترة وأمرتهم بحفظها. وقد عظم هذا الأمر على الناس وأصبح تحدثهم به شغلهم الشاغل، وبعد أيام قليلة غلق بالشوارع من الجهة العسكرية إعلان فحواه: «أن كل من كان بالغا سن المكلفية العسكرية أن يحضر إلى المكان المعين (مثل برية المسلخ) ويثبت اسمه وكنيته في سجلات

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٤٣٥/٣

العسكرية في برهة أيام قليلة» .

فتسارع الناس إلى تلك الأماكن لتسجيل أسمائهم، وكان المسلمون صائمين والحر شديدا، فتكبدوا من أجل ذلك مشقة زائدة. وبعد أيام دعت الجهة العسكرية كل من أثبت اسمه وكنيته إلى حمل السلاح والدخول في السلك العسكري. ثم أذيع قانون عسكري مصرح فيه بأن كل ذكر من الشعوب العثمانية يعتبر جنديا، مسلما كان أم غير مسلم، سواء كان له معين أم لم يكن. لا يستثنى من الجندية أحد بل كل عثماني يعتبر بحكم هذا القانون عسكريا. وأن المكلف المعذور بعذر شرعي معقول- يمنعه عن القيام بالجندية- يؤذن له بعد تحقق عذره بالانفكاك عن التجند مدة تلبسه بالعذر. فإذا انقضت معذرته فعليه أن يعود إلى التجند.

هذا القانون قد استعظمه الناس وعدوا أحكامه جائرة، لأنه لا يرحم الوحيد في عياله ولا الضعيف في بدنه، وقالوا: إنه مما جناه على الأمة جماعة حزب الاتحاد والترقي اقتداء بالحكومة الألمانية التي مشت على قاعدة التجنيد العام.

الإدارة العرفية:

في اليوم الثاني عشر من رمضان الجاري أعلنت العسكرية الإدارة العرفية في حلب.." (١)

"التكاليف الحربية وحجز أموال التجار:

في هذا الشهر بدأت الحكومة بأمر العسكرية تأخذ الأموال من التجار باسم التكاليف الحربية بالقيمة التي تقدرها لجنة سميت «لجنة المبايعة» ، وهي بعد أن تقدر للبضاعة المأخوذة قيمة وتأخذ البضاعة تسلم صاحبها مضبطة بالقيمة على أن تدفعها له بعد مدة غير معلومة.

تطواف الضباط العسكريين في **الخانات:**

في شوال هذه السنة بدأ الضباط العسكريون يطوفون **خانات** الغلات **وخانات** البضائع التجارية، ويكتبون كل ما عند بائع غلة أو بضاعة تجارية، ويأمرونه بالإمساك عن بيع غلته وبضاعته حتى يصدر له الإذن ببيعها.

كيف بدأت هذه الحرب:

ذكرنا قبلا- في الكلام على السبب الثانوي لقيام هذه الحرب- كيف كان بدء الدخول إلى ميدانها والشروع بإشعال نيرانها. ونقول هنا: إن إيمبراطور ألمانيا لما بدأت الحرب على هذه الصفة اهتم بأمرها اهتماما

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٤٣٦

عظيما، وأراد إطفاء نارها وتسوية الخلاف بين حكومتي النمسا وسربيا على صفة سلمية، فأكثر في ذلك المخابرة مع إيمراطوري إنكلترا وروسية ورئيس جمهورية فرنسة والتمس منهم أن يسعوا بوقف هذا البلاء، ويحلوا عقدة الخلاف بين الحكومتين على طريقة سلمية ووعدهم بذل ما في وسعه لفض هذه الحادثة على صفة حبية. فلم يصغوا له ولا سمعوا صراخه وكان كل من دولتي روسية وفرنسة قد أعلن النفير العام وحشد الجيوش على حدود الإيمبراطورية الألمانية فاضطر حينئذ الإيمبراطور غليوم أن يصدر أمره إلى جيوشه بأن تكون على قدم الاستعداد منتظرة أول إشارة تصدر منه.

أول تحرش بألمانيا:

وفي اليوم الثاني من آب الغربي سنة ١٩١٤ م طار قسم من الطيارات الفرنسية إلى البلاد الألمانية مجتازة إليها من أراضي الفلمنك والبلجيك المتظاهرين بالحياد، فألقت هذه." (١)

"في سبيل تنفيذ أحكام القوانين العثمانية وتجحف بحقوق تبعتها.

ومن أراد الاطلاع على صنوف هذه الامتيازات وأسبابها وتاريخ تخصيصها بالأجانب فليراجع ما كتبه فيها وطنينا الحلبي الكاتب البارع جميل بك النيال في كتاب ألفه باللغة التركية سماه «حقوق الدل» يستوعب ستمائة صحيفة فرغ من تأليفه سنة ١٣٢٦.

وفود للقدس:

وفيها أوفد من حلب وغيرها وفود للقدس الشريف لحضور حفلة افتتاح الكلية التي نسبت إلى المرحوم السلطان صلاح الدين، وللاطلاع على قوات الدولة العثمانية هناك وانتظام أحوال جيوشها.

وصول جنود الألمان إلى حلب:

وفيها بدأت جنود الألمان تصل إلى حلب ومنها إلى دمشق، ومعهم من الأثقال والمهمات الحربية مالا يكاد يحصى، وكانوا ينزلون في حلب في بيوت وخانات استأجروها من ذويها وعاملوا الناس معاملة حسنة، وربح منهم التجار أرباحا طائلة وقد مدوا كثيرا من التيول «١» الناقلة للصدى المعروفة باسم التليفون، ونصبوا أداة التلغراف اللاسلكي في برية حارة الحميدية، وأكثروا من نقل مهماتهم ولوازمهم من الأسلحة الحربية والسيارات المعروفة باسم أوتوموبيل، التي كان البعض منها يحدث في سيره شبه زلزلة ترتج له الأرض وترتجف منه الجدران ويتكسر البلاط. وكان المتأمل في جدهم وحركاتهم وعددهم وكثرة مهماتهم لا يشك ولا يرتاب بأنهم لم يحضروا إلى هذه البلاد إلا بقصد الاستيلاء والاستعمار لا بقصد المعاونة لحكامها

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤٣٧/٣

الأتراك على أعدائهم.

إجلاء أمة الأرمن عن أوطانهم:

قال جمال باشا في مذكراته ما خلاصته: إنه يعتقد اعتقادا جازما أن الأرمن كانوا قد دبروا ثورة من شأنها تعريض مؤخرة الجيش التركي في القوقاز لأشد الأخطار لو وقعت،." (١)

"تصاعد أسعار الحبوب:

وفي هذه السنة بدأت أسعار الحبوب تتصاعد في بعض الأقضية الغربية من ولاية حلب كأنطاكية وإسكندرونة وحارم؛ لأن المواسم في تلك الجهات كانت غير جيدة في هذه السنة، وبيع رطل الحنطة في أنطاكية باثني عشر قرشا بدل ثلاثة قروش.

حجز الغلات:

وفيها وضعت الجهة العسكرية يدها على الغلات في خانات حلب ومنعت أصحابها من بيعها، فانقطع وارد الحبوب من القرى وغلت أسعارها وبدأ الفقير يحس بعض أنياب الجوع.

الجراد النجدي:

وفيها وصل إلى حلب بغتة نوع من الجراد لم يكن قبل معروفا في هذه البلاد، وسماه الناس جرادا نجديا. وهو شيء كثير انتشرت جيوشه من أطراف الحجاز إلى أوائل بلاد الأناضول، فعم ضرره بلاد دمشق وفلسطين وحلب وأذنة. وقال بعضهم: إنه وصل إلى أزمير. أتى هذا الجراد على جميع ما في حلب ونواحيها ومفاوزها من الأعناب والتين والزيتون والفواكه والقطن والسمسم والذرة وأنواع اليقطين والبطيخ، وأضر الأشجار ضررا عظيما لأنه كان يأكل ورقها ثم يتبعه بأكل لحائها، فكانت الشجرة تسقط ثمرتها ثم تجف وتصير حطبا.

ومن عجيب أمر هذا الجراد أنه مخالف في نشوئه وغراسه جراد بلادنا. يغرس وينقف مرة في كل شهرين غير متأثر بالشتاء ولا بالصيف، وهو يغرس في الأرض الصلبة والمفلوحة بين الزروع، بخلاف جراد بلادنا فإنه لا يغرس إلا بالأرض الصلبة ولا ينقف في السنة إلا مرة واحدة، يغرس في تموز وينقف في نيسان، ولا يأكل النباتات المرة. والجراد النجدي هذا يأكل كل نبات يمر به. وقد عدت بليته هذه أول ضربة سماوية إذ لا دخل في إيجادها للحرب العامة.." (٢)

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤٤٨/٣

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤٥٢/٣

"ذهبية من مالها؛ لأنها يوجد عندها مبالغ طائلة من هذه النقود فهي غير مضطرة إلى أن تكلف التجار تبديل أوراقها بنقودهم الذهبية فيكون تكليفها هذا سببا لخسارتهم وخسارة نفسها؛ لأن فعلها هذا هو الذي جعل سعر الورق في الحضيض الأسفل وخفضه إلى سدس قيمته.

الثاني: أن كثيرين من الضباط والمأمورين- الذين لم يوكل إليهم شراء شيء من المواشي المذكورة- هم الذين كانوا يكرهون التجار أيضا على تبديل الورق بالنقد، فهم لا شك لم يفعلوا ذلك إلا لحساب جيوبهم. على أن الإنصاف والعدل يوجبان على الحكومة إذا كانت مضطرة إلى النقود الذهبية أن تبدل الورق على سعره التجاري كما كان يفعل الألمان لا على سعره الأميري المحرر عليه.

إحسان الحكومة بالحبوب على خدمة العلم:

وفي هذه السنة كثر تشكي الناس- الذين من جملتهم خدمة العلوم الدينية- من غلاء أسعار الحبوب، فأصدر جمال باشا أمره بأن يوزع على خدمة العلوم حنطة كما وزع على أمثالهم في دمشق، فوزع على الفقير منهم ثلاثة شنابل مجانا، وعلى غيره مقدار مؤنته، قيمة كل شنبل ورقة ونصف. وكانت قيمة الشنبل في **خانات** حلب نحو مائتي قرش نقودا ذهبية، والورقة والنصف كانت قيمتها التجارية مائة وعشرين قرشا. فكان هذا الالتفات من جمال باشا معدودا من حسناته.

استيلاء جيوش بريطانيا على البصرة:

وفي هذه السنة تواردت الأخبار باستيلاء الجيوش البريطانية على مدينة البصرة، وأنهم تقدموا إلى جهة بغداد يطاردون الجيوش التركية بمعاونة عربان تلك البلاد.." (١)

"سنة ١٣٣٤

تصاعد أسعار الحبوب:

في هذه السنة ازداد تصاعد أسعار الحبوب، وبيع رطل الخبز بثلاثة عشر قرشا معدنية.

عقد شركة إسهام لبيع الحبوب:

ولما كان السعر آخذا بالصعود يوما فيوما- حتى ربما بلغ حدا يتعذر معه تدارك القوت على الفقير بل على الجهة العسكرية نفسها- رأى القائد العام جمال باشا أن يعمل تدبيرا يأمن بواسطته غائلة فقد القوت بسبب مطامع الزراع والمحتكرين، فدعا إليه- وهو في دمشق- جماعة من الحلبيين تجارا ومزارعين وكلفهم أن يعقدوا فيما بينهم شركة إسهام تقوم بجمع الحبوب وحصرها عندهم وبيعها للأهلين والجيوش عن يدهم.

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٤٥٥

تشتريها هذه الشركة من ذويها بأسعار محدودة من قبل جمال باشا وتدفع ثمنها لهم ورقا نقديا على سعره الأميري، ثم تبيعها بورق نقدي كذلك بربح لا يزيد عن عشرة في المائة، تأخذ الشركة هذا المقدار من الربح لقاء أتعابها ونفقاتها التي تصرفها في سبيل جمع الحبوب ونقلها وإحرازها وغير ذلك من النفقات.

فقبل المدعوون من جمال باشا هذا التكليف واشترطوا عليه عدة شروط: منها أن يرخص لهم بمصادرة الحب الذي يمتنع صاحبه عن تسليمه بالسعر المحدود أو يخفيه عنهم أو يهربه منهم. ومنها أن يمدهم بالقدر اللازم من العساكر لحفظ مستخدميهم وإرهاب من يمتنع عنهم في تسليم حبوبه. ومنها أن يعطيهم عددا كبيرا من الوثائق التي يستثنى حاملها من الجندية ليعطوا كل واحد من مستخدميهم في هذه القضية وثيقة يخلص بواسطتها من تعرض الموكول إليهم إلقاء القبض على العساكر الفراريين. ومنها أن يصدر أمره إلى جهة العسكرية بألا تتعرض إلى خانات الحبوب أو إلى أحد من المزارعين في القرى والمنازل، بأخذ ما يوجد عندهم من الحبوب، بل للعسكرية أن تطلب الحبوب التي تعوزها من هذه." (١)

"الشركة، وعلى الشركة أن تقدم لها كفايتها مهما أعوزها. ومنها أن يسلف جمال باشا هذه الشركة مقدارا كبيرا من الورق النقدي ليستعينوا به على مهمتهم ريثما ينتظم حال الشركة وتقرر قواعدها فيما بين أعضائها. ومنها أن يكون داخلا في منطقة نفوذ هذه الشركة أربعة أقضية، وهي قضاء جبل سمعان والباب ومنبج وإدلب. إلى غير ذلك من الشروط التي قبل جمال باشا جميعها وتعهد للمدعوين بإنفاذها.

فعادوا المدعوون «١» من دمشق وهم فرحون؛ لأنهم رأوا بمقتضى حسبانهم أنهم يربحون من شركتهم هذه أرباحا طائلة تعد بمئات الألوف من الليرات. ولما وصلوا إلى حلب شرعوا بتعيين المستخدمين وأعدوا مكانا في حلب يجتمعون فيه للمذاكرة في شؤون مهمتهم. فأول خلاف نجم بينهم تنازعهم على الرئاسة، فإن كل واحد منهم يريد أن يكون هو رئيس هذه الشركة. والخلاف الثاني في تقسيم الأسهم: زيد يريد عشرة أسهم، وخالد يريد عشرين، وبكر يريد أربعين. وهكذا قام النزاع بينهم حتى أفضى بين اثنين منهم إلى المشاتمة والمخاصمة، ورفعت قضيتهما إلى المحاكم ثم تداخل بعض عقلاء الشركة فصالحوهما مع بعضهما. وبعد أن مارسوا العمل بهذه الشركة أياما قليلة ونقلوا إلى بعض **الخانات** مقدارا من الحبوب وتزاحم الناس على شرائها بدأ يظهر لجماعة الشركة من ماجريات الأحوال أنهم عاجزون عن إتمام القيام بتعهدهم، غير قادرين على جمع القدر اللازم من الحبوب: (١) لأن أصحابها في القرى والمزارع قد أخفوا الحبوب عن العيون بأماكن لا يمكن لمستخدمي الشركة أن يهتدوا إليها. (٢) لعدم قيام جمال باشا بتعهده الذي هو إمداده

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٤٥٦

إياهم بالعدد اللازم من العساكر لأجل حماية مستخدميهم وتهديد من امتنع عن تسليم حبوبه. (٣) لقلة الجمالين والمكارية وغلاء أجرة النقل. (٤) لعدم مساعدة حكومات الأقضية المذكورة مستخدمي الشركة على استحصال الحبوب واستخراجها من عند ذويها.

بل بعض قائمي مقام هذه الأقضية كان يعاكس المستخدمين ويعارضهم بتشددهم على الزارعين. (٥) لقيام جماعة من الزراع للتشكي على بعض مستخدمي الشركة وتذمرهم من ظلمهم وقلة إنصافهم ومعاملتهم الزراع بالضرب والشتم. (٦) لأن الجهة العسكرية كانت تطالب الشركة بالقدر اللازم لها من الحبوب بكل شدة وصرامة، غير مصغية إلى شكواها من صعوبة جمع الحبوب ونقلها. (٧) لإعطاء جماعة الشركة الوثائق التي تخلص." [١]

"من العسكرية بعض أفراد من أقربائهم وأنسبائهم دون أن يباشروا عملا من أعمال الشركة بل لمجرد تملصهم من العسكرية وقد باعوا منها عددا كبيرا لجماعة من التجار بقيمة وافرة ليتملص آخذها من العسكرية ليس إلا.

والخلاصة أن هذه الشركة لم تلبث غير قليل حتى ظهر للعسكرية والحكومة عجزها عن القيام بما تعهدت به، فأهملتا جانبها وشرعت العسكرية تجمع اللازم لها من الحبوب تارة بواسطة الحكومة وأخرى تباشر جمعها بنفسها. وبسبب ذلك انقطع جلب الحبوب إلى الخانات وتصاعدت أسعارها، لأنه كان متى حضر إلى خان من الخانات حب وضعت العسكرية يدها عليه وصادرته أو دفعت قيمته ورقا بالسعر الذي تحدده هي، فلا يبلغ ربع قيمته الحقيقية. وبعد أن مضى على هذا العمل بضعة أشهر اضطر أصحاب خانات الحبوب إلى إغلاقها وقلت الأقوات وصارت الحبوب تباع بين البيوت أو خارج البلدة سرا بأسعار باهظة يضطر صاحب العيال إلى أن يشتريها بتلك الأسعار إذ لا يوجد من يبيعه مؤنته بأقل منها.

فك الحصار عن الدردنيل:

وفي خامس يوم من ربيع الأول- من هذه السنة- الموافق عاشر شباط سنة ١٩١٥ م أقلعت أساطيل الإنكليز عن حصار الدردنيل، فقامت الأفراح والمسرات في البلاد العثمانية وعد الإقلاع عنها فوزا عظيما للعثمانيين.

قدوم أنور باشا إلى حلب وتعليق الستار على المرقد الشريف:

وفيها حضر إلى حلب أنور باشا من استانبول، وحضر جمال باشا من دمشق لاستقباله، ونزل أنور باشا

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٤٥٧

إلى الجامع الكبير وعلق بيده على حجرة الضريح ستارا مزركشا نفيسا.

توزيع البذر والنقود على الزراع:

وفيها وزعت الحكومة على المزارعين حبا للبذر لأن أكثر حبوبهم قد أخذته العسكرية باسم المبايعة، فأصبح الكثيرون منهم لا يوجد عنده شيء من الحب يقتات به فضلا عما." (١)

"سنة ١٣٣٥ هـ

ملكية حضرة الشريف حسين على البلاد العربية:

في اليوم السادس من محرم هذه السنة نودي في البلاد الحجازية باسم حضرة الشريف حسين أمير مكة المكرمة ملكا على البلاد العربية العثمانية. وقد تقدم الكلام على مبدأ قيامه على تركيا واستيلائه على معظم الحجاز في أخبار السنة الماضية.

وفد من استانبول إلى البلاد الشامية:

فيها قدم من استانبول إلى حلب وفد مؤلف من رجال الدولة العثمانية وأعيانها لرد زيارة الوفد العربي الذي كان في العام الماضي زار استانبول. وقد استقبل الوفد التركي حينما دخل إلى محطة بغداد استقبالا حافلا، وأدبت له البلدية في فندق البارون مأدبة فاخرة، وقدمت لكل واحد منه عباءة حريرية جميلة من صنع حلب. ثم بعد ثلاثة أيام سافر الوفد إلى دمشق ومنها إلى بيروت، ولقي فيهما من الحفاوة والإكرام ما لقي في حلب وزيادة.

وكان الغرض الحقيقي من زيارته هذه البلاد تطييب قلوب أهلها العرب وإظهار محبة الأتراك إياهم، ونزع ما غرسه بعض الاتحاديين في قلوبهم من النفرة والبغضاء بسبب سوء تدبيرهم.

سباق الخيل:

وفيها جرى في أرض الحلبة من ظواهر حلب سباق خيل على أبهج طرز.

دار للمعلمين ودار للحكومة:

وفيها بوشر في أرض الميدان الأخضر الشهير في شمالي مدينة حلب [ببناء] «١» مكتب." (٢)

"عن طرابزون وأخلوا الباطوم وغيرهما من البلاد العثمانية التي كانوا احتلوها في جهات قفقاسيا في الحروب الأخيرة الغابرة مع تركيا.

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤٥٨/٣

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤٧٤/٣

عود الشريف حيدر باشا إلى الآستانة:

وفيها قدم من جهة دمشق إلى حلب حضرة الشريف علي حيدر باشا عائدا إلى الآستانة.

تقدم جيوش الإنكليز والعرب في جهات درعا وانهزام المستخدمين:

في شهر ذي القعدة من هذه السنة تواترت الأخبار بتقدم جيوش الإنكليز والعرب في جهات درعا، وأن القوة المعنوية في الجيوش التركية الألمانية قد انكسرت واستولى عليها اليأس، ففارق ليمان باشا الألماني مكانه وتوجه إلى جهة استانبول، وكان معاونا في القيادة الحربية جمال باشا الصغير الذي هو قائد الجيش المحارب، وهو غير جمال باشا القائد العام.

ثم فارق جمال باشا الصغير الجيش المحارب، وهو غير جمال باشا القائد العام.

ثم فارق جمال باشا الصغير الجيش أيضا ولحق بليمان باشا، وبعده طفق المستخدمون والموظفون من ملكيين وعسكريين في البلاد الساحلية ودمشق وغيرها يتركون وظائفهم ويرحلون أفواجا إلى استانبول وغيرها من البلاد التركية خوفا من استيلاء جيوش الإنكليز والعرب عليها ووقوعهم أسرى في أيدي المحتلين أو قيام الأهليين عليهم انتقاما من إساءتهم إليهم.

استبدال والي حلب عاطف بك بمصطفى عبد الخالق بك:

وفي ذي الحجة من هذه السنة عزل والي حلب عاطف بك وخلفه مصطفى عبد الخالق بك- وهذه ولايته الثانية- فوصل إلى حلب في اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر مجردا عن عياله ونزل في فندق البارون.." (١)

"التفاف العرب عليهم من ورائهم بقطع مسافة من الصحراء في مدة لا يمكن للجيوش الإنكليزية أن تقطعها فيها، لكثرة أثقالها التي لا تتحملها تلك الرمال في هاتيك المفاوز.

وبسبب هذا الالتفاف أصبح الجيش التركي بين نارين نار الإنكليز ونار العرب، فانقطع عليه خط الرجعة وعول على الهزيمة. وقد غنمت جيوش إنكلترة من الأقوات والمهمات الحربية وغيرها ما يعجز عنه قلم الإحصاء.

سقوط رياق:

هذا ولم يمض غير أيام قلائل على سقوط دمشق حتى شاع في حلب أن الألمان قد يئسوا من الظفر بعدوهم فأحرقوا محطة رياق بما فيها من الذخائر والمهمات- وكانت شيئا كثيرا- ونسفوا شبكتها الحديدية

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٤٩٤

وتقدموا إلى جهة بعلبك وجاء العرب على أثرهم واستولوا على رياق.

انتهاء صحيفة الفرات:

وفي اليوم الخامس من محرم هذه السنة كان ختام حياة صحيفة الفرات وآخر نسخة صدرت منها في هذا اليوم كان عددها (٢٠٤٢٠) .

إبطال القبض على العساكر:

وفي هذا اليوم صدر أمر القائد العسكري العثماني بحلب بإبطال إلقاء القبض على العساكر الفارين. فسر الناس من ذلك سرورا زائدا لتخلصهم من هذا البلاء الذي كان خارجا عن طاقتهم.

حدوث فزع في حلب:

وفي يوم الجمعة سادس محرم وقع الذعر في سوق مدينة حلب، فأغلقت الدكاكين **والخانات** وهجم الناس متزاحمين يعدون كالسيل الجارف. وكان سبب هذا الذعر طلقة من غدارة «١» خرجت على غير قصد في يد واحد من سوق البز- المعروف بسوق." (١)

"العلم، روح البلاد ونفع العباد، ويمتع الأمة بالحياة الرغيدة. والسلام» . اه.

أقول: إن هذا الخطاب قد جمع فأوعى، وحقيق لمن يورده ارتجالا وبديهة أن يكون في عداد الطراز الأول من الذين أوتوا أكبر نصيب من علو المدارك وصفاء القرائح. على أن العبرة للمعاني لا للألفاظ؛ إذ هي بمنزلة الروح، والألفاظ كالأجسام والجسم بروحه لا بشكله، وإلا استوى الحيوان والجماد.

سفر الأمير فيصل:

ليلة الخميس عاشر صفر سنة ١٣٣٧ ورد على حضرة الشريف الأمير فيصل برقية فحواها أن يشخص على الفور والعجلة إلى مكة المكرمة لمقابلة حضرة الملك والده العالي، ثم يسافر من مكة إلى باريس ليمثل والده في مذكرات الصلح العام الذي ينعقد هناك قبل انقضاء مدة الهدنة. وفي صباح يوم الخميس هرع لوداعه العلماء والرؤساء الروحيون والوجهاء والأعيان من كل ملة، وبارح حلب قاصدا جهة الحجاز المباركة. وفي هذا اليوم وصل إلى حلب وفود من علية أهل الشام وحمص وحماة لزيارة حضرة الأمير الشريف فيصل وعرض إخلاصهم عليه وتأكيد روابط المحبة والإخاء بين أهل بلادهم وأهل مدينة حلب. وبعد قدوم هذه

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامل الغزي ٤٩٦/٣

الوفود بأيام قليلة أدبت لهم بلدية حلب في فندق البارون مأدبة حضرها الجم الغفير من الوجهاء والأعيان والشعراء والخطباء فتليت الخطب وأنشدت الأشعار وكانت مأدبة حافلة.." (١)

"أو تسعى بعرقلة مساعيها بواسطة إثارة القيام عليها من قبل إحدى الأمم التي تمت إليها بأواصر العنصرية أو وحدة المذهب.

سبب هذا التسلط:

وكان سبب هذا التسلط غلطة من الملوك العثمانيين أوقعهم فيها اغترارهم بقوتهم واستخفافهم بقوة روسيا، وإهمالهم ردعها حينما كانوا قادرين عليه، ومغادرتهم إياها متسلطة على ممالك خانات «١» القريم.

وبيان ذلك أن خانات القريم والدشت كانوا هم المسيطرين على الروس مدة مئة وخمسين سنة، بحيث كان كناز الروس كالعامل لهم على مملكته، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الذي سبق بيانه من هذا الجزء تحت عنوان (إجمال في الأتراك) . ثم لما وقع الخلف بين خانات القريم والدشت، ودخل تيمورلنك بلادهم وخربها واستولى على قسم عظيم منها- واشتغل الخانات بقتال بعضهم- اغتنم الروس هذه الفرصة وقاموا نحو بلاد الدشت، فطمت بحار غلبتهم عليها وكادوا يعمونها بالاستيلاء، وكان الملوك العثمانيون- في ذلك العهد- في عصرهم الذهبي، بحيث كان يمكنهم أن ينضموا إلى خانات القريم ويصدوا تغلب الروس عليهم، غير أنهم تركوا الخانات وشأنهم مع الروس، قصد أن توهنهم الروس وتضعف سطوتهم، وحينئذ يجهز العثمانيون على ما تبقيه الروس من بلادهم فيستولون عليها بأدنى عناء.

ووجه الغلط في هذه المسألة هو أن العثمانيين- اغترارا بقوتهم- لم يفكروا بأن ممالك الخانات كانت سدا منيعا بينهم وبين الروس، كما أنهم- استخفافا بالروس- لم يخطر لهم على بال بأن روسيا ستبلغ باستيلائها على ممالك الدشت والقريم غاية القوة والعظمة، وأنها متى استولت على ذلك السد تجرها عظمتها إلى الطمع بالمملكة العثمانية والاستيلاء على القسطنطينية مملكة البيزنطيين.

السبب الثاني لانقراض الدولة العثمانية:

السبب الثاني لانقراض هذه الدولة هو جنودها المؤلفة من الانكشارية، فإنهم بعد أن افتتحت الدولة بسيوفهم ذلك الملك العظيم داخلهم الغرور واستولى عليهم الكسل والشره." (٢)

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٥١٥

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٥٢١

"خاتمة هذا الجزء

نذكر في خاتمة هذا الجزء ما فاتنا ذكره من الأماكن القديمة التي يقصدها السياح في مدينة حلب، وبعض جهات ولايتها.

الأماكن المقصودة في حلب وضواحيها:

في مدينة حلب أماكن قديمة يقصدها السياح للاطلاع على ما هي عليه من عظمة البناء والآثار المعمارية وبداعة الطرز، وهي: الجامع الأموي الكبير، المدرسة الحلوية، المدرسة الرضائية المعروفة بالعثمانية، المدرسة السلطانية تجاه باب قلعة حلب، العمارة الخسروية، جامع العدلية، جامع الأطروش، جامع ألطونبغا، جامع قراسنقر في محلة المقامات- وفيها عدة آثار قديمة- عمارة ضيفة خاتون وهي المعروفة باسم الفردوس، عمارة الهروي، الدرويشية في تلك الجهة، مقبرة الخليل المعروفة بمقبرة الصالحين، كنيسة اليهود المعروفة بالكنيسة الصفراء، قلعة حلب الشهيرة المعدودة من عجائب الدنيا، أبواب **الخانات** الثلاثة وهي: خان الوزير، وخان الكمرك، وخان العلبية.

دار الجانبلاط في البندرة، دور آل قطاراغاسي في الفرافرة، مدرسة أبي الرجاء في محلة الكلاسة، المشهد، الشيخ محسن، الشيخ سعيد، مشهد الأنصاري، مشهد الشيخ فارس، مشهد الشيخ مقصود، تكية الشيخ أبي بكر الوفائي، الثكنة العسكرية، المسجد الذي في داخلها، مستشفى الرمضانية، المكتب السلطاني في محلة الجميلية، مقام مقر الأنبياء المعروف باسم قرنبا، بعض أبواب مدينة حلب، جامع القيقان في العقبة، والحجر الأسود الذي في ظاهر جواره الجنوبي المحرر بقلم الهيروكليف، دور بني غزالة وبني صادر في الجديدة، مغاير الحوار في محلة المقامات وضاحية الكلاسة.

الأماكن القديمة المقصودة للسياح في بعض الجهات التابعة لحلب:

هي: قصر البنات في الطريق المتوسطة بين حلب وأنطاكية، سور أنطاكية المعدود." [١]

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٦٠٣/٣

تطواف الضباط العسكريين في الخانات ٤٣٧

كيف بدأت هذه الحرب ٤٣٧

أول تحرش بألمانيا ٤٣٧

إعلان روسية وإنكلترة واليابان الحرب على ألمانيا ٤٣٨

إعلان إنكلترا وفرنسة وروسية الحرب على تركيا وإعلان تركيا اتفاقها مع ألمانيا والنمسا وبلغاريا إلخ ٤٣٨

إعلان تركيا الحرب على الدول الثلاث ٤٣٩

إعلان إنكلترة استقلالها بمصر ٤٤٠

منع الحكومة إخراج الذهب ٤٤٠

سنة ١٣٣٣ هـ: فتوى شيخ الإسلام في النفير العام ٤٤٠

قدوم جمال باشا إلى حلب ٤٤٠

أمر جمال باشا جلال بك والي حلب بحمل الناس على العمل في طريق المركبات ٤٤١

وفود استقبال العلم النبوي الشريف ٤٤٢

قتلى بالرصاص ٤٤٤

خبر استيلاء الجيوش العثمانية على «أردهان» ٤٤٤

فروغ الفحم الحجري واستعمال الفحم النباتي. وقطع أشجار من البساتين ٤٤٥

متطوعة الدراويش المولوية ٤٤٥

وفود القدس ٤٤٥

فرع من سكة حديد الحجاز إلى الترعة ٤٤٦

إنهاء جسر جرابلس ٤٤٦

وصول الورق النقدي إلى حلب ٤٤٦

إعانة الكسوة الشتوية ٤٤٦

مهاجرو مكة ٤٤٧." [١]

"نباتي، فإنها تضعف فتلقي بجزء من حمولتها من الرمال التي تتجمع حول تلك العقبات مكونة لتلال رملية تعرف بالكثبان "شكل ٧٣".

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامل الغزي ٣/٦٣١

شكل "٧٢": **برخانات**، كثبان رملية هلالية الشكل مع تموجات رملية في مقدمة الصورة.
والكثبان على أشكال مختلفة تبعا لظروف نشأتها فمنها:
أ- الكثبان الهلالية التي تعرف بالبرخان:
ويكثر وجودها في صحاري آسيا وأفريقيا. وينشأ البرخان "اسم تركستاني" حينما تهب الرياح في اتجاه واحد، وتعمل على دفع طرفي الكثيب، فيبدو في شكل قوس يتجه جانبه المحدب إلى الجهة التي تأتي منها الرياح، بينما يتجه طرفاه إلى الجهة التي تسير نحوها الرياح.
انظر الشكل "رقم ٧٣ب" ولاحظ اتجاه الرياح، ثم تأمل شكل البرخان ستجد جانبه المواجه للرياح محدبا طويلا، وجانبه الآخر مقعرا قصيرا. ما السبب؟ انظر إلى القطاع العرضي للبرخان وتتبع سير الرياح عن طريق الأسهم، سترى أن الرياح حينما تجتاز قمة الكثيب تصادف انخفاضا فجائيا في الجانب الآخر، فتحدث لها حركة عكسية أشبه بالدوامة تعمل على رفع جزء من الرمال وعلى ارتكاز بعض حبات الرمال فوق قمة الكثيب، وتحول." (١)

"دون هبوطها وتبعا لذلك يظهر هذا الجانب الآخر في شكل مقعر. وتوجد **البرخانات** عادة في مجموعات تحتل مساحات كبيرة من وجه الصحراء. وهي تتحرك حركة بطيئة في اتجاه سير الرياح تبلغ بضع ديسيمترات أو أمتار كل عام.
شكل "٧٣": أنواع الكثبان الرملية." (٢)

"١- القلب التجاري "حي التجارة والأعمال":
وهو المركز الرئيسي للمدينة وبؤرة نشاطها الداخلي وملتقى الأعمال الخارجية فيها فتتركز به مكاتب الاعمال التجارية الكبرى وشركات التأمين والمحلات التجارية وبيوت المال **والفنادق**، وتزداد كثافة المحلات التجارية به ازديادا كبيرا ينتج عنه ارتفاع ملموس في أسعار الأرض، وينعكس ذلك على ارتفاع المباني به، كذلك يعد هذا الحي بؤرة كثافة المرور في المدينة حيث تنتهي إليه معظم الطرق الرئيسية التي تربط المدينة ببيئتها وتقوم له مقام الشرايين للقلب تدفع له الحركة والنشاط.
ويمتاز القلب التجاري بعدة خصائص أهمها تركز معظم المحلات التجارية الكبرى ومكاتب الشركات الصناعية والتجارية والبنوك والملاهي، وتقع فيه أهم شوارع المدينة وأكثرها نشاطا كما يعد مركز العمالة في

---

(١) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية جودة حسنين جودة ص/١٦٢

(٢) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية جودة حسنين جودة ص/١٦٣

المدينة Central Business District "ويشار له باختصار بالحروف الأولى من هذه الكلمات الثلاث، أي C. B. D."، والبؤرة التي تتجه إليها وترتبط بها كل ألوان استخدام الأرض في المدينة.
ولكن يلاحظ أن المدينة كلما اتسعت وزاد عمرانها، كلما كان ذلك مدعاة لانتقال بعض المحلات التجارية وانفصالها عن القلب التجاري. وأصبحت غير متمركزة في وسط المدينة.
ويجذب القلب التجاري العملاء من كل أجزاء المدينة، ومن البلاد المجاورة لها، وكثير من السكان بالإضافة إلى أنهم عملاء لهذا النطاق، فإنهم يعملون بالخدمات المختلفة بداخله، ويعد ذلك من أهم أوجه النشاط البشري فيه.
وتتميز هذه المنطقة التجارية في المدينة بوجود شارع أو عدة شوارع رئيسية يخدمها شريان هام Artery للنقل، وتتركز به المحلات الكبيرة ذات الوظائف المتعددة، والتي قد تتكون من عدة طوابق وذات مخازن متصلة بها، أما شريان المواصلات لهذا النطاق فيتميز بكثافة نقل عالية حيث يزدحم بالسيارات والمارة.
ويلاحظ أن منطقة القلب التجاري لا تشغلها مساكن بمعنى الكلمة، إذ قلما." [1]

"بلاساغون

بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قرب مدينة كاشغر. كان قاعدة **خانات** تركستان في غضون القرن الرابع والخامس الهجري. يصعب اليوم تعيين موضعها. ينسب إليها جماعة من العلماء منهم أبو عبد الله محمد بن موسى البلاساغوني الفقيه الحنفي المعروف بتعصبه لمذهبه. والمتوفي بدمشق سنة ٥٠٦هـ." [2]

---

(١) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية جودة حسنين جودة ص/٤٥٦

(٢) تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير – ٣٢٨/١